رفع المسهم

العود الهندي

عن أمالي في ديوان الكندي

مجالس أدبية في ديوان المتنبي

تأليف علامة حضرموت ومفتيها
السيد عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف
رحمه الله تعالى



الجزء الأول

دار المنهاج

رفع المسهم

2010-06-30
www.alukah.net
www.almosahm.blogspot.com

العُودُ الهِنْدِيُّ

عَنْ أَمَالِيَّ فِي دِيوَانِ الكِنْدِيِّ

مَجَالِسُ أَدَبِيَّةٌ فِي دِيوَانِ المُتَنَبِّيِّ

تأليفُ

عَلَّامَةِ حَضْرَمَوْتَ وَمُفْتِيهَا

السَّيِّدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ السَّقَّافِ

رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى

عُنِيَ بِهِ

محمد مصطفى الخطيب

بمساهمة

اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والنشر

المجلد الأول

دار المنهاج



رفع المسهم

العود الهندي

عن أمالي في ديوان الكِنْدي

رفع
المسهم



دار المنهاج

لبنان ـ بيروت ـ فاكس : ٧٨٦٢٣٠

الطّبعة الثّانية

١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م

جميع الحقوق محفوظة للناشر

دار المنهاج للنشر والتوزيع

لصاحبها عمر سالم باجخيف

وفقه الله تعالى

المملكة العربية السعودية ـ جدة

حي الكندرة ـ شارع أبها تقاطع شارع ابن زيدون

هاتف رئيسي 6326666 ـ الإدارة 6300655

المكتبة 6322471 ـ فاكس 6320392

ص. ب 22943 ـ جدة 21416

لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه، وبأيّ شكل من الأشكال، أو نسخه، أو حفظه في أي نظام إلكتروني أو ميكانيكي يمكّن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه، وكذلك لا يسمح بالاقتباس منه أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على **إذن خطي مسبقاً من الناشر**

ISBN: 978 - 9953 - 498 - 48 - 5



www.alminhaj.com

E-mail: info@alminhaj.com

رفع المسهم

الموزعون المعتمدون داخل المملكة العربية السعودية

دار المنهاج للنشر والتوزيع - جدة هاتف 6322471 - فاكس 6320392	مكتبة دار كنوز المعرفة - جدة هاتف 6570628 - 6510421	مكتبة الشنقيطي - جدة هاتف 6893638
مكتبة المأمون - جدة هاتف 6446614	مكتبة الأسدي - مكة المكرمة هاتف 5570506	مكتبة نزار الباز - مكة المكرمة هاتف 5473838 - فاكس 5473939
دار البدوي - المدينة المنورة هاتف 0503000240	مكتبة الزمان - المدينة المنورة هاتف 8366666 - فاكس 8383226	مكتبة العزيزي - الطائف هاتف 7365852
مكتبة جرير - الرياض وجميع فروعها داخل المملكة وخارجها هاتف 2741578 - فاكس 2741750	مكتبة العبيكان - الرياض وجميع فروعها داخل المملكة هاتف 2741578 - فاكس 2741750	مكتبة الرشد - الرياض هاتف 4593451 - 4583712 فاكس 4573381
دار التدمرية - الرياض هاتف 4924706 - فاكس 4937130	دار أطلس - الرياض هاتف 4266104	مكتبة المتنبي - الدمام هاتف 8413000 - فاكس 8432794

Virgin MEGASTORE

الموزعون المعتمدون خارج المملكة العربية السعودية

الإمارات العربية المتحدة مكتبة دبي للتوزيع - دبي هاتف 2211949 - فاكس 2225137 دار الفقيه - أبو ظبي هاتف 6678920 - فاكس 6678921	دولة الكويت مكتبة دار البيان - حَوَلي هاتف 2616495 - فاكس 2616490 دار الضياء للنشر والتوزيع - حَوَلي هاتف 2658180 - فاكس 2658180	الجمهورية اليمنية مكتبة تريم الحديثة - حضرموت هاتف 417130 - فاكس 418130 دار القدس - صنعاء هاتف 00967777711881
جمهورية مصر العربية دار السلام - القاهرة هاتف 2741578 - 2704280 مكتبة نزار مصطفى الباز - القاهرة هاتف 25060822 - جوال 0122107253	الجمهورية العربية السورية دار السنابل - دمشق هاتف 2242753 - فاكس 2237960 مكتبة المنهاج القويم - دمشق هاتف 2235402 - فاكس 2235402	الجمهورية اللبنانية الدار العربية للعلوم - بيروت هاتف 785107 - فاكس 786230 مكتبة النمام - بيروت هاتف 707039 - جوال 03662783
دولة قطر مكتبة الأقصى - الدوحة هاتف 4437409 - 4316895 فاكس 2291135	مملكة البحرين مكتبة الفاروق - المنامة هاتف 17272204 - 17273464 فاكس 17256936	المملكة الأردنية الهاشمية دار محمد دنديس - عمّان هاتف 4653390 فاكس 4653380
المملكة المغربية دار الأمان - الرباط هاتف 037723267 - فاكس 037200055	الجمهورية التونسية الدار المتوسطية للنشر - تونس هاتف 70698880 - فاكس 70698633	جمهورية أندونيسيا دار العلوم الإسلامية - سوروبايا هاتف 006231-60304660

الجمهورية التركية مكتبة الإرشاد - إستانبول هاتف 02126381633 فاكس 02126381700	جمهورية داغستان مكتبة دار الرسالة - محج قلعة هاتف 0079285708188 هاتف 0079882904764

رفع المسهم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

أضواء على الكتاب

بقلم / الدكتور محمد عبد الرحمن شميلة الأهدل

أَحمدُكَ اللَّهُمَّ ، وأَستَمنِحُكَ السَّدادَ ، وأُصلِّي وأُسلِّمُ على المبعوثِ بجوامعِ الكَلِمِ ، مَنْ مَدَّت عليه الفصاحَةُ رواقَها ، وَشَدَّت بهِ البلاغَةُ نِطَاقَها ، ابنِ الذَّبيحينِ ، وخيرِ الثَّقَلينِ ، وعلىٰ آلِهِ الغُرِّ الميامينِ ، وصحابتِهِ الدُّعاةِ المجاهدينَ ، والتَّابعينَ لَهم في كُلِّ عَصرٍ وحين .

وبعدُ :

فإنِّي لا أَقصدُ بهٰذِهِ الكلماتِ كَشفَ النِّقابِ عَنِ المزايا المتألِّقَةِ في سماءِ البيانِ الَّتي تتلألأُ بها صفحاتُ هٰذا السِّجلِّ الأَدبيِّ الحافِلِ بالدَّقائِقِ الأَدبيَّةِ ، ولَم أُعنَ بتوصيفِ مواهبِ المؤَلِّفِ وبلاغتِهِ الهاشميَّةِ ، ولَم أَصمُدْ إلىٰ بَقْرِ محتوياتِ كتابِهِ علىٰ النَّحوِ الاستقرائِيِّ الَّذي يمنحُ المتأَهِّلَ الحكمَ الصَّائِبَ علىٰ هٰذا السِّفْرِ ، ووضعِهِ في مرتبتِهِ الأَدبيَّةِ اللاَّئِقَةِ ؛ فقدِ اضطلعتْ بذلكَ المقدِّمَةُ الرَّائِعَةُ الَّتي نسجَ خيوطَها المحقِّقونَ .

وَعِندَ جُهينَةَ الخبرُ اليقينُ

نعم ، لقد نعِمْتُ بمطالَعَةِ أَجزاءٍ منهُ ، ومتَّعتُ الفكرَ في رياضِها ، واستنشقْتُ شذىٰ أَدبيَّاتها ، وأَفَدتُ مِن جواهرِها المكنونَةِ ، وقطَفتُ من أَزاهيرِها البَسَّامَةِ كُلَّ معنىً بديعٍ .

رفع المسهم

فأجتمعَ لي بتصفُّحِ هٰذهِ ٱلأَجزاءِ ٱلاستفادَةُ ٱلعلميَّةُ ، وٱلابتهاجُ ٱلرُّوحيُّ ، ٱلممزوجَانِ بٱلإمتاعِ ٱلأَدبيِّ ، فكانَ لِزاماً أَن تتمخَّضَ تلكَ ٱلمطالعةُ عَن سَيَلانِ أَحاسيسي بنعوتِ ٱلإعجابِ بهٰذا ٱلسِّفرِ ٱلبديعِ .

لذلكَ أَعنَقَتْ يراعتي في ميدانِ ٱلإشادَةِ بٱلقيمةِ ٱلأَدبيَّةِ لهٰذا ٱلسِّفرِ ٱلممتعِ ٱلمفيدِ .

سَقَوْنِيْ وَقَالُوا لاَ تُغَنِّيْ وَلَوْ سَقَوْا جِبَالَ حُنَيْنٍ مَا سَقَوْنِيْ لَغَنَّتِ

وإِذَا كانَتِ ٱلكتابَةُ تَنُمُّ عَنْ وُجهةِ ٱلكاتِبِ ، وٱلمؤلِّفُ يُفصِحُ عَن قُدرةِ جامِعِهِ ، وينبىءُ عن معارِفِهِ ، ويحدِّدُ مكانتَهُ ٱلعلميَّةَ . . فإِنَّنا بنظرةٍ فاحصةٍ في هٰذا ٱلكتابِ نَجزِمُ مطمئِنِّينَ بأَنَّ ٱلفلسفَةَ ٱلأَدبيَّةَ ٱلَّتي نحاها هٰذا ٱلإمامُ ٱلعَلَمُ ، وٱلتَّنوُّعَ ٱلَّذي ٱصطفاهُ . . لَيَشهدانِ بعُلُوِّ كَعبِهِ في مختلِفِ ٱلمعارِفِ ، ورُسوخِ قَدمِهِ في ٱلإحاطَةِ ببنتِ عدنانَ ، وٱلتَّشبُّعِ بلطائِفِها ، وٱلهيمنَةِ علىٰ دقائِقِها ؛ فقد أَهدت إِلىٰ هٰذا ٱلسَّيِّدِ ٱلعبقريِّ كنوزَها ، وٱستسلَمَت لَهُ شواردُها وأَوابدُها ، هٰذا إِضافةً إِلىٰ ما تميَّزَ بهِ مِنْ حسنِ ٱختيارٍ لما يبهجُ ٱلأَنفُسَ مِنْ أَدبيَّاتٍ ، وما تنتشِطُ بهِ ٱلأَفكارُ مِنَ ٱلفكاهاتِ .

أَمَّا تلكَ ٱلمباحِثُ ٱلعويصَةُ ، ذاتُ ٱلمسالِكِ ٱلضَّيِّقَةِ ، ٱلَّتي يطرحُها علىٰ ٱلبساطِ ٱلشَّرعيِّ ، ثُمَّ يرسِلُ عليها أَشعَّةَ تحقيقاتِهِ ، ويضعُ ٱلهناءَ علىٰ ٱلنَّقَبِ . . فإِنَّها منثورَةٌ في ثنايا هٰذا ٱلكتابِ ، وإِلىٰ أَدنىٰ مِنها أَهمِّيَّةً يرحلُ ٱلمتفقِّهونَ ، ولا غرو . . فهوَ إِمامُ وقتِهِ ، ومُفتي قُطرِهِ ، ما رأَىٰ في عصرِهِ مثلَ نفسِهِ ، إِلاَّ أَنَّ كُلَّ أَحدٍ يُؤْخَذُ مِنْ قولِهِ ويُرَدُّ . . إِلاَّ مَنْ عُصِمَ .

ومعَ أَنَّ ٱلمؤلِّفَ قد جمعَ في كتابِهِ بينَ ٱلجدِّ وٱلهزلِ ، ومَزَجَ ٱلمعرفَةَ بٱلإمتاعِ . . إِلاَّ أَنَّهُ لم يُلْحَق شأْوُه في نمطِهِ ، ولم يَسبقْ أَحدٌ إِلىٰ طريقتِهِ ، أَلَم يُلَفِّعْ كتابَه بمِرطِ ٱلجودَةِ ، ويحلّيهِ بزينَةِ ٱلإتقانِ ؟!

رفع المسهم

ولذا سالَتْ مِنْهُ حلاوةُ ٱلجدَّةِ علىٰ قُربِ ٱلعهدِ .

وأَمَّا ما روَّح بهِ ٱلمؤَلِّفُ علىٰ ٱلنُّفوسِ لهَزْم جيوشِ ٱلسَّآمَةِ . . فليست إلاَّ مفاكهاتٍ يتسامَرُ بأَمثالِها ٱلفضلاءُ ، ويَستملحُ لطائِفَها ٱلكبراءُ ، مِمَّا لا يأْنَفُ ٱلمحتشمونَ مِنَ ٱلمُسامَرةِ بأَضرابِها ، وهي طريقَةُ ٱلأَلِبَّاءِ ، ومُتَنَفَّسُ ٱلأُدبَاءِ في كُلِّ عصرٍ ومِصرٍ .

وهو بذلكَ لم يُقارفْ ما يُخلُّ بٱلمروءَةِ ، ولَم يوضِعْ في فحشِ ٱلمُجونِ ، ولَم يصطدمْ بما يهزُّ ٱلآدابَ ٱلشَّرعيَّةَ ، بَلِ ٱتَّسمَتْ مفاكهاتُهُ بٱلملاحَةِ ، وٱنتظمَتْ في سِلكِ ٱلإمتاعِ وٱللَّطافَةِ ، ومِثلُ هٰذا ٱلقَدرِ يستعذبُهُ ٱلعلماءُ ، ويَتَنَدَّرُ بِخِفَّتِهِ ٱلفُقهاءُ ، ويَلهَجُ بهِ عُشَّاقُ ٱلطُّرَفِ وٱلمُلَحِ ، وقلَّ أَن يخلوَ كتابٌ أَدبيٌّ مِن هٰذه ٱلمتعَةِ وتلكَ ٱلمؤَانَسَةِ .

وإِنِّي علىٰ يقينٍ تامٍّ بأَنَّ هٰذا ٱلسِّفْرَ ٱلبكرَ سيتربَّعُ بعدَ نشرِهِ علىٰ مَنصَّةِ ٱلقَبولِ ، وسيكونُ مَنهلاً عذباً مِن مناهِلِ ٱلأَدَبِ .

وَٱلْمَنْهَلُ ٱلْعَذْبُ كَثِيْرُ ٱلزِّحَامْ

بَل سيكونُ مرجِعاً وثيقاً لِمَنْ يُعنىٰ بقواعِدِ ٱلنَّقدِ ، أَو يَهمُّهُ ٱلوقوفُ على نُكَتِ ٱلبلاغَةِ ، وطُرُقِ ٱلفصاحَةِ .

وما ذلكَ إلاَّ لما حواهُ مِنْ أَدَبٍ جَمٍّ ، وتِبيانٍ لدقائِقِ ٱلفصحاءِ ، وإِبرازٍ لمحاسِنِ ٱلموهوبينَ مِنَ ٱلشُّعراءِ ، وٱلإِتيانِ بٱلأَشباهُ وٱلنَّظائِرِ مِنَ ٱلمعاني ٱلَّتي تَواطأَ ٱلبلغاءُ علىٰ نظمِها في سِمطِ ٱلدُّرَرِ ، وٱلمقارنَةِ ٱلعادِلَةِ بينَ تلكَ ٱلنَّظائِرِ ، وما أَبرزَتْهُ تحويراتُهم مِنْ حُسنٍ أَو إِساءَةٍ ، ولئِنْ أَطلقتُ في نعتِهِ عِنانَ ٱلكلامِ . . فما مرامي إلاَّ أَنْ أبلُغَ بهِ ما يستحقُّ مِنَ ٱلمكانَةِ ، ولاسيَّما وهوَ لم يَقرعْ مِنْ قَبلُ آذانَ ٱلمتأَدِّبينَ ، ولَم يصافح أَذهانَ ٱلمعنيِّينَ بٱلنَّقدِ ٱلأَدبيِّ ، فليسَ

رفع المسهم

صنيعي هٰذا خروجاً عَنْ حَدِّ ٱلاعتدالِ ، ولا وقوعاً في ثَبَجِ ٱلغلوِّ .

بَل لا أَجدُني مبالغاً إِنِ ٱعترفتُ بأَنَّ قَلَمي لَم يَقوَ علىٰ ٱلإِفصاحِ عن كُلِّ خِصِّيصَةٍ فيهِ ، ولَم يثبْ بَياني إِلىٰ تِبيانِ جديدِهِ ، ولَم يَخُضْ فِكري فيما ٱفترعَهُ ٱلمؤَلِّفُ مِن أَبكارِ ٱلفوائِدِ ، ٱلَّتي هي من نسجِ طبعِهِ ، وسَبْكِ فهمِهِ ، وصوغِ ذهنِهِ .

ولعلَّ في مقدِّمَةِ ٱلنَّاشِرِ ما يرفَعُ ٱلأَستارَ عَن تلكَ ٱلخصائِصِ جميعِها ، بيدَ أَنَّ ٱلَّذي يستدعيني ٱلمَقامُ أَنْ أَستهدفَهُ في هٰذهِ ٱلأَحرف ، وأُميطَ عنه لثامَ ٱلحقيقةِ . . هوَ ٱلإِعلامُ بما يقاسيهِ ٱلأَدَبُ ٱلعربيُّ في ٱلعصرِ ٱلحاضِرِ مِن جفاءِ ، وما يعانيهِ مِن قَطيعةٍ مِن بني جِلدَتِهِ ، سواءٌ في ذلكَ شعرُهُ ونثرُهُ ، وجِدُّهُ وهزلُهُ ، وقديمُهُ وجديدُهُ ، بَل رُبَّما وقفَ ذُو طبع غليظٍ وحسٍّ متبلِّدٍ يهدمُ عمداً مآثِرَ ٱلشِّعرِ عامَّةً ، فتراهُ يتابعُ ٱلاستغفارَ وٱلاستنكارَ معاً إِنْ صكَّ سمعَهُ بيتُ شعرٍ ترنَّم بهِ أَديبٌ ، أَو تمثَّلَ بهِ أَريبٌ ، أَوِ ٱستدعتهُ حادِثَةٌ ، وهٰذا خلافُ ما عليهِ ٱلقومُ .

وكثيراً ما نسمعُ في مسامراتِنا مَنْ يتأَفَّفُ مِن إِنشادِ ٱلأَشعارِ ، ويعتصِمُ بِنَصِّ ٱلتَّنزيلِ ٱلحكيمِ ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء : ٢٢٤ـ٢٢٦] ، ثُمَّ ينقطعُ نَفسُهُ فلا يتابعُ ٱلاستثناءَ ٱلَّذي يرفَعُ ٱلملامَ عَنْ مُؤْمني ٱلشُّعراءِ ، فيكونُ صنيعُ هٰذا ٱلمُستشهِدِ بنصٍّ مبتورٍ شبيهاً بمَن يقرأُ : ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ [الماعون : ٤] ويَقِفُ ، وكِلا ٱلوقفينِ مَذمومٌ شرعاً .

وقد نتجَ عن هٰذا ٱلعِداءِ وتلكَ ٱلجفوَةِ هٰذا ٱلانكماشُ ٱلملحوظُ في ٱلحركَةِ ٱلأَدبيَّةِ ، وإِيجادُ سَدٍّ متينٍ بينَ ٱلنَّاشئَةِ وتُراثِهِمُ ٱلأَدبيِّ .

وأَعانَ علىٰ تقويَةِ هٰذا ٱلسَّدِّ ذلكَ ٱلهزالُ ٱلبيِّنُ ٱلَّذي يَنْخَرُ في معارفِ

رفع المسهم

ٱلخرِّيجينَ مِنَ ٱلنَّاحيةِ ٱللُّغويَّةِ ، وحُقَّ لنا أَنْ نتمثَّلَ بقولِ ٱلأَوَّلِ (ضِغثٌ علىٰ إِبالَةٍ)[1] فٱستحكمَ ٱلدَّاءُ ، وعَزَّ ٱلدَّواءُ .

ولستُ ملزماً هنا بسردِ مزايا ٱلأَدَبِ بسائِرِ فنونِهِ ؛ ففي ٱلمقدِّمةِ ما يكفي ويَشفي ، وفي صحيحِ ٱلأَخبارِ ما يدحضُ هٰذا ٱلاستنكارَ .

بيدَ أَنِّي أَذكرُ موقفاً خالداً مِن مواقفِ ٱلفاروقِ رضيَ ٱللهُ عنهُ ؛ فقد خرجَ علىٰ ٱلمسلمينَ في مسجدِ رسولِ ٱللهِ صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّم ، وقامَ فيهم مُستفهماً ، فقالَ : أَيُّكم يعرفُ هٰذا ٱلحرفَ ؟ ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ﴾ [النحل : ٤٧] ما ٱلتَّخوُّفُ ها هنا ؟

فأَرمَّ ٱلقومُ ، فقامَ شيخٌ مِن أُخرياتِ ٱلمسجدِ فقالَ : أَنا أَعرفُ ذلكَ ، ٱلتخوُّفُ ها هنا : ٱلتَّنَقُّصُ ، فقالَ لهُ عمرُ : أَوَ يَعرِفُ ٱلعربُ ذلكَ ؟ فقالَ لَهُ : نعم ، يقولُ شاعِرُنا :

تَخَوَّفَ ٱلرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكاً قَرِداً كَمَا تَخَوَّفَ عُوْدَ ٱلنَّبْعَةِ ٱلسَّفَنُ[2]

ـ (تخوَّفَ) : تنقَّصَ . (ٱلتَّامِكُ) : ٱلسَّنامُ . (ٱلقَرِدُ) : كثيرُ ٱلشَّعَرِ . و(ٱلنَّبعةُ) : شجرةٌ تُتَّخَذُ مِنها ٱلسِّهامُ . و(ٱلسَّفَنُ) : ٱلمبراةُ ـ فقالَ أَميرُ ٱلمؤمنينَ :

(عليكم بأَشعارِ ٱلعربِ ؛ فإِنَّ فيها معرفَةَ كلامِ ربِّكُم) . أَو قالَ نحو هٰذا .

وهناكَ صِنفٌ مِنَ ٱلفضلاءِ تظهرُ عليهم سِماتُ ٱلاحتشامِ إِذا ترامت إِلىٰ مسامِعِهم نوادرُ يترَوَّحُ بنسيمها ٱلمتأَدِّبونَ من هَجيرِ ٱلحياةِ ؛ إِذ تتجهَّمُ وجوهُهم

---

(١) الضِّغثُ : القبضة من الحشيش . الإِبالة : الحزمة من الحطب . وهو مثل عربي ، معناه : مصيبة على أخرىٰ .

(٢) يصفه بأَنَّه مِن كثرةِ أَسفارِهِ علىٰ ناقتِهِ . . تنقَّصَ رحلُها مِن سنامِها كما تتنقَّصُ ٱلسِّهمَ ٱلمبراةُ .

رفع المسهم

إن باسطَهم أحدٌ بمزحٍ مُؤْنِسٍ ، أو طرفةٍ لطيفَةٍ ، ويَعُدُّونَ هٰذا ٱلهزلَ سخفاً يَصفعُ قَفا ٱلأَلِبّاءِ ، وهَذراً يَستَتِرُ منهُ أُولو ٱلحشمَةِ بسجافِ ٱلمروءَةِ ، حتَّىٰ وإن كانَ مَزحاً لم يرتعْ في حمأَةِ ٱلفُحشِ ، ولَم يَكْلَمْ جسمَ ٱلحياءِ ، ولم يَسبح في يَمّ ٱلمجونِ ٱلممجوجِ .

وقد غابَ عن هٰؤلاءِ أَنَّ ٱلتَّرويحَ عنِ ٱلأَنفُسِ بما هو مباحٌ . . فيهِ ٱستجمامٌ للفكرِ مِنْ عناءِ ٱلجدِّ ، وٱستملاحٌ يهفو إليهِ ٱلطَّبعُ ، وتفكُّهٌ بٱلممتعِ مِنَ ٱلنَّوادِرِ ، ومجلبةٌ لطيبِ ٱلخاطِرِ ، ومؤانَسةٌ تبعثُ علىٰ ٱلصَّفاءِ .

وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا

ولا يزالُ ٱلأَكابرُ في كلِّ عَصرٍ ومصرٍ يتعشَّقونَ هٰذا ٱلفنَّ ٱللَّطيفَ ، وطالَما جنحوا إلىٰ مَلاحَتِهِ ، وٱلارتشافِ مِن دَنِّهِ .

وها هو ٱلوزيرُ أَبو عبدِ ٱللهِ ٱلحسينُ بنُ أَحمدَ بنِ سعدانَ ، ٱلمتوفَّىٰ مقتولاً سنةَ (٣٧٥هـ) قالَ للإمامِ ٱلعلاَّمَةِ أَبي حيَّانَ ٱلتَّوحيديِّ[1] :

(تعالَ حتَّىٰ نجعلَ ليلتَنا هٰذه مجونيَّةً ، ونأْخُذَ مِنَ ٱلهزلِ بنصيبٍ وافرٍ ؛ فإِنَّ ٱلجدَّ قَد كَدَّنا ، ونالَ مِن قُوانا ، وملأَنا قَبضاً وكرباً) ، فٱندفعَ هٰذا ٱلإمامُ يُسامِرهُ بأَخبارِ ٱلمُجَّانِ ، وأَحوالِهم في ذلكَ ٱلزَّمانِ .

ولا زالَ ٱلعلماءُ ـ علىٰ تنوُّعِ ٱختصاصاتِهم ـ يستملحونَ ٱلأَخذَ بطرَفٍ من هٰذا ٱلبابِ ، ولم يرموا ٱلمؤَلِّفينَ في هٰذا ٱلبابِ بٱلعظائِمِ .

وها هو أَحدُ أَئِمَّةِ ٱلشَّافعيَّةِ يملي في حلقةِ درسِهِ علىٰ أَتباعِهِ حينَ سُئِلَ : (هل يُقتَلُ ٱلحرُّ بٱلعبدِ ؟) وهيَ مسأَلةٌ خلافيَّةٌ أَعرقَ ٱلخلافُ فيها مِنَ ٱلقِدَمِ ، فأَجابَ مترنِّماً :

---

(١) « الإمتاع والمؤانسة » (٢/ ٥٠) .

رفع المسهم

خُـذُوْا بِـدَمِـيْ هَـٰـذا ٱلْغَـزَالَ فَـإِنَّـهُ رَمَـانِـيْ بِسَهْمَـيْ مُقْلَتَيْـهِ عَلَـىٰ عَمْـدِ
وَلاَ تَقْتُلُـــوْهُ إِنَّمَـــا أَنَـــا عَبْـــدُهُ وَفِيْ مَذْهَبِيْ لاَ يُقْتَلُ ٱلْحُرُّ بِٱلْعَبْدِ

فجمعَ رحمهُ ٱللهُ تعالىٰ بينَ ٱللُّطفِ ، وجميلِ ٱلسَّبكِ ، وإصابَةِ ٱلغَرَضِ ، وٱلجزمِ بٱلحُكمِ يزهو في حُلَلِ ٱلملاحَةِ ويَنضَحُ بوابلٍ مِنَ ٱلرِّقَّةِ . بَلْ ما تحرَّجَ ٱلإمامُ ٱلشَّافِعِيُّ حينَ رَفَعَ إليهِ شابٌّ سُؤَالَهُ قائِلاً :

سَلِ ٱلْعَالِمَ ٱلْمَكِّيَّ هَلْ فِيْ تَزَاوُرٍ وَضَمَّـــةِ مُشْتَـــاقِ ٱلْفُـــؤَادِ جُنَـــاحُ

لَم يتحرَّجِ ٱلإمامُ مِنْ إجابَتِهِ ، فقالَ لَهُ مجيباً :

فَقُلْـتُ مَعَـاذَ ٱللهِ أَنْ يُـذْهِـبَ ٱلتُّقَـىٰ تَـــلاَصُـــقُ أَكْبَـــادٍ بهـــنَّ جِـــرَاحُ

ولولا خشيةُ أَن تطولَ ذُيولُ هٰذهِ ٱلأَحرفِ ، ويَؤُوبَ ٱلتَّقديمُ بَطيناً . . لأَعنقتُ في هٰذا ٱلميدان مَليّاً .

بَل إنَّ بعضَ ٱلأُدباءِ ٱلمتقدِّمينَ لَم يَتحرَّجْ مِن روايةِ أَشعارِ ٱلمجونِ في مؤَلَّفاتِهِ ، وجُلُّها موغلٌ في ٱلإفحاشِ ؛ إبرازاً لاقتدارِ شعراءِ ٱلمجونِ علىٰ إيرادِ ٱلمعاني ٱللَّطيفَةِ ، وٱلتَّشبيهاتِ ٱلبديعةِ ؛ إذْ غَدَتْ منتظمةً في سِلكِ ٱلملاحَةِ وٱلبلاغَةِ ، فرجَّحوا أَنَّ قيمتَها ٱلأَدبيَّةَ تستُرُ بِثَوبِها ٱلسَّابغِ فُحشَها ، وحسنَ نَسيجِها يُغطِّي قُبحَها :

وَتَحْتَ ٱلرَّغْوَةِ ٱللَّبَنُ ٱلصَّرِيْحُ

بيد أَنَّ صنيعَهم هٰذا محلُّ نظر ، ومثالاً علىٰ ذلكَ ٱلعلاَّمةُ ٱلمحقِّقُ مُحَمَّدٌ محيي ٱلدِّينِ عبدُ ٱلحميدِ لمَّا أَجمعَ ٱلعزمَ علىٰ تحقيقِ « يتيمةِ ٱلدَّهرِ في محاسِنِ أَهلِ ٱلعصرِ » للأَديبِ ٱلمؤَرِّخِ أَبي منصورٍ عبدِ ٱلملكِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ إسماعيلَ ٱلثَّعالبيِّ ٱلنَّيسابوريِّ ٱلمتوفَّىٰ سنة (٤٢٩هـ) ، وهيَ مشحونةٌ بأَشعارِ ٱلخلاعَةِ

رفع المسهم

والمجونِ . . قالَ : (ولكنَّا لَم نَشَأْ أَنْ نحذفَ شيئاً مِمَّا في هٰذا الكتابِ مِنَ المجونِ كما يفعلُ بعضُ النَّاسِ مِنَ النَّاشرينَ ؛ تحرُّجاً منهم وتأثُّماً زَعموا ، وحِرصاً علىٰ مكارمِ الأَخلاقِ ظَنُّوا ؛ لأَنَّا لا نُؤَلِّفُ كتاباً نختارُ فيهِ ما نَشاءُ ، وندعُ ما نشاءُ ، وإنَّما نحقِّقُ نصَّاً قَيَّدَهُ صاحبُهُ في زَمَنٍ كانَ النَّاسُ فيهِ أَشَدَّ تحرُّجاً مِن هٰذا الزَّمَنِ الَّذي نعيشُ فيهِ . . إلىٰ أَن قالَ :

(واللهُ يعلَمُ أَنَّنا لا نَقِلُّ عن هٰؤلاءِ ـ المتأَدِّبينَ الَّذين يفسدونَ كُتُبَ النَّاسِ ـ تحرُّجاً مِنَ المجونِ ، ولا حِرصاً علىٰ مكارمِ الأَخلاقِ[1] ، وإنَّما الغَرَضُ مِن نشرِ الكتابِ في رأْينا إنَّما هوَ أَن نَدُلَّ قُرَّاءَ الأَدَبِ العربيِّ علىٰ الحياةِ الأَدبيَّةِ ، والحياةِ الاجتماعيَّةِ والسِّياسيَّةِ في هٰذهِ الحقبةِ الَّتي كانَ الشُّعراءُ يعيشونَ فيها ، وأَنْ نضعَ بينَ أَيديهمُ النُّصوصَ الَّتي تدلُّهم على ما يتوجَّهونَ إليهِ مِن مناحي البحثِ)[2] .

فإذا كانَتْ هٰذهِ الحالُ في المجونِ المَمْجوجِ شرعاً . . فإنَّا نَبْرَأُ إلىٰ اللهِ تعالىٰ مِنْ أَنْ نَصِمَ أَديباً كبيراً وعالماً نِحريراً باللَّومِ ، أَو نغمزَهُ بالخروجِ عَن دائِرَةِ الآدابِ الشَّرعيَّةِ ، وهوَ لم يَزبُر في سفرهِ هجراً ، ولَم يرتَعْ في حمأَةِ المجونِ ، وما غرضُ هٰذا الشَّيخِ العلاَّمَةِ إلاَّ شحذُ ذِهنِ القارىءِ ، ودفعُ سآمَةِ الجِدِّ ، ومحوُ عَنَتِ كَدِّ الأَفكارِ في المعاني الدَّقيقَةِ ؛ ليعودَ إلىٰ جدِّهِ مرتاحَ الفكرِ خفيفَ الرُّوحِ ، مُتَجدِّدَ النَّشَاطِ .

ودارُ المنهاجِ قدِ اضطلعَتْ مشكورَةً بالاستخراجِ جواهِرِ التُّراثِ مِنْ أَعماقِ المكتباتِ المخطوطَةِ ، ودأَبَتْ علىٰ إبرازِ كُنوزِنا الثَّمينَةِ تتهادىٰ في حُلَلٍ

---

(١) كذا في الأصلِ .

(٢) المقدمة لـ« يتيمة الدهر » (١/ ٥) .

رفع المسهم

ٱلتَّحقيقِ ، وها هيَ ٱليومَ تُهدي إلىٰ عُشَّاقِ ٱلأَدَبِ ٱلعربيِّ هٰذا ٱلسِّفْرَ ٱلنَّافِعَ ، وسوفَ ترحبُ بهِ ٱلمكتبَةُ ٱلعربيَّةُ ، وتبتسِمُ لَهُ لغةُ ٱلضَّادِ .

وبعدُ :

فإنَّ هٰذا ٱلكتابَ غزيرُ ٱلمعاني ، رفيعُ ٱلأُسلوبِ ، عَزيزُ ٱلمباحِثِ ، رقيقُ ٱلحواشي ، بطينُ ٱلمحتوىٰ ، عظيمُ ٱلفائِدَةِ ، جمعَ بين ٱلمتانَةِ وٱلحلاوَةِ ، وٱلسُّهولَةِ وٱلجزالَةِ ، وٱلغوصِ لانتقاءِ ٱلجواهِرِ ٱلثَّمينَةِ ، كيفَ لاَ ومُؤَلِّفُهُ فردُ دهرِهِ ، وشمسُ عصرِهِ ، ومفتي قطرِهِ .

كتبه أبو عبد الباري عجلاً خجلاً

الدكتور محمد عبد الرحمن شميلة الأهدل

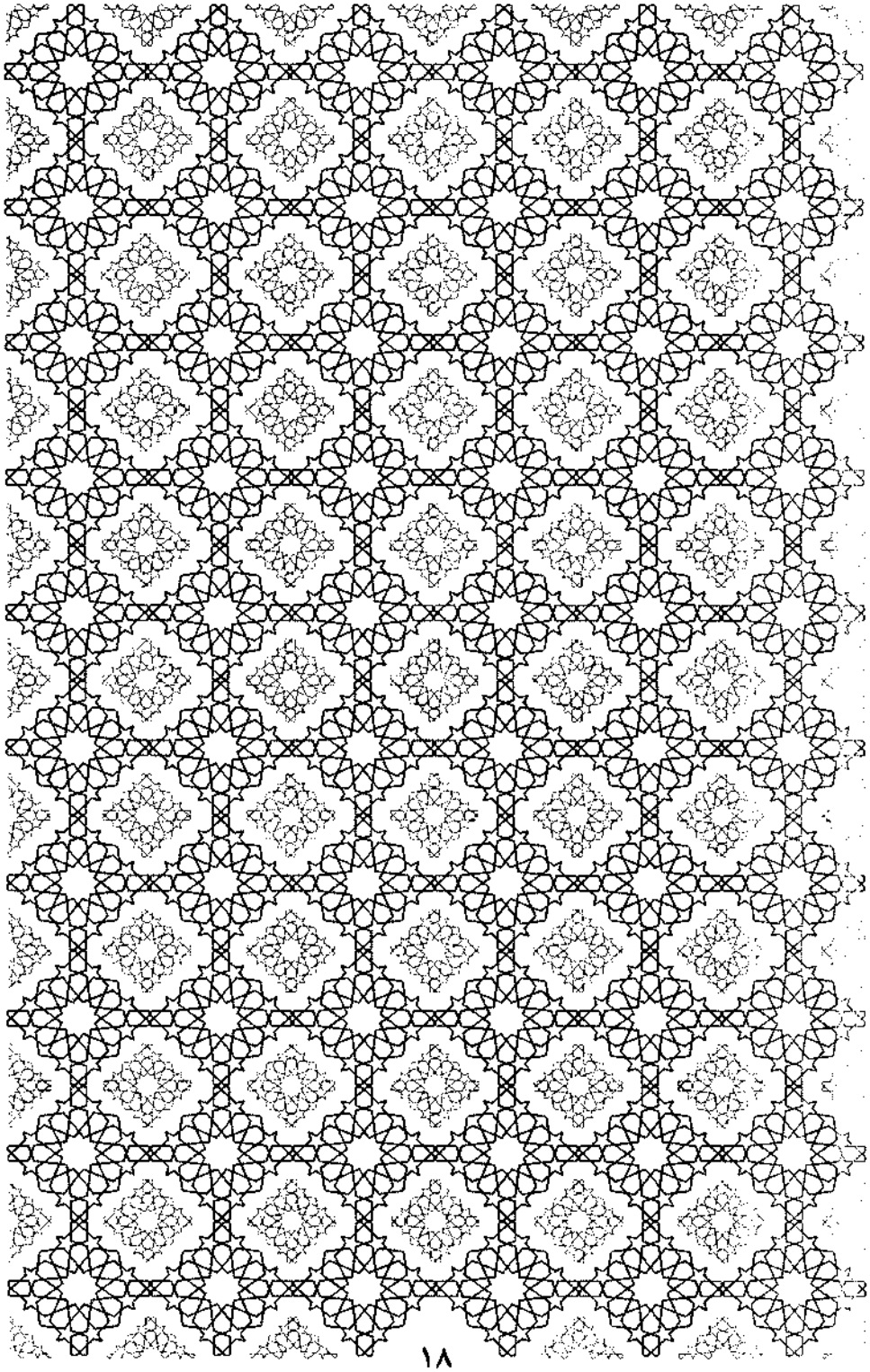
في ١٥/٨/١٤٢٢هـ

* * *

رفع المسهم

مقدّمة التحقيق

رفع المسهم



المسهم

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تمهيد

بقلم/ محمد مصطفى الخطيب

الحمدُ للهِ ٱلعليمِ ٱلعلاَّمِ ، ٱلرَّحيمِ ٱلرَّحمٰنِ ، أَنزلَ ٱلقرآنَ ، خَلَقَ ٱلإنسانَ ، عَلَّمَهُ ٱلبيانَ .

وٱلصَّلاةُ وٱلسَّلامُ علىٰ نبيِّهِ ٱلهادِ ، أَفصحِ مَن نطقَ بٱلضَّادِ ، وعلىٰ آلهِ وصحبِهِ ذوي ٱلرَّأْيِ وٱلسَّدادِ .

أَمَّا بعدُ :

فقد قيلَ : راوِحوا ٱلقلوبَ ساعةً فساعةً ؛ فإنَّها إذا كَلَّتْ . . عَمِيَتْ .

فكما أَنَّ ٱلجسدَ يتعبُ ويطلُبُ ٱلرَّاحةَ ، فكذلكَ ٱلرُّوحُ وٱلنَّفْسُ ، وخصوصاً في هٰذهِ ٱلأَيَّامِ ٱلَّتي كثُرَتْ فيها ٱلمشاغِلُ وٱلمنغِّصاتُ ، وصارَتِ ٱلحاجَةُ مُلِحَّةً إلىٰ ما يُستَأْنَسُ بهِ ويُستروَحُ إليهِ بما لا يخرجُ عنِ ٱلإطارِ ٱلشَّرعيِّ .

ولولا أَنَّ ٱلإنسانَ مِن حينٍ لآخرَ يسمعُ كلاماً حسناً يميِّزُهُ بعينِ عقلِهِ ، أَو أَنَّهُ يرىٰ مَنظراً جميلاً يَراهُ بعينِ رأْسِهِ ، ثُمَّ ينعكِسُ ذلكَ إيجاباً علىٰ مِرآةِ فِكرِهِ . . لَتكالَبَتْ عليهِ ٱلهمومُ وٱلغمومُ ، وَلَعَلَتْهُ ٱلكآبَةُ وٱلحزْنُ .

وقد أَوضحَ هٰذا ٱلمعنىٰ ٱلشاعرُ في قولِهِ :

أَفِدْ طَبْعَكَ ٱلمَكْدُودَ بِٱلْهمّ راحةً ... بحزمٍ وعللهِ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلْمَزْحِ

رفع المسهم

وَلَـٰكِـنْ إِذَا أَعْطَيْتَـهُ ٱلْمَـزْحَ فَلْيَكُـنْ بِمِقْدَارِ مَا تُعْطِي الطَّعَامَ مِنَ ٱلْمِلْحِ

هذا هو المِقياسُ .

وكتابُنا هـٰذا كألواحةِ لِطُلاَّبِ ٱلعلمِ ؛ فمؤَلِّفُهُ مِنَ ٱلعلماءِ ٱلبارزينَ وهوَ مَن هوَ في ٱلعالَمِ ٱلإسلاميِّ . . ولعلَّهُ مِن حُسنِ ٱلحظِّ وٱلطَّالعِ أَنْ يُؤَلِّفَ عالِمٌ مثلُهُ كتاباً في هـٰذا ٱلفنِّ .

ومِنْ مقاصِدِ طباعةِ هـٰذا ٱلكتابِ أَنْ يكونَ حافزاً ومساعِداً لحفظِ ٱلشَّواهِدِ ٱلشِّعريَّةِ ، وٱلقَصَصِ ٱلأَدَبيَّةِ وٱلأَمثالِ ٱلحِكَميَّةِ . . ٱلَّتي يُستأْنَسُ بها ، ويعذُبُ إيرادُها عندَ ٱلمناسبَةِ ، بَل وبِها تقوىٰ ٱلحُجَّةُ . . كما أَنَّ في بعضِ ٱلقصَصِ ٱلعِظةَ وٱلعبرَةَ ، كيفَ وٱلخالقُ سبحانَهُ يَقولُ ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ [هود : ١٢٠]؟!

وَإِذا علِمنا ذلكَ . . فنقُولُ : إِنَّ ٱلإِسلامَ ورسولَهُ صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم قد أَوجدا لنا ٱلطريقَ وٱلخلاصَ من معاناة الروح ، وتعب النفس ، وبينوا لنا كيفية صفاء القلب ، فجعَلوا ٱلطَّريقَ إِلىٰ تسليةِ ٱلرُّوحِ مباحاً ، ولـٰكِنَّهم وَضَعوا لها ضوابطَ .

فهـٰذا ٱلنَّبيُّ صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم كانَ يمزَحُ ولـٰكِنَّهُ ما كانَ لِيقولَ غيرَ ٱلحقِّ .

فنراهُ عندَما تأْتي إِليهِ ٱلعجوزُ وتقولُ لهُ : ادعُ ٱللهَ أَنْ يجعلَني مِن أَهلِ ٱلجنَّةِ يقولُ لها : « **يَا أُمَّ فُلاَنٍ . . إِنَّ ٱلجَنَّةَ لاَ تَدْخُلُهَا عَجُوْزٌ** » فَوَلَّتِ ٱلمرأَةُ وهيَ تبكي ، فقالَ صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : « **أَخْبِرُوْهَا أَنَّهَا لاَ تَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ وَهِيَ عَجُوْزٌ ، إِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ يَقُوْلُ** : ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ [الواقعة : ٣٥ـ٣٧] » .

وجاءَتْهُ ٱمرأَةٌ أُخرىٰ ، فقالَت : يا رسولَ ٱللهِ . . احمِلني علىٰ بعيرٍ ،

رفع المسهم

فقالَ صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : « احْمِلُوْهَا عَلَىٰ ٱبْنِ ٱلْبَعِيْرِ » ، فقالَتْ ما أَصنعُ بهِ ما يحمِلُني؟! فقالَ صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم « هَلْ مِنْ بَعِيْرٍ إلاَّ ٱبْنُ بَعِيْرٍ » فكانَ يمزحُ معَها .

وكذلكَ ٱلأَئِمَّةُ ٱلأَعلامُ ما كانوا لِيَخرجوا عَنِ ٱلطَّريقِ ٱلَّتي رسمَها لهم سيِّدُ ٱلأَنام صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم فهٰذا الإمام ٱبنُ عبَّاسٍ رضيَ ٱللهُ عنهُما كانَ يقولُ ـ إذا أَكثَروا عليهِ في مسائِلِ ٱلقرآنِ وٱلحديثِ ـ : خُذوا في ٱلشِّعرِ وأَخبارِ ٱلعَربِ .

ونرىٰ ٱلإمامَ عمرَ بنَ عبدِ ٱلعزيزِ يحثُّ علىٰ تعلُّمِ ٱلأَدَبِ قائلاً :

إنَّ في ٱلمحادَثَةِ تلقيحاً للعقولِ ، وترويحاً للقلوبِ ، وتسريحاً لِلْهَمِّ ، وتنقيحاً للأَدَبِ .

وأَنشدَ أَبو نُوَاسٍ :

أُرَوِّحُ ٱلْقَلْبَ بِبَعْضِ ٱلْهَزْلِ تَجَاهُلاً مِنِّيْ بِغَيْرِ جَهْلِ
أَمْزَحُ فِيْهِ مَزْحَ أَهْلِ ٱلْفَضْلِ وَٱلْمَزْحُ أَحْيَاناً جَلاَءُ ٱلْعَقْلِ

وقَد كانَ أَصحابُ رسولِ ٱللهِ صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم يمزحونَ بحضْرَتِهِ ولا يُنكِرُ عليهم شيئاً مِن ذلكَ .

روىٰ ٱلبُخاريُّ في « ٱلأَدَبِ ٱلمفرَدِ » : كانَ أَصحابُ رسولِ ٱللهِ صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم يتبادَحونَ ـ يترامون ـ بِٱلبِطِّيخِ ، فإذا كانَتِ ٱلحقائِقُ . . كانوا هُمُ ٱلرِّجالَ .

ورُوي أَنَّ رجلاً أَتىٰ برجُلٍ إلىٰ عليٍّ ٱبنِ أَبي طالبٍ فقالَ : إنَّ هٰذا زعمَ أَنَّهُ ٱحتلمَ علىٰ أُمِّي فقالَ : أَقِمهُ في ٱلشَّمسِ وٱضرِبْ ظلَّهُ ٱلحدَّ .

هٰذا وقد ينفعُ ٱلمِزاحُ في بعضِ ٱلأَحيانِ ويُنجي مِنَ ٱلشَّدائِدِ فقد حُكِيَ : أَنَّ

رفع المسهم

بعضَهم أَهدىٰ لِلحجَّاجِ تيناً قبلَ أَوانِهِ ؛ ليأْخُذَ منهُ ٱلجائِزَةَ ، فلمَّا قَرُبَ مِن دارِ ٱلحجَّاجِ . . إِذا بٱلشُّرطِيِّ قد أَقبلَ ومعهُ طائِفَةٌ مِنَ ٱللُّصوصِ وقد هربَ منهُم واحدٌ فأَخذَ ٱلشُّرطِيُّ صاحبَ ٱلتِّينِ عوضاً عنهُ ، وقرنَهُ معهم ، فلمَّا عرضَه علىٰ ٱلحجَّاجِ . . أَمرَ بضربِ أَعناقِهِم ، فلمَّا قُدِّمَ صاحبُ ٱلتِّينِ . . صاحَ : أَيُّها ٱلأَميرُ . . لستُ منهُم فقالَ : ما شأْنُكَ؟ فقصَّ عليهِ ٱلقِصَّةَ فقالَ : إِنَّا للهِ وإِنَّا إِليهِ راجعونَ ، كادَ ٱلملعُونُ يهلكُ ظُلماً ، ثُمَّ قالَ : ما تريدُ مِنَ ٱلجائِزَةِ؟ فقالَ : أَيُّهَا ٱلأَميرُ . . أُريدُ فأْساً . قالَ : وما تصنعُ بِها؟ قالَ : أَقطَعُ بِها جِذعَ ٱلشَّجَرةِ ٱلَّتي عرَّفَتْ بيني وبينَكَ . فضحِكَ ٱلحجَّاجُ وأَجازَهُ جائِزَةً سنيَّةً .

وٱلكتابُ ٱلَّذي بينَ أَيدينا . . هوَ كتابٌ مِنَ ٱلأَدَبِ ٱلرَّفيعِ ؛ فقد ٱستطاعَ مؤَلِّفُهُ بما ٱمتازَ بهِ مِنَ ٱلذَّكاءِ ٱلوَقَّادِ . . أَن يقسمه إلى أبواب وفصول ، حتَّىٰ يصلَ إِلىٰ فكرةٍ واضحة ومعنىً محدَّدٍ ، فلا تسمع بمعنى من معاني ٱلشَّجاعَةِ ، وٱلشَّهامَةِ ، وٱلإِيثارِ ، وٱلفداءِ ، وٱلمحبّةِ ، وٱلوفاءِ ، وٱلتَّضحيَةِ عندَ ٱلعربِ . . إِلاَّ وتجدُ له فصلاً يتحدث عنه في هذا الباب يبرزُهُ مؤَلِّفُهُ في أَحسنِ صورةٍ ، معَ ما يتعلَّقُ بهِ مِنَ ٱلجانِبِ ٱلشَّرعيِّ . . ولذلكَ رُبَّما تجدُ موضوعاً ما وقد انتقل بهِ ٱلمؤَلِّفُ مِنَ ٱلجانِبِ ٱلشِّعريِّ إِلىٰ ٱلجانِبِ ٱلشَّرعيِّ ، فتجدُهُ يغوص في ٱلتَّفسيرِ وٱلحديثِ وٱلتَّاريخِ بطريقَةٍ فريدَةٍ ، تستطيعُ من خلالها أَنْ ترىٰ ٱلموضوعَ ٱلواحِدَ مِنْ زوايا متعدِّدَةٍ ، ولهٰذا فنحنُ محظوظونَ بهٰذا ٱلمؤَلَّفِ . . . وفي هٰذا ٱلعصرِ بٱلذَّاتِ .

وفي تركيزِنا علىٰ ٱلمِزاحِ في واقعِ حياتِهِ صلَّىٰ ٱللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّم إِضاءَةٌ لجانبٍ مِن جوانبِ ٱلأَدَبِ ٱلكثيرةِ ؛ حيثُ إِنَّ ٱلأَدَبَ فَنٌّ مِنَ ٱلفنونِ ، يشملُ أَنواعاً كثيرةً .

مِنها : ٱلمزاحُ .

رفع المسهم

ومنها : ٱلكلامُ ٱلنَّثريُّ ٱلبليغُ .

ومنها : ٱلشِّعْرُ .

أَمَّا إذا أَردنا ٱلحُكمَ ٱلشَّرعيَّ لِكُلِّ نوعٍ مِن هٰذا ٱلفنِّ . . فعلينا أَنْ نلجأَ إِلىٰ ٱلمشرِّعِ ٱلحكيمِ صلَّىٰ ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم .

فأَمَّا ٱلنَّوعُ ٱلأَوَّلُ : فقد تكلَّمنا عنه بما فيهِ كفايَةٌ للموضوعِ .

وأَمَّا ٱلنَّوعُ ٱلثَّاني : فقد سأَلَ رسولُ ٱللهِ صلَّىٰ ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم عمرَو بنَ ٱلأَهْتَم عَنِ ٱلزِّبرقانِ بنِ بدرٍ ، فقالَ عمرٌو : مُطاعٌ في أَدْنَيْهِ ، شديدُ ٱلعارِضَةِ ، مانعٌ لِما وراءَ ظهرِهِ .

فقالَ ٱلزِّبرقانُ : وٱللهِ يا رسولَ ٱللهِ . . إِنَّهُ ليعلمُ مِنِّي أَكثرَ مِمَّا قالَ ، ولٰكِنَّهُ حَسَدَني شَرَفي .

فقالَ عمرٌو : أَمَّا لَئِن قالَ ما قالَ . . فوٱللهِ ما علمتُهُ إِلاَّ ضَيِّقَ ٱلصَّدرِ ، زَمِرَ ٱلمروءَةِ ، أَحمقَ ٱلوالدِ ، لئيمَ ٱلخالِ ، حديثَ ٱلغنىٰ .

فلمَّا رأَىٰ أَنَّهُ خالَفَ قولُهُ ٱلآخِرُ قولَهُ ٱلأَوَّلَ ، ورأَىٰ ٱلإِنكارَ في عيني رسولِ ٱللهِ صلَّىٰ ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم . . قالَ : يا رسولَ ٱللهِ . . رضيتُ . . فقلتُ أَحسنَ ما علمتهُ ، وغضِبتُ . . فقلتُ أَقبحَ ما علمتُ ، وما كذبتُ في ٱلأُولىٰ ، ولقد صدقتُ في ٱلأُخرىٰ .

فقالَ رسولُ ٱللهِ صلَّىٰ ٱللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم عندَ ذلكَ : « **إِنَّ مِنَ ٱلْبَيَانِ لَسِحْراً** » .

وأَمَّا ٱلنَّوعُ ٱلأَخيرُ : فنراهُ أَحياناً يشدِّدُ في ٱلمنعِ فيقولُ : « **لأَنْ يَمْتَلِىءَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحاً . . خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِىءَ شِعْراً** » ، ويقولُ : « **لأَنْ يَكُوْنَ جَوْفُ ٱبْنِ آدَمَ مَمْلُوْءاً قَيْحاً . . خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَكُوْنَ مَمْلُوْءاً شِعْراً** » .

رفع المسهم

بينما نراهُ في ٱلحين ٱلآخرِ يقولُ : « إنَّ مِنَ ٱلشِّعْرِ حِكْمَةً » .

وكذلك فإنَّ الإسلامَ لَم يُهمِلِ ٱلشِّعرَ بَلْ أَعادَ له مكانتَهُ ، وأَذكىٰ جَذْوتَهُ علىٰ لسانِ سيِّدنا رسولِ الله صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم حينما قالَ لحسَّانَ : « اهْجُ ٱلْمُشْرِكِيْنَ ؛ فَإِنَّ رُوْحَ ٱلْقُدُسِ مَعَكَ » . بَل إِنَّهُ صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم قد نصبَ لحسَّانَ منبراً في ٱلمسجدِ .

ثُمَّ ما كانَ فتحُ (مكَّةَ) إلاَّ استجابةً لأَبياتٍ حَرَّكتِ ٱلحبيبَ صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم حين أَنشَدَهُ عمرو بنُ سَالمٍ الخزاعيُّ [مِنَ ٱلرَّجز] :

يَـا رَبِّ إِنِّـيْ نَـاشِـدٌ مُحَمَّـدَا حِلْـفَ أَبِيْـهِ وَأَبِيْنَـا ٱلأَتْلَـدَا
إِنَّ قُـرَيْشـاً أَخْلَفُـوْكَ ٱلْمَـوْعِـدَا وَنَقَضُـوْا مِيْثَـاقَـكَ ٱلْمُـؤَكَّـدَا
وَقَتَّلُـوْنَـا رُكَّعـاً وَسُجَّـدَا[1]

فٱهتزَّ صلواتُ ٱللهِ عليه قائِلاً : « نُصِرْتَ يَا عَمْرَو بْنَ سَالِمٍ . . نُصِرْتَ يَا عَمْرُو » .

وَلا يغيبُ عن أَحدٍ أَنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم أَجازَ ببردَتِهِ ٱلشَّريفةِ مَن أَباحَ دَمَهُ ولو كانَ متعلِّقاً بأَستارِ ٱلكعبةِ . . حينمَا أَنشدَهُ مفتتحاً بصريحِ ٱلغزلِ [مِنَ ٱلبسيطِ]:

بَـانَـتْ سُعَـادُ فَقَلْبِـيْ ٱلْيَـوْمَ مَتْبُـوْلُ مُتَيَّـمٌ إِثْـرَهَـا لَـمْ يُفْـدَ مَكْبُـوْلُ[2]
وَمَـا سُعَـادُ غَـدَاةَ ٱلْبَيْـنِ إِذْ رَحَلُـوْا إِلاَّ أَغَنُّ غَضِيْضُ ٱلطَّرْفِ مَكْحُوْلُ[3]
هَيْفَـاءُ مُقْبِلَـةً عَجْـزَاءُ مُـدْبِـرَةً لاَ يُشْتَكَىٰ قِصَـرٌ مِنْهَـا وَلاَ طُـوْلُ[4]

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٣٩٤) .
(٢) متبول : أسقمه الحبُّ وأضناهُ . ولم يُفْدَ : لم يخلص من الأسرِ . مكبولٌ : مقيَّدٌ .
(٣) الأَغنُّ : الظبي الصغير الذي في صوته غُنَّةٌ . غضيضُ ٱلطَّرفِ : فاترُهُ .
(٤) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٥٠٤) .

رفع المسهم

وهٰكذا ٱحتضَنَ ٱلإسلامُ هٰذهِ ٱلمادَّةَ ٱلشَّاعريَّةَ ٱلعلميَّةَ ؛ ليجعلَ منها تاجاً على غُرَّةِ ذلكَ ٱلعصرِ . . بعد أَن تَوَّجَها بتاجِ كتابِ ٱللهِ عزَّ وجلَّ ، ثُمَّ بتاجِ ينابيعِ ٱلحِكَمِ ٱلنَّبويَّةِ ٱلشَّريفَةِ ، وَأينعَت هٰذهِ ٱلثَّمرةُ في صدرِ ٱلإسلامِ علىٰ لسانِ ٱلصَّحبِ ٱلكرامِ ، أَمثالِ حسَّانَ بنِ ثابتٍ ، وكعبِ بنِ زُهيرٍ ، وعبدِ اللهِ بنِ رواحةَ ، وٱلخنساءِ ، وغيرهم . . وإنْ كَانَ مِنْ أَمثالِ لبيدِ بنِ ربيعة أَنِ ٱستثقَلَ نفسَهُ أَنْ يتكلَّم بٱلشِّعرِ بعدَ أَن فاضَتْ في روحِهِ محبَّةُ كتابِ ٱللهِ وسُنَّةُ نبيِّهِ صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم .

وٱلقولُ ٱلحقُّ في ٱلشِّعرِ هوَ قولُ ٱللهِ تعالىٰ : ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء : ٢٢٤ـ٢٢٧] .

وعن عائِشَةَ رضيَ ٱللهُ عنها قالَتْ : سُئِل رَسولُ ٱللهِ صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم عَنِ ٱلشِّعرِ فقالَ : « هُوَ كَلَامٌ فَحَسَنُهُ حَسَنٌ ، وَقَبِيحُهُ قَبِيحٌ » .

وإذا علمنا هٰذا . . فلا أَروعَ ولا أَحلىٰ مِنَ ٱلأَدَبِ ؛ لفكِّ عُقَدِ ٱلنَّفسِ وتسليَتِها بما يفيدُها ، وهوَ ٱلحلُّ ٱلأَمثلُ في هٰذهِ ٱلأَيَّامِ ، فلنعقِد فصلاً خاصّاً حولَ مفهومِ ٱلأَدَبِ ٱلعربيِّ وأَدوارِهِ ٱلَّتي مَرَّ بها .

* * *

رفع المسهم

ٱلأَدَبُ ـ مفهومه وتاريخه

كلمةُ (أدب)[1] مِنَ ٱلكلماتِ ٱلَّتي تطوَّرَ معناها بتطوُّرِ حياةِ ٱلأُمَّةِ ٱلعربيَّةِ ، مِن دَورِ ٱلبَداوَةِ إِلىٰ أَدوارِ ٱلمَدَنِيَّةِ وٱلحضارَةِ ، وقدِ ٱختلفَتْ عليها معاني متقاربَةٌ ، حتَّىٰ أَخذَتْ معناها ٱلَّذي يتبادَرُ إِلىٰ أَذهانِنا ٱليومَ وهوَ :

الكلامُ ٱلإِنشائِيُّ ٱلبَليغُ ، ٱلَّذي يُقصَدُ بهِ ٱلتَّأْثيرُ في عواطِفِ ٱلقُرَّاءِ وٱلسَّامعينَ ، سواءٌ أَكانَ شِعراً أَم نثراً .

وإِذا ما عدنا إِلىٰ ٱلمُعجمِ ٱلعربيِّ للبحثِ عَنْ معنىٰ كلمةِ (أدب) . . فإِنَّنا نجدُ لفظَ (آدِب) بمعنىٰ ٱلدَّاعي إِلىٰ ٱلطَّعامِ ، ومِن ذلكَ (ٱلمَأْدُبَةُ) بمعنىٰ ٱلطَّعامِ ٱلَّذي يُدعىٰ إِليهِ ٱلنَّاسُ .

وٱشتقُّوا مِنْ ذلكَ (أَدُب يأدُب) بمعنىٰ صنعَ مأدُبةً ، أو دَعا إِليها .

وهٰكذا فأَصلُ ٱلأَدَبِ ٱلدُّعاءُ ، وبهٰذا ٱلمعنىٰ وَرَدَتْ في ٱلشِّعرِ ٱلجاهليِّ ؛ فقد جاءَ علىٰ لسانِ طرفةَ بنِ ٱلعبدِ [مِنَ ٱلرَّملِ] :

نَحْـنُ فِـيْ ٱلْمَشْتَـاةِ نَـدْعُـو ٱلْجَفَلَـىٰ لاَ تَـــرَىٰ ٱلآدِبَ فِيْنَـــا يَنْتَقِـــرْ[2]

ومعَ مرورِ ٱلزَّمَنِ ٱنتقلَتْ دِلالَةُ ٱلكَلِمَةِ مِنْ معناها ٱلحِسِّيِّ إِلىٰ معناها

---

(١) اقتبسنا هذه المقدمة من كتاب « تاريخ الأدب العربي » للدكتور : شوقي ضيف ، و« تاريخ الأدب العربي » للأستاذ : أحمد حسن الزيات .

(٢) الجَفَلىٰ : الدعوة العامة . ينتقر : أي يدعو دعوة خاصة وينتقي .

رفع المسهم

ٱلمُجَرَّدِ ، شأنُها في ذلكَ شأنُ بقيَّةِ ٱلكلماتِ ٱلمعنويَّةِ ، ٱلَّتي تُستَخدَمُ أوَّلاً في معنىً حسيٍّ حقيقيٍّ . . . ثُمَّ تخرجُ منهُ إلىٰ معنىً ذِهنيٍّ مَجازيٍّ .

جاءَ في « تاجِ ٱلعروسِ » (الأدَب) محرَّكَةً : ٱلَّذي يتأدَّبُ بهِ ٱلأديبُ مِنَ ٱلنَّاسِ ، سُمِّيَ بهِ ؛ لأنَّهُ يُؤَدِّبُ ٱلنَّاسَ إلىٰ ٱلمحامِدِ ، وينهىٰ عَنِ ٱلقبائِحِ .

وبهٰذا ٱلمعنىٰ ٱلتَّهذيبيِّ وَرَدَتْ في حديثِ ٱلنَّبيِّ صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم إذ يقولُ : « أَدَّبَنِيْ رَبِّيْ فَأَحْسَنَ تَأْدِيْبِيْ » .

وقد حافَظَتِ ٱلكلمةُ علىٰ معناها ٱلتَّهذيبيِّ في عصرِ بني أُميَّةَ ، وأُضيفَ إليها معنىً ثانٍ جديدٌ ، وهوَ معنىً تأديبيٌّ ؛ فقد وُجدَ طائفةٌ مِنَ ٱلمعلِّمينَ تُسمَّىٰ بـ (ٱلمؤَدِّبينَ) ، كانوا يُعلِّمونَ أولادَ ٱلخلفاءِ ٱلشِّعرَ وٱلخُطَبَ ، وأخبارَ ٱلعربِ وأنسابَهم ، وأيَّامهم في ٱلجاهليَّةِ وٱلإسلامِ .

وأتاحَ هٰذا ٱلاستخدامُ لكلمَةِ (أدب) أنْ تُصبحَ مقابلةً لكلمَةِ (ٱلعلمِ) ٱلَّذي كانَ يُطلَقُ حينئذٍ علىٰ ٱلشَّريعَةِ ٱلإسلاميَّةِ ، وما يَتَّصِلُ بها مِن دراسَةِ ٱلفقهِ وٱلحديثِ وتفسيرِ ٱلقرآنِ ٱلكريمِ .

وفي ٱلعصرِ ٱلعبَّاسيِّ تقاربَ ٱلمعنيانِ ـ ٱلتَّهذيبيُّ وٱلتَّعليميُّ ـ في ٱستخدامِ ٱلكلمةِ ؛ فقد سَمَّىٰ ٱبنُ ٱلمُقَفَّعِ رسالَتينِ لهُ تَتضمَّنانِ ضروباً مِنَ ٱلحِكَمِ وٱلنَّصائحِ ٱلخُلُقيَّةِ وٱلسِّياسيَّةِ بٱسمِ « ٱلأَدَبِ ٱلصَّغيرِ » و« ٱلأَدَبِ ٱلكبيرِ » .

ولَم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتَّىٰ صارتِ ٱلكلمَةُ تُطلَقُ علىٰ معرفَةِ أشعارِ ٱلعربِ وأخبارِهم ، وقد أُلِّفتْ كُتُبٌ بهٰذا ٱلمعنىٰ ، سمَّوها كُتُبَ أدَبٍ ، مثلَ « ٱلبيانِ وٱلتَّبيينِ » للجاحظِ ٱلمتوفَّىٰ سنةَ (٢٥٥هـ) .

ومثلُهُ كتابُ « ٱلكاملِ في ٱللُّغَةِ وٱلأَدَبِ » للمبرِّدِ ٱلمتوفَّىٰ سنةَ (٢٨٥هـ) ، جاءَ في مقدِّمَةِ هٰذا ٱلكتابِ : (هٰذا كتابٌ ألَّفناهُ ، يجمعُ ضُروباً مِنَ ٱلآدابِ ،

رفع المسهم

ما بينَ كلامٍ منثورٍ ، وشِعرٍ مرصوفٍ ، ومَثَلٍ سائِرٍ ، وموعظَةٍ بالغَةٍ ، واختيارٍ مِن خُطبَةٍ شريفَةٍ ورسالَةٍ بليغَةٍ)[1] .

ومثل كتابِ « ٱلكامِلِ » كتابُ « عُيونِ ٱلأَخبارِ » لابنِ قُتَيبَةَ ٱلمتوفَّىٰ سنةَ (٢٧٦هـ) ، و« ٱلعِقدِ ٱلفريدِ » لابن عبدِ ربِّهِ ٱلمتوفَّىٰ سنةَ (٣٢٨هـ) ، و« زَهرِ ٱلآدابِ » للقيروانيِّ ٱلمتوفَّىٰ سنةَ (٤٥٣هـ) . وغيرِها .

هٰذا ولَم تقفِ ٱلكلمَةُ عندَ هٰذا ٱلمعنىٰ ٱلتَّعليميِّ ٱلخاصِّ بصناعتَي ٱلنَّظمِ وٱلنَّثرِ وما يتَّصِلُ بهما مِنَ ٱلمُلَحِ وٱلنَّوادِرِ ؛ فقد ٱتَّسعتْ أَحياناً لتشملَ كُلَّ ٱلمعارِفِ غيرَ ٱلدينيَّةِ ٱلَّتي تَرقىٰ بٱلإِنسانِ مِنْ جانبَيهِ ٱلاجتماعيِّ وٱلثَّقافِيِّ .

وبهٰذا ٱلمعنىٰ نجدُها عندَ (إِخوانِ ٱلصَّفا) في ٱلقرنِ ٱلرَّابعِ للهجرَةِ ؛ فقد دَلُّوا بها في رسائِلِهم إِلىٰ جانِبِ علومِ ٱللُّغَةِ وٱلبيانِ وٱلتَّاريخِ وٱلأَخبارِ . . علىٰ علومِ ٱلسِّحرِ وٱلكيمياءِ وٱلحسابِ وٱلمُعاملاتِ وٱلتِّجاراتِ .

ولا نصلُ إِلىٰ ٱبنِ خلدونَ ٱلمتوفَّىٰ سنةَ (٨٠٨هـ) حتَّىٰ نجدَها تُطلَقُ علىٰ جميعِ ٱلمعارِفِ دِينيَّةً وغيرَ دِينيَّةٍ ، يقولُ ٱبنُ خلدونَ :

ٱلأَدَبُ هوَ حفظُ أَشعارِ ٱلعربِ ، وٱلأَخذُ مِن كُلِّ علمٍ بِطرفٍ .

وعلىٰ ٱلعمومِ أَخذَتِ ٱلكلِمَةُ تدلُّ منذُ أَواسطِ ٱلقرنِ ٱلماضي علىٰ معنيينِ ٱثنينِ :

أَوَّلاً : معنىً عامٌّ : يتناولُ كُلَّ ما يُكتبُ في ٱللُّغَةِ ، سواءٌ كانَ عِلماً أَم فلسفَةً أَم أَدَباً خالِصاً ؛ فكلُّ ما ينتجُهُ ٱلعقلُ وٱلشُّعورُ يُسمَّىٰ أَدَباً .

ثانياً : معنىً خاصٌّ : يشملُ ٱلأَدَبَ ٱلخالِصَ ٱلَّذي لا يُرادُ بهِ مُجرَّدُ ٱلتَّعبيرِ

---

(١) الكامل (١/ ٢) .

رفع المسهم

عَن معنىً مِنَ ٱلمعاني ، بل يُرادُ بهِ أيضاً أَنْ يكونَ جميلاً بحيثُ يؤَثِّرُ في عواطِفِ ٱلقارىءِ وٱلسَّامعِ ، علىٰ نحوِ ما هوَ معروفٌ في صناعتَي ٱلشِّعرِ وفنونِ ٱلنَّثرِ .

* * *

تاريخُ ٱلأَدَبِ :

إنَّ ٱلاختلافَ في تعريفِ (ٱلأَدبِ) يقودُ إلىٰ ٱلاختلافِ في ٱلمقصودِ مِن (تاريخِ ٱلأَدَبِ) ، وفي ٱلمجالِ ٱلَّذي تدورُ فيهِ مباحِثُ ٱلتَّأْريخِ ٱلأَدَبيِّ .

فإذا أَخذنا بما قالَهُ ٱبنُ خلدونَ مِن أَنَّ ٱلأَدَبَ هوَ : (حفظُ أَشعارِ ٱلعربِ ، وٱلأَخذُ مِن كُلِّ علمٍ بطرفٍ) . . كانَ علىٰ ٱلمؤَرِّخِ ٱلأَدَبيِّ أَنْ يُؤَرِّخَ للحياةِ ٱلعقليَّةِ وٱلشُّعوريَّةِ للأُمَّةِ ٱلعربيَّةِ ؛ لأَنَّ ٱلأَخذَ مِن كُلِّ علمٍ بطرَفٍ يَعني : إغناءَ ٱلأَدَبِ بعلومِ ٱلعربيَّةِ (نحو ـ صرف ـ بلاغة . . . إلخ) ، وبٱلعلومِ ٱلشَّرعيَّةِ (حديث ـ تفسير . . . إلخ) ، وبٱلعلومِ ٱلإنسانيَّةِ (فلسفة ـ اجتماع . . . إلخ) .

فهٰذهِ ٱلعلومُ كلُّها ترفدُ ٱلأَدَبَ ، وتعينُ علىٰ فهمِهِ . ولعلَّ أَهمَّ مَن أَرَّخَ لأَدبنا بهٰذا ٱلمعنىٰ (بروكلمان) في كتابِهِ « تاريخُ ٱلأَدَبِ ٱلعربيِّ » .

وإذا أَخذنا بٱلقولِ ٱلَّذي يقولُ : (ٱلأَدَبُ كلامٌ جميلٌ يُؤَثِّرُ في ٱلنَّفسِ) . . كانَ علىٰ مُؤَرِّخِ ٱلأَدَبِ أَن يَقصُرَ مباحِثَهُ علىٰ دراسَةِ ٱلأَدَبِ ، شعرِهِ ونثرِهِ ، فيعرِفَ موضوعاتِهِ ، ويلاحِقَ تطوُّرَهُ ، ويبرزَ ملامِحَهُ وسماتِهِ في كُلِّ عصرٍ مِنَ ٱلعُصورِ ، وكانَ عليهِ أَن يُلِمَّ بشخصيَّاتِهِ دراسةً وتحليلاً ؛ ليكشفَ عمَّا تأَثَّروا بهِ مِن أُمورِ ٱلثَّقافَةِ وٱلسِّياسةِ وٱلعقيدَةِ .

* * *

رفع المسهم

تقسيماتُ تاريخِ ٱلأَدَبِ وعصورِهِ :

اتَّجهَ معظمُ مؤَرِّخي ٱلأَدَبِ ٱلعربيِّ في تقسيمِهِ إِلىٰ أَعصُرٍ تعادِلُ ٱلأَعصُرَ ٱلتَّاريخيَّةَ وٱلسِّياسيَّةَ ، فجعلوا ٱلأَدوارَ ٱلَّتي مرَّ بها تاريخُ ٱلأَدَبِ خمسةَ أَدوارٍ ، وهي :

١ـ **العصرُ ٱلجاهليُّ** : نهايتُهُ ظهورُ ٱلإِسلامِ وعمرُهُ قرنٌ ونصفٌ .

٢ـ **عصرُ صدرِ ٱلإِسلامِ** : بدايتُهُ ظهورُ ٱلإِسلامِ ،ونهايتُهُ سقوطُ ٱلدَّولَةِ ٱلأُمويَّةِ سنةَ (١٣٢هـ) .

ومِنَ ٱلمؤَرِّخينَ من يقسمُ هٰذا ٱلعصرَ إِلىٰ قسمينِ .

أ ـ عصرُ صدرِ ٱلإِسلامِ : وهوَ إِلىٰ نهايةِ عصرِ ٱلخلفاءِ ٱلرَّاشدينَ .

ب ـ عصرُ ٱلدَّولَةِ ٱلأُمويَّةِ .

٣ـ **العصرُ ٱلعبَّاسيُّ** : أَوَّلُهُ سقوطُ بني أُميَّةَ ، وآخرُهُ سقوطُ (بغدادَ) بأَيدي ٱلتتار (٦٥٦هـ) .

٤ـ **عصرُ ٱلدُّوَلِ ٱلمُتتابعَةِ** : أَوَّلُهُ سقوطُ (بغدادَ) ، ونهايتُهُ نزولُ ٱلحملَةِ ٱلفرنسيَّةِ بـ (مصرَ) سنة (١٢١٣هـ) .

٥ـ **عصرُ ٱلنَّهضَةِ ٱلحديثَةِ** : ٱلَّذي يمتدُّ إِلىٰ أَيَّامِنا هٰذهِ .

وٱلَّذي يخصُّنا في كتابِنا هٰذا هوَ : ٱلعصرُ ٱلعبَّاسيُّ ٱلَّذي نشأَ فيهِ ٱلمتنبِّي ، فلنعقِد لهُ فصلاً خاصّاً مستعينين بٱللهِ .

* * *

رفع المسهم

العصرُ ٱلعبَّاسيُّ :

عصرُ ٱلدَّولَةِ ٱلعبَّاسيَّةِ هوَ عصرُ ٱلإسلامِ ٱلذَّهبيُّ ، ٱلَّذي بلغَ فيهِ ٱلمسلمونَ مِنَ ٱلعمرانِ وٱلسُّلطانِ ما لم يبلغوهُ مِن قبلُ ولا من بعدُ .

أَثمرَتْ فيهِ ٱلفنونُ ٱلإسلاميَّةُ ، وزَهَتِ ٱلآدابُ ٱلعربيَّةُ ، ونُقِلَتِ ٱلعلومُ ٱلأَجنبيَّةُ ، ونضجَ ٱلعقلُ ٱلعربيُّ ، فوجدَ سبيلاً إلىٰ ٱلبحثِ ، ومجالاً للتَّفكيرِ .

وملوكُ هٰذهِ ٱلدَّولَةِ ينتمونَ إلىٰ ٱلعبَّاسِ عمِّ ٱلنَّبيِّ صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم ، ٱنتزعوا ٱلخلافَةَ قَسراً مِنْ يدِ ٱلأُمويِّينَ بمعونَةِ ٱلفرسِ ، وأَقاموا عرشَها بـ (ٱلعراقِ) ، وتبوَّأَهُ منهم سبعةٌ وثلاثونَ خليفةً في خمسةِ قرونٍ وبعضِ ٱلقرنِ ، حتَّىٰ ثلَّ ذلكَ ٱلعرشَ (هولاكو) سنةَ (٦٥٦هـ) ، وما زالتْ حضارَةُ ٱلدَّولَةِ وآدابُها تهبطُ بهبوطِها ، حتَّىٰ سقطَتْ بسقوطِها .

وتختلفُ هٰذهِ ٱلدَّولةُ عَنِ ٱلدَّولَةِ ٱلأُمويَّةِ بأَحوالٍ سياسيَّةٍ وعمرانيَّةٍ ، كانَ لها ٱلأَثَرُ ٱلظَّاهِرُ في أَدَبِ ٱللُّغَةِ .

فٱلدَّولَةُ ٱلأُمويَّةُ : كانَت عربيَّةً خالصَةً ، تعصَّبَتْ للعربِ ولغتِهم وآدابِهم ، وجعلَتْ قاعدَتها (دمشقَ) علىٰ حدودِ باديَتِهم .

وكانَ جنودُها وقوَّادُها وكُتَّابُها وسائرُ عمَّالِها مِنَ ٱلعربِ ، فلم يحدُث في أَدبِ ٱللُّغَةِ تأْثيرٌ إلاَّ ما ٱقتضاهُ ٱلتَّحضُّرُ وٱتِّساعُ ٱلعمرانِ .

أَمَّا ٱلدَّولةُ ٱلعبَّاسيَّةُ : فقدِ ٱصطبغَتْ بصِبغَةٍ فارسيَّةٍ ؛ لأَنَّ ٱلفرسَ هُمُ ٱلَّذينَ أَوجدوها وأَيَّدوها ، فٱتَّخذَتْ قصبتَها (بغدادَ) ـ أَقربَ ٱلأَمصارِ إلىٰ بلادِهم ـ وأَطلقَ ٱلخلفاءُ أَيدي ٱلموالي في سياسَةِ ٱلدَّولَةِ فٱستقلُّوا بشؤُونها ، وٱستبدُّوا بأُمورِها ، وكالوا للعربِ مِنَ ٱلحقارَةِ وٱلمهانَةِ صاعاً بصاعٍ .

فضعفتِ ٱلعصبيَّةُ ٱلعربيَّةُ ، وعلا صوتُ ٱلشُّعوبيَّةِ ، ونتجَ مِن ذلكَ دخولُ

رفع المسهم

ٱلعناصِرِ ٱلفارسيَّةِ وٱلتُّركيَّةِ وٱلسُّريانيَّةِ وٱلرُّوميَّةِ وٱلبربريَّةِ في تكوينِ ٱلدَّولَةِ ، وتمازُجُهم بٱلتَّزاوُجِ وٱلتَّناسُلِ ، وٱختلاطُ ٱلمدنيَّةِ ٱلآريَّةِ بٱلمدنيَّةِ ٱلسَّاميَّةِ ، ولكلٍّ مِنها لُغةٌ وأَخلاقٌ وعاداتٌ وٱعتقاداتٌ أَثَّرَتْ في ٱلأُخرىٰ .

ناهيكَ بما ٱمتازَتْ بهِ هٰذهِ ٱلدَّولَةُ مِن إِطلاقِ ٱلحريَّةِ في ٱلدِّينِ وتعدُّدِ ٱلفِرَقِ[1] ، وشيوعِ ٱلمقالاتِ ٱلمختلفَةِ في ٱلإِلحادِ وٱلسِّياسةِ ، وتكاثُرِ ٱلجواري وٱلغِلمانِ ، وٱلاسترسالِ في ٱلخلاعَةِ وٱلمجونِ ، وٱلتَّأَنُّقِ في ٱلطَّعامِ وٱللِّباسِ ، وٱلتَّنافُسِ في ٱلبناءِ وٱلرِّياشِ .

وكُلُّ ذلكَ لَهُ أَثرٌ بيِّنٌ في ٱللُّغَةِ وآدابِها ، وسنعقِدُ ٱلفصلَ ٱلتَّالي للدِّلالَةِ علىٰ ذلكَ .

* * *

أَثرُ ٱلفتوحِ وٱلسِّياسةِ وٱلحضارَةِ في ٱللُّغَةِ :

فَتَحَ ٱلمسلمونَ في أَواخِرِ ٱلدَّولَةِ ٱلأُمويَّةِ أَكثرَ ٱلمعروفِ حينئِذٍ مِنَ ٱلدُّنيا ٱلقديمةِ .

فٱمتدَّ ملكُهُم مِنَ (ٱلهندِ) و(ٱلصِّينِ) شَرقاً إِلىٰ (جبالِ بيرانس) غَرباً ، وٱنبسطَ سلطانُهم علىٰ تلكَ ٱلشُّعوبِ ، وٱستولىٰ دينُهم علىٰ ٱلأَفئِدَةِ ، ولغتُهم

---

(١) نجمَتْ في ٱلأُمَّةِ ٱلإِسلاميَّةِ مِن غيرِ أَهلِ ٱلسُّنَّةِ فرقٌ كثيرةٌ ، يُكفِّرُ بعضُها بعضاً ، وٱنشعبَتْ كُلُّ فرقَةٍ إِلىٰ فِرَقٍ متعدِّدَةٍ ، ترىٰ كُلُّ واحدَةٍ مِنها ٱلحقَّ معها دونَ ٱلأُخرىٰ .

ومِنْ أَشهَرِ هٰذهِ ٱلفِرَقِ : ٱلمعتزلَةُ وهم عشرونَ فرقةً ، وٱلشِّيعةُ وهمُ ٱثنتانِ وعشرونَ ، وٱلخوارجُ وهُم سبعُ فِرَقٍ .

وكُلُّ أُولٰئِكَ : منهم جبريَّةٌ ، ومنهم مشبِّهَةٌ . . . ولِكلِّ شُعبةٍ لَقَبٌ تُعرفُ بهِ .

رفع المسهم

علىٰ ٱلألسنةِ ، فأسلمتْ هٰذهِ ٱلأُمَمُ ٱلمختلِفةُ ، وٱمتزجَتْ تلكَ ٱلعناصِرُ ٱلمتباينةُ .

وسارعوا إلىٰ تعلُّمِ ٱللُّغةِ ٱلعربيَّةِ وٱلتَّكلُّمِ بِها ؛ تقرُّباً مِنَ ٱلفاتِحِ ، وٱستدراراً للرِّزقِ ، وتفقُّهاً في ٱلدِّينِ ، فكثُرَ ٱللَّحنُ ، وسرَتْ عدواهُ إلىٰ ٱلباديةِ ، وقد كانَ قاصراً علىٰ ٱلحاضرَةِ .

وبقيَ داءُ ٱلعُجمَةِ يستفحلُ بينَ ٱلعامَّةِ وٱلصُّنَّاعِ ، بٱلرَّغمِ مِن محاربةِ ٱلأَئِمَّةِ وأُولِي ٱلأَمرِ لهٰذا ٱلوباءِ بتدوينِ علومِ ٱللِّسانِ ، وتقبيحِ ٱلعامِّيَّةِ ، ومَقْتِ ٱلمتكلِّمينَ بها ، حتَّىٰ نشأَ في كلِّ إقليمٍ لغةٌ عامِّيَّةٌ مُؤَلَّفَةٌ مِنَ ٱلعربيَّةِ ، ومِن لغةِ ٱلإقليمِ ٱلوطنيَّةِ .

وقدِ ٱتَّسعَتْ دائِرَةُ ٱللُّغةِ بما ٱقتضاهُ تمدُّنُ ٱلدَّولةِ ، ونقلُ ٱلعلومِ عَنِ ٱلفارسيَّةِ وٱلهنديَّةِ وٱليونانيَّةِ مِنَ ٱلمُصطلحاتِ ٱلعلميَّةِ ، وٱلألفاظِ ٱلإداريَّةِ وٱلسِّياسيَّةِ وٱلاقتصاديَّةِ وٱلمنزليَّةِ .

وكانَ لـ (دارِ ٱلحكمَةِ) ٱلَّتي أَنشأَها ٱلمأمونُ ٱلفضلُ ٱلأكبرُ في تهذيبِ ٱلكُتبِ ٱلمُتَرجَمَةِ ، وتوحيدِ ٱلأَسماءِ ٱلمُعَرَّبَةِ .

ثُمَّ رقَّتِ ٱلألفاظُ ؛ لانغماسِ ٱلقومِ في ٱلحضارَةِ ، وإخلادِهِم إلىٰ ٱلتَّرَفِ ، وإيثارِ ٱلموالي لِلكَلِمِ ٱلسَّهلِ وٱلأُسلوبِ ٱللَّيِّنِ ؛ لأَنَّهُم حذَقُواٱللُّغَةَ بٱلدِّراسَةِ وٱلصَّنعةِ ، لا بٱلتَّلقينِ وٱلطَّبعِ .

وٱقتبستِ ٱلعربيَّةُ مِنَ ٱلفارسيَّةِ غيرَ ٱلألفاظِ كثيراً مِنَ ٱلأَساليبِ .

١ـ كٱلتَّبجيلِ في ٱلخطابِ .

٢ـ وٱلاحتشامِ معَ ٱلمخاطَبِ .

٣ـ وإسنادِ ٱلشَّيءِ إلىٰ ٱلحضرَةِ وٱلجَنابِ وٱلمجلِسِ .

رفع المسهم

٤ـ وإحداثِ الألقابِ والنُّعوتِ للخلفاءِ والوزراءِ والكُتَّابِ والقُوَّادِ ، كـ : (السَّفاحِ والرَّشيدِ وذي الرِّئاستينِ وركنِ الدَّولَةِ . . . إلخ) .

٥ـ والإسهابِ في العهودِ والرَّسائِلِ .

٦ـ وتأديَةِ المعنىٰ الواحدِ بألفاظٍ كثيرةٍ ، وجُمَلٍ مترادِفَةٍ .

وغير ذلكَ مِمَّا زانَ اللُّغَةَ مِنْ جهَةٍ وشانَها مِنْ جهَةٍ أُخرىٰ .

وما زالتِ اللُّغَةُ تتَّسعُ وتنمو باتِّساعِ المُلكِ ، وتقدُّمِ العلمِ ونموِّ الحضارَةِ ، وتنتشرُ وتسمو في حِمىٰ الدِّينِ وظِلِّ الخلافَةِ وسُلطانِ العربِ ، حتَّىٰ خلافَةِ المُتَوكِّلِ علىٰ اللهِ سنةَ (٢٣٢هـ) ؛ إذِ استفحَلَ أمرُ الأتراكِ الَّذينَ جلبَهُمُ المعتصِمُ مِنَ (التُّركستانِ) ، فأخذوا يغالبونَ العرَبَ ، ويواثبونَ الفرسَ ، ويغتصبونَ السُّلطانَ .

وكانَ الأمرُ للموالي بعدَ غلبَةِ المأمونِ ـ وهُم شيعَةٌ ـ فجاءَ المتوكِّلُ فعضَدَ الأتراكَ ، ونصرَ السُّنَّةَ .

فتقاتَلَ العنصرانِ ، وتناضَلَ المذهبانِ ، وابتغىٰ كُلٌّ منهُما الفَلَجَ والفوزَ بقهرِ العربِ ، وكبتِ الخلفاءِ ، حتَّىٰ ذهبَ جلالُ الخلافَةِ مِنَ النُّفوسِ ، وزالَتْ هيبتُها مِنَ القلوبِ ، فاستشرفَ ولاةُ الأطرافِ إلىٰ الاستقلالِ .

وبدأَ بنو بويهٍ فوضَعوا أيديَهُم سنةَ (٣٣٤هـ) علىٰ شؤُونِ الدَّولَةِ في (بغدادَ) ، وامتدَّ نفوذُهم إلىٰ جُلِّ الممالِيكِ الشَّرقيَّةِ الإسلاميَّةِ ، فأخذَ سلطانُ العربِ والعربيَّةِ يتراجَعُ في الشَّرقِ ، وهَبَّ أحفادُ الأكاسِرَةِ ، وأبناءُ الدَّهاقينِ يستردُّونَ مجدَ أجدادِهم ، ويطارِدونَ اللُّغةَ ونفوذَها في بلادِهم .

وطَلبوا إلىٰ شعرائِهِم مِنْ أمثالِ (الدَّقيِّ والفردوسيِّ)[1] أنْ يُجدِّدوا مفاخرَ

---

(١) ألَّفَ الفردوسيُّ كتاباً سمَّاهُ : « شاه نامه » ، وهوَ ستُّونَ ألفَ بيتٍ مِنَ الشِّعرِ ، يشتملُ علىٰ=

رفع المسهم

الأسلافِ بتأليفِ المنظوماتِ القصصيّةِ ، والأناشيدِ القوميّةِ .

ومِنَ العجيبِ أنْ تَمَّ لَهُم ذلكَ سريعاً ؛ فإنَّ المتنبِّيَ - وهوَ مِن رجالِ القرنِ الرَّابعِ - يقولُ وقد زارَ (شِعبَ بوّانَ) من بلادِ الفرسِ :

مَغَانِيْ الشِّعْبِ طِيْباً فِيْ الْمَغَانِيْ ... بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيْعِ مِنَ الزَّمَانِ
وَلَكِنَّ الْفَتَى الْعَرَبِيَّ فِيْهَا ... غَرِيْبُ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ
مَلَاعِبُ جِنَّةٍ لَوْ سَارَ فِيْهَا ... سُلَيْمَانٌ لَسَارَ بِتَرْجُمَانِ

ثُمَّ اقتدىٰ بالفرسِ في ذلكَ الأتراكُ والأكرادُ .

ولكنَّ العربيّةَ بقيَتْ في حِمىٰ القرآنِ تدافعُ سيلَ الفارسيّةِ والتُّركيّةِ الجارفَ .

وقد عزَّ النَّصيرُ مِن أهلِها ، حتَّىٰ غلَبَ التَّتارُ علىٰ (بغدادَ) فغُلِبَتْ علىٰ أمرِها ، وخضعَتْ لقانونِ الطَّبيعةِ القاهرةِ بعدما خلَّفت في تلكَ البلادِ شرائعَ وعلوماً وآداباً لَم تقوَ علىٰ محوِها الأيّامُ .

* * *

= تاريخِ الفُرسِ ، وهوَ قرآنُ القومِ ، وقد أجمعَ فصحاؤُهم علىٰ أنَّهُ ليسَ في لغتِهم أفصحَ منهُ .

رفع المسهم

ترجمة
أبي الطيب المتنبي
٣٠٣-٣٥٤هـ

بقلم/ محمد مصطفىٰ الخطيب

نشأتُهُ وحياتُه :

أَبو ٱلطَّيِّبِ أَحمدُ بنُ ٱلحسينِ ٱلمُتَنبِّي ، وُلِدَ بـ(ٱلكوفةِ) من أَبوينِ فقيرَينِ .

كانَ أَبوهُ سقَّاءً بالكوفَةِ ، ثُمَّ سافرَ بهِ وهو صغيرٌ إِلىٰ (ٱلشَّامِ) متنقِّلًا مِنَ ٱلباديَةِ إِلىٰ ٱلحاضرَةِ ، يُسلِمُهُ إِلىٰ ٱلمَكاتِبِ ، ويُردِّدُهُ في ٱلقبائِلِ ، ومخايلُهُ نواطِقُ بفضلِهِ ، ضوامِنُ لنُجحِهِ . . حتَّىٰ تُوُفِّيَ أَبوهُ ، وقد ترعرَعَ ٱلشَّاعِرُ ، ونالَ حظَّهُ مِن علومِ ٱللُّغَةِ والأَدبِ ، فأَخذَ يضربُ في ٱلأَرضِ ؛ ٱبتغاءً للرِّزقِ وٱكستاباً للمجدِ .

وكانَ ٱلمُتنبِّي منذُ نشأَتِهِ كبيرَ ٱلنَّفسِ ، عاليَ ٱلهِمَّةِ ، طَموحاً إِلىٰ ٱلمجدِ ، بلغَ مِن كِبَرِ نفسِهِ أَن دعا إِلىٰ بيعتِهِ بٱلخلافَةِ وهو لَدْنُ ٱلعودِ ، حديثُ ٱلسِّنِّ .

وحينَ كادَ يتمُّ ٱلأَمرُ . . تأَدَّىٰ خبرُهُ إِلىٰ والي ٱلبلدةِ . . فأَمرَ بحبسِهِ ، فكتبَ إِليهِ مِنَ ٱلسِّجنِ قصيدةً [مِنَ المتقاربِ] :

أَمَـالِـكَ رِقِّـي وَمَـنْ شَـأْنُـهُ ... هِبَـاتُ ٱللُّجَيْـنِ وَعِتْـقُ ٱلْعَبِيْـدْ
دَعَـوْتُـكَ عِنْـدَ انْقِطَـاعِ ٱلـرَّجَـا ... ءِ وَٱلْمَـوْتُ مِنِّـيْ كَحَبْـلِ ٱلْـوَرِيْـدْ
دَعَـوْتُـكَ لَمَّـا بَـرَانِـيْ ٱلْبِلَـىٰ ... وَأَوْهَـنَ رِجْلَـيَّ ثِقْـلُ ٱلْحَـدِيْـدْ

فأَطلقَهُ .

رفع المسهم

ولٰكنَّ حُبَّ ٱلرِّياسَةِ لَم يَزَلْ مُتمكِّناً مِنْ قلبِهِ إلىٰ أَنْ أَخلقَ بُردَ شبابِهِ ، وتضاعَفَ عقودُ عُمُرِهِ .

وفي سنة (٣٣٣هـ) ٱدَّعىٰ ٱلنُّبُوَّةَ في (ٱلشَّامِ) ، وفتَنَ شِرذمةً مِنَ ٱلنَّاسِ بقوَّةِ أَدَبِهِ ، وسحرِ بيانِهِ .

ولمَّا سُئِلَ عَنِ ٱلنَّبيِّ صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّم . . قالَ إنَّهُ بشَّرَ بمَجيئي ، وأَخبرَ بنبوَّتي ؛ فقالَ : « لا ، نبيَّ بَعدي » ، وأَنا ٱسمي في ٱلسَّماءِ (لا) .

وصنَّفَ كلاماً عارضَ بهِ ٱلقرآنَ ، فلمَّا ٱشتَهَرَ أَمرُهُ . . قَبَضَ عليهِ لؤلؤٌ أَميرُ حِمصَ ، نائبُ ٱلإخشيديَّةِ ، فأَوثَقَهُ ، ثُمَّ أَطلقَهُ بعدَ أَنِ ٱستَتابَهُ وَتَفَرَّقَ عنهُ أَصحابُهُ .

فطَفِقَ يَتَجَشَّمُ أَسفاراً أَبعدَ مِن آمالِهِ ، ولا زادَ إلَّا صبرُهُ ، ولا عُدَّةَ إلَّا بأْسُهُ ، كمَا يتجلَّىٰ ذلكَ في مِثْلِ قولِهِ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

وَحِيدٌ مِنَ ٱلخُلَّانِ في كُلِّ بَلْدَةٍ ... إِذَا عَظُمَ ٱلْمَطْلُوبُ قَلَّ ٱلْمُسَاعِدُ

وقولِهِ [مِنَ ٱلخفيفِ] :

ضَاقَ صَدْرِي وطَالَ فِي طَلَبِ ٱلرِّزْ ... قِ قِيَامِي وَقَلَّ عَنْهُ قُعُودِي
أَبَداً أَقْطَعُ ٱلْبِلَادَ وَنَجْمِي ... فِي نُحُوسٍ وَهِمَّتِي فِي سُعُودِ

ولَمْ يَزَلْ هٰكذا حتَّىٰ ٱتَّصَلَ بأَبي ٱلعشائرِ ـ والي (أَنطاكيَّة) مِنْ قِبَلِ سيفِ ٱلدَّولَةِ ـ وٱمتدَحَهُ فأَكرَمَ مثواهُ ، وقدَّمَهُ إلىٰ سيفِ ٱلدَّولَةِ ، وعرَّفَهُ بمنزلتِهِ مِنَ ٱلشِّعرِ وٱلأَدَبِ .

فَضَمَّهُ ٱلأَميرُ إليهِ ، وحَسُنَ موقِعُهُ عندَهُ ، فسلَّمَهُ إلىٰ ٱلرُّوَّاضِ فعلَّموهُ ٱلفروسيَّةَ ، وٱلطِّرادَ ؛ حتَّىٰ لا يفارِقَهُ في ٱلحربِ ولا في ٱلسِّلْمِ .

رفع المسهم

ودرَّت لَهُ أَخلافُ ٱلدُّنيا علىٰ يَديهِ ، حتَّىٰ كانَ مِن قولِهِ فيهِ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

تَرَكْتُ ٱلسُّرَىٰ خَلْفِيْ لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَأَنْعَلْتُ أَفْرَاسِيْ بِنَعْمَاكَ عَسْجَدَا
وَقَيَّدْتُ نَفْسِيْ فِيْ هَوَاكَ مَحَبَّةً وَمَنْ وَجَدَ ٱلإِحْسَانَ قَيْداً . . تَقَيَّدَا

ولَم يَزَلْ معَهُ في حالٍ حَسَنَةٍ حتَّىٰ حَدَثَتْ بينَهما جفوةٌ ، ففارَقَهُ إلىٰ (مصرَ) في سنة (٣٤٦هـ) .

ومدحَ كافوراً ٱلإخشيديَّ وأَبا شجاعٍ .

وأقامَ في (مصرَ) خمسَ سنينَ يرقُبُ ٱلفرصَةَ مِن كافورٍ فيصعَدُ ٱلمجدَ علىٰ كاهِلِهِ .

فما هو إلَّا أَن قالَ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

أَبَا ٱلْمِسْكِ هَلْ فِيْ ٱلْكَأْسِ فَضْلٌ أَنَالُهُ فَإِنِّيَ أَعْنَىٰ مُنْذُ حِيْنٍ وَتَشْرَبُ

وقالَ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

وَهَلْ نَافِعِيْ أَنْ تُرْفَعَ ٱلْحُجْبُ بَيْنَنَا وَدُوْنَ ٱلَّذِيْ أَمَّلْتُ مِنْكَ حِجَابُ
وَفِيْ ٱلنَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيْكَ فَطَانَةٌ سُكُوْتِيْ بَيَانٌ عِنْدَهَا وَخِطَابُ

حتَّىٰ أَوجَسَ كافورُ منهُ خِيفةً ؛ لتعاليهِ في شعرِهِ ، وطموحِهِ إلىٰ ٱلمُلْكِ ، فزوىٰ عنهُ وجهَهُ ، فهجاهُ ، وقَصَدَ (بغدادَ) .

ولم يمدحِ ٱلوزيرَ ٱلمُهلَّبيَّ ؛ لأَنَّهُ كانَ يترفَّعُ عن مدحِ غيرِ ٱلملوكِ ، فشقَّ ذلكَ علىٰ ٱلوزيرِ ، فأَشلىٰ عليهِ شعراءَ (بغدادَ) فنالوا من عِرضِهِ ومن شِعرِهِ .

ولٰكنَّهُ لَم يُجبْهم ، وذَهَبَ قاصداً (أَرَّجانَ) ؛ لزيارَةِ ٱلفضلِ بنِ ٱلعميدِ ، فكتبَ إليهِ ٱلوزيرُ ٱلصَّاحِبُ بنُ عبَّادٍ يستزيرُهُ بـ(أَصبهانَ) ؛ طامعاً أَن يمدحَهُ . . فلَم يُقِمْ لهُ وزناً ، وأَمَّ عَضُدَ ٱلدَّولةِ بـ(شيراز) .

رفع المسهم

فأُوغِرَ عليهِ قلبُ الصَّاحبِ ، وأَخَذَ يَتَتَبَّعُ هفواتِهِ ـ وهو أَعلمُ النَّاسِ بحسناتِهِ ـ وشَنَّ عليهِ هو وأَشياعُهُ حرباً قَلَميَّةً ، وألَّفَ الكتبَ في نقدِهِ ، ورمَوهُ بالسَّرقَةِ والخروجِ عَنِ الأَساليبِ العربيَّةِ ، وهو لا يأْبَهُ لهم ؛ ذهاباً بنفسِهِ وإعجاباً بشعرِهِ .

ولمَّا حَصَلَ عندَ عَضُدِ الدَّولَةِ . . أَسبغَ عليهِ نعمتَهُ ، ووصلَهُ بثلاثَةِ آلافِ دينارٍ وخيولٍ وثيابٍ .

ثُمَّ دَسَّ مَنْ يسأَلُهُ : أَينَ هٰذا العطاءُ مِن عطاءِ سيفِ الدَّولَةِ ؟ فقالَ لهُ : هٰذا أَجزلُ . . لٰكنَّهُ مُتكلَّفٌ ، وسيفُ الدَّولَةِ يُعطي طبعاً .

فغضِبَ عليهِ عضدُ الدَّولَةِ مِن ذلكَ ، فجهَّزَ عليهِ فاتِكاً الأَسديَّ ، ولمَّا بلغَهُ مغادَرَةُ المُتنبِّي لبلادِ فارسَ ، وعلمَ أَجتيازَهُ بجبلِ ديرِ العاقولِ . . تتبَّعَ أَثَرَهُ .

وكانَ أَبو الطَّيِّبِ قد مَرَّ بأَبي نصرٍ مُحَمَّدٍ الحلبيِّ ، فأَطلَعَهُ علىٰ حقيقةِ الأَمرِ ، وما ينويهِ فاتكٌ مِنَ الشَّرِّ لَهُ ، ونصحَهُ بأَن يَصْحَبَ معهُ مَن يَستأْنِسُ بهِ في الطَّريقِ .

فلَم يزدَدْ إلَّا أَنَفَةً وعناداً ، وأَبىٰ أَنْ يصحبَ معهُ أَحداً قائلًا : أَنَا والجُرازُ[1] في عُنُقي فَما بي حاجةٌ إلىٰ مُؤْنِسٍ . ثُمَّ قالَ : واللهِ لا أَرضىٰ أَن يتحدَّثَ النَّاسُ بأَنَّني سِرتُ في خفارَةِ غيرِ سَيفي .

فحذَّرَهُ أَبو النَّصرِ كثيراً ، فما كانَ منهُ إلَّا أَنْ أَجابَ :

---

(١) الجُرازُ : السيف .

رفع المسهم

أَبِنَجْوِ ٱلطَّيرِ تُخَوِّفُني؟ ومِن عبيدِ ٱلعَصا تخافُ عَلَيَّ ؟!! وٱللهِ لَو أَنَّ مِخْصَرتي هٰذهِ ملقاةٌ علىٰ شاطىءِ ٱلفراتِ ، وبنو أَسَدٍ معطَّشون لخَمسٍ ، وقد نظروا ٱلماءَ كبطونِ ٱلحيَّاتِ . . ما جَسَرَ لَهم خُفٌّ ولا ظِلفٌ أَنْ يَرِدَهُ ، معاذَ ٱللهِ أَن أَشغلَ فكري بهم لحظةَ عينٍ .

فقالَ لَهُ أَبو نصرٍ : قُلْ : إِن شاءَ ٱللهُ .

فقالَ : هي كلمةٌ مقولَةٌ ، لا تَدفَعُ مَقضيّاً ، ولا تستجلِبُ آتياً .

ثُمَّ رَكِبَ وسارَ ، فلقيَهُ فاتِكٌ في ٱلطَّريقِ فقتَلَهُ وقتلَ معَهُ ولدَهُ مُحَسَّداً وغلامَهُ مُفلحاً .

وكانَ مقتَلُهُ في (٢٨) رمضان سنة (٣٥٤هـ) .

* * *

شعره :

المُتنبّي شاعرٌ مِن شعراءِ ٱلمعاني ، وَفَّقَ بينَ ٱلشِّعرِ وٱلفلسفَةِ ، وجعلَ أَكثرَ عنايتِهِ بٱلمعنىٰ ، وأَطلقَ ٱلشِّعرَ مِنَ ٱلقيودِ ٱلَّتي قَيَّدَهُ بها غيرُهُ مِنَ ٱلشُّعراءِ ، وخَرَجَ بهِ عَنْ أَساليبِ ٱلعربِ ٱلتَّقليديَّةِ ، فهوَ إِمامُ ٱلطَّريقَةِ ٱلابتداعيَّةِ في ٱلشِّعرِ ٱلعربيِّ .

ولقد حَظِيَ في شعرِهِ بٱلحِكَمِ وٱلأَمثالِ ، وٱختصَّ بٱلإِبداعِ في وصفِ ٱلقتالِ ، وٱلتَّشبيبِ بٱلأَعرابيَّاتِ ، وإِجادَةِ ٱلتَّشبيهِ ، وإِرسالِ ٱلمَثَلَينِ في ٱلبيتِ ٱلواحِدِ ، وحُسْنِ ٱلتَّخلُّصِ ، وصِحَّةِ ٱلتَّقْسِيمِ ، وإِبداعِ ٱلمديحِ ، وإِيجاعِ ٱلهجاءِ .

وأَخَصُّ ما يميِّزُ ٱلمُتنبّيَ بروزُ شخصيَّتِهِ في شعرِهِ ، وصدقُ إِيمانِهِ برأْيِهِ ، وقُوَّةُ ٱعتدادِهِ بنفسِهِ ، وصِحَّةُ تعبيرِهِ عَنْ طبائعِ ٱلنَّفْسِ ، ومشاغِلِ ٱلنَّاسِ ،

رفع المسهم

وأَهواءِ ٱلقلوبِ ، وحقائِقِ ٱلوجودِ ، وأَغراضِ ٱلحياةِ .

لذلكَ كانَ شِعرُهُ في كُلِّ عصرٍ مَدداً لكُلِّ كاتِبٍ ، ومَثَلاً لكُلِّ خاطِبٍ .

* * *

نموذجٌ مِن بديعِ شعرِهِ :

قالَ يشكو ٱلزَّمانَ [مِنَ ٱلبسيطِ] :

لَمْ يَتْرُكِ ٱلدَّهْرُ مِنْ قَلْبِيْ وَلَا كَبِدِيْ ... شَيْئاً تُتَيِّمُهُ عَيْنٌ وَلَا جِيْدُ

يَا سَاقِيَيَّ أَخَمْرٌ فِيْ كُؤُوْسِكُمَا ... أَمْ فِيْ كُؤُوْسِكُمَا هَمٌّ وَتَسْهِيْدُ ؟

أَصَخْرَةٌ أَنَا!؟ مَا لِيْ لَا تُغَيِّرُنِيْ ... هَذِيْ ٱلْمُدَامُ وَلَا تِلْكَ ٱلأَنَاشِيْدُ ؟

إِذَا أَرَدْتُ كُمَيْتَ ٱللَّوْنِ صَافِيَةً ... وَجَدْتُهَا وَحَبِيْبُ ٱلنَّفْسِ مَفْقُوْدُ

مَاذَا لَقِيْتُ مِنَ ٱلدُّنْيَا ؟ وَأَعْجَبُهَا ... أَنِّيْ بِمَا أَنَا بَاكٍ مِنْهُ مَحْسُوْدُ

وقالَ [مِنَ ٱلوافرِ] :

نَصِيْبُكَ فِيْ حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيْبٍ ... نَصِيْبُكَ فِيْ مَنَامِكَ مِنْ خَيَالِ

رَمَانِيْ ٱلدَّهْرُ بِٱلأَرْزَاءِ حَتَّىٰ ... فُؤَادِيْ فِيْ غِشَاءٍ مِنْ نِبَالِ

فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِيْ سِهَامٌ ... تَكَسَّرَتِ ٱلنِّصَالُ عَلَىٰ ٱلنِّصَالِ

وَهَانَ فَمَا أُبَالِيْ بِٱلرَّزَايَا ... لأَنِّيْ مَا ٱنْتَفَعْتُ بِأَنْ أُبَالِيْ

وقالَ [مِنَ ٱلخفيفِ] :

صَحِبَ ٱلنَّاسُ قَبْلَنَا ذَا ٱلزَّمَانَا ... وَعَنَاهُمْ مِنْ أَمْرِهِ مَا عَنَانَا

وَمُرَادُ ٱلنُّفُوْسِ أَصْغَرُ مِنْ أَنْ ... نَتَعَادَىٰ فِيْهِ وَأَنْ نَتَفَانَىٰ

غَيْرَ أَنَّ ٱلْفَتَىٰ يُلَاقِيْ ٱلْمَنَايَا ... كَالِحَاتٍ وَلَا يُلَاقِيْ ٱلْهَوَانَا

وَلَوَ ٱنَّ ٱلْحَيَاةَ تَبْقَىٰ لِحَيٍّ ... لَعَدَدْنَا أَضَلَّنَا ٱلشُّجْعَانَا

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ ٱلْمَوْتِ بُدٌّ ... فَمِنَ ٱلْعَارِ أَنْ تَمُوْتَ جَبَانَا

رفع المسهم

وقالَ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

وَأَتْعَبُ خَلْقِ ٱللهِ مَنْ زَادَ هَمُّهُ ... وَقَصَّرَ عَمَّا تَشْتَهِي ٱلنَّفْسُ وُجْدُهُ
فَلَا مَجْدَ فِي ٱلدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ ... وَلَا مَالَ فِي ٱلدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ
وَفِي ٱلنَّاسِ مَنْ يَرْضَىٰ بِمَيْسُورِ عَيْشِهِ ... وَمَرْكُوبُهُ رِجْلَاهُ وَٱلثَّوْبُ جِلْدُهُ

وقالَ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

وَأَظْلَمُ أَهْلِ ٱلظُّلْمِ مَنْ بَاتَ حَاسِداً ... لِمَنْ بَاتَ فِي نَعْمَائِهِ يَتَقَلَّبُ

ومِن أَمثالِهِ ٱلسَّائِرَةِ [مِنَ ٱلبسيطِ] :

مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّىٰ ٱلْمَرْءُ يُدْرِكُهُ ... تَجْرِي ٱلرِّيَاحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي ٱلسُّفُنُ

ومِنها أَيضاً [مِنَ ٱلوافرِ] :

وَلَمْ أَرَ فِي عُيُوبِ ٱلنَّاسِ عَيْباً ... كَنَقْصِ ٱلْقَادِرِينَ عَلَىٰ ٱلتَّمَامِ

ومِنها أَيضاً [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

أَعَزُّ مَكَانٍ فِي ٱلدُّنَىٰ سَرْجُ سَابِحٍ ... وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي ٱلأَنَامِ كِتَابُ

ومِنها [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

وَمَنْ لَمْ يَمُتْ بِٱلسَّيْفِ مَاتَ بِغَيْرِهِ ... تَعَدَّدَتِ ٱلأَسْبَابُ وَٱلْمَوْتُ وَاحِدُ

ومِنها [مِنَ ٱلكاملِ] :

وَٱلظُّلْمُ مِنْ شِيَمِ ٱلنُّفُوسِ فَإِنْ تَجِدْ ... ذَا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لَا يَظْلِمُ
ذُو ٱلْعَقْلِ يَشْقَىٰ بِٱلنَّعِيمِ بِعَقْلِهِ ... وَأَخُو ٱلْجَهَالَةِ فِي ٱلشَّقَاوَةِ يَنْعَمُ
وَٱلْهَمُّ يَعْتَرِضُ ٱلْجَسِيمَ نَحَافَةً ... وَيُشِيبُ نَاصِيَةَ ٱلصَّغِيرِ وَيُهْرِمُ

* * *

رفع المسهم

ترجمة مؤلف الكتاب[1]

السيد عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف

رحمه الله تعالى

بقلم/ محمد بن أبي بكر باذيب

المسرد النسبي :

هو : عبد الرحمن بن عبيد الله بن محسن بن علوي بن سقاف بن محمد بن عمر بن طه بن عمر بن طه بن عمر الصافي ابن عبد الرحمن بن محمد بن علي ابن الشيخ الكبير عبد الرحمن السقاف بن محمد (مولىٰ الدويلة) ابن علي بن علوي ابن الإمام الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم محمد بن علي بن محمد (صاحب مرباط) ابن علي (خالع قسم) ابن علوي (صاحب بيت جبير) ابن محمد (مولىٰ الصومعة) ابن علوي (صاحب سمل) ابن عبيد الله ابن المهاجر إلىٰ الله أحمد بن عيسىٰ بن محمد (النقيب) ابن علي (العريضي) ابن جعفر (الصادق) ابن محمد (الباقر) ابن علي (زين العابدين) ابن الإمام الشهيد السبط الحسين ابن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب وابن سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء البتول ابنة سيدنا رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ .

نسبٌ تحسب العلا بحلاه قلدتها نجومها الجوزاءُ[2]

المولد والمنشأ :

كان مولد نابغة حضرموت في السابع والعشرين من شهر رجب سنة ١٣٠٠هـ في

---

(١) هذه الترجمة اقتطفت من ترجمة حافلة موسعة للسيد السقاف . . هي قيد الإعداد والجمع والمراجعة وستصدر في كتاب مستقل إن شاء الله تعالىٰ . .

(٢) البيت مِنَ الخفيف .

رفع المسهم

المحل المسمىٰ (عَلَمْ بَدْر)[1] بمدينة سيؤن إحدىٰ أشهر المدن الحضرمية .

ونشأ مترجَمُنا نشأة صالحة في كنف أسرته . . وهي إحدىٰ الأسر المرموقة المشهورة بالعلم والكرم . . وظهر منها علماء كبار وأعلام أفذاذ كانوا ولا زالوا بهجة العصر وزينة الوقت . . فاجتمع للمترْجَم طِيبُ النِّجار وشَرَفُ الدار . . فوالده العابد الصالح العالم الآتي ذكره لاحقاً وجده السيد الجليل الزعيم المصلح الحبيب محسن بن علوي السقاف المتوفىٰ سنة ١٢٩١هـ . . الرجل الذي ملأت شهرته ربوع الوادي في عصره وكانت له مواقف سياسية واجتماعية مشهورة . . إلىٰ جانب زعامته الدينية والروحية . .

شيوخه :

أولهم والده السيد عبيد الله الرجل الصالح العابد الزاهد الورع كانت ولادته في ١٢٦١هـ ووفاته في ١٣٢٤هـ وكان والده يصطحبه إلىٰ رحاب شيخه الإمام الرباني العلامة عيدروس بن عمر الحبشي صاحب الغرفة المتوفىٰ بها سنة ١٣١٤هـ فأخذ عنه أخذاً تاماً وهو دون سن البلوغ وكان تأثره وتعلقه به قوياً للغاية . .

وكان ابتدأ تعلمه القرآن الكريم وقراءته علىٰ يد المعلم الصالح الشيخ عبد القادر بن عبد الله باحميد ، وقرأ النحو وما تعلق به علىٰ العلامة المتفنن الشيخ محمد بن محمد باكثير (ت١٣٥٥هـ) ، وقرأ الفقه وحقق مسائله علىٰ شيخه العلامة الفقيه مفتي سيؤن السيد علوي بن عبد الرحمن بن علوي السقاف (ت١٣٢٨هـ) .

وله جمع كبير من الشيوخ لا تتسع هذه العجالة لذكرهم . .

ولقد كانت الاستعدادات الفطرية والمواهب الذاتية لدىٰ المترجم له كبيرة جداً . . فقد رزقه الله عقلاً صافياً وفكراً نيراً وقريحة وقادة . .

وكان قوي الذاكرة سريع الاستحضار والبديهة . . يغوص في العلم ومسائله حتىٰ يستخرج اللآلي والدرر . . وما مصنفاته إلا شاهدة علىٰ صحة هذا القول وهذه

---

(١) أصل هذه الكلمة أو المسمىٰ هو (علي بن بدر) وإنما حرّفت عن أصلها لكثرة تداولها . . ويبدوا أنه كان مسمىٰ لأحد أمراء آل كثير في الماضي .

رفع المسهم

الدعوىٰ . . فنظرة علىٰ « صوب الركام » أو « العود الهندي » ترد طَرْف الناظر حسيراً مملوءاً بالإعجاب والإكبار . .

حتىٰ إنه ـ رحمه الله تعالىٰ ـ يقول : كنت أيام شبابي أحياناً أضع يدي علىٰ الصفحة اليسرىٰ خوفاً من أن تقع عيني عليها ويسبق حفظي لها . . !

وقد قال عنه الشيخ حمد الجاسر :

ففضلاً عما لأسرته في (حضرموت) من المكانة وعلو المنزلة في نفوس أهل تلك البلاد . . بلغ مرتبةً من العلم أهّلته بينهم لأَنْ يحل أرفع المقامات ، فعُرف بعالم (حضرموت) ومفتي الديار الحضرمية وكان ذا نفوذ قوي في الشؤون العامة في تلك البلاد ، وصلة قوية بحكام أقاليمها ، وإسهام بارز في السعي لتوحيد أجزائها واستقلالها ، ورفع كابوس الاحتلال البريطاني الذي كان جاثماً عليها . كما كان قوي الصلة بإمام (اليمن) يحيىٰ حميد الدين ، بحيث كان يرجع إليه في معالجة بعض القضايا العامة المتعلقة بالخلافات التي تقع بين حكام تلك البلاد ، كما يتضح من إشارات وردت في بعض كتبه . انتهى[1] .

بهذه العبارات التي أوردها الشيخ الجاسر رحمه الله تعالىٰ فقد لخص لنا صفحات وصفحات من سيرة هذا الرجل . . فلقد كان له المواقف المذكورة والجهود المشكورة . . وصولات وجولات تركنا التوسع فيها للترجمة الموسعة التي ستصدر عنه إن شاء الله تعالىٰ . .

ولابأس أن نذكر في هذه اللمعة موقفاً له مع الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله تعالىٰ . .

فلقد كانت له مواقف رجولية وبطولية كان فيها المتحدثَ الناصح والخبير بالشؤون السياسية وأمور الإصلاح فمما دار بينهما في مجلس عقد في موسم حج عام ١٣٥٢هـ . . ما حكاه ابن عبيد الله بنفسه حيث يقول :

---

(١) مجلة العرب العددان ٥/٦ ، السنة ٢٦ تاريخ ذي القعدة وذي الحجة ١٤١١هـ .

رفع المسهم

(. . ولما اجتمعت أنا بابن السّعود في ذلك العام ، بدأني بالحديث عن قضية الصلح بينه وبين إمام اليمن ، فكان موافقاً لما تحدث به إليَّ ابن الوزير سواءً بسواءٍ ، وقال لي الملك عبد العزيز : إنني لما أبرقت إلىٰ ولدي فيصل بالجلاء عن الحديدة أجابني : بأن الانتحار أهون عليه من ذلك ، فأجبته : بأن انتحارك لا يقلل من عدد أبنائي وقد نيّفوا علىٰ الأربعين ، ثم هو هيّن عليَّ في سبيل حقن دماء المسلمين . . هذا نص كلامه لي بمرأىٰ من ولده فيصل ومسمع)[1] .

وهكذا كانت تحركاته الواسعة داخل هذه الدائرة ، علت به إليها همته ، وحملته عزيمته ونيته . . وهنا يبرز لنا سؤال يفرض نفسه في هذا المقام : وهو بأي صفة كان يتكلم هذا الإمام مع الملوك والزعماء في السياسة والحروب وكأنه واحد منهم ؟ وكيف يتبادلون معه الأحاديث السياسية وكأنه خبير أو مستشار وهو لا يمثل دولة ؟ وليس له صفة سياسية ؟! إنه ولا شك يمثل دولة العلم ، إنها قوة الشخصية الممتلئة بالعلم والإيمان ، وبالحيوية والروح النورانية المكتسبة منذ الصغر من نظرات شيوخه العارفين[2] .

مؤلفاته :

صنف ابن عبيد الله مصنفات تشهد له بالبراعة وعلو الكعب . . وسنتحدث عن هذه المصنفات كدلائل وشواهد للجوانب العلمية التي حظي بها مترجمنا . . وكذلك لننفض الغبار عن الكنوز العظيمة التي خلفها الرجل . . عسىٰ ولعل أن تتاح الفرصة لنشرها وإظهارها . . ليعم النفع والانتفاع بها . .

أولاً ـ مصنفاته الفقهية :

١ ـ كتاب (صوب الركام في شؤون القضاء والأحكام) مجلدان وهو مطبوع .

٢ ـ حاشية علىٰ كتاب (فتح الجواد بشرح الإرشاد) .

---

(١) السيد عبد القادر الخرد من مقدمته علىٰ كتابه (صوب الركام) .

(٢) المصدر السابق .

رفع المسهم

٣ـ حاشية علىٰ كتاب (منهاج الطالبين) للإمام محيي الدين النووي رحمه الله .

٤ـ حاشية علىٰ التحفة . . أي تحفة المحتاج بشرح المنهاج .

ثانياً ـ مصنفاته في الحديث :

١ـ (بلابل التغريد فيما أفدناه أيام التجريد) ـ يقع في ثلاث مجلدات .

قال عنه الأستاذ الزركلي : هو أشبه بكتب الأمالي في ثلاثة أجزاء .

وقد صنفه أيام تدريسه للتجريد الصريح للجامع الصحيح (مختصر صحيح البخاري) للإمام العلامة الزبيدي الشرجي .

٢ـ حاشية علىٰ الشمائل النبوية للإمام الترمذي .

ثالثاً ـ مصنفاته التاريخية :

١ـ كتاب (بضائع التابوت في نتف من تاريخ حضرموت) يقع في ثلاث مجلدات ضخام قال عنه الزركلي مثنياً علىٰ كتاب (البضائع) المذكور : وأتىٰ فيه بعلم غزير في تاريخ حضرموت وبيوتها وحكامها وأعلامها إلىٰ استطرادات في فنون مختلفة من أدب وحديث وفقه ، إلىٰ وثائق سياسية ومعاهدات وملحوظات[1] .

٢ـ « إدام القوت » أو « معجم بلدان حضرموت » :

وهو الكتاب الذي قام الشيخ حمد الجاسر ـ رحمه الله ـ بنشره في مجلة « العرب » طوال خمس سنوات . . وهو كتاب يعنىٰ بتاريخ بلدان حضرموت مع ذكر لبعض أعيانها وقد اختصره من كتاب (بضائع التابوت) .

رابعاً ـ مؤلفاته الأدبية والنقدية :

الحديث عن الجانب الأدبي النقدي عند ابن عبيد الله حديث يطول ويطول . . فمن ذا يطاول قريع البلغاء وكبير الأدباء . . وحسبنا قبل أن ندلج إلىٰ وصف وذكر

---

(١) الأعلام : ٣/ ٣١٥ .

رفع المسهم

مصنفاته الأدبية التي أحدها كتابنا هذا (العود الهندي) الذي نتشرف بنشره.. أن نبين إن استطعنا أننا أمام رجل غير عادي.. رجل صاحب فكر حر وذهن صافي وفهم صحيح وذكاء وقاد إلىٰ غير ذلك من الصفات التي قلما تجتمع في رجل.. انظر معي إلىٰ حسن استنباطاته ودقة فهمه ما جاء في مقدمة ديوانه حيث أنه فهم من قوله تعالىٰ : ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ أنها تدل علىٰ فضيلة الشعر وعلو مقامه بعكس مفهوم المفسرين فيها..

قال رضي الله عنه : ومن أنصع الأدلة علىٰ تفضيله ـ أي : الشعر ـ صرف سيد البشر ﷺ عن سبيله ، لأنه وإن كان الذكر علياً والفكر جلياً ، ويستحيل أن يشبه بلاغة القرآن غيره ، فإنه لا يمكن التشكيك إلا به.. عند من قل خيره ، فلو كان عليه السلام شاعراً لكان للشبهة مجاز ، فكونه أمياً لا يقرضه أبلغ في الإعجاز ، وأما ما ينسب إلىٰ الشعر من المذام ، فراجع إلىٰ العلة التي انتشرت بأهله كالجذام ، وهي التكسب القبيح بالغلو في المديح ، وقد صاننا الله عن ذلك فالساحة براء.. وبيننا وبين الذل ـ إلا الله وحده ـ سبل وعرة وأرض عراء.. إلخ .

كذلك تأمل معي المجلس الأول من كتابنا هذا والذي يدور حول بيتي المتنبي [مِنَ ٱلخفيف] :

بأبي من وددته فافترقنا ... وقضىٰ الله بعد ذاك اجتماعا
فافترقنا حولاً ولما التقينا ... كان تسليمه عليّ وداعا

فيا ترىٰ.. ما السبب الداعي للبدء بالكلام علىٰ هذين البيتين ؟! ولِمَ شِعرُ الفراق هو المقدم عند ابن عبيد الله.. إن لذلك سبباً يرجع إلىٰ حسن استنباطه أيضاً.. إنه الاستنباط الذي انطلق من قاعدة قوية هي هذه الشخصية الفذة لتحلق في أفق عالية لم يصل إليها أحد.. ولتوضيح ذلك لننظر إلىٰ هذا الحوار الذي دار بين ابن عبيد الله وشيخه العلامة النابغة السيد أبي بكر بن عبد الرحمن بن شهاب الدين رحمه الله..

لقد دار ذلك الحوار بين الشيخ وتلميذه ، وكان مداره حول اختيار أحسن مواضيع الشعر وأيها أبلغ تأثيراً في النفوس .

رفع المسهم

(قال الشيخ « ابن شهاب » : أحسنها الغزل والنسيب ، ولهذا كان شعراء العرب يقدمون النسيب والغزل في قصائدهم . .

فاستوقفه تلميذه « ابن عبيد الله السقاف » قائلاً :

أما أنا . . فالذي أراه أن أحسن مواضيعه المؤثرة : شكوىٰ الفراق . . ولي دليل علىٰ ذلك من كتاب الله تعالىٰ .

فسأله شيخه : ما هو دليلك ؟

فأجابه : دليلي عليه من سورة يوسف ، قوله تعالىٰ لنبيه ﷺ : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ . . ﴾ وسورة يوسف كلها محتوية علىٰ شكوىٰ الفراق .

فاستحسن الشيخ « ابن شهاب » هذا الجواب من تلميذه النجيب النابغة وقبّل بين عينيه) .

أعتقد أن الحوار لا يحتاج إلىٰ أي تعليق . . فلقد قطعت جهيزة قول كل خطيب . . وإنما أردنا بإيرادنا لهذين الاستنباطين التمهيد للقارىء الكريم . . للإنطلاق والتحليق في أجواء كتابنا هذا . . نعود إلىٰ متابعة ذكر مؤلفاته الأدبية والنقدية :

١ـ « العود الهندي عن أماليّ في ديوان الكندي » .

وهو كتابنا الذي نقدمه للقارىء الكريم . . قال عنه الشيخ حمد الجاسر :

(يعد كتاب « العود الهندي » من أحفل كتب الأدب بالفوائد والفرائد من الأشعار والأخبار ، مما يدل علىٰ ما يتصف به مؤلفه من سعة الاطلاع ، مع رحابة الصدر في إيراد ما قد يتحاشىٰ البعض من إيراده من النكت والنوادر ، وقد يسوق بعد ما يورد من الشواهد طرائف من الشعر أو القصص الحديثة) . .

وقال الشيخ الجاسر أيضاً في موضع آخر :

(ومع أن السيد السقاف لم يتلق العلم ـ فيما علمت عنه ـ خارج الجزيرة ، إلا أن المرء حين يطالع أحد مؤلفاته ككتابه عن المتنبي . . يعجب من سعة اطلاعه ، وقوة استحضاره للشواهد والنصوص عند الحاجة ، وسرعة بديهته) .

رفع المسهم

لقد اختار المؤلف تسمية كتابه هذا بـ « العود الهندي » ذلك المندل الزكي الرائحة ليتناسب مع كلمة (الطيّب) في كنيته المتنبي ، وكأنه يستنشق أريج أشعاره .

كما جعل لهذا الكتاب « مجالس » بدل « أبواب » أو « فصول » لأن الأشعار تتناسب معها مجالس الأدب والشعر ، وكأنه تخيل نفسه في مجالس مع المتنبي يستوحي ويستلهم من أشعاره الخالدة التي لا زالت الأقلام تأتي بالجديد والمفيد في فهمها وتحليلها ، لأنها أشعار في غاية البلاغة والجزالة وقوة السبك في صياغة شعرية لم يأت أحد بمثلها إلىٰ المعاني التي تفرد بالكثير منها .

فتناول في مجالسه ـ هذه ـ جل مواضيع شعر المتنبي من : غزل ، ومديح ، وفخر ، ورثاء وفراق ووفاق وغيرها .

وما دمنا نتكلم علىٰ اسم الكتاب فلا بأس أن نعرج إلىٰ نسبة المتنبي إلىٰ كندة :

أطلق ابن عبيد الله علىٰ كتابه الذي تذوق فيه ونقد بعض أبيات شاعر العربية الكبير المتنبي اسم « العود الهندي » ليوافق سجعة اللقب الذي أطلقه علىٰ المتنبي وهو « الكندي » . إن الذين ترجموا للمتنبي أجمعوا أنه ولد بمحلة بالكوفة تسمىٰ « محلة كندة » وهذه المحلة كانت خطة من خطط الكوفة نزلها في الصدر الأول جماعة من بطون كندة فسميت بهم .

فقد كان أهل اليمن وحضرموت يشكلون تعداداً قدره ستة آلاف دار في سنة ٣١٤هـ نصيب كندة منها ثلاثة آلاف بيت[1] .

وقد تحدث الشيخ محمود شاكر عن هذه المحلة وتطرق إلىٰ الحديث عن نسب أبي الطيب المتنبي في كتابه (المتنبي) فليرجع إليه من أراد التوسع في الأمر . .

٢ـ ديوان ابن عبيد الله :

ديوان حافل بأصناف وألوان القصائد وأرقها وأعذبها وأجزلها . .

---

(١) المتنبي : محمود شاكر ص١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ .

رفع المسهم

طبع الديوان في رمضان ١٣٧٨هـ تحت نظر وتصحيح الشيخ حسنين مخلوف ومراجعة السيد حسن بن عبد الرحمن ابن المؤلف ـ رحمهما الله ـ وجاء مع فهارسه في ٥٥٢ صفحة . وتوجد مجموعة أخرىٰ من شعره لم تأخذ طريقها للنشر بعد . . وتقع في حوالي ٥٠٠ صفحة وهو يعد الجزء الثاني لا يزال مخطوطاً . .

وهو فعلاً كما قال عنه الشيخ حسنين مخلوف : ديوان شعر وعلم وأدب وتاريخ وسِيَر ودين وأخلاق .

٣ـ « معارضة البردة » : طبعت بعدن سنة ١٣٦٧هـ .

٤ـ « الرحلة الدوعنية » : وهي عبارة عن رحلة منظومة . . وقد قام ابن عبيد الله بهذه الرحلة سنة ١٣٦٠هـ . . وهي تعد من روائع أدب الرحلات .

٥ـ « النجم المضي في نقد عبقرية الشريف الرضي » ، ويسمىٰ « مفتاح الثقافة » : اطلع عليه الزركلي فوصفه قائلاً : « انتقد به بعض ما جاء في « عبقرية الرضي » للدكتور زكي مبارك في جزء لطيف » . وهو مخطوط ويقع في مجلد متوسط .

٦ـ « النقد العلمي الذوقي في الجواب عن أبيات شوقي » :

وهو جزء لطيف يقع مخطوطاً في ٣٢ صفحة ومطبوعاً في ٢٢ صفحة .

خامساً ـ محاضراته وخطبه :

كان ابن عبيد الله السقاف ـ رحمه الله تعالىٰ ـ خطيباً بارعاً مفوهاً مصقعاً . . ومع ما ترىٰ له من المؤلفات إلا أنه يُذْكَر أنه في الخطابة أعظم منه في الكتابة . . فسبحان المعطي الوهاب . . وله مجموعة لابأس بها من الخطب الجُمَعية أو في مناسبات أخرىٰ قيل إنها جمعت في مجلد . ولنذكر في هذه العجالة بعض محاضراته :

١ـ محاضرة « تحقيق الفرق بين العامل بعلمه وغيره وما يتصل بذلك من حد الولاية وحكم الإلهام » . طبعَهُ بمصر سنة ١٣٥٥هـ في ٣٢ صفحة بتقريظ العلامة أحمد المطاع الصنعاني .

رفع المسهم

٢ـ كلمة عن العدالة والمساواة :

ألقاها في درسه بسيؤن في ٩ ربيع الثاني سنة ١٣٧٢هـ . بعد أن سئل عن حكم الإسلام في ذلك ، وكانت علىٰ البديهة ارتجالاً بدون تحضير سابق!!

٣ـ كلمة حول « تحديد الملكية » :

وهي رد علىٰ مقال للشيخ محمد عرفة نشر بمجلة الأزهر . . وتاريخها ١٦ ربيع الثاني ١٣٧٢هـ .

سادساً ـ الردود :

نذكر منها :

١ـ « النجم الدري في الرد علىٰ السيد سالم الجفري » .

٢ـ « نسيم حاجر في تأكيد قولي عن مذهب المهاجر » .

٣ـ « السيف الحاد لقطع الإلحاد » : طبع بعدن في شعبان ١٣٦٩هـ في ١٣٨ صفحة . وهو رد علىٰ كتاب « توحيد الأديان » للأستاذ حسين الصافي من أهالي جيزان ، وقد رجع الصافي عن كتابه بعد ذلك[1] .

تلاميذه :

سنذكر منهم ما تسمح بهم هذه العجالة فمنهم :

١ـ ابنه السيد الأديب الشاعر الأستاذ حسن بن عبد الرحمن . . المولود سنة: (١٣٣٥هـ) والمتوفىٰ سنة: (١٤٠٦هـ) . كان والده شديد العناية به وكتب معظم مصنفاته ومنها هٰذا الكتاب « العود الهندي » من أجله كما في مقدمته . وللسيد حسن ديوان شعر حكمي طبع مؤخراً .

٢ـ ابنه الآخر السيد عبد القادر (قيدان) بن عبد الرحمٰن . . ولد بسيون وتوفي

---

(١) أخبرني بهٰذا تلميذ المترجم السيد جعفر بن محمد السقاف .

رفع المسهم

مهاجراً في سورابايا سنة: (١٣٩٩هـ) وهو أكبر أبنائه ، كان فاضلاً أديباً ، درس في مدرسة النهضة بسيون وكان له نشاط أدبي في مهجره. . رحمهما الله .

٣ـ السيد علوي بن عبد الله بن حسين بن محسن بن علوي السقاف [١٣١٥هـ ـ١٣٩١هـ] عالم نحرير فقيه محقق. . أجمع عليه أهل عصره واعتبروه زعيماً مخلصاً كما أجمعوا علىٰ أنه الثاني في الفقه بعد شيخه العلامة ابن عبيد الله. .

٤ـ السيد محمد بن شيخ المساوىٰ المتوفىٰ سنة ١٤٠٥هـ بسيؤن .

كان من تلامذة ابن عبيد الله النجباء النوابغ ، نشأ مجداً في الطلب حتىٰ بزَّ الأقران ، وشغل وظيفة كبرىٰ بمدرسة النهضة العلمية بسيؤن وكان يقوم ببعض الدروس العلمية بمسجد طه .

٥ـ السيد سالم بن علوي بن عبد الرحمن خرد المتوفىٰ بجدة سنة ١٣٩٨هـ . وهو العالم الشاعر الحافظ لكتاب الله الخطيب المصقع الكثير السعي لخير الناس الصريح في آرائه الجريء في إبداء معلوماته مع رحابة صدر ولطف معشر وقد أفرده بالترجمة ابنه السيد عبد القادر خرد في كتاب سماه (هذا أبي) .

٦ـ السيد العلامة محمد بن سالم بن حفيظ

المولود في ١٣٣١هـ والذي اختطفه الشيوعيون الملاحدة في ذي الحجة ١٣٩١هـ .

كان عالماً نزيهاً صادعاً بالحق. . كان يتردد علىٰ ابن عبيد الله واستفاد منه. .

٧ـ السيد عبد القادر بن سالم « الروش » السقاف المتوفىٰ بسيؤن في ١٤١٥هـ .

دَرَس في مدرسة النهضة العلمية بسيؤن وتخرج منها ثم درّس فيها ، وكان مواظباً علىٰ حضور مجالس شيوخه عظيم الرغبة في الطلب والتحصيل والبحث والمطالعة رحل في شبابه إلىٰ مكة المكرمة وأقام بها مدة لازم فيها شيخه السيد العالم الرباني عيدروس بن سالم البار وأخاه أبا بكر بن سالم .

٨ـ ومنهم خاتمة العقد ومسك الختام الإمام الجليل والحبر النبيل السيد الخليفة السند إمام العصر الحبيب عبد القادر بن أحمد السقاف. . وكان من المترددين علىٰ

رفع المسهم

مجالس ابن عبيد الله وأفاد من علمه وأدبه شيئاً جماً . . وكان يقول دائماً : إن النساء عجزن أن يلدن مثل ابن عبيد الله .

وهناك كثيرون وكثيرون جداً . . ونذكر منهم :

٨ـ العلامة القاضي مبارك باحريش التريمي .

٩ـ السيد جعفر بن محمد السقاف .

ـ السيد الداعية الإمام أحمد مشهور الحداد [١٣٢٥هـ ـ ١٤١٦هـ] .

ـ السيد علي بن عبد الله بن حسين « القاضي » السقاف .

ـ السيد محسن بن علوي السقاف .

ـ السيد الشاعر صالح بن علي الحامد .

وليعذرنا من لم تتسع هذه النبذة المختصرة لذكرهم . . وإن شاء الله تعالىٰ في ترجمة ابن عبيد الله الموسعة سنذكر الكثير والكثير الطيب عن ذلك وعن غيره .

وفاته :

لم يزل علىٰ حالة مرضية ، وطريقة سوية ، شعلةً بل شمساً تضيء وتنير في ظلمات الجهل . . فلقد كان رحمه الله جبلًا من جبال العِلْم . . حتىٰ توفي صباح الأربعاء ٢٦ جمادىٰ الآخرة سنة ١٣٧٥هـ فأصيب الناس بالذهول الشديد والحيرة والارتباك لوفاة هذا العَلَم . .

وما كان قيس هَلْكُه هَلْكُ واحدٍ ولكنه بنيان قومٍ تهدّما[1]

وقد أقيمت بعد وفاته مجالس العزاء في حضرموت وأندونيسيا وكينيا وغيرها من بلدان العالم الإسلامي وقد رُثِيَ بقصائد شعرية نكتفي منها بأبيات من مرثاة تلميذه الشاعر صالح بن علي الحامد [مِنَ ٱلكاملِ] :

بكت الطروس عليك والأقلام والشرق ناح عليك والإسلام

نعت المكارمُ حظَّها وتنكست من أجل رزئك للعلا أعلام

---

(١) البيت من الطويلِ .

رفع المسهم

وغـدا نهـارك للفجيعـة قـاتمـاً ... فكـأنمـا أغشـىٰ عليـه ظـلامُ
والشمـس عبـرىٰ فـي السمـاء كـأنمـا ... غطـىٰ محيـاهـا الحـزيـن لثـامُ
ويكـىٰ عليـك العلـم والعليـاء والـ ... ـشِّيَـمُ العلـىٰ والنقـض والإبـرام
ورثـاك رواد المعـارف والهـدىٰ ... فـاليـوم بعـدك كلهـم أيتـام
قـدر المصيبـة عنـد قـدر مصـابهـا ... ولـذاك أرزاءُ العظـامِ عظـام
كـم موقف لـك فـي الخطابة خـالـد ... حمـدت بـراعتـه لـك الأقـوام
لهفي علىٰ الروح الخفيفة كم ورت ... فينـا المسـرة والـزمـان غـلام
تغـذو المجـالـسَ بهجـةً وفكـاهـة ... فكـأن بهجتهـا عليـك لـزام
لا يعجـب الأقـران كيـف سبقتهـم ... فـي كـل مـا قعـدوا إليـه ورامـوا
أسرعتَ في كسب الجميل وأبطؤوا ... وسهـرتَ فـي طلـب الكمـال ونـامـوا
فجمعـتَ أوصـاف الكمـال وإنمـا ... يغشـىٰ الخسـوفُ البـدْرَ وهـو تمـام
فعلـىٰ الخطـابـة والبـلاغـة بعـده ... وعلـىٰ النبـوغ تحيـة وسـلام
فـاذهـب فـإنـك خـالـد بـالـذكـر مـا ... مضـت القـرون وكـرت الأعـوام

وإلىٰ هنا يقف القلم في ترجمة هذا العلم.. والمقصود أن نذكر تعريفاً ميسراً، والمعروف كما قيل لا يعرَّف.. وحسب الإنسان أن ينظر في كتاب الأعلام للزركلي هذا الكتاب المشهور في التراجم.. فإننا نجد أن ترجمة أي علم فيه لا تتجاوز سطوراً وعندما أراد أن يذكره الزركلي في كتابه وكان الزركلي رحمه الله قد اجتمع بابن عبيد الله وعرفه واتصل به.. فإنه قد ذكره في عمودين[1].. وما ذاك إلا لأهمية الرجل.. والخواطر تتدافع.. ونسأل الله أن يتقبل منا.. وأن يغفر لنا ما شط به القلم.. والله أعلم.

* * *

(١) «الأعلام»: ٣/٣١٥-٣١٦، وتقع الترجمة في (٤٣) سطراً، في عمود ونصف، وهي طويلة جداً بالنسبة لغيرها من تراجم كبار الأعلام.

رفع المسهم

وصف النسخة الخطية

اعتمدنا في تحقيقِ هـٰذا الكتابِ علىٰ نسخةٍ خَطِّيَّةٍ نفيسةٍ ، بخطِّ المؤَلِّفِ رحمه الله تعالىٰ .

وهي مسوَّدةُ الكتابِ الأَصليَّة ، كانَ رحمَهُ ٱللهُ قد بيَّضَ الكتاب وأَرسله إِلىٰ (مصرَ) ليُطبع هناك . . فلم يُطبَع ولم تُرجع له المبيَّضةُ ، فاضطرَّ رحمه الله تعالىٰ لإِعادةِ النَّظر في المسَوَّدة ـ التي بين أيدينا ـ وإِضافة ما قد فاته ، وتصحيحِ ما أَخطأَ فيه .

وقد ظهر ذلكَ جليّاً بحيثُ كُتِبَتِ ٱلإِضافاتُ بلونٍ مُغايرٍ ، ونجدُه في بعضِ الأَماكنِ قد حكَّ وشطب .

تقع هـٰذه النُّسخةُ في (٥١٦) صفحة ، وسطورها بين (٢٨) و(٣٠) سطراً ، وكلماتُ السَّطرِ بين (١٠) و(١٣) كلمة .

خطها نَسْخي مستعجل ، وضعت أَبيات المتنبِّي الَّتي تخصُّ موضوعاً معيناً يُبنىٰ عليه البحثُ بلونٍ أَحمر .

وقد فَرَغَ من كتابتها في (١٧) جمادى الأُولىٰ (١٣٥٢ هـ) .

وهـٰذه النُّسخة من مقتنيات زوج أَبنة المؤلِّف السَّيِّدِ محسن بن علويٍّ السَّقَّافِ حفظه الله تعالىٰ .

* * *

رفع المسهم

منهج تحقيق الكتاب

ـ نسخُ المخطوطِ .

ـ مقابلةُ المنسوخِ على المخطوطِ .

ـ ترقيمُ الكتابِ ، وترصيعُ أحرُفِهِ بالحركاتِ الإعرابيّةِ ، وضبطُ القافيةِ المشدَّدةِ بشدَّةٍ وسكونٍ (ـْـ) ؛ لتدُلَّ على أنَّ الحرفَ مشدَّدٌ ، مثل : (نبيْ) .

ـ عدمُ فكِّ إدغامَ الحرفِ المشدَّدِ إذا كانَ مِنَ البحرِ المدوَّرِ ؛ الَّذي يكونُ مشترَكاً بينَ آخِرِ الصَّدرِ وأوَّلِ العَجُزِ ، وجعلُ الحرفَ المشدَّد تارةً بآخِرِ الصَّدرِ وتارةً بأوَّلِ العجُزِ .

ـ تقسيمُ الكتابِ إلى فقراتٍ لتسهُلَ مطالعتُهُ .

ـ عنونةُ الكتابَ بعنواناتٍ مناسبةٍ ، وجعلُها على هامشِ الكتابِ .

ـ تخريجُ الآياتِ القرآنيّةَ .

ـ تخريجُ أكثرِ الأحاديثِ النَّبويَّةِ القوليّةِ والفعليّةِ .

ـ ردُّ معظمِ الآثارِ والأخبارِ والقصصِ إلى مظانِّها مِنْ كتبِ الأدبِ والعربيّةِ والتَّاريخِ .

ـ تخريجُ الأشعارِ وإحالتُها إلى دواوينِ قائليها إنْ كانَ الدِّيوانُ متوفِّراً لدينا ، وإنْ لَمْ يكُنْ متوفِّراً . أحلنا إلى أمَّاتِ كتبِ الأدبِ والعربيّةِ .

ـ جعلنا التَّخريجَ ضمنَ متنِ الكتابِ بينَ معكوفتينِ [] ؛ وذلكَ تخفيفاً للكتابِ مِنْ ثِقَلِ الحواشي .

رفع المسهم

ـ بحَّرنا ٱلأَبياتَ ٱلشِّعريَّةَ عقِبَ تخريجها ضمنَ ٱلمعكوفتين .

ـ خرَّجنا أَبياتَ ٱلمتنبِّي مِنْ شرحِ ٱلعُكبَريِّ بذكرِ رقمِ ٱلجزءِ وٱلصَّفحةِ .

ـ جعلنا ٱلأَبياتَ ٱلَّتي جعلَها ٱلمصنِّفُ مطلَعاً لبحثٍ معيَّنٍ في رأسِ صفحةٍ بخطٍّ مغايرٍ .

ـ ميَّزنا كلمَتَي (قالَ ٱلنَّاظِمُ) و(قولُهُ) حيثُ أَرادَ بها ٱلمتنبِّي بحرفٍ مغايرٍ ، تمييزاً لأَشعارِ ٱلمتنبِّي عَنْ أَشعارِ غيرِهِ .

ـ شرحنا ٱلكلماتِ ٱلغامضةَ وٱلمبهمةَ شرحَ مفرداتٍ ، وفي بعضِ الأَحيانِ ذكرنا ٱلمعنىٰ ٱلعامَّ للبيتِ إذا كانَ مبهماً .

ـ أَخذنا مِنْ كتبِ ٱلأَدبِ فنقلنا عنها بعضَ ٱلقصصِ وٱلأَخبارِ ٱلَّتي أَشار إِليها ٱلمؤَلِّفُ ولَمْ يذكُرْها ، أَو ذَكَرَها بٱختصارٍ فكمَّلْناها .

ـ قمنا بإِتمامِ بعضِ ٱلقصائدِ ٱلعذبةِ .

ـ أَضفنا في بعضِ ٱلمواضعِ ما ٱرتأَينا أَنَّ ٱلنَّصَّ لا يقومُ إِلَّا بهِ ، وجعلناهُ بينَ معكوفتينِ [] .

* * *

رفع المسهم

خاتمة

ومعَ الانتهاءِ مِنَ العملِ الدَّؤُوبِ في هٰذا الكتابِ.. لا بُدَّ للإنسانِ مِنْ أَنْ يقفَ وقفتينِ بسيطتينِ :

أَمَّا الأُولىٰ :

فمَعَ اللهِ عزَّ وجلَّ : فأَقولُ :

يا ربِّ.. عقلي عاجزٌ عنِ التَّفكيرِ.. ولساني عاجزٌ عنِ التَّعبيرِ.. وقلمي عاجزٌ عنِ التَّسطيرِ .

فيا إلٰهي وسيِّدي ومولاي.. لكَ الحمدُ علىٰ ما أَنعمتَ بِهِ عليَّ .

أَينَ كانت قُدرتي عندما كنتُ في الحشا ، تطعمني أَنتَ وتسقيني؟!

أَم أَينَ كنتُ عندما تفضَّلتَ عليَّ وهديتني إلىٰ الطَّريقِ الَّذي أَسلكُهُ للوصولِ إليكَ؟!

أَم أَينَ كنتُ عندما تفضَّلتَ وتكرَّمتَ عليَّ وجعلتني مُسلماً؟!

أَم أَينَ كنتُ عندما نوَّرتَ قلبي وهديتني عقلًا أُميِّزُ بِهِ بينَ الخيرِ والشَّرِّ؟!

ما الفضل الَّذي لي علىٰ غيري حتَّىٰ وهبتني كلَّ هٰذهِ النِّعمِ؟!

لا فضلَ لي ، لا حول لي !!

ولٰكنَّهُ كرمُكَ وجودُكَ ومَنُّكَ ، فيا ربِّ تمِّم وأَدِمْ كرمَكَ وجودَكَ وفضلَكَ .

ويا ربِّ.. عرِّفنا نعمكَ بدوامِها ، ولا تعرِّفنا النِّعمَ بزوالها .

لك الحمد والشُّكرُ علىٰ ذلكَ يا ربَّ العالمين .

وأَمَّا الوقفةُ الثانيةُ :

فمَعَ حديثِ سيِّدي رسولِ اللهِ ﷺ حيثُ يقولُ : « مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ.. لَمْ يشْكُرِ اللهَ » .

رفع المسهم

وعليهِ : أَتقدَّمُ بالشُّكرِ لكلِّ مَنْ ساهمَ في إنجازِ هٰذا العملِ الضَّخمِ ، سواءٌ كانَ مِنْ قريبٍ أو مِنْ بعيدٍ .

فأَتقدَّم بالشُّكرِ لوالديَّ اللَّذينِ يسَّرا لي سبيلَ طلبِ العلمِ ، وسهِرا عليَّ اللَّياليَ حتَّىٰ وصلتُ إلىٰ ما وصلتُ إليه .

وأَتقدَّمُ بالشُّكرِ لشيوخي الَّذينَ ربَّوني وأَدَّبوني بأَدبِ الإسلامِ ، جزاهُمُ اللهُ عنِّي كلَّ خيرٍ .

وكذلكَ أَتقدَّمُ بالشُّكرِ للإخوةِ الَّذينَ بذَلوا قُصارىٰ جهدهم لإنجاح هذا العملِ . . ليخرُجَ الكتابُ بأَبهىٰ حُلَّةٍ ، وأَبهجِ مظهرٍ .

وكذلكَ أَتقدَّمُ بالشُّكرِ للجنودِ المجهولينَ الَّذين تعبوا في هٰذا العملِ ، ولا أَخصُّ منهُم أَحداً وأَجرُهُم علىٰ اللهِ .

وفي الختامِ :

إنْ يكُنْ مِنْ خيرٍ . . فمِنَ اللهِ ، وإنْ يكُنْ مِنْ سوءٍ . . فمِنْ نفسي .

ورحمَ اللهُ مَنْ أَهدىٰ إليَّ عيوبي ؛ فالإنسانُ ضعيفٌ ، والمرءُ قويٌّ بأَخيهِ.

وصلواتُ ربِّي وسلامُهُ علىٰ مَنْ قالَ : « كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ ، وَخَيْرُ الخَطَّائِيْنَ . . التَّوَّابُوْنَ » .

ورحمَ اللهُ مَنْ قالَ [مِنَ الطَّويلِ] :

فَلَا بُدَّ مِنْ عَيْبٍ فَإِنْ تَجِدَنَّهُ ... فَسَامِحْ وَكُنْ بِالسَّتْرِ أَعْظَمَ مُفْضِلِ

فَمَنْ ذَا الَّذِيْ مَا سَاءَ قَطُّ وَمَنْ لَهُ ... مَحَاسِنُ قَدْ تَمَّتْ . . سِوَىٰ خَيْرِ مُرْسَلِ

* * *

رفع المسهم

كلمة شكر

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان.. والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان..

وبعد :

ومع الانتهاء من خدمة هٰذا الكتاب.. فهناك مواقف يشعر فيها المرء بأن السكوت كلام وعدم الكتابة كتابة.. فما عسىٰ أن يكتب مثلي بين يدي هذا الكتاب.

وما دفعني للكتابة الآن.. إلَّا تسطير الشكر إلى من شارك في إخراج هٰذا الكتاب وخصوصاً من تفضلوا بقراءة الكتاب قبل الطبع وأفادوا الكتاب بقراءتهم كثيراً تصحيحاً وتعليقاً أَخُصُّ منهم :

الدكتور محمد عبد الرحمن شميلة الأهدل الذي قرأ الكتاب كاملًا جزاه الله خيراً وأخيراً أتحفنا بكلمة قيمة وضعناها أول الكتاب..

وكذلك الدكتور بكري شيخ أمين الذي تفضل بقراءة بعض أجزاء متفرقة من الكتاب جزاه الله خير الجزاء..

وأخيراً.. فإننا نرحب بآراء القراء الكرام وانطباعاتهم.. وحتى انتقاداتهم.. فنحن نريد الخير لأمتنا.. من خلال ما يوفقنا الله لنشره وإظهاره.. ورحم الله من أهدىٰ إلينا عيوبنا.. ونسأل الله أن يتقبلنا وأن يتقبل أعمالنا وأن يجعلها شاهدة لنا لا شاهدة علينا.

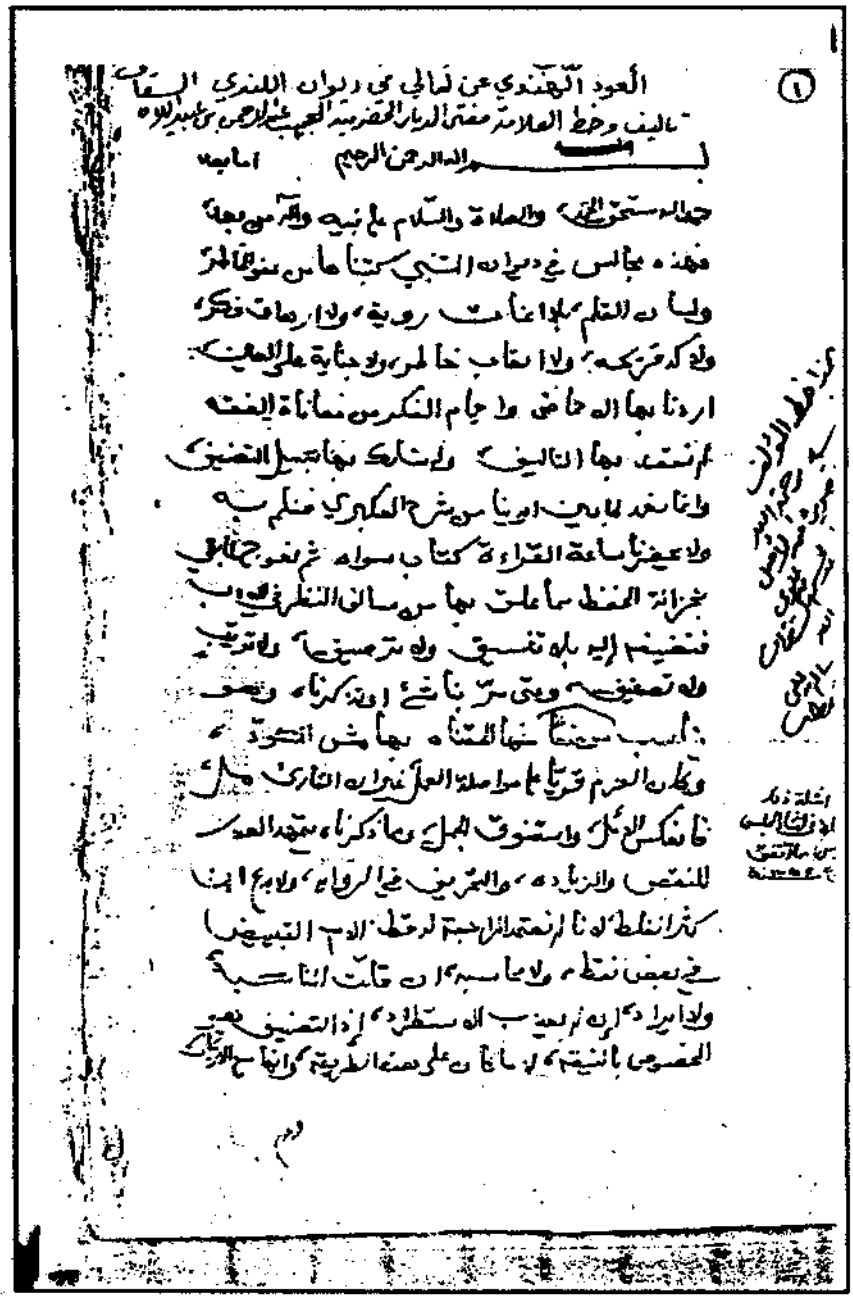
وإلى صفحات الكتاب..

الناشر

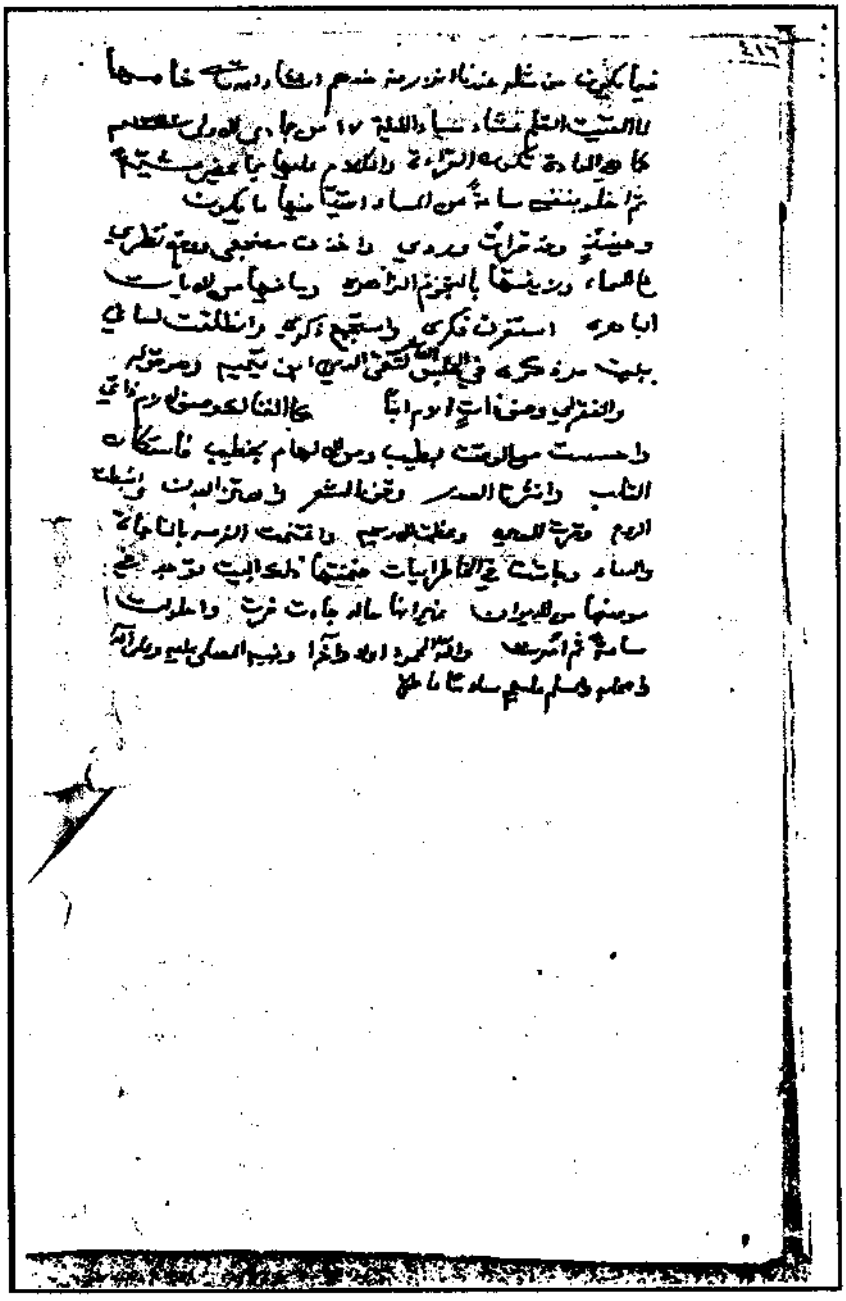
رفع المسهم

صورة المخطوطة المستعان بها

رفع المسهم



راموز الورقة الأولى من النسخة الخطية



راموز الورقة الأخيرة من النسخة الخطية

العُودُ الهِنديّ

عن أمالي في ديوان الكِنديّ

مجالس أدبية في ديوان المتنبي

تأليف

علامة حضرموت ومفتيها

السيد عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف

رحمه الله تعالى

رفع المسهم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

[مقدمة المؤلف]

أَمَّا بعدُ :

حمداً للهِ مستحِقِّ الحمدِ ، والصلاةُ والسلامُ علىٰ نبيِّهِ وآلِهِ مِنْ بعدِ .

فهـٰذِهِ مجالسُ في « ديوانِ المتنبِّي » ، كتبناها مِنْ عفوِ الخاطِرِ ، ولسانِ القلمِ ، بلا إعناتِ رويَّةٍ ، ولا إرهاقِ فِكْرٍ ، ولا كَدِّ قريحةٍ ، ولا إتعابِ خاطِرٍ ، ولا جنايةٍ علىٰ العينِ ، أَردنا بها الإحماضَ[1] وإجمامَ الفِكْرِ[2] مِنْ معاناةِ الفقهِ ، لَمْ نقصِد بها التأْليفَ ، ولَمْ نسلُكْ بها سبيلَ التصنيفِ ، وإنَّما نعمِدُ لِمَا بينَ أَيدينا مِنْ « شَرحِ العُكْبَريِّ »[3] ، فنُلِمُّ بهِ ، ولا يحضرُنا ساعةَ القراءةِ كتابٌ سواهُ ، ثمَّ

---

(١) الإحماضُ : الإفاضةُ فيما يُؤنِسُ منَ الكلام والأخبار لما فيها من مُلَحٍ وحكايات .

(٢) إجمام الفكر : إراحتهُ وصلاحهُ ونشاطهُ .

(٣) العُكْبَريُّ : هو أبو البقاء عبد الله بن الحسين، العُكْبَريُّ الأصلِ، البغداديُّ المولد والدار النحوي الضرير. و(عُكْبَرا) التي ينسب إليها بُليدة على (دجلة).. ولد سنة(٥٣٨ هـ) ، وتوفي سنة (٦١٦ هـ) بـ (بغداد) .

قرأ علوم الدين والعربية على كبار مشيخة عصره بـ(بغداد).. حتى حاز السبق في العربية والفقه الحنبلي والحساب والفرائض وصار فيها من الرؤساء المتقدمين، كان ثقة صدوقاً، غزير الفضل، كثير المحفوظ، حسن الخلق، متواضعاً، رقيق القلب، ومؤلفاته زادت على الأربعين منها : «إملاء ما من به الرحمن في إعراب وجوه القراءات في القرآن» و«إعراب الحديث» و«شرح =

رفع المسهم

نَعُوجُ لِمَا بقيَ بِخزانةِ الحِفظِ ، ممَّا عَلِقَ بها مِنْ سالفِ النظرِ في الأَدبِ، فنضيفُهُ إليهِ بلا تنسيقٍ ولا ترصيفٍ، ولا ترتيبٍ ولا تصفيفٍ، ومتىٰ مرَّ بنا شيءٌ أَو تذكَّرناهُ ـ وهوَ يُناسِبُ موضعاً منها ـ أَلحقناهُ بهامشِ المسوَّدَةِ[1].

مِنْ أَمثلةِ ذلكَ : ما ذكرناهُ في أَثناءِ المجلسِ السادسِ ، ممَّا أَتَّفقَ لنا بـ(مِنىً) ، سنةَ (١٣٥٤هـ) ، وكانَ العزمُ قويّاً علىٰ مواصلةِ العملِ ، غيرَ أَنَّ القارىءَ ملَّ ، فأَنعكسَ الأَملُ ، وأَستنوقَ الجَمَلُ[2] ، وممَّا ذكرناهُ يتمهَّدُ العذرُ للنقصِ والزيادةِ ، والتحريفِ في الروايةِ[3] ، ولا بدعَ إِنْ كَثُرَ الغلطُ ؛ لأَنَّا لَمْ نعتمدِ المراجعةَ لَهُ قطُّ ، إِلاَّ معَ التبييضِ في بعضِ نقطٍ ، ولا محاسبةَ إِنْ قلَّتِ المناسبةُ ، ولا إِيرادَ إِنْ لَمْ يعذُبِ الاستطرادُ ؛ إِذِ التصنيفُ هوَ

= ديوان المتنبي» المسمىٰ : «التبيان في شرح الديوان»، وهي المعتمدة من المؤلِّف ومن فريق التحقيق في ضبط شعر المتنبي. . وبالله التوفيق.

(١) المُسوَّدةُ: الصحيفةُ تكتبُ أَوَّلَ كتابةٍ، ثُمَّ تُنَقَّحُ وتُحرَّرُ وتُبيَّض، وسُمِّيت : مسوَّدةً؛ لأَنَّ الكاتبَ يُسوِّدُها بالشطبِ هنا مرَّةً وهناكَ مرَّةً أُخرىٰ إلى أن يستقرَّ بهِ الأَمرُ فينقلُها علىٰ صحيفةٍ أُخرىٰ تسمَّىٰ : (المُبيَّضَةَ).

(٢) أَستنوقَ الجملُ : أَي صارَ كالناقةِ ، مثلٌ يُضرَبُ للرجلِ يكونُ في حديثٍ أَو صفةِ شيءٍ ثُمَّ يَخلِطُهُ بغيرِه وينتقلُ إليه .
وأَصلُهُ : أَنَّ طرفةَ بنَ العبدِ كانَ عندَ بعضِ الملوكِ ، والمُسَيَّبُ بنُ عَلَسٍ ينشدُهُ شعراً في وصفِ جَمَلٍ ، ثُمَّ حوَّلَهُ إلى وصفِ ناقةٍ ، فقالَ طرفةُ : (قد أَستنوقَ الجملُ) .

(٣) وبتوفيق الله تعالىٰ فقد عدنا إلىٰ غالب المصادر، وضبطنا النُّصوص ما أَمكنَ، وإذا أَقتضىٰ الحال أوردنا من المصدر ما يُحقِّق به قصد القصَّةِ، أو الأَبيات، أو المناسبة. . وسيرىٰ القارىء الكريم ذلك في ثنايا الكتاب . اهـ الناشر.

رفع المسهم

المخصوصُ بالنِّيْقَةِ[1] ، لا ما كانَ علىٰ هـٰذِهِ الطريقةِ ، وإنَّها معَ الارتجالِ ، وعدمِ الاتِّساعِ في المجالِ . . لَوعاءُ طُرَفٍ وأَدبٍ ، ونُكَتٍ ونُخَبٍ ، وجِدٍّ وهَزلٍ ، ووقشٍ وجَزلٍ[2] ، وما ذاك بقليلٍ مِنْ مثلي علىٰ كثرةِ إضاعتِهِ ، وقلَّةِ بضاعتِهِ[3] .

وقد بيَّضتُها لولدي حَسَنٍ ـ باركَ اللهُ فيهِ ، وفي إخوانِهِ وأَبيهِ ـ رجاءَ أَنْ تكونَ لَهُ فاتحةَ تهذيبٍ ، ولائحةَ تأْديبٍ ، وسميراً وجليساً ، وخليطاً وأَنيساً ، ولئنِ اتَّخذَها نجيًّا . . فلن يكونَ بها شقيًّا ؛ إذْ هيَ أَيسرُ مؤونةً ، وأَكثرُ معونةً ، وأَخفُّ روحاً ، وأَكثرُ فتوحاً ، وأَجملُ قشرةً ، وأَحسنُ عِشرةً مِنْ أُولـٰئكَ الخُلطاءِ ، الذينَ ما منهم إلاَّ مَنْ غُذِيَ مِنَ اللُّؤْمِ بِلَبَانٍ ، وحضرَ شرُّهُ في كلِّ إِبَّانٍ[4] ، واللهُ الموفِّقُ والمستعانُ[5] .

* * *

---

(١) النِّيْقَةُ ، يقالُ : تَنَوَّق فلانٌ في مَطعمِهِ وملبسِهِ وأُمورِهِ : إذا تجوَّدَ وبالغَ ، والنِّيقُ : أَرفعُ موضعٍ في الجبل .

(٢) الوَقْشُ : صغارُ الحطبِ الذي تُشَبَّعُ بهِ النارُ ، والجزلُ : ما عَظُمَ مِنَ الحطبِ ويَبِسَ . والمرادُ : أَنَّها حوت من أَنواعِ الكلامِ سَهْلِهِ وصَعْبِهِ .

(٣) هذا من تواضعه رحمه الله تعالى ، وإلا فإنه قلَّ في المتأخرين مثله جمعاً وحفظاً .

(٤) إِبَّانٌ : إِبَّانُ الشيءِ ـ بالكسرِ والتشديدِ ـ : وَقْتُهُ .

(٥) وردَ في ذيل صفحة المخطوطِ : (تنبيهٌ : كنتُ بيضتُ هـٰذِهِ « الأمالي » ، حَسَبَما ذكرتُ في الخُطبةِ ، ثمَّ بعثتُ بها إلىٰ (مصرَ) ؛ لتطبعَ بمعرفةِ الفاضلَينِ الشيخينِ : أَحمدَ باغفَّارٍ ، وعليٍّ باكثيرٍ ، فلم يتيسَّرِ الطبعُ ، ولم يرجعِ الكتابُ ، فاحتجتُ إلىٰ استئنافِ العنايةِ ، معَ إعادةِ النظرِ في المراجعِ ؛ إذْ كانتْ حاضرةً بخلافِها عندَ الأَوَّلِ ، فجاءَ وفيهِ نقصٌ وفضلٌ ، وصحَّةُ روايةٍ ونضلٌ ـ أي : ضعف ـ فليُعلَمْ ذٰلِكَ ، وباللهِ التوفيقُ) .

رفع المسهم

المجلس الأوّل

[قالَ أبو الطيِّبِ المتنبِّي في « العُكْبَريِّ » ٢/ ٢٧٩ مِنَ الخَفيفِ] :

بِأَبِي مَنْ وَدِدْتُهُ فَافْتَرَقْنَا	وَقَضَىٰ اللهُ بَعْدَ ذَاكَ اجْتِمَاعَا
فَافْتَرَقْنَا حَوْلاً وَلَمَّا الْتَقَيْنَا	كَانَ تَسْلِيمُهُ عَلَيَّ وَدَاعَا

حلاوة اللقاء كمر النسيم

يقولُ : أفدي بوالدِي الحبيبَ الذي ودِدْتُهُ فافترقنا ، وقضىٰ اللهُ الاجتماعَ بعدَ ذلكَ الافتراقِ ، غيرَ أنَّها لَمْ تطُلْ مدَّةُ الاجتماعِ الثاني ، بل كانت متَّصلةً بالوداعِ .

دفع العتاب عن المتنبي

ولا معابةَ عليهِ في الاقتصارِ علىٰ أبيهِ لتفديةِ محبوبهِ ؛ لأنَّ العذرَ ممهَّدٌ بضيقِ الوزنِ ، وإلاَّ فقد جمعَ رسولُ اللهِ ﷺ لسعدٍ ما بينَ أبويهِ الشريفينِ في يومِ أُحُدٍ ، فقالَ لهُ : « ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي »[1] .

جواز التفدية

ومنهُ أخَذَ النواويُّ في « أذكارِهِ » [ص/ ٥٨٧] أنْ لا بأسَ أنْ يقولَ الإنسانُ لآخَرَ : جُعِلتُ فِداكَ ، أو فِداكَ أبي وأُمِّي ، ولولا كثرةُ الأدلَّةِ فيهِ . . لكانَ قياساً معَ الفارقِ ، غيرَ أنَّ الأصلَ عدمُ الخصوصيَّةِ ، كما في « الفتح » [١٠/٥٦٩] ، وقدِ استوعبَ ما فيهِ مِنَ

(١) أخرجَهُ البخاريُّ (٢٩٠٥) ، ومسلمٌ (٢٤١١) .

رفع المسهم

ٱلأَدلَّةِ ٱبنُ أَبي عاصمٍ[1] في أَوَّلِ كتابِهِ : « آدابُ الحكماءِ »[2] وجزمَ بجوازِ ذلكَ .

رد دليل منع التفدية

ولا حجَّةَ علىٰ المنعِ ، فيما رواهُ مباركُ بنُ فَضَالَةَ[3] : أَنَّ ٱلزبيرَ دخلَ علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ وهوَ شاكٍ ، فقالَ : كيفَ تجدُكَ جَعلَني اللهُ فِداكَ؟ فقالَ : « مَا تَرَكْتَ أَعْرَابِيَّكَ بَعْدُ »[4] ؛ لأَنَّهُ لا يقاومُ الأَحاديثَ الصحيحةَ[5] ، ولأَنَّهُ ليسَ فيهِ تصريحٌ بٱلمنعِ . وغايةُ ما فيهِ الإشارةُ إِلىٰ تركِ الأَولىٰ فيما يليقُ بمخاطبةِ المريضِ .

وقدْ ترجمَ البخاريُّ باباً للتفديةِ[6] .

وقوع العتاب على المتنبي

وإِنَّما المعتبَةُ علىٰ الناظمِ مِنْ حيثُ اللفظُ :

أَوَّلاً : في تكريرِهِ (أَفترقنا) في البيتينِ بصيغةٍ واحدةٍ مِنْ غيرِ كبيرِ فائدةٍ ، فإِنَّهُ لا يَسلَمُ مِنَ ٱلاستثقالِ والكراهةِ .

كراهة التكرار

متى يكون العطف قبيحاً

وثانياً : في عطفِهِ لفظةَ (أَفترقنا) مِنَ ٱلبيتِ الثاني علىٰ ما قبلَها ، معَ أَنَّها مسوقةٌ للتفسيرِ ، والواجبُ الفصلُ حينئذٍ ، كما

---

(١) هو أحمد بن عمرو بن الضحاك الحافظ الكبير المتوفى سنة : (٢٨٧ هـ) .

(٢) أحد مصنفاته التي تزيد على الثلاث مئة .

(٣) أي : عن الحسن كما في «الفتح» .

(٤) « فتح الباري » (١٠/ ٥٦٩) .

(٥) كقولِ سيِّدنا أَبي طلحة عندما عثَرتْ بالنبيِّ ﷺ ناقتُهُ : (يا نبيَّ اللهِ ، جعلني اللهُ فداكَ ، هَلْ أَصابَكَ مِنْ شيءٍ) عند البخاريِّ (٦١٨٥) ، وكقولِ سيِّدنا أبي بكر للنبيِّ ﷺ : (بِأَبي أَنْتَ وأُمِّي طِبْتَ حيّاً وميتاً) عند البخاريِّ (٣٦٦٧) وغيرِه ممّا يصعبُ حصرُهُ .

(٦) انظر «صحيح البخاريِّ» ، كتابَ الأَدبِ ، ١ـ بابُ قولِ الرجلِ : فِداكَ أَبي وأُمِّي (١٠٣) . ٢ـ بابُ قولِ الرجلِ : جعلني اللهُ فِداكَ (١٠٤) .

رفع المسهم

في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ ﴾ [طه : ١٢٠] .

أو قولِهِ ـ تقدَّستْ أسماؤُهُ ـ : ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ * ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا ﴾ [يس : ٢٠ـ٢١] .

وإنَّما وَجَبَ الفصلُ ؛ لأنَّ العطفَ يقتضي التغايُرَ الكُلِّيَّ بينَ المُتعاطفَينِ ، وليسَ بالموجودِ .

روعة التكرار في مكانه

وقد وقعَ في نظيرِهِ مِنَ التَّكرارِ أمرؤُ القيسِ ، لكنْ معَ السلامةِ مِنْ مذمَّةِ الوصلِ في غيرِ محلِّهِ ، وذلكَ حيثُ يقولُ [في « ديوانه » ٨٧ مِنَ الطَّويلِ] :

تَقَطَّعُ أَسْبَابُ ٱللُّبَانَةِ وَٱلْهَوَىٰ عَشِيَّةَ جَاوَزْنَا حَمَاةَ وَشَيْزَرَا[1]
عَشِيَّـةَ جَـاوَزْنَـا حَمَـاةَ وَشَيْـزَرَا أَخُوْ ٱلْجَهْدِ لاَ يَلْوِيْ عَلَىٰ مَنْ تَعَذَّرَا

كثرة التفدية عند المتنبي

وقدْ أكثرَ الناظمُ في « ديوانِهِ » مِنَ التفديةِ ؛ فمنها قولُهُ [في « العُكْبَريِّ » ٢/ ٣٨٠ مِنَ البسيطِ] :

[لَبَّيْ نَدَاكَ لَقَدْ نَادَىٰ فَأَسْمَعَنِيْ] يَفْدِيْكَ مِنْ رَجُلٍ صَخْبِيْ وَأَفْدِيْكَا

وقولُهُ [في « العُكْبَريِّ » ٢/ ٣٨٥ مِنَ الوافرِ] :

فِدىً لَكَ مَنْ يُقَصِّرُ عَنْ مَدَاكَا فَـلاَ مَلِـكٌ إِذَنْ إِلاَّ فَـدَاكَـا

وقولُهُ [في « العُكْبَريِّ » ٣/ ١٠٨ مِنَ الطويلِ] :

فَدَتْكَ مُلُوْكٌ لَمْ تُسَمَّ مَوَاضِياً فَإِنَّكَ مَاضِيْ ٱلشَّفْرَتَيْنِ صَقِيْلُ[2]

---

(١) اللُّبَانَةُ : الحاجة من غير فاقة ، ولكن من نهمة . حماة وشيزر : بلدان معروفان في بلاد الشام.

(٢) المعنىٰ : فدتكَ ملوكٌ ، تروم مشابهتَكَ ، ولم تسمَّ سُيوفاً مَواضِيَ ، فتماثلَكَ =

رفع المسهم

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ١/٣١٨ مِنَ الخفيفِ] :

فَاسْقِنِيهَا فِدىً لِعَيْنَيْكَ نَفْسِيْ مِنْ غَزَالٍ وَطَارِفِيْ وَتَلِيْدِيْ[1]

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٤/٣٨ مِنَ البسيطِ] :

رُوَيْدَ حُكْمَكِ فِينَا غَيْرَ مُنْصِفَةٍ بِٱلنَّاسِ كُلِّهِمِ أَفْدِيكِ مِنْ حَكَمِ

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٢/١٥٥ مِنَ الطويلِ] :

مُفَدّىً بِآبَاءِ ٱلرِّجَالِ سَمَيْدَعاً هُوَ ٱلْكَرَمُ ٱلْمَدُّ ٱلَّذِيْ مَا لَهُ جَزْرُ[2]

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٢/٢٨٦ مِنَ الطويلِ] :

يُفَدُّوْنَهُ حَتَّىٰ كَأَنَّ دِمَاءَهُمْ لِجَارِيْ هَوَاهُ فِيْ عُرُوْقِهِمُ تَقْفُوْ[3]

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ١/١٨٦ مِنَ الطويلِ] :

وَأَيُّ قَبِيْلٍ يَسْتَخِفُّكَ قَدْرُهُ مَعَدُّ بْنُ عَدْنَانٍ فِدَاكَ وَيَعْرُبُ

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٤/٥٥ مِنَ الطويلِ] :

فِدىً مَنْ عَلَىٰ ٱلْغَبْرَاءِ أَوَّلُهُمْ أَنَا لِهَٰذَا ٱلأَبِيِّ ٱلْمَاجِدِ ٱلْجَائِدِ ٱلْقَرْمِ[4]

= في أسمكَ ، وتعادِلَكَ في قدرتِكَ ؛ فإنَّكَ السيفُ أسماً وحقيقةً وتلقُّباً ، وحدُّكَ ماضي الشفرتينِ ، صقيلُ الصفحتينِ .

(١) الطريفُ : ما استُحدثَ عندكَ مِنْ مالٍ . والتليدُ : ما كان عن إرث من الآباء . وبينهما طباق .

(٢) السَّمَيْدَعُ : السيدُ الكريمُ ، والجمعُ : سَمَادعُ . المدُّ : زيادةُ الماءِ . الجزرُ : نقصانُهُ .

(٣) والمعنى : أنَّهم من محبَّتهم لهُ يُفدُّونَهُ ، فكأنَّ هواهُ جرىٰ أوَّلاً في عروقِهم قبلَ الدمِ ، ثمَّ تبعَهُ الدَّمُ .

(٤) الجائدُ : الفاعلُ ، مِنْ جادَ يجودُ . القِرمُ : السَّيِّدُ .

رفع المسهم

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٤/ ٩١ مِنَ الطويلِ] :

فَعِشْ لَوْ فَدَىٰ ٱلْمَمْلُوكُ رَبًّا بِنَفْسِهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ لَمْ تُفْقَدْ وَفِي ٱلأَرْضِ مُسْلِمُ

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٤/ ١٣٧ مِنَ الطويلِ] :

فِدىً لأَبِي ٱلْمِسْكِ ٱلْكِرَامُ فَإِنَّهَا سَوَابِقُ خَيْلٍ يَهْتَدِينَ بِأَدْهَمِ

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ١/ ٥٦ مِنَ الطويلِ] :

فَدَيْنَاكَ مِنْ رَبْعٍ وَإِنْ زِدْتَنَا كَرْبَا [فَإِنَّكَ كُنْتَ ٱلشَّرْقَ لِلشَّمْسِ وَٱلْغَرْبَا]

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ١/ ٤٧ مِنَ الطويلِ] :

فَدَيْنَاكَ أَهْدَىٰ ٱلنَّاسِ سَهْماً إِلَىٰ قَلْبِيْ وَأَقْتَلَهُمْ لِلسَّارِعِيْنَ بِلاَ حَرْبِ[1]

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ١/ ٧٠ مِنَ الطويلِ] :

أَلاَ مَا لِسَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْيَوْمَ غَاضِبَا فَدَاهُ ٱلْوَرَىٰ أَمْضَىٰ ٱلسُّيُوْفِ مَضَارِبَا

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ١/ ٩١ مِنَ البسيطِ] :

وَلَيْتَ عَيْنَ ٱلَّتِيْ آبَ ٱلنَّهَارُ بِهَا فِدَاءُ عَيْنِ ٱلَّتِيْ آبَتْ وَلَمْ تَغِبِ[2]

---

(١) المعنى: فديتك يا أقصد العالمين سهماً إلى قلبي، يا من عينه تصيب بلحظها ولا تخطىء، ويا أقتل الناس لأهل الدروع من غير حرب.

(٢) هكذا في «المخطوطِ»، ويكونُ المعنى على هذهِ الروايةِ: ليتَ عينَ الشَّمسِ فداءُ عينِ هذهِ المرأةِ الَّتي رَجعت ولم تَغِبْ.
ولكن في «الديوانِ»:
وَلَيْتَ عَيْنَ ٱلَّتِيْ آبَ ٱلنَّهَارُ بِهَا فِدَاءُ عَيْنِ ٱلَّتِيْ زَالَتْ وَلَمْ تَؤُبِ
فيكونُ المعنى على هذهِ الروايةِ: ليتَ عينَ الشَّمسِ فداءُ عينِ هذهِ المرأةِ التي فارقت ولم تَعُدْ.
ولعلَّهُ هوَ الصوابُ؛ لأنَّ القصيدةَ قالها المتنبيُّ في رثاءِ أُختِ سيفِ الدولةِ عندما توفِّيت. واللهُ أعلمُ.

رفع المسهم

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ١/ ١٢٢ مِنَ الكاملِ] :

بِأَبِيْ ٱلشُّمُوْسُ ٱلْجَانِحَاتُ غَوَارِبًا ٱلـلاَّبِسَـاتُ مِـنَ ٱلْحَـرِيْـرِ جَـلاَبِبَـا

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ١/ ١٦٩ مِنَ الطويلِ] :

أَفْـدِيْ ظِبَـاءَ فَـلاَةٍ مَـا عَـرَفْـنَ بِهَـا مَضْغَ ٱلْكَلاَمِ وَلاَ صَبْغَ ٱلْحَوَاجِيْبِ[1]

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٢/ ١٨٨ مِنَ البسيطِ] :

يَفْدِيْ بَنِيْكَ ـ عُبَيْدَ ٱللهِ ـ حَاسِدُهُمْ بِجَبْهَةِ ٱلْعَيْرِ يُفْدَىٰ حَافِرُ ٱلْفَرَسِ[2]

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٢/ ٢٠٢ مِنَ الكاملِ] :

لَوْ جَادَتِ ٱلدُّنْيَا فَدَتْكَ بِأَهْلِهَا [أَوْ جَاهَدَتْ كُتِبَتْ عَلَيْكَ حَبِيْسَا][3]

وغيرُ ذلكَ .

التفدية عند البحتري

ويعجبُني قولُ البُحتريّ [في « ديوانِهِ » ١/ ٣٤ مِنْ مجزوءِ الكاملِ] :

نَفْسِـــيْ فِـــدَاؤُكَ إِنَّ حَـــظِّـــيَ كَـوْنُ نَفْسِـيَ فِـيْ فِـدَائِـكْ

وقولُهُ [في « ديوانِهِ » ٢/ ٧٥٦ مِنَ الطويلِ] :

بِـأَنْفُسِنَـا ، لاَ بِـالطَّـوَارِفِ وَٱلتِّلْـدِ نَقِيْكَ ٱلَّذِيْ تُخْفِيْ مِنَ ٱلشَّكْوِ أَوْ تُبْدِيْ

بِنَا ـ مَعْشَرَ ٱلْعَافِيْنَ ـ مَا بِكَ مِنْ أَذىً فَإِنْ أَشْفَقُوْا مِمَّا أَقُوْلُ فَبِيْ وَحْدِيْ

---

(١) يريدُ : تفضيلَ العربيّاتِ ، وأَنَّهُنَّ فصيحاتٌ لا يمضغنَ الكلامَ ، ولا يصبِغْنَ حواجبهنَّ كعادةِ نساءِ الحَضَرِ .

(٢) العَيْرُ : الحمار .

(٣) المعنىٰ : لو كانتِ الدُّنيا ذاتَ جودٍ وكرمٍ . . لفدتكَ بأَهلِها ، وأَبقتكَ خالداً . ولو كانَت غازيةً مجاهدةً . . لكانت وَقفاً عليكَ .

رفع المسهم

فداء كثير لعبد العزيز بن مروان

ودخلَ كُثَيِّرُ عزَّةَ يعودُ عبدَ العزيزِ بنَ مروانَ ، فقالَ [في « ديوانهِ » ٣١١ مِنَ الكاملِ] :

وَنَعُودُ سَيِّدَنَا وَسَيِّدَ غَيْرِنَا ... لَيْتَ ٱلتَّشَكِّيْ كَانَ بِٱلْعُوَّادِ

لَوْ كَانَ يُقْبَلُ فِدْيَةٌ لَفَدَيْتُهُ ... بِٱلْمُصْطَفَىٰ مِنْ طَارِفِيْ وَتِلَادِيْ[1]

فداء قس بن ساعدة لأخويه

وقبلَ ذلكَ يقولُ قُسُّ بنُ ساعدةَ في رثاءِ أَخويهِ ـ اللَّذينِ بُنِيَ لهُ مسجدٌ بجوارِ قبريهما يترهَّبُ فيهِ ـ مِنْ جملةِ أَبياتٍ [كما في « الأغاني » ٢٣٨/١٥ مِنَ الطويلِ] :

فَلَوْ جُعِلَتْ نَفْسٌ لِنَفْسٍ وِقَايَةً ... لَجُدْتُ بِنَفْسِيْ أَنْ تَكُوْنَ فِدَاكُمَا[2]

فداء متمم لأخيه

وقالَ متمِّمٌ [مِنَ الطويلِ] :

فَلَوْ أَخَذَتْ مِنِّيْ ٱلْمَنِيَّةُ أَنْفُسِيْ ... فَدَيْتُكَ مِنْهَا بِٱلسَّوَامِ وَبِٱلأَهْلِ[3]

---

(١) المصطفىٰ: المختار والمصفَّىٰ.

(٢) قالَ رجلٌ : يا رسولَ اللهِ ، لقد رأَيتُ مِن قسٍّ عجباً ، قالَ : « وَمَا رَأَيْتَ ؟ » قالَ: بَينا أَنا بجبلٍ يقالُ لهُ : سِمعانُ في يومٍ شديدِ الحرِّ . . إذا أَنا بقسِّ بنِ ساعدةَ تحتَ ظلِّ شجرةٍ عندَ عينِ ماءٍ ، وعندهُ سباعٌ ، كلَّما زأَرَ سبعٌ مِنها علىٰ صاحبِهِ . . ضربَهُ بيدِهِ ، وقالَ : كُفَّ حتَّىٰ يشربَ الذي وردَ قبلكَ ، قالَ : ففزعتُ ، فقالَ : لا تَخف .

وإذا أَنا بقبرينِ بينَهما مسجدٌ ، فقلتُ لهُ : ما هٰذانِ القبرانِ ؟ قالَ : هٰذانِ قَبرا أَخوَينِ كانا لي فماتا ، فاتَّخذتُ بينَهما مسجداً أَعبدُ اللهَ جلَّ وعزَّ فيهِ حتَّىٰ ألحقَ بِهما ، ثمَّ ذكرَ أَيَّامَهما ، فبكىٰ عليهما ، ثم أَنشأَ يقولُ :

خَلِيْلَيَّ هُبَّا طَالَمَا قَدْ رَقَدْتُمَا ... أَجِدَّكُمَا لاَ تَقْضِيَانِ كَرَاكُمَا

أَلَمْ تَعْلَمَا أَنِّيْ بِسِمْعَانَ مُقْرَرٌ ... وَمَا لِيَ فِيْهِ مِنْ حَبِيْبٍ سِوَاكُمَا

القصيدةَ. فقالَ النبيُّ ﷺ: «يَرْحَمُ اللهُ قُسّاً، إِنِّيْ لأَرْجُوْ أَنْ يُبْعَثَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ أُمَّةً وَحْدَهُ» .أخرجه ضمن حديث طويل ابن شاهين عن ابن عباس رضي الله عنهما، كما ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالىٰ في ترجمة قسٍّ من «الإصابة» (٥/٢٨٦).

(٣) السَّوَامُ والسَّائِمُ بمعنىً : وهوَ المالُ الراعي اهـ .

رفع المسهم

التفدية عند الصوفية

وكم في التفديةِ الواقعيةِ مِنْ حكاياتٍ جاءَتْ عنِ السادةِ الصوفيَّةِ بسلاسلِ الذهبِ مِنَ الأسانيدِ ، لا أُطيلُ بذكرِها ، معَ إيماني بها ولله الحمدُ .

فداء آدم لداوود

ويزيدُني طُمأنينةً ما أخرجَهُ الحاكمُ [في « المستدرك » ٢/٣٢٥] علىٰ شرطِ مُسلمٍ ، وصحَّحهُ ، وأقرَّهُ الذهبيُّ : (أنَّهُ لَمَّا عُرِضتْ علىٰ آدمَ ذرِّيَّتُهُ . . أعجَبَهُ وبيصُ[1] ما بينَ عَينَي داوودَ ، فسألَ عن عُمُرِهِ ، فقيلَ : ستُّونَ سنةً ، فقالَ : يا ربِّ ، زدهُ مِنْ عُمُري أربعينَ ، فقالَ اللهُ عزَّ وجلَّ : إذاً يُكتَبُ ويُختَمُ ، فلا يُبدَّلُ ، فلمَّا انقضىٰ عُمُرُ آدمَ . . جاءَهُ مَلَكُ الموتِ يقبِضُ روحَهُ ، فقالَ : أوَلَمْ يبقَ مِنْ عُمُري أربعونَ ؟ فقالَ لهُ : أوَلَمْ تجعَلْها لابنِكَ داوودَ ؟! قالَ : فَجَحَدَ . . فجحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ ، ونسيَ . . فنسيَتْ ذُرِّيَّتُهُ ، وخَطِيءَ . . فخطِئَتْ ذرِّيَّتُهُ) .

فداء زيد بن الدثنة للنبي ﷺ

وممَّا يتَّصلُ بهِ : أنَّ قريشاً لَمَّا قَدِمَتْ بزيدِ بنِ الدَّثِنَّةِ للقتلِ . . قالَ لهُ أبو سفيانَ : أنشُدُكَ اللهَ يا زيدُ ، أتحبُّ أنَّ مُحَمَّداً عندَنا الآنَ تُضرَبُ عنقُهُ مكانَكَ ، وأنتَ في أهلِكَ ؟ قالَ : لا واللهِ ، ما أُحبُّ أنَّ مُحَمَّداً في مكانِهِ تصيبُهُ شوكةٌ تؤذيهِ ، وإنِّي جالسٌ في أهلي ، ثمَّ قتلوهُ[2] .

---

(١) وَبيصُ : بريقُ .

(٢) قصَّةُ سيِّدنا زيدِ بنِ الدَّثِنَّةِ معَ قريشٍ يومَ الرجيعِ أخرجها البخاريُّ في « صحيحه » (٣٠٤٥) ، أمَّا سؤالُ أبي سفيانَ لزيدٍ وجوابُهُ لهُ . . فأخرجهُ ابن إسحاقَ في « المغازي » ، كما في « سيرة ابن هشامٍ » (٣/ ١٧١) .

رفع المسهم

نماذج من فداء الصحابة له

وقد وقاهُ ﷺ سبعةٌ مِنَ ٱلأنصارِ يومَ أُحُدٍ ، حتَّىٰ رُزِقُوا الشهادَةَ أجمعينَ[1] .

ووقاهُ أيضاً عليهِ [الصَّلاةُ] والسَّلامُ طلحةُ بنُ عُبيدِ اللهِ يومئذٍ ، حتَّىٰ شَلَّتْ يدُهُ[2] .

وما زالتِ ٱلصحابةُ ـ رضوانُ ٱللهِ عليهم ـ تقولُ لهُ عليهِ السلامُ : نحورُنا دونَ نحرِكَ ، وصدورُنا دونَ صدرِكَ[3] .

وفداهُ عليٌّ ٱبنُ أبي طالبٍ ـ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ ـ بنفسِهِ ليلةَ الهجرةِ ، وباتَ معَ ذلكَ رخيَّ البالِ ، متلفِّعاً ببُردِهِ علىٰ فراشِهِ ، حتَّىٰ يُروىٰ أنَّ اللهَ جَلَّ شأنُهُ باهىٰ بهِ الملائكةَ .

وقدْ أخذَ مِنْ هٰذا الفضلِ بالنصيبِ الأوفىٰ الصِّدِّيقُ ، ليالِيَ الهجرةِ والغارِ .

وكانَ أبو طالبٍ يفديهِ ببنيهِ ، كلَّما نامَ بادلَهُ بأحدِ أبنائِهِ في مرقدِهِ ، طيلةَ ليالي الشِّعبِ .

الأيام الحلوة تمر مسرعة عند المتنبي

ثُمَّ إنَّ معنىٰ الشطرِ الأخيرِ مِنَ البيتينِ متكرِّرٌ في « ديوانِ الناظمِ » ، فمنهُ قولُهُ [في « المُكْبَرِيِّ » ٢/ ٢٣٨ مِنَ الطويلِ] :

فَمَا جَلَسَتْ حَتَّىٰ ٱنْثَنَتْ تُوْسِعُ ٱلْخُطَا ... كَفَاطِمَةٍ عَنْ دَرِّهَا قَبْلَ تُرْضِعُ[4]

---

(١) ذكرَ ٱبنُ سعدٍ في « الطبقات » (٢/ ٤٢) بإسنادِهِ أنَّ العصابةَ التي ثبتَتْ مع النبيِّ أربعةَ عشرَ رجلاً ؛ سبعةٌ مِنَ المهاجرينَ فيهم أبو بكرٍ الصديقُ رضيَ اللهُ عنهُ ، وسبعةٌ منَ الأنصارِ .

(٢) أخرجَ الخبرَ البخاريُّ (٣٨١١) .

(٣) ذكرَ ذلكَ البخاريُّ (٣٨١٢) .

(٤) أي: هي في سرعةِ توديعِها كَمَن فطمت ولدَها قبلَ أنْ تُرضعَهُ .

رفع المسهم

ولا يبعدُ عنهُ قولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٢/٦٩ مِنَ الطويلِ] :

تَفَضَّلَتِ ٱلأَيَّامُ بِٱلْجَمْعِ بَيْنَنَا ... فَلَمَّا حَمِدْنَا لَمْ تُدِمْنَا عَلَىٰ ٱلْحَمْدِ

وكذلك عند الشعراء كل شيء يهون من أجل الحبيب

وهوَ مشتركٌ بينَ الشعراءِ .

قالَ العَكَوَّكُ [في « ديوانهِ » ٧٦ مِنَ الرَّمَلِ] :

كَابَدَ ٱلأَهْوَالَ فِيْ زَوْرَتِهِ ... ثُمَّ مَا سَلَّمَ حَتَّىٰ وَدَّعَا[1]

وقالَ كُشَاجِمٌ [في « ديوانهِ » ٢٦٧ مِنَ الكاملِ] :

لَمْ أَسْتَتِمَّ عِنَاقَهُ لِقُدُوْمِهِ ... حَتَّىٰ ٱبْتَدَأْتُ عِنَاقَهُ لِوَدَاعِهِ

وقالَ ٱبنُ الأَحنفِ [في « ديوانهِ » ٢٣١ مِنَ الخفيفِ] :

سَأَلُوْنَا عَنْ حَالِنَا كَيْفَ أَنْتُمْ ؟ ... فَقَرَنَّا وَدَاعَنَا بِٱلسُّؤَالِ

مَا حَلَلْنَا حَتَّىٰ ٱفْتَرَقْنَا فَمَا نَفْـ ... ـرِقُ بَيْنَ ٱلنُّزُوْلِ وَٱلارْتِحَالِ

وقالَ أَبو الشِّيْصِ [في « ديوانهِ » ٥٣ مِنَ السَّريعِ] :

يَا حَبَّذَا ٱلزَّوْرُ ٱلَّذِيْ زَارَا ... كَأَنَّهُ مُقْتَبِسٌ نَارَا

نَفْسِيْ فِدَاءٌ لَكَ مِنْ زَائِرٍ ... مَا حَلَّ حَتَّىٰ قِيْلَ قَدْ سَارَا

ولا يخرجُ عنهُ قولُ أَبي عبادةَ البُحتريّ [في « ديوانهِ » ١/٥٢٩ مِنَ الطويلِ] :

كَفَىٰ حَزَناً أَنَّا عَلَىٰ ٱلْوَصْلِ نَلْتَقِيْ ... فَوَاقاً فَتَثْنِينَا ٱلْعُيُوْنُ إِلَىٰ ٱلصَّدِّ[2]

فَلَوْ تُمْكِنُ ٱلشَّكْوَىٰ لَخَبَّرَكَ ٱلْبُكَا ... حَقِيْقَةَ مَا عِنْدِيْ وَإِنْ جَلَّ مَا عِنْدِيْ

---

(١) المكابدةُ: المعاناةُ والمقاساةُ.

(٢) الفواقُ : الفترةُ بين وقتي الحلاب ، ومنه قوله تعالىٰ : ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ [صٓ: ١٥] .

رفع المسهم

سيدنا إبراهيم الخليل الإمام في ذلك

وكلُّهُ مِنْ صُنعِ الخليلِ إبراهيمَ عليهِ السلامُ ، فإنَّهُ يطوي ٱلبيدَ ـ كما في « الصحيحِ » [البخاري (٣٣٦٤)] ـ مِنْ (فلسطينَ) إلىٰ (الحجازِ) ؛ ليُطالعَ تَرِكَتَهُ[1] ، ثُمَّ لا يلبثُ أَنْ يعودَ مِنْ فورِهِ .

أيهما الأسعد نظام الملك أم البستاني؟!

وفي « طبقاتِ ٱبنِ السبكيِّ » [٤/٣٢١] : أَنَّ نظامَ المُلْكِ ٱستقبلَ ولدَهُ ، وفِلْذَةَ كبدِهِ غَداةَ يومِ مرجعِهِ مِنْ سفرِ دراستِهِ ، وودَّعَهُ مِنَ ٱلعشيِّ إلىٰ موضعِ عملِهِ ، ثُمَّ بكىٰ ، ورأىٰ أَنَّ البستانيَّ أسعدُ حالاً منهُ ، يأكلُ مِنْ عملِ يدِهِ ، ويتمتَّعُ بأَهلِهِ وولدِهِ .

ابن حجاج وسرعة عزله عن عمله

وممَّا ينخرطُ مِنَ النوادرِ في هٰذا السلكِ : أَنَّ بعضَ الأُمراءِ قلَّدَ ٱبنَ حجَّاجٍ عملاً ، خرجَ إليهِ يومَ الخميسِ ، فتبعَهُ كتابُ العزلِ في يومِ الأَحدِ ، فقالَ [في « يتيمةِ الدهرِ » ٣/ ٩٤ مِنْ مجزوءِ الكاملِ] :

يَـا مَـنْ إِذَا نَظَـرَ ٱلْهِـلاَ ... لَ إِلَـىٰ مَحَـاسِنِـهِ سَجَـدْ
وَإِذَا رَأَتْـهُ ٱلشَّمْـسُ كَـا ... دَتْ أَنْ تَمُـوْتَ مِـنَ ٱلْحَسَـدْ
يَـوْمَ ٱلْخَمِيْـسِ بَعَثْتَنِـيْ ... وَصَـرَفْتَنِـيْ يَـوْمَ ٱلأَحَـدْ
مَـا قَـامَ عَمْـرٌو فِـيْ ٱلْـوِلاَ ... يَـةِ قَـائِمـاً حَتَّـىٰ قَعَـدْ

تولية الرشيد لجعفر بن يحيى وعزله

وقبلَ ذلكَ ، الرشيدُ عقدَ لجعفرِ بنِ يحيىٰ علىٰ (خُراسانَ) ، فهنَّأَتْهُ الشعراءُ ، ومنهم أَشْجَعُ بقولِهِ [في « ديوانِهِ » ٨٠ و ٢٢٩ مِنَ المتقاربِ] :

تُـرِيْـدُ ٱلْمُلْـوْكُ مَـدَىٰ جَعْفَـرٍ ... وَلاَ يَصْنَعُـوْنَ كَمَـا يَصْنَـعُ
وَلَيْسَ بِـأَوْسَعِهِـمْ فِـيْ ٱلْغِنَـىٰ ... وَلَـٰكِـنَّ مَعْـرُوْفَـهُ أَوْسَـعُ

---

(١) تَرِكَتُهُ: ابنهُ إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر . كما جاء في القرآن: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

رفع المسهم

فَقُلْ لِخُرَاسَانَ تَحْيَا فَقَدْ ... أَتَاهَا ٱبْنُ يَحْيَىٰ ٱلْفَتَى ٱلأَرْوَعُ

ثُمَّ بدا للرشيدِ ، فعزلَهُ عنها ، فوَجَمَ جعفرٌ ، فقالَ أَشجعُ [في « ديوانهِ » ١٩٦ مِنَ السَّريع] :

أَضْحَتْ خُرَاسَانُ تُعَزَّىٰ بِمَا ... أَخْطَأَهَا مِنْ جَعْفَرِ ٱلْمُرْتَجَىٰ

كَانَ ٱلرَّشِيدُ ٱلْمُعْتَلِي أَمْرُهُ ... وَلَّىٰ عَلَىٰ مَشْرِقِهَا ٱلأَبْلَجَا

ثُمَّ أَرَاهُ رَأْيُهُ أَنَّهُ ... أَمْسَىٰ إِلَيْهِ مِنْهُمُ أَحْوَجَا[1]

تولية ﷺ لسعد وعزله يوم الفتح

ولا ننسىٰ معَ هٰذا ما كانَ مِنْ سرعةِ عزلِهِ ﷺ لسعدِ بنِ عبادةَ عن الرايةِ يومَ الفتحِ ، وجعلِ اللواءِ إلىٰ ٱبنهِ قيسِ بنِ سعدِ بنِ عبادةَ[2] .

ما القول الفصل في هذه المسألة

وبعدُ : فما يذكرُهُ الشعراءُ مِنْ تقليلِ وقتِ الوصالِ ، وتقارُبِ حينِ النزولِ مِنْ حينِ الارتحالِ :

ـ إِمَّا أَنْ يكونَ حقيقةً ، كما ذكرنا عنِ ٱلخليلِ عليهِ السلامُ .

ـ وإِمَّا أَنْ يكونَ علىٰ سبيلِ المجازِ ؛ لأَنَّ مدَّةَ الوصلِ قصيرةٌ عندَ المُحِبِّ ، علىٰ حدِّ قولِ الناظمِ [في « المُكْبَرِيِّ » ٢/ ٥٩ مِنَ الطويلِ] :

نَسِيْتُ وَمَا أَنْسَىٰ عِتَاباً عَلَى ٱلصَّدِّ ... وَلاَ خَفَراً زَادَتْ بِهِ حُمْرَةُ ٱلْخَدِّ[3]

وَلاَ لَيْلَةً قَصَّرْتُهَا بِقُصُوْرَةٍ ... أَطَالَتْ يَدِيْ فِي جِيْدِهَا صُحْبَةَ ٱلْعِقْدِ

والبيتُ الثاني هوَ الذي أُريدَ ، وهوَ مِنْ قولِ المجنونِ [في « ديوانهِ » ٢٩٢ مِنَ الطويلِ] :

---

(١) القصة في « الأغاني » (١٨/ ٢٣٤) .

(٢) الخبر عند ابن سعد في «الطبقات» (٢/ ١٣٥) ، وكذا عند ابن سيد الناس في « عيون الأثر » (٢/ ١٧١) .

(٣) الخَفَرُ : الحياءُ .

رفع المسهم

وَيَوْمٍ كَظِلِّ ٱلرُّمْحِ قَصَّرْتُ ظِلَّهُ بِلَيْلَىٰ فَلَهَّانِيْ وَمَا كُنْتُ لَاهِيَا

معاني القصيرة والمقصورة

والقصيرةُ والقصورةُ تحتملُ عدَّةَ معانٍ ؛ لأنَّهُ :

١ـ قصر الخطو

ـ إمَّا أَنْ يكونَ المرادُ منها : قِصَرَ الخطوِ ، ومنهُ قولُ القُحَيفِ العُقيليِّ [مِنَ الطويلِ] :

سَقَىٰ وَرَعَىٰ ٱللهُ ٱلأَوَانِسَ كَالدُّمَىٰ إِذَا قُمْنَ جُنْحَ ٱللَّيْلِ مُعْتَجِرَاتِ

إِذَا مِسْنَ قُدَّامَ ٱلْبُيُوتِ عَشِيَّةً قِصَارَ ٱلْخُطَىٰ يَزْفُلْنَ فِيْ ٱلْحِبَرَاتِ[1]

دَعَوْنَ بِحَبَّاتِ ٱلْقُلُوْبِ فَأَسْرَعَتْ إِلَيْهِنَّ بِٱلأَهْوَاءِ مُبْتَدِرَاتِ

وقولُ أَبي العتاهيةِ [في « ديوانهِ » ٦١٢ مِنَ المتقاربِ] :

بَدَتْ بَيْنَ حُوْرٍ قِصَارِ ٱلْخُطَىٰ تُجَاهِدُ بِٱلْمَشْيِ أَكْفَالَهَا

ويدخلُ فيهِ كلُّ ما يأتي في ثِقَلِ الروادفِ ، وعِظَمِ المآكمِ ، عندَما تنتهي إليهِ النوبةُ إِنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ .

قصر الخطو مذموم في الرجال

وعلىٰ ٱستحسانِهِ في النساءِ ، فهوَ مذمومٌ في الرجالِ ، إذا جاوزَ الحدَّ الذي رسمَهُ لقمانُ في قولهِ لِولدِهِ : ﴿ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ﴾ [لقمان : ١٩] ، ولا سيَّما إذا أنتهىٰ إلىٰ ٱلتماوتِ الممقوتِ فاعلُهُ .

٢ـ قصر النظر

ـ وإمَّا أَنْ يكونَ المرادُ منها : قَصْرَ النظرِ ، علىٰ حدِّ قولهِ تعالىٰ : ﴿ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴾ [صٓ : ٥٢] .

ومنهُ قولُ قيسِ بنِ ذَرِيحٍ [في « ديوانهِ » ٨٨ مِنَ الطويلِ] :

أَذُوْدُ سَوَامَ ٱلطَّرْفِ عَنْكِ وَمَا لَهُ عَلَىٰ أَحَدٍ إِلاَّ عَلَيْكِ طَرِيْقُ[2]

---

(١) مِسْنَ : تبخترنَ ، وكذلك : يَزْفُلْنَ . الحِبَرات ـ جمعُ حِبرةٍ ـ : وهوَ ثوبٌ من قطنٍ أَو كتَّانٍ أَو حريرٍ مخططٌ ، يُصنَعُ بـ(اليمنِ) ، ترتديه النِّساءُ .

(٢) أذودُ : أمنعُ وأدفعُ . أسامَ إليه ببصرهِ : رماهُ به .

رفع المسهم

٣ـ لزام الخدور

ـ وإمَّا أَنْ يكونَ معناهُ : لِزامَ الخُدورِ ، ومنهُ قولُهُ جلَّ شأنُهُ : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴾ [الرحمٰن : ٧٢] .

وقالَ كُثيِّرٌ [في « ديوانهِ » ٣٦٩ مِنَ الطويلِ] :

وَأَنْتِ ٱلَّتِي حَبَّبْتِ كُلَّ قَصِيرَةٍ ... إِلَيَّ وَلَمْ تَشْعُرْ بِذَاكَ ٱلْقَصَائِرُ
عَنَيْتُ قَصِيرَاتِ ٱلْحِجَالِ وَلَمْ أُرِدْ ... قِصَارَ ٱلْخُطَىٰ ، شَرُّ ٱلنِّسَاءِ ٱلْبَحَاتِرُ[1]

وهٰذا لا يُخالِفُ ما سبقَ عنِ ٱلْقُحَيفِ ؛ لِفَرْقٍ ما بينَ البابينِ ؛ إِذِ ٱلمرادُ قِصَرُها ثَمَّ مِنَ ٱلروادِفِ ، وهنا المذمومُ قِصَرُها مِنَ ٱلقماءَةِ[2] .

وقالَ أَبو قيسِ بنُ الأَسْلتِ [كما في «الأغاني» ١٧/ ١٣٣ مِنَ الطويلِ] :

وَيُكْرِمُنَهَا جَارَاتُهَا فَيَزُرْنَهَا ... وَتَعْتَلُّ عَنْ إِتْيَانِهِنَّ فَتُعْذَرُ
وَلَيْسَ بِهَا أَنْ تَسْتَهِينَ بِجَارَةٍ ... وَلَٰكِنَّهَا مِنْ ذَاكَ تَحْيَا وَتَخْفَرُ
وَإِنْ هِيَ لَمْ تَبْرُزْ لَهُنَّ أَتَيْنَهَا ... نَوَاعِمَ بِيضاً مَشْيُهُنَّ ٱلتَّأَطُّرُ[3]

أنشدونا بيتاً خَفِراً

وعنِ ٱلهيثمِ بنِ عديٍّ ، قالَ : كُنَّا جلوساً عندَ صالحِ بنِ حسَّانَ ،

---

(١) القصائرُ ـ جمعُ قصيرةٍ ـ : وهيَ المرأةُ المحبوسةُ المحجوبةُ المصونةُ في البيتِ لا تُتركُ أَن تَخرُجَ . قصيراتُ الحجالِ : الحَجَلةُ ، مثلُ القبَّةِ تُزيَّنُ بالثيابِ والأسرةِ والستورِ . البحاتِرُ ـ جمعُ بُحتُرةٍ ـ : وهي المرأة القصيرةُ المجتمعةُ الخَلْقِ . والمراد : أنها حبَّبت إليهِ كلَّ امرأةٍ مقصورةٍ في خِدرها لا القصيرةَ في خَلْقِها .

(٢) القماءَةُ ، يقال : قَمَأَتِ الماشيةُ : سَمِنَت . قال الشاعر[من الطَّويل]:

تبيـــنَ لـــي أنَّ القمـــاءةَ ذِلَّـــةٌ ... وأنَّ أَعـــزَّاءَ الـــرجـــالِ طيـــالُهـــا

(٣) تخفَر ـ من الخَفَرِ بالتحريك وسلف ـ : شدَّةُ الحياءِ . التأَطُّرُ : التثنّي في المشي .

رفع المسهم

فقالَ : أَنشِدونا بيتاً خَفِرَاً في آمرأةٍ خَفِرَةٍ ، فقلنا قولَ الأَعشىٰ [في « ديوانه » ٣٠٠ مِنَ البسيط] :

كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا مَرُّ ٱلسَّحَابَةِ لاَ رَيْثٌ وَلاَ عَجَلُ

فقالَ : هٰذِهِ خرَّاجَةٌ ولأَجَةٌ ، لٰكنَّ المقبولَ قولُ ابن الأَسْلتِ ، وأَنشدَ الأَبياتَ[1] .

العتبي والنساء الأعرابيات

وقالَ العتبيُّ : خرجتُ إِلىٰ (ٱلمِرْبَدِ)[2] ، فإِذا بأَعرابيٍّ غَزِلٍ ، فمِلْتُ إِليهِ ، وذكرتُ النساءَ ، فتنفَّسَ ، ثُمَّ قالَ : يا ٱبنَ أَخي ، إِنَّ مِنْ كلامهِنَّ لَمَا يقومُ مَقامَ العذبِ علىٰ الظمأ ، فقلتُ : كيفَ نساؤُكُم ؟ فقالَ [مِنَ الكامل] :

رُجُحٌ وَلَسْنَ مِنَ ٱللَّوَاتِي بِٱلضُّحَىٰ لِـذُيُـوْلِهِـنَّ عَلَـىٰ ٱلطَّـرِيْـقِ غُبَـارُ
يَأْنَسْنَ عِنْدَ بُعُوْلِهِنَّ إِذَا خَلَوْا وَإِذَا هُمُوْا خَرَجُوْا فَهُنَّ خِفَارُ

نفي المحكوم عليه بانتفاء صفته

وقولُهُ : (لَسْنَ . . . لِذُيُوْلِهِنَّ عَلَىٰ ٱلطَّرِيْقِ غُبَارُ) كنايةٌ عن ملازمةِ البيوتِ ؛ لأَنَّهُم كثيراً ما يَقصِدونَ نفيَ المحكومِ عليهِ بٱنتفاءِ صفتِهِ ، كما دلَّ عليهِ سياقُ البيتِ .

مثاله من القرآن

وكما في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ [البقرة : ٢٧٣] ، فإِنَّهُ ليسَ المعنىٰ إِثباتَ السؤالِ ، ونفيَ الإِلحافِ عنهُ ، وإِنَّما ٱلغَرَضُ نفيُ السؤالِ مِنْ أَصلِهِ .

---

(١) كما في « الأغاني » (١٧/ ١٣٠) وهي :

وَيكـرمُهـا جـاراتهـا فيـزرْنَهـا وتعتـلُّ عـن إتيـانهـنَّ فتُعـذَرُ
وليـس لهـا أن تستهيـن بجـارةٍ ولكنهـا منهـنَّ تَحيـا وتخفَـرُ

(٢) المِربد : قالَ الأصمعيُّ : كلُّ شيءٍ جلست بهِ الإِبلُ والغنمُ ؛ ولهذا قيلَ : مِربَدُ النَّعَمِ الذي بـ(المدينةِ) ، وبهِ سُمِّيَ مِربدُ (البصرة) ، وهوَ المقصودُ هنا .

رفع المسهم

مثاله من السنة

وكما في قولِهم عن مجلسِهِ عليه السلام : (لا تُثَنَّىٰ فَلَتاتُهُ)[1] ، فلا يُفهَمُ منهُ أَنَّ هناكَ فَلَتاتٍ تُطوىٰ ولا تروىٰ ، ولَكنَّ المرادَ أَنْ لا فَلَتاتَ أَصلاً .

مثاله من الشعر

ومنهُ قولُ كعبِ بنِ سعدٍ الغنويِّ [في « خزانةِ الأدبِ » ١٠/ ٤٣٥ مِنَ الطويلِ] :

أَخِيْ مَا أَخِيْ لاَ فَاحِشٌ عِنْدَ بَيْتِهِ وَلاَ وَرِعٌ عِنْـدَ ٱللِّقَـاءِ هَيُـوْبُ

فقد قصدَ فيهِ إِلىٰ نفيِ الفُحْشِ بتَّاً ، لا بقيدِ ما كانَ منهُ عندَ بيتِهِ .

قول ابن الأثير في هذه المسألة

ولقد أَسرفَ علىٰ نفسِهِ أَبو الفتحِ ٱبنُ الأَثيرِ [الجزري] ؛ إِذ قالَ في مثلِ هٰذا ٱلمبحثِ[2] : مكثتُ زمناً أَطوفُ علىٰ أَقوالِ الشعراءِ ؛ لأَظفرَ بما يجري هٰذا ٱلمجرىٰ ، فلَم أَجد إِلاَّ قولَ ٱمرىءِ القيسِ [مِنَ الطويلِ] :

عَلَـىٰ لاَحِـبٍ لاَ يَهْتَـدِيْ بِمَنَـارِهِ [إِذَا سَافَهُ ٱلْعَوْدُ ٱلنَّبَاطِيُّ جَرْجَرَا][3]

وَلِي فيهِ بيتٌ مِنَ ٱلشِّعرِ ، وهوَ [في « المثل السائر » ٢/ ٦٢ مِنَ الكاملِ] :

أَذْنَيْنَ جِلْبَابَ ٱلْحَيَاءِ فَلاَ يُرَىٰ لِذُيُوْلِهِنَّ عَلَىٰ ٱلطَّرِيْقِ غُبَارُ

رد المؤلف عليه

إِذْ لَم يَزِدْ بهٰذا الانتحالِ علىٰ أَنْ فضَحَ نفسَهُ بما يضيقُ عنهُ ذَرعاً ، بشهادةِ التنافُرِ بينَ القسمينِ في بيتِهِ ، وتناسُبِهِما في بيتِ الأَعرابيِّ .

---

(١) أخرجهُ الطبرانيُّ في « الكبير » (٢٢/ ١٥٤) . وقوله : (لا تُثنىٰ فلتاته) . الفَلَتاتُ ـ جمعُ فَلْتَةٍ ـ : الزلاَّتُ ؛ أي : لم يكُن في مجلسِهِ زلاَّتٌ فتُحفظَ وتُحكىٰ .

(٢) في «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر» ٢/ ٦٢ .

(٣) لاَحِبٌ : طريقٌ واضح .

رفع المسهم

أَمَّا الشواهدُ الشعريَّةُ عليهِ : فستأتي أَوَّلَ المجلسِ الثالثِ ، بمناسبةِ قولِهِ [في « العُكْبَريّ » ١/ ٣٠٤ مِنَ المنسَرِح] :

يُعْطِـيْ فَـلاَ مَطْلُـهُ يُكَـدِّرُهَـا ... بِهَـا وَلاَ مَنُّـهُ يُنَكِّـدُهَـا

تشبيه ليلة القرب وليل الصد وكثرته عند الشعراء

ثُمَّ ما زالَ الشعراءُ يُشَبِّهونَ ليلةَ القُربِ بفِترِ الضبِّ ، وإبهامِ القَطاةِ[1] ، كما يَستعيرونَ لِلَيلِ الصدِّ ظلَّ الرُّمحِ ، وما أَشبهَ ذلكَ .

قالَ جريرٌ [في « ديوانه » ٢/ ٩٦٤ مِنَ الطويلِ] :

وَيَـوْمٍ كَـإِبْهَـامِ ٱلْقَطَـاةِ مُـزَيَّـنٍ ... لَدَيَّ صِبَاهُ غَالِبٍ لِيَ بَاطِلُهْ

وقالَ الوليدُ بنُ يزيدَ [في « ديوانه » مِنَ البسيطِ] :

لاَ أَسْأَلُ ٱللهَ تَغْيِيراً لِمَا صَنَعَتْ ... نَامَتْ وَقَدْ أَسْهَرَتْ عَيْنَيَّ عَيْنَاهَا

فَاللَّيْلُ أَطْوَلُ شَيْءٍ حِيْنَ أَفْقِدُهَا ... وَاللَّيْلُ أَقْصَرُ شَيْءٍ حِيْنَ أَلْقَاهَا

وقالَ آخرُ [مِنَ الخفيفِ] :

لَيْلَـةٌ كَـادَ يَلْتَقِـيْ طَـرَفَـاهَـا ... قِصَـراً وَهِـيَ لَيْلَـةُ ٱلإِجْتِمَـاعِ

وقالَ غيرُهُ [مِنَ الوافرِ] :

ظَلَلْنَـا عِنْـدَ دَارِ أَبِـيْ نُعَيْـمٍ ... بِيَـوْمٍ مِثْـلَ سَـالِفَـةِ ٱلـذُّبَـابِ[2]

وقالَ ٱبنُ الأَحنفِ [في « ديوانه » ١٢٠ مِنَ السَّريع] :

ٱلْيَـوْمُ مِثْـلُ ٱلْحَـوْلِ حَتَّـىٰ أَرَىٰ ... وَجْهَـكِ وَٱلسَّـاعَـةُ كَـٱلشَّهْـرِ

---

(١) يُضرَبُ المثَلُ في الأَشياءِ القصيرةِ التي هي كالخيالِ بفَتْرِ ـ شِبْرِ ـ الضَّبِّ ، وإبهامِ القطاةِ ؛ لأَنَّها لا فَتْرَ له ، ولا إبهام لها أصلاً .

(٢) سالفةُ الذبابِ : عُنقُ السيفِ ، والمعنى : يومهم قصير كقصر عنق السيف .

رفع المسهم

وقالَ الصَّمَّةُ بنُ عَبدِ اللهِ [في « ديوانه » ٧٩ مِنَ الوافرِ] :

شُهُوزٌ يَنقَضِينَ وَمَا شَعَرْنَا ... بِأَنْصَافٍ لَهُنَّ وَلاَ سِرَارِ[1]

فَأَمَّا لَيْلُهُنَّ فَخَيْرُ لَيْلٍ ... وَأَقْصَرُ مَا يَكُونُ مِنَ ٱلنَّهَارِ

وقدْ يشبِهُهُ قولُ ٱبنِ الروميِّ [في « ديوانه » ٤/ ١٤٧٣ مِنَ الطويل] :

سَقَىٰ ٱللهُ أَوْطَاراً لَنَا وَمَآرِباً ... تَقَطَّعَ مِنْ أَقْرَانِهَا مَا تَقَطَّعَا

لَيَالِيَ أَنْسَتْنِيْ حِسَابَ زَمَانِهَا ... بُلَهْنِيَةٌ أَقْضِيْ بِهَا ٱلْحَوْلَ أَجْمَعَا[2]

وقالَ الفقيهُ الشافعيُّ أَسعدُ بنُ يحيىٰ السَّنجاريُّ [في « وفيات الأعيان » ١/ ٢١٦ مِنَ السَّريع] :

للهِ أَيَّامِيْ عَلَىٰ رَامَةٍ ... وَطِيْبُ أَوْقَاتِيْ عَلَىٰ حَاجِرِ

تَكَادُ بِٱلسُّرْعَةِ فِيْ مَرِّهَا ... أَوَّلُهَا يَعْثُرُ بِٱلآخِرِ

تمثل السيدة عائشة بشعر متمم بن نويرة

ولا يخرجُ عنهُ قولُ مُتمِّمِ بنِ نويرةَ [في « المفضَّليَّاتِ » ٣/ ١١٧٧ مِنَ الطويل] ـ وقد تمثَّلتْ بهِ عائشةُ عندَ قبرِ أَخٍ لها[3] ـ :

وَكُنَّا كَنَدْمَانَيْ جَذِيْمَةَ حِقْبَةً ... مِنَ ٱلدَّهْرِ حَتَّىٰ قِيْلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا[4]

---

(١) السرار ـ سَرَرُ الشهر ، بالتحريك ـ : آخرُ ليلةٍ منه .

(٢) البُلَهْنِيَةُ : الرَّخاءُ وسَعَةُ العيش .

(٣) تمثلت بهما السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ عند قبر أخيها عبد الرحمن ٱبن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم. انظر : « الأغاني » (١٧/ ٣٦١) .

(٤) نَدماني جَذيمة : هما عقيل ومالك ابنا فالج ، وجَذِيمة : هو ابن مالك الأسدي أول ملوك الحيرة ، ولهما معه قصة حاصلها كما في « الأغاني » (١٥/ ٣٠٢) :

أنَّ جَذِيمةَ قالَ يوماً لجلسائه : قد ذُكِرَ لي غلامٌ لخميٌّ مقيمٌ في أخوالِهِ مِنْ =

فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكاً لِطُوْلِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبِتْ لَيْلَةً مَعَا

وهُما مِنْ قصيدةٍ لهُ شاعرةٍ محرِّكةٍ ، يقولُ فيها [في « المفضّليّاتِ » ٣/١١٨٧ـ١١٨٨ من الطويل] :

وَمَا وَجْدُ أَظْآرٍ ثَلاَثٍ رَوَائِمٍ رَأَيْنَ مَجَرّاً مِنْ حُوَارٍ وَمَصْرَعَا[1]

= إيادٍ ، لَهُ ظَرْفٌ ولبٌّ ، فلو بعثتُ إليه يكونُ في نُدمائي ، وولَّيتُهُ كأسي والقيام بمجلسي . . كانَ الرأيَ ؟ فأيَّدوهُ ، فبعثَ إليه ومكثَ عندَهُ مدَّةً طويلةً ، ثمَّ أشرفَتْ عليهِ يوماً رَقاشِ أُختُ جَذِيمةَ ، فلم تزلْ تُراسلهُ حتَّىٰ اتَّصلَ بينَهُما ، ثمَّ قالت لهُ : يا عدي ، إذا سقيتَ القومَ . . فامزِج لهُم ، واسقِ أخي صِرفاً ، فإذا أخذتْ منهُ الخمرُ فاخطِبني إليه ، فإنَّهُ يزوِّجكَ ، وأشهِدِ القومَ عليهِ إنْ هوَ فعلَ ، ففعلَ الغلامُ ذلكَ وانصرفَ إليها بالخبر ، فقالت : عرِّسْ بأهلكَ ، ففعلَ ، فلمَّا أصبحَ . . غدا مُضرَّجاً بالخَلوق ، فقالَ لهُ جَذِيمةُ : ما هٰذه الآثارُ يا عدي ؟! قالَ : آثارُ العُرسِ ، قالَ : أيُّ عُرسٍ ؟!! قالَ : عرسُ رَقاشٍ ، فغضِبَ جَذِيمةُ ، وهَرَبَ عديٌّ ، فطلبه جَذِيمةُ فلم يدركهُ ، وسجنَ أُختَهُ في قصرِه ، واشتملت على حملٍ فولدت غلاماً وسمَّتهُ عَمراً ، وربَّتْهُ حتَّىٰ كَبِرَ ، ثمَّ دخلَ على خالهِ الملكِ بأبهىٰ حُلَّةٍ ، فأحبَّهُ حبّاً شديداً ، وقرَّبَهُ إليه . ثمَّ إنَّ الجنَّ اختطفتهُ ، فلَمْ يزل جَذِيمةُ يبحثُ عنهُ فلم يسمَع لهُ بخبرٍ .

ثمَّ أقبلَ رجُلانِ ـ هما عقيل ومالك ابنا فالج ـ يريدانِ الملكَ بهديةٍ ، فنزلا علىٰ ماءٍ فبينا هما يأكلانِ إذ أقبلَ رجلٌ أشعثُ أغبرُ فناولاهُ شيئاً فأكلَهُ ، ثمَّ سألاهُ عَنِ اسمهِ ، فقالَ : إنْ تُنكراني أو تُنكرا نسبي فإنَّني عَمروٌ وعديٌّ أبي ، فقاما إليه ، فحسَّنا هيئتَهُ ، وقالا : ما كُنَّا لنهدي إلىٰ الملكِ هديةً أنفسَ عندَهُ مِن ابنِ أُختِه ، فبشَّرا الملكَ بهِ ، فسُرَّ سروراً عظيماً ، وقالَ لهُما : احكُما ، فلكُما حُكمُكُما ، قالا : منادمتُكَ ما بقيتَ وبقينا ، فمكثا عندَهُ أربعينَ سنةً علىٰ تلكَ الحالِ ، حتَّىٰ قُتِلَ الملكُ علىٰ يدِ الزَّبّاءِ في قصَّةٍ لا حاجة لذكرِها .

(١) أظآر ـ جمعُ ظِئرٍ ـ : وهي المرضعةُ لغير ولدها من الناس والإبلِ . الروائمُ ـ جمع رائمٍ ـ : وهي الناقةُ العاطفةُ على ولدِها . المجرُّ : أحشاءُ الحوارِ . والحُوارُ : ولد الناقةِ من حينِ يرضعُ إلى أن يفطمَ ويفصلَ .

رفع المسهم

يُذَكِّرْنَ ذَا ٱلْبَثِّ ٱلْحَزِينَ بِبَثِّهِ إِذَا حَنَّتِ ٱلأُوْلَىٰ سَجَعْنَ لَهَا مَعَا
بِأَوْجَعَ مِنِّيْ يَوْمَ فَارَقْتُ مَالِكَاً وَقَامَ بِهِ ٱلنَّاعِيْ ٱلرَّفِيْعُ فَأَسْمَعَا

وبعدَها البيتانِ ، ثُمَّ قالَ [في « المفضّليّاتِ » ٣/ ١١٧٨] :

وَإِنْ تَكُنِ ٱلأَيَّامُ فَرَّقْنَ بَيْنَنَا فَقَدْ بَانَ مَحْمُوْدَاً أَخِيْ حِيْنَ وَدَّعَا
لَقَدْ كَفَّنَ ٱلْمِنْهَالُ تَحْتَ رِدَائِهِ فَتَىً غَيْرَ مِبْطَانِ ٱلْعَشِيَّاتِ أَرْوَعَا

ويأتي ما يشبهُها في تحريكِ الأَشجانِ ، وإثارةِ البلابلِ ، عندَ شرحِ قولِهِ [في « التِّبْريزيّ » ٢/ ٢٣٦ مِنَ الطويل] :

وَلَوْ حُمِّلَتْ صُمُّ ٱلْجِبَالِ ٱلَّذِيْ بِنَا [غَدَاةَ ٱفْتَرَقْنَا أَوْشَكَتْ تَتَصَدَّعُ]

مِنْ آخرِ المجلسِ الخامسَ عشرَ إِنْ شاءَ ٱللهُ تعالىٰ .

وقالَ ٱبنُ ميَّادةَ [في « ديوانه » ٢٠٦ مِنَ الطويل] :

كن صياد فرص تَمَتَّعْ بِذَا ٱلْيَوْمِ ٱلْقَصِيْرِ فَإِنَّهُ رَهِيْنٌ بِأَيَّامِ ٱلدُّهُوْرِ ٱلأَطَاوِلِ

وقالَ أَبو تمَّامٍ [في « ديوانه » ٣/ ١٥١ـ١٥٢ مِنَ الكامل] :

مَرَّتْ لَنَا أَعْوَامُ وَصْلٍ بِٱلْحِمَىٰ فَكَأَنَّهَا مِنْ قُصْرِهَا أَيَّامُ
ثُمَّ ٱنْثَنَتْ أَيَّامُ هَجْرٍ بَعْدَهَا فَكَأَنَّهَا مِنْ طُوْلِهَا أَعْوَامُ
ثُمَّ ٱنْقَضَتْ تِلْكَ ٱلسِّنُوْنَ وَأَهْلُهَا فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّهُمْ أَحْلَامُ

وأَصلُ المعنىٰ مِنْ قولِ امرىءِ القيسِ [في « ديوانه » ١٥١ـ١٥٢ مِنَ الطويل] :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ ٱلْبَحْرِ أَرْخَىٰ سُدُوْلَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ ٱلْهُمُوْمِ لِيَبْتَلِيْ
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّىٰ بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازَاً وَنَاءَ بِكَلْكَلِ[1]

(١) ناءَ : حَطَّ . الكلكلُ : الصدرُ من كل شيءٍ .

رفع المسهم

أَلاَ أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلاَ انْجَلِ ... بِصُبْحٍ وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ
فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ ... بِكُلِّ مُغَارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ(١)

والأَخيرُ مِنْ قولِ خالِهِ مُهَلْهِلٍ [مِنَ الوافرِ] :

فَإِنْ يَكُ بِالذَّنَائِبِ طَالَ لَيْلِي ... فَقَدْ أَبْكِي مِنَ اللَّيْلِ القَصِيرِ(٢)
كَأَنَّ الْجَدْيَ فِي مَثْنَاةِ رَبْتِي ... أَسِيرٌ أَوْ بِمَنْزِلَةِ الأَسِيرِ(٣)

والثاني هوَ الَّذِي أَعني .

وقالَ حُنْدُجٌ المُرِّيُّ [في « ديوانه » مِنَ البسيط] :

لَيْلٌ تَحَيَّرَ مَا يَنْحَطُّ فِي جِهَةٍ ... كَأَنَّهُ فَوْقَ مَتْنِ الأَرْضِ مَشْكُولُ
نُجُومُهُ رُكَّدٌ لَيْسَتْ بِزَائِلَةٍ ... كَأَنَّمَا هُنَّ فِي الْجَوِّ القَنَادِيلُ(٤)
مَا أَقْدَرَ اللهَ أَنْ يُدْنِي عَلَى شَحَطٍ ... مَنْ دَارُهُ الْحَزْنُ مِمَّنْ دَارُهُ صُولُ(٥)

تنوع المتأخرين في هذا الموضوع

ثُمَّ تعاورتهُ أَيدي المتأَخِّرينَ ، فتنوَّعوا فيهِ ، وكانَ الإمامُ الرافعيُّ كثيراً ما يُنشِدُ لغيرِهِ [مِنَ البسيط] :

وَاللهِ مَا سَهَرِي إِلاَّ لِبُعْدِهِمِ ... وَلَوْ أَقَامُوا لَمَا عُذِّبْتُ بِالسَّهَرِ
عَهْدِي بِهِمْ وَرِدَاءُ الْوَصْلِ يَجْمَعُنَا ... وَاللَّيْلُ أَطْوَلُهُ كَاللَّمْحِ بِالْبَصَرِ
وَالآنَ لَيْلِيَ إِذْ ضَنُّوا بِزَوْرَتِهِمْ ... لَيْلُ الضَّرِيرِ فَنَوْمِي غَيْرُ مُنْتَظَرِ

---

(١) مُغارُ الفتل : الحبلُ المفتولُ جيِّداً . يذبُل : جبلٌ في بلادِ نجدٍ .
(٢) الذَّنَائِبُ : موضعٌ بنجدٍ ، قال ابن بري : هو على يسار طريق مكَّة .
(٣) مَثْناةُ ربقٍ : حبل تربط به صغار الغنم والمعز .
(٤) رُكَّدٌ ـ جمعُ راكدٍ ـ : وهُوَ الثابتُ الذي لا يتحرَّكُ .
(٥) الحَزْنُ : طريق بين المدينة وخيبر . صُولُ : مدينة في بلاد الخزر ، في نواحي باب الأبواب .

رفع المسهم

وقالَ بعضُ أَهلِ الأَندلسِ[1] :

وَمُرْتَجَّةِ ٱلأَعْطَافِ أَمَّا قَوَامُهَا فَلَدْنٌ وَأَمَّا رِدْفُهَا فَرَدَاحُ[2]
أَلَمَّتْ فَصَارَ ٱللَّيْلُ مِنْ قِصَرٍ بِهِ يَطِيرُ وَمَا غَيْرُ ٱلسُّرُورِ جَنَاحُ
وَبِتُّ وَقَدْ زَارَتْ بِأَنْعَمِ لَيْلَةٍ تُعَانِقُنِيْ حَتَّىٰ ٱلصَّبَاحِ صَبَاحُ
عَلَىٰ عَاتِقِيْ مِنْ سَاعِدَيْهَا حَمَائِلٌ وَفِيْ خَصْرِهَا مِنْ سَاعِدَيَّ وِشَاحُ

وقالَ ٱبنُ زيدونَ ـ مِنْ أَبياتٍ يودِّعُ بها وَلاَّدةَ مطلعَ الفجرِ مِنْ ليلةِ وصلٍ ـ [في « ديوانه » ١٢ مِنَ الرَّمَل] :

إِنْ يَطُلْ بَعْدَكَ لَيْلِيْ فَلَكَمْ بِتُّ أَشْكُوْ قِصَرَ ٱللَّيْلِ مَعَكْ

وقالَ [في « ديوانه » ٥ مِنَ البسيط] :

حَالَتْ لِبَيْنِكُمُ أَيَّامُنَا فَغَدَتْ سُوْدَاً وَكَانَتْ بِكُمْ بِيْضَاً لَيَالِيْنَا

وقالَ أَبو عبادةَ [البُحتريُّ في « ديوانه » ٢/١٢٥٧ مِنَ السَّريع] :

طَوَّلَ هَـٰذَا ٱللَّيْلَ أَنْ لاَ كَرَىً يُرِيْكَ مَنْ تَهْوَىٰ وَأَنْ لاَ هُجُوْعْ

وقالَ [في « ديوانه » ٣/١٤٩٠ مِنَ الطويل] :

لَقَاسَيْنَ لَيْلاً دُوْنَ (قَاسَانَ) لَمْ تَكَدْ أَوَاخِرُهُ مِنْ بُعْدِ قُطْرَيْهِ تُلْحَقُ[3]

وقالَ ٱلمعرِّيُّ [في « سَقْطِ الزَّندِ » ٢٣٠ـ٢٣١ مِنَ الطَّويلِ] :

وَلَيْلَيْنِ : حَالٍ بِٱلْكَوَاكِبِ جَوْزُهُ وَآخَرُ مِنْ حَلْيِ ٱلْكَوَاكِبِ عَاطِلُ

---

(١) وهو ابن الزقاق كما في «نفح الطيب» (٤/٢٩٨) مِنَ الطويل .

(٢) اللَّدْنُ : اللَّينُ من كلِّ شيءٍ ، والأُنثىٰ لَدَنةٌ : رِيَّةُ الشباب ناعمةٌ . وامرأةٌ رداحٌ : عجزاءُ ثقيلةُ الأَوراكِ تامَّةُ الخَلْقِ .

(٣) قاسان ـ ويقالُ : قاشان وكاشان ـ : بلدٌ في (إيران) ، بينَ (قُمَّ) و(أَصفهانَ) .

رفع المسهم

كَأَنَّ دُجَاهُ ٱلْهَجْرُ وَٱلْفَجْرُ مَوْعِدٌ ... بِوَصْلٍ وَضَوْءُ ٱلصُّبْحِ حِبٌّ مُمَاطِلُ
قَطَعْتُ بِهِ بَحْراً يَعُبُّ عُبَابُهُ ... وَلَيْسَ لَهُ إِلاَّ ٱلتَّبَلُّجُ سَاحِلُ(١)

وقالَ ٱلوأْواءُ الدِّمشقيُّ [في « ديوانه » ٧٦ مِنَ ٱلوافرِ] :

وَلَيْلٍ مِثْلِ يَوْمِ ٱلْبَيْنِ طُولاً ... إِذَا أَفَلَتْ كَوَاكِبُهُ تَعُودُ
بَدَائِعُ نَوْمِهَا فِيهِ ٱنْتِبَاهٌ ... فَأَعْيُنُهَا مُفَتَّحَةٌ رُقُودُ(٢)

وقالَ أَيضاً [في « ديوانهِ » ٨٦ مِنَ ٱلوافرِ] :

وَلَيْلٍ مِثْلِ يَوْمِ ٱلْحَشْرِ طُولاً ... كَأَنَّ ظَلاَمَهُ لَوْنُ ٱلصُّدُودِ
بَيَاضُ هِلاَلِهِ فِيهِ سَوَادٌ ... كَإِثْرِ ٱللَّطْمِ فِي بِيضِ ٱلْخُدُودِ(٣)

وقالَ عليُّ بنُ ٱلخليلِ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

يَقُولُونَ طَالَ ٱللَّيْلُ وَٱللَّيْلُ لَمْ يَطُلْ ... وَلَكِنَّ مَنْ يَهْوَىٰ مِنَ ٱلشَّوْقِ يَسْهَرُ
أَنَامُ إِذَا مَا ٱللَّيْلُ مَهَّدَ مَضْجَعِي ... وَأَفْقِدُ نَوْمِي حِينَ أُجْفَىٰ وَأُهْجَرُ
فَكَمْ لَيْلَةٍ طَالَتْ عَلَيَّ لِصَدِّهَا ... وَأُخْرَىٰ أُلاَقِيهَا بِوَصْلٍ فَتَقْصُرُ

وقالَ آخرُ [مِنَ ٱلبسيطِ] :

سَهِرْتُ لَيْلاَتِ وَصْلٍ فَرْحَةً بِهِمُ ... وَلَيْلَةَ ٱلْهَجْرِ كَمْ قَضَّيْتُهَا سَهَرَا
إِذَا تَقَضَّىٰ زَمَانِي كُلُّهُ سَهَراً ... فَمَا أُبَالِي أَطَالَ ٱللَّيْلُ أَمْ قَصُرَا

---

(١) الليلان : هما الليلُ وفرسهُ الأدهمُ الذي يشبهُ الليلَ بسوادهِ . حالٍ : أي ليلٍ حالٍ من الحلية ، وحليةُ الليل : نجومُها . جوزهُ : وسطهُ . عاطلٌ : ليسَ حالياً ، وهو فرسهُ الأدهم . التبلُّجُ : إشراقُ الصبح .

(٢) في « الديوان » : (يدافعُ نومَها) بدل (بدائع نومها) .

(٣) في « الديوان » : (يَقَقِ الخدود) بدل (بيض الخدود) . واليَقَقُ : شديد البياضِ ناصعهُ .

رفع المسهم

تفنن المتنبي في هذا الموضوع وكثرته عنده

والمعنى متكرّرٌ عندَ الناظمِ بكَثْرةٍ ؛ فمنهُ قولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٢/ ٣٦٤ مِنَ الخفيفِ] :

قَصَّرَتْ مُدَّةَ اللَّيَالِي الْمَوَاضِي فَأَطَالَتْ بِهَا اللَّيَالِي الْبَوَاقِي

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ١/ ٥٨ مِنَ الطَّويلِ] :

ذَكَرْتُ بِهِ وَصْلاً كَأَنْ لَمْ أَفُزْ بِهِ وَعَيْشاً كَأَنِّي كُنْتُ أَقْطَعُهُ وَثْبَا

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ١/ ١٤٠ مِنَ الوافرِ] :

وَمَا لَيْلٌ بِأَطْوَلَ مِنْ نَهَارٍ يَظَلُّ بِلَحْظِ حُسَّادِي مَشُوبَا

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٣/ ٩٥ مِنَ الطَّويلِ] :

لَيَالِيَّ بَعْدَ الظَّاعِنِينَ شُكُولُ طِوَالٌ وَلَيْلُ الْعَاشِقِينَ طَوِيلُ[1]

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٢/ ٢٦٨ مِنَ الكاملِ] :

اَلنَّوْمُ بَعْدَ أَبِي شُجَاعٍ نَافِرٌ وَاللَّيْلُ مُعْيٍ وَالْكَوَاكِبُ ظُلَّعُ[2]

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٢/ ٧٢ مِنَ المنسرحِ] :

مَا بَالُ هَذِي النُّجُومِ حَائِرَةً كَأَنَّهَا الْمُنْيُ مَا لَهَا قَائِدْ

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٢/ ١١٨ مِنَ البسيطِ] :

مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ لَيْلِي لاَ صَبَاحَ لَهُ كَأَنَّ أَوَّلَ يَوْمِ الْحَشْرِ آخِرُهُ

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٢/ ١٣٥ مِنَ الكاملِ] :

تُدْمِي خُدُودَهُمُ الدُّمُوعُ وَتَنْقَضِي سَاعَاتُ لَيْلِهِمُ وَهُنَّ دُهُورُ

---

(١) الشُّكولُ ـ جمعُ شكلٍ ـ : وشكلُ الشيءِ مثلُهُ . وجمعُ القلَّةِ : أشكال . وأتى هاهنا بجمعِ الكثرةِ ؛ لأنَّهُ أبلغُ في شكوى الحالِ .

(٢) الظَّلَعُ : العرجُ ، وقصدَ : أنَّ النجومَ بطيئةُ السيرِ .

رفع المسهم

وقدْ غَبَّرَ أَبو نُوَاسٍ في وجوهِ الشُّعراءِ القائلينَ في الموضُوعِ بقولِهِ [مِنَ الخفيفِ] :

لَسْتُ أَدْرِيْ أَطَالَ لَيْلِيَ أَمْ لاَ ... كَيْفَ يَدْرِيْ بِذَاكَ مَنْ يَتَقَلَّىٰ
إِنْ تَفَرَّغْتُ لِاسْتِطَالَةِ لَيْلِيْ ... وَلِرَعْيِ النُّجُومِ كُنْتُ مُخِلاَّ

المعتمد وإحدى حظاياه

ومصداقُهُ ما حُكِيَ : أَنَّ المعتمدَ بنَ عبَّادٍ ودَّعَ حظاياهُ مِنْ (قُرْطُبَةَ) ، لمَّا عزمَ بهنَّ إلىٰ (إشبيليَّةَ) ، وما زالَ يسايرُهُنَّ ، وهوَ مذهوبُ العقلِ مِنْ أَوَّلِ اللَّيلِ ، حَتَّىٰ برقَ الفجرُ ، فأَفَاقَ مِنْ غشيتِهِ ، ورجعَ ، وقالَ في ذلكَ [كما في « ديوانه » ٣٦ مِنَ الكامل] :

سَايَرْتُهُمْ وَاللَّيْلُ أَغْفَلَ ثَوْبَهُ ... حَتَّىٰ تَبَدَّىٰ لِلنَّوَاظِرِ مُعْلِمَا
فَوَقَفْتُ ثَمَّ مُوَدِّعاً وَتَسَلَّمَتْ ... مِنِّيْ يَدَا الإِصْبَاحِ تِلْكَ الأَنْجُمَا

وقدْ سَنَحَ لي بمناسبةِ ذِكْرِ الوداعِ أَنْ أَتكلَّمَ علىٰ بعضِ ما جاءَ فيهِ ، ثُمَّ رَأَيتُ في الفرصِ الآتيةِ ما هوَ بهِ أَمسُّ ، فأَخَّرْتُهُ إليها .

* * *

ولنختمِ المجلسَ بأَبياتٍ ثلاثةٍ للناظمِ تتَّصلُ بما نحنُ فيه ، وهيَ ممَّا قالَ في أَيَّامِ صِباهُ[1] :

---

(١) وهي مطالع الأبيات الثلاثة الآتية .

رفع المسهم

[قالَ أبو الطيِّبِ المتنبِّي في « العُكْبَريِّ » ٤/ ١٨٥ مِنَ البسيط]

أَبْلَىٰ ٱلْهَوَىٰ أَسَفاً يَوْمَ ٱلنَّوَىٰ بَدَنِيْ وَفَرَّقَ ٱلْهَجْرُ بَيْنَ ٱلْجَفْنِ وَٱلْوَسَنِ

الهوى المتلف

يقولُ : إنَّ الهوىٰ أَتلفَ بَدَنَهُ يومَ الفراقِ ، مِنْ شدَّةِ الأَسفِ ، وأَكثرُ الشعراءِ يدَّعونَ ذلكَ ، وهوَ مقبولٌ ؛ إِذْ قَلَّ مَنْ سَلِمَ مِنَ البَيْنِ ومرارتِهِ ، ولم يَشْكُ مِنَ ٱلبُعدِ وحرارتِهِ ، وأَيُّ عينٍ لم تذرِفْ ؟! بل كلُّ نفسٍ مفارقةٌ ، وإِنْ لم تعرِفْ .

[قالَ أبو الطيِّبِ في « العُكْبَريِّ » ١/ ٣٤٢ مِنَ المتقارب] :

فَوَاحَسْرَتَا مَا أَمَرَّ ٱلْفِرَاقَ وَأَعْلَقَ نِيْرَانَهُ بِٱلْكُبُوْدِ

هوَ الذي ينطوي بهِ مِنَ الأَفراحِ بساطُها ، ويتقطعُ مِنَ ٱلقلوبِ نياطُها ، ويكثُرُ مِنَ ٱلعقولِ ٱختلاطُها ، فلا كَبِدَ إِلاَّ تفتَّتَ علىٰ ذاهبٍ ، غيرَ أَنَّ للناسِ فيما يعشقونَ مذاهبَ [كما قيل مِنَ الطويل] :

وَأَيُّ ٱمْرِىءٍ يَخْلُوْ مِنَ ٱلْحُبِّ قَلْبُهُ أَلَمْ تَرَهُ حَتَّىٰ ٱلْجَمَادُ بِهِ ٱهْتَزَّا
وَلَٰكِنَّهُمْ شَتَّىٰ فَمِنْ هَابِطٍ بِهِ إِلَىٰ ٱلدَّرَكِ ٱلأَدْنَىٰ وَمِنْ صَاعِدٍ عِزَّا
وَلاَ عِزَّ إِلاَّ فِيْ هَوَىٰ ٱللهِ وَحْدَهُ وَحُبِّ ٱلَّذِيْ هَانَتْ بِهِ ٱللاَّتُ وَٱلْعُزَّىٰ

حقيقة العشق

وقدِ ٱختلفوا في تعريف الهوىٰ ، وٱختلفتْ عباراتُهُم ، وتفاوتَتْ إشاراتُهُم ، وكلٌّ يشيرُ إلىٰ ذلكَ الجمالِ ، وحَسْبُكَ أَنَّهُ ٱجتمعَ بحضرةِ يحيىٰ بنِ خالدٍ ثلاثةَ عشرَ حكيماً ، فسألَهُم عن حقيقةِ العشقِ ، فكُلٌّ أَتىٰ بما عندَهُ ، وكانَ فيهِم أَبو الهُذيلِ ، فقالَ :

رفع المسهم

العشق أوله لعب وآخره عطب

أَيُّها الوزيرُ ، العشقُ يختِمُ علىٰ النواظرِ ، ويطبعُ علىٰ الأَفئدةِ ، مرتعُهُ الأَجسامُ ، ومشرعُهُ في الأَكبادِ ، وصاحبهُ متصرِّفُ الظنونِ ، متفنِّنُ الأَوهامِ ، لا يصفو لهُ مرجوٌّ ، ولا يسلَمُ لهُ مدعوٌّ ، تُسرعُ إليهِ النوائبُ ، وتحلو لهُ المصائبُ ، وهوَ جُرعةٌ مِنْ نقيعِ الموتِ ، ونَقعَةٌ مِنْ حِياضِ الثَّكَلِ ، غيرَ أَنَّهُ مِنْ أَريحيَّةٍ تكونُ في الطبعِ ، وطلاوةٍ توجدُ في الشمائِلِ . اهـ .

كمون الحب في الحشا

وهوَ ـ بالحقيقةِ ـ وصفٌ لبعضِ أَعراضِهِ ، لا لهُ ، وإِنَّما أَشارتْ إِلىٰ وصفِهِ الأَعرابيَّةُ بقولِهَا [كما في «مصارع العشاق» ١/ ١٧٥] : جَلَّ عن أَنْ يخفىٰ ، وخفيَ عن أَنْ يُرىٰ ، فهوَ كامنٌ في الأَحشاءِ ، كمونَ النارِ في الزنادِ ، إِنْ قدحتَهُ . . ورىٰ[1] ، وإِنْ تركتَهُ . . توارىٰ .

وسيعادُ هٰذا أَوائِلَ المجلسِ التاسعِ قُبيلَ قولِهِ [في «المُكْبَريّ» ١/ ٣١٥ مِنَ الخفيف] :

يَتَرَشَّفْنَ مِنْ فَمِي رَشَفَاتٍ هُنَّ فِيهِ أَحْلَىٰ مِنَ ٱلتَّوْحِيدِ[2]

الهجر ينفي النوم من العيون

وقولُهُ : (وَفَرَّقَ ٱلْهَجْرُ بَيْنَ ٱلْجَفْنِ وَٱلْوَسَنِ) كذلكَ مِنَ ٱلإِغراقِ الذي لا بأسَ لهُ ، وهوَ متداولٌ كسابقِهِ ، إِلاَّ أَنَّهُ أَقلُّ ٱبتذالاً ، وأَحسنُ منالاً منهُ قولُ الوزيرِ المُهلَّبيِّ [مِنَ الطويل] :

تَصَارَمَتِ ٱلأَجْفَانُ لَمَّا صَرَمْتَنِي فَمَا تَلْتَقِي إِلاَّ عَلَىٰ عَبْرَةٍ تَجْرِي

---

(١) ورىٰ الزَّنْدُ : خرجت نارُهُ .

(٢) وللبيتِ روايةٌ أُخرىٰ هي في «الديوانِ» :

. . . . . هُنَّ فِيهِ حَلاَوَةُ ٱلتَّوْحِيدِ

رفع المسهم

وقالَ بشَّارٌ [في « ديوانه » ٣/ ٢٤٩ مِنَ الوافر] :

جَفَتْ عَيْنِيْ عَنِ ٱلتَّغْمِيْضِ حَتَّىٰ ... كَـأَنَّ جُفُـوْنَهَـا عَنْهَـا قِصَـارُ

وأَخذَهُ التِّهاميُّ ، فقالَ [في « ديوانه » ٤٧٠ مِنَ الكامل] :

قَصُرَتْ جُفُوْنِيْ أَمْ تَبَاعَدَ بَيْنُهَا ... أَمْ مُقْلَتِـيْ خُلِقَـتْ بِـلاَ أَشْفَـارِ

وممَّا يُنظَرُ إِليهِ مِنْ بعيدٍ : ما تغنَّتْ بهِ جاريةُ عبدِ اللهِ بنِ جعفرِ بنِ أَبي طالبٍ ، لابنِ أَبي عتيقٍ ـ رضوانُ اللهِ عليهم ـ وهوَ [مِنَ الكامل] :

بِهَوَاكَ صَيَّرَنِيْ ٱلْعَذُوْلُ نَكَالاَ ... وَرَأَىٰ ٱلسَّبِيْلَ إِلَىٰ ٱلْمَقَالِ فَقَالاَ

وَنَهَيْتَ نَوْمِيْ عَنْ جُفُوْنِيْ فَٱنْتَهَىٰ ... وَأَمَرْتَ لَيْلِيْ أَنْ يَطُوْلَ فَطَالاَ

تكرار هٰذا المعنى عند المتنبي

والمعنىٰ متكرِّرٌ في « دِيوانِ » الناظمِ ؛ منهُ قولُهُ [في « العُكْبَريِّ » ٣/ ٢٣ مِنَ المتقارب] :

كَـأَنَّ ٱلْجُفُـوْنَ عَلَـىٰ مُقْلَتِـيْ ... ثِيَـابٌ شُقِقْـنَ عَلَـىٰ ثَـاكِـلِ

وقولُهُ [في « العُكْبَريِّ » ٤/ ٢٢٠ مِنَ البسيط] :

قَدْ عَلَّمَ ٱلْبَيْنُ مِنَّا ٱلْبَيْنَ أَجْفَانَا ... تَدْمَىٰ وَأَلَّفَ فِيْ ذَا ٱلْقَلْبِ نِيْرَانَا

وقولُهُ [في « العُكْبَريِّ » ١/ ١٤٨ مِنَ الطويل] :

فَـإِنَّ نَهَـارِيْ لَيْلَـةٌ مُـدْلَهِمَّـةٌ ... عَلَىٰ مُقْلَةٍ مِنْ بَعْدِكُمْ فِيْ غَيَاهِبِ

بَعِيْـدَةِ مَـا بَيْـنَ ٱلْجُفُـوْنِ كَـأَنَّمَـا ... عَقَدْتُمْ أَعَالِيْ كُلِّ جَفْنٍ بِحَاجِبِ

المحب لا يعرف الراحة

وصدقَ واللهِ ، فمَنْ نالَهُ مِنَ ٱلحبيبِ شفونُهُ[1] . . يستحيلُ أَنْ تصطلحَ جفونُهُ ، ومَنْ ظهرَ لدىٰ ٱلمعشوقِ ذنبُهُ . . فلنْ يستقرَّ بهِ

---

(١) شَفِنَهُ : نظر إليه بمؤخرِ عينيهِ بُغْضَةً أو تعجُّباً . وقيل : نظره نظراً فيه اعتراض .

رفع المسهم

جنبُهُ ، ومَنْ بَعُدَ عنهُ ريحانُهُ . . فلا بِدعَ أَنْ يطولَ أمتحانُهُ[1] . انفذ بريشك

هُوَ ٱلْحُبُّ فَٱسْلَمْ بِٱلْحَشَا مَا ٱلْهَوَىٰ سَهْلُ فَمَـا ٱخْتَـارَهُ مُضْنَـىً بِـهِ وَلَـهُ عَقْـلُ

نَصَحْتُكَ علْمَاً بِٱلْهَوَىٰ وَٱلَّذِيْ أَرَىٰ مُخَالَفَتِيْ فَٱخْتَرْ لِنَفْسِكَ مَا يَحْلُوْ

إِذَا شِئْتَ انْ تَحْيَا سَعِيْداً فَمُتْ بِهِ شَهِيْداً وَإِلاَّ فَٱلْغَرَامُ لَهُ أَهْلُ[2]

* * *

(١) الهوىٰ : مَقامٌ مِنْ مقاماتِ الحُبِّ ، ودرجةٌ أعلى في سُلَّمِ ٱرتقائِه ، فإذا وقعَ فيه المرءُ . . فلا مهربَ لهُ ، ولا منجاةَ ولا مخرجَ ، فالهوىٰ كلمةٌ نلمحُ فيها معنىٰ السقوط (هوىٰ يهوي) ، والذي يهوي : أمرؤٌ سقطَ الزمامُ مِنْ يدِهِ ، فأصبحتْ نفسُه مطيَّةً جامحةً ؛ لذلكَ لا بدَّ للعقلِ أن يسودَ العاطفةَ ، ويلجمَ النفسَ لتقفَ عندَ حدودِ اللهِ سبحانهُ وتعالى ، حينئذٍ تَنعَم النفسُ بهدأةِ الطمأنينةِ وراحةِ السكينة . ويرحم الله القائل [من البسيط] :

دَعِ ٱلتَّغَزُّلَ فِيْ دَعْدٍ فَكُلُّ هَوَىً يَهْوِيْ بِصَاحِبِهِ فِيْ بُؤْرَةِ ٱلنَّدَمِ

(٢) الأبيات لابنِ الفارضِ في « ديوانه » مِنَ الطويل .

رفع المسهم

[قالَ أَبو الطيِّبِ في « العُكْبَريِّ » ٤/ ١٨٦ مِنَ البسيط] :

رُوْحٌ تَـرَدَّدُ فِـيْ مِثْـلِ ٱلْخِـلاَلِ إِذَا	أَطَارَتِ ٱلرِّيْحُ عَنْهُ ٱلثَّوْبَ لَمْ يَبِنِ(١)
كَفَىٰ بِجِسْمِيْ نُحُوْلاً أَنَّنِيْ رَجُلٌ	لَـوْلاَ مُخَـاطَبَتِـيْ إِيَّـاكَ لَـمْ تَـرَنِـيْ

في البيت سؤالان

في البيتِ الثاني سؤالانِ :

الأول: ما هو المصدر المؤول؟

أَحدُهُما : أَنَّ (أَنَّ) المفتوحةَ مِنْ قولِهِ : (أَنَّنِيْ رَجُلٌ) تحتاجُ إِلىٰ أَنْ تُسْبَكَ بمصدرٍ ، فما تقديرهُ ؟

وقد أَجابَ الشارحُ [العُكبَريُّ] : بأَنَّهُ كفىٰ بجسمي نحولاً ٱنتفاءُ رؤيتي لولا مُخاطبتي .

الثاني: الاسم الظاهر بمثابة الغائب فكيف الضمير

والثاني : أَنَّ الأَسماءَ الظاهرةَ مِنْ قبيلِ الغائبِ ، فكانَ الأَوفقَ أَنْ يقولَ : (أَنَّنِيْ رَجُلٌ لولا مخاطبتهُ إِيَّاكَ لم ترهُ) .

وأَطالَ الشارحُ في الجوابِ ، والحاصلُ : أَنَّهُ مِنْ جنسِ قولِهِ جلَّ شأنُهُ : ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [النمل : ٥٥] ، فالخطابُ في ﴿تجهلونَ﴾ غيرُ مناسبٍ لقومٍ ، وإِنَّما هوَ أَنيسٌ بقولِهِ : ﴿أَنتم﴾ .

الشواهد عليه

ومثلُهُ قولُ الشاعرِ [مِنَ الطويل] :

أَأَكْـرَمُ مِـنْ لَيْلَـىٰ عَلَـيَّ فَتَبْتَغِـيْ	بِهِ ٱلْجَاهَ أَمْ كُنْتُ ٱمْرَأً لاَ أُطِيْعُهَا

فقدْ أَعادَ مِنْ (أُطِيعُها) ضميرَ متكلِّمٍ وِفاقاً لـ(كنتُ)، ولم يُعِدْ

---

(١) الخِلالُ : العودُ الدقيقُ الذي لا يُرى .

رفع المسهم

ضميرَ غائبٍ وِفاقاً (لامرىءٍ) ، والبيتُ لقيسِ بنِ المُلَوَّحِ [في « شرح شواهدِ المُغني » ١/ ٢٢١] ، أو لابنِ الدُّمَيْنَةِ [في « ديوانه » ٢٠٦] ، أو للصِّمَّةِ بنِ عبدِ اللهِ القشيريِّ [في « ديوانهِ » ١١٣] ، علىٰ ٱختلافِ الرواةِ في ذلكَ ، وقدْ أوردهُ ٱبنُ هشامٍ شاهداً علىٰ ٱشتراطِ ٱلصفةِ لِمَا وُطِّىءَ بهِ مِنْ خبرٍ ، أو ، صفةٍ ، أو حالٍ ، وقبلَهُ [في « ديوان الصُّمَّة » ١١٣] :

وَنُبِّئْتُ لَيْلَىٰ أَرْسَلَتْ بِشَفَاعَةٍ إِلَيَّ فَهَلاَّ نَفْسُ لَيْلَىٰ شَفِيعُهَا

قصة الصمة وريا

وكانَ مِنْ خَبرِها [كما في «الأغاني» ٦/ ١٢] : أَنَّ الصِّمَّةَ بنَ عبدِ اللهِ ـ علىٰ روايةٍ أَنَّها لهُ ـ كانَ يهوىٰ ٱبنةَ عمٍّ لهُ تسمَّىٰ رَيَّا ، فخطبَها إلىٰ عمِّهِ ، فزوَّجَهُ علىٰ خمسينَ مِنَ ٱلإِبلِ ، فجاءَ إلىٰ أَبيهِ ، فسألَهُ ، فساقَ عنهُ تسعاً وأَربعينَ ، فقالَ : أَكمِلْها ، فقالَ : هوَ عمُّكَ ، وما يناظرُكَ في ناقةٍ ، فقالَ : واللهِ ما قالَ هٰذا إلاَّ ٱستخفافاً بٱبنتي ، واللهِ لا أَقبلُها إلاَّ كُمَّلاً ، فلجَّ عمُّهُ ، ولجَّ أَبوهُ ، فقالَ : واللهِ ما رأَيتُ ٱلأَمَ منكُما ، وأَنا ٱلأَمُ منكُما إنْ أَقمتُ معكُما ، فرحلَ إلىٰ (الشامِ) ، فلقيَ الخليفةَ ، فأُعجبَ بهِ ، وفرضَ لهُ ، وألحقَهُ بالفرسانِ ، فكانَ يتشوَّقُ إلىٰ (نجدٍ) ، ويحِنُّ إليها ، وكانَ هٰذا ٱلشعرُ فيما قالَهُ . كذا رأَيتُهُ ، وهو لا يلتئِمُ معَ البيتينِ ، وإنَّمَا يلتئِمُ معَ ما سيأَتي عنهُ في المجلسِ الثاني .

رد المؤلف على الشارح

إذنْ : ففي البيتِ الذي نتكلَّمُ عليهِ نوعٌ مِنَ ٱلالتفاتِ البديعِ ، ثُمَّ قالَ الشارحُ : إنَّهُ مِنْ قولِ الأَخطلِ [في « ديوانه » ١٥٤ مِنَ الطويل] :

ضَفَادِعُ فِيْ ظَلْمَاءِ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةَ ٱلْبَحْرِ

وليسَ كذلكَ .

رفع المسهم

أصل بيت المتنبي

وإنَّمَا أَصلُهُ قولُ الأَعشىٰ [في « ديوانه » مِنَ الطويل] :

فَلَـوْ أَنَّ مَـا أَبْقَيْـنَ مِنِّـيْ مُعَلَّـقٌ ... بِعُوْدِ ثُمَامٍ مَا تَأَوَّدَ عُوْدُهَا(١)

وقدْ تلاعبَ بهِ الناظمُ حتَّىٰ أَذالَهُ ، فمِنْ ذٰلِكَ قولُهُ [في « العُكْبَرِيّ » ٤/ ٢٨ مِنَ الكامل] :

وَخَيَالُ جِسْمٍ لَمْ يُخَلَّ لَهُ ٱلْهَوَىٰ ... جِسْمَاً فَيُنْحِلَهُ ٱلسَّقَامُ وَلاَ دَمَا(٢)

وقولُهُ [في « العُكْبَرِيّ » ١/ ١٤٩ مِنَ الطويل] :

وَلَوْ قَلَمٌ أُلْقِيْتُ فِيْ شَقِّ رَأْسِهِ ... مِنَ ٱلسُّقْمِ مَا غَيَّرْتُ مِنْ خَطِّ كَاتِبِ

وقولُهُ [في « العُكْبَرِيّ » ٤/ ٥١ مِنَ الطويل] :

بَرَانِيْ ٱلسُّرَىٰ بَرْيَ ٱلْمُدَىٰ فَرَدَدْنَنِيْ ... أَخَفَّ عَلَىٰ ٱلْمَرْكُوْبِ مِنْ نَفَسِيْ جِرْمِيْ

وقولُهُ [في « العُكْبَرِيّ » ٣/ ٢٢٣ مِنَ الوافر] :

بِجِسْمِيْ مَنْ بَرَتْهُ فَلَوْ أَصَارَتْ ... وِشَـاحِـيْ ثَقْـبَ لُـؤْلُـؤَةٍ لَجَـالاَ

وقولُهُ [في « العُكْبَرِيّ » ٢/ ٣٦٣ مِنَ الخفيف] :

حُلْتِ دُوْنَ ٱلْمَزَارِ فَٱلْيَوْمَ لَوْ زُرْ ... تِ لَحَالَ ٱلنُّحُوْلُ دُوْنَ ٱلْعِنَاقِ

وقولُهُ [في « العُكْبَرِيّ » ٣/ ٢٥٢ مِنَ الكامل] :

دُوْنَ ٱلتَّعَـانُـقِ نَـاحِلَيْـنِ كَشَكْلَتَـيْ ... نَصْبٍ ، أَدَقَّهُمَا وَضَمَّ ٱلشَّاكِلُ(٣)

---

(١) الثُّمامُ : نبتٌ معروفٌ في البادية ، ولا تأكلهُ النَّعَمُ إلا في الجُدُوبةِ . تأوَّدَ عودُها تأوُّداً : إذا تثنىٰ .

(٢) في «العكبري» : (لَحْمَاً) بدل (جِسْمَاً) ، ولعله الصواب.

(٣) الشَّكلَةُ : أَرادَ هنا التي تكونُ في الإعرابِ وهيَ الفتحةُ ، وهيَ من قولِهم : شَكَلْتُ الدابَّةَ ؛ أي : ضبطتُها ، والشكلةُ تضبطُ الحروفَ ، وضمَّ الشاكلُ : =

رفع المسهم

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ١٠/ ١٤ مِنَ الكامل] :

وَشَكِيَّتِـي فَقْـدُ ٱلسَّقَـامِ لأَنَّـهُ قَدْ كَانَ لَمَّا كَانَ لِيْ أَعْضَاءُ

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٤/ ١٩٢ مِنَ البسيط] :

كَتَمْتُ حُبَّكِ حَتَّىٰ مِنْكِ تَكْرِمَةً ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ فِيْكِ إِسْرَارِيْ وَإِعْلاَنِيْ
لأَنَّهُ زَادَ حَتَّىٰ فَاضَ عَنْ جَسَدِيْ فَصَارَ سُقْمِيْ بِهِ فِيْ جِسْمِ كِتْمَانِيْ[1]

وقدْ أَلَمَّ في هٰذا بقولِ قيسِ بنِ المُلَوَّحِ [في « ديوانه » ٢٩٤ مِنَ الطويل] :

لَقَدْ كُنْتُ أَعْلُوْ حُبَّ لَيْلَىٰ فَلَمْ يَزَلْ بِيَ ٱلنَّقْضُ وَٱلإِبْرَامُ حَتَّىٰ عَلاَنِيَا

ذوبان النفس في العشق ليس حكراً على أحد

وهوَ مِنَ ٱلمعاني المشتركةِ ، وقد تداولهُ المولَّدونَ ، فمنهُ قولُ المجنونِ [في « ديوانه » ٨٠ مِنَ الطويل] :

أَلاَ إِنَّمَـا غَـادَرْتِ يَـا أُمَّ مَـالِـكٍ صَدَىً أَيْنَمَا تَذْهَبْ بِهِ ٱلرِّيْحُ يَذْهَبِ

وقولُ المُؤَمَّلِ [مِنَ السريع] :

يَكَـادُ جِسْمِـيْ مِـنْ نُحُـوْلٍ أَلـ ـضَّنَـا تَحْمِلُـهُ أَنْفَـاسُ عُـوَّادِيْ

وقولُ خالدٍ الكاتبِ [مِنَ البسيط] :

غَدَا خَلِيْلُكِ نِضْوَاً لاَ حَرَاكَ بِهِ لَمْ يَبْقَ مِنْ جِسْمِهِ إِلاَّ تَوَهُّمُهُ[2]

---

* الكاتبُ ، يريد بالضمِّ : القربَ ، ولم يُرِدِ الضم الذي في الإعراب الذي يسمى رفعاً .

(١) في «العكبري» : (كَأَنَّهُ) بدل (لأَنَّهُ).

(٢) النِّضْوُ : البعيرُ المهزولُ ، وقد يستعملُ في الإنسانِ .

رفع المسهم

وقولُ ٱبنِ المعتزِّ [مِنَ البسيط] :

مُسَهَّدٌ خَانَهُ ٱلتَّفْرِيقُ فِيْ أَمَلِهْ ... أَضْنَاهُ سَيِّدُهُ ظُلْماً بِمُرْتَحَلِهْ
فَرَقَّ حَتَّىٰ لَوَ ٱنَّ ٱلدَّهْرَ قَادَ لَهُ ... حَتْفاً لَمَا أَبْصَرَتْهُ مُقْلَتَا أَجَلِهْ

وقولُ ٱبنِ دُريدٍ [مِنَ السّريع] :

إِنِّيْ ٱمْرُؤٌ أَبْقَيْتَ مِنْ جِسْمِهِ ... يَا مُتْلِفَ ٱلصَّبِّ وَلَمْ يَشْعُرِ
صَبَابَةً لَوْ أَنَّهَا قَطْرَةٌ ... تَجُوْلُ فِيْ عَيْنَيْكَ لَمْ تَقْطُرِ

وما أَحسنَ قولَهُ : (لَوْ أَنَّهَا قَطْرَةٌ) إلخ ، كما لا أَقبحَ مِنْ تعليقِهِ البيتَ الثاني بالأَوَّلِ ، وحشوِهِ بقولِهِ : (يَا مُتْلِفَ الصَّبِّ) ؛ فإِنَّهَا ظُلماتٌ بعضُها فوقَ بعضٍ، لولا ما تتنفَّسُ بِهِ مِنْ ذلكَ الفجرِ الصادقِ.

ما هذه الخفة؟!

وقالَ بعضُهُم [مِنَ الطويل] :

وَلَوْ شِئْتُ فِيْ طَيِّ ٱلْكِتَابِ لَزُرْتُكُمْ ... وَمَا شَعَرَتْ بِيْ أَحْرُفٌ وَسُطُوْرُ

وقالَ ٱبنُ العميدِ [مِنَ الكاملِ] :

القذى الذي لا يؤذي

لَوْ أَنَّ مَا أَبْقَيْتِ مِنْ جِسْمِيْ قَذىً ... فِيْ ٱلْعَيْنِ لَمْ يَمْنَعْ مِنَ ٱلإِغْفَاءِ

وأَغارَ الوأواءُ الدمشقيُّ علىٰ أَوَّلِ البيتينِ اللَّذينِ نحنُ بسبيلِهما ، فقالَ [في « ديوانه » ١٨٩ مِنَ الوافر] :

وَمَا أَبْقَىٰ ٱلْهَوَىٰ وَٱلشَّوْقُ مِنِّيْ ... سِوَىٰ رُوْحٍ تَرَدَّدُ فِيْ خَيَالِ
خَفِيْتُ عَلَىٰ ٱلنَّوَائِبِ أَنْ تَرَانِيْ ... كَأَنَّ ٱلرُّوْحَ مِنِّيْ فِيْ مَحَالِ

وقالَ آخرُ [مِنَ الطويل] :

بَرَانِيْ ٱلْهَوَىٰ بَرْيَ ٱلْمُدَىٰ وَأَذَابَنِيْ ... صُدُوْدُكَ حَتَّىٰ صِرْتُ أَنْحَلَ مِنْ أَمْسِ
فَلَسْتُ أُرَىٰ حَتَّىٰ أَرَاكَ وَإِنَّمَا ... يَبِيْنُ هَبَاءُ ٱلذَّرِّ فِيْ أَلَقِ ٱلشَّمْسِ

رفع المسهم

وقدْ قضىٰ الشارحُ بالتفضيلِ لهـٰذينِ البيتينِ ، وحكمُهُ مقبولٌ بالنسبةِ للثاني ، ومردودٌ بالنسبةِ للأوَّلِ . تأييد المؤلف للشارح في بعض ورده لبعض

وقالَ الصنوبريُّ [مِنَ الخفيف] :

ذُبْتُ حَتَّىٰ مَا يُسْتَدَلُّ عَلَىٰ أَنَّـ ـــيَ حَـيٌّ إِلاَّ بِبَعْـضِ كَـلاَمِـيْ

وقالَ الخابز أَرْزِّي [مِنَ السريع] :

ذُبْتُ مِنَ ٱلشَّوْقِ فَلَوْ زُجَّ بِيْ فِـيْ مُقْلَـةِ ٱلنَّـائِـمِ لَـمْ يَنْتَبِـهْ أعذب الشعر أكذبه
قَدْ كَانَ لِيْ فِيْمَا مَضَىٰ خَاتَمٌ وَٱلْيَـوْمَ لَـوْ شِئْـتُ تَمَنْطَقْـتُ بِـهْ

وهوَ مِنْ معاصري الناظمِ ، وبينَ بيتيهِ مِنَ التفاوتِ ما لا يخفىٰ ؛ إِذْ كيفَ يتمنطقُ مَنْ يكونُ القذىٰ أكبرَ منهُ .

وقدْ أغارَ الوالدُ أبو بكرِ بنُ شهابٍ ـ رحمه اللهُ ـ علىٰ الثاني منهُما ، ولـٰكنَّهُ أحسنَ الاتباعَ ، وذلكَ حيثُ يقولُ [مِنَ البسيط] :

لَدْنُ ٱلْقِوَامِ دَقِيْقُ ٱلْخَصْرِ خَاتَمُهُ لَوْ شَاءَ مِنْ غَيْرِ تَكْلِيْفٍ يُمَنْطِقُهُ

وقدْ سبقَ إِلىٰ أصلِ المعنىٰ ، حبيبُ بنُ أوسٍ ، في قولِهِ [في « ديوانه » ٣/ ١١٥ مِنَ الطويل] : السابق في المعنى أبو تمام

مِنَ ٱلْهِيْفِ لَوْ أَنَّ ٱلْخَلاَخِيْلَ صُيِّرَتْ لَهَا وُشُحاً جَالَتْ عَلَيْهَا ٱلْخَلاَخِلُ

وقدْ تفوَّقَ في المعنىٰ سلطانُ العاشقينَ ، وأفرغَهُ في عِدَّةِ قوالبَ ، منها قولُهُ [في « ديوانه » ٨ مِنَ الرَّمَل] : سلطان العاشقين وإبداعه في هذه المسألة

كَهِـلاَلِ ٱلشَّـكِّ لَـوْلاَ أَنَّـهُ أَنَّ ، عَيْنِـيْ عَيْنَـهُ لَـمْ تَتَـأَيْ[1]

---

(١) هلالُ الشكِّ : الذي لم تَثبت رؤيتُهُ . أَنَّ : مِنَ الأنينِ . عيني : باصِرَتي . عينُهُ : ذاتُهُ . لم تتأَي : لم تقصدْ . =

رفع المسهم

وقولُهُ [في « ديوانه » ٣٧ مِنَ الطويل] :

كَأَنِّيْ هِلاَلُ ٱلشَّكِّ لَوْلاَ تَأَوُّهِيْ ... خَفِيْتُ فَلَمْ تُهْدَ ٱلْعُيُوْنُ لِرُؤْيَتِيْ

وقولُهُ [في « ديوانه » ١٣٧ مِنَ الطويل] :

خَفِيْتُ ضَنىً حَتَّىٰ لَقَدْ ضَلَّ عَائِدِيْ ... وَكَيْفَ تَرَىٰ ٱلْعُوَّادُ مَنْ لاَ لَهُ ظِلُّ

وقولُهُ [في « ديوانه » ١٧٣ مِنَ الطويل] :

تَحَكَّمَ فِيْ جِسْمِيْ ٱلنُّحُوْلُ فَلَوْ أَتَىٰ ... لِقَبْضِيْ رَسُوْلٌ ضَلَّ فِيْ مَوْضِعٍ خَالِيْ

وقولُهُ [في « ديوانه » ١٤٤ مِنَ البسيط] :

وَحَبَّذَا فِيْكَ أَسْقَامٌ خَفِيْتَ بِهَا ... عَنِّيْ ، تَقُوْمُ بِهَا عِنْدَ ٱلْهَوَىٰ حُجَجِيْ

وقولُهُ [في « ديوانه » ١٦٤ مِنَ الطويل] :

خَفِيْتُ ضَنىً حَتَّىٰ خَفِيْتُ عَنِ ٱلضَّنَىٰ ... وَعَنْ بُرَءٍ أَسْقَامِيْ وَبَرْدِ أُوَامِيْ[1]

وقولُهُ [في « ديوانه » ١٥٢ مِنَ الكامل] :

أَخْفَيْتُ حُبَّكُمُ فَأَخْفَانِيْ أَسَىً ... حَتَّىٰ لَعَمْرِيْ كِدْتُ عَنِّيْ أَخْتَفِيْ

وقولُهُ [في « ديوانه » ٤٩ مِنَ الطويل] :

فَلَوْ هَمَّ مَكْرُوْهُ ٱلرَّدَىٰ بِيْ لَمَا دَرَىٰ ... مَكَانِيْ وَمِنْ إِخْفَاءِ حُبِّكِ خُفْيَتِيْ

ويعجبني قولُ ٱبنِ زيدونَ [في « ديوانه » ٢٥٨ مِنَ البسيط] :

لَوْ شَاءَ حَمْلِيْ نَسِيْمُ ٱلصُّبْحِ حِيْنَ جَرَىٰ ... وَافَاكُمُ بِفَتىً أَضْنَاهُ مَا لاَقَىٰ

= والمعنىٰ : أنهُ صارَ في خفائهِ كهلالِ الشكِّ ، فلولا أَنينُهُ لم يهتدَ إليهِ .

(١) الأُوَامُ : شدَّةُ العطشِ وحرارتُهُ ، وقيل : أن يَضِجَّ العطشانُ .

رفع المسهم

وقولُ الآخرِ [مِنَ الخفيفِ] :

قَـدْ سَمِعْتُـمْ أَنِينَـهُ مِـنْ بَعِيـدٍ فَاطْلُبُوا الشَّخصَ حَيْثُ كَانَ الأَنِينُ

وقولُ لسانِ الدين ابنِ الخطيبِ [في « ديوانه » ١/ ٣٩٥ مِنَ الطَّويلِ] :

فَلَوْلاَ أَنِينِي مَا اهْتَدَىٰ نَحْوَ مَضْجَعِي خَيَـالُكُـمُ بِـاللَّيْـلِ حِيْـنَ يَـزُوْرُ

المقبول من الغلو هو الذي يصدره الصوفية

وجُلُّ ما في الموضوعِ مِنَ الغُلُوِّ الذي ينبو عنهُ السمعُ ، ولا يقبلُهُ الخاطرُ ، إلاَّ ما كانَ عنِ السادةِ الصوفيَّةِ ؛ فإنَّهُ لا بأسَ بهِ ، ووجهُهُ أنَّها تتلاشىٰ جِسمانيَّتُهُم ، وتتغلَّبُ عليهم الروحانيَّةُ ، وينفكُّونَ عن قيودِ المادَّةِ ، ويطيرونَ بنفوسِهم إلىٰ حيثُ شاؤوا ، ممَّا قُسِمَ لهُم أنْ يدخلوهُ مِنْ عوالمِ القُدْسِ ، علىٰ حَسَبِ مراتِبِهم ، وتفاوتِ درجاتِهم .

وقدْ قالَ بعضُهم [مِنَ الطويل] :

نَحَلْتُ فَلَوْ عُلِّقْتُ فِيْ رِجْلِ ذَرَّةٍ لَطَارَتْ وَلَمْ تَشْعُرْ بِأَنِّيْ تَعَلَّقْتُ

سماع الصوفية

ولهٰذا قصَّةٌ ، حاصلُها : أنَّ جماعةً مِنَ الصوفيَّةِ كانوا علىٰ سماعٍ ليلةً ، فطرقَهُم شخصٌ عظيمُ الهامةِ ، طويلُ القامةِ ، عليهِ هيئةُ السفرِ ، فقالَ : ما هٰذا ؟ قالوا : سماعٌ اجتمعَ عليهِ الإخوانُ ، فقالَ : إنْ أذنتُم لي . . دخلتُ ، فألفىٰ الحاديَ يقولُ [مِنَ الطويل] :

خَلِيْلَيَّ لاَ وَاللهِ مَا الْقَلْبُ سَالِمٌ وَإِنْ ظَهَرَتْ مِنِّيْ شَمَائِلُ صَاحِ

وَإِلاَّ فَمَا بَالِيْ وَلَمْ أَشْهَدِ الْوَغَىٰ أَبِيْـتُ كَـأَنِّـيْ مُثْخَـنٌ بِجِـرَاحِ

فطَرِبَ ، وركضَ برجلِهِ الأرضَ ، ورمىٰ للحادي ما كانَ علىٰ رأسِهِ ، ثُمَّ اندفعَ الحادي يقولُ [مِنَ البسيط] :

يَا بَانَةَ الْجِزْعِ لَوْلاَ رَنَّةُ الْحَادِيْ لَمَـا تَنَقَّلْـتُ مِـنْ وَادٍ إِلَـىٰ وَادِ

رفع المسهم

وَلاَ سَلَكْتُ بِنَعْمَانِ ٱلأَرَاكِ وَلاَ شَرِبْتُ مِنْ مَائِهِ مَا يُنْعِشُ ٱلصَّادِيْ

فصَعِقَ الشيخُ ، وتَدَلَّهَ[1] ، ورمىٰ جميعَ ما كانَ عليهِ مِنَ ٱلثيابِ ، وبقيَ عُرياناً ، ثُمَّ غنَّىٰ ٱلحادي بالبيتِ المُشارِ إليهِ ، في جملةِ أَبياتٍ ذهبتْ عن حِفظي ، فصاحَ الشيخُ صيحةً خرجتْ فيها رُوْحُهُ .

ومن العشق ما قتل

ونظيرُها ما حكاهُ ٱبنُ دقيقِ العيدِ في مجلسِ درسِهِ بجامعِ ٱبنِ طولونَ : أَنَّهُ حضرَ سماعاً غنَّىٰ فيهِ مُغنٍّ بقولِ ٱبنِ الخيَّاطِ [في « ديوانه » ١٧٠ـ١٧١ مِنَ الطويل] :

خُذَا مِنْ صَبَا نَجْدٍ أَمَاناً لِقَلْبِهِ فَقَدْ كَادَ رَيَّاهَا يَطِيْرُ بِلُبِّهِ
وَإِيَّاكُمَا ذَاكَ ٱلنَّسِيْمَ فَإِنَّهُ إِذَا هَبَّ كَانَ ٱلْمَوْتُ أَيْسَرَ خَطْبِهِ
وَفِيْ ٱلرَّكْبِ مَطْوِيُّ ٱلضُّلُوْعِ عَلَىٰ جَوىً مَتَىٰ يَدْعُهُ دَاعِ ٱلْغَرَامِ يُلَبِّهِ

قالَ : وفي القوم فقيرٌ أَخذَ يقولُ : لبيكَ ، لبيكَ ، ويصيح ، ورفعَ رأسَهُ ، فإذا هوَ مَيْتٌ .

حكم ابن الأثير على بيت

قالَ ٱبنُ ٱلأَثيرِ [في «ٱلمثلِ السَّائرِ في أَدبِ ٱلكاتبِ والشَّاعرِ»: ٢/٣٤٦] : وفي هٰذِهِ ٱلقصيدةِ بيتٌ يزعمونَ أَنَّهُ مخترَعٌ، وهوَ [في « ديوانِ ٱبنِ ٱلخيَّاطِ » ١٧١]:

أَغَارُ إِذَا آنَسْتُ فِيْ ٱلْحَيِّ أَنَّهُ حِذَاراً عَلَيْهِ أَنْ تَكُوْنَ لِحِبِّهِ

وٱلحالُ أَنَّهُ مِنْ قولِ ٱلمتنبِّي [في « ٱلعُكْبَريّ » ١/٦ مِنَ ٱلكامِلِ] :

لَوْ قُلْتَ لِلدَّنِفِ ٱلْمَشُوْقِ فَدَيْتُهُ مِمَّا بِهِ . . لأَغَرْتَهُ بِفِدَائِهِ[2]

---

(١) تدلّهَ: ذهب فؤاده من العشق أو نحوه .

(٢) الدَّنِف : الذي أشتدَّ مرضهُ وأشرف على الموتِ . وأغرته : من الغَيرة. وفي=

رفع المسهم

أَقولُ : وقدْ سبقَ إليهِ ٱلعبَّاسُ بنُ ٱلأَحنفِ في قولِهِ [في « ديوانهِ » ٣٤ مِنَ ٱلكاملِ] :

لَـمْ أَلْـقَ ذَا شَجَـنٍ يَبُـوْحُ بِحُبِّـهِ إلاَّ حَسِبْتُـكِ ذَلِـكَ ٱلْمَحْبُـوْبَـا

حَذَراً عَلَيْكِ وَإِنَّنِيْ بِكِ وَاثِقٌ أَنْ لاَ يَنَالَ سِوَايَ مِنْكِ نَصِيْبَا

لماذا لم يصمت الصحابة من السماع؟

فإنْ قالَ قائلٌ : إذا كانَ ٱلموتُ علىٰ مثلِ تلكَ ٱلحالِ كمالاً . . فهلاَّ كانَ هناكَ أَصحابُ رسولِ ٱللهِ صلَّىٰ ٱللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ ، ورضيَ عنهُم ، وهُم خيرُ ٱلقرونِ[1] ؟

= «الديوان» : (ٱلْحَزِيْنِ) بدلَ (ٱلْمَشُوْقِ) . ولكن ابن الأثير قال :

(دخلت مدينة دمشق فوجدت جماعة من أدبائها يلهجون ببيت من شعر ابن الخياط في قصيدة له أولها : خذا من صبا نجد أماناً لقلبه ، ويزعمون أنه من المعاني الغريبة وهو :

أَغـار إذا آنسـت فـي الحـي أَنَّـهُ حـذَاراً عَلَيْـهِ أَنْ تَكُـوْنَ لِحُبِّـهِ

فقلت لهم : هذا البيت مأخوذ من شعر أبي الطيب في قوله :

و قلـت للـدنـف المشـوق فـديتـه ممـا بـه لأغـرتـه بفِـدائـه

وقول أبي الطيب أدق معنى ، وإن كان قول ابن الخياط أرق لفظاً ، ثم إني أوقفتهم على مواضع كثيرة من شعر ابن الخياط قد أخذها من شعر المتنبي) . « المثل السائر » (٢/ ٣٤٦) .

(١) إنَّ للهِ في خلقِهِ وعبادِهِ مقاماتٍ وأحوالاً تختلفُ مِن عبدٍ لآخرَ ، فالعبدُ صاحبُ الحالِ يتقلَّبُ حالُهُ حَسَبَمَا يشاهدُ وحَسَبَمَا يفتحُ اللهُ عليهِ .

وأمَّا صاحبُ المقامِ : فإنَّهُ ثابتٌ كالأوتادِ ، راسخٌ كالجبالِ ، لاَ يتزعزعُ ولاَ يتغيَّرُ حالُهُ أبداً مهما رأَى وشاهدَ ، وفي النهايةِ يتغير الحالُ ويبقى المقامُ ، وهؤُلاءِ هُمُ الجَمُّ الغفيرُ مِنَ الصحابةِ رِضوانُ اللهِ عليهِم ، وهم كما قالَ الشاعرُ [من الخفيف] :

تِـهْ غَـرَامـاً فَلِلْغَـرَامِ رِجَـالُ وَٱبْكِ مَا شِئْتَ يَوْمَ قَوْمُكَ شَالُوا=

رفع المسهم

بل صعق بعضهم عند سماع سورة الإنسان

قلنا : أَخرجَ الطَّبرانيُّ [في «الأَوسط» ٢/ ١٦١] ، وأَبنُ مردويهِ ، وأَبنُ عساكرَ : (أَنَّ بعضَ أَصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ قضىٰ عندَ سماعِ سورةِ ٱلإِنسانِ ساعةَ نزولِها) .

وأَخرجهُ أَحمدُ أَيضاً بصورةٍ لا تَبعُدُ عنها .

قوا أنفسكم ناراً

وصحَّ عن ٱبنِ عبَّاسٍ : أَنَّهُ لَمَّا نزلتْ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم : ٦] . . تلاها رسولُ اللهِ ﷺ ذاتَ ليلةٍ ، أَو يومٍ ، فخَرَّ فتىً مغشيّاً عليهِ ، فوضعَ النبيُّ صلى الله عليهِ وآلهِ

= وتَمَلْمَلْ يَوْمَ ٱلْوَدَاعِ كَئِيباً ... رُبَّمَا عَهْدَهُمْ عَلَيْكَ أَطَالُوا
وتَجَرَّدْ عَنْ طَوْرِ كَوْنِكَ فِيهِمْ ... ربَّ قَوْلٍ تَرُدُّهُ ٱلأَفْعَالُ
لا تَكُنْ فِيْ ٱلْغَرَامِ رَبَّ لِسَانٍ ... دُوْنَ قَلْبٍ فَلِلْهَوىٰ أَهْوَالُ
عَرْبَدَ ٱلْقَوْمُ عِنْدَ نَهْلَةِ كَأْسٍ ... وٱسْتُمِيلُوا مَعَ ٱلشَّرَابِ فَمَالُوا
وشَرِبْنَا ٱلْكُؤُوسَ حَتَّىٰ تَنَاهَتْ ... وَكَأَنَّ ٱلشَّرابَ مَاءٌ زُلاَلُ
إِنَّ فِيْ ٱلْعَاشِقِيْنَ مِنَّا رِجَالاً ... هُمْ رِجَالٌ شَكْلاً وَمَعْنىً جِبَالُ
صَارَعَتْهُمْ أَحْوَالُهُمْ فَٱسْتَقَرُّوا ... بِثَبَاتٍ وَزَالَتِ ٱلأَحْوَالُ

ومِنَ الصحابةِ مَن يكونُ صاحبَ حالٍ : فتراهُ حيناً يهيمُ في محبوبهِ عزَّ وجلَّ ، فيطلبُ مِنهُ ـ سبحانَهُ ـ دوامَ الوِصالِ معَ دوامِ الحياةِ . بينَما نراهُ في الحينِ الآخَرِ يشتدُّ عليهِ الحالُ ، فيفضِّلُ الموتَ على الحياةِ ، وربَّما صُعِقَ وهوَ على تلكَ الحالِ ، لشدَّةِ ما يشاهدُ مِنَ الأَنوارِ الربَّانيَّةِ والحضرةِ القدسيَّةِ الرحمانيَّةِ .

ومِنْ أَبرزِ المظاهرِ التي تدلُّنا علىٰ تبدُّلِ الأَحوالِ . . ذلكَ العارفُ باللهِ سلطانُ العاشقينَ ـ رحمةُ اللهِ عليهِ ـ فنراهُ حيناً يقولُ :

عَذِّبْ بِمَا شِئْتَ غَيْرَ ٱلْبُعْدِ عَنْكَ تَجِدْ ... أَوْفَىٰ مُحِبٍّ بِمَا يُرْضِيْكَ مُبْتَهِجِ
وخُذْ بَقِيَّةَ مَا أَبْقَيْتَ مِنْ رَمَقِي ... لاَ خَيْرَ فِيْ ٱلْحُبِّ إِنْ أَبْقَىٰ عَلَىٰ ٱلْمُهَجِ

ثمَّ نراهُ ماشياً في السوقِ وهوَ يعطي الأَطفالَ الصغارَ قِطَعاً مِنَ الحلوىٰ ، ويقولُ : أَدعوا لعمِّكُمُ الكذَّابِ .

رفع المسهم

وسلَّم يدَهُ علىٰ فؤادِهِ ، فإذا هو يتحرَّكُ ، فقالَ : « يَا فَتَىٰ ، قُلْ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ ٱللهُ » ، فقالَها ، فبشَّرَهُ بالجنَّةِ ، وماتَ مِنْ ذلكَ[1] .

الأول يتلو والثاني يموت

وصحَّ : أَنَّ منصورَ بنَ عمَّارٍ تلاَ هـٰذِهِ ٱلآيَةَ ، فسمعَها فتىً يصلِّي ، فتفطَّرتْ مرارتُهُ ، ووقعَ ميِّتاً[2] .

باح للنبي ﷺ ومات

وأَخرجَ الحاكمُ في « المستدرك » [٢/٥٣٦] ، وٱبنُ أَبي الدنيا [في «الخائفين»] ، عن سهلِ بنِ سعدٍ : (أَنَّ فتىً مِنَ ٱلأَنصارِ دخلتْهُ خشيةٌ مِنَ ٱلنارِ ، فكانَ يبكي مِنْ ذِكْرِها ، فذُكِرَ للنبيِّ صلى الله عليهِ وآلهِ وسلَّم ، فجاءَهُ إِلىٰ بيتِهِ ، فلمَّا دخلَ عليهِ . ٱعتنقَهُ ، وخرَّ ميِّتاً) .

وأكثرهم راسخون كالجبال

ثُمَّ لا يُؤثِّرُ السماعُ ذلكَ التأْثيرَ ، فيمَنْ بلغَ وقارَ الجبالِ مِنَ ٱلصحابةِ ، وإِنْ غلبَهُمُ ٱلخشوعُ ، وٱستولىٰ عليهِمُ ٱلخضوعُ ، وفاضتْ مِنْ محاجِرِهِمُ ٱلدموعُ ، وإِنَّما يبلغُ ذلكَ الحدَّ فيمَنْ خفَّ نسيمُهُ ، ولم يَصِلْ إِلىٰ ما كانَ عليهِ سيِّدُ البشرِ ، وكُمَّلُ أَصحابِهِ ، مِنْ نهايةِ الثباتِ والوقارِ .

رفقاً بالقوارير

ومنهُ تعرِفُ سرَّ قولِهِ ﷺ لأَنجشةَ : « رُوَيْدَكَ يَا أَنْجَشَةُ ، رِفْقاً بِٱلْقَوَارِيرِ »[3] ، فإِنَّما أَمرَهُ بالرفقِ بالنساءِ لِضَعفِهِنَّ ، معَ رقَّةِ عواطفِهِنَّ ، وصفاءِ قلوبِهِنَّ .

الرجل اقوى

أَمَّا الرجالُ : فقدْ وَكَلَهُم إِلىٰ ما أَعطاهُمُ ٱللهُ مِنَ ٱلقوَّةِ والجلادَةِ ، وكم ٱنشقَّتْ بِالوَجْدِ جيوبٌ ، وذابَتْ قلوبٌ ، وسالَتْ نفوسٌ .

---

(١) أخرجه الحاكم في « المستدرك » (٢/ ٣٨٢) .

(٢) ذكرَها الذهبيُّ في « السيرِ » (٩/ ٩٧) مطوَّلةً ، وكذلكَ أبو نُعيم في « الحليةِ » (١/ ٣٢٨ـ٣٢٩) .

(٣) ذكره الحافظ في « فتح الباري » (١٠/ ٥٩٤) .

رفع المسهم

همّام والإمام عليه السلام

وقَدْ صَعِقَ همَّامٌ مِنْ خطبةِ أَميرِ المؤمنينَ في وصفِ المتقينَ ، حتَّىٰ فاضَتْ روحُهُ ، فقالَ لهُ قائلٌ : ما بالُكَ يا أَميرَ المؤمنينَ ؟ فقالَ ـ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ ـ : (إِنَّ لِكُلِّ أَجلٍ وقتاً لا يعدوهُ ، وسبباً لا يتجاوزُهُ ، فمهلاً لا تَعُدْ لمثلِها ، فإِنَّما نَفَثَ الشيطانُ علىٰ لسانِكَ)[1] .

السبب في الموت عشقاً

وإِنَّما زجرَهُ عن ذلكَ ؛ لأَنَّهُ لا يلزمُ مِنْ موتِ العاميِّ بوعظِ العالمِ أَنْ يموتَ ذلكَ العالمُ لوعظِ نفسِهِ ؛ لأَنَّ أَنفعالَ الأَوَّلِ بضعفِ نفسِهِ ، وضيقِ حَوْصَلَتِهِ . . أَشدُّ بكثيرٍ مِنِ أَنفعالِ العارفِ الذي لا تحرِّكُهُ العواصفُ ، ولا تزعزعُهُ القواصفُ ، ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾ [النمل : ٨٨] .

---

(١) ذكره في « نهج البلاغة » (٢٢٧) .

ونذكرُ مقطعاً مِنَ الخطبةِ التي نوَّهَ عَنها الشيخُ المؤلِّفُ فنقولُ : قالَ الإِمامُ رَضي اللهُ عنه ـ وهوَ يصفُ عبادَ اللهِ المتقينَ ـ :

يعفو عمَّنْ ظَلَمَهُ ، ويعطي مَن حرمهُ ، ويصلُ مَن قطعهُ ، بعيداً فحشُهُ ، ليِّناً قولُهُ ، غائباً منكرُهُ ، حاضراً معروفُهُ ، مقبلاً خيرُهُ ، مُدْبراً شرُّهُ ، في الزَّلازلِ وَقورٌ ، وفي المكارِهِ صَبورٌ ، وفي الرخاءِ شَكورٌ ، لا يحيفُ علىٰ مَن يُبْغِضُ ، ولا يأْثمُ فيمن يحبُّ ، يعترفُ بالحقِّ قبلَ أن يُشْهَد عليهِ ، لا يضيعُ ما أُستُحفِظَ ، ولا ينسىٰ ما ذكرَ ، ولا ينابزُ بالألقابِ ، ولا يضارُّ بالجارِ ، ولا يشمتُ بالمصائِبِ ، ولا يدخلُ في الباطلِ ، ولا يخرجُ مِنَ الحقِّ .

إِنْ صمتَ لَم يغمَّهُ صمتُهُ ، وإِن ضحكَ لَم يَعْلُ صوتُهُ ، وإِنْ بُغِيَ عليهِ صبرَ حتَّىٰ يكونَ اللهُ هوَ الذي ينتقمُ لهُ ، نفسهُ منهُ في عناءٍ ، والناسُ منهُ في راحةٍ ، أَتعبَ نفسَهُ لآخرتِهِ ، وأَراحَ الناسَ مِن نفسِهِ ، بُعْدُهُ عمَّن تباعدَ عنهُ زهدٌ ونزاهةٌ ، ودنوُّهُ ممَّن دَنا منهُ لينٌ ورحمةٌ ، ليسَ تباعدُهُ بكبرٍ وعظمةٍ ، ولا دنوُّهُ بمكرٍ وخديعةٍ . فَصَعِقَ همَّامٌ عندها صعقةً كانَت فيها نفسُهُ .

رفع المسهم

الأكوع: والبادي أظلم

ويُذكرُ: أَنَّ واعظاً يقالُ لَهُ: الأَكوعُ ، كانَ يلحقُهُ في ٱلوعظِ حالٌ ، وتُحمَلُ بينَ يديهِ ٱلجنائزُ ، وكانَ لامرأةٍ شابَّةٍ ولدٌ أَبيضُ السَّريرةِ ، منوَّرُ ٱلقلبِ، فكانتْ تحميهِ عن حضورِ مجلسِهِ، حتَّىٰ أَنفلتَ عليها ذاتَ مرَّةٍ، فشهدَهُ، فماتَ، فما كانَ منها إلاَّ أَنْ أَمهلَتْهُ، ثُمَّ ٱستقبلَتْهُ في يومِ حفلةٍ، وقالَتْ [مِنَ ٱلمتقاربِ]:

أَتَهْـدِيْ ٱلأَنَـامَ وَلاَ تَهْتَـدِيْ ... أَلاَ إِنَّ ذَلِـكَ لاَ يَنْفَـعُ

فَيَا حَجَرَ ٱلشَّخْـذِ حَتَّىٰ مَتَىٰ ... تَسُـنُّ ٱلْحَـدِيْـدَ وَلاَ تَقْطَـعُ

أَمَا تَسْتَحِيْ مِنْ خُشُوْعِ ٱلْقُلُوْ ... بِ وَقَسْـوَةِ قَلْبِـكَ يَـا أَكْـوَعُ

فمَا كانَ مِنَ الشَّيخِ إلاَّ أَنْ لبَّىٰ مُطيعاً ، وخرَّ عن كُرْسيِّهِ صريعاً ، فقالتْ : هٰذِهِ بتلكَ ، وٱلبادي أَظلَمُ ، أَو ما يُشبِهُ ذلكَ ؛ فالرِّوايةُ بٱلمعنىٰ ، وٱلعهدُ بٱلقصَّةِ ـ مِنْ شرحِ ٱلقصيدةِ للعلاَّمةِ ٱبنِ ٱلأَميرِ ـ بعيدٌ .

موت ابن وهب

وأَخرجَ ٱلحاكمُ : أَنَّ ٱبنَ وهبٍ ماتَ مِنْ سماعِ حديثٍ في ٱلأَهوالِ[1] .

موت النوري

ولمَّا سمعَ النُّوريُّ حادياً يقولُ [في «الرسالة القشيرية» (٣٣٨) مِنَ ٱلكاملِ] :

ما زِلْتُ أَنْزِلُ مِنْ وِدَادِكَ مَنْزِلاً ... تَتَحَيَّـرُ ٱلأَلْبَـابُ دُوْنَ نُـزُوْلِـهِ

.. أَندهشَ وغابَ ، وسكِرَ وطابَ ، ووقعَ في أَجَمَةِ قَصَبٍ

---

(١) أخرجه ابن رجب الحنبلي في « التخويف من النار » (١/ ٣٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/ ٣٢٤) .

رفع المسهم

جُذَّ[1] ، وبقيتْ أُصولهُ مثلَ المُدىٰ ، أخذَ يجيءُ فيها ويروحُ ، ويكرِّرُ البيتَ ، والدَّمُ يسيلُ منهُ ، حتَّىٰ ماتَ رحمةُ اللهِ عليهِ .

عبد الله بن طاهر والجارية الشاعرة

ويُحكىٰ : أنَّ عبدَ اللهِ بنَ طاهرٍ استعرضَ جاريةً أعجبتْهُ ، فاستنطقَها ، فإذا هيَ شاعرةٌ ، فقالَ لها : أجيزي[2] [مِنَ مُخَلَّع البسيطِ] :

بَعِيْدَ وَصْلٍ طَوِيْلَ هَجْرِ ... جَعَلْتُهُ فِيْ الْهَوَىٰ مَلاَذَا

فقالتْ مُسرعةً :

فَعَاتَبُوْهُ فَزَادَ شَوْقاً ... فَمَاتَ عِشْقاً فَكَانَ مَاذَا

فاشتراها ، فماتتْ مِنَ الغدِ .

الجاحظ وغريقي العشق

والحوادثُ في مثلِ هٰذا وراءَ العَدِّ ، ومِنْ ألطفِها : ما ذكرَهُ أبو عُثمانَ الجاحظُ ، قالَ : أرادني المتوكِّلُ العبَّاسيُّ لتأديبِ بعضِ ولدِهِ ، فلمَّا رآني . . استبشعَ منظري ، فصرفَني بعشرةِ آلافِ درهمٍ ، فركبتُ معَ محمَّدِ بنِ إبراهيمَ في حَرَّاقَتِهِ[3] ، فأمرَ بالغناءِ ، فغنَّتْ عوَّادَةٌ ، وقالتْ [مِنَ الخفيفِ] :

كُلَّ يَوْمٍ قَطِيْعَةٌ وَعِتَابُ ... يَنْقَضِيْ دَهْرُنَا وَنَحْنُ غِضَابُ

لَيْتَ شِعْرِيْ أنَا خُصِصْتُ بِهٰذَا ... دُوْنَ ذَا الْخَلْقِ أمْ كَذَا الأَحْبَابُ

---

(١) جُذَّ : قُطعَ .

(٢) الإجازةُ في الشعرِ : أنْ يأتيَ شاعرٌ بشطرِ بيتٍ أو بيتٍ تامٍ فينظِمَ شاعرٌ آخرُ في وزنِهِ ومعناهُ ما يكونُ بهِ تمامُهُ .

(٣) الحَرَّاقةُ : ضربٌ مِنَ السُّفنِ ، فيها مرامي نيرانَ .

رفع المسهم

ثُمَّ غنَّتِ الطَّنبوريَّةُ بإشارتِهِ ، وقالتْ [مِنْ مجزوء الكامِلِ] :

وَارَحْمَتَـــا لِلْعَـــاشِقِيْنَـــا مَـــا إنْ أَرَىٰ لَهُـــمُ مُعِيْنَـــا
كَـــمْ يُهْجَـــرُوْنَ وَيُضْـــرَمُـــوْ نَ وَيُقْطَعُـــوْنَ فَيَصْبِـــرُوْنَـــا

قالتِ العوَّادةُ : فيصنعونَ ماذا ، فهتَكَتِ الطَّنبوريَّةُ السِّتْرَ ، وبرزَتْ كأنَّهَا فلقَةُ قمرٍ ، وقالتْ : يصنعونَ هٰكذا ، وألقتْ بنفسِها في الماءِ ، وعلىٰ رأسِ محمَّدٍ غلامٌ لا ينقصُ عنها جَمالاً ، فنظرَ إليها تتدافعُها الأمواجُ ، وقالَ :

أَنْـــتِ الَّتِـــيْ أَغْـــرَقْتِنِـــيْ بَعْـــدَ القَضَـــا لَـــوْ تَعْلَمِيْنَـــا

وألقىٰ نفسَهُ علىٰ إثْرِها ، فرأيناهُما علىٰ بُعدٍ متعانقينِ ، ثمَّ غاصا ، وكانَ آخرَ العهدِ بهما ، فانكسَفَ محمَّدٌ ، وهالَهُ الأمرُ ، وعظُمَتْ عليهِ الرَّزيَّةُ ، وقالَ : لتُحدِّثَنِّي بما يُسلِّيني ، أو لأُلحِقنَّكَ بهما ، فذكرتُ يزيدَ بنَ عبدِ الملكِ ، وقدْ قعدَ للمظالمِ ، ومرَّتْ عليهِ بينَ القصصِ رُقعةٌ فيها : إنْ رأىٰ أميرُ المؤمنينَ أنْ يُخرِجَ إليَّ جاريتَهُ (نَعمىٰ) حتَّىٰ تُغنيني ثلاثةَ أصواتٍ . . فعَلَ ، فاغتاظَ ، وأمرَ بقتلِهِ ، ثُمَّ أثنىٰ ، وأمرَ بإدخالِهِ ، فقالَ لهُ : ما حملَكَ ؟ قالَ : الثِّقةُ بحِلمِكَ ، والاتِّكالُ علىٰ عفوكَ ، فأجلسَهُ ، حتَّىٰ خرَجَ النَّاسُ ، فأمرَ بالجاريةِ ، فأُخرِجتْ ، ومعها عُودُها ، فقالَ لها الفتىٰ : غنِّي بهٰذا [مِنْ شعرِ امرىءِ القيسِ في « ديوانِهِ » ١٤٧ مِنَ الطَّويلِ] :

أَفَاطِمَ مَهْلاً بَعْضَ هٰذَا التَّدَلُّلِ وَإِنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ صَرْمِيْ فَأَجْمِلِي

فغنَّتْهُ ، ثُمَّ قالَ لهُ يزيدُ : اقترِحْ ، فقالَ : غنِّي بهٰذا [مِنَ البسيطِ] :

تَأَلَّقَ البَرْقُ نَجْدِيّاً فَقُلْتُ لَهُ يَا أَيُّهَا البَرْقُ إِنِّيْ عَنْكَ مَشْغُوْلُ

لا خير في عشق بلا موت

رفع المسهم

فغنَّتْهُ ، فقالَ لهُ يزيدُ : قُلْ ، قالَ : تأمرُ لي برِطلٍ مِنَ ٱلشرابِ ، فما ٱستتمَّ شربَهُ حتَّىٰ قامَ إلىٰ أعلىٰ قُبَّةٍ ليزيدَ ، ورمىٰ بنفسِهِ ، فٱنتثرَ دماغُهُ ، فقالَ يزيدُ : إنَّا للهِ وإنَّا إليهِ راجعونَ ، أَوَظَنَّ الأَحمقُ أنِّي أُخرِجُ إليهِ جاريَتِي ، ثُمَّ أَرُدُّها ، خُذوا يا غلمانُ بيدِها ، وٱحملوها إلىٰ أَهْلِهِ ، معَ ما يُعَزِّيهِم عنهُ مِنَ ٱلمالِ ، فلمَّا توسَّطتِ ٱلدارَ . . نظرتْ إلىٰ بئرٍ هناكَ ، فجذبتْ يدَها منهُم ، وقالتْ [مِنَ السريع] :

مَنْ مَاتَ عِشْقاً فَلْيَمُتْ هَكَذَا لاَ خَيْرَ فِيْ عِشْقٍ بِلاَ مَوْتِ

قالَ أَبو عثمانَ [الجاحظ] : فسُرِّيَ عن محمَّدٍ ، وأَجزلَ صِلتي ، ولهَـٰذهِ القصَّةِ تمامٌ يأتي أَوَّلَ المجلسِ السابعِ .

أقولُ : وفي هـٰذا تصديقٌ للخنساءِ في قولِها [من « ديوانها » ٥٠ مِنَ الوافر] :

وَلَوْلاَ كَثْرَةُ ٱلْبَاكِيْنَ حَوْلِي عَلَىٰ إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِيْ

وتكذيبٌ لابنِ الروميِّ في قولِهِ [مِنَ الخفيف] :

لَيْسَ تَأْسُوْ جُرُوْحُ غَيْرِيْ جُرُوْحِيْ مَا بِهِم مَا بِهِمْ وَمَا بِيَ مَا بِيْ

وفي « تَزيينِ ٱلأَسواقِ »[1] العجبُ العُجابُ مِنْ ذلكَ ، وفي تراجمِ الصوفيَّةِ الكثيرُ الطيِّبُ منهُ .

لا تستعجل ما هو لك

وبقولِ العوَّادةِ ٱلسالفِ ، وهو : (كُلُّ يَوْمٍ قَطِيْعَةٌ وَعِتَابُ) إلىٰ آخرِهِ ، تذكَّرتُ قولَ الأَوَّلِ [مِنَ الكامل] :

وَلَقَدْ عَلِمْتَ فَلاَ تَكُنْ مُتَجَنِّياً أَنَّ ٱلصُّدُوْدَ هُوَ ٱلْفِرَاقُ ٱلأَوَّلُ

---

(١) لداود الأنطاكي، متداول.

رفع المسهم

حَسْبُ ٱلأَحِبَّةِ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَهُمْ رَيْبُ ٱلْمَنُوْنِ فَمَا لَنَا نَسْتَعْجِلُ

وقولَ سعيدِ بنِ حميدٍ [في « ديوانه » مِنَ الكامل] :

أَقْلِلْ عِتَابَكَ فَٱلْبَقَاءُ قَلِيْلُ وَٱلدَّهْرُ يَعْدِلُ تَارَةً وَيَمِيْلُ
وَلَعَلَّ أَيَّامَ ٱلْحَيَاةِ قَصِيْرَةٌ فَعَلَامَ يَكْثُرُ عَتْبُنَا وَيَطُوْلُ ؟!

وقولَ معنِ بنِ أَوسٍ [في « ديوانه » مِنَ الطويل] :

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِيْ وَإِنِّيْ لأَوْجَلُ عَلَىٰ أَيُّنَا تَغْدُو ٱلْمَنِيَّةُ أَوَّلُ
وَإِنِّي أَخُوْكَ ٱلدَّائِمُ ٱلْعَهْدِ لَمْ أَحُلْ أَبَارَاكَ خَصْمٌ أَوْ نَبَا بِكَ مَنْزِلُ ؟

وقولَ الأَعرابيِّ [مِنَ الطويل] :

فَأَكْرِمْ أَخَاكَ ٱلدَّهْرَ مَا عِشْتُمَا مَعَاً كَفَىٰ بِٱلْمَمَاتِ فُرْقَةً وَتَنَائِيَا

وقولَ الطُّغرَائِيِّ [مِنَ الطويل] :

رُوَيْدَكُمُ لاَ تَسْبِقُوْا بِقَطِيْعَتِيْ صُرُوْفَ ٱللَّيَالِيْ إِنَّ فِيْ ٱلدَّهْرِ كَافِيَا

كتاب سليمان بن عبد الملك إلى أخيه

وقولَ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ في كتابِ شفاعةٍ إِلىٰ أَخيهِ الوليدِ ، بشأْنِ يزيدَ بنِ المهلَّبِ : فواللهِ يا أَميرَ المؤمنينَ ، ما تدري ما بقائي وبقاؤُكَ ، ولا متَىٰ يُفرِّقُ الموتُ بيني وبينَكَ ، فإِنِ ٱستطاعَ أَميرُ المؤمنينَ ـ أَدامَ اللهُ سرورَهُ ـ أَنْ لا يأْتيَ علينا أَجلُ الوفاةِ إِلاَّ وهوَ لي واصلٌ ، ولحقِّي مُؤَدٍّ ، وعن مَساءَتِي نازعٌ . . فليفعلْ ، إِلىٰ آخرِ الكتابِ .

وقولَ الناظمِ [في « العُكْبَريِّ » ٢/١٤٨ مِنَ الطويل] :

ذَرِ ٱلنَّفْسَ تَأْخُذْ وُسْعَهَا قَبْلَ بَيْنِهَا فَمُفْتَرِقٌ جَارَانِ دَارُهُمَا ٱلْعُمْرُ[1]

---

(١) بينها: بُعدِها. جارانِ: الروحُ والجَسَدُ.

رفع المسهم

وقولَهُ [في « العُكْبَريّ » ١٤٩/٣ مِنَ الخفيف] :

وَصِلِينَا نَصِلْكِ فِيْ هَـٰذِهِ ٱلدُّنْـ ... ـيَـا فَـإِنَّ ٱلْمُقَـامَ فِيْهَـا قَلِيْـلُ

إذ لا تشرب تظماً

وقالَ بشَّارٌ شيخُ ٱلمتأخِّرينَ [في « ديوانه » ٣٠٩/١ مِنَ الطويل] :

إِذَا كُنْتَ فِيْ كُلِّ ٱلأُمُورِ مُعَاتِبَاً ... صَدِيْقَكَ لَمْ تَلْقَ ٱلَّذِيْ لاَ تُعَاتِبُهْ
فَعِشْ وَاحِداً أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ ... مُقَـارِفُ ذَنْـبٍ مَـرَّةً وَمُجَـانِبُـهْ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَاراً عَلَىٰ ٱلْقَذَىٰ ... ظَمِئْتَ وَأَيُّ ٱلنَّاسِ تَصْفُوْ مَشَارِبُهْ ؟

وقالَ الرَّضيُّ [في « ديوانه » ٧٦٩ـ٧٧٠ مِنَ الطويل] :

وَكَمْ صَاحِبٍ كَٱلرُّمْحِ زَاغَتْ كُعُوْبُهُ ... أَبَىٰ بَعْدَ طُوْلِ ٱلْغَمْزِ أَنْ يَتَقَوَّمَا[1]
كَعُضْوٍ رَمَتْ فِيْهِ ٱللَّيَالِيْ بِفَادِحٍ ... وَمَنْ حَمَلَ ٱلْعُضْوَ ٱلأَلِيْمَ . . تَأَلَّمَا
صَبَرْتُ عَلَىٰ إِيْلاَمِهِ خَوْفَ نَقْصِهِ ... وَمَنْ لاَمَ مَنْ لاَ يَرْعَوِيْ كَانَ أَلْوَمَا
أَرَاكَ عَلَىٰ قَلْبِيْ وَإِنْ كُنْتَ عَاصِيَا ... أَعَزَّ مِنَ ٱلْقَلْبِ ٱلْمُطِيْعِ وَأَكْرَمَا
حَمَلْتُكَ حَمْلَ ٱلْعَيْنِ لَجَّ بِهَا ٱلْقَذَىٰ ... فَلاَ تَنْجَلِيْ يَوْمَاً وَلاَ تَبْلُغُ ٱلْعَمَىٰ
إِذَا ٱلْعُضْوُ لَمْ يُؤْلِمْكَ إِلاَّ قَطَعْتَهُ ... عَلَىٰ مَضَضٍ لَمْ تُبْقِ لَحْمَاً وَلاَ دَمَا

والكلامُ في الاستصلاحِ يَطلُبُ تفصيلاً مُقنِعاً نوفيهِ حقَّهُ إِنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ في أَصلحِ المواطنِ لهُ .

صعقة أمير المؤمنين عمر لسماع القرآن

ولئِنْ قَلَّ بالوجدِ الموتُ في الصدرِ الأَوَّلِ . . فكثيرٌ مَنْ يَصعقُ لسماعِ القرآنِ ؛ منهُم عمرُ بنُ الخطَّابِ ، فلقدْ يَمرضُ مِنَ الآيةِ ، حَتَّىٰ يُعادَ .

---

(١) الغَمْزُ : العصر باليدِ ؛ أي : التليين .

رفع المسهم

المحسن بن علوي

ولقدْ كانَ جَدّي المُحسنُ بنُ علويٍّ مِنْ أَرقِّ الناسِ عاطفةً ، وأَسلمِهِم ذوقاً ، وإِنْ كانَ لَيقومُ بالآيةِ مِنَ ٱلقرآنِ يُكرِّرُها ، حتَّىٰ يصبحَ بينَ القلبِ الواجفِ ، والدمعِ الذارفِ ، وسمعَهُ الفاضلُ الأَريبُ السيِّدُ شيخُ بنُ محمَّدٍ الحبشيُّ ـ كما أَخبرني ـ يترنَّحُ ليلةً بقولِ الحدَّادِ [في « ديوانه » ٤٧٤ مِنَ الكامل] :

ورقة قلبه

وَلَّىٰ ٱلـزَّمَـانُ وَوَلَّـتِ ٱلأَيَّـامُ فَعَلَىٰ ٱلْمَنَازِلِ وَٱلنَّزِيْلِ سَلاَمُ

ويردِّدُهُ إِلىٰ أَنْ كادَ يُغشىٰ عليهِ ، وبينا هوَ سائرٌ في بعضِ الأَزقَّةِ ، إِذ سمعَ منشداً ينشدُ قصيدةَ القطبِ الحدَّادِ ، المستهلَّةَ بقولِهِ [في « ديوانه » مِنَ الطويل] :

تَفِيضُ عُيُوْنِيْ بِٱلدُّمُوْعِ ٱلسَّوَاكِبِ وَمَا لِيَ لاَ أَبْكِيْ عَلَىٰ خَيْرِ ذَاهِبِ

فَأَلقىٰ عصاهُ تحتَ جبهتِهِ ، ولم يزلْ يُذري ٱلدموعَ ، حتَّىٰ سقطَ مغشيّاً عليهِ .

موراة عبد الله بن عمر

وحدَّثني ٱلفاضلُ الوجيهُ السيِّدُ حسنُ بنُ محمَّدِ بنِ إِبراهيمَ بلفقيهِ ، عمَّنْ حضرَ مواراةَ سيِّدِنا عبدِ اللهِ بنِ عمرَ بنِ يحيىٰ ، وكانَ يوماً مشهوداً ، لم يتأَخَّرْ عنهُ أَحدٌ مِن رجالاتِ (حضرموتَ) ، وهيَ إِذْ ذاكَ بهِم ملآنةٌ ، قالَ : إِنَّهُم لَمَّا ٱنصرفوا مِنْ دفنِهِ . ٱجتمعوا في بيتِهِ ، فأَنشدَهُم بعضُ الحُداةِ بقصيدةِ الحدَّادِ المشارِ إِليها ، فلا تَسَلْ عمَّا حَصَلَ مِنَ ٱلنشيجِ ، وٱرتفعَ مِنَ ٱلضجيجِ ، وسالَ مِنَ ٱلعَبَراتِ ، وتصاعدَ مِنَ ٱلزفراتِ ، حتَّىٰ لقدْ كادتْ تُحملُ ٱلجنائزُ .

عبيد الله بن محسن

وكذلكَ كانَ والدي ٱلمغفورُ لهُ عبيدُ ٱللهِ بنُ محسنٍ صحيحَ الشوقِ ، سليمَ الذوقِ ، غزيرَ الدمعةِ ، طويلَ الفكرةِ ، كلُّ آيةٍ

رفع المسهم

تهزُّهُ ، وكلُّ صادحةٍ تُطربُهُ ، وكثيراً ما يمرُّ في مجالسِهِ مرورَ السهمِ ، ولا سيَّما في إشاراتِ القومِ ، فأتمثَّلُ لهُ بالبيتِ يصيبُ محزَّهُ ، فيَذوبُ وَجْداً ، ويأخذُهُ حالٌ شديدٌ جِدَّاً .

الحداد وقوله: ولى الزمان

وعلىٰ ذكرِ قولِ القطبِ الحدَّادِ : (وَلَّىٰ الزَّمَانُ) إلىٰ آخرِهِ . . . أقولُ : إنَّهُ بيتٌ يكادُ يضيءُ مِنْ غيرِ زيتٍ ، ذكرتُ بهِ مطلعَ قصيدتينِ لفحلينِ مِنْ أُمراءِ القريضِ[1] :

أَحدُهُما : أَبو نُوَاسٍ في قولِهِ [في « ديوانه » ٥٢١ مِنَ الكامل] :

يَا دَارُ مَا فَعَلَتْ بِكِ ٱلأَيَّامُ ؟! لَـمْ تُبْـقِ فِيـكِ بَشَـاشَـةً تُسْتَـامُ

والثاني : هوَ البارودِيُّ في قولِهِ [في « ديوانه » ٥٣٧ مِنَ الكامل] :

ذَهَـبَ ٱلصِّبَـا وَتَـوَلَّـتِ ٱلأَيَّـامُ فَعَلَىٰ ٱلصِّبَا وَعَلَىٰ ٱلزَّمَانِ سَلاَمُ

ولنْ تنظرَ فيهما مليَّاً ، حتَّىٰ يتبيَّنَ لكَ الفرقُ جليَّاً ؛ إذْ بيتُ الحدَّادِ أَجملُ شارةً ، وأَعذبُ إشارةً ، وأَصفىٰ زُجاجةً ، وأَنصعُ دِيباجةً ، وأَرقُّ طبعاً ، وأَعذبُ وضعاً ، أَوَلا ترىٰ عَروضَهُ أستوفىٰ مدحَ الماضي ، وذمَّ الحاضرِ ، بما لا تضبطُهُ العبارةُ ، ولا يدخُلُ تحتَ الحدِّ ؟! وإنَّما هوَ مِنْ جنسِ قولِهِ جلَّ شأنُهُ : ﴿ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ [طه : ٧٨] .

وقولِ الشاعرِ [مِنَ الرَّجَز] :

يَحْمِلْـنَ كُـلَّ سُـؤْدَدٍ وَفَخْـرِ يَحْمِلْنَ مَا نَدْرِيْ وَمَا لاَ نَدْرِي

---

(١) القريضُ : الشِّعْر .

رفع المسهم

وذاكَ ما عجزَ عن أَقلِّهِ حكيمُ الشعراءِ ، صاحبُ (المعرِّةِ) ، بشهادةِ قولِهِ [مِنَ الخفيف] :

كَمْ أَرَدْنَا ذَاكَ ٱلزَّمَانَ بِمَدْحٍ فَشُغِلْنَا بِذَمِّ هَٰذَا ٱلزَّمَانِ

ولٰكنَّ الحدَّادَ لم يشغلْهُ هٰذا عنِ ٱلآخَرِ ، بلْ أَصابَ الغَرَضينِ بسهمٍ واحدٍ ، وما زالتِ ٱلأُدباءُ رافعةَ العقيرةِ بٱلثناءِ علىٰ قولِ أَبي تمَّامٍ [في « ديوانه » ٢/١٦٦ مِنَ الكامل] :

لاَ أَنْتِ أَنْتِ وَلاَ ٱلدِّيَارُ دِيَارُ خَفَّ ٱلْهَوَىٰ وَتَقَضَّتِ ٱلأَوْطَارُ

وإِنَّما هوَ بعضُ معنىٰ قولِ الحدَّادِ : (وَلَّىٰ ٱلزَّمَانُ وَوَلَّتِ ٱلأَيَّامُ) ؛ لأَنَّهُ إِذا ولَّىٰ ٱلزمانُ الطيِّبُ بعمومِهِ ، ووَلَّتْ أَيَّامُ الأَحبابِ بخصوصِها ـ المرادُ كلُّ هٰذا مِنْ شطرِ البيتِ . . فقدِ ٱنقضىٰ ٱلهوىٰ ، وخفَّتِ ٱلأَوطارُ ، ولم يبقَ ما يقتضي لُزومَ الديارِ ، ومواقفةَ الآثارِ ؛ إِذْ لا هيَ ديارُ الأَحبابِ ، ولا هُم سكَّانُها ، فالميزانُ راجحٌ ، والفضلُ في بيت الحدَّادِ واضحٌ ؛ إِذْ ليسَ في بيتِ الحَكَميِّ[1] سوىٰ دارٍ واحدٍ ، يسألُهُ سؤالاً تقريريّاً ، ينحصرُ معناهُ في أَنَّ ٱلأَيَّامَ مَحَتْ بشاشتَهُ بأَسرِها ، إِنْ تأَوَّلنا بأَنَّهُ مِنْ نفيِ الشيءِ بإِيجابِهِ ، أَو إِلاَّ ٱلنزرَ الذي لا يُستامُ منها ، إِنْ لم نجعلْهُ منهُ ، وهوَ معنىً ضئيلٌ ، إِلىٰ ما لا يخفىٰ مِنِ ٱستثقالِ لفظةِ : (تُستامُ) ، وعدمِ الحاجةِ إِليها .

وأَمَّا بيتُ ٱلبارودِيِّ : فصورةٌ مصغَّرةٌ مِنْ بيتِ ٱلحدَّادِ ، وكأَنَّما هوَ مأْخوذٌ منهُ معَ التَّقصيرِ ، فهوَ دونَهُ بتفاوتٍ كبيرٍ في ٱلمعنىٰ ؛ إِذِ ٱلبارودِيُّ لا يَحِنُّ إِلاَّ إِلىٰ نزواتِ الصِّبا وخطواتِهِ ، بقرينةِ ذِكرِهِ لهُ في

---

(١) أي : أَبي نواسٍ الشاعر .

رفع المسهم

ٱلقسمينِ ، وٱتْفِهْ بذلكَ مِنْ مَبكيٍّ عليهِ في جانبِ بيتِ ٱلحدَّادِ ، ثُمَّ هل تجدُ لأَحدِ ٱلبيتينِ شيئاً ممَّا لبيتِ ٱلحدَّادِ ـ فوقَ ٱتِّساعِ ٱلمعنىٰ ، وبُعدِ ٱلمرمىٰ ـ مِنْ هيبةِ النَّسجِ ، وروعةِ اللَّفظِ ، ومائيَّةِ ٱلأُسلوبِ ، فإنَّهُ يكادُ يَقطُرُ ماءً ، وينصَعُ رُواءً[1] ، ويَستحلبُ الدَّمعَ ، ويَدخُلُ علىٰ ٱلقلبِ قبلَ السَّمعِ ، إلىٰ بُعدٍ عنِ التَّعمُّلِ ، وبراءةٍ عنِ التَّكلُّفِ ، وتناسُبٍ ظاهرٍ بينَ ٱلأَيَّامِ والزَّمانِ ، وٱلمنازلِ والنَّزيلِ ، فهٰذا هوَ السِّحرُ ٱلحلالُ ، وٱلعذبُ الزُّلالُ ، وٱلمَطمعُ ٱلمؤنِسُ ، والسَّهلُ ٱلممتنِعُ ، ثُمَّ إنَّ ٱلبارودِيَّ لَمْ يأخُذْ بيتَهُ إلاَّ مِنْ قولِ ٱبنِ ٱلمعتزِّ [في «ديوانهِ» مِنَ ٱلخفيفِ] :

أَخَذَتْ مِنْ شَبَابِيَ ٱلأَيَّامُ ... وَتَوَلَّىٰ ٱلصِّبَا عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ

ومعَ ذلكَ ، فلَمْ يُحسِنِ ٱلاتِّباعَ ، وبيتُ ٱلحدَّادِ هوَ الرَّاجحُ علىٰ ٱلجميعِ ، ولا نِزاعَ .

حديث الشوق في الآخرين

وإذِ ٱنتهىٰ بنا حديثُ الشَّوقِ إلىٰ هُنا . . فلا نُدحَةَ لنا عن ذِكْرِ أَمثلةٍ سمعتُ بها في ٱلأَخيرِ ؛ لنُلحِقَ التَّالِدَ بِالطَّارفِ :

يا قرة العين

منها : أَنَّ بعضَ ٱلأَئِمَّةِ زوَّجَ ٱبنَهُ مِنِ ٱبنةِ أَخيهِ ، فٱنتسجَ بينَهُما مِنْ صادقِ ٱلحبِّ ، ما لا يتَّسعُ للمزيدِ ، غيرَ أَنَّ ٱلإمامَ سيَّرَ ٱبنهُ بإثرِ ذلكَ إلىٰ موضعِ عملِهِ ، وبقيتِ ٱلمرأةُ بقاعدةِ ٱلمَلِكِ ، فكانَ يُطالِعُها بأَشواقِهِ ، وتجيبُهُ بمثلِ ذلكَ ، وكانَ مِنْ عادةِ ٱلإمامِ أَنْ يَقيلَ يومَ ٱلجُمُعةِ بمنزلِ ولدِهِ ، فعثرَ منهُ مرَّةً علىٰ قصيدةٍ ، يشتكي لزوجِهِ

---

(١) الرُّواءُ : المنظرُ الحسنُ .

رفع المسهم

ٱلبُعدَ ، ويتوجَّعُ مِنَ ٱلفِراقِ ، ويصفُ ما عندَهُ مِنَ ٱلاحتراقِ ، يقولُ فيها [مِنَ ٱلبسيطِ] :

يَا قُرَّةَ ٱلعَيْنِ يَا نُوْرَ ٱلبَصيْرَةِ يَا شَقِيْقَةَ ٱلرُّوْحِ يَا مَنْ لاَ أُسَمِّيْهَا

فرَقَّ لَهُ أَبوهُ ، ورسمَ بوصولِهِ ، ولٰكنْ بعدَ ما سبقَ السَّيفُ ٱلعَذَلَ ، ولَمْ يُبقِ ٱلحبُّ علىٰ الرَّمقِ ، فلمَّا كانَ ليلةَ وصولِهِ . . ٱشتدَّ الشَّوقُ ، فطارتِ ٱلروحُ إلىٰ فوقٍ ـ ولله دَرُّ الَّذي يقولُ [مِنَ ٱلوافرِ] : ابرح الشوق

وَأَبْرَحُ مَا يَكُوْنُ ٱلشَّوْقُ يَوْمَاً إِذَا دَنَتِ ٱلدِّيَارُ مِنَ ٱلدِّيَارِ

وقالَ التِّهاميُّ [في « ديوانهِ » ٢٥٨ مِنَ الطَّويلِ] :

بَكَيْتُ فَحَنَّتْ نَاقَتِيْ فَأَجَابَهَا صَهِيْلُ جَوَادِيْ حِيْنَ لاَحَتْ دِيَارُهَا

و(كانَ ﷺ إذا أَبصرَ درجاتِ ٱلمدينةِ . . حرَّكَ دابَّتَهُ مِنْ حُبِّها)[1] ، فهوَ أَصلُ ٱلمعنىٰ في ذلكَ ـ ولم يدخُلِ ٱلأَميرُ بلَدَهُ إلاَّ وروحُهُ خامدةٌ ، وجُثَّتُهُ هامدةٌ ، ولمَّا ٱتَّصلَ بٱلمرأَةِ نعيُهُ . . شخصَ بصرُها وبرقَ ، وٱصفرَّ جبينُها وعرقَ ، وكانتِ ٱلقاضيةُ .

ومنها : أَنَّ الشَّيخَ حُسينَ زايدِ الشَّاعرَ ، ٱليافعيَّ ، ٱلمشهورَ ، ٱلقريبَ ٱلعهدِ بـ(حضرموتَ) . . كانَتْ لَهُ ٱمرأَةٌ مَلَكَتْ عقلَهُ ، وغَلَبَتْ هواهُ ، وملأَتْ رِضاهُ ، فبينَا هوَ معها يوماً علىٰ قهوةٍ . . قالَ : أَتمنَّىٰ عليكِ أُمنيَّةً ، أُحبُّ أَنْ توافقيني عليها ، قالتْ : نَعَمْ ، قالَ : كائنةً ما كانَتْ ؟ قالتْ : نَعَمْ ، وأَخذَ عهدَها بذلكَ ، فقالَ : ٱصنعي ٱلقهوةَ عُريانةً ، فٱستقالَتْهُ ، فلَمْ يَقبلْ ، ففعلَتْ ، ولمَّا أَدَّتِ الشيخ حسين زايد وصنَّاعة القهوة

---

(١) أورده الحافظ في « فتح الباري » (٣/ ٦٣٠) .

رفع المسهم

ٱلوظيفةَ . . قالَتْ : وأَنا أَتمنَّىٰ عليكَ أَمراً ، أَفتُعطِينيهِ ؟ قالَ : نَعَمْ . قالَتْ : كائناً ما كانَ ؟ قالَ : نَعَمْ ، وأَخذتْ عليهِ ميثاقاً غليظاً ، قالَتْ : تُطلِّقُني بالثَّلاثِ في ٱلحالِ ، ولَمَّا فشِلَ في ٱلمراجعةِ ، ولَجَّتْ في التَّصميمِ . . لَمْ يَسعْهُ إلاَّ ٱلوفاءُ بما ٱقتطعَهُ علىٰ نفسِهِ ، وإنْ كانَ فيهِ حتفُهُ ، ثُمَّ خرجَ هائِماً علىٰ وجهِهِ ، وأَشارَ علىٰ أَخيهِ أَنْ يتزوَّجَها إذا حلَّت ، فٱمتثلَ ، وبعقبِ ذَلكَ جاءَ لتهنئةِ أَخيهِ ، فدخلَتْ هيَ ، وألقتْ جانبَ السِّتْرِ ، فأَنشدَها أَبياتاً مِنْ شعرِهِ ٱلحُمينيِّ ، يزعُمُ فيهِ : أَنَّهُ رآها وإيَّاهُ مجتمعَيْنِ علىٰ شربِ قهوةٍ في فراشٍ واحدٍ ، فأَجابتهُ مِنْ بحرِهِ وقافيتِهِ بما يقطعُ أَمَلَهُ ، ويخيِّبُ رجاءَهُ ، وكانَ ذلكَ في حينِ ذهابِ أَخيهِ لبعضِ شغلِهِ ، ومُذْ زوَّدتْهُ ٱليأسَ ٱلحاضرَ . . ٱستولاهُ الضَّعفُ ، وزارَهُ السُّقامُ ، ولزمتْهُ ٱلعِلَلُ ، وٱشتملَ عليهِ ٱلفِراشُ ، ولمَّا ٱستعرَ بهِ ٱلألمُ ، وٱستحرَّ بهِ ٱلوجْدُ ، ونهكَهُ ٱلمرضُ . . طلبَ مِنْ أَخيهِ وصولَ ٱلمرأَةِ ؛ ليستحلَّها ، ويطلبَ ٱلعفوَ منها ، وربَّما خطرَ ببالِهِ ما خطرَ ببالِ مجنونِ عامرٍ في قولِهِ [مِنْ « ديوانِهِ » ٢٤٩ مِنَ الطَّويلِ] :

وَلَوْ شَهِدَتْنِيْ حِيْنَ تَأْتِيْ مَنِيَّتِي جَلاَ سَكَرَاتِ ٱلْمَوْتِ عَنِّيْ ٱبْتِسَامُهَا

أَو قولِ ٱلأَعْشىٰ [في « ديوانِهِ » ١٥٢ مِنَ السَّريعِ] :

لَوْ أَسْنَدَتْ مَيْتَاً إِلَىٰ نَحْرِهَا عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَىٰ قَابِرِ

فأَشارَ عليها أَخوهُ بالذَّهابِ ، فٱمتنعتْ ، وقالَت لهُ : أَولىٰ لكَ أَنْ لاَ تفعلْ ، فألحَّ عليها ، وبمجرَّدِ دخولِها علىٰ حُسينٍ . . ٱزدهرتْ عيناهُ ، كأَنَّهُما سِراجانِ ، وٱستأْذنَها أَنْ يضعَ رأْسَهُ علىٰ فخِذِها ،

رفع المسهم

فَأَذِنَتْ ، ولِحينِ ما وضعَهُ فاضتْ نفسُهُ ، ولم ينفعْهُ ما سبقَ عنِ الأَعشىٰ والمجنونِ ، بلْ كانَ الأَمرُ كما قالَ غيرُهُما [مِنَ الطَّويلِ] :

وَلَمَّا رَأَتْنِيْ فِيْ السِّيَاقِ تَعَطَّفَتْ عَلَيَّ وَعِنْدِيْ مِنْ تَعَطُّفِهَا شُغْلُ
أَتَتْ وَحِيَاضُ الْمَوْتِ بَيْنِيْ وَبَيْنَهَا وَمَنَّتْ بِوَصْلٍ حِيْنَ لاَ يَنْفَعُ الْوَصْلُ

وقالَ جريرٌ [في « ديوانهِ » ٢/ ٦٦١ مِنَ الطَّويلِ] :

إِذَا مَا رَجَا الظُّمْآنُ وِرْدَ شَرِيْعَةٍ ضَرَبْنَ حِيَالَ الْمَوْتِ دُوْنَ الشَّرائِعِ

ثُمَّ حرَّكوها ، فإذا هيَ يابسةٌ .

ربما قتل الشيخ ابن زامل في هذا الطريق

وٱختلفتِ الروايةُ عَنِ الشيخِ عليِّ بنِ زاملٍ باجِرَيٍّ : فقدْ ذُكِرَ موتُهُ وموتُ محبوبتِهِ في تلكَ السبيلِ . والأُخرىٰ : أَنَّ العوامرَ قتلوهُ ، ولمَّا لُفَّ في مِلحفتِهِ . أَصابتْها شرارةٌ ، فٱشتعلتْ ناراً ، وٱحترقَ ، ومِنَ القصَّةِ تَعرِفُ ما كانَ عليهِ القومُ مِنَ الشهامةِ ، وكرمِ الطباعِ .

عاشقة ابن عمها كيف تموت

وبها ذكرتُ ما رويَ عن سعيدِ بنِ عبدِ اللهِ : أَنَّ فتاةً مِنَ العربِ عَلِقَتْ بٱبنِ عمٍّ لها عاقلٍ ، أَديبٍ ، فجعلتْ تُكثِرُ الاختلافَ عليهِ ، حَتَّىٰ خَلا لها وجهُهُ ، فتعرَّضتَ لهُ ، فصرفَها ، فتغيَّرَ حالُها ، وٱعتلَّتْ ، ولم يزلْ بها المرضُ حتَّىٰ سقطَتْ علىٰ الفراشِ ، فأَخبرتهُ أُمُّهُ بِشأنِها ، فقالَ : عُوديها ، وقُولي لها : ما شأنُكِ ؟ فقالتْ : وَجَعٌ في فؤادي ، هوَ أَصلُ العلَّةِ ، قالتْ : فإِنَّ ٱبني يسألُكِ عنها ، فتنفَّستْ ، وقالتْ [مِنَ الطويلِ] :

يُسَائِلُنِيْ عَنْ عِلَّتِيْ وَهْوَ عِلَّتِيْ عَجِيْبٌ مِنَ الأَنْبَاءِ جَاءَ بِهِ الدَّهْرُ

فأَخبرتهُ بحالِها ومقالِها ، فقالَ : أَتحبُّ أَنْ أَصيرَ إِليها ، أَو تصيرَ

رفع المسهم

إليَّ ، فعرضتْ عليها ذلكَ أُمُّهُ ، فقالتْ [مِنَ الطويل] :

وَيُبْعِـدُنِـيْ عَـنْ قُـرْبِـهِ وَلِقَـائِـهِ فَلَمَّا أَذَابَ ٱلْجِسْمَ مِنِّيْ تَعَطَّفَا

فَلَسْتُ بِآتٍ مَوْضِعاً فِيْهِ قَاتِلِيْ بِحَسْبِيْ سِقَاماً أَنْ أَمُوْتَ تَلَهُّفَا

ولمْ تزلْ لِما بها حتَّىٰ ماتتْ .

يخرج روحه من نفسه ليعطيها لصديقه

ومنها : ما بلغني أَنَّ ٱثنينِ مِنَ ٱلحُمومِ[1] ، كانَ بينَهُما وِدٌّ وإخاءٌ ، فزارَ أَحدُهُما ٱلآخرَ مرَّةً علىٰ بُعدِ الدارِ ، وشَحْطِ المزارِ ، وعليهِ آثارُ الضنىٰ ، فسألَهُ عمَّا بهِ فكتمَ ، حتَّىٰ ألحَّ عليهِ ، فقالَ : إنِّي ٱستعرضتُ النساءَ في قَدمتي ٱلأُولىٰ عليكَ ، فٱفتتنتُ بواحدةٍ منهنَّ ، صيَّرني هواها إلىٰ ما رأَيتَ ، قالَ : هلْ تعرفُها لو رأيتَها ؟ قالَ : نَعَمْ ، فمرَّ بهِ علىٰ ٱلنساءِ ، فأَشارَ إليها ، فقالَ لهُ : طِبْ نفساً عنها ، وقَرَّ عيناً بزواجِها ، ولم يزلْ يُعلِّلُهُ ، ويستمهِلُهُ ، حتَّىٰ أَعرسَ لهُ بها ، وزفَّها إليهِ ، ولمَّا ٱحتملَها إلىٰ قومِهِ . . أَخبرتْهُ أَنَّها كانتْ زوجةَ صاحِبِهِ ، وأَنَّهُ كانَ مُحبّاً لها ، ولم يطلِّقها إلاَّ إيثاراً لهواهُ ، فسُقِطَ في يدِهِ[2] ، وأَعظمَ ٱلأَمرَ ، وشاءَ أَنْ يطلِّقها ، لولا أَنَّها ٱشتملَتْ منهُ علىٰ ولدٍ ، وأَيقنَ بالهلاكِ إنْ هوَ فارقَها ، ثُمَّ زارَ صاحبَهُ بإثرِ ذلكَ ، فألفاهُ رهينَ ٱلفراشِ ، فسألَهُ عَن علَّتِهِ ، وهلْ لها مِن دواءٍ ؟! فقالَ : لقدِ ٱستوصفتُ الأَطباءَ مِنْ أَهلِ باديتِنا ، وكلُّهم أَشارَ عليَّ بما لا يمكنُ وجودُهُ ، قالَ : ما هوَ ؟ قالَ : دمُ طفلٍ يكونُ وحيدَ أَبويهِ يذبحانِهِ بأَيديهِما ، فلمَّا رجعَ إلىٰ ٱمرأَتِهِ . . قالَ لها : قدْ

---

(١) قبيلةٌ مِنْ قبائلِ (حضرموتَ) .

(٢) سُقِطَ في يدِهِ : ندمَ .

رفع المسهم

علمتِ ما أَثقلني بهِ صاحبي مِنَ ٱلمِنَّةِ ، وأَقدَرني ٱللهُ علىٰ مكافأتِهِ ، وشرحَ لها الحديثَ ، فذهبا بالولدِ ، ولمَّا قابلا الرجلَ . . ذبحاهُ ، وأَفرغا عليهِ دمَهُ ، كما وصفَ لهُ ٱلأطباءُ في العلاجِ ، فتماثلَ ، ثُمَّ برأَ .

هٰذا ما حدَّثني بهِ جماعةٌ مِنَ ٱلعوامرِ والحمومِ ، واللهُ أَعلمُ بحقيقةِ الحالِ . ولا شكَّ أَنَّهُ مِنَ ٱلنكارةِ والأُشنوعةِ والفظاعةِ بالدرجةِ الفاحشةِ ، ولٰكنْ للوفاءِ هِزَّةٌ مِنْ حيثُ كانَ ، فلا حرجَ أَنْ أُعجبنا بهِ مِنْ هٰذهِ الجهةِ ، كما قرَّرناهُ عندَ ذكرِ مقتلِ أَبي جهلِ بنِ هشامٍ ، مِنْ كتابِنا : « بلابلُ التغريدِ » .

هل أنت تذبح ابنك لتشفي خراج الملك؟!!

وشبيهٌ بهٰذهِ مِنْ ناحيةٍ : ما رأَيتُهُ في بعضِ الكتبِ : أَنَّ ملكاً ظهرَ فيهِ خُرَّاجٌ أَعيىٰ ٱلأَطباءَ علاجُهُ ، حتَّىٰ جاءَهُ أَحدُ النصَّابينَ منهُم ، فقالَ : لا يفيدُ فيهِ إلاَّ دمُ صبيٍّ بلغَ العاشرةَ ، يذبحُهُ أَبواهُ بينَ يديكَ ، بحيثُ يقعُ دمُهُ علىٰ ٱلخُرَّاجِ ، وٱتَّفقَ أَنَّ رجلاً كلَّما بلغَ أَحدُ أَبنائِهِ العاشرةَ . . هلكَ ، وكانَ لهُ أَبنٌ علىٰ رأسِها ، فلمَّا سمعَ بما جعلَهُ الملكُ مِنَ ٱلمالَ الجزيلِ لِمَنْ يبذُلُ ولدَهُ في هٰذِي ٱلسبيلِ . . قالَ لامرأَتِهِ : قدْ علمتِ مِنَ ٱلعادةِ التي لا تتخلَّفُ أَنَّ هٰذا ٱلولدَ لا بُدَّ أَنْ يموتَ عَمَّا قليلٍ ، فلأَنْ نربحَ بهِ هٰذِهِ الثروةَ الضخمةَ . . خيرٌ لنا مِنْ أَنْ يذهبَ ضياعاً ، فوافقتهُ ، وتقدَّما بهِ إلىٰ الملكِ ، ولمَّا أَعتزما ذبحَهُ بينَ يديهِ . . ضحِكَ الصبيُّ ، فقالَ لهُ المَلِكُ : مِمَّ تضحَكُ علىٰ ما أَنتَ فيهِ ؟ فقالَ : إنَّ أَحَنَّ الناسِ علىٰ ٱلصبيِّ أَبوهُ وأُمُّهُ وسلطانُهُ ، وإذا كانَ الثلاثةُ يرتكبونَ منِّي هٰذا ٱلأَمرَ الذي تقشعرُّ منهُ الأَبدانُ . . فكيفَ يرحمُهُم جبَّارُ ٱلسماءِ ؟! فأَرتاعَ الملكُ لقولِهِ ، وٱنفجرَ جرحُهُ ، وأَمرَ بالكفِّ عنهُ ، ودَفَعَ لهُمُ المالَ ، وعاشَ

رفع المسهم

الولدُ ، وعوفيَ الملكُ ، والعهدةُ على الراوي .

أرى جسداً عليلاً وعينين صحيحتين

ويتَّصلُ بحديثِ الحُموميِّ : ما ذكرَهُ عبدُ الملكِ بنُ عُميرٍ ، قالَ : كانَ أَخَوانِ في ثقيفٍ مِنْ بني كُنَّةَ ، بينَهُما مِنَ الوُدِّ ما لا يعلمُهُ إلاَّ اللهُ ، كلٌّ منهُما يرى الآخرَ عِدْلَ نفسِهِ ، فاتَّفَقَ أَنْ سافرَ الأَكبرُ ، واعتمدَ على الأَصغرِ في حفظِ تركتِهِ ، وقضاءِ حاجةِ أَهلِهِ ، فبينا هوَ في دارِ أَخيهِ . . إذ مرَّتْ زوجُهُ ـ وكانتْ مِنْ أَجملِ البشرِ ـ فوقعَ في قلبِهِ حبُّها ، وجعلَ لونُهُ يتغيَّرُ ، وجسمُهُ يذوبُ ، حتَّى قدِمَ أَخوهُ ، فسألَهُ عن حالِهِ ، فقالَ : لا شيءَ ، فدعا لهُ الأَطباءَ ، فعَيَوا بأَمرِهِ ، ما سِوى الحارثِ بنِ كَلَدَةَ ؛ فإِنَّهُ قالَ : أَرى عينينِ صحيحتينِ ، وما أَرى ما بهِ إلاَّ مِنَ العشقِ ، وسأَسقيهِ شراباً ، وسَيبينُ إنْ كانَ عاشقاً ، فجعلَ يسقيهِ ، فلمَّا أَخذَهُ الشرابُ . . اهتاجَ ، واستهلَّ بأَبياتٍ تدُلُّ على صدقِ ما تفرَّسَهُ الحارثُ ، غيرَ أَنَّهُ أَجملَ ، ولم يعيِّنْ ، فقالَ لهُ الأَخُ : أَنتَ طبيبُ العربِ ، فما الحيلةُ في التعيينِ ، حتَّى نقضيَ غرضَهُ ؟ قالَ : سَأُعيدُ عليهِ الشرابَ ، حَتَّى يُسَمِّيَ ، فلمْ يزلْ يكرِّرُهُ عليهِ ، حتَّى سمَّى المرأَةَ ، فطلَّقَها أَخوهُ ليتزوَّجَها ، فقالَ المريضُ : عليَّ كذا وكذا إنْ تزوَّجتُها ، ولم يزلْ حتَّى قضى قتيلَ الغرامِ[1] .

المتنبي والرمادي

وخاتمةُ المجلس : أَنَّ لبيتِ الناظمِ الذي نحنُ بسبيلِهِ . . قصَّةً حاصلُها : أَنَّهُ لمَّا سمعَ بقولِ الرماديِّ يمدحُ أَبا عليٍّ القاليَّ [في «ديوانِهِ» ١١١ مِنَ الكامل] :

فِيْ أَيِّ جَارِحَةٍ أَصُوْنُ مُعَذِّبِيْ سَلِمَتْ عَنِ التَّعْذِيْبِ وَالتَّنْكِيْلِ

(١) « المستقصى في أمثال العرب » (١/ ٣٩) .

رفع المسهم

.. قالَ : إنْ سلمَ منْ داءِ الحَلاَقِ[1] .. فليجعلْهُ في أستِهِ .

فأنتهتْ مقالتُهُ للرماديِّ ، وكانَ قد سمعَ بقولِهِ [مِنَ البسيطِ] :

كَفَىٰ بِجِسْمِيْ نُحُوْلاً أَنَّنِيْ رَجُلٌ [لَوْلاَ مُخَاطَبَتِيْ إِيَّاكَ لَمْ تَرَنِيْ]

فقالَ : ما أَشبهَهُ حينئذٍ بالضرطةِ ، فإنَّها تُسمعُ ولا تُرىٰ ، والبيتانِ صحيحانِ ، غيرَ أَنَّ مَنْ تكلَّفَ الانتقادَ .. لم يَعْوَزْ إليهِ الطريقَ ، إمَّا سهلاً وإمَّا وَعْراً ، إمَّا سَميناً وإمَّا غثّاً ، كصنيعِ الرَّجُلينِ في البيتينِ ، وقدْ يكونُ الرماديُّ إنَّما أنتقدَ قولَ الناظمِ الآتي عن قريبٍ وهوَ [مِنَ البسيط] :

وَضَاقَتِ الأَرْضُ حَتَّىٰ صَارَ هَارِبُهُمْ إِذَا رَأَىٰ غَيْرَ شَيْءٍ ظَنَّهُ رَجُلاً

والأَوَّلُ أَشبَهُ ، والحفظُ يخونُ ، واللَّفظُ يزيدُ وينقصُ .

واللهُ أَعلمُ

* * *

(١) الحَلاَقُ : المنيَّةُ ، والمعنىٰ : أَنَّهُ إن بقيَ علىٰ قيدِ الحياةِ بَعدَما أَصابهُ مِنَ العذابِ .. فَليجعلْ حبيبَهُ في أستِهِ .

رفع المسهم

المجلس الثاني

[قالَ أَبو الطيِّب المتنبِّي في « العُكْبَريِّ » ١/ ٢٩٤ مِنَ المنْسَرِح]:

أَهْلاً بِدَارٍ سَبَاكَ أَغْيَدُهَا أَبْعَدَ مَا بَانَ عَنْكَ خُرَّدُهَا[1]

عادة الشعراء البكاء على الأطلال

جرتْ عادةُ الشعراءِ بالسلامِ علىٰ ديارِ الأَحبابِ ، والدعاءِ لآثارِهِم بالسُّقيا ، وما أَشبهَ ذلِكَ ، فقالَ امرؤُ القيسِ [في « ديوانه » مِنَ الطويل] :

أَلاَ عِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَالِي [وَهَلْ يَعِمَنْ مَنْ كَانَ فِي الْعُصُرِ الْخَالِي]

وقالَ القُطاميُّ [في « ديوانه » ٢٣ مِنَ البسيط] :

إِنَّا مُحَيُّوْكَ فَاسْلَمْ أَيُّهَا الطَّلَلُ وَإِنْ بَلِيْتَ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ الطِّيَلُ

اقتداء المتنبي بهم

وقدْ أَحبَّ الناظِمُ أَنْ يَتسمَّتَ آثارَهُم، كما في قولِهِ [في «العُكْبَريِّ» ١/ ٥٦ مِنَ الطويل]:

فَدَيْنَاكَ مِنْ رَبْعٍ وَإِنْ زِدْتَنَا كَرْبَا فَإِنَّكَ كُنْتَ الشَّرْقَ لِلشَّمْسِ وَالْغَرْبَا

---

(١) الأَغْيَدُ : الناعم .

رفع المسهم

وقولِهِ [في « العُكْبَريّ » ٢/ ٣٧٧ مِنَ البسيط] :

فَعِمْ صَبَاحاً لَقَدْ هَيَّجْتَ لِيْ شَجَناً وَأَرْدُدْ تَحِيَّتَنَا إِنَّا مُحَيُّوْكَا[1]

وقولِهِ [في « العُكْبَريّ » ٤/ ٣٦ مِنَ البسيط] :

فَمَا أَمْرُؤٌ بِرَسْمٍ لاَ أُسَائِلُهُ وَلاَ بِذَاتِ خِمَارٍ لاَ تُرِيْقُ دَمِيْ

مخالفته لهم غيرَ أَنَّهُ غايرَهُم في قولِهِ [في « العُكْبَريّ » ٢/ ٢٤٩ـ٢٥٠ مِنَ الوافر] :

مُلِثَّ ٱلْقَطْرِ أَعْطِشْهَا رُبُوْعَا وَإِلاَّ فَاسْقِهَا ٱلسُّمَّ ٱلنَّجِيْعَا[2]

أُسَائِلُهَا عَنِ ٱلْمُتَدَيِّرِيْهَا فَلاَ تَذْرِيْ وَلاَ تُذْرِيْ دُمُوْعَا[3]

ولقد بالغَ المعرّيُّ في قولِهِ [في « سقطِ الزندِ » ١٩٦ مِنَ الطويل] :

تَحِيَّةُ كِسْرَىٰ فِي ٱلسَّنَاءِ وَتُبَّعٍ لِرَبْعِكِ لاَ أَرْضَىٰ تَحِيَّةَ أَرْبُعِ[4]

شرح المطلع والناظِمُ في البيتِ ٱلذي نتكلَّمُ عليهِ يدعو للدارِ بأَنْ تكونَ مأهولةً ، وكانَ الواجبُ أَنْ يقولَ : (أَهْلاً لِدَارٍ) ؛ لِيَتَّضحَ معنىٰ الدعاءِ للدارِ ؛ لأَنَّ مِنْ معاني (اللامِ) بيانَ المدعوِّ لهُ ، كما في قولِهم : (سَقْياً لَهُ) .

---

(١) عِم صباحاً : كلمةُ تحيّةٍ . وفي «الديوان» : (طَرَباً) : بدل (شَجَناً) .

(٢) في «الديوان» و«العكبري» : (السُّمَّ ٱلنَّقِيْعَا) بدل (السُّمَ النَّجِيْعَا) . المُلِثُّ : الدائم المقيم . النجيعُ ، يُقالُ : نَجَعَ فيه الدواءُ وأَنجعَ : إذا عَمِلَ .

(٣) المُتَدَيِّرِيْها : أي متَّخذِيْها داراً ، والأَصلُ : المتديرينَ فيها ، فأَضافَ إلى الضميرِ .

(٤) السناءُ : الرفعةُ . تُبَّعُ : مِنْ ملوكِ اليمنِ ، جمعُهُ تَبَابِعَةٌ : سُمُّوا بذلكَ ؛ لأَنَّهُ يتبعُ بعضُهم بعضاً ، كلَّما هلكَ واحدٌ . . قامَ مَقامَهُ آخر متابعاً لَهُ على مثلِ سيرتِهِ . وتُبَّعٍ معطوفٌ على كسرىٰ ، أي تحيةُ كسرى وتُبَّعٍ . . لرَبْعِكِ .

رفع المسهم

أَمَّا (ٱلباءُ) : فلا معنىٰ لها ، وإِنْ تكلَّفَ الشارحُ في تأْويلِها .

وأَمَّا قولُهُ : (أَبْعَدَ مَا بَانَ عَنْكَ خُرَّدُهَا) . . فـ (الخُرَّدُ) : جمع خَريدةٍ ، وهيَ البِكرُ التي لَمْ تُمَسَّ . و (أَبْعَدَ) : أَفْعَلُ تفضيلٍ .

ومعناه : أَنَّ أَهلَ ٱلدارِ قد بَعُدوا كلُّهم ، غيرَ أَنَّ ٱلخُرَّدَ أَبعَدُ . ثُمَّ لا يخلو أَنْ يُريدَ وصفَهُم بٱلبُعدِ حالَ الإِقامةِ ، وفيهِ نظرٌ ؛ لأَنَّ وصفَ الرجالِ بٱلبُعدِ قد يُفهَمُ منهُ الإِشارةُ إِلىٰ تَحِلَّهم[1] ، أَو حالَ ٱلارتحالِ ، وهوَ حينئذٍ ظاهِرٌ ؛ لأَنَّهُم وإِنْ تحمَّلوا معاً ، فأَوَّلُ مَنْ يُقدَّمُ النساءُ ، ثُمَّ يزدنَ بُعداً بالغَيرةِ والصيانةِ ، وكثيراً ما يوجدُ ذِكرُ بُعدِهِنَّ في أَفانينِ القولِ ، كما هوَ مُكرَّرٌ في « ديوانِهِ » منهُ قولُهُ [في « العُكْبَريِّ » ١/ ٢٢٥ مِنَ الكامل] :

صيانة المرأة عند العرب

سِرْبٌ مَحَاسِنُهُ حُرِمْتُ ذَوَاتِهَا ... دَانِيْ ٱلصِّفَاتِ بَعِيْدُ مَوْصُوْفَاتِهَا

وقولُهُ [في « العُكْبَريِّ » ٤/ ١١١ مِنَ الطويل] :

دِيَارُ ٱللَّوَاتِيْ دَارُهُنَّ عَزِيْزَةٌ ... بِطُوْلِ ٱلْقَنَا يُحْفَظْنَ لاَ بِٱلتَّمَائِمِ[2]

وهوَ مِنْ قولِ الطِّرِمَّاحِ [في « ديوانِهِ » ٣٥٠ مِنَ الطويل] :

قريب المرأى بعيد المنال

وَمَا مُنِعَتْ دَارٌ وَلاَ عَزَّ أَهْلُهَا ... مِنَ ٱلنَّاسِ إِلاَّ بِٱلْقَنَا وَٱلْقَنَابِلِ[3]

وقولُهُ ـ أَعني الناظِمَ ـ [في « العُكْبَريِّ » ١/ ١١١ مِنَ البسيط] :

---

(١) التَّحِلَّةُ : الإِقامة .

(٢) في «الديوان» : (بِطُوْلِيْ) بدل (بِطُوْلِ)، وهو مؤنث أطول، من إضافة الصفة إلى الموصوف.

(٣) القنابلُ ـ جمعُ قَنْبَلةٍ ـ : وهي الطائفةُ مِنَ الناسِ ومِنَ الخيلِ ، قيلَ : ما بينَ الثلاثينَ إِلىٰ الأربعينَ .

رفع المسهم

بَيْضَاءَ تُطْمِعُ فِيمَا تَحْتَ حُلَّتِهَا ... وَعَزَّ ذَلِكَ مَطْلُوباً إِذَا طُلِبَا
كَأَنَّهَا الشَّمْسُ يُعْيِي كَفَّ قَابِضِهِ ... شُعَاعُهَا وَيَرَاهُ الطَّرْفُ مُقْتَرِبَا

وقولُهُ [في « المُخْبَرِيّ » ٣/ ٧٥ مِنَ البسيط] :

تكرار هذا المعنى عند الشعراء

مَتَىٰ تَزُرْ قَوْمَ مَنْ تَهْوَىٰ زِيَارَتَهَا ... لاَ يُتْحِفُوكَ بِغَيْرِ الْبِيْضِ وَالأَسَلِ[1]

وقالَ كُثَيِّرٌ [في « ديوانهِ » ٩٧ مِنَ الطويل] :

كَأَنِّيْ أُنَادِيْ صَخْرَةً حِيْنَ أَعْرَضَتْ ... مِنَ الصُّمِّ لَوْ تَمْشِيْ بِهَا الْعُصْمُ زَلَّتِ[2]

وقالَ الطِّرِمَّاحُ [في « ديوانهِ » ٤٣٥ مِنَ الطويل] :

تَرَاهَا عُيُوْنُ النَّاظِرِيْنَ إِذَا بَدَتْ ... قَرِيْباً وَلاَ يَسْطِيْعُهَا مَنْ يَرُوْمُهَا

وقالَ ٱبنُ الأَحنفِ [في « ديوانهِ » ٢٢١ مِنَ المتقارب] :

هِيَ الشَّمْسُ مَسْكَنُهَا فِيْ السَّمَا ... فَعَزَّ الْفُؤَادَ عَزَاءً جَمِيْلاً

وقالَ ٱبنُ عُيينةَ [مِنَ الطويل] :

فَقُلْتُ لأَصْحَابِيْ: هِيَ الشَّمْسُ ضَوْؤُهَا ... قَرِيْبٌ وَلَكِنْ فِي تَنَاوُلِهَا بُعْدُ

ولا يخرجُ عنهُ قولُ جريرٍ [مِنَ الكامل] :

حُوْرٌ حَرَائِرُ مَا هَمَمْنَ بِرِيْبَةٍ ... كَظِبَاءِ مَكَّةَ صَيْدُهُنَّ حَرَامُ
يُحْسَبْنَ مِنْ لِيْنِ الْحَدِيْثِ زَوَانِياً ... وَيَصُدُّهُنَّ عَنِ الْخَنَا الإِسْلاَمُ

---

(١) البيضُ : السيوفُ . والأَسَلُ : الرماحُ . قال الشاعر :
نَحْنُ حَيٌّ زَيْدٌ وَسَعْدٌ لَمَّ رَأَىٰ وَقْعَ الأَسَلْ

(٢) الصُّمُّ ـ جمعُ صَمَّاءَ ـ : وهيَ الصخرةُ الصلبةُ . العُصْمُ ـ جمعُ أَعصمَ ـ : والأَعصمُ مِنَ الظباءِ والوعولِ : الذي في ذراعيهِ بياضٌ .

رفع المسهم

وما أحسنَ قولَهُ معَ نظرِهِ إلىٰ ما نحنُ فيهِ مِنْ قريبٍ [مِنَ الطويل] :

وَأَدْنَيْتِنِـيْ حَتَّـىٰ إِذَا مَـا سَبَيْتِنِـيْ ... بِقَوْلٍ يُحِلُّ ٱلْعُصْمَ سَهْلَ ٱلأَبَاطِحِ
تَجَافَيْتِ عَنِّيْ حِيْنَ لاَ لِيَ حِيْلَةٌ ... وَخَلَّفْتِ مَا خَلَّفْتِ بَيْنَ ٱلْجَوَانِحِ

وفيهِ نَظَرَ إلىٰ قولِهِ جَلَّ شأنُهُ : ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ ﴾ [الحشر : ١٦] .

وفي معناهُ قولُ ٱمرأةِ ٱبنِ الدُّمَيْنَةِ [في « ديوانهِ » ٤٢ مِنَ الطويل] :

وَأَنْتَ ٱلَّذِي أَخْلَفْتَنِيْ مَا وَعَدْتَنِيْ ... وَأَشْمَتَّ بِيْ مَنْ كَانَ فِيْكَ يَلُوْمُ
وَأَبْرَزْتَنِـيْ لِلنَّـاسِ ثُـمَّ تَـرَكْتَنِـيْ ... لَهُمْ غَرَضاً أُرْمَىٰ وَأَنْتَ سَلِيْمُ
فَلَوْ أَنَّ قَوْلاً يَكْلِمُ ٱلْجِسْمَ قَدْ بَدَا ... بِجِسْمِيَ مِنْ قَوْلِ ٱلْوُشَاةِ كُلُوْمُ

وقالَ ٱلعبَّاسُ بنُ ٱلأحنفِ [في « ديوانهِ » ٨٤ مِنَ البسيط] :

أَبْكِي ٱلَّذِيْنَ أَذَاقُوْنِيْ مَوَدَّتَهُمْ ... حَتَّىٰ إِذَا أَيْقَظُوْنِيْ لِلْهَوَىٰ رَقَدُوْا
وَٱسْتَنْهَضُوْنِيْ فَلَمَّا قُمْتُ مُنْتَصِباً ... بِثِقْلِ مَا حَمَّلُوْنِيْ عَنْهُمُ قَعَدُوْا

وقالَ بعضُهُم [في «الأغاني» ٢/٥٣] : بينا أنا وصديقٌ لي مِنْ قريشٍ . . لقاءٌ وعتاب إذا بظِلٍّ نسوةٍ في القمرِ ، فسمعتُ واحدةً تقولُ : أَهوَ هوَ ؟ فقالتِ ٱلأُخرىٰ : نَعَم ، فدنت منِّي ، وقالت : قُل لصاحبِكَ [مِنَ البسيط] :

لَيْسَتْ لَيَالِيْكَ فِيْ خَاخٍ بِعَائِدَةٍ ... كَمَا عَهِدْتَ وَلاَ أَيَّامُ ذِيْ سَلَمِ[1]

(١) خَاخٌ : أسمُ مَوْضِعٍ بينَ الحرمينِ ، وقد ورد ذكره في حديث علي عند البخاري (٤٨٩٠) وغيره : أنَّ النبي ﷺ أرسله والزبير والمقداد وقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة . . .» الحديث.

رفع المسهم

فلم يَحِرْ جواباً ، فقلتُ عنهُ [مِنَ الطويل] :

فَقُلْتُ لَهَا : يَا عَزُّ كُلُّ مُصِيبَةٍ إِذَا وُطِّنَتْ يَوْماً لَهَا ٱلنَّفْسُ ذَلَّتِ

فدعتني إلىٰ بيتِها ، وقالت : ما أَفظَّ جوابَكَ ، وبكت ، وشكت ما أَضرَّ بها مِنْ هوىٰ صاحبي ، فدعوتُهُ لها ، فعاتبَتْهُ طويلاً ، ثُمَّ تمثَّلَت بأَبياتِ ٱمرأَةِ ٱبنِ الدُّمَيْنَةِ ، ثُمَّ سكتت ، فقالَ الفتىٰ [مِنَ الطويل] :

غَدَرْتِ وَلَمْ أَغْدُرْ وَخُنْتِ وَلَمْ أَخُنْ وَفِيْ دُوْنِ هَـٰذَا لِلْمُحِبِّ عَـزَاءُ
جَزَيْتُكِ ضِعْفَ ٱلْوُدِّ ثُمَّ صَرَمْتِنِيْ فَحُبُّكِ فِيْ قَلْبِيْ أَذىً وَشَقَاءُ

فقالَتْ [مِنَ الطويل] :

تَجَاهَلْتَ وَصْلِيْ حِيْنَ لَجَّتْ عَمَايَتِيْ فَهَلاَّ صَرَمْتَ ٱلْحَبْلَ إِذْ أَنَا مُبْصِرُ
وَلِيْ مِنْ قُوَىٰ ٱلْحَبْلِ ٱلَّذِيْ قَدْ قَطَعْتَهُ نَصِيْبٌ وَإِذْ رَأْيِيْ جَمِيْعٌ مُوَفَّرُ
وَلَـٰكِنَّمَا آذَنْتَ بِالْهَجْرِ بَغْتَةً وَلَسْتُ عَلَىٰ مِثْلِ ٱلَّذِيْ جِئْتَ أَقْدِرُ

فقالَ ٱلفتى [مِنَ الطويل] :

لَقَدْ جَعَلَتْ نَفْسِيْ ـ وَأَنْتِ ٱجْتَرَمْتِهِ وَكُنْتِ أَحَبَّ ٱلنَّاسِ ـ عَنْكِ تَطِيْبُ[1]

فبكت ، ثُمَّ قالت : أَما وقد جعلتْ نفسُكَ تطيبُ . . فما فيكَ بعدَها خيرٌ ، وٱلسلامُ .

وقالَ قيسُ بنُ المُلَوَّح [في « ديوانِه » مِنَ الطويل] :

وَمَنَّيْتِنِيْ حَتَّىٰ إِذَا مَا رَأَيْتِنِيْ عَلَىٰ شَرَفٍ لِلنَّاظِرِيْنَ قَرِيْبِ
صَدَدْتِ وَأَشْمَتِّ ٱلْعَدُوَّ بِقُرْبِنَا أَنَابَكِ يَا لَيْلَىٰ ٱلْجَزَاءَ مُثِيْبِي

---

(١) أجترمَ : قطعَ .

رفع المسهم

ما أصعب الفطام بعد الرضاع

ومِمّا يُنسَبُ إلىٰ سيفِ الدولةِ قولُهُ [« في ديوانهِ » مِنَ الطويل] :

تَجَنّىٰ عَلَيَّ ٱلذَّنْبَ وَٱلذَّنْبُ ذَنْبُهُ ... وَعَاتَبَنِيْ ظُلْماً وَفِيْ شِقِّهِ ٱلْعَتْبُ
وَأَعْرَضَ لَمَّا صَارَ قَلْبِيْ بِكَفِّهِ ... فَهَلاَّ جَفَانِيْ حِيْنَ كَانَ لِيَ ٱلْقَلْبُ

الباذلات المانعات

وَأَنشدَ الأَصمعيُّ لِبعضِ الأَعرابِ [مِنَ الطويل] :

ومُسْتَخْفِيَاتٍ لَيْسَ يَخْفَيْنَ زُرْنَنَا ... يُسَحِّبْنَ أَذْيَالَ ٱلصَّبَابَةِ وَٱلدَّلِّ
جَمَعْنَ ٱلْهَوَىٰ حَتَّىٰ إِذَا مَا مَلَكْنَهُ ... نَزَعْنَ وَقَدْ أَكْثَرْنَ فِيْنَا مِنَ ٱلْقَتْلِ
مَرِيْضَاتِ رَجْعِ ٱلطَّرْفِ خُرْسٍ عَنِ ٱلْخَنَا ... تَـأَلَّفْـنَ أَهْـوَاءَ ٱلْقُلُـوْبِ بِـلاَ بَـذْلِ
مَوَارِقَ مِنْ خَتْلِ ٱلْمُحِبِّ عَوَاطِفٍ ... بِقَتْلِ أُوْلِيْ ٱلأَلْبَابِ بِٱلْجِدِّ وَٱلْهَزْلِ[1]
يُعَنِّفُنِـيْ ٱلْعُـذَّالُ فِيْهِـنَّ ، وَٱلْهَـوَىٰ ... يُحَذِّرُنِيْ مِنْ أَنْ أُطِيْعَ ذَوِيْ ٱلْعَذْلِ

وقالَ المجنونُ [في « ديوانهِ » ١٨٣ مِنَ الطويل] :

يُعَرِّضْنَ بِٱلدَّلِّ ٱلْمَلِيْحِ وَإِنْ يُرِدْ ... جَنَاهُنَّ مَشْغُوْفٌ فَهُنَّ مَوَانِعُ

وقالَ ٱبنُ ميّادةَ [في « ديوانه » ١٦٣ـ١٦٤ مِنَ الطويل] :

مَـوَانِـعُ لاَ يُعْطِيْـنَ حَبَّةَ خَـرْدَلٍ ... وَهُنَّ دَوَانٍ فِيْ ٱلْحَدِيْثِ أَوَانِسُ
وَيَكْرَهْنَ أَنْ يَسْمَعْنَ فِيْ ٱللَّهْوِ رِيْبَةً ... كَمَا كَرِهَتْ صَوْتَ ٱللِّجَامِ ٱلشَّوَامِسُ[2]

الكانزات الباخلات

وأَملىٰ أَبو بكرٍ الأَنباريُّ في بعضِ مجالِسهِ أَبياتاً في بحرِها ، وقافيتِها ، وبعضِ معناها ، وهيَ :

وَبِٱلْقَرْيَةِ ٱلْبَيْضَاءِ إِنْ زُرْتَ أَهْلَهَا ... مَهاً مُهْمَلاَتٍ مَا عَلَيْهِنَّ سَائِسُ
خَرَجْنَ لِحُبِّ ٱلرَّيْبِ مِنْ غَيْرِ رِيْبَةٍ ... عَفَائِفُ بَاغِيْ ٱللَّهْوِ مِنْهُنَّ آيِسُ

---

(١) يقال : مرقَ السهمُ من الرميةِ : إذا نَفذَ إلىٰ الجانبِ الآخرِ .
(٢) الشوامس : من شَمَسَ الفرس : إذا منع ظهرهُ .

رفع المسهم

عمر بن أبي ربيعة وعبد الملك بن مروان

ويروىٰ : أَنَّ عبدَ المَلِكِ بنَ مروانَ ٱستقبلَ عُمرَ بنَ أَبي ربيعةَ ، فقالَ لهُ : لقد عَلِمَتْ قريشٌ أَنَّكَ أَطولُها صبوةً ، وأَبعدُها توبةً ، أَمَا لَكَ في نساءِ قريشٍ ما يكفيكَ عن نساءِ بني عبدِ مَنافٍ ؟ أَلستَ القائِلَ [كما في « ديوانهِ» ٢٠٧ـ٢٠٨ مِنَ الطويل] :

نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِٱلْمُحَصَّبِ مِنْ مِنىً ... وَلِيْ نَظَرٌ ـ لَوْلاَ ٱلتَّحَرُّجُ ـ عَارِمُ[1]

فَقُلْتُ : أَصُبْحٌ أَمْ مَصَابِيْحُ رَاهِبٍ ... بَدَتْ لَكَ خَلْفَ ٱلسُّجْفِ أَمْ أَنْتَ حَالِمُ[2]

بَعِيْدَةُ مَهْوَىٰ ٱلْقُرْطِ إِمَّا لِنَوْفَلٍ ... أَبُوْهَا وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمُ[3]

فقالَ : يا أَميرَ المؤمنينَ ، إِنَّ بعدَ هٰذا قولي [كما في « ديوانهِ» ٢٠٩] :

طَلَبْنَ ٱلْهَوَىٰ حَتَّىٰ إِذَا مَا وَجَدْنَهُ ... صَدَرْنَ وَهُنَّ ٱلْمُسْلِمَاتُ ٱلْكَرَائِمُ

فٱستحيا منهُ عبدُ المَلِكِ ، ووصلَهُ ، وقضىٰ حوائجَهُ .

الكاسيات العاريات

وقالَ آخرُ في ٱلمعنىٰ [مِنَ الطويل] :

تَعَطَّلْنَ إِلاَّ مِنْ مَحَاسِنِ أَوْجُهٍ ... فَهُنَّ حَوَالٍ فِيْ ٱلصِّفَاتِ عَوَاطِلُ[4]

كَوَاسٍ عَوَارٍ صَامِتَاتٌ نَوَاطِقٌ ... بِعِفٍّ كَلاَمٍ بَاخِلاَتٌ بَوَاذِلُ

بَرَزْنَ عَفَافاً وَٱحْتَجَبْنَ تَسَتُّراً ... وَشِيْبَ بِحَقِّ ٱلْقَوْلِ مِنْهُنَّ بَاطِلُ

فَذُو ٱلْحِلْمِ مُرْتَادٌ وَذُوْ ٱلْجَهْلِ طَامِعٌ ... وَهُنَّ عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ حِيْدٌ نَوَاكِلُ

---

(١) عارمٌ : خارجٌ عن القصد .

(٢) السُّجْفُ والسَّجْفُ : السترُ .

(٣) بعيدة مهوى القُرط : كناية عن طول عنقها .

(٤) حَوَالٍ : صاحباتُ حليةٍ . عواطلُ : خالياتٍ مِنَ الحلي .

رفع المسهم

ولَمْ ينسَ حظَّهُ البُحتريُّ مِنْ هٰذا ٱلمعنىٰ ، في مثلِ قولِهِ [في « ديوانهِ » ١١٥٠ مِنَ الكامل] :

مِنْ كُلِّ مُرْهَفَةِ ٱلقَوَامِ غَرِيرَةٍ ... جُعِلَتْ مَحَاسِنُهَا هَوىً لِلأَنْفُسِ
تَبْدُوْ بِعَطْفَةِ مُطْمِعٍ حَتَّىٰ إِذَا ... شُغِلَ ٱلْخَلِيُّ ثَنَتْ بِصَدَّةِ مُؤْيِسِ

الكلام الحق

ولٰكنَّ الباري عزَّ شأنُهُ يقولُ : ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب : ٣٢] .

إذا كنت ريحاً فقد واجهت إعصاراً

وبَصُرَ بعضُهُم بأمرأةٍ فتَّانةٍ علىٰ ضفَّةِ (الرُّصَافةِ) ، فقالَ : يَرحمُ اللهُ أَبا ٱلجَهْمِ ، فقالت لهُ : يَرْحمُ اللهُ أَبا ٱلعلاءِ .

أَرادَ : قولَ عليِّ بنِ ٱلجَهْمِ [في « ديوانهِ » ٢٢٠ مِنَ الطويل] :

عُيُوْنُ ٱلْمَهَا بَيْنَ ٱلرُّصَافَةِ وَٱلْجِسْرِ ... جَلَبْنَ ٱلْهَوَىٰ مِنْ حَيْثُ أَدْرِيْ وَلاَ أَدْرِيْ

وَأَرادتْ : قولَ أَبي العلاءِ ـ وهوَ موضعُ المناسبةِ ـ [مِنَ الطويل] :

فَيَا دَارَهَا بِٱلْخَيْفِ إِنَّ مَزَارَهَا ... قَرِيْبٌ وَلٰكِنْ دُوْنَ ذٰلِكَ أَهْوَالُ

أبو نواس يأكل الفتاة بعينيه ووقوعه في شر أعماله

وذكرَ أَبو نُوَاسٍ : أَنَّ سماءً[1] أَصابتهُم في طريقِ الحجِّ ، فخرجَ يتنزَّهُ في بعضِ غياضِ العربِ ، حَتَّىٰ رُفِعَ لَهُ بيتٌ ، فإِذا فيهِ عجوزٌ عندَها فتاةٌ مبرقعةٌ ، سحرَتْهُ بعينَيها ٱلنجلاوينِ[2] ، فٱستسقاها الماءَ مرَّتينِ ، فقالتِ ٱلعجوزُ [مِنَ الطويل] :

هُمَا ٱسْتَسْقَيَا مَاءً عَلَىٰ غَيْرِ ظَمْأَةٍ ... لِيَسْتَمْتِعَا بِٱللَّحْظِ مِمَّنْ سَقَاهُمَا

---

(١) السماءُ : المطرُ .
(٢) النَّجَلُ : سعةُ شَقِّ العينِ .

رفع المسهم

ـ ومِنْ هـٰذا أَخذَ البُرَعيُّ قولَهُ [في « ديوانهِ » ١٢٢ مِنَ الكامل] :

مَا ٱلْمَاءُ مِنْ طَلَبِيْ وَلَـٰكِنْ رُبَّمَا مَدَّتْ بِهِ فَتَنَالُ مِنْ يَدِهَا يَدِيْ ـ

فلمَّا رأَتْهُ العجوزُ يكادُ يأكلُ بعينِهِ ٱلفتاةَ . . قالت [مِنَ الطويل] :

فَمَا لَكَ مِنْهَا غَيْرَ أَنَّكَ نَاكِحٌ بِعَيْنَيْكَ عَيْنَيْهَا ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُ ؟

فقالَ [مِنَ الطويل] :

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلاَّ تَعَلُّلُ سَاعَةٍ قَلِيْلاً فَإِنِّيْ نَافِعٌ لِيْ قَلِيْلُهَا

ولمَّا ٱستباهُ لحظُها ، وٱستهواهُ لفظُها . . قالَ ـ يستطعمُها السُّفُورَ ـ [مِنَ المتقارب] :

إِذَا بَارَكَ ٱللهُ فِيْ مَلْبَسٍ فَلاَ بَارَكَ ٱللهُ فِيْ ٱلْبُرْقُعِ
يُرِيْكَ وُجُوْهَ ٱلدُّمَىٰ غِرَّةً وَيَكْشِفُ عَنْ مَنْظَرٍ أَفْظَعِ

فنزعتْ بُرقُعَها ، فإذا وجهٌ يستحي ٱلقمرُ مِنْ جمالِهِ ، ذَكَرَ مِنْ حُسْنِهِ ما لا يحضرُني لفظُهُ ، فقالَ عندَ ذلكَ [مِنَ الطويل] :

عَلَىٰ وَجْهِ مَيٍّ مَسْحَةٌ مِنْ مَلاَحَةٍ وَتَحْتَ ٱلثِّيَابِ ٱلْعَارُ لَوْ كَانَ بَادِيَا

فما كانَ منها إلاَّ أَنْ أَخذَتْها هِزَّةٌ ، وخلَعتْ ما كانَ عليها مِنَ ٱلثيابِ ، ووقفتْ عُريانةً ، قالَ : فإذا صدرٌ كَأَنَّهُ صفيحةُ مَرمَرٍ ، فيهِ نَهدانِ كَأَنَّهُما حُقَّا عاجٍ[1] ، ثُمَّ أَتىٰ في وصفِ أَعضائِها ، بما ذهبَ

(١) الحُقُّ والحُقَّةُ ـ بالضم ـ : وعاءٌ منحوتٌ مِنَ الخشبِ والعاجِ وغيرِ ذلكَ ، ممَّا يصلحُ أَنْ ينحتَ منهُ . قال الشاعر :

وَصَدْرٍ مُشْرِقِ ٱللَّوْنِ كَأَنْ ثَدْيَاهُ حُقَّانِ

رفع المسهم

عن حفظي أكثرُهُ ـ وهوَ موجودٌ في « ديوانه » ـ عندَ ذلِكَ قالَ [مِنَ الطويل] :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْمَاءَ يَخْبُثُ طَعْمُهُ وَإِنْ كَانَ لَوْنُ ٱلْمَاءِ أَبْيَضَ صَافِيَا

فما كانَ منها إلاَّ أَنْ قطعَتْ أَملَهُ ، وزوَّدَتْهُ اليأسَ .

وبعقِبِ رجوعِهم تعرَّضَ لها ، فألفاها بينَ أربعٍ لا تنقصُ عنها واحدةٌ منهُنَّ في ٱلحُسْنِ والجَمالِ ، فبقرَت لهُنَّ حديثها معهُ علىٰ مسمَعٍ منهُ ، فعاتبنَها في إعراضِها عنهُ ، معَ تعلُّقِهِ بهواها ، وقُلْنَ لها : ما يَضرُّكِ أَنْ تُنَوِّليهِ ، وما معكِ إلاَّ مَنْ يسترُ عليكِ ؟! ولو أَنَّهُ عَلِقَ بإحدانا هواهُ . . لَما كانَ لها أَنْ تُخيِّبَ رجاءَهُ ، فطمعَ فيها ، وواعدتْهُ إلىٰ غارٍ ، دلَّتْهُ عليهِ ، فما هيَ إلاَّ ساعةٌ ، ودخلَ عليهِ عبدٌ أَسودُ ينعظُ بمثلِ ذراعِ البَكرِ[1] ، فولَّىٰ هارباً ، وما نجا فيما يقولُ إلاَّ بنفسِهِ بعدَ لأْيٍ ما ، وما أَحسبُهُ صادقاً في دعوىٰ السلامةِ ، بلْ صرَّحَ ٱبنُ عبدِ ربِّهِ في « عِقْدِهِ »[2] بعَدَمِها ، وما كانَ إلاَّ عُرضةَ ذلك ، ويا طالَما شَهَرَتْهُ عِنَانُ وغيرُها بمثلِ ذلِكَ .

قصة ذي الرمة ومي

وبما أَنَّ جُلَّ أَشعارِ الحكايةِ مِنْ كلامِ ذِي ٱلرُّمَّةِ . . فلا بُدَّ أَنَّ لَهُ قضيَّةً مِنْ نوعِها ، ثُمَّ رأَيتُ ٱبنَ خَلِّكانَ ذكرَها بٱختصارٍ[3] ، وذكرَ

---

(١) ينعظُ بمثل ذراع البكر : يُحركُ بِذَكَرٍ كأنهُ من طولهِ ذراعُ الفتيِّ منَ الإبلِ .

(٢) وهو الكتاب الشهير : «العقد الفريد» .

(٣) ذكرَ ٱبنُ خلكانَ في « وفياتِ الأعيانِ » (٤/ ١٢) : أَنَّ ذَا الرُّمَّةَ لمْ يرَ ميَّةَ قطُّ إلاَّ في برقعٍ فأَحبَّ أَن ينظرَ إلىٰ وجهِهَا فقالَ [من الوافر] :

جَزَىٰ ٱللهُ ٱلْبَرَاقِعَ مِنْ ثِيَابٍ عَنِ ٱلْفِتْيَانِ شَرّاً مَا بَقِينَا

يُوَارِينَ ٱلْمِلاَحَ فَلاَ نَرَاهَا وَيُخْفِينَ ٱلْقِبَاحَ فَيَزْدَهِينَا=

قولَهُ في ٱلبُرقعِ [مِنَ الوافر] :

جَـزَىٰ ٱللهُ ٱلْبَـرَاقِـعَ مِـنْ ثِيَـابٍ عَـنِ ٱلْفِتْيَـانِ شَـرّاً مَـا بَقِينَـا

يُـوَارِيـنَ ٱلْمِـلاَحَ فَـلاَ نَـرَاهَـا وَيُخْفِيـنَ ٱلْقِبَـاحَ فَيَـزْدَهِينَـا

وائل بن قاسط ووادي السباع

وبينا وائلُ بنُ قاسطٍ بوادٍ في طريقِهِ إلىٰ (ٱلرَّقَّةِ) . . إذْ بَصُرَ بأَسماءَ بنتِ دريمٍ ٱلقضاعيَّةِ ، وكانتِ ٱمرأةً حَسَّانةً ، فيها بقيَّةٌ مِنَ ٱلشبابِ ، فهمَّ بها حينَ رآها مسفرةً ، فقالت : واللهِ ، لئنْ قصدتَني بسوءٍ . . لأَدعونَّ أَسبُعِي ، فقالَ : ما أَرىٰ في الوادي أَحداً ، فصاحتْ ببنيها : يا كلبُ ، يا ذيبُ ، يا فهدُ ، يا سرحانُ ، يا نَمِرُ ، يا حمارُ ، يا ضَبُعُ . . . إلىٰ آخرِها ، فسالَ الوادي رجالاً عِشرينَ ، جاؤوا يتعادَونَ بالسيوفِ ، كما قيلَ [مِنَ البسيط] :

سَالَتْ عَلَيْهَا شِعَابُ ٱلْحَيِّ حِيْنَ دَعَتْ أَنْصَـارَهَـا بِـوُجُـوهٍ كَـالـدَّنَـانِيْـرِ

فقالتْ لهُم : أَكرموا ضيفكُم ، ولم تكشفْ لهُمُ ٱلحديثَ ، وإلاَّ . . لتوزَّعوا لحمَهُ ، فعقروا ، وقالَ : ما أَرَىٰ هـٰذا الواديَ إلاَّ واديَ السباعِ ، فأُطلِقَ عليهِ مِنْ يومِئذٍ .

= فَنزعتِ ٱلبرقعَ عَن وجهها ، وكانت باهرةَ الحسنِ ، فلمَّا رآها مسفرةً . . قالَ :

عَلَىٰ وَجْهِ مَيٍّ مَسْحَةٌ مِنْ مَلاَحَةٍ

البيتَ المتقدِّمَ ، فنزعتْ ثيابَهَا ، وقامَت عريانةً ، فقالَ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْمَاءَ يَخْبُثُ طَعْمُهُ

البيتَ المتقدمَ ، فقالتْ لهُ : أَتحبُّ أَنْ تذوقَ طعمَهُ ؟ قالَ : إي واللهِ ، فقالت لهُ : تذوقُ الموتَ قبلَ أَن تذوقَهُ .

وذكرَ الأصفهانيُّ في « الأغاني » (١٨/ ٣٠) : أَنَّ هذهِ الأَبياتِ منحولةٌ عَلَىٰ ذي الرُّمَّةِ وليست لهُ . والله أعلم بالصواب.

رفع المسهم

وفيهِ كانَ قتلُ الزبيرِ بنِ العوَّامِ مُنصَرفَهُ مِنْ حادثةِ الجَمَلِ ، وقدْ ذكرَهُ في شعرِهِ سُحَيمُ بنُ وَثيلٍ الرياحيُّ ، فقالَ [مِنَ الطويل] :

مَرَرْتُ عَلَىٰ وَادِي ٱلسِّبَاعِ وَلاَ أَرَىٰ كَوَادِي ٱلسِّبَاعِ حِينَ يُظْلِمُ وَادِيَا

وجوب التحفظ والحيطة على النساء

وعلىٰ ذكرِ عِفَّةِ النساءِ وبُعدِهِنَّ نقولُ : إنَّهُ لا يمكنُ للإنسانِ أَنْ يَكِلَهُنَّ إلىٰ ما يثقُ بهِ فيهنَّ مِنْ ذلكَ ، فإنَّ البعيدَ يقرُبُ بالاحتيالِ ، والعُصْمَ تَسهُلُ بالاستنزالِ[1] ، وقد قالَ بعضُهُم [مِنَ الكامل] :

عُسْرُ ٱلنِّسَاءِ إِلَىٰ مُيَاسَرَةٍ وَٱلصَّعْبُ يَسْهُلُ بَعْدَ مَا جَمَحَا

وقالَ أَخو خثعمَ [مِنَ الطويل] :

وَآلَتْ يَمِيناً كَٱلزُّجَاجِ رَقِيقَةً وَمَا حَلَفَتْ إِلاَّ لِتَحْنَثَ مِنْ أَجْلِي

زوج الشهداء عاتكة بنت زيد

وبهٰذا ذكرتُ قولَ عاتكةَ بنتِ زيدِ بنِ عَمرِو بنِ نُفيلٍ في رثائِها لبعضِ أَزواجِها [كما في « خزانةِ الأدبِ » (١٠/ ٣٨٠) مِنَ الطويل] :

فَآلَيْتُ لاَ تَنْفَكُّ عَيْنِي حَزِينَةً وَآلَيْتُ لاَ يَنْفَكُّ جِلْدِيَ أَغْبَرَا

فٱستأذنَ عليها أَميرُ المؤمنينَ عليُّ ٱبنُ أَبي طالبٍ صبيحةَ بنائِها علىٰ أَميرِ المؤمنينَ عُمرَ بنِ الخطَّابِ ، وقالَ لها : أَينَ قولُكِ : (فآلَيْتُ . . . إلىٰ آخرِهِ)؟ فقالتْ : مَا أَكثرَ ما تنفسخُ عزائِمُ الرجالِ ، فضلاً عن عزائِمِ النساءِ ، أَو ما يقرُبُ مِن هٰذا المعنىٰ .

وكانتْ تحتَ عبدِ اللهِ ٱبنِ أَبي بكرٍ الصدِّيقِ ، فقُتلَ عنها مِنْ سهمٍ

---

(١) العصم، هو: الغزال، والمقصود : أن المرأة ينبغي التحفظ عليها، ويكفي في ذلك أن سيدنا زكريا لم يكل سيدتنا مريم وهي في المحراب عن السؤال ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ وهي من هي، من سيدات العالمين عفة وطهارة.

رفع المسهم

رُمِيَهُ في (الطائِفِ) فتزوَّجها زيدُ بنُ الخطَّابِ ، فقُتلَ عنها بـ (اليمامةِ) ، ثُمَّ كانتْ تحتَ عُمرَ بنِ الخطَّابِ ، فقُتلَ وهيَ عندَهُ ، ثُمَّ تزوَّجها الزبيرُ بنُ العوَّامِ ، فقتلَهُ ٱبنُ جرموزٍ ، وهيَ في عصمتِهِ ، ثُمَّ خطبَهَا عليٌّ ، فقالتْ : أَضِنُّ بٱبنِ عمِّ رسولِ اللهِ عنِ ٱلقتلِ ، ولٰكنَّها تزوَّجتْ بٱبنِهِ الحسينِ ـ كما رُويَ ـ فقُتلَ عنها ، فكانَ أَهلُ ٱلمدينةِ يقولونَ بَعدُ [كما في «الطبقات» ٣/١١٢] : مَنْ أَرادَ الشهادةَ . . فليتزوَّجْ بعاتكةَ . وفي أَحاديثِها لطائِفُ ، وفي أَخبارِها نوادرُ ، وفي أَشعارِها بدائِعُ ، وبحسبِنا في هٰذا ٱلموضعِ ما أَشرنا إليهِ .

كما تدين تدان

وأَولىٰ ما يتوسَّلُ بهِ المرءُ لتحصينِ أَهلِهِ . . التَّلَزُّمُ بالعفافِ في نفسِهِ ، ولله دَرُّ الخزاعيِّ ، أَو مسكينِ الدَّارِميِّ في قولِهِ [مِنَ السريع] :

مَا أَحْسَنَ ٱلْغَيْرَةَ فِيْ حِيْنِهَا ... وَأَقْبَحَ ٱلْغَيْرَةَ فِيْ كُلِّ حِيْنْ

حَسْبُكَ مِنْ تَحْصِيْنِهَا ضَمُّهَا ... مِنْكَ إِلَىٰ خُلْقٍ كَرِيْمٍ وَدِيْنْ

لاَ تَطَّلِعْ مِنْكَ عَلَىٰ عَوْرَةٍ ... فَيَتْبَعَ ٱلْمَقْرُوْنُ حَبْلَ ٱلْقَرِيْنْ

وفي ٱلحديثِ : « عِفُّوْا تَعِفَّ نِسَاؤُكُمْ »[1] .

وقالَ بعضُهُم [الشافعيُّ في « ديوانِهِ » مِنَ الكامل] :

عِفُّوْا تَعِفَّ نِسَاؤُكُمْ فِيْ ٱلْمَحْرَمِ ... وَتَجَنَّبُوْا مَا لاَ يَلِيْقُ بِمُسْلِمِ

إِنَّ ٱلزِّنَا دَيْنٌ إِذَا أَقْرَضْتَهُ ... كَانَ ٱلْوَفَاءُ مِنَ أَهْلِ بَيْتِكَ فَٱعْلَمِ

فالفسادُ دَينٌ يؤخذُ بهِ مِنْ أَهلِ الزاني وذرِّيَّتِهِ لا محالةَ ، ولو كانوا أَحمىٰ مِنْ جَبَهاتِ الأُسودِ ، وأَمنعَ مِنْ عُقبانِ الجوِّ ، والأَخبارُ في

(١) أخرجهُ عن عائشة الصديقة الطبرانيُّ في « الأوسط » (٢/٨) مطولاً .

رفع المسهم

ذلِكَ كثيرةٌ ، والعِيانُ يؤكِّدُها ، واللهُ غيورٌ علىٰ عبادِهِ ، وهوَ العدلُ في أحكامِهِ[1] .

العفة حتى في النوم

كانَ ٱبنُ سيرينَ يقولُ : ما غشيتُ ٱمرأةً قطُّ في نومٍ ولا يقظةٍ ، غيرَ أُمِّ عبدِ اللهِ ، وإنِّي لأَرىٰ المرأةَ لا تحِلُّ لي في المنامِ ، فأَصرفُ نظري .

الشعراء في هذا الموضوع

فألَمَّ بهِ الناظمُ في قولِهِ [في « العكْبَريّ » ١/ ٢٦٨ مِنَ الطويل] :

يَرُدُّ يَداً عَنْ ثَوْبِهَا وَهْوَ قَادِرٌ ... وَيَعْصِي ٱلْهَوَىٰ فِيْ طَيْفِهَا وَهْوَ رَاقِدُ

وقالَ المعرِّيُّ [في « سقطِ الزندِ » ٦٧ مِنَ الطويل] :

كَرِيْمٌ حَلِيْمُ ٱلْجَفْنِ وَٱلنَّفْسِ لاَ يَرَىٰ ... إِذَا هُوَ أَغْفَىٰ مَا يَرَىٰ ٱلنَّاسُ فِيْ ٱلْحُلْمِ

وقالَ [في « سقطِ الزندِ » ٥٩ مِنَ الطويل] :

مَضَىٰ طَاهِرَ ٱلْجُنْمَانِ وَٱلنَّفْسِ وَٱلْكَرَىٰ ... وَسُهْدِ ٱلْمُنَىٰ وَٱلْجَيْبِ وَٱلذَّيْلِ وَٱلْرُّدْنِ[2]

وقالَ ٱبنُ طَباطَبا [مِنَ الكامل] :

يَقَظَاتُهُ وَمَنَامُهُ شِرَعٌ ... كُلٌّ بِكُلٍّ مِنْهُ مُشْتَبِهُ

إِنْ هَمَّ فِيْ حُلُمٍ بِفَاحِشَةٍ ... زَجَرَتْهُ عِفَّتُهُ فَيَنْتَبِهُ

ولٰكنَّ التَّهاميَّ خضعَ لبعضِ القولِ ؛ إذْ يقولُ [في « ديوانِهِ » ٣٣٦ مِنَ البسيط] :

---

(١) لِما أخرج ابن النجار في «ذيل تاريخ بغداد» عن أنس: «من زنىٰ . . زني به ولو بحيطان داره».

(٢) الكَرَىٰ : النومُ ، ونقيضُهُ : السُّهْدُ ، وقولُهُ : سُهْدِ المنىٰ : أي أنَّه إذا سَهِرَ في أمرٍ يتمناهُ . . لَمْ يسهر إلاَّ فيما لا تبعةَ لَهُ . الرُّدْنُ : الكُمُّ .

رفع المسهم

إِنِّيْ لأَصْرِفُ نَفْسِيْ عَنْ مَحَاسِنِهَا تَكَرُّماً وَأَكُفُّ ٱلْكَفَّ عَنْ لَمَمِ[1]
وَلاَ أَهِـمُّ وَلِـيْ نَفْـسٌ تُنَـازِعُنِـيْ أَسْتَغْفِرُ ٱللهَ، إِلاَّ سَاعَةَ ٱلْحُلُمِ

الضيف الأعمى نزلَ خارجيٌّ علىٰ بعضِ إخوانِهِ منهُم مستتراً مِنَ ٱلحَجَّاجِ ، فشخَصَ المنزولُ عليهِ لبعضِ شأنِهِ ، وقالَ لزوجِهِ : يا ظبيا ، أستوصي بضيفي خيراً ، وكانتْ مِنْ أحسنِ الناسِ وجهاً ، ولمَّا عادَ بعدَ شهرٍ . . قالَ لها : كيفَ كانَ ضيفُكِ؟ قالتْ : ما أشغلَهُ بالعمىٰ عنْ كلِّ شيءٍ ، وكانَ أطبقَ جفنيهِ حتَّىٰ لا يراها ، إلىٰ أنْ عادَ زوجُها[2] .

* * *

(١) قال الشيخ عبد القادر القصاب الديرعطاني في مواعظه :
من كفَّ فكَّهْ ، وفكَّ كفَّهْ . . فذبابُ الشرِّ عنهُ كفَّهْ .

(٢) كذا في «المستطرف» (٢/ ٣٤٩) .

رفع المسهم

[قال أبو الطيِّبِ المتنبِّي في « العُكْبَريِّ » ١/ ٢٩٥ مِنَ المنسرح]:

ظَلْتَ بِهَا تَنْطَوِيْ عَلَىٰ كَبِدٍ نَضِيْجَةٍ فَوْقَ خِلْبِهَا يَدُهَا

(الخِلبُ) : غشاءُ القلبِ[1] ، أَو الكبدِ .

شرح المطلع

قالَ الشارحُ : وجعلَ اليدَ نضيجةً ، وأَضافَها إِلىٰ ٱلكبدِ ؛ لأَنَّها دامَ وضعُها علىٰ الكبدِ ، فأَنضجَتْها بما فيها مِنَ ٱلحرارةِ ، فلهٰذا جازَ إِضافتُها إِليها ، والعربُ تسمِّي الشيءَ بٱسمِ غيرِهِ إِذا طالَتْ صحبتُهُ لهُ ، والإِضافةُ أَهونُ . اهـ .

رأي المؤلف

وأَقولُ : إِنَّهُ أَصابَ في بعضٍ ، وأَخطأَ في آخرَ ، أَمَّا ٱلذي أصابَ فيهِ : فتوجيهُ إِضافةِ اليدِ إِلىٰ الكبدِ بطولِ الملابسةِ والصحبةِ .

وأَمَّا الذي أَخطأَ فيهِ : فزعمُهُ أَنَّ الناظمَ جعلَ اليدَ نضيجةً ، والحالُ أَنَّهُ لمْ يتعرَّضْ لها بنضجٍ ولا غيرِهِ ، وإِنَّما تعرَّضَ للكبدِ ، فجعلَها نضيجةً ، وهوَ المعقولُ ، والمحزونُ كثيراً ما يضعُ يدَهُ علىٰ كبدِهِ ؛ خَشيةَ الانفطارِ ممَّا يجدُهُ مِنْ حرارةِ الوجدِ ، ومثلُهُ كلُّ مَنْ فوجيءَ بعظيمٍ يُهيلُ ، ولِما فيهِ مِنَ ٱلفوائدِ يقولُ جلَّ ٱسمُهُ لموسىٰ : ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ [القصص : ٣٢] .

اصطلام النار في الأكباد

وقالَ ٱبنُ الدُّمَيْنَةِ [في « ديوانهِ » مِنَ الطويل] :

عَشِيَّةَ أَثْنِيْ ٱلْبُرْدَ ثُمَّ ٱلْوُثُقُ عَلَىٰ كَبِدِيْ مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَقَطَّعَا

---

(١) وفي التنزيل : يسمَّى شَغَافاً، قال تعالى: ﴿قد شغفها حباً﴾ [يوسف: ٣٠].

رفع المسهم

وقالَ [في « ديوانهِ » ١٥٠ مِنَ الطويل] :

لِيَهْنِكِ إِمْسَاكِيْ بِكَفِّيْ عَلَىٰ ٱلْحَشَا وَرَفْرَاقِ دَمْعِيْ رَهْبَةً مِنْ مَطَالِكِ

وقالَ الصَّمَّةُ بنُ عبدِ اللهِ القشيريُّ [في « ديوانهِ » ٩٦ مِنَ الطويل] :

وَأَذْكُرُ أَيَّامَ ٱلْحِمَىٰ ثُمَّ أَنْثَنِيْ عَلَىٰ كَبِدِيْ مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَقَطَّعَا

وقالَ عمرُ ٱبنُ أَبي ربيعةَ في كتابٍ منهُ إِلىٰ الثريَّا [في « ديوانهِ » ٤٩٠ مِنْ مَجْزوء الوافر] :

فَيُمْسِكُ قَلْبَهُ بِيَدٍ وَيَمْسَحُ عَيْنَهُ بِيَدِ

وقالَ معاذُ بنُ كُليبٍ [مِنَ الطويل] :

فَقَدْ طَالَ إِمْسَاكِيْ عَلَىٰ ٱلْكَبِدِ ٱلَّتِيْ بِهَا مِنْ هَوَىٰ لَيْلَىٰ ٱلْغَدَاةَ صُدُوْعُ

وقالَ ٱبنُ ميَّادةَ [في « ديوانهِ » ١٣٣ مِنَ الطويل] :

عَشِيَّةَ أَثْنِيْ بِٱلرِّدَاءِ عَلَىٰ ٱلْحَشَا كَأَنَّ ٱلْحَشَا مِنْ دُوْنِهِ أُسْعِرَتْ جَمْرَا

وغنَّىٰ ٱلمهديُّ في قصَّةِ تطفُّلِهِ بقطعةٍ يقولُ فيها [مِنَ البسيط] :

لَهُ يَدٌ تَسْأَلُ ٱلرَّحْمَٰنَ عَافِيَةً مِمَّا بِهِ وَيَدٌ أُخْرَىٰ عَلَىٰ كَبِدِهْ

وقالَ عبدُ الصمدِ بنُ المُعَذَّلِ [مِنَ السريع] :

مُكْتَئِبٌ ذُوْ كَبِدٍ حَرَّىٰ تَبْكِيْ عَلَيْهِ مُقْلَةٌ عَبْرَىٰ
يَرْفَعُ يُمْنَاهُ إِلَى رَبِّهِ يَدْعُوْ وَفَوْقَ ٱلْكَبِدِ ٱلْيُسْرَىٰ

وقالَ بعضُ الفقهاءِ عندَ خروجِهِ إِلىٰ ٱلحجِّ مِنْ (بغدادَ) ، كما ذكرَهُ ٱبنُ خَلِّكانَ [في «وفيات الأعيان» ٣/ ٢٦٠ مِنَ الطويل] :

مَدَدْتُ إِلَىٰ ٱلتَّوْدِيْعِ كَفًّا مَرِيْضَةً وَأُخْرَىٰ عَلَىٰ ٱلرَّمْضَاءِ فَوْقَ فُؤَادِيْ

رفع المسهم

فَلاَ كَانَ هَـٰذَا ٱلْيَوْمُ آخِرَ عَهْدِنَا وَلاَ كَانَ ذَا ٱلتَّوْدِيْعُ آخِرَ زَادِيْ

تكرار هذا المعنى عند المتنبي

وقدْ تكرَّرَ المعنىٰ في « ديوانِ الناظمِ » غيرَ أنّي لا أذكرُ منهُ إلاَّ ما أشارَ إليهِ الشارحُ ، وهوَ قولُهُ [في « المُكْبَريّ » ٢/٣٦ مِنَ الخفيف] :

فِيْهِ أَيْدِيْكُمَا عَلَىٰ ٱلظَّفَرِ ٱلْحُلْـ ـوِ وَأَيْدِيْ قَوْمٍ عَلَىٰ ٱلأَكْبَادِ

بيت للمؤلف في الموضوع

وممَّا أبرَّ في الموضوعِ قولي مِنْ قصيدةٍ [في « ديوان المؤلف » ق ٤٢ مِنَ الطويل] :

وَيَهْفُوْ بِقَلْبِيْ ٱلْوَجْدُ لَوْلاَ تَدَاوَلَتْ يَمِيْنِيَ فِيْ إِمْسَاكِهِ وَشِمَالِيْ

اختلاف الإشارات في التعبير

وربَّما وضعتِ ٱلمرأةُ يدَها علىٰ رَأسِها ، أو علىٰ وجهِها مِنَ ٱلخجَلِ ، أوِ ٱلوجلِ ، ومنهُ قولُهُ تعالىٰ : ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذاريات : ٢٩] .

الملك المتواضع

وقالَ رجلٌ مِنْ بني العنبرِ، وكانَ مملَّكاً ، ورأتْهُ زوجُهُ يطحَنُ لضيفِهِ [مِنَ الطويل] :

تَقُوْلُ وَصَكَّتْ وَجْهَهَا بِيَمِيْنِهَا أَبَعْلِيَ هَـٰذَا بِٱلرَّحَا ٱلْمُتَقَاعِسِ ؟!

لا حياء في تعلم أمور الدين

وفي « الصحيح » : أنَّ امرأةً سألَتْ رسولَ اللهِ ﷺ : هَلْ علىٰ المرأةِ مِنْ غُسلٍ إذا هيَ ٱحتلَمتْ ؟ فغطَّتْ أُمُّ سَلَمَةَ وجهَها ، وقالتْ : أَوتحتلمُ المرأةُ ؟ فقالَ لها رسولُ اللهِ ﷺ : « تَرِبَتْ يَمِيْنُكِ ، وَبِمَ يُشْبِهُهَا وَلَدُهَا ؟! » ، ثُمَّ قالَ للسائلةِ : « نَعَمْ ، إِذَا رَأَتِ ٱلْمَاءَ »[1] . أو ما يقرُبُ مِنْ هـٰذا السياقِ .

والكلامُ في ماءِ المرأةِ إيجاباً وسلْباً وصفةً . . لا يليقُ بالاستطرادِ

---

(١) رواه عن أم سلمة البخاري (٢٨٢) في الغسل، ومسلم (٣١٣) في الحيض .

رفع المسهم

في هٰذا المجلسِ لاقتضائِهِ التطويلَ ، فلهُ مكانُهُ ، ورأَيتُ فيهِ مِنْ زمانٍ تأليفاً للسيِّدِ أَحمدَ الحُسينيِّ المصريِّ .

النساء واختلاف التعبير عند الفزع

ويروىٰ : أَنَّ فَزَعاً أَدركَ نساءً ثلاثاً ، فوضعتْ يدَها إحداهُنَّ علىٰ ثديها ، والأُخرىٰ علىٰ بطنِها ، والثالثةُ علىٰ رَكَبِها[1] ، فقالَ بعضُ أَهلِ الأَزكانِ[2] : أَمَّا الأُولىٰ : فمرضعٌ ، وأَمَّا الثانيةُ : فحُبلىٰ ، وأَمَّا الثالثةُ : فبِكرٌ . فكانَ كما قالَ .

* * *

(١) الرَّكَبُ ـ بالتحريكِ ـ : العانةُ ، وقيلَ : منبِتُها ، وقيلَ : هو ما انحدرَ عَنِ البطنِ فكانَ تحتَ الثُّنَّةِ ، وفوقَ الفَرْجِ .

(٢) أَهلُ الأزكانِ : أَهلُ الفِراسةِ .

رفع المسهم

[قال أبو الطيِّبِ المتنبِّي في « العُكْبَريِّ » ١/ ٢٩٦ منَ المنسرِح]:

يَا حَادِيَيْ عِيسِهَا وَأَحْسَبُنِيْ أُوْجَدُ مَيْتاً قُبَيْلَ أَفْقِدُهَا
قِفَا قَلِيْلاً بِهَا عَلَيَّ فَمَا أَقَلَّ مِنْ نَظْرَةٍ أُزَوِّدُهَا

شرح المطلع

يقولُ لحُداةِ عيسِها : قفوا بها عليَّ قليلاً ؛ لأَتزوَّدَ منها نظرةً ، وقدِ اعترضَ بينَ النداءِ والمنادىٰ بقولِهِ : (وأَحسبُني أَموتُ قُبيلَ تحرُّكِكُمْ بها) ، وهٰذا يُؤيِّدُ احتمالَ وصفِهِ حينَ الارتحالِ ، والجملةُ المعترضةُ المذكورةُ مأْخوذةٌ مِنْ قولِ العربيِّ [منَ الخفيف] :

لَيْسَ بَيْنَ ٱلْحَيَاةِ وَٱلْمَوْتِ إِلاَّ أَنْ يَرُدُّوْا جِمَالَهُمْ فَتُزَمَّا[1]

لِمَ العجلة؟

وقدْ سمعَهُ عليُّ بنُ جعفرٍ مِنْ جاريتِهِ الشطباءِ ، فطرِبَ ، وصاحَ ، وقالَ : يا سبحانَ اللهِ! ما هٰذهِ العجلةُ ؟ أَلا يُوكونَ قِربةً[2] ، أَلاَ يعلِّقونَ سُفْرَةً[3] ، أَلاَ يسلِّمونَ علىٰ جارٍ[4] ؟!

الشعراء والموت من الفراق

والمعنىٰ متكرِّرٌ عندَ النَّاظمِ ؛ منه قولُهُ [في « العُكْبَريِّ » ١/ ٣٢٧-٣٢٨ منَ الكامل] :

أَيْنَ عَهْدُكُمُ فَأَيْنَ ٱلْمَوْعِدُ؟ هَيْهَاتَ لَيْسَ لِيَوْمِ عَهْدِكُمُ غَدُ

---

(١) زَمَّ البعيرَ : إذا أَلبَسَهُ الزمام ، وهوَ اللجامُ .
(٢) الوكاء : الخيط الذي يشد به الكيس وغيره .
(٣) السُّفْرَةُ : طعامٌ يُتخذُ للمُسافرِ ومنهُ سُمِّيَتِ السفرةُ التي يوعىٰ فيها الطعام مجازاً .
(٤) كذا في « الأغاني » (٢٤/ ٣٥٨) .

رفع المسهم

اَلْمَوْتُ أَقْرَبُ مِخْلَباً مِنْ بَيْنِكُمْ وَاَلْعَيْشُ أَبْعَدُ بَعْدَكُمْ لاَ تَبْعَدُوْا[1]

ولقدْ أَجادَ الحِلِّيُّ في قولِهِ [في « ديوانِهِ » ٦١٧ منَ الطويل] :

قِفِيْ وَدِّعِيْنَا قَبْلَ وَشْكِ اَلتَّفَرُّقِ فَمَا أَنَا مَنْ يَحْيَا إِلَىٰ حِيْنِ نَلْتَقِيْ

وَأَلَمَّ بِهِ البُرَعيُّ في قولِهِ [في « ديوانِهِ » ١٤١ منَ الكامل] :

أَعِدِ اَلْوَدَاعَ فَمَا أَرَاكَ تَرَانِيْ [وَأَطِلْ بُكَاكَ لِبَيْنِ أَهْلِ اَلْبَانِ]

استيقاف العيس عند الشعراء

وما أَكثرَ أستيقافَ العيسِ للتزوُّدِ بالنظرِ حينَ الوداعِ في أَشعارِ العربِ ، منهُ قولُ عمرِو بنِ كُلثومٍ [في « ديوانِهِ » ٧٨ منَ الوافر] :

قِفِيْ قَبْلَ اَلتَّفَرُّقِ يَا ظَعِيْنَا نُخَبِّرْكِ اَلْيَقِيْنَ وَتُخْبِرِيْنَا

وقولُ القُطاميِّ [في « ديوانِهِ » ٣١ منَ الوافر] :

[قِفِيْ] قَبْلَ اَلتَّفَرُّقِ يَا ضُبَاعَا وَلاَ يَكُ مَوْقِفٌ مِنْكِ اَلْوَدَاعَا

قِفِيْ فَادِيْ أَسِيْرَكِ إِنَّ قَوْمِيْ وَقَوْمَكِ لاَ أَرَىٰ لَهُمُ اَجْتِمَاعَا

وقولُ قيسِ بنِ الخَطيمِ [في « ديوانِهِ » ٥٣ـ٥٤ منَ المنسرح] :

رَدَّ اَلْجِمَالَ اَلْخَلِيْطُ فَانْصَرَفُوْا مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوَ اَنَّهُمْ وَقَفُوْا[2]

لَوْ وَقَفُوا سَاعَةً نُسَائِلُهُمْ رَيْثَ يُضَحِّيْ جِمَالَهُ اَلسَّلَفُ[3]

أول من قال لفظة (السلف)

وأَوَّلُ ما سُمِعَتْ لفظةُ (السَّلفِ) اَلتي أَكثرَ الناسُ منها الآنَ مِنْ

---

(١) في «الديوانِ» و«المُكبَريِّ» : (أَبْعَدُ مِنكُمْ) بدلَ (أَبْعَدُ بَعْدَكُمْ).

(٢) الخليط : المخالطُ لهم في الدارِ .

(٣) يضحِّي : من الضحَاء وهو أن ترعى الإبل ضحىً . السَّلَفُ : القومُ الذين يتقدّمونَ الظُّمُنَ في السيرِ .

رفع المسهم

هذا الشعرِ ، ثُمَّ من قولِهِ ﷺ بعدَ مُواراةِ عثمانَ بنِ مظعونٍ : « نِعْمَ ٱلسَّلَفُ »[1] .

تفسير السلف

وفي بابِ الأَذانِ مِنْ « حاشيةِ البجيرميِّ علىٰ فتحِ الوهَّابِ » تفسيرُ السَّلَفِ بالصحابةِ ، والخَلَفِ بمَنْ بعدَهُمْ ، وقالَ بعضُهُم : السلفُ مَنْ قبلَ الأَربعِ مئةٍ ، والخَلَفُ مَنْ بَعدَهُمْ .

وفي بابِ الجماعةِ منها : أَنَّ السلفَ هُم أَهلُ القرونِ الثلاثةِ الأُوَلِ ، والخَلَفُ مَنْ بعدَهُم .

والبيتانِ مِنْ كلمةٍ شاعرةٍ لقيسٍ ، وكانَ رجلاً شجاعاً ، جميلَ المنظرِ ، برَّاقَ الثنايا ، ما رأَتْهُ حليلةُ رجلٍ قطُّ إِلاَّ ذهبَ عقلُها ، وتمنَّتْ أَنْ يكونَ لها قِياضاً عن صاحبِها ، وكانَ يقسِمُ أَيَّامَهُ ثلاثاً ، يوماً : يحكُمُ بينَ قومِهِ ، ويوماً : ينشدُ شعرَهُ ، ويوماً : ينظرُ في المرآةِ إِلىٰ جمالِهِ .

وقالَ ٱبنُ الدُّمَيْنَةِ فيما نحنُ بسبيلِهِ [في « ديوانِهِ » ١٣ منَ الطويل] :

قِفِي قَبْلَ وَشْكِ ٱلْبَيْنِ يَا ٱبْنَةَ مَالِكِ ... وَلاَ تَحْرِمِينَا نَظْرَةً مِنْ جَمَالِكِ
قِفِي يَا أُمَيْمَ ٱلْقَلْبِ نَقْضِيْ لُبَانَةً ... وَنَشْكُوْ ٱلْهَوَىٰ ثُمَّ ٱفْعَلِيْ مَا بَدَا لَكِ[2]

طلبُ وجيه

قالَ حبيبٌ [أَبو تمّام في « ديوانِهِ » ٢٤٢ منَ الكامل] :

مَا فِيْ وُقُوْفِكِ سَاعَةً مِنْ بَاسِ ... تَقْضِـيْ ذِمَـامَ ٱلأَرْبُـعِ ٱلأَدْرَاسِ

قالَ أَبو عبادةَ [منَ الخفيف] :

مَا عَلَىٰ ٱلرَّكْبِ مِنْ وُقُوْفِ ٱلرِّكَابِ ... فِيْ مَغَانِيْ ٱلصِّبَا وَرَسْمِ ٱلتَّصَابِيْ

---

(١) ومثله في دعاء الميت: «واجعله لنا سلفاً» قيل: هو من سلف المال، كأنه قد أسلفه وجعله ثمناً للأجر والثواب الذي يجازى على الصبر عليه.

(٢) اللُّبَانَةُ : الحاجةُ .

رفع المسهم

ولئنْ خرجَ هٰذان عنْ خصوصِ الاستيقافِ يومَ الرحيلِ . . فقد دخلا في عمومِهِ الشاملِ ؛ لقولِ ذِي الرُّمَّةِ [منَ الوافر] :

تَمَامُ ٱلْحَجِّ أَنْ تَقِفَ ٱلْمَطَايَا عَلَىٰ خَرْقَاءَ وَاضِعَةَ ٱللِّثَامِ

نرجو من الله تعالى

وقالَ البغداديُّ [ابن زريقٍ في « ديوانه » منَ البسيط] :

وَٱعْطِفْ عَلَيَّ ٱلْمَطَايَا سَاعَةً فَعَسَىٰ مَنْ شَتَّ شَمْلَ ٱلْهَوَىٰ بِٱلْبَيْنِ يَجْمَعُهُ

وقالَ الأَندلسيُّ [إسماعيل بن محمد الشقندي في «نفح الطيب» ٣/٢٣٣ منَ البسيط] :

ٱسْتَوْقِفِ ٱلرَّكْبَ قَدْ لاَحَتْ لَكَ ٱلدَّارُ وَٱسْأَلْ بِرَبْعٍ تَنَاءَتْ عَنْهُ أَقْمَارُ

لاَ خَفَّفَ ٱللهُ عَنِّيْ بَعْدَ بُعْدِهِمُ فَإِنَّنِيْ سِرْتُ وَٱلأَحْبَابُ مَا سَارُوْا

ما سبب التفات المسافر العربي؟

ومِنْ مذاهبِ العربِ : ٱلتفاتُ المسافرِ رجاءَ العودِ .

قالَ شاعرُهُم [منَ الطويل] :

تَلَفَّتُّ أَرْجُوْ رَجْعَةً بَعْدَ نِيَّةٍ فَكَانَ ٱلْتِفَاتِيْ زَائِداً فِيْ بَلاَئِيَا

ومنهُ قولُ الشريفِ الرضيِّ [في « ديوانهِ » منَ الكامل] :

وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَىٰ طُلُوْلِهِمُ وَرُسُوْمُهَا بِيَدِ ٱلْبِلَىٰ نُهْبُ

فَوَقَفْتُ حَتَّىٰ ضَجَّ مِنْ لَغَبٍ نِضْوِيْ وَلَجَّ بِعَذْلِيَ ٱلرَّكْبُ

وَتَلَفَّتَتْ عَيْنِيْ وَمُذْ خَفِيَتْ عَنِّيْ ٱلطُّلُوْلُ تَلَفَّتَ ٱلْقَلْبُ

وقيلَ : إنَّهُ لم يقصدِ ٱلتفاؤُلَ للرجوعِ ؛ إذْ لا فائدةَ فيهِ ، وقدْ صارتْ نُهْباً بيَدِ البِلىٰ، وإنَّما حملَهُ عليهِ فَرْطُ الوجْدِ ، وألَمُ التحسُّرِ .

رفع المسهم

من بدائع الاتفاق

وقد مرَّ بعضُهُم بديارِ الشريفِ الرضيِّ ، فتمثَّلَ بالأَبياتِ ؛ إِذْ رآها خاويةً علىٰ عُروشِها ، وعليها سِمَةُ الشرَفِ ، وأَثارَةُ العِزِّ ، وهوَ لا يدري بصاحبِ الديارِ ، ولا بأَنَّهُ قائلُ الأَبياتِ ، فكانَ مِنْ بدائعِ الاتِّفاقِ .

أنت مسكين يا صمة

وقالَ الصِّمَّةُ بنُ عبدِ اللهِ القشيريُّ [في « ديوانهِ » ٩٤ منَ الطويل] :

نَلَفَّتُ نَحْوَ ٱلْحَيِّ حَتَّىٰ وَجَدْتُنِي وَجِعْتُ مِنَ ٱلإِصْغَاءِ لِيتاً وَأَخْدَعَا[1]

مِنْ قصيدةٍ لهُ فخمةِ اللفظِ ، منقَّحَةِ المعنىٰ ، قالَها حينَ تعنَّتَ عليهِ عمُّهُ وردَّهُ عن بنتِهِ ريَّا ، وكانَ قدْ جمعَ الإِبلَ المعَيَّنَةَ لجَهازِها ، فلمَّا آيسَهُ عمُّهُ . . أَطلقَ عُقُلَها ، وضرَبَها ، فعادَ كلُّ بعيرٍ إِلىٰ أَهلِهِ ، فقالتْ مخطوبَتُهُ : ما رأَيتُ كاليومِ رجلاً ضيَّعَهُ قومُهُ[2] !

ومطلعُ القصيدةِ [في « ديوانهِ » ٩٤ منَ الطويل] :

حَنَنْتَ إِلَىٰ رَيَّا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَزَارَكَ مِنْ رَيَّا وَشَعْبَاكُمَا مَعَا

ويأتي بعضُها في غضونِ هٰذهِ المجالسِ بحَسَبِ المناسباتِ ، وهيَ مِنْ أَعذبِ الشعرِ وأَشجاهُ ، وقد مرَّ في المجلسِ الأَوَّلِ ما يشيرُ إِلىٰ بعضِ هٰذا .

وقالَ آخرُ [منَ الطويل] :

لَحَظْنَاهُمُ حَتَّىٰ كَأَنَّ عُيُونَنَا بِهَا لَقْوَةٌ مِنْ شِدَّةِ ٱللَّحَظَانِ[3]

---

(١) اللِّيتُ : صفحةُ العنقِ . الأَخدعانِ : عرقانِ خفيَّانِ في موضعِ الحجامةِ مِنَ العنقِ .

(٢) « ديوان الحماسة » (٢/ ٦٢) .

(٣) اللَّقْوَةُ : داءٌ يكونُ في الوجهِ يَعْوَجُّ منهُ الشِّدْقُ .

رفع المسهم

الألم ساعة الوداع عند الشعراء

وأمَّا الشكايةُ مِنْ ألَمِ النوىٰ ساعةَ الوداعِ : فممَّا لا يُحصىٰ كَثْرَةً في أشعارِهِم ، ومنهُ قولُ امرىءِ القيسِ [في « ديوانهِ » ١٤٤ منَ الطويل] :

كَأنِّيْ غَدَاةَ ٱلْبَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوْا ... لَدَىٰ سَمُرَاتِ ٱلْحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ[1]

وهوَ متكرِّرٌ عندَ الناظمِ ؛ منهُ قولُهُ [في « العُكْبَريِّ » ٢/ ٢٣٥ منَ الطويل] :

حُشَاشَةَ نَفْسٍ وَدَّعَتْ يَوْمَ وَدَّعُوْا ... فَلَمْ أَدْرِ أَيَّ ٱلظَّاعِنَيْنِ أُشَيِّعُ

وقولُهُ [في « العُكْبَريِّ » ٤/ ٧ـ٨ منَ الكامل] :

قَدْ كُنْتَ تَهْزَأُ بِٱلْفِرَاقِ مَجَانَةً ... وَتَجُرُّ ذَيْلَيْ شِرَّةٍ وَعُرَامِ[2]

لَيْسَ ٱلْقِبَابُ عَلَىٰ ٱلرِّكَابِ وَإِنَّمَا ... هُنَّ ٱلْحَيَاةُ تَرَحَّلَتْ بِسَلَامِ[3]

مُتَلَاحِظِيْنَ نَسُحُّ مَاءَ شُؤُوْنِنَا ... حَذَراً مِنَ ٱلرُّقَبَاءِ فِيْ ٱلآكَامِ[4]

أَرْوَاحُنَا ٱنْهَمَلَتْ وَعِشْنَا بَعْدَهَا ... مِنْ بَعْدِ مَا قَطَرَتْ عَلَىٰ ٱلأَقْدَامِ

وقولُهُ [في « العُكْبَريِّ » ٢/ ٢٥٩ منَ الكامل] :

أَرَكَائِبَ ٱلأَحْبَابِ إِنَّ ٱلأَدْمُعَا ... تَطِسُ ٱلْخُدُوْدَ كَمَا تَطِسْنَ ٱلْيَرْمَعَا[5]

---

(١) غداةَ البينِ : صبيحةَ الفراقِ . السَّمُرَاتِ : شجرٌ في الحي ، جمع سَمُرة . ناقف الحنظل : أشقُّ الحنظل فتَدمعُ عيناي ؛ لشدةِ مرارتهِ ؛ لأنَّ مَن يَشُقُّهُ يَجدُ أثرَ مرارتهِ في حلقهِ وأنفهِ وعينيهِ .

(٢) المَجَانةُ : الخلاعةُ . الشِّرَّةُ : الحدَّةُ والنشاطُ . العُرَامُ : الشدَّةُ والقوَّةُ والشراسةُ .

(٣) القبابُ : الهوادجُ . الركابُ : الإبلُ .

(٤) السَّحُّ : السكبُ المتتابع . الشؤونُ ـ جمعُ شَأنٍ ـ : وهو مجرىٰ الدمعِ . الآكامُ ـ جمعُ أَكَمةٍ ـ : وهي القُفُّ مِنْ حجارةٍ واحدةٍ ، وقيلَ : هو دونَ الجبالِ ، وفي «الديوان» : (نَسُحُّ) بدل (نَسُح)، و(الأَكْمَام) بدل (الآكَام).

(٥) وَطَسَ الشيءَ : كسرَهُ ودقَّهُ . اليَرْمَعُ : حجارةٌ بيضٌ صغارٌ رخوةٌ .

رفع المسهم

فَٱعْرِفْنَ مَنْ حَمَلَتْ عَلَيْكُنَّ ٱلنَّوَىٰ وَٱمْشِينَ هَوْناً فِيْ ٱلأَزِمَّةِ خُضَّعَا[1]
قَدْ كَانَ يَمْنَعُنِيْ ٱلْحَيَاءُ مِنَ ٱلْبُكَا فَٱلْيَوْمَ يَمْنَعُهُ ٱلْبُكَا أَنْ يَمْنَعَا

والأخيرُ مِنْ خالصِ الشعرِ ، ومختارِ الكلامِ ، وكنتُ أظنُّهُ مِنْ مخترعاتِهِ ، حَتَّىٰ رَأَيْتُ أَبا ذؤيبٍ الهُذليَّ سبقَهُ إِلىٰ بعضِهِ في قولِهِ [في « ديوانِهِ » ١٤٦ منَ الكامل] :

وَلَقَدْ أَرَىٰ أَنَّ ٱلْبُكَاءَ سَفَاهَةٌ وَلَسَوْفَ يُوْلَعُ بِٱلْبُكَا مَنْ يُفْجَعُ

وٱقتفاهُ ٱبنُ مُطَيرٍ ، حيثُ يقولُ ـ مِنْ كلمةٍ لهُ مؤنَّقةٍ ـ [في « ديوانِهِ » ٤٩ منَ الطويل] :

وَكُنْتُ أَذُوْدُ ٱلْعَيْنَ أَنْ تَرِدَ ٱلْبُكَا فَقَدْ وَرَدَتْ مَا كُنْتُ عَنْهُ أَذُوْدُهَا

ولا يبعدُ عنهُ قولُ كُثيِّرٍ [في « ديوانِهِ » ٩٥ منَ الطويل] :

وَمَا كُنْتُ أَدْرِيْ قَبْلَ عَزَّةَ مَا ٱلْبُكَا وَلاَ مُوْجِعَاتِ ٱلدَّهْرِ حَتَّىٰ تَوَلَّتِ

وقولُ المجنونِ [منَ الطويل] :

وَأَبْكَيْتُمَانِيْ وَسْطَ صَحْبِيْ وَلَمْ أَكُنْ أُبَالِيْ دُمُوْعَ ٱلْعَيْنِ لَوْ كُنْتُ خَالِيَا

ويأْتي بعضُ ما يشبِهُهُ في شرحِ قولِهِ [في « العُكْبَريِّ » ١/٣٠٨ منَ المنسرح] :

أَصْبَحَ حُسَّادُهُ وَأَنْفُسُهُمْ يُخْدِرُهَا خَوْفُهُ وَيُصْعِدُهَا

وقُبَيلَ قولِهِ [في « العُكْبَريِّ » ٤/٣٤ منَ الطويل] :

فَثِبْ ـ وَاثِقاً بِٱللهِ ـ وِثْبَةَ مَاجِدٍ يَرَىٰ ٱلْمَوْتَ فِيْ ٱلْهَيْجَا جَنَىٰ ٱلنَّحْلِ فِيْ ٱلْفَمِ

---

(١) الأَزِمَّةُ ـ جمعُ الزِّمام ـ : وهو الحبلُ الذي يجعلُ في البُرَّةِ والخشبةِ ، وفي عنقِ البعيرِ .

رفع المسهم

وفي الموضوعِ قولُهُ [في « العُكْبَريّ » ١/ ٢٢٥ منَ الكامل] :

يَسْتَاقُ عِيسَهُمُ أَنِينِي خَلْفَهَا تَتَوَهَّمُ الزَّفَرَاتِ رَجْعَ حُدَاتِهَا(١)

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ١/ ٢٤٦ منَ الكامل] :

لَمَّا تَقَطَّعَتِ ٱلْحُمُولُ تَقَطَّعَتْ نَفْسِي أَسىً وَكَأَنَّهُنَّ طُلُوحُ(٢)
وَجَلاَ ٱلْوَدَاعُ مِنَ ٱلْحَبِيبِ مَحَاسِناً حُسْنُ ٱلْعِزَاءِ وَقَدْ جُلِينَ قَبِيحُ

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٢/ ١١٥ منَ البسيط] :

وَكَاتِمُ ٱلْحُبِّ يَوْمَ ٱلْبَيْنِ مُنْهَتِكٌ وَصَاحِبُ ٱلدَّمْعِ لاَ تَخْفَىٰ سَرَائِرُهُ

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٢/ ١٦٢ منَ الكامل] :

قَدْ كُنْتُ أَحْذَرُ بَيْنَهُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَوْ كَانَ يَنْفَعُ حَاثِناً أَنْ يَحْذَرَا(٣)

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٢/ ١٩٤ منَ الكامل] :

إِنْ كُنْتِ ظَاعِنَةً فَإِنَّ مَدَامِعِي تَكْفِيكِ مَزَادِكُمْ وَتُرْوِي ٱلْعِيسَا(٤)

---

(١) في «الديوان» : (زَجْرَ) بدل (رَجْعَ) . الحُداة: هم المغنُّونَ خلفَ الإبلِ.

(٢) الطُّلُوحُ ـ جمعُ طَلْح ـ : وهي شجرةٌ حجازيّةٌ ، جَناتُها كجناةِ السَّمُرَةِ ، ولها شوكٌ أَحْجَنُ ، ومنابتُها بطونُ الأوديةِ ، وهيَ أعظمُ العِضَاهِ شوكاً ، وأصلبُها عوداً ، وأجودُها صَمْغاً ، والطلح أيضاً: الموز.

(٣) المعنى : كنت أحذر فراقهم قبل وقوعه ولكن الهالك لا ينفعه الحذر ، وفي «الديوان»: (خَاثِفَاً) بدل (حَاثِناً) والصواب ما هو مثبت.

(٤) مَزَاوِدكم ـ جمع مِزْوَدٍ ـ : وهو وعاءٌ يجعلُ فيهِ الزادُ ، أو وعاءُ الماءِ الذي يُتَزَوَّدُ للسفرِ ، وهو المرادُ هنا . وفي «الديوان» و«العكبري»: (مَزَادكُمُ) بدل (مَزَاوِدَكُمْ).

رفع المسهم

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٢/ ٢٩٥ منَ الوافر] :

نَظَـرْتُ إِلَيْهِـمُ وَٱلْعَيْـنُ شَكْـرَىٰ فَصَارَتْ كُلُّهَا لِلدَّمْعِ مَاقَا[1]

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٢/ ٣٠٧ـ٣٠٨ منَ الطويل] :

وَلَمْ أَرَ كَٱلأَلْحَاظِ يَوْمَ رَحِيلِهِمْ بَعَثْنَ بِكُلِّ ٱلْقَتْلِ مِنْ كُلِّ مُشْفِقِ
أَدَرْنَ عُيُـوْنـاً حَـائِـرَاتٍ كَـأَنَّهَـا مُـرَكَّبَـةٌ أَحْـدَاقُهَـا فَـوْقَ زِئْبَـقِ
عَشِيَّةَ يَعْدُوْنَا عَنِ ٱلنَّظَرِ ٱلْبُكَا وَعَنْ لَذَّةِ ٱلتَّوْدِيعِ خَوْفُ ٱلتَّفَرُّقِ

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٢/ ٣٤١ منَ الطويل] :

هُوَ ٱلْبَيْنُ حَتَّىٰ مَا تَأَنَّىٰ ٱلْحَزَائِقُ وَيَا قَلْبُ حَتَّىٰ أَنْتَ مِمَّنْ أُفَارِقُ[2]
وَقَفْنَـا وَمِمَّـا زَادَ بَثّـاً وُقُـوفُنَـا فَرِيْقَيْ هَوىً: مِنَّا مَشُوْقٌ وَشَائِقُ

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٣٠/ ٢٢١ـ٢٢٢ منَ الوافر] :

بَقَائِيْ شَاءَ لَيْسَ هُمُ ٱرْتِحَالاَ وَحُسْنَ ٱلصَّبْرِ زَمُّوْا لاَ ٱلْجِمَالاَ
تَـوَلَّـوْا بَغْتَـةً فَكَـأَنَّ بَيْنـاً تَهَيَّبَنِـيْ فَفَـاجَـأَنِـيْ ٱغْتِيَـالاَ
كَأَنَّ ٱلْعِيْسَ كَانَتْ فَوْقَ جَفْنِيْ مُنَـاخَـاتٍ فَلَمَّـا ثُـرْنَ سَـالاَ

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٣٠/ ٢٣٤ منَ الكامل] :

حِدَقُ ٱلْحِسَانِ مِنَ ٱلْغَوَانِيْ هِجْنَ لِيْ يَـوْمَ ٱلْفِـرَاقِ صَبَـابَـةً وَغَلِيْـلاَ[3]

---

(١) العينُ الشكرىٰ : الممتلئةُ بالدمعِ . المَاقُ : طرفُ العينِ مِمَّا يلي الأنفَ وهو مخرجُ الدمعِ مِنَ العينِ .
(٢) تأنّىٰ : تمهَّلَ وترفَّقَ . الحَزَائقُ : الجماعةُ مِنَ الناسِ .
(٣) الغليلُ والغُلَّةُ : شدَّةُ العطشِ وحرارتُهُ .

رفع المسهم

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٤/ ٢٢٠ منَ البسيط] :

قَدْ عَلَّمَ ٱلْبَيْنُ مِنَّا ٱلْبَيْنَ أَجْفَانَا تَدْمَىٰ وَأَلَّفَ فِيْ ذَا ٱلْقَلْبِ أَحْزَانَا

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٤/ ١٩٦ منَ الكامل] :

بِنَّا فَلَوْ حَلَّيْتَنَا لَمْ تَذْرِ مَا ٱلْوَانُنَا مِمَّا ٱمْتُقِعْنَ تَلَوُّنَا[1]

أَفْدِيْ ٱلْمُوَدَّعَةَ ٱلَّتِيْ أَتْبَعْتُهَا نَظَراً فُرَادَىٰ بَيْنَ زَفْرَاتٍ ثُنَا

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ١/ ٣٤٢ منَ المتقارب] :

فَوَاحَسْرَتَا مَا أَمَرَّ ٱلْفِرَاقَ وَأَعْلَقَ نِيْرَانَهُ بِٱلْكُبُوْدِ

ويعجبُني قولُ بعضِهم في شكوىٰ الفِراقِ [منَ الخفيف] :

إِنَّ يَوْمَ ٱلْوَدَاعِ قَطَّعَ قَلْبِيْ قَطَّعَ ٱللهُ قَلْبَ يَوْمِ ٱلْوَدَاعِ

وقولُ الآخرِ [منَ الكامل] :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّهُمْ نَذَرُوْا دَمِيْ أَوَلِيْ دَمٌ يَوْمَ ٱلْفِرَاقِ يُرَاقُ ؟!

وقولُ ٱبنِ الفارضِ [في « ديوانهِ » ١٥٢ منَ الكامل] :

وَبِمَا جَرَىٰ فِيْ مَوْقِفِ ٱلتَّوْدِيْعِ مِنْ أَلَمِ ٱلنَّوَىٰ شَاهَدْتُ هَوْلَ ٱلْمَوْقِفِ

وقولُ ٱبنِ عبدِ ربِّهِ [في « ديوانهِ » ١٤٠ منَ الخفيف] :

وَدَّعَتْنِيْ بِزَفْرَةٍ وَٱعْتِنَاقٍ ثُمَّ قَالَتْ مَتَىٰ يَكُوْنُ ٱلتَّلَاقِيْ؟

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفِرَاقِ أَفْظَعُ يَوْمٍ لَيْتَنِيْ مِتُّ قَبْلَ يَوْمِ ٱلْفِرَاقِ

---

(١) حلّيتنا: وصفتنا. امتُقِعَ : تغيَّرَ لونُهُ مِنْ حُزنٍ أو فزعٍ أو حياءٍ . وفي «الديوان» : (بِنَّا) بدل (بِنَّا) ، و(اسْتُفِعْنَ) بدل (امْتُقِعْنَ). ومعنى البيت: تفرّقنا، فلِعِظَم ما نالنا من ألم الفراق، لو أردت أن تصفنا . . ما قدرت؛ لتغيُّر أوصافنا، فكنت لا تدري بأي لون تصفنا.

رفع المسهم

تـوديـع ابـن اللبـانـة للمعتمد بن عباد

ومِنْ أَرقِّ ما فيهِ ، وأَبعثِهِ للأَشجانِ ، وتحريكِهِ للبلابلِ : قولُ [ٱبْنِ] اللَّبَّانَةِ في توديعِ المعتمدِ بنِ عبَّادٍ ، وهوَ [منَ البسيط] :

نَبْكِيْ ٱلسَّمَاءُ بِدَمْعٍ رَائِحٍ غَادِيْ ... عَلَىٰ ٱلْبَهَالِيْلِ مِنْ أَبْنَاءِ عَبَّادِ
عَلَىٰ ٱلْجِبَالِ ٱلَّتِيْ هُدَّتْ قَوَاعِدُهَا ... وَكَانَتِ ٱلأَرْضُ مِنْهُمْ ذَاتَ أَوْتَادِ
عِرِّيْسَةٌ دَخَلَتْهَا ٱلنَّائِبَاتُ عَلَىٰ ... أَسَاوِدٍ مِنْهُمُ فِيْهَا وَآسَادِ[1]
وَكَعْبَةٌ كَانَتِ ٱلآمَالُ تَخْدِمُهَا ... وَٱلْيَوْمَ لاَ عَاكِفٌ فِيْهَا وَلاَ بَادِيْ
يَا ضَيْفُ أَقْفَرَ بَيْتُ ٱلْمَكْرُمَاتِ فَخُذْ ... فِيْ ضَمِّ شَمْلِكَ وَٱجْمَعْ فَضْلَةَ ٱلزَّادِ
لَمَّا دَنَا ٱلْوَقْتُ لَمْ تُخْلَفْ لَهُ عِدَةٌ ... وَكُلُّ شَيْءٍ بِمِيْقَاتٍ وَمِيْعَادِ
إِنْ يُغْلَبُوْا فَبَنُوْ ٱلْعَبَّاسِ قَدْ غُلِبُوْا ... وَقَدْ خَلَتْ قَبْلَ حِمْصٍ أَرْضُ بَغْدَادِ
نُسِيْتُ إِلاَّ غَدَاةَ ٱلنَّهْرِ يَوْمَ غَدَوْا ... فِيْ ٱلْمُنْشَآتِ كَأَمْوَاتٍ بِأَلْحَادِ
وَٱلنَّاسُ قَدْ مَلَؤُوْا ٱلْعِبْرَيْنِ وَٱعْتَبَرُوْا ... وَأَرْسَلُوْا ٱلدَّمْعَ حَتَّىٰ فَاضَ فِيْ ٱلْوَادِيْ[2]
حَانَ ٱلْوَدَاعُ فَضَجَّتْ كُلُّ صَارِخَةٍ ... وَصَارِخٍ مِنْ مُفَدَّاتٍ وَمِنْ فَادِيْ
سَارَتْ سَفَائِنُهُمْ وَٱلنَّوْحُ يَتْبَعُهَا ... كَأَنَّهَا إِبِلٌ يَحْدُوْ بِهَا ٱلْحَادِيْ
كَمْ سَالَ فِيْ ٱلْمَاءِ مِنْ دَمْعٍ وَكَمْ حَمَلَتْ ... تِلْكَ ٱلْقَطَائِعُ مِنْ أَفْلاَذِ أَكْبَادِ

وفي وصفِ ذلِكَ اليومِ بعينِهِ يقولُ ٱبْنُ حَمْدِيْسَ [في « ديوانِهِ » ٢٦٩ منَ الطويل] :

وَلَمَّا رَحَلْتُمْ بِٱلنَّدَىٰ فِيْ أَكُفِّكُمْ ... وَقُلْقِلَ رَضْوَىٰ مِنْكُمُ وَثَبِيْرُ[3]

---

(١) العِرِّيسَةُ : مأوى الأسد .

(٢) العِبَرين : طَرَفا النهرِ .

(٣) قلقلَ : اضطرب . رضوى : اسمُ جبلٍ بـ(المدينةِ) ، و ثبيرُ : اسمُ جبلٍ بين (مكةَ) و(منى)، ومنه قيل : أشرق ثبير كما تغير .

رفع المسهم

رَفَعْتُ لِسَانِيْ بِٱلْقِيَامَةِ قَدْ دَنَتْ فَهَـٰذِيْ ٱلْجِبَالُ ٱلرَّاسِيَاتُ تَسِيْرُ

وقد نظرَ فيهِ إلىٰ قولِ ٱبنِ المعتزِّ في رِثاءِ ٱبنِ الفراتِ [في « ديوانه » ٣٢٦ منَ السّريع] :

هَـٰذَا أَبُـوْ ٱلْعَبَّـاسِ فِـيْ نَعْشِـهِ قُوْمُوْا ٱنْظُرُوْا كَيْفَ تَسِيْرُ ٱلْجِبَالْ

وأَغارَ عليهِ الناظمُ في قولِهِ [في « العُكْبَريّ » ٢/١٢٩ منَ الكامل] :

مَا كُنْتُ آمُلُ قَبْلَ نَعْشِكَ أَنْ أَرَىٰ رَضْوَىٰ عَلَىٰ أَيْدِيْ ٱلرِّجَالِ تَسِيْرُ

ابن درّاج وزوجته

ومَنِ ٱلذي لا تهيجُ أَشجانُهُ ، ولا تضطربُ أَحزانُهُ ، ولا تضطرمُ نيرانُهُ عندَما يسمعُ قولَ ٱبنِ درّاجٍ ، وقد عزمَ علىٰ المسيرِ ، وخنقَهُ وزوجَهُ الشهيقُ والزفيرُ [في « ديوانهِ » ٢٥٠ منَ الطويل] :

تُـرَاجِعُنِـيْ عَهْـدَ ٱلْمَـوَدَّةِ وَٱلْهَـوَىٰ وَفِيْ ٱلْمَهْدِ مَبْغُوْمُ ٱلنِّدَاءِ صَغِيْرُ[1]

عَـيِيٌّ بِمَـرْجُـوْعِ ٱلْخِطَـابِ وَإِنَّـهُ بِمَوْقِعِ أَهْوَاءِ [ٱلنُّفُوْسِ] خَبِيْرُ

لله درك يا ابن زريق

وقولَ ٱبنِ زُرَيقٍ [البغداديّ في « ديوانهِ » منَ البسيط] :

وَكَمْ تَشَبَّثَ بِيْ يَوْمَ ٱلرَّحِيْلِ ضُحىً وَأَدْمُعِـيْ مُسْتَهِـلاَّتٌ وَأَدْمُعُـهُ

وَكَـمْ تَشَفَّـعَ بِـيْ أَلاَّ أُفَـارِقَـهُ وَلِلضَّـرُوْرَاتِ حَـالٌ مَـا يُشَفِّعُهُ

ولا نبخسُ الشيخَ البُرعيَّ حقَّهُ مِنَ الرقَّةِ والعذُوبةِ في أَمثالِ قولِهِ [في « ديوانهِ » ١١١ منَ الكامل] :

بِأَبِيْ مُوَدِّعَةٌ تَخَافَتَ صَوْتُهَا خَوْفَ ٱلرَّقِيْبِ وَعَيْنُهَا تَتَمَالاَ

قَالَتْ: تُوَدِّعُنَا ، فَقُلْتُ لَهَا: نَعَمْ قَالَتْ : فَتَنْسَانَا ، فَقُلْتُ لَهَا : لاَ

---

(١) البَغْمُ : الصوتُ الرخيمُ .

رفع المسهم

وقالَ شيخُنا العلاَّمةُ أَبو بكرِ بنُ شهابٍ مِنْ قصيدةٍ تخلَّصَ فيها إلى مدحِ جدِّي ٱلمُحسنِ [منَ الوافر] :

وَلَمْ أَنْسَ ٱلْوَدَاعَ وَمَا جَرَىٰ لِيْ ... غَـدَاةَ ٱلْبَيْـنِ إِذْ عَـزَّ ٱلْمَقَـامُ
بَكَتْ خَوْفَ ٱلنَّوَىٰ وَبَكَيْتُ قَهْراً ... دَمـاً فَبِهَـا وَبِـيْ لَعِـبَ ٱلْغَـرَامُ
تَبُـثُّ إِلَـيَّ شَكْـوَاهَـا فَـأَشْكُـوْ ... إِلَيْهَـا وَٱلـدُّمُـوْعُ لَهَـا ٱنْسِجَـامُ
وَقَالَتْ لِيْ: أَتَرْجِعُ عَنْ قَرِيْبٍ ؟ ... فَقُلْـتُ : نَعَـمْ وَلِلـدَّهْـرِ ٱحْتِكَـامُ

قصيدة للمؤلف في الموضوع

وكمْ لي فيهِ مِنْ مثيرِ غرامٍ ، ومدجَّجِ ضرامٍ ، منهُ قولي [في « ديوان المؤلف » ٥٢٥ منَ الطويل] :

تَذَكَّرْتُ شَرْقِيَّ ٱلْحِمَىٰ مَنْبِتَ ٱلأَثْلِ ... وَمَا أَصْعَبَ ٱلذِّكْرَىٰ عَلَىٰ ذِيْ ٱلْوَفَا مِثْلِي[1]
مَشَـارِفُ مَـا فِيْهِـنَّ لِلْعَيْـنِ مَنْظَـرٌ ... يَرُوْقُ سِوَىٰ شَيْءٍ مِنَ ٱلسِّدْرِ وَٱلنَّخْلِ
فَمَا زَرْعُهَا زَاكٍ وَلاَ ثَمَّ قَاطِنٌ ... بِهَا غَيْرُ شَاكٍ قِلَّةَ ٱلأَمْنِ وَٱلْعَدْلِ
وَلَـٰكِنَّ فِيْهَا نَشْأَتِيْ وَوِلاَدَتِيْ ... وَخَلَّفْتُ فِيْهَا صِبْيَتِيْ وَبِهَا أَهْلِي
فَمَـا فِـي بِـلاَدِ ٱللهِ أَرْضٌ كَمِثْلِهَـا ... لَدَيَّ عَلَىٰ تِلْكَ ٱلْمَخَاوِفِ وَٱلأَزْلِ[2]
وَلَمْ أَنْسَ فِيْ يَوْمِ ٱلْوَدَاعِ مَوَاقِفاً ... لَوَاعِجُهَا فِيْ ٱلْقَلْبِ أَشْوَىٰ مِنَ ٱلنُّكْلِ
تُـرَاجِعُنِـيْ فِيْهَـا ٱلْهَـوَىٰ أُمُّ شَـادِنٍ ... وَأَجْفَانُهَا تَجْرِيْ وَأَشْجَانُهَا تَغْلِي[3]
وَتَلْـوِيْ بَلِيَّتُهَـا مَخَـافَـةَ طِفْلَـةٍ ... تَرَىٰ مَا بِهَا مِنْ حَسْرَةِ ٱلْبَيْنِ أَوْ طِفْلِ
تَصُـدُّ لإِيْهَـامِ ٱلأُطَيْفَـالِ تَـارَةً ... وَتُقْبِـلُ أَحْيَـانـاً بِفَـوَّارَتَـيْ وَبْـلِ[4]

---

(١) الأَثْلُ : نوعٌ من أجود الشجر .
(٢) الأَزْلُ : الضيقُ والشدَّةُ .
(٣) الشَّادنُ : من أولاد الظباء الذي قويَ وطلعَ قرناهُ وٱستغنىٰ عن أُمِّهِ .
(٤) فوَّارتا الويل : المراد بهما العيونُ الدَّامعةُ .

رفع المسهم

وَيَمْنَعُهَا سَوْقَ ٱلْمَقَالِ نَشِيجُهَا ... سِوَىٰ كَلِمَاتٍ سَاقَطَتْهَا عَلَىٰ رِسْلِ
تَقُولُ إِلَىٰ أَيْنَ ٱلسُّرَىٰ بَعْدَمَا تَرَىٰ ... فَلَيْسَ لَنَا ذَرْعٌ عَلَىٰ فُرْقَةِ ٱلشَّمْلِ
فَقُلْتُ : قَرِيباً تَنْطَوِي شُقَّةُ ٱلنَّوَىٰ ... وَيُعْقِبُهَا مِنْ فَضْلِهِ ٱللهُ بِٱلْوَصْلِ

الخلاف في شأن التوديع

ثُمَّ إِنَّ الأُدباءَ علىٰ ٱختلافٍ في شأنِ التوديعِ :

١ـ عصفور باليد أفضل من عشر على الشجر

فمنهُم : مَنْ أَحبَّهُ لتقريبهِ مِنَ ٱلعناقِ والاتِّصالِ ، كما قالَ الناظمُ [في « العُكْبَريّ » ٢/ ٦٠ منَ الطويل] :

وَمَنْ لِيْ بِيَوْمٍ مِثْلِ يَوْمٍ كَرِهْتُهُ ... قَرُبْتُ بِهِ عِنْدَ ٱلْوَدَاعِ مِنَ ٱلْبُعْدِ

وقالَ الأَندلسيُّ [إبراهيم الحجاري في «نفح الطيب» ٣/ ٤١١ منَ الطويل] :

لَئِنْ كَرِهُوْا يَوْمَ ٱلْوَدَاعِ فَإِنَّنِيْ ... أَهِيْمُ بِهِ وَجْداً لأَجْلِ عِنَاقِهِ
أُصَافِحُ مَنْ أَهْوَاهُ غَيْرَ مُرَاقِبٍ ... وَسِرُّ ٱلتَّلاَقِيْ مُوْدَعٌ فِيْ فِرَاقِهِ

وأَنشدَ ٱلمبرِّدُ [منَ الخفيف] :

مُتْعَا بِٱلْفِرَاقِ يَوْمَ ٱلْفِرَاقِ ... مُسْتَجِيْرَيْنِ بِٱلْبُكَا وَٱلْعِنَاقِ
وَأَظَلَّ ٱلْفِرَاقُ فَٱلْتَقَيَا فِيْـ ... ـهِ فِرَاقٌ أَتَاهُمَا بِٱتِّفَاقِ
كَيْفَ أَدْعُوْ عَلَىٰ ٱلْفِرَاقِ بِحَتْفٍ ... وَغَدَاةَ ٱلْفِرَاقِ كَانَ ٱلتَّلاَقِيْ

وهيَ أَبياتٌ باردةٌ متكلَّفةٌ .

٢ـ درء المفاسد مقدم على جلب المصالح

ومنهُم : مَنْ كرهَهُ لإفضائِهِ إلىٰ الاحتراقِ ، ومبلغِ الروحِ التَّراقِ ، وبسطُ ما فيهِ يُفضي إلىٰ الإملالِ ، فلندعْهُ إلىٰ فُرصةٍ أُخرىٰ.

المحب شقي على كل الأحوال

وقالَ الحماسيُّ [في «ديوان الحماسة» ٢/ ١٢٤ منَ الوافر] :

وَمَا فِيْ ٱلأَرْضِ أَشْقَىٰ مِنْ مُحِبٍّ ... وَإِنْ وَجَدَ ٱلْهَوَىٰ حُلْوَ ٱلْمَذَاقِ
تَرَاهُ بَاكِياً فِيْ كُلِّ وَقْتٍ ... مَخَافَةَ فُرْقَةٍ أَوْ لاشْتِيَاقِ

رفع المسهم

فَيَبْكِـي إِنْ نَـأَوْا شَـوْقـاً إِلَيْهِـمْ وَيَبْكِي إِنْ دَنَوْا خَوْفَ ٱلْفِرَاقِ

وقدْ نظرَ إليهِ الناظمُ في قولِهِ [في « العُكْبَريّ » ٣/ ٢٦٦ منَ المنسرح] :

وَاحَـرَبَـا مِنْـكِ يَـا جَـدَايَتَهَـا مُقِيمَةً فَاعْلَمِي وَمُرْتَحِلَهْ![1]

وقولِهِ [في « العُكْبَريّ » ٢/ ٣٠٤ منَ الطويل] :

وَبَيْنَ ٱلرِّضَا وَٱلسُّخْطِ وَٱلْقُرْبِ وَٱلنَّوَىٰ مَجَالٌ لِدَمْعِ ٱلْعَاشِقِ ٱلْمُتَرَقْرِقِ[2]

ويعجبُني قولُ بعضِهم [منَ الطويل] :

حَبِيبِيْ غَداً لاَ شَكَّ فِيْهِ مُوَدَّعُ فَوَٱللهِ مَا أَدْرِيْ بِهِ كَيْفَ أَصْنَعُ
فَيَا يَوْمُ لاَ أَدْبَرْتَ هَلْ لَكَ مَحْبِسٌ وَيَا غَدُ لاَ أَقْبَلْتَ هَلْ لَكَ مُدْفِعُ ؟
إِذَا لَـمْ أُشَيِّعْـهُ تَقَطَّعْـتُ حَسْـرَةً وَوَاكَبِـداً إِنْ كُنْـتُ مِمَّـنْ يُشَيِّـعُ

وقالَ الناظمُ [في « العُكْبَريّ » ٤/ ١٤٨ منَ الوافر] :

وَفَـارَقْـتُ ٱلْحَبِيْـبَ بِـلاَ وَدَاعٍ وَوَدَّعْـتُ ٱلْبِـلاَدَ بِـلاَ سَـلاَمِ

وقالَ مِهْيَارٌ [منَ الكامل] :

صُلْبُ ٱلْحَصَاةِ يَثُوْرُ غَيْرَ مُزَوَّدٍ مِـنْ أَهْلِـهِ وَيَسِيْـرُ غَيْـرَ مُـوَدَّعِ

الاقتناع باليسير من المحبوب عند الشعراء

وأَمَّا الاقتناعُ باليسيرِ مِنَ ٱلمحبوبِ : فإِنَّهُ كثيرٌ في الأَشعارِ ؛ منهُ قولُ الناظمِ [في « العُكْبَريّ » ٣/ ٣ منَ الوافر] :

---

(١) الحَرَبُ: الهلاكُ . الجَدَايَةُ ـ بفتحِ الجيمِ وكسرِهَا ـ : الذَّكرُ والأُنْثَىٰ مِنْ أَولادِ الظِّباءِ . والمعنىٰ : أَنَّهُ يندبُ حظَّهُ مِنْ ظبيةِ هٰذهِ الدارِ ؛ لأَنَّها إذا أقامتْ منعتْهُ مِنَ الوصولِ إليها ، والسفرُ حائلٌ بينهُ وبينها ، فقربُها وبعدُها سيانِ .

(٢) المترقرقِ : الذي يجولُ في العينِ ولا ينحدرُ . وفي «الديوان» : (ٱلْمُقْلَةِ) بدل (ٱلْعَاشِقِ) .

رفع المسهم

وَجُـوْدَكَ بِـالْمُقَـامِ وَلَـوْ قَلِيـلاً فَمَـا فِيمَـا تَجُـوْدُ بِـهِ قَلِيـلُ[1]

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٢/ ١٣٤ منَ الكامل] :

وَقَنِعْـتُ بِـالْلُّقْيَـا وَأَوَّلِ نَظْـرَةٍ إِنَّ الْقَلِيـلَ مِـنَ الْحَبِيـبِ كَثِيـرُ

وقالَ ٱبنُ الطَّثْرِيَّةِ [في « ديوانِهِ » ٩٧ منَ الطويل] :

أَلَيْسَ قَلِيـلاً نَظْـرَةٌ إِنْ نَظَـرْتُهَـا إِلَيْكِ ؟ وَكَلاَّ لَيْسَ مِنْكِ قَلِيلُ

وقالَ ٱبنُ أَبي ربيعةَ [في « ديوانِهِ » ٢٧٥ منَ الخفيف] :

لَيْتَ حَظِّيْ كَطَرْفَةِ الْعَيْنِ مِنْهَا وَكَثِيـرٌ مِنْهَـا الْقَلِيـلُ الْمُهَنَّـا
أَوْ حَـدِيْـثٍ عَلَىٰ خَـلاَءٍ يُسَلِّـيْ مَـا يُجَنِّـيْ الْفُـؤَادَ مِنْهَـا وَمِنَّـا
كَبُـرَتْ رُبَّ نِعْمَـةٍ مِنْـكِ يَـوْمـاً أَنْ أَرَاهَـا قَبْـلَ الْمَمَـاتِ وَمِنَّـا

وقالَ ذو الرُّمَّةِ [في « ديوانِهِ » ٢/ ٩١٣ منَ الطويل] :

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلاَّ تَعَلُّلُ سَاعَةٍ قَلِيـلاً فَـإِنِّـيْ نَـافِـعٌ لِـيْ قَلِيْلُهَـا

وقالَ ٱبنُ مُطَيْرٍ [في « ديوانِهِ » ٥٤ منَ الطويل] :

كَلاَمُكِ ـ يَا سَلْمَىٰ ـ وَإِنْ قَلَّ نَافِعِيْ فَلاَ تَحْسَبِيْ أَنِّيْ وَإِنْ قَلَّ حَاقِرُهْ

وقالَ إِسحاقُ المَوْصِليُّ [في « معجم الأُدباءِ » ٦/ ٤٠ منَ الخفيف] :

إِنَّ مَـا قَـلَّ مِنْـكِ يَكْثُـرُ عِنْـدِيْ وَكَثِيْـرٌ مِمَّـنْ تُحِـبُّ قَلِيْـلُ

وقالَ أَبو نصرٍ الميكاليُّ [منَ الوافر] :

قَلِيـلٌ مِنْـكِ يَكْفِينِـيْ وَلَكِـنْ قَلِيْلُـكِ لاَ يُقَـالُ لَـهُ قَلِيـلُ

---

(١) أي: وجُدْ جودَك.

رفع المسهم

وقد تنوَّقَ[1] فيهِ سلطانُ العاشقينَ ، فقالَ [في « ديوانهِ » ٤٧ منَ الطويل] : — واجمله: عند سلطان العاشقين

وَمُنِّيْ عَلَىٰ سَمْعِيْ بِـ(لَنْ) إِنْ مَنَعْتِ أَنْ ... أَرَاكِ فَمِـنْ قَبْلِـيْ لِغَيْـرِيَ لَـذَّتِ[2]

وقالَ [في « ديوانهِ » ١٥٧ منَ الخفيف] :

ذَابَ قَلْبِـيْ فَـأْذَنْ لَـهُ يَتَمَنَّـا ... كَ وَفِيْـهِ بَقِيَّـةٌ لِـرَجَـاكَـا
وَإِذَا لَـمْ تُنْعِـشْ بِـرَوْحِ ٱلتَّمَنِّـيْ ... رَمَقِـيْ وَٱقْتَضَـىٰ فَنَـائِـيْ بَقَـاكَـا
أَبْـقِ لِـي مُهْجَـةً لَعَلِّـيَ يَـوْمـاً ... قَبْلَ مَوْتِيْ أَرَىٰ بِهَا مَنْ رَآكَا
أَوْ مُرِ ٱلْغُمْضَ أَنْ يَمُرَّ بِجَفْنِيْ ... فَكَـأَنِّـيْ بِـهِ مُطِيْعـاً عَصَـاكَـا[3]

وقالَ [في « ديوانهِ » ٥٦ منَ الطويل] :

وَلِيْ مِنْكِ كَافٍ إِنْ هَدَرْتِ دَمِيْ وَلَمْ ... أُعَـدَّ شَهِيْـداً عِلْـمُ دَاعِـيْ مَنِيَّتِـيْ

وفي ترجمةِ الرُّوذَباريِّ المتوفَّىٰ سنةَ : (٣٢٠ هـ) مِنْ « طبقاتِ ابنِ السبكيِّ » [٣/٤٩] : أَنَّهُ مرَّ بشابٍّ طريحٍ فقالوا : إِنَّهُ ٱجتازَ بهٰذا القصرِ وجاريةٌ تغنِّي وتقولُ [من مجزوء الرَّمَل] : — الروذباري والشاب الطريح

كَبُـرَتْ هِمَّـةُ عَبْـدٍ ... طَمِعَـتْ فِـي أَنْ تَـرَاكَـا
أَوَمَـا يَكْفِـيْ لِعَيْنِـيْ ... أَنْ تَـرَىٰ مَـنْ قَـدْ رَآكَـا

---

(١) تنوَّق فلانٌ في أُمورِهِ : إذا تجوَّدَ وبالغَ وأَحكمَ .

(٢) للبيت نكتة لطيفة : وهي أن ابن الفارض طلب منها أن تقول له : لن تراني ؛ لأن هذا فيه وعد بأن يراها في المستقبل ، حيث إن النفي بـ (لن) يفيد النفي في الحال فقط ، وعكسه رأي المعتزلة : فإنها تفيد عندهم النفي على التأبيد . وهو مذهب باطل ، والله أعلم .

(٣) الغُمْضُ : النَّوْمُ .

رفع المسهم

ومِنَ ٱلغاياتِ في هٰذا البابِ قَوْلُ ٱبنِ ٱلدُّمَيْنَةِ [في « ديوانهِ » منَ الطويل] :

رَضِيتُ بِسَعْيِ ٱلْوَهْمِ بَيْنِيْ وَبَيْنَهَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيْ ٱلْوَصْلِ مِنْهُ نَصِيْبُ

وقالَ آخرُ [منَ الطويل] :

قِفِـيْ نَـوِّلِيْنِـيْ نَظْـرَةً إِنْ نَظَـرْتُهَـا إِلَىٰ ٱلْحَوْلِ تَكْفِيْنِيْ عَنِ ٱلْمَاءِ وَٱلزَّادِ

وهو مثلُ قولِ الناظمِ [في « المُكْبَريّ » ٢/ ٤٧ منَ الخفيف] :

هَـٰذِهِ ٱلنَّظْـرَةُ ٱلَّتِـيْ نَـالَهَـا مِنْـ ـكَ إِلَىٰ مِثْلِهَا مِنَ ٱلْحَوْلِ زَادُهْ

امرأة في الطواف

وقالَ بعضُهُم [كما في « المستطرف » ١/ ٤٤٢] : رأَيتُ ٱمرأَةً مستقبلةَ البيتَ في ٱلموسمِ ، وهيَ علىٰ غايةٍ مِنَ ٱلنحافةِ والضُّرِّ ، رافعةً يديها تدعو ، فقلتُ لها : هل لكِ مِنْ حاجةٍ ؟ قالت : حاجتي أَنْ تُنادي في الموقفِ بقولي [منَ الخفيف] :

تَـزَوَّدَ كُـلُّ ٱلنَّـاسِ زَاداً يُقِيْمُهُـمْ وَمَـالِـيَ زَادٌ وَٱلسَّـلَامُ عَلَـىٰ نَفْسِـيْ

ففعلتُ ، فَإِذَا أَنا بفتىً منهوكِ القوىٰ ، يقولُ : أَنا وٱللهِ الزادُ ، فمضيتُ بهِ إِليها ، فما زادوا علىٰ النظرِ والتباكي ، ثُمَّ قالتْ لهُ : ٱنصرفْ مصاحباً ، فقلتُ : ما علمتُ أَنَّ ٱلتقاءَكُما يكونُ قاصراً علىٰ هٰذا ، فقالتْ : أَمسكْ يا فتىٰ ، أَما علمتَ أَنَّ ركوبَ العارِ ودخولَ النارِ شديدٌ ؟! .

وقالَ بعضُهُم [منَ الطويل] :

أُقَلِّبُ طَـرْفِـيْ فِـيْ ٱلسَّمَـاءِ تَـرَدُّداً لَعَلِّيْ أَرَىٰ ٱلنَّجْمَ ٱلَّذِيْ أَنْتَ تَنْظُرُ

رفع المسهم

وَأَسْتَعْرِضُ ٱلرُّكْبَانَ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ لَعَلِّيْ بِمَنْ قَدْ شَمَّ عَرْفَكَ أَظْفَرُ[1]
وَأَسْتَقْبِلُ ٱلأَرْوَاحَ عِنْدَ هُبُوْبِهَا لَعَلَّ نَسِيْمَ ٱلرِّيْحِ عَنْكَ يُخَبِّرُ

وقالَ كُثَيِّرُ عَزَّةَ [في « ديوانهِ » ٤١٩ منَ الطويل] :

وَإِنِّيْ لأَرْضَىٰ مِنْكِ يَا عَزَّ بِٱلَّذِيْ لَوَ ٱبْصَرَهُ ٱلْوَاشِيْ لَقَرَّتْ بَلاَبِلُهْ[2]
بِلاَ ، وَبِأَنْ لاَ أَسْتَطِيْعُ ، وَبِٱلْمُنَىٰ وَبِٱلْوَعْدِ ، وَٱلتَّسْوِيْفِ قَدْ مَلَّ آمِلُهْ
وَبِٱلنَّظْرَةِ ٱلْعَجْلَىٰ ، وَبِٱلْحَوْلِ يَنْقَضِيْ أَوَاخِرُهُ مَا نَلْتَقِيْ وَأَوَائِلُهْ

وقالَ جَحْدَرٌ [في « خزانةِ الأدبِ » ١١/٢٠٩ منَ الوافر] :

أَلَيْسَ ٱللَّيْلُ يَجْمَعُ أُمَّ عَمْرٍو وَإِيَّانَا فَذَاكَ بِنَا تَدَانِيْ ؟
نَعَمْ ، وَأَرَىٰ ٱلْهِلاَلَ كَمَا تَرَاهُ وَيَعْلُوْهَا ٱلنَّهَارُ كَمَا عَلاَنِيْ

ويأتي ما يتعلَّقُ بهِ عندَ شرحِ قولِهِ [في « العُكْبَريِّ » ٣/١٦٤ منَ البسيط] :

يُجَنُّ شَوْقاً فَلَوْلاَ أَنَّ رَائِحَةً تَزُوْرُهُ مِنْ رِيَاحِ ٱلشَّرْقِ مَا عَقَلاَ

مِنَ ٱلمجلسِ السابعِ .

وعندَ قولِهِ [في « العُكْبَريِّ » ١/٣١٩ منَ الخفيف] :

أَيَّ يَوْمٍ سَرَرْتَنِيْ بِوِصَالٍ لَمْ تَرُعْنِيْ ثَلاَثَةٌ بِصُدُوْدِ

أَواخرَ المجلسِ التاسعِ .

* * *

(١) العَرْفُ : الريحُ ، طيِّبَةً كانتْ أَوْ خبيثةً ، يُقَالُ : ما أَطْيَبَ عَرْفَهُ .
(٢) الوَاشِي : النَّمَّامُ . البَلابِلُ : شدَّةُ الهمِّ والوَسْوَاسِ في الصُّدُورِ .

رفع المسهم

[قالَ أَبو الطيِّبِ المتنبِّي في « العُكْبَريِّ » ١/ ٢٩٧ منَ المنسرح]:

بَـانُـوْا بِخُـرْعُـوْبَـةٍ لَهَـا كَفَـلٌ يَكَادُ عِنْدَ ٱلْقِيَامِ يُقْعِدُهَا[1]

المرأة ممدوحة بكبر العجيزة

يقولُ : ذهبوا بشابَّةٍ بَضَّةٍ[2] لها كَفَلٌ ، يكادُ يُقعدُها ما عليهِ مِنْ كثرةِ اللحمِ ، وهـٰذا أَيضاً يُؤَيِّدُ الاحتمالَ الثاني ، وهوَ : وصفُهُم

تكرر المعنى عند المتنبي

حالَ الارتحالِ ، والمرأَةُ ممدوحَةٌ بكِبَرِ العجيزةِ ، وقد تكرَّرَ عندَهُ ، فمنهُ قولُهُ [في « العُكْبَريِّ » ٣/ ٢١٠ منَ المنسرح] :

يَجْذِبُهَا تَحْتَ خَصْرِهَا عَجُزٌ كَـأَنَّـهُ مِـنْ فِـرَاقِهَـا وَجِـلُ

وقولُهُ [في « العُكْبَريِّ » ٣/ ٢٣٤ منَ الكامل] :

تَشْكُـوْ رَوَادِفَـكِ ٱلْمَطِيَّـةُ فَـوْقَهَـا شَكْوَىٰ ٱلَّتِيْ وَجَدَتْ هَوَاكِ دَخِيْلاً[3]

وقولُهُ [في « العُكْبَريِّ » ٢/ ١١٧ منَ البسيط] :

أَعَارَنِيْ سُقْمَ جَفْنَيْهِ وَحَمَّلَنِيْ مِنَ ٱلْهَوَىٰ ثِقْلَ مَا تَحْوِيْ مَآزِرُهُ

جزء من حديث أم زرع

وفـي حـديـثِ أُمِّ زرعٍ : (عُكُـومُهـا رَدَاحٌ)[4] ، وقـد فسَّـرَهُ

---

(١) الخُرْعُوبَةُ : الشَّابَّةُ الحسنَةُ الجسيمةُ في قَوَامٍ ، وقال اللِّحْيَانِي : هيَ الرقيقةُ العظمِ ، الكثيرةُ اللحمِ ، الناعمةُ .

(٢) البَضَّةُ ، يقالُ : امرأَةٌ باضَّةٌ وبَضَّةٌ كثيرةُ اللحمِ .

(٣) الرَّوَادِفُ ـ مفردُهُ الرِّدْفُ ـ : وهوَ الكَفَلُ والعَجُزُ ؛ لأَنَّهُ يردُفُ الإنسانَ ويكونُ خلفَهُ .

(٤) أخرجه عن عائشة البخاري (٥١٨٩) في النكاح .

رفع المسهم

بعضُهُم : بانتفاخِ العجيزةِ[1] ، وفيهِ أيضاً : (فَوَجَدَ امْرَأَةً لَهَا ابْنَانِ مِثْلُ الصَّقْرَيْنِ يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِها بِرُمَّانَتَيْنِ)[2] ، وقد قيلَ : إنَّ المرادَ بالرمَّانِ الحقيقةُ ، وأنَّهُما يلعبانِ بهما ، فلا يمسَّانِ ظهرَها ؛ لارتفاعِهِ بعِظَمِ المآكمِ .

حلم معاوية رضي الله عنه

وكانتْ هندُ ابنةُ عتبةَ مَضْرِبَ المثلِ في ذلكَ ، حتَّىٰ لقد جوعلَ[3] بعضُهُم علىٰ أنْ يذكرَها لمعاويةَ ، فضربَ علىٰ عجيزتِهِ وهوَ يصلِّي ، وقالَ : ما أشبهَها بعجيزةِ أُمِّكَ ، فلمَّا سلَّمَ . قالَ لهُ : ما لكَ ولها ؟ إنَّما كانَ يليها أبو سفيانَ . وحملَهُ معَ ذلكَ ، وكساهُ ، ولكنْ ـ واللهُ أعلمُ بصحَّةِ ذلكَ جميعِهِ ـ دسَّ مَنْ يحمِلُهُ علىٰ التحرُّشِ بزيادٍ ؛ ليشيطَ بدمِهِ ، فذهبَ إلىٰ (العراقِ) ، وسألَ زياداً عنْ أُمِّهِ ، وهوَ يخطُبُ ، فقالَ لهُ : يخبرُكَ عنها هٰذا ، وأشارَ إلىٰ شرطيٍّ ، ذهبَ بهِ ، واحتزَّ الذي فيه عيناهُ .

الأحنف يقطع يد رجل بحلمه وذكائه

وبهٰذِهِ ذكرتُ ما رواهُ غيرُ واحدٍ : أنَّ رجلاً جاءَ إلىٰ الأحنفِ بنِ قيسٍ ، فلطَمَ وجهَهُ ، فقالَ : ما شأنُكَ يا ابنَ أخي ؟ وما دعاكَ إلىٰ هٰذا ؟! قالَ : آليتُ أنْ ألطِمَ سيِّدَ العربِ مِنْ بني تميمٍ . قالَ : لَمْ تَبَرَّ يمينُكَ ؛ فما أنا بسيِّدِها ، إنَّما ذلكَ حارثةُ بنُ قدامة ، فذهبَ الرجلُ ، فلطَمَ حارثةَ ، فقامَ إليهِ حارثةُ بالسيفِ ، فقطعَ يمينَهُ ، فبلغَ الأحنفَ ، فقالَ : أنا ـ واللهِ ـ قطعتُها[4] .

---

(١) يقالُ امرأةٌ نُفُجٌ : إذا كانت ضخمةَ الأردافِ والمآكمِ .

(٢) طرف من حديث عائشة السالف .

(٣) جوعِلَ : أي أُعطيَ جُعلاً ، وهوَ المالُ المؤدَّىٰ للإنسانِ ليفعلَ شيئاً .

(٤) القصة في « المستطرف » (٢/ ٢٠٢) .

رفع المسهم

السبب في كون كبر العجيزة ممدوحاً

وأرادَ معاويةُ أَنْ يعبثَ بإحدىٰ فُضلياتِ العربِ ، وعيَّرَها بثديها وكَفَلِها ، فقالتْ : إنَّما كانَ يُضرَبُ المثلُ في كِبَرِ هٰذينِ بأُمِّكَ ، فقالَ لها : إنَّا لم نَقُلْ لكِ إلاَّ خيراً[1] !! إذا كَبُرَ ثديُ المرأةِ . . رُوِيَ ولدُها ، واتَّسعَ صدرُها ، وإذا انتفجَ كَفَلُها . . حَسُنَ مجلسُها . قالتْ : أَوَذَاكَ ؟!!

الثريا وانتفاج عجزها

وأخرجَ الأَصفهانيُّ بسندِهِ [كما في « الأغاني » ١/٢٢٥] : أَنَّ الثريَّا كانتْ تصُبُّ جرَّةَ ماءٍ علىٰ بدَنِها ، وهيَ قائمةٌ ، فلا يُصيبُ ظاهرَ فخذَيها شيءٌ منهُ ؛ لارتفاعِ عجُزِها .

وفيها أَو في عائِشةَ بنتِ طلحةَ يقولُ ٱبنُ أَبي ربيعةَ [كما في « الأغاني » ١٧/ ١٣٣ منَ الطويل] :

تَنُوءُ بِأُخْرَاهَا فَلأْيًا قِيَامُهَا ... وَتَمْشِي ٱلْهُوَيْنَا عَنْ قَرِيبٍ فَتَبْهَرُ[2]

أخت الحجاج تنذر أن تعتمر ماشية

ويُروىٰ : أَنَّ زينبَ ٱبنةَ يوسفَ ، أُختَ الحجَّاجِ ، نذرتْ أَنْ تعتمرَ ماشيةً مِنَ (ٱلطائفِ) إنْ شُفِيَ أَبوها مِنْ شَكْوٍ أَلَمَّ بِهِ ، ثُمَّ لم تصل (مكَّةَ) [إلاَّ] علىٰ شهرٍ ؛ مِنْ سِمَنِها وٱمتلائِها ، وتَجاذُبِ أَطرافِها وروادِفِها ، وفي وجهِها ذلكَ يقولُ ٱلنُّمَيريُّ [منَ الطويل] :

تَضَوَّعَ مِسْكاً بَطْنُ نَعْمَانَ إِنْ مَشَتْ ... بِهِ زَيْنَبٌ فِي نِسْوَةٍ خَفِرَاتِ[3]

---

(١) أي: كنّا نمزحُ معك، ولم نتكلم لك الكلام الصحيح بكلامنا ذاك، ولكنا سنقول لك الحقيقة والخير وهو : أن المرأة إذا كبر ثديها . . .

(٢) تَنُوءُ : نَاءَ بحملِهِ : نهضَ بجهدٍ ومشقَّةٍ ، والمرأةُ تَنُوءُ بها عَجِيزَتُهَا ؛ أي : تُثْقِلُهَا ، وهي تنوءُ بعجيزتها ، أي تنهضُ بها مُثْقَلَةً . اللَّأْيُ : بُطْءُ القيامِ . البُهْرُ : الإعْيَاءُ .

(٣) تضوَّعَ : فاحَ . خفراتٌ : حيِيَّاتٌ ، محفوظاتٌ من الفساد .

رفع المسهم

يُخَبِّثْنَ أَطْرَافَ ٱلْبَنَانِ مِنَ ٱلتُّقَىٰ وَيَخْرُجْنَ جُنْحَ ٱللَّيْلِ مُعْتَمِرَاتِ
وَلَمَّا رَأَتْ رَكْبَ ٱلنُّمَيْرِيِّ أَعْرَضَتْ وَكُنَّ مِنَ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتِ

وفي ذلكَ خبرٌ طويلٌ .

وممَّنْ ٱشتهرَ بذلكَ ضُباعةُ ٱبنةُ عامرِ بنِ صعصعةَ ، كما وصفَها بعضُ الصحابةِ ، وقد رآها وهوَ غلامٌ يافعٌ تطوفُ بالبيتِ عُريانةً .

وحديثُ ذلكَ : أَنَّ عبدَ ٱللهِ بنَ جُدعانَ . . خطبَها ، وكانتْ عندَ رجلٍ مِنْ قُريشٍ ، فخببها عليهِ[1] ، وأَشارَ عليها أَنْ تتجنَّىٰ وتطلُبَ منهُ ٱلطلاقَ ، فأَجابَها علىٰ شرطِ أَنْ لا تتزوَّجَ عبدَ ٱللهِ بنَ جُدعانَ ، فإِنْ خانتْ . . فعليها أَنْ تنحرَ مئةَ بَدَنةٍ ، وتنسجَ لهُ ثوباً في طولِ ما بينَ ٱلأَخشبينِ ، وتطوفَ بألبيتِ ضحىً متجرِّدَةً عنِ ٱلثيابِ ، فقَبِلَتْ برأْيٍ مِنْ عبدِ ٱللهِ بنِ جُدعانَ ، ولمَّا ٱنقضتْ عِدَّتُها . . تزوَّجَها ، وأَعطاها البُدْنَ ، فنُحرتْ ، ونسجَ لها إِماؤُهُ ثوباً في ذلكَ الطولِ ، بعثتْ بهِ لزوجِها الأَوَّلِ ، وطلبَ مِنْ قريشٍ أَنْ تُخَلِّيَ لهُ المطافَ ساعةً مِنْ نهارٍ ، فطافَتْ عُريانةً ، ولم يكُنْ للمسجدِ جِدارٌ إِذْ ذاكَ . قالَ الراوي : فكنتُ فيمَنْ بقيَ حولَ الكعبةِ لصغرِ سِنِّي ، فلمْ أَرَ أَحسنَ منها مقبلةً ولا مدبرةً ، وإِنَّ رَكَبَها وكَفَلَها لمرتفعانِ ، تقولُ في طوافِها [منَ الرَّجَز] :

ٱلْيَوْمَ يَبْدُوْ بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ أَخْتَمَ مِثْلَ ٱلْعَقْبِ بَادٍ ظِلُّهُ[2]

---

(١) خبَّبها : أفسدها، وفي الحديث عن أبي هريرة عند أبي داوود (٥١٧٠)، والحاكم (٢/١٩٦) وصححه: «من خبب على امرىء زوجته أو مملوكه فليس منا» .

(٢) الفرج الأختمُ : منتفخٌ قصيرُ السَّمْكِ خَنَّاقٌ ضَيِّقٌ، والشطر الآخر يروىٰ: =

رفع المسهم

إنَّما قالتْ : (بَعْضُهُ) ؛ لأنَّها سترتْ بيديها [بعضَهُ] ٱلآخرَ .

ومنهن نائلة الكلبية

وكانتْ نائِلةُ الكلبيَّةُ ٱبنةُ ٱلفُرافِصةِ ممَّنْ تدخُلُ تحتَ الوصفِ .

ونقلَ ٱلسيوطيُّ ، عَنِ ٱلأصمعيِّ ، وأَبي عمرٍو ، وغيرِهما : أنَّهُ أَحسَنُ ما قيلَ في وصفِ ٱمرأةٍ عجزاءَ خميصةٍ قولُ أَبي وَجْزةَ السعديِّ [منَ الكامل] :

الشعراء في هذا الموضوع

أَدْمَاءُ فِيْ وَضَحٍ يَكَادُ رِدَاؤُهَا يَعْرَىٰ وَيَصْنَعُ مَا أَحَبَّ إِزَارُهَا(١)

وفي الموضوعِ يقولُ عَمرو بنُ كُلثومٍ [في « ديوانهِ » ٨٠ منَ الوافر] :

وَمَـأْكَمَـةٍ يَضِيْـقُ ٱلْبَـابُ عَنْهَـا وَكَشْحٍ قَدْ جُنِنْتُ بِهِ جُنُوْنَا(٢)

وقالَ عروةُ بنُ الوردِ(٣) [منَ الكامل] :

أَبَتِ ٱلرَّوَادِفُ وَٱلثَّدِيُّ لِقُمْصِهَا مَسَّ ٱلْبُطُوْنِ وَأَنْ تَمَسَّ ظُهُوْرَا

وقالَ النابغةُ الذُّبيانيُّ [في « ديوانهِ » ٢٣٥ منَ البسيط] :

تَلُـوْثُ بَعْـدَ ٱنْتِضَـالِ ٱلْبُـرْدِ مَبْـرَزَهَـا لَوْثاً عَلَىٰ مِثْلِ دِعْصِ الرَّمْلَةِ ٱلْهَارِي(٤)

وقالَ حسَّانٌ [في « ديوانهِ » ٢٩ منَ الكامل] :

وَتَكَادُ تَكْسَلُ أَنْ تَجِيءَ فِرَاشَهَا فِيْ لِيْنِ خَرْعَبَةٍ وَحُسْنِ قَوَامِ

= وما بدا منه فلا أُحِلُّهُ

(١) أدماء : سمراء .

(٢) الكَشْحُ : ما بينَ الخاصرةِ إلى الضِّلعِ الخلفيِّ .

(٣) البيت في « ديوان عمر ٱبن أبي ربيعة » (٤٩٢) .

(٤) تَلُوْثُ : تمشي ببطءٍ لسمنِها . الدِّعْصُ : كثيبٌ مِنَ الرملِ مجتمعٌ .

رفع المسهم

وقالَ هدبةُ بنُ الخشرمِ [في « ديوانهِ » ١١٧ منَ الطويل] :

خَرَجْنَ بِأَعْنَاقِ ٱلظِّبَاءِ وَأَعيُنِ ٱلـ ـجَآذِرِ وَٱرْتَجَّتْ لَهُنَّ ٱلرَّوَادِفُ[1]

وقال توبةُ بنُ الحميرِ الخفاجيُّ [في « ديوانهِ » ٤٢ـ٤٣ منَ الطويل] :

أَمُخْتَرِمِيْ رَيْبُ ٱلْمَنُوْنِ وَلَمْ أَزُرْ كَوَاعِبَ مِنْ هَمْدَانَ بِيْضاً نُحُوْرُهَا
تَنُوْءُ بِأَعْجَازٍ ثِقَالٍ وَأَسْوُقٍ خِدَالٍ وَأَقْدَامٍ لِطَافٍ خُصُوْرُهَا[2]

وقالَ نُصَيْبٌ [منَ البسيط] :

وَذِيْ رَوَادِفَ لاَ يُلْفَىٰ ٱلإِزَارُ بِهَا يُلْوَىٰ وَلَوْ كَانَ سَبْعاً حِيْنَ يَأْتَزِرُ

وقالَ ابنُ ميَّادَةَ [في « ديوانهِ » ١٧١ منَ الطويل] :

حَـرَامِيَّـةٌ أَمَّـا مَـلاَثُ إِزَارِهَـا فَوَعْثٌ وَأَمَّا خَصْرُهَا فَلَطِيْفُ[3]

وقالَ العَرْجِيُّ ـ وَهُوَ عبدُ اللهِ بنُ [عمرَ بنِ] عمرِو بنِ عثمانَ بنِ عفَّانَ ـ [في « ديوانهِ » ١٥٥ـ١٥٦ منَ الطويل] :

أُسَائِلُ عَنْ أَسْمَاءَ فِيْ ٱلسِّجْنِ جَارَهَا لَعَمْـرُ أَبِيْهَـا إِنَّنِـيْ لَمُكَلَّـفُ
مِنَ ٱلْبِيْضِ ، أَمَّا مَا يُوَارِي إِزَارُهَا فَفَعْمٌ وَأَمَّا مَا عَلاَهُ فَمُرْهَفُ[4]

وقالَ أَبو دُلامةَ [منَ الطويل] :

وَقَدْ حَاوَلَتْ نَحْوِيْ ٱلْقِيَامَ لِحَاجَةٍ فَأَثْقَلَهَا عَنْ ذَلِكَ ٱلْكَفَلُ ٱلنَّهْدُ

---

(١) الجآذِرُ ـ جمعُ الجُؤذُرِ ـ : وهي البقرةُ الوحشيَّةُ ، أو ولدُ البقرَةِ .
(٢) الخَدَلُ : هوَ ٱمتلاءُ الساقِ وٱستدارتُها كأَنَّما طُوِيت طيّاً .
(٣) الحراميَّةُ : نسبة لبني حَرام . ملاثُ الإزار : الموقع الذي يشدُّ عليه الإزار وهو العجز والكفل . الوعثُ : العسرُ المرتفع .
(٤) الفَعْمُ والأَفعمُ : الممتلىءُ ، وقيلَ : الفائضُ ٱمتلاءً .

رفع المسهم

وقالَ أَبو العتاهيةِ [في « ديوانهِ » ٦١٢ منَ المتقارب] :

بَدَتْ بَيْنَ حُوْرِ قِصَارِ ٱلْخُطَا تُجَاهِدُ بِٱلْمَشْيِ أَكْفَالَهَا

وقالَ الحارثُ بنُ خالدٍ المخزوميُّ [في « ديوانهِ » ٦٨ منَ الكامل] :

غَرْثَانُ سِمْطُ وِشَاحِهَا قَلِقٌ رَيَّانُ مِنْ أَرْدَافِهَا ٱلْمِرْطُ[1]

وما أَحسنَ قولَ القُطامِيِّ لَوْ أَرادَ النساءَ [في « ديوانهِ » ٢٦ منَ البسيط] :

يَمْشِيْنَ هَوْناً فَلاَ ٱلأَعْجَازُ خَاذِلَةٌ وَلاَ ٱلصُّدُوْرُ عَلَىٰ ٱلأَعْجَازِ تَتَّكِلُ[2]

مساجلة المؤلف مع رجل من (اليمن)

وقدْ نظرتُ أَنا إِلىٰ بيتِ عروةَ بنِ الوردِ السابقِ في قصيدةٍ ، سببُها أَنَّهُ وردَ (حضرموتَ) رجلٌ يتشاعرُ مِنَ (ٱليمنِ) ، فهابَهُ الناسُ ، حتَّىٰ ضمَّنا وإِيَّاهُ مجلسٌ أَضطرُّونا فيه للمباراةِ ، وعيَّنوا البحرَ والقافيةَ والموضوعَ ، فجئتُ في نحوِ ساعةٍ وربعٍ بأَربعينَ بيتاً . قلتُ في (ريمِ صنعا) منها [في « ديوانِ المؤلف » ٥٠٦ منَ الطويل] :

يَسِرْنَ ٱلْهُوَيْنَا عَانَةً بَعْدَ عَانَةٍ قِصَارَ ٱلْخُطَىٰ أَرْدَافُهُنَّ قُيُوْدُهَا[3]

تَدَاخَلُ مِنْ فَرْطِ ٱلْحَيَا فِيْ رِيَاطِهَا فَتَأْبَىٰ لَهَا أَرْدَافُهَا وَنُهُوْدُهَا[4]

وجاءَ هوَ بأَربعةٍ وعشرينَ بيتاً لا تَسْفُلُ ولا تَعلو ، غيرَ أَنَّها ٱنعقدَتْ بعدَهُ مجالسُ نُدعىٰ فيها إِلىٰ المباراةِ ، ويُقترحُ البحرُ

---

(١) غرثانُ : جوعان . ووشاحٌ غرثانُ : لا يملؤُهُ الخصرُ . المِرْطُ ـ جمعُهُ مروطٍ ـ : وهو كساءٌ مِنْ خَزٍّ أَو صوفٍ أَو كتانٍ أَو غيرِهِ يُؤتزرُ بهِ . والمرأَةُ التي مرطُها رَيَّانُ ـ أَيْ ممتلىءٌ ـ كنايةٌ عَنْ ضخمِ روادِفها .

(٢) ومراد القطامي النوق .

(٣) العانةُ : الجماعة ، وأصلها القطعة من حمرِ الوحش .

(٤) رياطُها ـ جمعُ ريطةٍ ـ : وهيَ الملاءَةُ التي كلُّها قطعةٌ واحدةٌ ونسجٌ واحدٌ .

رفع المسهم

والقافيةُ ، وفي كُلِّها يُحيلُ ، ونقولُ ، ومَنْ رَنا بعينِ المَعدِلَةِ . . عرفَ أَنَّني أَحسنتُ الاتِّباعَ ، فكانَ لي الحقُّ في الأَخذِ بخلافِ النّاظمِ فقدْ أَغارَ علىٰ بيتِ ابنِ الوردِ ، فأَغثَّ ولَمْ يجىءْ إلاَّ بالبارِدِ النّاقصِ الثّقيلِ ، وذلكَ حيثُ يقولُ [في « العُكْبَريّ » ٢/ ٢٥١ منَ الوافر] :

تُـرَفِّـعُ ثَـوْبَهَـا الأَرْدَافُ عَنْهَـا ... فَيَبْقَىٰ مِنْ وِشَاحَيْهَا شَسُوْعَا[1]

سؤال عبد الملك بن مروان للأخطل عن تمنيه قول قصيدة لأحد الشعراء

وعلىٰ ذكرِ بيتِ القُطاميِّ أَقولُ : إِنَّهُ مِنْ قصيدةٍ لهُ جزلةٍ بديعةٍ ، يُحكىٰ : [كما في « الأغاني » ١١/ ٢٦ و ٢٤/ ٤٩] أَنَّ عبدَ الملكِ بنَ مروانَ قالَ للأَخطلِ : هلْ تُحبُّ أَنَّ لكَ شِعرَ أَحدٍ مِنَ العربِ قياضاً بشعرِكَ ، أَو تحبُّ أَنَّكَ قلتَهُ ؟ قالَ : لا واللهِ ، إلاَّ أَنِّي وَدِدْتُ أَنِّي قلتُ أَبياتاً قالها رجلٌ مِنَّا ، كانَ مغدفَ القناعِ[2] ، قليلَ السماعِ ، قصيرَ الذراعِ ، قالَ وما هيَ ؟ فأَنشدَهُ [مِنْ قولِ القُطاميِّ في « ديوانهِ » ٢٣ـ٢٤ منَ البسيط] :

إِنَّا مُحَيُّوْكَ فَاسْلَمْ أَيُّهَا الطَّلَلُ ... وَإِنْ بَلِيْتَ وإِنْ طَالَتْ بِكَ الطِّيَلُ

لَيْسَ الْجَدِيْدُ بِهِ تَبْقَىٰ بَشَاشَتُهُ ... إِلاَّ قَلِيْـلاً وَلاَ ذُوْ خِلَّـةٍ يَصِـلُ

مِنها [في « ديوان القُطاميّ » ٢٥ـ٢٦] :

يَمْشِينَ رَهْواً فَلاَ الأَعْجَازُ خَاذِلَةٌ ... وَلاَ الصُّدُوْرُ عَلَىٰ الأَعْجَازِ تَتَّكِلُ

يَتْبَعْنَ سَامِيَةَ الْعَيْنَيْنِ تَحْسَبُهَا ... مَجْنونَةً أَو تَرَىٰ مَا لاَ تَرَىٰ الإِبِلُ

---

(١) الوشاحانِ : قلادتانِ تتوشحُ بهما المرأَةُ ، ترسلُ إحداهما على الجانبِ الأيمنِ ، والأُخرى على الأيسرِ . والشَّسُوْعُ : البعيدُ .

(٢) أي : مُرسَلَ القناع . أَغدفَ عليهِ ستراً : أَرسلَهُ .

رفع المسهم

وَٱلنَّاسُ مَنْ يَلْقَ خَيْراً قَائِلُوْنَ لَهُ ... مَا يَشْتَهِيْ وَلأُمِّ ٱلْمُخْطِىءِ ٱلْهَبَلُ[1]
قَدْ يُدْرِكُ ٱلْمُتَأَنِّيْ بَعْضَ حَاجَتِهِ ... وَقَدْ يَكُوْنُ مَعَ ٱلْمُسْتَعْجِلِ ٱلزَّلَلُ

ومنها ـ وهوَ مِنْ حرِّ القولِ وخالصِ المدحِ ـ [كما في « ديوانِ القُطاميِّ » ٢٩ـ٣٠] :

أَهْلُ ٱلْمَدِيْنَةِ لاَ يَحْزُنْكَ حَالُهُمُ ... إِذَا تَخَطَّأَ عَبْدَ ٱلْوَاحِدِ ٱلأَجَلُ
أَمَّا قُرَيْشٌ فَلَنْ تَلقَاهُمُ أَبَداً ... إِلاَّ وَهُمْ خَيْرُ مَنْ يَحْفَىٰ وَيَنْتَعِلُ
مَنْ صَالَحُوْهُ رَأَىٰ فِيْ عَيْشِهِ سَعَةً ... وَلاَ أَرَىٰ مَنْ أَرَادُوْا ضَرَّهُ يَئِلُ[2]

وفيها بيتٌ يشبِّهُ فيهِ الآثارَ بالكِتَابِ مسَّهُ البلَلُ ، نظرَ فيهِ إلىٰ قولِ لبيدٍ [في « ديوانهِ » ٢٩٩ منَ الكامل] :

وَجَلاَ ٱلسُّيُوْلِ عَنِ ٱلطُّلُوْلِ كَأَنَّهَا ... زُبُرٌ تُجِدُّ مُتُوْنَهَا أَقْلاَمُهَا[3]

وإلىٰ قولِ طَرَفَةَ [في « ديوانهِ » ٦ منَ الطويل] :

لِخَوْلَةَ أَطْلاَلٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ ... تَلُوْحُ كَبَاقِيْ ٱلْوَشْمِ فِيْ ظَاهِرِ ٱلْيَدِ[4]

وكانَ الشعبيُّ حاضراً ، فقالَ : إِنَّ لِلقُطاميِّ أَحسنَ منها ، وأَنشدَ قولَهُ [في « ديوانهِ » ١٠٥ منَ الكامل] :

طَرَقَتْ جَنُوْبُ رِحَالَنَا مِنْ مُطْرِقٍ ... مَا كُنْتُ أَحْسَبُهُ قَرِيْبَ ٱلْمُعْنِقِ

حتَّىٰ أَتىٰ إِلىٰ آخرِها ، فتحرَّكَ عبدُ الملِكِ واهتزَّ ، وقالَ : هٰذا

---

(١) الهَبَلُ : الثُّكل .
(٢) يَئِلُ : ينجو ، ومنه الموئل وهو الملجأ .
(٣) الزُّبُرُ : الكتب .
(٤) بُرْقَةُ ثَهْمَدٍ : موضعٌ معروفٌ في بلادِ العربِ ، وقد ذكرهُ الشعراءُ .

رفع المسهم

ـ واللهِ ـ الشعرُ ، ثكلتِ ٱلقُطاميَّ أُمُّهُ ، فأنكسرَ الأَخطلُ ، وقالَ للشعبيِّ : إنَّ لكَ فنوناً في الكلام ، وإنَّما لنا فنٌّ واحدٌ ، فإنْ رأيتَ ألاَّ تحملَني علىٰ أكتافِ قومِكَ . . فَأَدَعُهُمْ حَرَضاً[1] ، قالَ الشعبيُّ : لا أعرضُ لكَ في شيءٍ مِنَ ٱلشعرِ بعدَ هٰذا .

وعندي : أنَّ القصيدةَ ٱلَّتي ٱختارَها الأَخطلُ أجزلُ وأفحلُ ، إلاَّ أنَّ فيها منْ صريحِ المدحِ لسائرِ قريشٍ ما يثقلُ هضمُهُ علىٰ عبدِ المَلِكِ ، ويسهلُ غمطُهُ[2] علىٰ الشعبيِّ ، ولا حجَّةَ في سكوتِ الأَخطلِ ووقوفِهِ بموقفِ العاجزِ عَنِ ٱلانفصالِ ؛ لمكانِ الهيبةِ ، وإيثارِ المصانعةِ ، وٱتِّباعِ مراضي السلطانِ . تعليق المؤلف على القصة

وقولُ القُطاميِّ : (قَدْ يُدْرِكُ ٱلْمُتَأَنِّيْ . . الخ) ، مأخوذٌ مِنْ قولِ عَدِيِّ بنِ زيدٍ العبّاديِّ [كما في « خزانةِ الأدبِ » ١/ ٣٥١ منَ السَّريع] :

قَدْ يُدْرِكُ ٱلْمُبْطِيءُ مِنْ حَظِّهِ وَٱلْخَيْرُ قَدْ يَسْبِقُ جُهْدَ ٱلْحَرِيْصْ

وبيتُ عديٍّ مأخوذٌ مِنْ قولِ جُمانَةَ الجُعْفِيِّ [كما في « خزانةِ الأدبِ » ١/ ٣٥١ منَ الطويل] :

وَمُسْتَعْجِلٍ وَٱلْمُكْثُ أَدْنَىٰ لِرُشْدِهِ وَلَمْ يَدْرِ فِيْ ٱسْتِعْجَالِهِ مَا يُبَادِرُ

وقالَ ٱبنُ الروميِّ في عكسِ المعنىٰ [كما في « ديوانِهِ » ٣/ ١١٤٧ منَ البسيط] :

عَيْبُ ٱلأَنَاةِ ـ وَإِنْ سَرَّتْ عَوَاقِبُهَا ـ أَنْ لاَ خُلُوْدَ وَأَنْ لَيْسَ ٱلْفَتَىٰ حَجَرَا

---

(١) الحَرَضُ : الهلاكُ والفسادُ . قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا ﴾ [يوسف : ٨٥] .

(٢) الغمطُ : الاستحقارُ .

رفع المسهم

رواية أخرى للقصة

وفي القصَّةِ روايةٌ غيرُ هـٰذهِ ، وهيَ : أَنَّ القُطاميَّ وردَ (دمشقَ) في أَيَّامِ الوليدِ ، فقيلَ لهُ : إِنَّهُ بخيلٌ لا يُعطي الشعراءَ ، وقيلَ بلْ قَدِمَها في أَيَّامِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، فقيلَ لهُ : إِنَّ الشعرَ لا يَنْفُقُ عندَهُ ، فامتدحَ عبدَ الواحدِ بنَ سليمانَ بقصيدتِهِ تلكَ ، فأَعطاهُ ثلاثينَ ناقةً موقَّرَةً بُرّاً وتمراً وثياباً ، فكانَ ذلكَ أَوَّلَ ما حرَّكَ مِنَ ٱلقُطاميِّ ، ورفعَ من ذِكرِهِ .

روايـة أخـرى فـي القصيدة المتمناة

ويروىٰ : أَنَّ الأَبياتَ ٱلَّتي تمنَّاها الأَخطلُ ليستْ مِنْ تلكَ ، وإِنَّما هيَ قولُهُ [كما في « ديوانِ القُطاميِّ » ٨ منَ البسيط] :

يَقْتُلْنَنَا بِحَدِيثٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ ... مَنْ يَتَّقِينَ وَلاَ مَكْنُونُهُ بَادِي

فَهُنَّ يَنْبِذْنَ مِنْ قَوْلٍ يُصِبْنَ بِهِ ... مَوَاقِعَ ٱلْمَاءِ مِنْ ذِي ٱلْغُلَّةِ ٱلصَّادِي[1]

وإِنَّها لعرضةُ ذلكَ نصاعةً وفصاحةً وبلوغَ مَرمىً وإِصابةَ محزٍّ ، وهيَ مِنْ قصيدةٍ يمدحُ بها زُفَرَ بنَ الحارثِ ، وقد مَنَّ عليهِ وأَكرمَهُ يقولُ فيها [في « ديوانِ القُطاميِّ » ٨٤ـ٨٨] :

إِنِّي وَإِنْ كَانَ قَوْمِي لَيْسَ بَيْنَهُمُ ... وَبَيْنَ قَوْمِكَ إِلاَّ ضَرْبَةُ ٱلْهَادِي

مُنْنِ عَلَيْكَ بِمَا ٱسْتَبْقَيْتَ مَعْرِفَتِي ... وَقَدْ تَعَرَّضَ مِنِّي مَقْتَلٌ بَادِي

فَلَنْ أُثِيبَكَ بِٱلنُّعْمَاءِ مَشْتَمَةً ... وَلَنْ أُكَافِىءَ إِصْلاَحِي بِإِفْسَادِ

وَمَا نَسِيتَ مَقَامَ ٱلْوَرْدِ تَجْعَلُهُ ... بَيْنِي وَبَيْنَ حَفِيفِ ٱلْغَابَةِ ٱلْعَادِي

إِذِ ٱلْفَوَارِسُ مِنْ قَيْسٍ بِشِكَّتِهِمْ ... حَوْلِي شُهُودٌ وَقَوْمِي غَيْرُ شُهَّادِ[2]

---

(١) ذو الغلة الصادي : العطشانُ شديدُ العطشِ .

(٢) الشِّكَّةُ : السلاحُ ، وقيلَ : ما يلبسُ مِنَ السلاحِ .

رفع المسهم

إِذْ يَعْتَرِيكَ رِجَالٌ يَسْأَلُوْنَ دَمِيْ ... وَلَوْ أَطَعْتَهُمُ أَيْتَمْتَ أَوْلاَدِيْ

نَفْسِيْ فِدَاءُ بَنِيْ أُمِّيْ هُمُ خَلَطُوْا ... يَوْمَ الْعَرُوْبَةِ أَوْرَاداً بِأَوْرَادِ[1]

فِيْ الْمَجْدِ وَالشَّرَفِ الْعَالِيْ ذَوِيْ أَمَلٍ ... وَفِيْ الْحَيَاةِ وَفِيْ الأَمْوَالِ زُهَّادِ

مَارَيْتُ قَوْماً هُمُ شَرٌّ لإِخوَتِهِمْ ... مِنِّيْ عَشِيَّةَ يَجْرِيْ بِالدَّمِ الْوَادِيْ

منها :

تَقْرِيْهِمُ لَهْذَمِيَّاتٌ تُقَدُّ بِهَا ... مَا كَانَ خَاطَ عَلَيْهِمْ كُلُّ زَرَّادِ[2]

* * *

(١) يومُ العَروبةِ ـ بفتحِ العينِ وضمِّها ـ : الجمعةِ .

(٢) اللَّهذميَّاتُ ـ جمعُ لَهْذَمٍ ـ : ويقالُ سيفٌ لَهْذَمٌ : حادٌّ ، وكذلك السنانُ والنابُ . تَقُدُّ : تقطعُ . الزَّرَّادُ : صانع الدروع .

رفع المسهم

[قالَ أَبو الطيِّب المتنبِّي في « العُكْبَريِّ » ١/ ٢٩٨ منَ المنسرح]:

يَا عَاذِلَ ٱلْعَاشِقِيْنَ دَعْ فِئَةً ... أَضَلَّهَا ٱللهُ كَيْفَ تُرْشِدُهَا
بِئْسَ ٱللَّيَالِيْ سَهِدْتُ مِنْ طَرَبٍ ... شَوْقاً إِلَىٰ مَنْ يَبِيْتُ يَرْقُدُهَا

نصيحة لمن يعذل العاشقين

يقولُ في البيتِ الأَوَّلِ : يا عاذلَ العاشقينَ علىٰ عشقِهم ، دَعْ عنكَ لومَهم ، فإِنَّكَ لا ترشدُهم ، وقد أَضلَّهمُ ٱللهُ ، وأَصلُ المعنىٰ موجودٌ بكثرةٍ ، ولا سيَّما في « ديوانِ سلطانِ العاشقينَ » ، فقدْ تصرَّفَ فيهِ ما شاءَ ، فمنهُ قولُهُ [في « ديوانهِ » ١٢٤ منَ الكامل] :

يَا عَاذِلَ ٱلْمُشْتَاقِ جَهْلاً بِٱلَّذِيْ ... يَلْقَىٰ مَلِيّاً لاَ بَلَغْتَ نَجَاحَا
أَتَعَبْتَ نَفْسَكَ فِيْ نَصِيْحَةِ مَنْ يَرَىٰ ... أَنْ لاَ يَرَىٰ ٱلإِقْبَالَ وَٱلإِفْلاَحَا
إِنْ رُمْتَ إِصْلاَحِيْ فَإِنِّيْ لَمْ أُرِدْ ... لِفَسَادِ قَلْبِيْ فِي ٱلْهَوَىٰ إِصْلاَحَا

وقولُهُ [في « ديوانهِ » ١٣٧ منَ الطويل] :

وَفِيْ حُبِّهَا بِعْتُ ٱلسَّعَادَةَ بِٱلشَّقَا ... ضَلاَلاً وَعَقْلِيْ عَنْ هُدَايَ بِهِ عَقَلْ

وقولُهُ [في « ديوانهِ » ١٦٢ منَ الطويل] :

وَمِنْ أَجْلِهَا طَابَ ٱفْتِضَاحِيْ وَلَذَّ لِيْ ... أُطَرَاحِيْ وَذُلِّيْ بَعْدَ عِزِّ مَقَامِيْ
وَفِيْهَا حَلاَ لِيْ بَعْدَ نُسْكِيْ تَهَتُّكِيْ ... وَخَلْعُ عِذَارِيْ وَٱرْتِكَابُ آثَامِيْ

شرح البيت الأول من المطلع

ثُمَّ إِنْ كانَ الناظمُ يتوهَّمُ أَنَّ العشقَ ضلالٌ بسائرِ أَنواعِهِ . . فقد أَخطأَ ؛ لأَنَّهُ لا يُذَمُّ ما لَمْ يُفضِ إِلىٰ الحرامِ ، بل ربَّما تدرَّجَ بهِ المرءُ

رفع المسهم

في السلوكِ إلىٰ سبيلِ السعادةِ ، كما قلتُ [في « ديوان المؤلف » ١٦٥ منَ البسيط] :

فِهِ فِـيْ ٱلْحُـبِّ سِـرٌّ لاَ يُكَيِّفُـهُ ٱلـ إِنسَانُ مَا دَامَ فِيْ ذَا ٱلْقَالَبِ ٱلطِّيْنِيْ
وَفِيْـهِ لِلْمَـرْءِ بِـٱلتَّـوْفِيْـقِ مَـدْرَجَـةٌ إِلَىٰ ٱلسَّعَادَةِ فِيْ ٱلدُّنْيَا وَفِيْ ٱلدِّيْنِ

«من عشق فعف» ومدى الاحتجاج به

ولولا ما أكثروا فيهِ مِنْ شأنِ سويدِ بن سعيدٍ . . لصحَّ ما يدورُ عليهِ مِنْ طُرُقِهِ ، وهوَ حديثُ : « مَنْ عَشِقَ فَعَفَّ فَكَتَمَ فَمَاتَ . . فَهُوَ شَهِيْدٌ »[1] ، ولٰكنْ رواهُ الزبيرُ بنُ بكَّارٍ ، فقالَ : حدَّثنا عبدُ المَلِكِ بنُ عبدِ العزيزِ بنِ المَاجشُونِ ، عَنْ عبدِ العزيزِ بنِ أَبي حازمٍ ، عن أَبي نَجيحٍ ، عنْ مجاهدٍ ، عَنِ ٱبنِ عبَّاسٍ ، عَنِ ٱلنبيِّ ﷺ أَنَّهُ قالَ : « مَنْ عَشِقَ وَكَتَمَ وَعَفَّ وَصَبَرَ . . غَفَرَ ٱللهُ لَهُ ، وَأَدْخَلَهُ ٱلْجَنَّةَ »[2] ، وكذلكَ رواهُ لعائِذِيهِ محمَّدُ بنُ داوودَ ، لٰكن بسندٍ فيهِ

---

(١) أخرجه عن ابن عباس الخطيب في «تاريخ بغداد» في ترجمة محمد بن داوود الأصبهاني كما في «المقاصد الحسنة» (١١٥٣)، وقد أطنب في ذكر طرقه والكلام عليه وأجاد، وقد ألّف فيه جزءاً أبو الفيض الغماري سمّاه: «درء الضعف عن حديث من عشق فعفّ». وأما سويد بن سعيد فقيل فيه: متروك، منكر الحديث؛ فلذلك ضعفوه.

(٢) قال المناوي عن سنده في «فيض القدير» (٨٨٥٣): إسناده صحيح وقد ذكره ابن حزم في معرض الاحتجاج وقال: رواته ثقات ـ وسيعرج المصنف على ذلك ـ. وقد غلط في هذا الطريق بعض الرواة فأدخل إسناداً في إسناد، وقال ابن القيم: هذا الحديث والذي قبله كل منهما موضوع ولا يجوز كونه من كلام المصطفى ﷺ وأطال، لكن انتصر الزركشي لتقويته فقال: أنكره ابن معين وغيره على سويد لكنه لم ينفرد به وساق سند المؤلف. ويقال إن أبا الوليد الباجي رحمه الله تعالى نظم فيه [من الوافر]:

إذا مـات المحـبُّ جـوىً وعشقـا فتلـك شهـادة يـا صـاح حقًّـا=

رفع المسهم

سويدُ بنُ سعيدٍ ، ثُمَّ أنشدَهُم لنفسِهِ بعدَ أنْ رواهُ لهُم قولَهُ [منَ البسيط] :

أُنْظُرْ إِلَىٰ ٱلسِّحْرِ يَجْرِيْ فِيْ لَوَاحِظِهِ ... وَٱنْظُرْ إِلَىٰ دَعَجٍ فِيْ طَرْفِهِ ٱلسَّاجِيْ[1]

وَٱنْظُرْ إِلَىٰ شَعَرَاتٍ فَوْقَ عَارِضِهِ ... كَأَنَّهُنَّ نِمَالٌ دَبَّ فِيْ عَاجِ

وأنشدَ أيضاً لنفسِهِ [منَ الخفيف] :

مَا لَهُمْ أَنْكَرُوْا سَوَاداً بِخَدَّيْـ ... ـهِ وَلاَ يُنْكِرُوْنَ وَرْدَ ٱلْغُصُوْنِ

إِنْ يَكُنْ عَيْبَ خَدِّهِ مَنْبَتُ ٱلشَّعْـ ... ـرِ فَعَيْبُ ٱلْعُيُوْنِ شَعْرُ ٱلْجُفُوْنِ

فقالَ لهُ : نَفطوَيهِ ـ وكانَ لهُ صديقاً ـ أنكرتَ القياسَ في الفقهِ ، وأثبتَّهُ في الغزَلِ ؟! قالَ : غلبةُ الهوىٰ ، ومَلَكَةُ الوجدِ دَعَوَا إليهِ .

وقد ذكرَ الحديثَ ٱبنُ حزمٍ في معرضِ الاحتجاجِ ، فقالَ [منَ الوافر] :

فَإِنْ أَهْلِكْ هَوَىٰ أَهْلِكْ شَهِيْداً ... وَإِنْ تَمْنُنْ بَقِيْتُ قَرِيْرَ عَيْنِ

رَوَىٰ هَٰذَا لَنَا قَوْمٌ ثِقَاتٌ ... نَأَوْا بِٱلصِّدْقِ عَنْ كَذِبٍ وَمَيْنِ

وللقومِ فيهِ كلامٌ معروفٌ يُؤخَذُ مِنْ مَراجِعِهِ ، إذْ لا حاجةَ إلى الإسهابِ ، ويأتي لونٌ منهُ أوَّلَ المجلسِ التاسعِ .

ولقد أحسنَ أبو الأسودِ الدؤَليُّ ، وأجملَ وأجادَ ، إذْ قالَ في أهلِ البيتِ [في « ديوانهِ » ١٥٤ منَ الوافر] :

فَإِنْ يَكُ حُبُّهُمْ رُشْداً أُصِبْهُ ... وَلَسْتُ بِمُخْطِىءٍ إِنْ كَانَ غَيًّا

وما هوَ في شيءٍ مِنَ ٱلتشكُّكِ ، ولٰكنَّهُ مِنْ بابِ قولِهِ تقدَّستْ

= رواهُ لنا ثقاتٌ عن ثقاتٍ ... عن الحَبْرِ ابنِ عباسٍ يرقىٰ

(١) الدَّعَجُ : شدةُ سوادِ العينِ معَ سِعَتِها . وطرفٌ ساجٍ : ساكنٌ .

رفع المسهم

أسماؤُهُ : ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبا : ٢٤] .

شرح البيت الثاني من المطلع

وأَمَّا البيتُ الثاني : فقد قالَ الشارحُ إِنَّ أَصلَهُ : (بئسَ ٱللَّيَالِي لَيالٍ سهرتُها مِنْ طَرَبِي شوقاً إِلىٰ مَن يَبيْتُ يَرقُدُ فيها)

حذف المخصوص بالذم

وأَقولُ : أَمَّا حذفُ المخصوصِ بالذمِّ : فجائزٌ عندَ العلمِ بهِ مِنَ ٱلقرينةِ ، ومنهُ قولُهُ تعالىٰ : ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الأنفال : ٤٠] ، و﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص : ٣٠] ، وسواءٌ كانتِ ٱلقرينةُ لفظيَّةً أَو معنويَّةً ، وإِن أَقتصرَ في «الخلاصةِ» علىٰ بعضِ أَفرادِ الأُولىٰ في قولِهِ [في باب: (نعم وبئس) ، منَ الرَّجَز] :

وَإِنْ يُقَــدَّمْ مُشْعِــرٌ بِــهِ كَفَــىٰ كَٱلْعِلْمُ نِعْمَ ٱلْمُقْتَنَىٰ وَٱلْمُقْتَفَىٰ

بلْ كثيراً ما يُحذفُ الفاعلُ معهُ لها [أي : للقرينة] ، كما في الحديثِ الصحيحِ الناسخِ لوجوبِ غُسْلِ الجمعةِ ، وهوَ : « مَنْ تَوَضَّأَ يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ . . فَبِهَا وَنِعْمَتْ ، وَمَنِ ٱغْتَسَلَ . . فَٱلْغُسْلُ أَفْضَلُ »[1] .

تقديرُهُ : ونعمتِ ٱلخَصلةُ الوضوءُ خَصلةً ، أَو ما يشبهُ ذلك .

حذف عائد الصلة

وأَمَّا حذفُ عائدِ الصفةِ : فإِنَّهُ كثيرٌ ، ومنهُ قولُ ٱمرىءِ القيسِ [في « ديوانهِ » ٩٦ منَ المتقارب] :

فَأَقْبَلْتُ زَحْفاً عَلَىٰ ٱلرُّكْبَتَيْنْ فَثَــوْبٌ لَبِسْــتُ وَثَــوْبٌ أَجُــرّْ[2]

---

(١) أَخرجَهُ عن سمرة بن جندب أَبو داوودَ (٣٥٣)، والتِّرمذيُّ (٤٩٧) وحسَّنهُ، وٱلنَّسائيُّ (١٣٨٠) ، وٱبنُ ماجه (١٠٩١) .

(٢) هذا البيت من شواهد العربية ، وهو أنه يجوز الابتداء بالنكرة (ثوب) إذا كان المقصود بها التنويع .

رفع المسهم

الرد على الشارح

وأَمَّا قولُهُ : كانَ الوجهُ أَنْ يقولَ : (يرقدُ فيها) بدلاً مِنْ (يرقدُها) . . فغلَطٌ ، وقد قالَ تعالىٰ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزّمّل : ١ـ٢] .

وقالَ أمرؤ القيسِ [كما في « ديوانِهِ » ١١٦ منَ الطويل] :

فَإِمَّا تَرَيْنِيْ لاَ أُغَمِّضُ سَاعَةً ... مِنَ ٱللَّيْلِ إِلاَّ أَنْ أُكِبَّ وَأَنْعَسَا

والأَمرُ أَغنىٰ عَنِ ٱلتدليلِ بعدَ قولِهِم في المتونِ : إِنَّ كلَّ وقتٍ يقبلُ النصبَ علىٰ الظرفيَّةِ مُبهماً كانَ أَو مُخصَّصاً بوصفٍ ، أَو عددٍ ، أَو إِضافةٍ ، بل إِنَّ ما فعلَهُ الناظمُ هوَ الأَولىٰ ؛ لِما فيهِ مِنَ ٱلإِشارةِ إِلىٰ ٱستغراقِ المحبوبةِ الليلَ بالرقادِ ، وهوَ شاهدُ النعمةِ ، ودليلُ الترفِ ، وقد قالَتْ أُمُّ زرعٍ : (فَعِندَهُ أَقُولُ فَلاَ أُقَبَّحُ ، وَأَرْقُدُ فأَتصَبَّحُ)[1] ، فلا معابةَ علىٰ الناظمِ في شيءٍ مِنَ ٱلمحذوفاتِ الأَربعةِ ٱلَّتي ذكرَها الشارحُ ، وإِنَّما العيبُ عليهِ مِنْ جهةِ المعنىٰ ، فلو أَنَّهُ كانَ صحيحَ الهوىٰ . . لَمَا تبرَّمَ بما لحقَهُ مِنَ ٱلتعذيبِ فيهِ ، وللهِ دَرُّ ٱبنِ مُطَيرٍ في قولِهِ [في « ديوانِهِ » ٦٠ منَ الطويل] :

البلوى المحبة

وَحُبُّكِ بَلْوَىٰ غَيْرَ أَنْ لاَ يَسُرُّنِيْ ... وَإِنْ كَانَ بَلْوَىٰ أَنَّنِيْ لَكِ مُبْغِضُ

إِذَا أَنا رِضْتُ ٱلنَّفْسَ فِيْ حُبِّ غَيْرِهَا ... أَتَىٰ حُبُّهَا مِنْ دُوْنِهَا يَتَعَرَّضُ

فَيَا لَيْتَنِيْ أَقْرَضْتُ جِلْداً صَبَابَتِيْ ... وَأَقْرَضَنِيْ صَبْراً عَلَىٰ ٱلشَّوْقِ مُقْرِضُ

الكلام عن ديوان ابن الفارض

أَمَّا « ديوانُ ٱبنِ الفارضِ » : فمنْ فاتحتِهِ إِلى خاتمتِهِ في

---

(١) سلف قريباً . ومعنى : أرقد فأتصبح : أي أنام إلى وقت الضحى، وهو من علامات أهل الدلال، وليس من شأن أصحاب الجِدِّ والهمة .

رفع المسهم

أستعذابِ العذابِ مِنَ ٱلأَحبابِ ، مِنْ ذلكَ قولُهُ [في « ديوانِهِ » ١٤٤ منَ البسيط] :

أَمْسَيْتُ فِيكَ كَمَا أَصْبَحْتُ مُكْتَئِباً وَلَمْ أَقُلْ جَزَعاً : يَا أَزْمَةُ ٱنْفَرِجِي

وقولُهُ [في « ديوانِهِ » ١٥٦ منَ الخفيف] :

وَبِمَا شِئْتَ فِيْ هَوَاكَ ٱخْتَبِرْنِيْ فَٱخْتِيَارِيْ مَا كَانَ فِيْهِ رِضَاكَا

وقولُهُ [في « ديوانِهِ » ٥٠ منَ الطويل] :

وَكُلُّ أَذىً فِي ٱلْحُبِّ مِنْكَ إِذَا [بَدَا] جَعَلْتُ لَهُ شُكْرِيْ مَكَانَ شَكِيَّتِيْ

وَمَا حَلَّ بِيْ مِنْ مِحْنَةٍ فَهْوَ مِنْحَةٌ وَقَدْ سَلِمَتْ مِنْ حَلِّ عَقْدِ عَزِيْمَتِيْ

وقولُهُ [في « ديوانِهِ » ١١٩ منَ الكامل] :

هَلاَّ نَهَاكَ نُهَاكَ عَنْ لَوْمِ ٱمْرِىءٍ لَـمْ يُلْـفَ غَيْـرَ مُنَعَّـمٍ بِشَقَـاءِ

وقولُهُ [في « ديوانِهِ » ٣١ منَ الكامل] :

أَمْسَىٰ بِنَارِ جَوىً حَشَتْ أَحْشَاءَهُ مِنْهَـا يَـرَىٰ ٱلإِيقَـادَ لاَ ٱلإِنْقَـاذَا

وقولُهُ [في « ديوانِهِ » ١٣٥ منَ الطويل] :

وَتَعْذِيبُكُمْ عَذْبٌ لَدَيَّ وَجَوْرُكُمْ عَلَيَّ بِمَا يَقْضِيْ ٱلْهَوَىٰ لَكُمُ عَدْلُ

وقولُهُ [في « ديوانِهِ » ١٢ـ١٨ منَ الرَّمَل] :

بَلْ أَسِيئُوْا فِيْ ٱلْهَوَىٰ أَو أَحْسِنُوْا كُـلُّ شَـيْءٍ حَسَـنٌ مِنْكُـمْ لَـدَيْ

أَيُّ تَعْـذِيْـبٍ سِـوَىٰ ٱلْبُعْـدِ لَنَـا مِنْكِ عَذْبٌ حَبَّذَا مَا بَعْدَ أَيْ

وقولُهُ [في « ديوانِهِ » ٣٥ـ٤١ منَ الطويل] :

تُبِيْحُ ٱلْمَنَايَا إِذْ تُتِيْحُ لِيَ ٱلْمُنَىٰ وَذَاكَ رَخِيْـصٌ مُنْيَتِـيْ بِمَنِيَّتِـيْ

رفع المسهم

وَمَا غَدَرَتْ فِيْ ٱلْحُبِّ أَنْ هَدَرَتْ دَمِيْ بِشَرْعِ ٱلْهَوَىٰ لَكِنْ وَفَتْ إِذْ تَوَفَّتِ

وَكَمْ رَامَ سِلْوَانِيْ هَوَاكِ مُيَمِّماً سِوَاكِ وَأَنَّىٰ عَنْكِ تَبْدِيْلُ نِيَّتِيْ

وَقَالَ : تَلَافَ مَا بَقِيْ مِنْكَ قُلْتُ : مَا أُرَانِيَ إِلاَّ لِلتَّلَافِ تَلَفْتُنِيْ

إِبَائِيْ أَبَىٰ إِلاَّ خِلاَفِيَ نَاصِحاً يُحَاوِلُ مِنِّيْ شِيْمَةً غَيْرَ شِيْمَتِيْ

والأَخيرُ هوَ صدرُ بيتٍ لأَبي عبادةَ [في « ديوانهِ » منَ الطويل] عجزُهُ : (وَتَطْلُبُ مِنِّيْ مَذْهَباً غَيْرَ مَذْهَبِيْ) ، ولٰكنَّ موقعَهُ مِنْ بيتِ الشيخ أَمكنُ وأَعذبُ ، فهوَ بهِ أَحقُّ ، والناظِمُ كثيراً ما يدّعي أَنَّهُ معشوقٌ مُتمنِّعٌ كما في قولِهِ [في « العُكْبَريّ » ٢/٣٠٦ منَ الطويل] : التناقض عند المتنبي

وَأَشْنَبَ مَعْسُوْلِ ٱلثَّنِيَّاتِ وَاضِحٍ حَمَيْتُ فَمِيْ عَنْهُ فَقَبَّلَ مَفْرِقِيْ[1]

وذاتَ المرّاتِ يعترفُ بأَنَّهُ مبغوضٌ مفروكٌ[2] ؛ فيقولُ [في « العُكْبَريّ » ٣/٣٦٢ منَ البسيط] :

وَا حَـرَّ قَلْبَـاهُ مِمَّـنْ قَلْبُـهُ شَبِـمُ وَمَنْ بِجِسْمِيْ وَحَالِيْ عِنْدَهُ سَقَمُ[3]

ويقولُ [في « العُكْبَريّ » ١/١٧٦ منَ البسيط] :

أَنْتَ ٱلْحَبِيْبُ وَلَٰكِنِّيْ أَعُوْذُ بِهِ مِنْ أَنْ أَكُوْنَ مُحِبّاً غَيْرَ مَحْبُوْبِ

ويقولُ [في « العُكْبَريّ » ٤/٨١ منَ الطويل] :

وَلَمَّا ٱلْتَقَيْنَا وَٱلنَّوَىٰ وَرَقِيْبُنَا غَفُوْلاَنِ عَنَّا ظَلْتُ أَبْكِيْ وَتَبْسِمُ

---

(١) الأَشنَبُ : الثغرُ البَرَاقُ ، ويقالُ : المُحَدَّدُ الواضحُ الأَبيضُ .

(٢) مفروكٌ : لا يَحظىٰ عِندَ النساءِ .

(٣) الشَّبِمُ : الباردُ ، والشَّبَمُ : البَرْدُ .

رفع المسهم

ويقولُ [في « العُكْبَريّ » ٤/ ٥٠ منَ الطويل] :

جَفَتْنِيْ كَأَنِّيْ لَسْتُ أَنْطَقَ قَوْمِهَا وَأَطْعَنَهُمْ وَالشُّهْبُ فِيْ صُوْرَةِ الدُّهْمِ[1]

ويقولُ [في « العُكْبَريّ » ٤/ ٢٧١ منَ المنسرح] :

تَبُلُّ خَدَّيَّ كُلَّمَا ٱبْتَسَمَتْ مِنْ مَطَرٍ بَرْقُهُ ثَنَايَاهَا

وهٰذا يحتملُ معنيينِ ؛ لأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يكونَ المرادُ : أَنَّهُ يبكي كلَّما ضحكَتْ . . فيكونُ كقولِهِ : (. . ظَلْتُ أَبْكِيْ وَتَبْسِمُ) وإِمَّا أَنْ يكونَ معناهُ : أَنَّ لعابَها يسيلُ ، وأَنَّها تتفلُ في وجهِهِ ، وكِلاهما لا يلتئِمُ معَ قولِهِ قبلَ ذلكَ [في « العُكْبَريّ » ٤/ ٢٧٠ منَ المنسرح] :

فَقَبَّلَتْ نَاظِرِيْ تُغَالِطُنِيْ وَإِنَّمَا قَبَّلَتْ بِهِ فَاهَا

امرؤ القيس كان مفركا

وفي أَخبارِ أَمرىءِ القيسِ : أَنَّهُ كانَ مُفْرَكاً يُفتَنُّ بجمالِهِ ومقالِه النساءُ بادياً ، ثُمَّ يكرهنَهُ بعدَ المخالطَةِ ، فيحتملُ أَنَّ الناظِمَ مِثلُهُ ، أَو أَنَّهُ لمَّا كانَ كبيراً في صدرِهِ . . أَحبَّ أَنْ يتمثَّلَ بهِ فيما زانَ وفيما شانَ ، حتَّىٰ لو دخلَ جُحْرَ ضَبٍّ لدخلَهُ[2] ، وكثيراً ما تُزيِّنُ لهُ الأُحموقَةُ القبيحَ ، كما ستأْتي مُثُلُهُ في هٰذِهِ المجموعةِ إِنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ ، أَو أَنَّهُ لَمَّا لَمْ يكُنْ لَهُ قدمٌ راسخٌ في الحُبِّ . . قاسَ حالَهُ معَ النساءِ علىٰ حالِ ممدوحِيهِ ، فإِنَّ شأْنَهُم كَما وَصَفَ يُقبِلونَ عليهِ بدءاً ، ويُعرِضونَ عنهُ عوداً .

---

(١) الشُّهْبُ : الخيلُ التي يخالطُها البياضُ والسوادُ . الدُّهمُ : السُّودُ . والمعنىٰ : أَنَّها تغيَّرتْ أَلوانُها مِنَ الدماءِ والعَجاجِ .

(٢) أخذ المصنف هذا اللفظ من حديث أبي سعيد الخدري عند مسلم (٢٦٦٩) وفيه : «لتتبعن سَنَنَ الذين من قبلكم شبراً بشبرٍ وذراعاً بذراعٍ، حتى لو دخلوا في جُحر ضب لاتبعتموهم» .

رفع المسهم

التناقض العجيب

والبيتُ ٱلَّذي نحنُ بسبيلِهِ ناظرٌ إلىٰ قولِ أبي نُوَاسٍ [« الأغاني » ٣٢٦/٦ منَ الطويل] :

شَكَوْنَا إِلَىٰ أَحْبَابِنَا طُوْلَ لَيْلِنَا فَقَالُوْا لَنَا مَا أَقْصَرَ ٱللَّيْلَ عِنْدَنَا

ولا يبعدُ عنهُ قولُ العربيِّ ، وقَدْ تمثَّلَ بهِ أميرُ المؤمنينَ ـ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ ـ في خطبتِهِ الشقشقيَّةِ(١) [« نهج البلاغة » ١٥ منَ السريع] :

شَتَّانَ مَا يَوْمِيْ عَلَىٰ كُوْرِهَا وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِيْ جَابِرِ

عمر بن ابي ربيعة وعائشة بنت طلحة

وقالَ عمر ٱبنُ أبي ربيعةَ يذكرُ عائشةَ ٱبنةَ طلحةَ بنِ عُبيدِ اللهِ [في « ديوانِهِ » ٩٤ـ٩٥ منَ الطويل] :

رَأَتْ رَجُلاً أَمَّا إِذَا ٱلشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَضْحَىٰ وَأَمَّا بِٱلْعَشِيِّ فَيَخْصَرُ(٢)

أَخَا سَفَرٍ جَوَّابَ أَرْضٍ تَقَاذَفَتْ بِهِ فَلَوَاتٌ فَهْوَ أَشْعَثُ أَغْبَرُ

وَأَعْجَبَهَا مِنْ عَيْشِهَا ظِلُّ غُرْفَةٍ وَرَيَّانُ مُلْتَفُّ ٱلْحَدَائِقِ أَخْضَرُ

وَوَالٍ كَفَاهَا كُلَّ شَيْءٍ يَهُمُّهَا فَلَيْسَتْ لِشَيْءٍ آخِرَ ٱللَّيْلِ تَسْهَرُ

فيُروىٰ [كما في « الأغاني » ٩٢/١] : أنَّ حالاً أسهرَها ليلةً مِنْ زوجِها ، فقالت : ليْتَ ٱبنَ أبي ربيعةَ يَرىٰ ليلتي هٰذِهِ حتَّىٰ يرجعَ عَنْ بعضِ قولِهِ .

حال العاشق والمعشوق عند الشعراء

وقالَ عنترةُ [في « ديوانِهِ » ١٩ منَ الكامل] :

تُمْسِيْ وَتُصْبِحُ فَوْقَ ظَهْرِ حَشِيَّةٍ وَأَبِيْتُ فَوْقَ سُرَاةِ أَدْهَمَ مُلْجَمِ(٣)

---

(١) شقشقَ الكلامَ : أخرجهُ أحسنَ مخرجٍ .

(٢) يضحىٰ : يتعرَّضُ للشمسِ . يخصَرُ : يصيبه البرد .

(٣) الحَشِيَّةُ : الفِراشُ المحشو .

رفع المسهم

وقالَ [منَ الكامل] :

أَبْكِيْ وَيَضْحَكُ مِنْ بُكَايَ وَلَنْ تَرَىٰ عَجَباً كَحَاضِرِ ضَحْكِهِ وَبُكَائِيْ

وقالَ قيسُ بنُ المُلَوَّحِ [منَ الطويل] :

فَوَاكَبِداً مِنْ حُبِّ مَنْ لاَ يُحِبُّنِيْ وَمِنْ زَفَرَاتٍ مَا لَهُنَّ فَنَاءُ

وَقالَ [منَ البسيط] :

أَطَعْتُهَا وَعَصَيْتُ ٱلنَّاسَ كُلَّهُمُ فِيْ أَمْرِهَا وهَوَاهَا وَهْيَ تَعْصِيْنِيْ

وقالَ نصيبٌ [منَ الكامل] :

وَذَكَرْتُ مَنْ رَقَّتْ لَهُ كَبِدِيْ وَأَبَىٰ فَلَيْسَ تَرِقُّ لِيْ كَبِدُهْ

وقالَ أَبو عبادةَ [منَ الخفيف] :

وَمِنَ ٱلضَّيْمِ فِيْ هَوَىٰ ٱلْبِيْضِ عِنْدِيْ أَنْ يَوَدَّ ٱلْمَبْتُوْلُ مَنْ لاَ يَوَدُّهْ

وَفي المجلسِ الأَوَّلِ ذَرْوٌ مِنَ ٱلقولِ في طولِ الليلِ ، ومنهُ قَولُ بشَّارٍ [في « ديوانهِ » ٤/١٦٦ منَ الرَّمَل] :

لَمْ يَطُلْ لَيْلِيْ وَلَٰكِنْ لَمْ أَنَمْ وَنَفَىٰ عَنِّيْ ٱلْكَرَىٰ طَيْفٌ أَلَمّْ
وَإِذَا قُلْتُ لَهَا : جُوْدِيْ لَنَا خَرَجَتْ بِٱلصَّمْتِ عَنْ لاَ وَنَعَمْ
نَفْسِيْ يَا عَبْدُ عَنِّيْ وَٱعْلَمِيْ أَنَّنِيْ يَا عَبْدُ مِنْ لَحْمٍ وَدَمْ
إِنَّ فِيْ بُرْدَيَّ جِسْماً نَاحِلاً لَوْ تَوَكَّأْتِ عَلَيْهِ لانْهَدَمْ
خَتَمَ ٱلْحُبُّ لَهَا فِيْ عُنُقِيْ مَوْضِعَ ٱلْخَاتَمِ مِنْ أَهْلِ ٱلذِّمَمْ

رد على بشار بن برد

وَأَخطأَ أَبو معاذٍ [بشَّارٌ] في قولِهِ : (خَرَجَتْ بِٱلصَّمْتِ عَنْ لاَ وَنَعَمْ) ، وَما أُوتِيَ إِلاَّ مِنْ جَهْلِهِ بِحَديثِ مُسلمٍ [١٤٢١ في النكاح عن ابن عباس] : «إِنَّ إِذْنَ ٱلْبِكْرِ صُمَاتُهَا» .

رفع المسهم

أعينوني على الليل

وقالَ بعضُهُم [منَ الطويل] :

تَعَالَوْا أَعِينُوْنِيْ عَلَىٰ ٱللَّيْلِ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ عَيْنٍ لاَ تَنَامُ طَوِيْلُ

فَلَمْ يشعر بعدَ أُمَّةٍ[1] مِنَ ٱلزمانِ إلاَّ بطارقٍ يَقرعُ بابَهُ مِنْ نصفِ ٱللَّيلِ ، فانتبهَ فَزِعاً مرعوباً ، وقالَ لهُ : ما شَأْنُكَ ؟! قالَ : أَنتَ دعوتني بقولِكَ : (تَعَالَوا أَعِينُوْنِي . . . إلى آخرِ البيتِ) ، فقالَ لَهُ : يا ٱبنَ أَخي ، أَبطأْتَ بِالإجابةِ حتَّىٰ جاءَ اللهُ بالفرجِ .

وإنَّما قالَ ٱبنُ الفارضِ [في « ديوانِهِ » ١٤٤ منَ البسيط] :

أَمْسَيْتُ فِيْكَ كَمَا أَصْبَحْتُ مُكْتَئِباً [وَلَمْ أَقُلْ جَزَعَاً: يَا أَزْمَةُ ٱنْفَرِجِيْ]

الأصل اجتماع الهموم على العشاق بالليل ومذاهب الشعراء في ذلك

لأَنَّ الأَصلَ ٱجتماعُ الهمومِ علىٰ المحبِّينَ باللَّيلِ ، وقَدْ تتفرَّقُ عنهم نهاراً بِما يُمارسونَ مِنَ ٱلخلقِ وَالأَشغالِ ، كما قالَ قيسُ بنُ الملوَّحِ أَوِ ٱبنُ الدُّمَيْنَةِ [في « ديوانِ ٱبنِ الدُّمَيْنَةِ » ٨٨ منَ الطويل] :

أُقَضِّيْ نَهَارِيْ بِٱلْحَدِيْثِ وَبِٱلْمُنَىٰ وَيَجْمَعُنِيْ وَٱلْهَمَّ بِٱللَّيْلِ جَامِعُ
نَهَارِيْ نَهَارُ ٱلنَّاسِ حَتَّىٰ إِذَا بَدَا لِيَ ٱللَّيْلُ هَزَّتْنِيْ إِلَيْكِ ٱلْمَضَاجِعُ
لَقَدْ ثَبَتَتْ فِيْ ٱلْقَلْبِ مِنْكِ مَحَبَّةٌ كَمَا ثَبَتَتْ فِيْ ٱلرَّاحَتَيْنِ ٱلأَصَابِعُ

وقَدْ سبقَ إلىٰ أَصلِهِ أَمرؤُ القيسِ في قولِهِ [في « ديوانِهِ » ١٥٢ منَ الطويل] :

أَلاَ أَيُّهَا ٱللَّيْلُ ٱلطَّوِيْلُ أَلاَ ٱنْجَلِ بِصُبْحٍ وَمَا ٱلإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ

---

(١) أُمَّةٍ: حينٍ، أو نسيانٍ، من أَمِهَ يأمَهُ أَمَهاً ؛ أي : نسي، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ [يوسف: ٤٥].

رفع المسهم

وَأَخذَهُ الطِّرِمَّاحُ فقالَ [في « ديوانهِ » ٩٦ منَ الطويل] :

أَلاَ أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيْلُ أَلاَ اَنْجَلِي بِفَجْرٍ وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَرْوَحِ

وقالَ جميلُ بنُ مَعْمَرٍ في عكسِ مَا سبقَ عَنْ ابنِ الدُّمَيْنَةِ [في « ديوانهِ » ٥١ منَ الطويل] :

أَظَلُّ نَهَارِيْ مُسْتَهَاماً وَيَلْتَقِيْ مَعَ اللَّيْلِ رُوْحِيْ فِيْ الْمَنَامِ وَرُوْحُهَا

وقالَ ذُو الرُّمَّةِ [في « ديوانهِ » منَ الطويل] :

أَنِينٌ وشَكْوَىٰ بِالنَّهَارِ طَوِيْلَةٌ عَلَيَّ وَمَا يَأْتِيْ بِهِ اللَّيْلُ أَبْرَحُ

وقلتُ في رثاءِ ولدي بَصْرِي [كما في « ديوان المؤلف » ق/٩٥ منَ الطويل] :

فَقُلْتُ : اتْرُكِيْنَا نُطْفِ بَعْضَ الْتِهَابِنَا بِغَزْرٍ مِنَ الآمَاقِ فِيْ اللَّيْلِ إِذْ يَسْرِيْ
بَطُوْلُ نَهَارِي بِالتَّجَلُّدِ وَالْدُّجَىٰ بِهِ مِنْ بُرُوْدِ الدَّمْعِ شَيْءٌ مِنَ الْقَصْرِ

وَمِنْ أَبلغِ مَا قيلَ في طولِ اللَّيْلِ قولُ النابغةِ [الذُّبيانيِّ في «ديوانهِ» ٤٦ منَ الطويل] :

فَبِتُّ كَأَنِّيْ سَاوَرَتْنِيْ ضَئِيْلَةٌ مِنَ الرُّقْشِ فِيْ أَنْيَابِهَا السُّمُّ نَاقِعُ[1]

وقولُهُ [في « ديوانهِ » ٥٥ منَ الطويل] :

تَقَاعَسَ حَتَّىٰ قُلْتُ : لَيْسَ بِمُنْقَضٍ وَلَيْسَ الَّذِيْ يَرْعَىٰ النُّجُوْمَ بِآيِبِ

وأَرادَ بـ (الَّذِيْ يَرْعَىٰ النُّجُوْمَ) : الفجرَ ، وهيَ كنايةٌ عجيبةٌ ،

---

(١) ضَئِيْلَةٌ : الحيَّةُ الدقيقةُ ، قليلةُ اللحمِ . الرقشُ : المنقَّطةُ . ناقعٌ : ثابتٌ عتيدٌ كامنٌ .

رفع المسهم

وقالَ عليُّ بنُ هشامٍ [منَ السريع] :

لاَ أَظْلِمُ ٱللَّيْلَ وَلاَ أَدَّعِي أَنَّ نُجُومَ ٱللَّيْلِ لَيْسَتْ تَغُورْ
لَيْلِيْ كَمَا شَاءَتْ فَإِنْ لَمْ تَجُدْ طَالَ وَإِنْ جَادَتْ فَلَيْلِيْ قَصِيرْ

قالَ الحرَّانيُّ [منَ البسيط] :

جَاءَتْ تُسَائِلُ عَنْ لَيْلِيْ فَقُلْتُ لَهَا وَسَوْرَةُ ٱلْهَمِّ تَمْحُو سَوْرَةَ ٱلْجَذَلِ[1]
لَيْلِيْ بِكَفَّيْكِ فَٱغْنَيْ عَنْ سُؤَالِكِ لِيْ إِنْ بِنْتِ طَالَ وإِنْ وَاصَلْتِ لَمْ يَطُلِ

أبلغ من قال في طول الليل

ويُروىٰ عَنْ ثعلبٍ أَنَّهُ كانَ يقولُ : كُلُّ مَنْ تكلَّمَ في طولِ الليلِ لمْ يبلُغِ ٱلذُّروةَ مِنَ ٱلإِجادةِ سوىٰ خالدِ الكاتبِ ، فقَد جاوزَ الغايةَ ، إِذْ يقولُ [منَ المتقارب] :

رَقَدْتِ وَلَمْ تَرْثِ لِلسَّاهِرِ وَلَيْلُ ٱلْمُحِبِّ بِلاَ آخِرِ
وَلَمْ تَدْرِ بَعْدَ ذَهَابِ ٱلرُّقَا دِ مَا صَنَعَ ٱلدَّمْعُ بِٱلنَّاظِرِ

وقالَ التُّهاميُّ [منَ الطويل] :

أَبَا ٱلْفَضْلِ طَالَ ٱللَّيْلُ أَمْ خَانَنِيْ صَبْرِيْ فَخُيِّلَ لِيْ أَنَّ ٱلْكَوَاكِبَ لاَ تَسْرِيْ

وقالَ ٱبنُ زُريقٍ [البغداديُّ في « ديوانه » منَ البسيط] :

لاَ يَطْمَئِنُّ بِجَنْبِيْ مَضْجَعٌ وَكَذَا لاَ يَطْمَئِنُّ بِهِ مُذْ غِبْتِ مَضْجَعُهُ
وَمَنْ يُقَطِّعُ قَلْبِيْ ذِكْرُهُ وإِذَا جَرَىٰ عَلَىٰ قَلْبِهِ ذِكْرِيْ يُقَطِّعُهُ

وَهُوَ خلافُ بيتِ ٱلنّاظمِ ٱلَّذي نحنُ بسبيلِهِ غيرَ أَنَّ « ديوانَهُ » لا يخلو مِمَّا يشبهُهُ كقولِهِ [في « المُخْتَبَرِيِّ » ٢/ ٢٨٣ منَ الطويل] :

هَرَاقَتْ دَمِيْ مَنْ بِيْ مِنَ ٱلْوَجْدِ مَا بِهَا مِنَ ٱلْوَجْدِ بِيْ وَٱلشَّوْقُ لِيْ وَلَهَا حِلْفُ

---

(١) سَوْرةُ الشيء : شدتهُ وحِدَّتهُ وهياجهُ . الجَذَلُ : الفرحُ .

رفع المسهم

وهو بالرقىٰ أشبهُ منهُ بالأشعارِ ، وحاصلُ معناهُ قولُ الآخرِ [مِنَ المنسرحِ] :

وَجِدَتْ بِيْ مِثْلَ مَا وَجِدْتُ بِهَا ... فَكِلاَنَا مُغْرَمٌ دَنِفُ

ولا يبعدُ عنهُ قولُ الأوَّلِ ، وفيهِ لابنِ عائِشةَ غناءٌ ، وهُوَ[1] [مِنَ المنسرح] :

وَارَحْمَتَا لِلْغَرِيْبِ فِيْ ٱلْبَلَدِ ٱلنَّا ... زِحِ مَاذَا بِنَفْسِهِ صَنَعَا

فَارَقَ أَحْبَابَهُ فَمَا ٱنْتَفَعُوْا ... بِٱلْعَيْشِ مِنْ بَعْدِهِ وَلاَ ٱنْتَفَعَا

وقالَ البهاءُ زهيرٌ [من مجزوء الكامل] :

يَا لَيْلُ مَا لَكَ آخِرْ ... كَلاًّ وَلاَ لِلشَّوْقِ آخِرْ[2]

لِيْ فِيْكَ أَجْرُ مُجَاهِدٍ ... إِنْ صَحَّ أَنَّ ٱللَّيْلَ كَافِرْ

وقالَ أبو العتاهيةِ [في « ديوانهِ » ٥٤١ـ٥٤٢ منَ البسيط] :

إِنَّ ٱلْمُحِبَّ إِذَا شَطَّتْ مَنَازِلُهُ ... عَنِ ٱلْحَبِيْبِ بَكَىٰ أَوْ حَنَّ أَوْ ذَكَرَا

وَٱللَّيْلُ أَطْوَلُ مِنْ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ عَلَىٰ ... عَيْنِ ٱلشَّجِيِّ إِذَا مَا نَوْمُهُ نَفَرَا

* * *

---

(١) جاءَ في هامش المخطوط: ذكرَ ٱبنُ خَلِّكانَ [كما في «وفيات الأعيان» ٣/٣٥٦]: أنَّهُ لمَّا نُزِعَتْ ثيابُ عليِّ بنِ الجَهْمِ بعدَ موتِهِ.. وُجِدَتْ فيها رُقعةٌ مكتوبٌ عليها هٰذانِ ، لٰكنَّهُ لا يصحُّ أنْ تكونَ لابنِ الجهمِ ، ويكونُ فيها غناءٌ لابنِ عائِشةَ ؛ لتقدُّمِ هٰذا علىٰ ٱبنِ الجهمِ بكثيرٍ .

(٢) وقد ورد هذا البيت أيضاً بلفظ :

يَا لَيْلُ طُلْ أَوْ لاَ تَطُلْ ... إِنِّي عَلَىٰ ٱلْحَالَيْنِ صَابِرْ

رفع المسهم

[قالَ أَبو الطيِّب المتنبِّي في « العُكْبَريّ » ١/ ٣٠١ منَ المنسرح] :

لاَ نَاقَتِيْ تَقْبَلُ ٱلرَّدِيْفَ وَلاَ ... بِٱلسَّوْطِ يَوْمَ ٱلرِّهَانِ أُجْهِدُهَا

شرح المطلع

يقولُ: إنَّ ناقتَهُ لا تقبلُ الرديفَ، ولا تحتاجُ إلىٰ أَن تُساقَ بالسوطِ، وإنَّما يعني: نعلَه، ولو قالَ لا تقبلُ الانفرادَ. لكانَ أَولىٰ بالمحاجاةِ؛ إذْ لا تكونُ النعلُ إلاَّ مَشفوعةً ؛ كَمَا قالَ الآخرُ [منَ الطويل] :

رَواحِلُنَا سِتٌّ وَنَحْنُ ثَلاثَةٌ ... نُجَنِّبُهُنَّ ٱلْمَاءَ فِيْ كُلِّ مَنْهَلِ

خصائص النعال وأصل معنى بيت المتنبي

فهوَ مِنْ خَصائِصِها ، بخلافِ غيرِها مِنَ ٱلنوقِ ، فكثيراً مَا تعجزُ عَنِ ٱلارتدافِ ، ويقالُ إنَّ أَصلَ المعنىٰ قولُ عنترةَ [في « ديوانِهِ » ٣٣ منَ الكامل] :

فَيَكُوْنُ مَرْكَبُكَ ٱلْقَعُوْدَ وَرَحْلُهُ ... وَٱبْنُ ٱلنَّعَامَةِ يَومَ ذَلِكَ مَرْكَبِيْ

أَرادَ بـ (ٱبنِ النَّعامةِ) عرقاً يكونُ في باطنِ القدمِ ، يعني : أَنَّهُ راكبٌ أَخْمَصَهُ[1] .

وقالَ أَبو نُوَاسٍ [في « ديوانِهِ » ٥٨٥ منَ الطويل] :

إِلَيْكَ أَبَا ٱلْعَبَّاسِ مِنْ بَيْنِ [مَنْ] مَشَىٰ ... عَلَيْهَا ٱمْتَطَيْنَا ٱلْحَضْرَمِيَّ ٱلْمُلَسَّنَا[2]

---

(١) الأخمص: الموضع المنخفض من باطن القدم . قال القاضي عياض رحمه الله [من الوافر]:

ومما زادني شرفاً وتيهاً ... وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي ... وأن صَيَّرْتَ أحمد لي نبيًّا

(٢) الحضرميُّ المُلَسَّنُ : النعلُ الذي فيهِ طولٌ ولطافةٌ علىٰ هيئةِ اللسانِ ، أَو النعلُ =

رفع المسهم

فَلاَئِصُ لَمْ تَعْرِفْ حَنِيناً عَلَىٰ طَلىً وَلَمْ تَدْرِ مَا قَرْعُ ٱلفَنِيقِ وَلاَ ٱلْهَنَا[1]

ابن المطرز والشريف الرضي والجواب المفحم

ومَرَّ ٱبنُ المطرِّزِ ـ الشاعرُ ، وفي رجلِهِ نعلٌ باليةٌ ـ علىٰ الشريفِ الرضيِّ ، فقالَ : أَنشدني قصيدتَكَ ٱلَّتي مِنْها قولُكَ [منَ الطويل] :

إِذَا لَـمْ تُبَلِّغْنِـيْ إِلَيْـكِ رَكَـائِبِـيْ فَلاَ وَرَدَتْ مَاءً وَلاَ رَعَتِ ٱلْعُشْبَا

ففعلَ ، حَتَّىٰ أنتهىٰ إلىٰ هـٰذا البيتِ ، فقالَ لَهُ : أَهـٰذِهِ ركائِبُكَ؟! وأَشارَ إلىٰ نعلِهِ ، فقالَ : لَمَّا صارَتْ هِباتُ مولانا إلىٰ مثلِ قولِهِ [منَ الخفيف] :

فَخُذِ ٱلنَّوْمَ مِنْ جُفُوْنِيْ فَإِنِّيْ قَدْ خَلَعْتُ ٱلْكَرَىٰ عَلَىٰ ٱلْعُشَّاقِ

عادَتْ ركائِبي إلىٰ مَا ترىٰ ، فإِنَّكَ قَدْ خلعْتَ مَا لا تملكُ علىٰ مَنْ لا يقبلُ ، فأَعجبَهُ كلامُهُ وأَجازَهُ .

كاد المتعل ان يكون راكباً

وقالتِ ٱبنةُ الخُسِّ في محاجاتِها المشهورةِ : كادَ المتعلُ يكونُ راكباً .

وفي الثالثةِ والأَربعينَ مِنْ «مقاماتِ الحريريِّ»[2] ما يتَّصلُ بالموضوعِ .

وفود ابي الشمقمق على يزيد بن المزيد

وقالَ أَبو الشمَقْمَقِ ـ وقَدْ وفدَ إلىٰ (اليمنِ) علىٰ يزيدَ بنِ المزيدِ ـ [منَ الكامل] :

= الذي جُعلَ طرفُ مقدَّمِها كطرفِ اللسانِ .

(١) فلائصُ ـ جمعُ فلوصٍ ـ : وهي الناقةُ الشابَّةُ الفتيَّةُ . الفنيقُ : الفحلُ المكرَّمُ مِنَ الإبلِ الذي لا يُركبُ ولا يُهانُ لكرامتِهِ عليهم . الهناءُ : القَطِرانُ ، ويقالُ : هَنَأَ الإبلَ إذا طلاها بالقَطِرانِ .

(٢) اسم هذه المقامة : المقامة البكرية .

رفع المسهم

رَحَلَ ٱلْمُطِيَّ إِلَيْكَ طُلاَّبُ ٱلنَدَىٰ ... وَرَحَلْتُ نَحْوَكَ نَاقَةً نَعْلِيَّهْ

إِذْ لَمْ يَكُنْ لِيْ يَا يَزِيْدُ مَطِيَّةٌ ... فَجَعَلْتُهَا لَكَ فِيْ ٱلسَّفَارِ مَطِيَّهْ

تَخْدِيْ أَمَامَ ٱلْيَعْمَلاَتِ وَتَعْتَلِيْ ... فِيْ ٱلسَّيْرِ تَتْرُكُ خَلْفَهَا ٱلْمَهْرِيَّهْ[1]

مِنْ كُلِّ طَاوِيَةِ ٱلصُّوَىٰ مُزْوَرَّةٍ ... قَطْعاً لِكُلِّ تَنُّوفَةٍ دَوْسِيَّهْ[2]

فَإِذَا رَكِبْتُ بِهَا طَرِيْقاً لاَحِباً ... تَنْسَابُ تَحْتِيْ كَٱنْسِيَابِ ٱلْحَيَّهْ

لَوْلاَ ٱلشَّرَاكُ لَقَدْ خَشِيْتُ جِمَاحَهَا ... وَزِمَامُهَا مِنْ أَنْ تَمَسَّ يَدَيَّهْ

تَنْتَابُ أَكْرَمَ وَائِلٍ فِيْ بَيْتِهَا ... حَسَباً وَقُبَّةُ مَجْدِهَا مَبْنِيَّهْ

أَعْنِيْ يَزِيْداً سَيْفَ آلِ مُحَمَّدٍ ... فَرَّاجَ كُلِّ شَدِيْدَةٍ مَخْفِيَّهْ

يَوْمَاهُ: يَوْمٌ لِلْمَوَاهِبِ وَٱلنَّدَىٰ ... خَضِلٌ وَيَوْمُ دَمٍ وَخَطْفُ مَنِيَّهْ[3]

وَلَقَدْ أَتَيْتُكَ وَاثِقاً بِكَ عَالِماً ... أَنْ لَسْتَ تَسْمَعُ مِدْحَةً بِنَسِيَّهْ[4]

فقالَ لهُ يزيدُ : صدقتَ ، وأطلقَ عليهِ ألفَ دينارٍ .

وممَّا يُعزىٰ للكسائيِّ قولُهُ للرشيدِ [منَ الكامل] :

قُلْ لِلْخَلِيْفَةِ مَا تَقُوْلُ لِمَنْ ... أَمْسَىٰ إِلَيْكَ بِحُرْمَةٍ يُدْلِيْ

مَا زِلْتُ مُذْ صَارَ ٱلأَمِيْرُ مَعِيْ ... عَبْدِيْ يَدِيْ وَمَطِيَّتِيْ نَعْلِيْ

---

(١) اليَعْمَلاتُ ـ جمعُ اليَعْمَلَةِ مِنَ الإبلِ ـ : وهي النجيبةُ المعتملةُ المطبوعةُ على العملِ .
المَهْرِيَّةُ : إبلٌ نجائبُ تسبقُ الخيلَ ، منسوبةٌ لقبيلة مُهرة بن حيدان .

(٢) الصُّوى : الطريق الوعر . مُزْوَرَّةٍ : معوجة، وأراد أن حذاءه عندما يسير إلى الأمير يسبق جميع الخيول السريعة . التنوفةُ : القفرُ مِنَ الأَرضِ . الدوسيَّةُ : الدَّوْسُ شدَّةُ الوطءِ بالأقدام ، ومِنْ هذا يقالُ : طريقٌ مَدُوْسٌ .

(٣) الخَضِلةُ : النعمةُ والرفاهيةُ .

(٤) بنسيّه : أي بنسيئةٍ ، وهوَ الدَّينُ المؤجَّلُ .

رفع المسهم

وحجَّ بعضُ نُسّاكِ أرضنا ماشياً ، فسُئِلَ : مِنْ أيِّ الظهرِ رَكوبُكَ ؟ فقالَ : ذلولٌ ، كنَّىٰ بها عَنِ الأرضِ مِنْ قولِهِ جلَّ شأنُهُ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا ﴾ [الملك : ١٥] . من أي الظهر ركوبك

وعلىٰ ذكرِ النعلِ . . أقولُ : بينا أنا أُطالعُ مرَّةً في كتابٍ للنبهانيِّ مِنْ عهدٍ بعيدٍ . . إذا بهِ يقولُ في ليلةِ الإسراءِ [منَ الطويل] : وجهة نظر المؤلف في بعض أبيات النبهاني

عَلَىٰ رَأْسِ هَـٰذَا ٱلْكَوْنِ نَعْلُ مُحَمَّدٍ ... سَرَتْ فَجَمِيعُ ٱلنَّاسِ تَحْتَ ظِلَالِهِ[1]

لَدَىٰ ٱلطُّورِ مُوسَىٰ نُودِيَ ٱخْلَعْ وَأَحْمَدٌ ... عَلَىٰ ٱلْعَرْشِ لَمْ يُؤْمَرْ بِخَلْعِ نِعَالِهِ

فلمْ يعجبني الكلامُ ، وأطَّرحتُ الكتابَ ، ولمَّا كانَ الليلُ . . رأيتُ النبهانيَّ ، أو بعضَ محبِّيهِ فيما يرىٰ النائمُ ، فاعترضْتُ قولَهُ وأوسعتُهُ ردّاً ، وقلتُ لَهُ : إنَّ الأليقَ بمدحِ نبيِّنا ﷺ هوَ ما أقولُ ، وأنشدتُهُ [منَ الطويل] :

يَقُولُونَ : إِنَّ ٱلْمُصْطَفَىٰ لَيْلَةَ ٱلسُّرَىٰ ... إِلَىٰ ٱلْعَرْشِ لَمْ يَعْزِمْ بِخَلْعِ نِعَالِهِ

وَهَـٰذَا مُحَالٌ لاَ يَلِيقُ بِحَالِ مَنْ ... تَـوَاضُعُـهُ للهِ أَسْنَـىٰ خِـلاَلِـهِ

في منامٍ طويلٍ ، لا حاجةَ إلىٰ استيعابِهِ ، إذْ قدِ استوفيتُهُ معَ ما يتعلَّقُ بهِ منَ البحثِ في كتابي « بلابلِ التغريدِ » ، ومنهُ أنَّهُ مأمورٌ بما أدَّبَ اللهُ بهِ موسىٰ عليهما [الصَّلاة و] السلام بنصِّ قولِهِ جلَّ ذكرُهُ : ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام : ٩٠] . ولئنِ اعترضَ بأنَّ موسىٰ لَمْ يؤمرْ بخلعِ النعلِ إلاَّ لنجاستِهِ . . فجوابُهُ : أنَّهُ

(١) قال أحدهم في نحو هٰذا المعنى : (وَنَعْلِ مَتَىٰ نَخْضَعْ لِهَيْبَتِهَا نَعْلُو) .

رفع المسهم

قولٌ لا يعوَّلُ عليهِ ، وأَمَّا الصلاةُ في النعالِ . . فهيَ مِنَ ٱلرُّخصِ ، كما قالَ ٱبنُ دقيقِ العيدِ ، لا مِنَ ٱلمستحبَّاتِ .

أمره ﷺ بمخالفة اليهود بالصلاة بالنعال

قالَ الحافظُ ٱبنُ حجرٍ [في « الفتح » ١/ ٤٩٤] : وروىٰ الحاكمُ [في « المستدرك » ١/ ٣٩١] وأَبو داوودَ [في « سننه » (٦٥٢)] مِنْ حديثِ شدَّادِ بنِ أَوسٍ : « خَالِفُوْا ٱلْيَهُوْدَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُصَلُّوْنَ فِيْ نِعَالِهِمْ وَلاَ خِفَافِهِمْ » ، فيكونُ ٱستحبابُ ذلكَ مِنْ جهةِ قصدِ المخالفةِ المذكورةِ ، ووردَ في كونِ الصلاةِ في النعالِ مِنَ ٱلزينةِ المأمورِ بأَخذِها في الآيةِ حديثٌ ضعيفٌ جدًّا ، أَوردَهُ ٱبنُ عديٍّ في « الكاملِ » ، وٱبنُ مردويهِ في « تفسيرِهِ »[1] ، مِنْ حديثِ أَبي هريرةَ . انتهىٰ .

استحباب قلع النعل لدخول (مكة)

وقدْ صرَّحَ فقهاؤُنا بٱستحبابِ نزعِ النعلِ لدخولِ (مكَّةَ) وهوَ ممَّا يَرُدُّ كلامَ النبهانيِّ ، وهٰذا كلُّهُ مِنْ حيثُ الفقهُ .

وأَمَّا مِنْ حيثُ الروايةُ : فقدِ ٱعترفَ هوَ نفسُهُ بأَنَّهُ لَمْ يُرِدْ ما يدلُّ عليهِ ، ولهِ درُّ المعرِّيِّ في قولِهِ [كما في « سقطِ الزندِ » ١٥٩ منَ البسيط] :

يَا شَاكِيَ ٱلنُّوَبِ ٱنْهَضْ طَالِباً حَلَبَا ... نُهُوْضَ مُضْنىً لِحَسْمِ ٱلدَّاءِ مُلْتَمِسِ[2]

وٱخْلَعْ حِذَاءَكَ إِنْ حَاذَيْتَهَا وَرَعاً ... كَفِعْلِ مُوْسَىٰ كَلِيْمِ ٱللهِ فِيْ ٱلْقُدُسِ

ويتَّصلُ به كثيرٌ ممَّا يأتي في الآثارِ مِنَ ٱلمجلسِ الحادي عشرَ .

تلوُّن المتنبي وتغيره في أشعاره

ثُمَّ إِنَّ الناظِمَ كثيرُ التلوُّنِ في أَحوالِهِ ، فتارةً يتصعلَكُ ويتفقَّرُ

---

(١) أورده عنه ابن كثير في «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٢١٠) عن أنس مرفوعاً أنها نزلت في الصلاة بالنعال ، وقال: لكن في صحته نظر. والله أعلم.

(٢) النُّوَبُ : المصائبُ .

رفع المسهم

ويعترفُ بالرجلَةِ ، كما في البيتِ ، وكما في قولِهِ [في « العُكْبَريّ » ١/ ١٢٥ منَ الكامل] :

وَحُبِيْتُ مِنْ خُوْصِ ٱلرِّكَابِ بِأَسْوَدٍ مِنْ دَارِشٍ فَغَدَوْتُ أَمْشِيْ رَاكِبَا[1]

و(الدارشُ) : جلدٌ أَسودُ تصنعُ منهُ الأَحذيةُ ، وقولِهِ [في « العُكْبَريّ » ١/ ١٤٠ منَ الوافر] :

وَلَمَّا قَلَّتِ ٱلإِبِلُ ٱمْتَطَيْنَا إِلَىٰ ٱبْنِ أَبِيْ سُلَيْمَانَ ٱلْخُطُوْبَا

وقولِهِ [في « العُكْبَري » ٣/ ٢١١ منَ المنسرح] :

وَمَهْمَهٍ جُبْتُهُ عَلَىٰ قَدَمِيْ تَعْجَزُ عَنْهُ ٱلْعَرَامِسُ ٱلذُّلُلُ[2]
بِصَارِمِيْ مُرْتَدٍ، بِمَخْبُرَتِيْ مُجْتَزِىءٌ، بِٱلظَّلاَمِ مُشْتَمِلُ[3]

وقولِهِ [في « العُكْبَري » ١/ ٣٤٦ منَ المتقارب] :

وَقَدْ كَانَ مَشْيُهُمَا فِيْ ٱلنِّعَالِ فَقَدْ صَارَ مَشْيُهُمَا فِيْ ٱلْقُيُوْدِ

وقولِهِ [في « العُكْبَريّ » ٤/ ٢٩٠ منَ الطويل] :

وَغَيْرُ كَثِيْرٍ أَنْ يَزُوْرَكَ رَاجِلٌ فَيَرْجِعَ مَلْكاً لِلْعِرَاقَيْنِ وَالِيَا

---

(١) حُبيتُ : أُعطيتُ . خُوصُ الركابِ : الإبلُ المتعبةُ . والمعنى : أُعطيت بدلَ الإبلِ خفاً أَسودَ أمشي فيهِ .

(٢) المَهْمَهُ : المفازةُ البعيدةُ والطريق ، والجمعُ المَهَامِهُ ، ومنه قول الشاعر :

ومَهْمَهٍ مغبرة أرجاؤه كأن لون أرضه سماؤه

جُبْتُهُ : قَطَعْتُهُ ، ومنه : ﴿ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴾ [الفجر : ٩] . العرامِسُ : النوقُ الصلابُ الشديدةُ . الذُّلُلُ : المذلَّلةُ بالعملِ ، المروَّضةُ بالسيرِ ، وهي جمعُ ذَلولٍ .

(٣) المعنىٰ : أنا مرتدٍ بسيفي ، متقلِّدٌ بهِ ، مكتفٍ بعِلْمي ، لم أَحتجْ إلىٰ دليلٍ يدلُّني ويهديني الطريقَ ، لابسٌ ثوبَ الظلامِ ، مشتملٌ بهِ كما يشتملُ الرجلُ بثوبهِ .

رفع المسهم

وقولِهِ [في « العُكْبَريّ » ٣/ ٢٧٦ منَ البسيط] :

لاَ خَيْـلَ عِنْـدَكَ تُهْـدِيْهَـا وَلاَ مَـالُ فَلْيُسْعِدِ ٱلنُّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ ٱلْحَالُ

بينا هوَ كذلكَ . . إِذَا بهِ يتطاولُ تارةً أُخرىٰ ، ويقولُ [في « العُكْبَريّ ١/ ٢٧٠ من الطويل] :

وَتُسْعِدُنِيْ فِيْ غَمْرَةٍ بَعْدَ غَمْرَةٍ سَبُوْحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ[1]

ويقولُ [في « العُكْبَريّ » ١/ ٣٦ منَ الخفيف] :

وَلَقَـدْ أَفْنَـتِ ٱلْمَفَـاوِزُ خَيْلِـيْ قَبْـلَ أَنْ نَلْتَقِـيْ وَزَادِيْ وَمَـائِـيْ

ويقولُ [في « العُكْبَريّ » ١/ ٣٨ منَ المتقارب] :

إِذَا فَـزِعَـتْ قَـدَّمَتْهَـا ٱلْجِيَـادُ وَبِيْـضُ ٱلسُّيُـوْفِ وَسُمْـرُ القَنَـا

ويقولُ [في « العُكْبَريّ » ١/ ١٧٣ منَ البسيط] :

وَجَـدْتُ أَنْفَـعَ مَـالٍ كُنْـتُ أَذْخَـرُهُ مَا فِيْ ٱلسَّوَابِقِ مِنْ جَرْيٍ وَتَقْرِيْبِ

ويقولُ [في « العُكْبَريّ » ٢/ ١٥١ منَ الطويل] :

عَلَيَّ لأَهْلِ ٱلْجَوْرِ كُلُّ طِمِرَّةٍ عَلَيْهَا غُلاَمٌ مِلْءُ حَيْزُوْمِهِ غِمْرُ[2]

وقولُهُ : (مَلْءُ حَيْزُوْمِهِ غِمْرُ) مِنْ قولِ ٱمرىءِ القيسِ : (تَحَمَّلَ فِيْ ٱلْقُلُوْبِ حَنَقًا) .

---

(١) السَّبُوحُ : الفرسُ الشديدُ الجري ، والبيت من شواهد البلاغة .

(٢) الطِّمِرَّةُ : الفرسُ العاليةُ المشرفةُ . الحيزومُ : الصدرُ . الغِمْرُ : الحِقْدُ . والمعنىٰ أَنَّهُ يقولُ : أَنا كفيلٌ بخيلٍ فرسانُها هؤلاءِ .

رفع المسهم

وقولِ ربيعةَ بنِ مقروم الضبيِّ [في « خزانةِ الأدب » ٨/٤٣٦ منَ الكامل] :

وَأَلَـدَّ ذِيْ حَنَـقٍ عَلَـيَّ كَـأَنَّمَـا تَغْلِيْ عَدَاوَةُ صَدْرِهِ فِيْ مِرْجَلِ

ويقولُ الناظمُ أيضاً [في « العُكْبَريِّ » ١/١٧٩ منَ الطويل] :

وَعَيْنِـيْ إِلَـىٰ أُذْنَـيْ أَغَـرَّ كَـأَنَّـهُ مِنَ ٱللَّيْلِ بَاقٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَوْكَبُ[1]

ويقولُ [في « العُكْبَريِّ » ٤/٢٨٥ منَ الطويل] :

وَجُرْداً مَدَدْنَا بَيْنَ آذَانِهَا ٱلْقَنَا فَبِتْـنَ خِفَـافـاً يَتَّبِعْـنَ ٱلْعَـوَالِيَـا

ويقولُ [في « العُكْبَريِّ » ٢/٢٣ منَ الطويل] :

وَفِيْ ٱلنَّاسِ مَنْ يَرْضَىٰ بِمَيْسُوْرِ عِيْشَةٍ وَمَرْكُـوْبُـهُ رِجْـلاَهُ وَٱلثَّـوْبُ جِلْـدُهُ

ويقولُ [في « العُكْبَريِّ » ٤/٣٩ منَ البسيط] :

لَيْسَ ٱلتَّعَلُّلُ بِٱلآمَالِ مِنْ أَرَبِيْ وَلاَ ٱلْقَنَاعَةُ بِٱلإِقْلاَلِ مِنْ شِيَمِيْ

لا مجد إلا بمال

وقد ألَمَّ في هٰذا ، وفي قولِهِ : (فَلاَ مَجْدَ فِيْ ٱلدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ) بقولِ قيسِ بنِ سعدِ بنِ عبادةَ [في « البيان والتبيين » ١/٥٩٦] : اللهمَّ هَبْ لي حمداً ومجداً ، لا حمدَ إلا بفعالٍ ، ولا فعالَ إلاَّ بمالٍ ، اللَّهمَّ إنَّ القليلَ لا يُصْلِحُني ، ولا أَصلُحُ عليهِ .

تعريض الحمداني بالمتنبي ثم نفي المؤلف الذم عنه

وما أَظنُّ أَبا فراسٍ ٱلحمدانيَّ في قولِهِ [في « ديوانهِ » ١٩٦-١٩٧ منَ الكامل] :

وَتَعَافُ لِيْ طَمَعَ ٱلْحَرِيْصِ أُبُوَّتِيْ وَمُـرُوْءَتِـيْ وَقَنَـاعَتِـيْ وَعَفَـافِـيْ
مَا كُلُّ مَا فَوْقَ ٱلْبَسِيْطَةِ كَافِيَاً فَـإِذَا قَنِعْـتَ فَكُـلُّ شَـيْءٍ كَـافِ

---

(١) المعنىٰ : أَنَّهُ كانَ ينظرُ إلى أُذني فرسِهِ ، وذلكَ أَنَّ الفرسَ أَبصرُ شيءٍ ، فإذا حَسَّ بشخصٍ مِنْ بعيدٍ نصبَ أُذنيهِ نحوَهُ . . فيعلمُ الفارسُ أَنَّهُ أَبصرَ شيئاً ، ثُمَّ وصفَ فرسَهُ بأَنَّهُ قطعةُ ليلٍ في وجهِهِ كوكبُ .

رفع المسهم

إلاَّ ويُعرَضُ بالناظِمِ ، ويشيرُ إلى قولَيْهِ السابقَينِ ، ولكنْ نفىٰ عنهُ الذمَّ كلَّ النفي ما أَشرنا إليهِ مِنْ دُعاءِ قيسٍ ، والثاني مِنْ أَبياتِ الحمدانيِّ ، هوَ مِنْ قولِ أَبي ذؤَيبٍ [في « ديوانِهِ » ٥٦ منَ الكامل] :

وَٱلنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَّبْتَهَا ... وَإِذَا تُرَدُّ إِلَىٰ قَلِيلٍ تَقْنَعُ

عودة على تناقض المتنبي

وبينا صاحبُنا يعترفُ بقلَّةِ العَدِّ ، ويشتكي مِنْ صُفُوْرَةِ اليدِ ، ويقولُ [في « العُكْبَريِّ » ١/ ٢٧٠ منَ الطويل] :

أَهُمُّ بِشَيْءٍ وَٱللَّيَالِي كَأَنَّهَا ... تُطَارِدُنِي عَنْ كَوْنِهِ وأُطَارِدُ

وَحِيْدٌ مِنِ ٱلْخُلاَّنِ فِيْ كُلِّ بَلْدَةٍ ... إِذَا عَظُمَ ٱلْمَطْلُوْبُ قَلَّ ٱلْمُسَاعِدُ

ويقولُ للمغيثِ العِجْليِّ [في « العُكْبَريِّ » ١/ ١٢٠ منَ البسيط] :

لَمَّا أَقَمْتَ بِأَنْطَاكِيَّةَ ٱخْتَلَفَتْ ... إِلَيَّ بِٱلْخَبَرِ ٱلرُّكْبَانُ فِيْ حَلَبَا

فَسِرْتُ نَحْوَكَ لاَ أَلْوِيْ عَلَىٰ أَحَدٍ ... أَحُثُّ رَاحِلَتِيَ ٱلْفَقْرَ وَٱلأَدَبَا

إذا بِهِ ينتفشُ دماغُهُ ، ويمتلىءُ فراغُهُ ، ويعقصُ أَنفَهُ ، ويمدُّ إلىٰ النجومِ كفَّهُ ، ولا يستحيْ أَنْ يقولَ للمغيثِ في نفسِ القصيدةِ [في « العُكْبَريِّ » ١/ ١٢٠-١٢١ منَ البسيط] :

وَإِنْ عَمِرْتُ جَعَلْتُ ٱلْحَرْبَ وَالِدَةً ... وَٱلسَّمْهَرِيَّ أَخاً وَٱلْمَشْرَفِيَّ أَبَا[1]

بِكُلِّ أَشْعَثَ يَلْقَىٰ ٱلْمَوْتَ مُبْتَسِماً ... حَتَّىٰ كَأَنَّ لَهُ فِيْ قَتْلِهِ أَرَبَا

قُحٌّ يَكَادُ صَهِيْلُ ٱلْخَيْلِ يَقْذِفُهُ ... عَنْ سَرْجِهِ مَرَحاً بِٱلْعِزِّ أَوْ طَرَبَا[2]

فَٱلْمَوْتُ أَعْذَرُ لِيْ وَٱلصَّبْرُ أَجْمَلُ بِيْ ... وَٱلْبَرُّ أَوْسَعُ وَٱلدُّنْيَا لِمَنْ غَلَبَا

---

(١) عَمِرتُ: عشتُ طويلاً.

(٢) القُحُّ: الخالصُ.

رفع المسهم

امرؤ القيس وخالد السدوسي والابل المسروقة

فَانظُر كيفَ يطمعُ في المُلكِ الكبيرِ ، وما يجدُ ما يتبلَّغُ بِهِ مِنْ ناقةٍ أَو بعيرٍ ، فما أَشبهَهُ إِذنْ بخالدِ بنِ سدوسٍ ٱلنبهانيِّ ، إِذ أَغارَتْ بنو جديلةَ علىٰ أمرىءِ ٱلقيسِ ، وأَخذوا إِبلَهُ ، وهو في جوارِهِ ، فقالَ لهُ : أَعطني رواحلَكَ ؛ لأَلحقَ القومَ ، فأَرُدَّ الإِبلَ ، ففعلَ ، وركبَ خالدٌ حتَّىٰ أَدركَهم ، فقالَ : يا بنيْ جديلةَ ، أَغَرْتُمْ علىٰ إِبلِ جاري! قالوا : ما هوَ لكَ بجارٍ ، قالَ : بلىٰ ، وهـٰذه رواحلُهُ معي ، قالوا : أَكذلكَ؟ قالَ : نعم ، فأَنزلوهُ عنها ، وأَخذوها فوقَ الإِبلِ ، فعادَ خالدٌ ينفضُ مذْرَوَيْهِ[1] ، قالَ لامرىءِ القيسِ : لا تخفْ فسأَردُّ عليكَ الجميعَ ، فقالَ أَمرؤُ القيسِ [في « ديوانهِ » ١٧٤ منَ الطويل] :

وَدَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيحَ فِيْ حَجَرَاتِهِ ... وَهَاتِ حَدِيْثاً مَا حَدِيْثُ ٱلرَّوَاحِلِ[2]

نفي العذر عن المتنبي في تناقضه

ولا يصحُّ أَنْ يُعتذرَ عنهُ بما سبقَ مِنْ قولِهِ [في « العُكْبَريِّ » ٤/ ٢٩٠ منَ الطويل] :

(وَغَيْرُ كَثِيْرٍ أَنْ يَزُوْرَكَ رَاجِلٌ . . إِلىٰ آخرِهِ) لفرقِ ما بينَ الحالينِ ؛ إِذْ هوَ ثَمَّ طالبٌ وهُنا فاخرٌ .

ويقولُ الناظِمُ أَيضاً [في « العُكْبَريِّ » ٤/ ٤٤ منَ البسيط] :

---

(١) المِذْرَوَانِ : الجانبانِ مِنْ كلِّ شيءٍ ، تقولُ العربُ : جاءَ فلانٌ يضربُ أَصْدَرَيْهِ ، ويَهُزُّ عطفَيْهِ وينفضُ مِذْرَوَيْهِ ، وهما منكباهُ .

(٢) القصة في « مجمع الأمثال » (١/ ٢٦٨) ، و« جمهرة الأمثال » (١/ ٤٥٢) . النهبُ : السلبُ وانتهاز الفرص لاختطاف الأشياء . حَجَرَاتُهُ : نواحيهِ ، والمعنىٰ : دع عنك حديث إبلي التي سطا عليها هؤلاء اللصوص ولكن هات حدثني عن ذهاب رواحلك ، وكيف مكنتهم من أخذها ، يا سيِّءَ الجوار ، ويا ضعيف الدفع عن الجار ؟! .

رفع المسهم

مِيْعَادُ كُلِّ رَقِيْقِ الشَّفْرَتَيْنِ غَداً وَمَنْ عَصَىٰ مِنْ مُلُوْكِ الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ[1]

ويقولُ [في العُكْبَريّ ، ٤/ ٤١ منَ البسيط] :

لأَنْرُكَنَّ وُجُوْهَ الْخَيْلِ سَاهِمَةً وَالْحَرْبُ أَقْوَمُ مِنْ سَاقٍ عَلَىٰ قَدَمِ[2]
وَالطَّعْنُ يُخْرِقُهَا وَالزَّجْرُ يُقْلِقُهَا حَتَّىٰ كَأَنَّ بِهَا ضَرْباً مِنَ اللَّمَمِ[3]

ويقولُ [في « العُكْبَريّ » ٢/ ١٥٧ منَ الطويل] :

وَجَنَّبَنِيْ قُرْبَ السَّلاَطِيْنِ مَقْتُهَا وَمَا يَقْتَضِيْنِيْ مِنْ جَمَاجِمِهَا النَّسْرُ

ويقولُ [في « العُكْبَريّ » ١/ ٣٧٣-٣٧٤ منَ الطويل] :

سَأَطْلُبُ حَقِّيْ بِالْقَنَا وَمَشَايِخٍ كَأَنَّهُمُ مِنْ طُوْلِ مَا الْتَثَمُوْا مُرْدُ[4]
ثِقَالٍ إِذَا لاَقَوْا خِفَافٍ إِذَا دُعُوْا كَثِيْرٍ إِذَا شَدُّوْا قَلِيْلٍ إِذَا عُدُّوْا
إِذَا شِئْتُ حَفَّتْ بِيْ عَلَىٰ كُلِّ سَابِحٍ رِجَالٌ كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيْ فَمِهَا شَهْدُ

ويقولُ [في « العُكْبَريّ » ١/ ١٩٣ منَ الطويل] :

نُصَعِّرُهُ لِلطَّعْنِ فَوْقَ حَوَادِرٍ قَدِ انْقَصَفَتْ فِيْهِنَّ مِنْهُ كِعَابُ[5]

ومهما أعتذرنا للناظمِ ـ في تقلُّبِهِ بينَ الجزرِ والمدِّ ، والصَّعْرِ وضَرَعِ الخدِّ[6] بأَنَّ الإنسانَ عُرضةُ ذلكَ ، ولهذا كانَ أكثرُ حَلفِهِ ﷺ

---

(١) رقيقُ الشفرتينِ : السيفُ الذي رقَّتْ مضاربُهُ بكثرةِ الصقلِ .
(٢) ساهمةٌ : متغيِّرةُ الوجوهِ من هولِ ما ترىٰ .
(٣) اللممُ : الجنونُ .
(٤) أرادَ أنهمْ مجربونَ ، فلذلكَ جعلهم مشايخَ ، وأراد أنهم لا يفارقونَ الحربَ ، فلهذا لا يفارقهمُ اللثام ، فكأنهم مُرْدٌ لعدم رؤيته لحاهم .
(٥) الحوادِرُ: الغليظُ السمينُ مِنَ الخيلِ.
(٦) الصَّعَرُ: إمالة الخدِّ ، وهو كناية عن التكبر ، والشموخ ، والترفع ؛ تهاوناً =

رفع المسهم

بمقلِّبِ القلوبِ[1] ـ فإنَّا لا نقدِرُ أَنْ نُؤَلِّفَ بينَ ما سمعْتَ مِن هَفْوِ ٱلدعاوي الطويلةِ العريضةِ وبينَ قولِهِ [في « المُخْبَرِيِّ » ٣/ ٣٤٤ منَ الخفيف] :

لَيْتَ أَنَّا إِذَا رَكِبْتَ لَكَ ٱلْخَيْـ ـلُ وَأَنَّا إِذَا نَزَلْتَ ٱلْخِيَامُ

اختلاف الأحوال والواردات على العارفين

وَإِلاَّ . . فٱلعارِفونَ ـ وهُمْ مَنْ هُمْ ـ تضطرِبُ أَحوالُهُم ، وتتلوَّنُ أُمورُهُم ، أَلا ترىٰ إلىٰ الشرفِ ٱبنِ الفارضِ بينا هوَ يقولُ ، وفي السماءِ أَنفُهُ ، وعلىٰ ناصيةِ الثريَّا كفُّهُ [في « ديوانِهِ » ١٦٩ منَ الكامل] :

وَإِذَا سَأَلْتُكَ أَنْ أَرَاكَ حَقِيقَةً فَٱسْمَحْ وَلاَ تَجْعَلْ جَوَابِيَ لَنْ تَرَىٰ

إذا به يتضاءَلُ ويذوبُ ، وينكسِرُ ويتوبُ ويقولُ [في « ديوانِهِ » ٤٧ منَ الطويل] :

وَمُنِّيْ عَلَىٰ سَمْعِيْ بِلَنْ إِنْ مَنَعْتِ أَنْ أَرَاكِ فَمِنْ قَبْلِيْ لِغَيْرِيَ لَذَّتِ

ويقولُ [في « ديوانِهِ » ١٥٧ منَ الخفيف] :

ذَابَ قَلْبِيْ فَأْذَنْ لَهُ يَتَمَنَّا كَ وَفِيْهِ بَقِيَّةٌ لِرَجَاكَا

ويقولُ [في « ديوانِهِ » ١٤٧ منَ البسيط] :

وَٱرْحَمْ تَعَثُّرَ آمَالِيْ ، وَمُرْتَجَعِيْ إِلَىٰ خِدَاعِ تَمَنِّيْ ٱلْوَعْدِ بِٱلْفَرَجِ

= بالمنظور إليه، قال تعالىٰ : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ [لقمان: ١٨] . ضَرَعُ الخَدِّ : إذلالهُ .

(١) ولفظه: «يا مقلِّب القلوب» رواه عن ابن عمر البخاري ، وأبو داوود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه، ومن دعائه ﷺ كما في حديث أم سلمة عند ابن السني (٦٦٣): «يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك».

رفع المسهم

وبينا هوَ يقولُ [في « ديوانهِ » ١٥٣ منَ الكامل] :

وَإِنِ ٱكْتَفَىٰ غَيْرِيْ بِطَيْفِ خَيَالِهِ فَأَنَا ٱلَّذِيْ بِوِصَالِهِ لاَ أَكْتَفِيْ

. . إِذَا بِهِ يقولُ [في « ديوانهِ » ١٢٦ منَ الكامل] :

وَأَبِيْتُ سَهْرَاناً أُمَيِّلُ طَيْفَهُ لِلطَّرْفِ كَيْ أَلْقَىٰ خَيَالَ خَيَالِهِ

وهوَ خيرٌ مِنْ قَولِ النَّاظِمِ [في « العُكْبَريّ » ٣/ ٥٣ منَ الكامل] :

إِنَّ ٱلْمُعِيْدَ لَنَا ٱلْمَنَامُ خَيَالَهُ كَانَتْ إِعَادَتُهُ خَيَالَ خَيَالِهِ[1]

وبينا ٱلشَّرفُ ٱبنُ ٱلفَارضِ أيضاً يقولُ [في « ديوانهِ » ١٤٥ منَ البسيط] :

عَذِّبْ بِمَا شِئْتَ غَيْرَ ٱلْبُعْدِ عَنْكَ تَجِدْ أَوْفَىٰ مُحِبٍّ بِمَا يُرْضِيْكَ مُبْتَهِجِ

ويقولُ [في « ديوانهِ » ١٤٤ منَ البسيط] :

أَمْسَيْتُ فِيْكَ كَمَا أَصْبَحْتُ مُكْتَئِباً وَلَمْ أَقُلْ جَزَعاً : يَا أَزْمَةُ ٱنْفَرِجِيْ[2]

ويقولُ [في « ديوانهِ » ١٥٦ منَ الخفيف] :

وَبِمَا شِئْتَ فِيْ هَوَاكَ ٱخْتَبِرْنِيْ فَٱخْتِيَارِيْ مَا كَانَ فِيْهِ رِضَاكَا

. . إِذْ بَطَلَ ٱختيارُهُ ، وعِيْلَ ٱصطبارُهُ ، وبكأَتْ دَرَّتُهُ[3] ، ولانَتْ مِرَّتُهُ ، وصارَ يقولُ [في « ديوانهِ » ١٥٨ منَ الخفيف] :

بِٱنْكِسَارِيْ بِذِلَّتِيْ بِخُضُوْعِيْ بِٱفْتِقَارِيْ بِفَاقَتِيْ بِغِنَاكَا
لاَ تَكِلْنِيْ إِلَىٰ قُوَىٰ جَسَدٍ خَا نَ فَإِنِّيْ أَصْبَحْتُ مِنْ ضُعَفَاكَا

---

(١) المنام : فاعل المعيد؛ أي : إن الذي يعيد المنامُ لنا خيالَهُ .
(٢) الجزعُ : عدمُ الصبرِ .
(٣) بكأتْ : فلَّت .

رفع المسهم

دفع الإشكال بما ظاهره التناقض في القرآن الكريم

وقامَ أحدُ المُلحدينَ يطعنُ في القرآنِ بما ظاهرُهُ التناقضُ مِنْ قولِهِ تعالىٰ : ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ * وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات : ٣٥-٣٦] ، وقولِهِ جلَّ ذِكرُهُ : ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ : ٣٨] معَ أمثالِ قولِهِ تقدَّست أسماؤُهُ : ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات : ٢٧].

وأجابُوا عَن ذلِكَ : بأنَّ المنفيَّ مِنَ الكلامِ . . النافعُ ، وبأنَّ اليومَ طويلٌ تختلفُ فيهِ الأحوالُ ، فتارةً : يُمنَعونَ عَنِ التكلُّمِ لتلاطُمِ الأهوالِ ، وأُخرىٰ : يُؤْذَنُ لهُمْ فيهِ للتبكيتِ والتقريعِ ، فالاعتراضُ مدفوعٌ مِنْ أصلِهِ ، وإنَّمَا يكونُ التعارضُ مَعَ اتِّحَادِ الزمانِ .

المتنبي جزوع منوع

والناظِمُ يَلْبَسُ لكلِّ حالةٍ لَبُوْسَها ، إذْ لا يزالُ يعاني مِنَ الأيَّامِ نعمتَها وبُؤْسَها[1] ، غيرَ أنَّا لَمْ نَرَهُ في الخيرِ إلاَّ مَنُوعاً ، وفي الشرِّ إلاَّ جَزوعاً[2] ، بعيداً مِنْ قولِ العربيِّ [منَ البسيط] :

لاَ مُتْرَفاً إنْ رَخَاءُ الْعَيْشِ سَاعَدَهُ ... وَلَيْسَ إنْ عَضَّ مَكْرُوْهٌ بِهِ خَشَعَا

ومِنْ قولِ حاتمٍ [في « ديوانهِ » ٥٢ منَ الطويل] :

عُنِينَا زَمَاناً بِالتَّصَعْلُكِ وَالْغِنَىٰ ... كَمَا الدَّهْرُ مِنْ أيَّامِهِ الْعُسْرُ وَالْيُسْرُ

فَمَا زَادَنَا شَأْواً عَلَىٰ ذِيْ قَرَابَةٍ ... غِنَانَا وَلاَ أَزْرَىٰ بِأَحْسَابِنَا الْفَقْرُ[3]

---

(١) لعلَّه أخذه من قول الشافعيِّ :

الْبَسْ لكلِّ حالةٍ لبوسَها ... إمَّا نعيمَها وإمَّا بؤسَها

(٢) اقتبس أسلوبه من قوله تعالىٰ : ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج : ٢٠-٢١].

(٣) شَأْواً : بُعْداً . أزرىٰ : عابَ .

رفع المسهم

وقولِ ٱبنِ عبدلٍ الأَسديِّ [في « الأغاني » ٢/ ٨٤٤ منَ الطويل] :

وَإِنِّـيْ لأَسْتَغْنِـي فَمَـا أَبْطِـرُ ٱلْغِنَـىٰ وَأَبْذُلُ مَيْسُوْرِيْ لِمَنْ يَبْتَغِيْ قَرْضِيْ[1]

وَأُعْسِـرُ أَحْيَـانـاً وَتَشْتَـدُّ عُسْـرَتِـيْ وَأُدْرِكُ مَيْسُوْرَ ٱلْغِنَىٰ وَمَعِيْ عِرْضِيْ

وقولِ كُثيِّرٍ [في « ديوانهِ » ٢٣٩ منَ الطويل] :

إِذَا قَلَّ مَالِيْ زَادَ عِرْضِيْ كَرَامَةً عَلَيَّ وَلَمْ أَتْبَعْ دِقَاقَ ٱلْمَطَامِعِ[2]

وقولِ الآخرِ [منَ الطويل] :

وَكَمْ أَزْمَةٍ لِلدَّهْرِ أَلْقَتْ جِرَانَهَا عَلَيَّ فَلَمْ تَكْشِفْ مَذَلَّتَهَا سَتْرِيْ[3]

كرم نفس أبي فراس الحمداني

وإِنِّي لكثيراً مَا أَعجبُ لأَبي فراسٍ ، وأَستَدِلُّ علىٰ أُكرومتِهِ وَطيبِ أُرومتِهِ[4] بقولِهِ وهوَ في غياباتِ السجنِ [في « ديوانهِ » ٢٤٦ـ٢٤٧ منَ الطويل] :

أَيَضْحَـكُ مَـأْسُـوْرٌ وَتَبْكِـيْ طَلِيقَـةٌ وَيَسْكُتُ مَحْزُوْنٌ وَيَنْدُبُ سَالِيْ ؟!!

لَقَدْ كُنْتُ أَوْلَىٰ مِنْكِ بِٱلدَّمْعِ مُقْلَةً وَلَكِنَّ دَمْعِيْ فِيْ ٱلْحَوَادِثِ غَالِيْ

عند الامتحان يكرم المرء أو يهان

ولا نعدمُ مِنْ كلامِ الناظمِ ما يشبهُهُ غيرَ أَنَّهُ في حالِ السَّعَةِ ، وهٰذا يقولُهُ في حينِ الضيقِ ، وكذلكَ الحرُّ الكريمُ ، والعربيُّ الصميمُ لا تجدُهُ أَشدَّ ما يكونُ إِلاَّ عندَ ٱنقطاعِ الأَسبابِ ، وٱستغلاقِ الأَبوابِ ، كَما أَطلنا البحثَ فيهِ مِنْ كتابنا « بلابلُ التغريدِ » .

---

(١) البطرُ : الطغيانُ عندَ النعمةِ .

(٢) لَمْ أَتبعْ دِقَاقَ المطامعِ : أَي لَمْ أَتبعِ المطامعَ الدقيقةَ الصغيرةَ التي يدفعُ إِليها الفقرُ أَحياناً .

(٣) الجِرَانُ : الثقلُ .

(٤) الأُرُوْمَةُ ـ بفتحِ الهمزةِ وضَمِّها ـ : الأَصلُ ، والجمعُ أُرُوْمٌ .

رفع المسهم

وحالُهُ ﷺ أكملُ الأحوالِ في ذلكَ ، ولهـٰذا اشتدَّ خوفُهُ ، وكَثُرُ إلحاحُهُ على ربِّهِ يومَ العريشِ ، والمهاجرونَ والأنصارُ بينَ يديهِ تدورُ حَمَالِيقُهم[1] أمثالَ الحيَّاتِ .

إلحاحه ﷺ على ربه يوم العريش

وثَبَتَ جأشُهُ ، وذهَبَ إيحاشُهُ يومَ الغارِ ، ويومَ حنينٍ ، ويومَ أُحُدٍ ، وقَدِ اصفرَّتِ الجِباهُ ، ويَبِسَتِ الشفاهُ ، وغارَتِ العيونُ ، وظُنَّتِ الظنونُ .

ثباته جأشه في الغار

وهَلْ سمعْتَ بشدَّةٍ أعظمَ مِنْ شدَّتِهِ ، وقد ظَنَّ أنَّ عَمَّهُ سيُسلِمُهُ إلىٰ قريشٍ ؛ إنْ لَمْ يُجِبْهُ إلىٰ خَصلةٍ ممَّا عَرَضَ عليهِ ، فقالَ : « وَاللهِ لَوْ وَضَعُوْا الشَّمْسَ فِيْ يَمِيْنِيْ ، وَالْقَمَرَ فِيْ شِمَالِيْ ، عَلَىٰ أَنْ أَتْرُكَ هَـٰذَا الأَمْرَ حَتَّىٰ يُظْهِرَهُ اللهُ ، أَوْ أَهْلِكَ دُوْنَهُ ، مَا فَعَلْتُ »[2] .

والله يا عم لو وضعوا الشمس

وهل بلغنَكَ رِقَّةٌ أعظمُ مِنْ رِقَّتِهِ يومَ فتحِ (مكَّةَ) ؛ إذ دخلَها علىٰ رَحْلٍ مُطأْطِئاً رأسَهُ ، حتَّىٰ لَيَكادُ يَمَسُّ مُقَدَّمَ رَحلِهِ ، مُرْدِفاً خلفَهُ عبداً في سوادِ الغرابِ ، وخلفَهُ ثمانيةُ آلافِ سيفٍ مُنتضاةٍ ، ومكَّنَهُ اللهُ مِنْ

تواضعه ﷺ عند فتح (مكة)

---

(١) وهذا تعبيرٌ فيهِ كنايةٌ عن شدَّةِ هولِ الموقفِ الذي كانَ يمرُّ فيهِ الصحابةُ آنَ ذاكَ ، والحِملاقُ : باطنُ أجفانِ العينِ ، وحملقَ الرجلُ : إذا انقلبَ حملاقُ عينيهِ مِنَ الفزعِ .

أخرج عن ابن عباس البخاري في «صحيحه» (٢٩١٥) في كتاب الجهاد والسير ، أن رسول الله ﷺ قال وهو في قبة يوم بدر : « اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم » فأخذ أبو بكر بيده فقال : حسبك يا رسول الله ، فقد ألححت على ربك ، وهو [يثب] في الدرع ، فخرج وهو يقول : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ۝ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ [القمر : ٤٥-٤٦] يعني من المرارة .

(٢) « السيرة النبوية » (٢/ ١٠١) .

رفع المسهم

رقابِ أعدائِهِ الَّذينَ فعلوا بهِ الأَفاعيلَ ، فما كانَ منهُ إلاَّ أَنْ جمعَهُم حولَ البيتِ ، وقالَ : « مَا تَرَوْنِيْ فَاعِلاً بِكُمْ ؟ » ، فقالوا : إنْ تُعَذِّبْ . . فقد أَسَأْنَا ، وإنْ تعفُ . . فخيرُ أبنٍ وَخَيْرُ أَخٍ ، فقالَ لهم : « لاَ أَقُوْلُ لَكُمْ إِلاَّ كَمَا قَالَ ٱلْعَبْدُ ٱلصَّالِحُ : لاَ تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ، يَغْفِرُ ٱللهُ لَكُمْ »[1] أو ما يقربُ مِنْ هٰذا المعنىٰ[2] .

سؤال عن عفوه وعن شدته

وهاهنا سؤالٌ وهو : كيفَ عفا ﷺ عن قريشٍ ، وقتلَ ما بينَ الصلاتينِ سبعَ مئةٍ مِنَ اليهودِ ، لَمْ تأخذْهُ بِهِمْ رأفةٌ ، ولَمْ تعطِفْهُ عليهِمْ رحمةٌ ، معَ أَنَّهُ أشفقُ الناسِ بالناسِ ، ومعَ أَنَّ ذنبَهُم لَمْ يَكُنْ مِثلَ ذنوبِ قريشٍ[3]؟

والجوابُ : أَنْ لا هوادةَ عندَهُ ، وقد قتلَ الفريقينِ ، إلاَّ أَنَّ قريشاً لمَّا كانوا أَهلَ كَرَمٍ ، وبُعْدَ هِمَمٍ ، وطهارةَ شِيَمٍ . . كانَ قتلُهم بالعفوِ ، وأَمَّا اليهودُ : فإِنَّهُم لَمَّا ٱشْتملوا علىٰ اللُّؤْمِ ، وٱندمجوا علىٰ الخِسَّةِ بآيةِ أَنَّ ذنبَهُم كانَ الغدرُ . . لَمْ يكُنْ ليصلِحَهُمُ الحِلْمُ ، ولا ليتداركَهُمُ العفوُ ، لا جَرَمَ ٱضطرَّ إلىٰ قتلِهم بالسيفِ ، وقد قالَ أبنُ المعتزِّ [منَ الكامل] :

ضَرَّابُ هَامِ ٱلرُّوْمِ مُنْتَقِماً وَفِيْ ... أَعْنَاقِهِمْ مِنْ جُوْدِهِ أَعْبَاءُ
لَوْلاَ ٱنْبِعَاثُ ٱلسَّيْفِ وَهُوَ مُسَلَّطٌ ... فِيْ قَتْلِهِمْ قَتَلَتْهُمُ ٱلنَّعْمَاءُ

---

(١) كما في سورة يوسف عليه السلام [الآية : ٩٢].

(٢) قصة دخوله ﷺ على الصفة والهيئة المذكورة في « السيرة النبوية » (٤/ ٢٤) ، ولكنه لم يذكر أنه ﷺ كان مردفاً عبداً . والله أعلم .

(٣) « أبن هشام » (٣/ ٢٥٩) .

رفع المسهم

إلاَّ أَنَّ عليهِ مؤَاخذتينِ :

اعتراض المؤلف على ابن المعتز

إحداهُما : أَنَّ الإحسانَ ذِمَّةٌ ، فلا يليقُ بالكريمِ أَنْ يؤذيَ غَذِيَّ نعمتِهِ .

والأُخرىٰ : أَنَّهُ لا يُصارُ إلىٰ القتلِ بالسيفِ إلاَّ عندَ تعذُّرِهِ بالنَّعْماءِ ، وإلاَّ كانَ الحِلمُ أَلْيَقَ ، والعفوُ أَجدرَ ، كمَا فعلَ رسولُ اللهِ ﷺ .

الصفح عند الشعراء

وقالَ أَبو عبادةَ [في « ديوانهِ » منَ الطويل] :

صَفُوحٌ عَنِ الْجَانِيْ وَصَفْحَةُ سَيْفِهِ ... إِذَا هِيَ لَمْ تَقْتُلْهُ فَالصَّفْحُ قَاتِلُهُ

ووضَّحهُ أَبو الطيِّبِ في قولِهِ [في « العُكْبَريّ » ١/ ٢٨٨ منَ الطويل] :

وَمَا قَتَلَ الأَحْرَارَ كَالْعَفْوِ عَنْهُمُ ... وَمَنْ لَكَ بِالْحُرِّ الَّذِيْ يَحْفَظُ الْيَدَا

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيْمَ مَلَكْتَهُ ... وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيْمَ تَمَرَّدَا

وَوَضْعُ النَّدَىٰ فِيْ مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلاَ ... مُضِرٌّ كَوَضْعِ السَّيْفِ فِيْ مَوْضِعِ النَّدَىٰ

وقولِهِ [في « العُكْبَريّ » ٤/ ١٣٦ منَ الطويل] :

وَأَحْلُمُ عَنْ خِلِّيْ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ ... مَتَىٰ أَجْزِهِ حِلْماً عَلَىٰ الْجَهْلِ يَنْدَمِ

وقولِهِ [في « العُكْبَريّ » ٤/ ١٨٥ منَ الكامل] :

يَا مَنْ يُقَتِّلُ مَنْ أَرَادَ بِسَيْفِهِ ... أَصْبَحْتُ مِنْ قَتْلاَكَ بِالإِحْسَانِ

وقولِهِ [في « العُكْبَريّ » ١/ ٣٧٩ منَ الطويل] :

وَيَصْطَنِعُ الْمَعْرُوْفَ مُبْتَدِئاً بِهِ ... وَيَمْنَعُهُ عَنْ كُلِّ مَنْ ذَمُّهُ حَمْدُ

وقولِهِ [في « العُكْبَريّ » ٣/ ٣١٠ منَ الكامل] :

لاَ يَشْهَرُوْنَ عَلَىٰ مُخَالِفِهِمْ ... سَيْفاً يَقُوْمُ مَقَامَهُ الْعَذَلُ

رفع المسهم

وفي البحثِ طولٌ وقَيْناهُ حقَّهُ في « بلابلِ التغريدِ » .

عود على بدء

ولنعُدْ إلىٰ ما يتَّصلُ بتناقضِ الناظِمِ ، فنقولُ :

الأصمعي وبراذين الخلفاء

حُكيَ : أنَّ الأَصمعيَّ رُئِيَ علىٰ حمارٍ أعجفَ ، فقيلَ لهُ : تركبُ هٰذا بعدَ براذينِ الخلفاءِ ؟ فقالَ [منَ الكامل] :

وَلَمَّا أَبَتْ إِلاَّ ٱنْصِرَاماً لِوِدِّهَا ... وَكَدَّرَتِ ٱلْمَاءَ ٱلَّذِي كَانَ صَافِيَا
شَرِبْنَا بِرِيقٍ مِنْ هَوَاهَا مُكَدَّرٍ ... وَلَيْسَ يَعَافُ ٱلرِّيْقَ مَنْ كَانَ صَادِيَا

الضرورات تبيح المحظورات

وَللنّاظمِ فيما يقرُبُ منَ ٱلأخير قولُهُ [في « العُبَريّ » ٢/ ٢٨١ منَ المنسرح] :

غَيْرَ أُخْتِيَارٍ قَبِلْتُ بِرَّكَ بِي ... وَٱلْجُوْعُ يُرْضِي ٱلأَسُوْدَ بِٱلْجِيَفِ

ومثلُهُ قولُ بعضِهم [من مجزوء الكامل] :

خُذْ مَا أَتَاكَ مِنَ ٱللَّئَا ... مِ إِذَا نَأَىٰ أَهْلُ ٱلْكَرَمْ
فَٱلأُسْدُ تَفْتَرِسُ ٱلْكِلاَ ... بَ إِذَا تَعَذَّرَتِ ٱلْغَنَمْ

ابن الرومي يطلب حاجة لا يتوقع قضاءها

وسألَ ٱبنُ الروميُّ حاجةً مِنْ بعضِ الرؤَساءِ ، فقضاها لهُ ، وما كانَ يتوقَّعُ ذلكَ منهُ ، فقالَ [منَ الطويل] :

سَأَلْتُكَ فِي أَمْرٍ فَجُدْتَ بِبَذْلِهِ ... عَلَىٰ أَنَّنِي مَا خِلْتُ أَنَّكَ تَفْعَلُ
وَأَلْزَمْتَنِي بِٱلْبَذْلِ شُكْراً وَإِنَّهُ ... عَلَيَّ مِنَ ٱلْحِرْمَانِ أَدْهَىٰ وَأَعْضَلُ
وَمَا خِلْتُ أَنَّ ٱلدَّهْرَ يَثْنِي بِصَرْفِهِ ... إِلَىٰ أَنْ أَرَىٰ فِي ٱلنَّاسِ مِثْلَكَ يُسْأَلُ
لَئِنْ سَرَّنِي مَا نِلْتُ مِنْكَ فَإِنَّهُ ... لَقَدْ سَاءَنِي إِذْ أَنْتَ مِمَّنْ يُؤَمَّلُ

ابتسام الأيام بعد عبوسها

وفيما يليقُ بموضوعِ البيتِ الَّذي نتكلَّمُ فيهِ ، يقولُ ٱبنُ الروميِّ أيضاً في أبي الصقرِ [في « ديوانهِ » ٢/ ١٦٣٨ منَ الوافر] :

غَدَا يَعْلُوْ ٱلْجِيَادَ وَكَانَ يَعْلُوْ ... إِذَا مَا ٱسْتَفْرَهَ ٱلسَّبْتَ ٱلرِّقَاقَا[1]

أَعِنَّتُهَا ٱلشُّسُوْعُ فَإِنْ عَرَاهَا ... حِفَاءُ ٱلْكَدِّ أَنْعَلَهَا طِرَاقَا

فَزُوِّجَ بَعْدَ فَقْرٍ مِنْهُ نُعْمَىٰ ... أَرَانِيْ ٱللهُ صُبْحَتَهَا طَلاَقَا

وقالَ آخرُ [منَ الخفيف] : رجل خفيف الحِمل

أَتُرَانِيْ أُرَىٰ مِنَ ٱلدَّهْرِ يَوْماً ... وَبِمِلْكِيْ مَطِيَّةً غَيْرَ رِجْلِيْ

وَإِذَا كُنْتُ فِيْ أُنَاسٍ فَقَالُوْا ... قَرِّبُوْا لِلرَّحِيْلِ قَرَّبْتُ نَعْلِيْ

حَيْثُمَا كُنْتُ لاَ أُخَلِّفُ رَحْلاً ... مَنْ رَآنِيْ فَقَدْ رَآنِي وَرَحْلِيْ

وكانَ لبعضِ الفقراءِ مِنْ متأخِّري أَهلِ بلادِنا جيرانٌ أَغنياءُ ، فكانَ يقولُ مِنْ آخرِ الليلِ : (اللَّهمَّ مِثْلَنا أَو مِثْلَهُم) ؛ يريدُ أَنْ يفتقروا مثلَهُ أَو يثرىٰ مثلَهُم ، وكأَنَّما أَخذَهُ من قولِ بعضِهِم ، وهوَ مِنْ مَناسِبِ الموضوعِ [منَ المتقارب] : اللهم مثلنا أو مثلهم

تَسَامَىٰ ٱلرِّجَالُ عَلَىٰ خَيْلِهِمْ ... وَرِجْلِيَ مِنْ بَيْنِهِمْ حَافِيَهْ

فَإِنْ كُنْتَ حَامِلَنَا رَبَّنَا ... وَإِلاَّ فَأَرْجِلْ بَنِيْ ٱلزَّانِيَهْ

وذكروا : أَنَّ بعضَهُم رأَىٰ أَحَدَ بني هشامِ بنِ عبدِ المَلِكِ ، وعلىٰ ظهرِهِ قِرْبَةٌ ، فقالَ لَهُ : بعدَ الخلافةِ تكونُ علىٰ هٰذا الحالِ؟! قالَ : لَمْ يذهبْ إلاَّ الفضولُ!! لم يذهب إلا الفضول

ورأَىٰ ٱبنُ ٱللَّبَّانةِ فخرَ الدولةِ ٱبنَ المعتمدِ بنِ عبَّادٍ ، وقد جلسَ يتعاطى الصياغة فخر الدولة ابن المعتمد

---

(١) أستفرَهَ : تَخيَّرَ الجيدَ . السَّبتُ : النعالُ المصنوعةُ مِنَ الجلدِ المدبوغِ . الرقاقُ : كنايةٌ عن الجديدِ مِنَ النعالِ ؛ لأنها لا رقعة فيها .

رفع المسهم

في السوقِ ليتعلَّمَ الصياغةَ ، وهوَ ينفُخُ الفحمَ بالقصبةِ ، فقالَ [كما في « نفح الطيب » ٤/ ٩٧ منَ البسيط] :

شَكَاتُنَا لَكَ يَا فَخْرَ ٱلْعُلاَ عَظُمَتْ ... وَٱلرُّزْءُ يَعْظُمُ فِيمَنْ قَدْرُهُ عَظُمَا

طُوِّقْتَ مِنْ نَائِبَاتِ ٱلدَّهْرِ مُخْنِقَةً ... ضَاقَتْ عَلَيْكَ وَكَمْ طَوَّقْتَنَا نِعَمَا

صَرَفْتَ فِيْ آلَةِ ٱلصَّوَّاغِ أُنْمُلَةً ... لَمْ تَدْرِ إِلاَّ ٱلنَّدَىٰ وَٱلسَّيْفَ وَٱلْقَلَمَا

يَدٌ عَهِدْتُكَ لِلتَّقْبِيلِ تَبْسُطُهَا ... فَتَسْتَقِلُّ ٱلثُّرَيَّا أَنْ تَكُونَ فَمَا

يَا صَائِغاً كَانَتِ ٱلْعَلْيَا تُصَاغُ لَهُ ... حُلْياً وَكَانَ عَلَيْهِ ٱلْحُلْيُ مُنْتَظَمَا

لِلنَّفْخِ فِيْ ٱلصُّوْرِ هَوْلٌ مَا حَكَاهُ سِوَىٰ ... هَوْلٌ رِئَاتُكَ فِيهِ تَنْفُخُ ٱلْفَحَمَا

وَدِدْتُ إِذْ نَظَرَتْ عَيْنِيْ إِلَيْكَ بِهِ ... لَوَ أَنَّ عَيْنِيَ تَشْكُوْ قَبْلَ ذَاكَ عَمَىٰ

مَا حَطَّكَ ٱلدَّهْرُ لَمَّا حَطَّ عَنْ شَرَفٍ ... وَلاَ تَحَيَّفَ مِنْ أَخْلاَقِكَ ٱلْكَرَمَا

لُحْ فِيْ ٱلْعُلاَ كَوْكَباً إِنْ لَمْ تَلُحْ قَمَراً ... وَقُمْ بِهَا رَبْوَةً إِنْ لَمْ تَقُمْ عَلَمَا

وَٱصْبِرْ فَرُبَّمَا أُحْمِدَتْ عَاقِبَةً ... مَنْ يَلْزَمِ ٱلصَّبْرَ يَحْمَدْ غِبَّ مَا لَزِمَا

وَٱللهِ لَوْ أَنْصَفَتْكَ ٱلشُّهْبُ لانْكَسَفَتْ ... وَلَوْ وَفَىٰ لَكَ دَمْعُ ٱلْعَيْنِ لانْسَجَمَا

أَبْكَىٰ حَدِيثُكَ ـ حَتَّىٰ ٱلدُّرِّ ـ حِينَ غَدَا ... يَحْكِيكَ رَهْطاً وَأَلْفَاظاً وَمُبْتَسَمَا

تغير احوال ام جعفر البرمكي

ودخلَتْ أُمُّ جعفرٍ البَرمكيِّ ـ في يومِ عيدٍ ـ علىٰ بعضِ الهاشميِّينَ ، فقالوا لها : صِفِي لنا حاليكِ ، قالت : لا أَزيدُكُم علىٰ أَنَّهُ مضىٰ عليَّ مثلُ اليومِ في العامِ الماضي وعلىٰ رأسي مئةُ وصيفةٍ ، وعندي مئةُ أَلفِ دينارٍ ، وأَنا أَعُدُّ وَلَدِي مُقَصِّرًا في حَقِّي ، واليومَ أَطلبُ درهماً أَتبلَّغُ به في عيدي .

قصة عجيبة على تغير الأحوال

وقالَ محمَّدُ بنُ يزيدَ الشاعرُ : دعاني الفضلُ بنُ يحيىٰ ذاتَ ليلةٍ إِلىٰ دارٍ لَهُ واسعةٍ مؤَثَّثةٍ بأَجمَلِ الرياشِ ، وإِذا هيَ غاصَّةٌ بالعلماءِ

رفع المسهم

والشعراءِ والأُمراءِ والْخاصَّةِ والأَعيانِ ، وأُخرِجَ مولودٌ عن يمينِ الفضلِ ، فقُرِىءَ القرآنُ حتَّىٰ أنتهَوا مِنَ ٱلخَتمةِ ، فقامَ الشعراءُ والخطباءُ ، ونُثرتِ الدنانيرُ ولَمْ يحضرني غيرُ قولي [منَ الطويل] :

وَنَفْرَحُ بِٱلْمَوْلُودِ مِنْ آلِ بَرْمَكٍ ... وَلاَ سِيَّمَا إِنْ كَانَ مِنْ وَلَدِ ٱلْفَضْلِ
وَيُعْرَفُ فِيهِ ٱلْخَيْرُ حَالَ وُجُودِهِ ... بِسِيْمَا ٱلْعُلاَ وَٱلْمَجْدِ وَٱلْجُوْدِ وَٱلْبَذْلِ

فأَمرَ لي بعشَرَةِ آلافِ دينارٍ ، وقالَ : خُذها يا محمَّدُ ، فهيَ أَوَّلُ حقِّكَ ، فخرجتُ وأَنا مِنْ أَشدِّ الناسِ فرحاً ، وتأَثَّلْتُ المالَ والعَقارَ ، ونَعُمَ عَيشي ، وطابَ لي زماني ، ثُمَّ لَمْ تَطُلِ ٱلأَيَّامُ حتَّىٰ حَلَّتْ بِهِمُ النازلةُ . ودخلتُ ٱلحَمَّامَ بعدَ ذلكَ ، فأَشارَ قيِّمُهُ علىٰ صبيٍّ حَسَنِ الوجهِ مِنَ ٱلخَدَمِ أَنْ يَدْلُكَ بدني ، فتذكرتُ البرامكةَ وأَيَّامَهم ؛ لأَنَّهُم سببُ نعمتي ، فأَنشدتُ البيتينِ ، فأَندهشَ الصبيُّ ، وسالَتْ دموعُهُ ، وسقطَ مغشيّاً عليه ، فظننتُ بهِ الجنونَ ، وعاتبْتُ القيِّمَ ، ولمَّا أَفاقَ ، وسأَلناهُ عَنْ أَمرِهِ . . ٱمتنعَ ، وبعدَ الإِلحاحِ قالَ : أَنا ذلكَ المولودُ الَّذي أَنشدتَ فيهِ الشعرَ ، وقد صرْتُ إِلىٰ ما ترىٰ ، فعرضتُ عليهِ أَنْ أَنزِلَ لهُ عَنْ جميعِ مالي ؛ إِذ لا وارثَ لي علىٰ أَنْ أَعيشَ ما بقيَ مِنْ حياتي في كنفِهِ ، فأَبىٰ ، وقالَ : معاذَ اللهِ أَنْ أَرزأَكَ شيئاً ممَّا خوَّلكَ أَبي ، وكانَ آخرَ عهدي بهِ .

النعمان بن بشير يخطب الرقة ابنة النعمان بن المنذر

ولمَّا جاءَ النعمانُ بنُ بشيرٍ يخطبُ الرَّقَّةَ أَبنةَ النعمانِ بنِ المنذرِ . . ردَّتْهُ ، وقالتْ له : كبرتَ عَنِ النكاحِ ، وإِنَّما أَرَدْتَ بنكاحي الفخرَ ؛ لتقولَ : أَخذتُ مملكةَ النعمانِ ، وتزوَّجتُ بنتَهُ ، فقالَ لها : صِفي لنا ما رأَيتِ ، فأَنشدَتْ [منَ الطويل] :

فَبَيْنَا نَسُوْسُ ٱلنَّاسَ وَٱلأَمْرُ أَمْرُنَا ... إِذَا نَحْنُ فِيْهَا سُوْقَةٌ نَتَنَصَّفُ

رفع المسهم

فَأُفٌّ لِدُنْيَا لاَ تَدُوْمُ بِحَالَةٍ تُقَلِّبُ تَارَاتٍ بِنَا وَتُصَرِّفُ

موسى بن نصير وتغير حاليه

ويُروىٰ : أَنَّ موسىٰ بنَ نصيرٍ فاتحَ (الأَندلسِ) كانتْ تُرفَعُ لَهُ الذخائِرُ ، فيرمي بالذهبِ والفضَّةِ ، ولا يلتقطُ إلاَّ ما كانَ مِنَ الجواهرِ المُثْمِنَةِ ، ثُمَّ آلَ بهِ الحالُ إلىٰ أَنْ صارَ يتسوَّلُ[1] بـ (الطائفِ) ، وإذا وقعَ لَهُ الدرهمُ . . سُرَّ بهِ، حتَّىٰ مَلَّهُ حبيبُهُ ، وباعدَهُ قريبُهُ ، وماتَ علىٰ ذلكَ .

زوجة ملك تطلب الصدقة

ولا حاجةَ للبُعدِ في أستخراجِ العبرةِ ، وقد رأَيتُ زوجَ آخرِ ملوكِ آلِ عثمانَ تطلبُ الصدقةَ في (سنكافورةَ)[2] ، فسبحانَ مَنْ لا يزولُ ملكُهُ .

القصر الخَرِب

ورأَيتُ قصرَ الأَميرِ الخطيرِ عبدِ اللهِ بنِ عليٍّ العَوْلَقيِّ خراباً يباباً في (حيدرَ أَبادَ الدَّكَن) [من الطويل] :

أَمْسَىٰ خَلاَءً وَأَمْسَىٰ أَهْلُهُ أحْتَمَلُوْا أَخْنَىٰ عَلَيْهِ ٱلَّذِيْ أَخْنَىٰ عَلَىٰ لُبَدِ[3]

مَعَ مَا كانَ عليهِ مِنَ ٱلثروةِ وضخامةِ المُلْكِ ، وما بٱلعهدِ مِنْ قِدَمٍ ؛ فإِنَّما كانتْ وفاتُهُ سنةَ: (١٢٨٤هـ) ، ولَمَّا ٱقتربَ أَجلُهُ . . قالَ لِمَنْ حضرَهُ : أعلموا أَنِّي تركتُ لولدي محسنٍ عشرينَ أَلفَ أَلفٍ

---

(١) وسببه : أنه لم يؤخَّرْ فتح (الأندلس) ليكون في عهد ولي العهد ، وهكذا الأيام.

(٢) أي : (سنغافورة) البلد المعروفة.

(٣) أخنى عليه : أهلكه . لُبَدٌ : تزعمُ العربُ أَنَّ لقمانَ هو الذي بعثتهُ عادٌ في وفدِهَا إلى الحرمِ يستسقي لها فلما أهلكوا . . خُيِّرَ لقمانُ بين بقاء سبع بعرات سمرٍ من أظبٍ عفرٍ في جبلٍ وعرٍ لا يمسها القطرُ أو بقاءِ سبعةِ أنسرٍ كلما هلكَ نسرٌ . . خلفَ بَعْدَهُ نسرٌ ، فاختار النسور ، فكان آخر نسوره يسمى لبداً ؛ لبقائهِ ، لأنه لَبِدَ فبقي لا يذهب ولا يموت ، ومنه المثل : طالَ الأبدُ على لبدَ .

رفع المسهم

رُوبيَّةٍ نقداً ، فضلاً عمَّا سوىٰ ذلك مِنَ العقارِ والأثاثِ والمجوهراتِ ، ثُمَّ إنْ كانَ فحلاً . . فلنْ يحتاجَها ، وإنْ كانَ فَسْلاً[1] . . فلنْ تنفعَهُ [مِنَ الطَّويلِ] :

فَأَضْحَوْا حَدِيْثاً كَالْمَنَامِ وَمَا انْقَضَىٰ ... فَسِيَّانِ مِنْهُ يَقْظَةٌ وَمَنَامُ

وما كانَ أحقَّهُ بقولِ بعضِهم [مِنَ الكامل] :

يَا مَنْزِلاً عَبَثَ الزَّمَانُ بِأَهْلِهِ ... فَأَبَادَهُمْ بِتَفَرُّقٍ لاَ يَجْمَعُ

أَيْنَ الَّذِيْنَ عَهِدْتُهُمْ بِكَ مَرَّةً ... كَانَ الزَّمَانُ بِهِمْ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ ؟!

وقولِ الآخرِ [مِنَ البسيط] :

بِاللهِ رَبِّكَ كَمْ قَصْرٍ مَرَرْتَ بِهِ ... قَدْ كَانَ مَلآنَ بِاللَّذَّاتِ وَالطَّرَبِ

نَادَىٰ غُرَابُ الْمَنَايَا فِيْ جَوَانِبِهِ ... وَصَاحَ مِنْ بَعْدِهِ بِالْوَيْلِ وَالْحَرَبِ[2]

الصاحب ودار ابن العميد

ويُحكىٰ [كما في « وفيات الأعيان » ٥/ ١١٠] : أَنَّ الصاحبَ بنَ عبَّادٍ مرَّ بدارِ ابنِ العميدِ بعدَ وفاتِهِ ، فقالَ [مِنَ الخفيف] :

أَيُّهَا الرَّبْعُ لِمْ عَلاَكَ اكْتِئَابُ ... أَيْنَ ذَاكَ الْحِجَابُ وَالْحُجَّابُ ؟

أَيْنَ مَنْ كَانَ يَفْزَعُ الدَّهْرُ مِنْهُ ... إِنَّهُ الْيَوْمَ فِيْ التُّرَابِ تُرَابُ

قُلْ بِلاَ رَقْبَةٍ وَدُوْنَ احْتِشَامٍ ... مَاتَ مَوْلاَيَ فَاعْتَلاَنِيْ اكْتِئَابُ

اعجب لصَرْفِ الدهر

قالَ ابنُ خَلِّكانَ [في « وفيَّاتِ الأعيانِ » ٥/ ١١٠] : ومثلُ هٰذهِ الحكايةِ ما ذكرهُ عليُّ بنُ سليمانَ ، قالَ : رأيتُ بـ(الرَّيِّ) دارَ قومٍ لم يبقَ منها إلاَّ رسمُ البابِ مكتوبٌ عليهِ [مِنَ المنسرح] :

---

(١) الفَسْلُ مِنَ الرجالِ : الرَّذْلُ النَّذْلُ الذي لا مروءةَ لهُ .

(٢) الحَرَبُ : الهلاكُ .

رفع المسهم

اِعْجَبْ لِصَرْفِ ٱلدَّهْوَرِ مُعْتَبِراً فَهٰذِهِ ٱلدَّارُ مِنْ عَجَائِبِهَا
عَهْدِيْ بِهَا وَٱلْمُلْكُ زَاهِيَةٌ قَدْ سَطَعَ ٱلنُّوْرُ مِنْ جَوَانِبِهَا
تَبَدَّلَتْ وَحْشَةً بِسَاكِنِهَا مَا أَوْحَشَ ٱلدَّارَ بَعْدَ صَاحِبِهَا

قصر ابن سبكتكين

وٱجتازَ بعضُ الأَفاضلِ بقصرِ ٱبنِ سُبُكْتِكَيْنَ بعدَ موتهِ ، وقد تشعَّثتْ فأَنشدَ [منَ الطويل] :

عَلَيْكَ سَلاَمُ ٱللهِ مِنْ مَنْزِلٍ قَفْرِ فَقَدْ هِجْتَ لِيْ شَوْقاً قَدِيْماً وَمَا تَدْرِيْ
عَهِدْتُكَ مِنْ شَهْرٍ جَدِيْداً وَلَمْ أَخَلْ صُرُوْفَ ٱلرَّدَىٰ تُبْلِيْ مَغَانِيَكَ فِيْ شَهْرِ[1]

وما أَحسنَ قولَ بعضِهم [منَ البسيط] :

إِنْ شِئْتَ أَن لاَ تَرَىٰ صَبْراً لِمُصْطَبِرٍ فَٱنْظُرْ عَلَىٰ أَيِّ حَالٍ أَصْبَحَ ٱلطَّلَلُ

ويأْتي ما يتَّصلُ بهٰذا في شرحِ قولِهِ [في « ٱلكُبْرَىٰ » ٢/٣٣٤ منَ الكامل] :

أَيْنَ ٱلأَكَاسِرَةُ ٱلْجَبَابِرَةُ ٱلأُلَىٰ كَنَزُوْا ٱلْكُنُوْزَ فَمَا بَقِيْنَ وَلاَ بَقُوْا ؟

أمير (كابل)

وَأَذكرُ في الكتابِ[2] أَميرَ (كابُلَ) الَّذي بحثَ عَنْ حَتْفِهِ بِظِلْفِهِ[3] ، وجدعَ مارِنَ أَنفهِ بكفِّهِ[4] ، وباءَ بالصفقةِ الخاسرةِ ، وضيَّعَ الدنيا والآخرةَ ، فبعدَ أَنْ كانَ يغبطُهُ مَنْ رآهُ ، أَو سمعَ بنعمتِهِ . . تبَّراً مِنَ الإِسلامِ ، فطُردَ عَنِ ٱلمُلْكِ ، وسُلِبَ المالَ ،

---

(١) القصة في « وفيات الأعيان » ٥/١٧٦ .
(٢) هذا اقتباس حسن تكرر في القرآن الكريم.
(٣) بظلفه : بقدمه ، وقال أحدهم بمعناه:
إلى حتفي مشىٰ قدمي أرى قدمي أراق دمي
(٤) قالت الزباء : (لأَمرٍ ما جَدَعَ قصيرٌ أَنفَهُ)، فضربت مثلاً.

رفع المسهم

وصارَ يرثي لَهُ كلُّ مَنْ رآهُ ، ولَعَذابُ الآخرةِ أَشَدُّ وأَبقىٰ[1] .

محمد علي باشا وأمان الله

ومع هـٰذا فقد أَخبرني الفاضلُ الثقةُ السيِّدُ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الرحمـٰنِ بن طاهرٍ ، عَنْ محمَّدِ عليٍّ باشا بنِ توفيقٍ باشا خدَيْويٍّ (مصرَ) السابقِ : أَنَّهُ قالَ : بينا أنا أَتمشَّىٰ في (باريزَ)[2] . . إذ جاءَ أَمانُ اللهِ ـ وهُوَ وليُّ عهدِ دولتهِ ـ في أَتباعِهِ وحَشَمِهِ بأَلبستِهِمُ الوطنيَّةِ وشعائرِهِمُ الإسلاميَّةِ فاستلفَتُوا الأَنظارَ ، ومَلَؤُوا الصدورَ ، واستحقُّوا الإعجابَ ، وكانوا موضعَ الاحترامِ ، وزادَ الطِّينَ بِلَّةً أَنْ دخلَ وقتُ المغربِ . . فاستهلَّ مؤَذِّنُهُ ثُمَّ أَقامَ ، ودخلُوا في الصَّلاةِ ، فبادرَتْ رجالُ الحكومةِ بالحرسِ ؛ لمنعِ النَّاسِ عَنِ المرورِ بين أَيديهِم ؛ احتراماً لهم ولدينِهم ، فصاروا حديثَ النَّوَادي ، ومحلَّ استحسانِ القومِ وإعظامِهم ، قالَ محمَّدُ عليٌّ : فلا تسلْ عمَّا داخلَني مِنْ حَسَدٍ لَهُم ، وانكسارٍ في نفسي ، واحتقارٍ لزيي الإفرنجيِّ ، مع أَنَّ بلادي أَعظمُ سلطاناً من بلادِهم ، وما رفعهم إلاَّ التَّمسُّكُ بتقاليدِ بلادِهم ودينِهم .

ثُمَّ أُرجعُ النظرَ في حالِ أَمانِ اللهِ خانٍ وصيورِ أَمرِهِ ، فلقد اتَّضعَ مِنْ حيثُ ارتفعَ ، واندفعَ مِنْ حيثُ انتفعَ ، نعوذُ باللهِ مِنْ عثراتِ

---

(١) ونحو قول الآخر :

أخـذت بـالجمـة رأسـاً أزعـرا ... وبـالثنـايـا الـواضحـات الـدردرا
وبـالطـويـل العمـر عمـراً حيـدراً ... كمـا اشتـرى المسلـم إذ تنصـرا

الأزعر : قليل الشعر . الدردر : مغارز أسنان الطفل . الحيدر : القصير . المتنصر : هو جبلة بن الأيهم ارتدَّ بعد إسلامه ، وعاد إلى كفره .

(٢) أي : (باريس) عاصمة (فرنسا) .

رفع المسهم

ٱلشَّورِ[1] ، ومن ٱلحَوْرِ بعد ٱلكَوْرِ[2] .

ركب النميري ثُمَّ إِنِّي ذكرتُ بتعاظمِ الناظمِ عَنْ غيرِ حقيقةٍ قولَ النُّمَيْرِيِّ [منَ الطويل]:

وَلَمَّا رَأَتْ رَكْبَ ٱلنُّمَيْرِيِّ أَعْرَضَتْ وَكُنَّ مِنَ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتِ

فقَدْ أَحفاهُ السؤَالَ عبدُ المَلِكِ بنُ مروانَ عَنْ ذلكَ الرَّكْبِ ، فقالَ لَهُ : لا واللهِ ما هوَ إِلاَّ أَتانٌ ضالعٌ .

الجيش الكبير وقولَ ليلىٰ لأَبيها : أَرأَيتَ قولَ أَبيْكَ [منَ الطويل] :

بجَيْشٍ تَظَلُّ ٱلْبُلْقُ فِيْ حُجُرَاتِهِ بِيَثْرِبَ أُخْرَاهُ وَبِالشَّامِ قَادِمُهْ

كَمْ كانَ عددُهُ ؟ قالَ : أَنا وإِيَّاهُ وأَخوكِ فلانٌ ومعنا ٱثنانِ .

ابن الحجام وقولَ ٱبنِ الحَجَّامِ[3] [منَ المنسرح] :

أَنَا [ٱبْنُ] مَنْ دَانَتِ ٱلرِّقَابُ لَهُ مَا بَيْنَ مَخْزُوْمِهَا وَهَاشِمِهَا

تَأْتِيْ إِلَيْهِ ٱلأَنَامُ طَائِعَةً يَأْخُذُ مِنْ مَالِهَا وَمِنْ دَمِهَا

ابن الفوال وقولَ ٱبنِ الفوَّالِ[4] [منَ الطويل] :

أَنَا ٱبْنُ ٱلَّذِيْ لاَ يُنْزِلُ ٱلدَّهْرُ قِدْرَهُ وَإِنْ نَزَلَتْ يَوْماً فَسَوْفَ تَعُوْدُ

---

(١) الشَّورُ : الرأيُ بالحضرمية ، وكأنه مأخوذ من المشورة.

(٢) الحورُ بعدَ الكورِ : النقصان بعد الزيادة .
وهو من دعائه ﷺ الثابت من حديث عبد الله بن سرجس عند مسلم (١٣٤٣) والترمذي (٣٤٣٩)، والنسائي (٥٥٠٠) ، وابن ماجه (٣٨٨٨) وغيرهم. وفيه رواية بالنون (بالكون) بدل الراء ، فمعنى الكور: اللَّف والجمع، والكون: الوجود والاستقرار.

(٣) الذي يحجم الناس.

(٤) الذي يبيع الفول.

رفع المسهم

القبران المتشاتمان

وقالَ ٱبنُ خَلِّكانَ [في « وفيات الأعيان » ٧/٥٧] : قالَ عَوْنُ بنُ الزَّرعِ : حدَّثني مَنْ رَأىٰ بـ (الشام) قبراً مكتوباً عليهِ : لا يغترَّنَّ أَحدٌ بٱلدنيا ؛ فإنِّي ٱبنُ مَنْ كانَ يُطلِقُ الريحَ إذا شاءَ ، ويحبِسُها إذا شاءَ ، وبإزائِهِ قبرٌ مكتوبٌ عليهِ : كذبَ الماصُّ بظْرَ[1] أُمِّهِ لا يظنُّ أَحَدٌ أَنَّهُ ٱبنُ سليمانَ بنِ داوودَ عليهما السلامُ ، إنَّما هو ٱبنُ حدَّادٍ يجمعُ الريحَ في الزِّقِّ ، ثُمَّ ينفخُ بها الجمرَ ، قالَ : فما رأَيتُ قبرينِ قبلهما يتشاتمانِ .

الكلام على النعل

والكلامُ في النعلِ يطولُ ، وقد أُفرِدَتْ بٱلتأليفِ . وفي « حاشيتي » علىٰ « الشمائلِ » جملةٌ صالحةٌ مِنهُ ، في ضمنِهِ قولُ « التحفةِ » : ووردَ : « ٱمشوا حفاةً »[2] وفي روايةٍ أَنَّهُ ﷺ مشىٰ حافياً ، وقد يؤخذُ منهُ ندبُ الحَفاءِ في بعضِ الأَحوالِ بقصدِ ٱلتواضعِ ، حيثُ أَمِنَ مُؤْذِياً وتنجيساً ، ولو ٱحتمالاً ، ويؤَيِّدُهُ ندبُهُ لنحوِ دخولِ (مكَّةَ) بهٰذهِ الشروطِ . انتهى .

ومِنْ محاسنِ الشريعةِ ، وٱعتنائِها بٱلعدلِ : كراهةُ المشي في نعلٍ واحدةٍ .

من الممادح رقة النعال

ومِن ممادحِ العربِ رقَّةُ النعالِ ، كَما في قولِهِ [النابغةِ الذُّبيانيِّ في « ديوانهِ » منَ الطويل] :

رِقَـاقُ ٱلنِّعَـالِ طَيِّـبٌ حُجُـزَاتُهُـمْ يُحَيَّوْنَ بِٱلرَّيْحَانِ يَوْمَ ٱلسَّبَاسِبِ[3]

---

(١) البظر : الشفر ، وهو بطرف فرج المرأة .

(٢) ثبت عن أبي هريرة عند البخاري (٥٨٥٥)، ومسلم (٢٠٩٧) قوله ﷺ: «لا يمشِ أحدكم في نعل واحدة، لينعلهما جميعاً، أو ليخلعهما جميعاً».

(٣) الحجزةُ : العشيرةُ يحتجز بها ، أي يُمتنَعُ . ورجلٌ طيِّبُ الحجزةِ عفيفٌ . السباسبُ : أَيَّامُ السَّفانينِ ، وهو عيدٌ للنصارىٰ ، وفي الحديثِ : « إنَّ اللهَ=

ومنها لبس السبتية

ولُبْسُ السَّبْتِيَّةِ منها ، كَما قالَ عنترٌ [في « ديوانهِ » ٦٥ منَ الكامل] :

بَطَلٍ كَأَنَّ ثِيَابَهُ فِيْ سَرْحَةٍ يَحْذَىٰ نِعَالَ ٱلسِّبْتِ لَيْسَ بِتَوْأَمِ[1]

والسِّبْتُ : جلودُ البقرِ المدبوغةِ ٱلَّتي لا تقربُها الكلابُ إِذَا ٱبتلَّت ؛ لإتقانِ دَبْغِها .

رقة النعل كناية عن سلامتها

وأَمَّا رِقَّةُ النعلِ : فكنايةٌ عَنْ سلامتِها مِنَ الرقاعِ ؛ لأَنَّهم ملوكٌ لا تُخصَفُ نعالُهم ، وإِنَّما تخصفُ نعلُ من يُكثِرُ المشيَ ، ومِثلُهُ قولُهُم : (فلانٌ مُسمَّطُ النعلِ) ؛ يعنونَ أَنْ نعلَهُ طبقةٌ واحدَةٌ غيرُ مخصوفةٍ . قالَ المرارُ الفقعسيُّ [منَ الوافر] :

وَجَدْتُ بَنِيْ خَفَاجَةَ فِيْ عَقِيْلٍ كِرَامَ ٱلنَّاسِ مُسْمَطَةَ ٱلنِّعَالِ

* * *

= تعالىٰ أَبدلَكم بيومِ السباسبِ يومَ العيدِ » .

(١) مدحَهُ بأَربعِ خصالٍ كرامٍ : إحداها : أَنَّهُ جعلَهُ بطلاً شجاعاً ، الثانيةُ : أَنَّهُ جعلَهُ طويلاً ، شبَّهه بالسَّرْحَةِ ؛ وهي : شجرٌ عظامٌ طوالٌ ، الثالثةُ : أَنَّهُ جعلَهُ شريفاً ؛ للُبسه نِعالَ السِّبتِ ، الرابعةُ : أَنَّه جعلَهُ متفرداً لا مثيل له .

رفع المسهم

المجلس الثالث

[قالَ أَبو الطيِّب المتنبِّي في « العُكْبَريّ » ١/ ٣٠٤ منَ المنسرح]:

لَـهُ أَيَـادٍ عَلَـيَّ سَـابِقَـةٌ أُعَـدُّ مِنْهَـا وَلاَ أُعَـدِّدُهَـا

شرح المطلع

الأَياديْ : جمعُ يدٍ ، وهي النِّعْمَةُ ؛ لأَنَّها الّتي تُجمعُ هٰذا الجمعَ بخلافِ الجارحةِ ، فإنَّها لا تُجمعُ عليهِ ، وزعمَ بعضُهم أَنَّها تُجمعُ عليهِ أَيضاً ، وذكروا لهُ أَمثلةً لا يحضرنيْ مِنْها الآنَ شيءٌ .

الروايات في المطلع

أَمَّا قولُهُ : (أُعَدُّ) فيروىٰ بفتحِ الهمزةِ [أَعُدُّ] ، وهوَ مِنْ قولهِ تعالىٰ : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [إبراهيم : ٣٤] ، ويُروىٰ بضمِّها مبنيّةً للمفعولِ ، ونائبُ الفاعلِ مستترٌ تقديرُهُ (أَنا) ؛ يعني : أَنَّ نفسَهُ معدودةٌ مِنْ جملةِ نِعَمِ الممدوحِ ، فهو كقولِ شاعرِ الحماسةِ [منَ السريع] :

لاَ تَنْتَفِنِّـيْ بَعْـدَ أَنْ رِشْتَنِـيْ فَـإِنَّنِـيْ بَعْـضُ أَيَـادِيْكَـا

تلاعب المتنبي في معنى الجود

وقد تلاعبَ بهٰذا المعنىٰ في « ديوانهِ » فقالَ [في « العُكبَريّ » ٢/ ٣٨٠ منَ البسيط] :

مَا زِلْتَ تُتبِعُ مَا تُولِيْ يَداً بِيَدٍ حَتَّىٰ ظَنَنْتُ حَيَاتِيْ مِنْ أَيَادِيْكَا

رفع المسهم

وقالَ [في « العُكبَريّ » ٤/ ٢٠٥ منَ الكامل] :

فَٱغْفِرْ فِدىً لَكَ وٱحْبُنِيْ مِنْ بَعْدِهَا ... لِتَخُصَّنِـــيْ بِعَطِيَّـــةٍ مِنْهَـــا أَنَـــا

وقالَ [في « العُكبَريّ » ١/ ٣٤٧ منَ المتقارب] :

وَفِيْ جُوْدِ كَفَّكَ مَا جُدْتَ لِيْ ... بِنَفْسِيْ وَلَوْ كُنْتُ أَشْقَىٰ ثَمُوْدْ

أن تكون واحدة من حسنات ممدوحك عند الشعراء

وقالَ العتابيُّ [منَ البسيط] :

مَا زِلْتُ فِيْ غَمَرَاتِ ٱلْمَوْتِ مُطَّرَحاً ... يَضِيْقُ عَنِّيْ وَسِيْعُ ٱلرَّأْيِ مِنْ حِيَلِيْ
فَلَـمْ تَـزَلْ دَائِبـاً تَسْعَىٰ بِلُطْفِكَ لِـيْ ... حَتَّىٰ ٱنْتَزَعْتَ حَيَاتِيْ مِنْ يَدَيْ أَجَلِيْ

وقالَ غيرُهُ [منَ البسيط] :

رَدَدْتَ مَالِيْ وَلَمْ تَبْخَلْ عَلَيَّ بِهِ ... وَقَبْلَ مَالِيَ قِدْماً قَدْ حَقَنْتَ دَمِيْ

وقالَ أَبو تمّام [منَ البسيط] :

رَدَدْتَ رَوْنَقَ وَجْهِيْ فِيْ صَحِيْفَتِهِ ... رَدَّ ٱلصَّقَالِ بَهَاءَ ٱلصَّارِمِ ٱلْخَذِمِ
وَمَـا أُبَـالِـيْ وَخَيْـرُ ٱلْقَـوْلِ أَصْـدَقُـهُ ... حَقَنْتَ لِيْ مَاءَ وَجْهِيْ أَوْ حَقَنْتَ دَمِيْ

وقالَ [منَ الطويل] :

عَطَاؤُكَ لاَ يَفْنَىٰ وَتَسْتَغْرِقُ ٱلْمُنَىٰ ... وَتَبْقَىٰ وُجُوْهُ ٱلرَّاغِبِيْنَ بِمَائِهَا

مصعب بن الزبير وجوده على بعض من حاربه

ويُروىٰ [كما في «تاريخ بغداد» ١٣/ ١٠٦] : أَنَّ مصعبَ بنَ الزبيرِ أَمرَ بقتلِ أَحدِ مَنْ حاربَهُ معَ المختارِ ، فقالَ : أَترضىٰ أَنْ أَتعلَّقَ بِكَ يومَ القيامةِ ، وأَنتَ علىٰ ما نرىٰ مِنْ هٰذا الجمالِ الباهرِ ، وأَقولُ : سَلْ مصعباً فيمَ قَتَلَنِي ؟ فقالَ : أَطْلِقوهُ ، قالَ : أَجعل ما وهبتَ لِيْ مِنْ عُمُرِي في عيشٍ طيِّبٍ ، فَأَمَرَ لَهُ بمئةِ أَلفٍ ، قالَ : بأَبي أَنتَ وأُمّي ، أُشهِدُكَ أَنَّ نصفَها لقيسِ الرُّقياتِ ؛ لقولِهِ فيكَ [في « ديوانِهِ » ٩١ منَ الخفيف] :

رفع المسهم

إِنَّمَا مُصْعَبٌ شِهَابٌ مِنَ اللّٰـ ـهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظَّلْمَاءُ

فضحكَ مصعبٌ ، وقالَ : لقد ألطفتَ ، وإنَّ فيكَ لموضعاً للصنيعةِ ، وأمرَ لقيسٍ بخمسينَ ألفاً ، وتركَ مئتَهُ بحالِها .

إجارة معن بن زائدة على الخليفة المهدي

ويُحكىٰ [كما في «المستطرف» ١/٣٠١] : أنَّ بعضَ الشيعةِ سعىٰ للخروجِ في أيّامِ الدولةِ العباسيَّةِ ، فجعلَ الخليفةُ فيهِ مئةَ ألفِ درهمٍ ، فأخذَهُ رجلٌ مِنْ (بغدادَ) ، فمرَّ بهِ معنُ بنُ زائدةَ ، فقالَ : يا أبا الوليدِ أجرْني . . أجارَكَ اللهُ ، فقالَ معنٌ للرجلِ : خَلِّ عنهُ ، فقالَ : إنَّهُ طُلْبَةُ أميرِ المؤمنينَ ، قالَ : خَلِّ سبيلَهُ ، فأبىٰ ، فخلَّصَهُ مِنْهُ قهراً ، وأردفَهُ خلفَ بعضِ أعوانِهِ ، وذهبَ الرجلُ للخليفةِ ، فأستدعىٰ مَعْناً ، ولمَّا حضرَ . . قالَ لَه : أتجيرُ عليَّ ؟! قالَ : نعمْ ، قتلْتُ في طاعتِكُم خمسةَ عشرَ ألفاً بـ (حضرموتَ) في يومٍ واحدٍ[1] ، فما تروني أهلاً لأنْ أُجيرَ واحداً عَلَّقَ بي رجاءَهُ ؟ فأستحيا الخليفةُ ، ثُمَّ قالَ : قَدْ أجرنا مَنْ أجرتَ يا أبا الوليدِ ، قالَ : إنْ رأىٰ أميرُ المؤمنينَ أن يصلَ جاري ، فأمرَ لهُ بخمسينَ ألفَ درهمٍ ، فقالَ معنٌ : إنَّ ذنبهُ عظيمٌ ، وينبغي أنْ تكونَ صلاتُ الخلفاءِ علىٰ قدرِ الجرائمِ ، فقالَ : قد جعلتُها مئةَ ألفٍ ، فرجعَ معنٌ إلىٰ منزلِهِ ، ودفعَ المالَ للرجلِ ، وحذَّرَهُ مِنْ مساخطِ الملوكِ .

إبراهيم بن سليمان يستجير عند رجل قد قتل أباه

ولَمَّا أفضَتِ الخلافةُ إلىٰ بني العبَّاسِ . . أختفىٰ بنو أُميَّةَ حتَّىٰ أخذوا مِنَ السفَّاحِ الأمانَ ، فحضرَ عندَهُ إبراهيمُ بنُ سليمانَ بنِ عبدِ المَلِكِ ، وكانَ عالماً أديباً ، فسألَهُ السفَّاحُ عن أعجبِ ما مرَّ بهِ في تغيُّبِهِ ، قالَ :

---

(١) وفي «المستطرف» : خمسة آلاف .

رفع المسهم

بينا أنا بـ (الحِيرة) . . نظرتُ الأعلامَ السودَ خارجةً مِنَ (الكوفةِ) ، فوقعَ لي أنَّها تريدُني ، فخرجتُ متنكِّراً ، حتَّىٰ أتيتُ (الكوفةَ) لا أعرفُ أحداً ، فتحيَّرتُ ، ثُمَّ ظهرَ لي بابٌ واسعٌ ، وإذا رجلٌ وسيمٌ حسنُ الهيئةِ ، فقالَ لي : مَنْ أنتَ ؟ قلتُ : غريبٌ خائفٌ مستجيرٌ بكَ ، قالَ : ادخُلْ ، ولَكَ الأمانُ ، فدخلتُ ، وأكرمَ مثواي ، وَلَمْ يسألَني عَنْ شيءٍ مِنْ أمري ، ورأيْتُهُ يركبُ في كُلِّ غداةٍ ، فسألْتُهُ ، فقالَ : ذُكِرَ لي أنَّ إبراهيمَ بنَ سُليمانَ مختفٍ بهٰذا الطرَفِ ، وقد قتلَ أبي صبراً[1] ، فأنا أركبُ في طلبِ ثأري منهُ ، فأيقنتُ أنَّ القدرَ ساقني إلىٰ الهلاكِ ، وسألْتُهُ عَنِ اسمِ أبيهِ ، حتَّىٰ عرفْتُ صحَّةَ ما يقولُ ، فقلْتُ لَهُ : قد وجبَ حقُّكَ عليَّ ، وإنَّ منهُ أنْ أدُلَّكَ علىٰ خصمِكَ ، ألاَ وإنَّهُ الذي يكلِّمُكَ ، فافعلْ ما تحبُّ ، فقالَ : أحسبُ الزمانَ أضرَّ بكَ ، فأحببتَ الراحةَ مِنَ الحياةِ ، فقلتُ : كلاَّ ، ولٰكنْ صدقتُكَ ، فلمَّا استيقنَ الأمرَ . . اربدَّ[2] وجهُهُ وتغيَّرَ لونُهُ ، واحمرَّتْ عيناهُ ، وأطرقَ مليّاً ثُمَّ قالَ : أمَّا أنتَ ستلقىٰ أبي عندَ حَكَمٍ عدلٍ ، يأخذُ بثأرِهِ مِنكَ ، وأمَّا أنا فلا أخفِرُ ذمَّتيْ ، ولٰكنْ لا آمنُ عليكَ نفسي ، فإنْ شئْتَ أنْ تنصرفَ آمناً إلىٰ حيثُ تحبُّ ، وأعطانِيْ ألفَ دينارٍ ، فاعتذرتُ إليهِ مِنْ قَبولِهِ ، وانصرفتُ ، فهٰذا أكرمُ رجلٍ رأيْتُهُ بعدَ أميرِ المؤمنينَ .

وفاء الحارث بن عباد للمهلهل بعد قدرته عليه

وأقولُ : إنَّ في تأخُّرِ معرفةِ إبراهيمَ بصاحبِ الدارِ لَنوعاً مِنَ النظرِ . والقصَّةُ أشبهُ بقصَّةِ الحارثِ بنِ عبَّادٍ ، وقَدْ قَدَرَ علىٰ

(١) القتلُ صبراً : هوَ أن يُحبَسَ ويُرمىٰ حتَّىٰ يموتَ .
(٢) اربدَّ وجهه : تغيرَ منَ الغضبِ وصارَ كلونِ الرمادِ .

رفع المسهم

مهلهلٍ ، وهو لا يعرفُهُ ، وطلبَ منهُ أَنْ يدلَّهُ علىٰ مهلهلٍ بشرطِ الأَمانِ ، فأستعرَفَ عليهِ ، فجزَّ ناصيتَهُ ، وأَطلقَهُ ، وهُوَ قاتلُ أَبنهِ بُجَيْرٍ ، وقالَ في ذلكَ [مِنَ الخفيفِ] :

لَهْفَ نَفْسِيْ عَلَىٰ عَدِيٍّ وقَدْ أَسْـ ـقَبَ لِلْمَوْتِ وَٱحْتَوَتْهُ ٱلْيَدَانِ[1]

وعَدِيٌّ هوَ أَسمُ المهلهلِ .

إلاَّ أَنَّ صاحبَ إبراهيمَ مَنَّ مِنْ غيرِ شرطٍ بخلافِ الحارثِ ، وقصَّةُ أَبنِ زائدةَ أَيَّامَ أَختفائِهِ مِنْ بني العبَّاسِ معَ الجندي الَّذي أَمسكَهُ ، ثُمَّ مَنَّ عليهِ وصغَّرَهُ في نفسهِ مشهورةٌ .

المهلب يعفو عمن يريد قتله

وظفرَ المهلَّبُ بخارجيٍّ يُريدُ أَغتيالَهُ ، فقالَ لَهُ : قد ثبَتَ كيدُكَ لنا ، فأختر أَيَّ قِتلَةٍ تريدُ ، قالَ : سيفٌ ماضٍ لا يَنْبُوْ ، أَو عطفةُ كريمٍ تحتقرُ الضغائِنَ ، قالَ : هل فيكَ موضعٌ للصنيعةِ؟ قالَ لَهُ : سينظرُ الأَميرُ ما يَسرُّهُ بعدَ التجربةِ ، قالَ : فإِنَّها عطفةُ كريمٍ يحتقرُ الذنوبَ ، فخلَّىٰ سبيلَهُ ، وأَكرمهُ ، فكانَ بعدَ ذلكَ مِنْ أَوثقِ أَصحابهِ عندَهُ .

لا ابرح حتى اعرف حديثك مع المأمون

وذُكِرَ : أَنَّ المأمونَ أَستقدمَ رجالاً مِنَ (الشامِ) بعقبِ فتنةٍ أَشتعلَتْ فيها ، ثُمَّ أَعتقلَهُم ، ودفعَ أَكبرَ المتَّهمينَ في إِثارَتِها لبعضِ خاصَّتِهِ ؛ ليأخذَهُ بأَنواعِ العذابِ ، حتَّىٰ يتفرَّغَ لقتلهِ ، فأَخذَ الرجلُ يُسائِلُ أَسيرَهُ عَنِ (الشامِ) وأَهلِها ، وقالَ لَهُ : ما فعلَ فلانٌ ، لصديقٍ لَهُ بها؟ قالَ : وما عِلمُكَ بهِ ، قالَ : لا أَقدرُ علىٰ مكافأَتِهِ ، وما نعمتي وحياتي إلاَّ مِنْ حسناتِهِ ، فلقد أَهدرَ الخليفةُ دمي بإِثرِ حوادثَ ظُنَّتْ بي فيها الظنونُ ، ولُصِقَتْ بي فيها التُّهمُ ، فلجأْتُ إِليهِ

---

(١) أَسقبَ : قَرُبَ .

رفع المسهم

عَنْ غيرِ سابقِ معرفةٍ ، فأكرمَ مثواي ، وحقنَ دمي ، وحفظَ عليَّ ماءَ وجهي ، ثُمَّ جهَّزني بأحسنِ الجهازِ ، كسا وحملَ ، وأغنىٰ وأقنىٰ ، ثُمَّ سالَمَتْني الأيَّامُ ، وصارَتْ بي إلىٰ ما ترىٰ ، ولَوَدِدْتُ أنّي أظفرُ بهِ.. فأُكافِئَهُ ببعضِ ما طوَّقَني مِنَ النعمِ ، وأسدىٰ إليَّ مِنَ المننِ ، فقالَ الأسيرُ : لقد أظفرَكَ اللهُ بمطلوبِكَ مِنْ غيرِ بحثٍ ولا تعبٍ ، قالَ : وأينَ هو؟ قالَ : نجيُّكَ ، وما زالَ يستعرفُ إليهِ بالذكرياتِ.. حتَّىٰ أثبتهُ معرفةً ، فأطلقَ وثاقَهُ ، وعرضَ عليهِ الذهابَ ، والتحكُّمَ في أموالِهِ ، فقالَ : لا أضرُّكَ بنفعي ، ولكنِ ائتني بعبدي فلانٍ حتَّىٰ أوصيهِ إلىٰ أهلي ، وتلكَ أكبرُ مكافأةٍ ، فقالَ : لا واللهِ ، حتَّىٰ أُبلِغَكَ مأمنَكَ ، وأُوصلَكَ إلىٰ أهلِكَ قريرَ العينِ ، معَ ما يُغنيكُم طولَ الحياةِ ، فقالَ : لا أبرحُ حتَّىٰ أعرفَ حديثَكَ معَ المأمونِ ، فإنْ نجوْتَ كانَتْ نجاتي ، وإلاَّ وَقيتُكَ بنفسي ، ثُمَّ إنَّ المأمونَ سألَ صاحبَهُ عن أسيرهِ.. فأخبرَهُ بقصَّتِهِ ، فاغرورقَتْ عيناهُ ، وقالَ : قد وجبَتْ علينا مكافأتُهُ ؛ لأنَّ وجودَ مثلِهِ قليلٌ ، وأكبرُ شيءٍ عدمُ إيثارِهِ السلامةَ والانطلاقَ علىٰ نجاتِكَ ، ثُمَّ استدعاهُ ، وبالغَ في إكرامِهِ ، وإسباغِ الإلطافِ عليهِ ، وصرَفَهُ موفورَ الكرامةِ ، وجعلَهُ موضعَ سرِّهِ وأمانتِهِ بـ(الشامِ) ، فكانَتْ كُتُبُهُ تَرِدُ علىٰ المأمونِ بعدَ ذلكَ فيطالعُ بها صاحبَهُ .

ولإبراهيمَ بنِ المهديِّ في أيَّامِ اختفائهِ ما لا يقلُّ مِنْ وجهٍ عنها .

النعمان بن المنذر ويوم بؤسه

ويتَّصلُ بها حديثُ النُّعمانِ وصاحبِهِ شريكِ بنِ عمرٍو معَ الطائيِّ الذي قدَّمَ نفسَهُ للقتلِ وفاءً بوعدِهِ ، فكانَ مِنْ بركةِ ذلكَ إبطالُ النُّعمانِ لعادتِهِ السيِّئةِ في يومِ بؤسِهِ[1] .

---

(١) وكانَ مِن أمرِهِ : أنَّ النعمانَ بنَ المنذرِ جعلَ لنفسهِ يومينِ ، يومَ بؤسٍ : مَن=

رفع المسهم

. . . . . .

= صادفهُ فيهِ . . قَتَلهُ وأَرداهُ ، ويومَ نعيمٍ مَن لقيَهُ فيهِ . . أَحسنَ إليهِ وأَغناهُ ، وكانَ هناكَ رجلٌ طائيٌّ ، قد رماهُ حادثُ دهرهِ بسهامِ فاقتهِ وفقرهِ ، فأَخرجتْهُ الفاقةُ مِن محلِّ أستقرارهِ ليرتادَ شيئاً لصبيتهِ وصغارهِ ، فبينَما هوَ كذلكَ . . إذ صادفَهُ النعمانُ في يومِ بؤسهِ ، فلمَّا رآهُ الطائيُّ . . علمَ أَنَّهُ مقتولٌ ، وأَنَّ دمَهُ مطلولٌ ، فقالَ : حيَّا اللهُ الملكَ ، إنَّ لي صبيةً صغاراً ، وأَهلاً جياعاً ، وقد أَرقتُ ماءَ وجهي في حصولِ شيءٍ مِنَ البُلغةِ لَهم ، وقد أَقدَمني سوءُ الحظِّ علىٰ الملكِ في هٰذا اليومِ العبوسِ ، وقد قربتُ مِن مقرِّ الصبيةِ والأَهلِ ، وهُم علىٰ شفا تلفٍ مِن الجوعِ ، ولَن يتفاوتَ الحالُ في قتليَ بينَ أَوَّلِ النهارِ وآخرهِ ، فإنْ رأَىٰ الملِكُ أَن يأذنَ لي في أَن أُوصلَ إليهم هٰذا القوتَ ، وأوصيَ بهم أَهلَ المروءَةِ مِن الحيِّ ؛ لئلاَّ يهلِكوا ضَياعاً ، ثمَّ أَعودَ إلىٰ الملكِ ، وأُسلِّمَ نفسي لنفاذِ أَمرهِ .

فلمَّا سمعَ النعمانُ صورةَ مقالِهِ ، وفهمَ حقيقةَ حالِهِ ، ورأَىٰ تلهُّفَهُ على ضياعِ أَطفالهِ . . رقَّ لهُ ، ورثىٰ لحالهِ ، غيرَ أَنَّهُ قالَ لهُ : لا آذنُ لكَ حتَّىٰ يَضمنكَ رجلٌ معَنا ، فإنْ لَم ترجِع . . قتلناهُ ، وكانَ شريكُ بنُ عديِّ بنِ شرحبيلَ ـ نديمُ الملكِ ـ معَه ، فالتفتَ الطائيُّ إليهِ ، ومدحَهُ ، وتدخَّلَ عليهِ بأَبياتٍ . . فقالَ شريكٌ : أَصلحَ اللهُ الملكَ ، عليَّ ضمانُهُ .

فمرَّ الطائيُّ مسرعاً ، وصارَ النعمان يقولُ لشريكٍ : إنَّ صدرَ النهارِ قد ولَّىٰ ولَم يرجعْ ، وشريكٌ يقولُ : ليسَ للملكِ عليَّ سبيلٌ حتَّىٰ يأتيَ المساءُ ، فلمَّا قربَ المساءُ . . قالَ النعمانُ لشريكٍ : قد جاءَ وقتُكَ ، قُمْ فتأَهَّبْ للقتلِ ، فقالَ شريكٌ : هٰذا شخصٌ قد لاحَ مقبلاً ، وأَرجو أَن يكونَ الطائيَّ ، فإن لم يكن . . فأمرُ الملكِ ممتَثَلٌ ، قالَ : فبينَما هُما كذلكَ وإذ بالطائيِّ قدِ أشتدَّ عدوهُ في سيرهِ مسرعاً ، حتَّىٰ وصلَ فقالَ : خشيتُ أَن ينقضيَ النهارُ قبلَ وصولي .

ثمَّ وقفَ قائماً ، وقال : أَيُّها الملكُ . . مُرْ بأَمركَ . فأَطرقَ النعمانُ ثمَّ رفعَ رأسهُ ، وقالَ : واللهِ ما رأيتُ أَعجبَ منكُما ، أَمَّا أَنتَ يا طائيُّ : فما تركتَ لأَحدٍ في الوفاءِ مقاماً يقومُ فيهِ ، ولا ذِكراً يفتخرُ بهِ ، وأَمَّا أنتَ يا شريكُ : فما تركتَ لكريمٍ سماحةً يُذكَرُ بها الكرماءُ ، فلا أَكونُ أَنَا أَلأَمَ الثلاثةِ ، أَلاَ وإنِّي قد=

رفع المسهم

يعود إلى السجن بعد ما خرج منه وفاءً لمن هرَّبه

ونظيرُها في زمانِنا : أَنَّ بعضَ اليافعيِّينَ ٱرتكبَ في (المُكَلاَّ) جريمةً توجِبُ قتلَهُ ، فأعتقلَهُ السلطانُ ، فطلبَ مِنَ ٱلسجَّانِ أَنْ يجمعَهُ بالجليلِ السيِّدِ حُسينِ بنِ حامدٍ ، ففعلَ ، فٱستعطفَهُ لِيُطلِقَهُ ليلةً ليوصيَ ، ويؤَدِّيَ ودائِعَهُ ، ويُخبرَ أَهلَهُ بدفائِنِ أَموالِهِ قريباً مِنَ (ٱلشَّحْرِ) علىٰ شرطِ أَنْ يعودَ في الليلةِ الثانيةِ ، فأَخذَ عهدَهُ ، وأَطلقَهُ علىٰ ذلكَ ، وكانَ أَعداءُ السيِّدِ حسينٍ مِنْ بطانةِ السلطانِ غالبِ بنِ عوضٍ يراقبونَ ذلكَ ، فأَخبروهُ ، فعاتبَ السيِّدَ حسيناً ، فأَنكرَ إطلاقَهُ ، وٱتَّعَدوا علىٰ أَنْ يُفتِّشوا عنهُ في السجنِ مِنَ ٱليومِ الثاني ، ولمَّا كانَ الليلُ . . عادَ إلىٰ مكانِهِ منهُ ، وجاءَ السلطانُ علىٰ وعدِهِ ، فألفاهُ كما قالَ السيِّدُ حسينٌ ، فعادَ علىٰ أَصحابِهِ بٱللاَّئِمةِ ، وأَوسعَهُم توبيخاً ، ولٰكنَّ السيِّدَ حسيناً شرحَ لَهُ القصَّةَ بعدَ أَنْ هدأَتْ عنهُ سَوْرَةُ غضبِهِ ، فأَطلقَهُ ، وعفا عنهُ ، وليستْ هٰذهِ بٱلقليلةِ مِنْ بلادِنا علىٰ فسادِ الزمانِ ، وتنكُّرِ الأَيَّامِ! فللَّهِ الحمدُ والمنَّةُ .

عودٌ على شرح المطلع

وقولُ الناظمِ : (وَلاَ أُعَدِّدُهَا) مناسبٌ للمعنىٰ الأَوَّلِ ، وهو

= رفعتُ يومَ بؤسي عنِ الناسِ ، ونقضتُ عادَتي ؛ كرامةً لوفاءِ الطائيِّ ، وكرمِ شريكٍ . فقالَ الطائيُّ [من الكامل] :

وَلَقَدْ دَعَتْنِيْ لِلْخِلاَفِ عَشِيْرَتِيْ ... عَدَدْتُ قَوْلَهُمُ مِنَ ٱلإِخْلاَلِ
إِنِّيْ ٱمْرُؤٌ مِنِّيْ ٱلْوَفَاءُ سَجِيَّةٌ ... وَفِعَالُ كُلِّ مُهَذَّبٍ مِفْضَالِ

فقالَ لهُ النعمانُ : ما حملكَ علىٰ الوفاءِ وفيهِ إتلافُ نفسكَ ؟! فقالَ : دِيني ، فَمن لا وفاءَ فيهِ . . لا دِينَ لهُ .

فأَحسنَ إليهِ النعمانُ ، ووصلَهُ بِما أَغناهُ ، وأَعادَهُ مكرَّماً إلىٰ أَهلهِ ، وأَنالَهُ مَا تَمنَّاهُ .

انظر « المستطرف » (١/٤٢٩) .

رفع المسهم

ناظرٌ إلىٰ قولِهِ ﷺ: « سُبْحَانَكَ! لاَ نُحْصِيْ ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ »[1]. وهو كثيراً ما يتأثَّرُ السُّنَّةَ والقرآنَ ، ويستخرجُ منهُما ما يجعلُهُ في غيرِ مكانِهِ ، وهوَ القائلُ [في « العُكْبَريّ » ٢/٣٨٨ منَ الوافر] :

وَقَدْ حَمَّلْتَنِيْ شُكْراً طَوِيلاً ثَقِيلاً لاَ أُطِيْقُ بِهِ حِرَاكَا

ولهُ [في « العُكْبَريّ » ٣/٨١ من البسيط] :

وَقَدْ وَجَدْتَ مَكَانَ ٱلْقَوْلِ ذَا سَعَةٍ فَإِنْ وَجَدْتَ لِسَاناً قَائِلاً فَقُلِ

ولهُ [في « العُكْبَريّ » ١/١١٩ منَ البسيط] :

مَحَامِدٌ نَزَفَتْ شِعْرِيْ لِيَمْلأَهَا فَآلَ مَا ٱمْتَلأَتْ مِنْهُ وَلاَ نَضَبَا

ولهُ [في « العُكْبَريّ » ٢/٢٦٧ منَ الكامل] :

وَمَتَىٰ يُؤَدِّيْ شَرْحَ حَالِكَ نَاطِقٌ حَفِظَ ٱلْقَلِيْلَ ٱلنَّزْرَ مِمَّا ضَيَّعَا

ولهُ [في « العُكْبَريّ » ٢/١٢٦ منَ الطويل] :

لَهُ مِنَنٌ تُغْنِيْ ٱلثَّنَاءَ كَأَنَّمَا بِهِ أَقْسَمَتْ أَنْ لاَ يُؤَدَّىٰ لَهَا شُكْرُ

وغيرُ ذلك .

* * *

(١) أخرجه عن عائشة الصديقة مسلم (٤٨٦)، وابن خزيمة (١/٣٢٩).
وأخرجه عن علي المرتضى أبو داوود (١٤٢٧)، والترمذي (٣٥٦٦)، والنسائي (١٧٤٧)، وتمامه: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك» .

رفع المسهم

[قالَ أَبو الطيِّبِ المتنبِّي في « العُكْبَريِّ » ١/ ٣٠٤ منَ المنسرح]:

يُعْطِيْ فَلاَ مَطْلُهُ يُكَدِّرُهَا ... بِهَا وَلاَ مَنُّهُ يُنَكِّدُهَا

شرح المطلع

الضمائِرُ في (يُكَدِّرُهَا) و (بِهَا) و (يُنَكِّدُهَا) تعودُ إلىٰ الأَيادي المذكورةِ في البيتِ قبلَهُ .

يقولُ : إِنَّهُ يعطي الأَياديَ التي لا يكدِّرُها المطلُ ، ولا ينكِّدُها المَنُّ ، وليسَ المرادُ أَنَّ هناكَ مطلاً ومَنّاً غيرَ أَنْ لا تكديرَ ولا تنكيدَ منهُما ، ولكنَّ المرادَ نفيُ المَطلِ والمنِّ البتَّةَ علىٰ حدِّ ما سبقَ في المجلسِ الأَوَّلِ مِنْ قولِ امرىءِ القيسِ [منَ الطويل] :

نفي الشيء بنفي صفته والشواهد عليه

عَلَىٰ لاَحِبٍ لاَ يَهْتَدِيْ بِمَنَارِهِ ... [إِذَا سَافَهُ العَوْدُ النَّبَاطِيُّ جَرْجَرَا]

إِذْ لَمْ يُرِد : أَنَّ لَهُ مناراً لا يهتدي بِهِ ، ولكنَّهُ عمدَ إِلىٰ نفي المنارِ مِنْ أَصلِهِ .

ومثلُهُ قولُ الآخَرِ[1] في وصفِ مفازةٍ [في « خزانةِ الأدب » ١٠/ ١٩٢ منَ السريع] :

لاَ يُفْزِعُ الأَرْنَبَ أَهْوَالُهَا ... وَلاَ تَرَىٰ الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِرْ

وقد ذكرَهُ الزمخشريُّ في « الكشَّافِ » [١/ ٦٣٩-٦٤٠] عندَ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾ [آل عمران : ١٥١] ، وقالَ : (فإِنْ قُلتَ : كأَنَّ

---

(١) وهوَ : عمرُو بنُ أَحمرَ .

رفع المسهم

هناكَ حُجَّةً حَتَّىٰ نزَّلَها تعالىٰ ، فيصحُّ لَهمُ الإشراكُ . . قلْتُ : لَمْ يَعْنِ أَنَّ هناكَ حُجَّةً إلاَّ أَنَّها لَمْ تنزلْ عليهم ؛ لأَنَّ الشِّركَ لا يستقيمُ أَنْ تقومَ عليهِ حُجَّةٌ ، وإِنَّما المرادُ نفيُ الحُجَّةِ ونزولُها جميعاً) ، وذكرَ عجزَ البيتِ . فإِنَّهُ لَمْ يُرِد : أَنَّ بها أَرنباً لا تَفْزَعُ ، وضبّاً لا يَنْجَحِرُ ، وإِنَّما أَرادَ : نفيَ الحيوانِ رَأْساً ، وهٰذا ممَّا يتنافسُ فيهِ أَهلُ البيانِ ، ويسمِّيهِ البديعيُّونَ : (نفيَ الشيءِ بإِيجابِهِ) ، وفسَّرهُ ابنُ رشيقٍ وابنُ أَبي الإِصبع[1] وغيرُهُما بأَنَّهُ : (الكلامُ الذي ظاهرُهُ إِيجابُ الشيءِ ، وباطنُهُ نفيُهُ) .

ومنهُ قولُهُ جلَّ ذكرهُ: ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ﴾ [مريم : ٦٢] ، فليسَ المرادُ ـ علىٰ أَصحِّ الأَقوالِ ـ : أَنَّ في الجنَّةِ لغواً إلاَّ أَنَّهُم لا يسمعونَهُ ، ولٰكنَّ المرادَ : نفيُ اللغوِ مِنْ أَصلِهِ ، ومعاذَ اللهِ أَنْ يكونَ فيها لَغوٌ أَو غولٌ[2] .

ومنهُ قولُ زهيرٍ [منَ الطويل] :

بِأَرْضٍ خَلاَءٍ لاَ يُسَدُّ وَصِيدُهَا عَلَيَّ وَمَعْرُوفِي بِهَا غَيْرُ مُنْكَرِ[3]

فأَثبتَ لَها وَصيداً ، وأَرادَ : أَنْ ليسَ لها وصيدٌ يُسَدُّ عليهِ .

ومنهُ قولُ الزُّبيرِ بنِ عبدِ المطَّلبِ يَذْكُرُ عميلةَ بنَ السَّبَّاقِ بنِ عبدِ

---

(١) ابن أبي الإصبع : هو عبد العظيم بن عبد الواحد العدواني البغدادي المصري، شاعر أديب توفي سنة : (٦٥٤ هـ).

(٢) غول : ما ينشأُ عن الخمر من صداع أو سكر . قال تعالىٰ : ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا ﴾ [مريم: ٦٢] و: ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ ﴾ [الصافات: ٤٧] .

(٣) الوَصِيدُ : فِنَاءُ الدارِ والبيتِ . قال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ﴾ [الكهف : ١٨] .

رفع المسهم

الدارِ ، وكانَ لَهُ نديماً [منَ الطويل] :

صَبَحْتُ بِهِمْ طَلْقاً يُرَاحُ إِلَى النَّدَى ... إِذَا مَا أَنْتَشَى لَمْ تَحْتَضِرْهُ مَغَافِرُهْ

ضَعِيفاً بِحَثِّ الْكَأْسِ قَبْضُ بَنَانِهِ ... كَلِيلاً عَلَى وَجْهِ النَّدِيمِ أَظَافِرُهْ

فظاهرُ كلامِهِ : أَنَّهُ يَخْمِشُ وجهَ النديمِ ، إلاَّ أَنَّهُ لا يؤذيهِ ؛ لِكَلَّةِ أَظفارِهِ ، وما أَرادَ إلاَّ أَنَّهُ لا يعربدُ ، ولا يَمَسُّ وجهَ النديمِ بشيءٍ أَصلاً .

وقالَ أَبو زيدٍ يصفُ فرساً [منَ الكامل] :

مُتَغَلِّقٌ أَنْسَاؤُهَا عَنْ قَانِئٍ ... كَالْقَرْطِ صَاوٍ غُبْرُهُ لاَ يُرْضَعُ[1]

فإِنَّهُ لَمْ يُرِد : أَنَّ هناكَ لَبَناً لا يُرضعُ ، وإِنَّما أَرادَ : أَنْ لا لَبَنَ لَها حتَّى يرضعَ .

وقالَ أَبو كبيرٍ الهُذليُّ يصفُ هضبةً [في « ديوان الهُذليِّينَ » ٢/٩٦-٩٧ منَ الكامل] :

وَعَلَوْتُ مُرْتَقِباً عَلَى مَرْهُوبَةٍ ... حَصَّاءَ لَيْسَ رَقِيبُهَا فِي مَهْمَلِ

عَيْطَاءَ مُعْنِقَةٍ يَكُونُ أَنِيسَهَا ... وَزْقُ الْحَمَامِ جَمِيمُهَا لَمْ يُؤْكَلِ[2]

---

(١) في «اللسان» (١٥/٣٢١) البيت لأبي ذؤيب، والنسا : عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين، ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر، فإذا سمنت الدابة انفلقت فخذاها بلحمتين عظيمتين وجرى النَّسا بينهما واستبان. القانئ: الأحمرُ. الصاوي: اليابس. الغُبْرُ: بقية اللبن في الضرع.
والمعنى: شبَّه الضرع بقرط المرأة ولم يرد أن هناك بقية لبن لا يرضع، إنما أراد أنه لا غُبْرَ هناك فيهتدي إليه .

(٢) العيطاءُ : الطويلةُ العُنُقِ . المُعْنِقَةُ : الطويلة . الجميمُ : ما نهضَ وأنتشرَ مِنَ النباتِ ؛ وهو ما طالَ بعضَ الطولِ ولَمْ يتمَّ ؛ أَي : لا يَرقى فيها راقٍ ولا راعٍ =

رفع المسهم

يريدُ : أَنْ ليسَ بها جميمٌ حتَّىٰ يؤكَلَ ، كما يدلُّ علىٰ ذلكَ قولُهُ في البيتِ الأَوَّلِ (حَصَّاءَ) ؛ وهي التي لا نبتَ فيها .

ومنهُ قولُ ذي الرُّمَّةِ [في « ديوانه » ١/ ٤٤ منَ البسيط] :

لاَ تُشْتَكَىٰ سَقْطَةٌ مِنْهَا وَقَدْ رَقَصَتْ بِهَا ٱلْمَفَاوِزُ حَتَّىٰ ظَهْرُهَا حَدِبُ[1]

فإِنَّهُ لَمْ يُرِدْ : أَنَّ لها سقطةً ، لٰكنَّهُ لا يُشتكىٰ منها ، وإِنَّما أَرادَ : نفيَ السقوطِ رأْساً .

ومنهُ قولُ مسلمِ بنِ الوليدِ [منَ البسيط] :

لاَ يَعْبَقُ ٱلطِّيْبُ خَدَّيْهِ وَمِفْرَقَهُ وَلاَ يُمَسِّحُ عَيْنَيْهِ مِنَ ٱلْكُحُلِ

فالمرادُ : نفيُ الطِّيبِ والكحلِ مِنْ أَصلِهما ، لا نفيُ العَبَقِ والمسحِ فقط .

ومثلُهُ : قولُ الناظمِ [في « العُكْبَريّ » ١/ ١٦٩ منَ البسيط] :

أَفْدِيْ ظِبَاءَ فَلاَةٍ مَا عَرَفْنَ بِهَا مَضْغَ ٱلْكَلاَمِ وَلاَ صَبْغَ ٱلْحَوَاجِيْبِ
وَلاَ بَرَزْنَ مِنَ ٱلْحَمَّامِ مَائِلَةً أَوْرَاكُهُنَّ صَقِيْلاَتِ ٱلْعَرَاقِيْبِ[2]

فظاهِرُ الكلامِ : نفيُ بُروزِهنَّ مِنَ الحمَّامِ علىٰ تلكَ الهيئةِ ، والمرادُ : عدمُ دخولِهنَّ الحمَّامَ أَصلاً ، فإِنهُنَّ بَدَوِيَّاتٌ كظِباءِ الفلاةِ ، لا يعرفْنَ شيئاً مِنْ ذٰلِكَ .

= ولا أَحدٌ فيأكُلَ جميمَها . وُرْقُ الحمامِ : الحمامُ الخُضْرُ ؛ وهيَ التي فيها سوادٌ وغبرةٌ . والعربُ تطلقُ الخضرةَ على السوادِ .

(١) السَّقْطَةُ : العثرةُ والفترةُ . حتَّىٰ ظهرُها حَدِبُ : أي قد تقوَّسَ مِنَ الهُزَالِ .

(٢) العراقيبُ ـ جمعُ عرقوبٍ ـ : وهوَ ما يكونُ عندَ الكعبِ .

رفع المسهم

السبب في تكثير الأمثلة على هذه المسألة

وإنَّما أكثرتُ مِنَ الأمثلةِ ؛ لقولِ ابنِ الأثيرِ السابقِ في المجلسِ الأوَّلِ : إنَّه طافَ علىٰ أقوالِ الشعراءِ فلَم يجد منها شيئاً حتَّىٰ اضطرَّ إلىٰ ما نبَّهنا عليهِ مِنَ الاختلاسِ ، والحالُ أنَّها علىٰ طرفِ ذراعهِ ، فسبحانَ مَنْ لا يسهو .

الخلاف في الوعد

ثُمَّ اختلفَ القومُ في شأنِ الوعدِ :

١ـ صنف أحبه قبل العطية

فمنهُمْ : مَنْ أحبَّهُ قبلَ العطيَّةِ ؛ ليحلوَ موقعُها ، وتكملَ بها اللذَّتانِ : (لذةُ الإعطاءِ ، ولذةُ الإنجازِ) ، فإنَّ النفسَ إذا تعلَّقتْ بالشيءِ . . حصلَ لها وَلْوَلَةٌ لا تزولُ إلاَّ بحصولهِ ، وتلكَ الولولةُ لا تَحُطُّ مِنْ قدرِ العطيَّةِ إذا كانَ الوعدُ حقّاً ، وكانَ صاحبُهُ مناطَ الثقةِ ،

من أصحاب هذا المذهب يحيى بن خالد

وعلىٰ هٰذا الرأي : يحيىٰ بنُ خالدٍ ، فقد كلَّمَهُ منصورُ بنُ زيادٍ في حاجةٍ لرجلٍ ، فقالَ : عِدْهُ قضاءَها ، قالَ منصورٌ : فقلتُ لهُ : أصلحكَ اللهُ ، وما يدعوكَ إلىٰ العِدَةِ مَعَ القدرةِ ؟ قالَ : هٰذا قولُ مَنْ لَمْ يعرِفْ مواقعَ الصنائعِ مِنَ القلوبِ ، فإنَّ الوعدَ تَطَعُّمٌ ، والإنجازَ إطعامٌ ، وليسَ مَنْ فاجأَهُ الطعامُ كمَنْ وجدَ رائحتَهُ ، وتَمَطَّقَ بهِ ، وتطعَّمَهُ ، ثُمَّ قُرِّبَ إليهِ ، فدعِ الحاجةَ تُختمُ بالوعدِ ؛ ليكونَ بها عندَ المُصطَنعِ إليهِ حُسْنُ موقعٍ ، ولُطْفُ محلٍّ ، فإنَّها إذا لَمْ يتقدَّمْها موعدٌ يُنتَظَرُ بهِ نُجحُها . . لَمْ يتجاذبِ النفسَ سرورُها .

ومنهم ابو مسلم الخولاني

وقالَ أبو مسلمٍ الخولانيُّ : أوقعُ المعروفِ في القلوبِ ، وأبردُهُ علىٰ الأكبادِ . . معروفٌ منتَظَرٌ بوعدٍ لا يُكَدِّرُهُ مَطْلٌ .

ومنهم المهدي

وقالَ المهديُّ [من مجزوء الكامل] :

اَلْوَعْدُ أَحْسَنُ مَا يَكُوْ ... نُ إِذَا تَقَدَّمَهُ ضَمَانُ

رفع المسهم

وقالَ غيرُهُ [منَ الرجز] :

حَـلاَوَةُ ٱلْفَضْـلِ بِـوَعْـدٍ يُنْجَـزُ لاَ خَيْرَ فِيْ ٱلْعُرْفِ كَنَهْبٍ يُنْهَزُ(١)

شـاهـده مـن القـرآن الكريم

وقد يتأكَّدُ هـٰذا بأمثالِ قولهِ جلَّ ذكرُهُ لموسىٰ وهارونَ : ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ [يونس : ٨٩] ، فإنهُ لَمْ يظهر أثرُ الإجابةِ ـ كما يُروىٰ ـ إلاَّ بعدَ أربعينَ سنةً .

وقالَ الإمامُ الرازيُّ في تأخُّرِ ظهورِ أثرِ الرؤيا الحَسَنةِ : (إنَّ مِنْ رحمةِ اللهِ الإعلامَ بالخيرِ متقدِّماً علىٰ ظُهورِهِ بزمانٍ طويلٍ ، حتَّىٰ تكونَ البهجةُ بتوقُّعِ حصولِهِ أكثرَ وأتمَّ) . انتهىٰ بمعناهُ .

علىٰ أنَّهُ لا يبعدُ أنْ يكونَ الرَّيثُ في المواعيدِ الإلـٰهيَّةِ بالدنيا مِنَ الامتحانِ الذي يَحسُنُ مِنَ اللهِ لا مِنَ الخَلْقِ فيما بينهُم .

ومنهم الحارثي

وقالَ الحارثيُّ [منَ الطويل] :

وَمَـا رَوْضَـةٌ دَارِيَّـةٌ أَسَـدِيَّـةٌ مُنَمْنَمَةٌ زَهْرَاءُ ذَاتُ ثَرىً صَعْدِ
بِأَحْسَنَ مِنْ حُرٍّ تَضَمَّنَ حَاجَةً لِحُرٍّ فَأَوْفَىٰ بِٱلنَّجَاحِ مَعَ ٱلْوَعْدِ

وكذلك ابن رشيق

وقالَ ٱبنُ رشيقٍ [في « ديوانهِ » ١٥٠ منَ السريع] :

أَحْسَنْـتَ فِـيْ تَـأْخِيْـرِهَـا مِنَّـةً لَوْ لَمْ تُؤَخِّرْ لَمْ تَكُنْ كَامِلَهْ
وَكَيْـفَ لاَ يَحْسُـنُ تَـأْخِيْـرُهَـا بَعْـدَ يَقِيْنِـيْ أَنَّهَـا حَـاصِلَـهْ
وَجَنَّـةُ ٱلْفِـرْدَوْسِ يُـدْعَـىٰ بِهَـا آجِلَـةً لِلْمَـرْءِ لاَ عَـاجِلَـهْ

٢ـ الصنف الثاني عكسهم واستدلالهم على ذلك

وذهبَ آخرونَ إلىٰ خلافِهِ ، وأنَّهُ لا يحسنُ الاستنادُ إلىٰ المواعيدِ إلاَّ عندَ عدمِ القدرةِ ، وقد يدلُّ لهُ هَديُهُ ﷺ (فقد كانَ لا يردُّ سائلاً ، وإنْ لَمْ يجدْ شيئاً . . وعدَ) .

---

(١) العُرْفُ : المعروف . والمرادُ : أنَّهُ لا خيرَ في معروفٍ يؤخذُ كالنهبِ والسرقةِ .

رفع المسهم

وقولُهُ : « اللَّهُمَّ إِنِّيْ أَسْأَلُكَ مِنْ فَجْأَةِ ٱلْخَيْرِ ، وَأَعُوْذُ بِكَ مِنْ فَجْأَةِ ٱلشَّرِّ »[1] ولا يخرجُ عنهُ قولُهُ : « أَبَىٰ ٱللهُ أَنْ يَرْزُقَ عَبْدَهُ ٱلْمُؤْمِنَ إِلاَّ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ »[2] .

أصحاب هذا المذهب كثر

ولا يدخلُ تحتَ الحصرِ ما فيهِ مِنْ أَقوالِ الشعراءِ . منهُ قولُ عبدِ اللهِ بنِ مصعبٍ الزبيريِّ [منَ الطويل] :

وَأَنْجَزَ خَلْقَ ٱللهِ مِنْ قَبْلِ وَعْدِهِ ... أَرَاحَكَ مِنْ مَطْلٍ وَمِنْ طُوْلِ كَدِّهِ

تكرار هذا المعنى بكثرة عند المتنبي

وقد تكرَّرَ عندَ الناظمِ منهُ قولُهُ [في « العُكْبَريِّ » ١/ ٣٦٩ منَ المتقارب] :

وَمَـالٍ وَهَبْـتَ بِـلاَ مَـوْعِـدٍ ... وَقِرْنٍ سَبَقْتَ إِلَيْهِ ٱلْوَعِيْدَا[3]

وقولُهُ [في « العُكْبَريِّ » ١/ ٣٤٣ منَ المتقارب] :

لَقَدْ حَالَ بِٱلسَّيْفِ دُوْنَ ٱلْوَعِيْدِ ... وَحَالَتْ عَطَايَاهُ دُوْنَ ٱلْوُعُوْدِ

وقولُهُ [في « العُكْبَريِّ » ١/ ٣٤٨ منَ البسيط] :

مُحَمَّدُ بْنَ زُرَيْقٍ مَا نَرَىٰ أَحَداً ... إِذَا فَقَدْنَاكَ يُعْطِيْ قَبْلَ أَنْ يَعِدَا

وقولُهُ [في « العُكْبَريِّ » ١/ ٣٧٧ منَ الطويل] :

تَـوَالَـىٰ بِـلاَ وَعْـدٍ وَلَـٰكِـنَّ قَبْلَـهُ ... شَمَائِلَهُ مِنْ غَيْرِ وَعْدٍ لَهَا وَعْدُ

---

(١) أورده عن أنس الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠/ ١١٥) وقال: رواه أبو يعلى وفيه يوسف بن عطية متروك ، والسيوطي في « الجامع الصغير » (١/ ٩١) .

(٢) أخرجه عن أبي هريرة القضاعيُّ في « مسند الشهاب » (١/ ٣٤١) وذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (٥٨) وأطال في عزوه ، ولا يفرح له بسند مقبول .

(٣) القِرْنُ ـ بالكسر ـ : هوَ الكفءُ في الشجاعةِ والمماثلُ ، والقَرْنُ ـ بالفتح ـ : هوَ مثلُكَ في السِّنِّ . والمرادُ الأَوَّلُ .

رفع المسهم

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٤/ ٣٠ مِنَ الكامل] :

نَصَرَ ٱلْفَعَالَ عَلَىٰ ٱلْمِطَالِ كَأَنَّمَا خَالَ ٱلسُّؤَالَ عَلَى ٱلنَّوَالِ مُحَرَّمَا[1]

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٣/ ١٨٨ مِنَ الطويل] :

وَحَالَتْ عَطَايَا كَفِّهِ دُوْنَ وَعْدِهِ فَلَيْسَ لَهُ إِنْجَازُ وَعْدٍ وَلاَ مَطْلُ

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٣/ ٢٧٧ مِنَ البسيط] :

وَأَجْزِ ٱلأَمِيْرَ ٱلَّذِيْ نُعْمَاهُ فَاجِئَةٌ مِنْ غَيْرِ قَوْلٍ وَتُعْمَىٰ ٱلنَّاسِ أَقْوَالُ

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٢/ ٢٨ مِنَ الطويل] :

وَوَعْدُكَ فِعْلٌ قَبْلَ وَعْدٍ لأَنَّهُ نَظِيْرُ فَعَالِ ٱلصَّادِقِ ٱلْقَوْلِ وَعْدُهُ

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٢/ ١٨٣ مِنَ الخفيف] :

كُلَّمَا جَادَتِ ٱلظُّنُوْنُ بِوَعْدٍ عَنْكَ جَادَتْ يَدَاكَ بِٱلإِنْجَازِ

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٣/ ٢٩٧ مِنَ الطويل] :

وَأَهْدَتْ إِلَيْنَا غَيْرَ قَاصِدَةٍ بِهِ كَرِيْمَ ٱلسَّجَايَا يَسْبِقُ ٱلْقَوْلَ بِٱلْفِعْلِ

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٣/ ٨٧ مِنَ البسيط] :

أَنْتَ ٱلْجَوَادُ بِلاَ مَنٍّ وَلاَ كَدَرٍ وَلاَ مِطَالٍ وَلاَ وَعْدٍ وَلاَ مَذَلِ[2]

وربَّمَا دخلَ بعضُ هٰذهِ الأَبياتِ بتأويلٍ في القسمِ الأَوَّلِ ، ولا مُشاحَّةَ في ذلكَ ، فالخطبُ يسيرٌ .

---

(١) الفَعَالُ ـ بفتحِ الفاءِ ـ : الفِعلُ الجميلُ .

(٢) المَذَلُ : الفترةُ والضجرُ .

رفع المسهم

الشعراء وهذا المعنى

وقالَ البُحتريُّ [في « ديوانه » ١/ ٥٧٤ منَ البسيط] :

يُمْضِي ٱلْمَنَايَا دِرَاكاً ثُمَّ يُتْبِعُهَا بِيْضَ ٱلْعَطَاءِ وَلَمْ يُوْعِدْ وَلَمْ يَعِدِ

وقالَ [في « ديوانه » ١/ ٥٥٧ منَ البسيط] :

رَطْبُ ٱلْغَمَامِ إِذَا مَا ٱسْتُمْطِرَتْ يَدُهُ جَاءَتْ مَوَاهِبُهُ قَبْلَ ٱلْمَوَاعِيْدِ

وقالَ المعرِّيُّ [في « سقط الزند » ١٢٩ منَ الطويل] :

فَيَا أَحْلَمَ ٱلسَّادَاتِ مِنْ غَيْرِ ذِلَّةٍ وَيَا أَجْوَدَ ٱلأَجْوَادِ مِنْ غَيْرِ مَوْعِدِ

وقالَ آخرُ [منَ الطويل] :

عَلَىٰ عُدَوَاءِ ٱلدَّارِ جَاءَتْ هِبَاتُهُ بِلاَ عِدَةٍ مِنْ قَبْلِ ذَاكَ وَلاَ مَنِّ[1]

فَأَوْلَيْتُهُ شُكْرِيْ وَلَكِنَّ بِرَّهُ لَدَيَّ ٱلْهَنِيْءُ ٱلْجَمُّ مِنْ فَوْقِ مَا أُثْنِيْ

وأَنصعُ مِنْ ذلكَ كلِّهِ قولُ أَبي تمَّامٍ [في « ديوانه » ١/ ٢٩٣ منَ الطويل] :

يَرَىٰ ٱلْوَعْدَ أَخْزَىٰ ٱلْعَارِ إِذْ هُوَ لَمْ تَكُنْ مَوَاهِبُهُ تَأْتِيْ مُقَدَّمَةَ ٱلْوَعْدِ

فَلَوْ كَانَ مَا يُعْطِيْهِ غَيْثاً لأَمْطَرَتْ سَحَائِبُهُ مِنْ غَيْرِ بَرْقٍ وَلاَ رَعْدِ

وقالَ القاضي ظهيرُ الدينِ [منَ البسيط] :

جُوْدُ ٱلْكَرِيْمِ إِذَا مَا كَانَ عَنْ عِدَةٍ وَقَدْ تَأَخَّرَ لَمْ يَسْلَمْ عَنِ ٱلْكَدَرِ

إِنَّ ٱلسَّحَائِبَ لاَ تُجْدِيْ بَوَارِقُهَا نَفْعاً إِذَا هِيَ لَمْ تُمْطِرْ عَلَىٰ ٱلأَثَرِ

كلمة رشيقة للخابزأرزي

وقالَ ٱلخَابزأَرزيُّ في كلمةٍ رشيقةٍ لابأسَ بأستيفائِها ؛ لعذوبتِها علىٰ ما فيها ممَّا سننبِّهُ عليهِ [منَ الطويل] :

خَلِيْلَيَّ هَلْ أَبْصَرْتُمَا أَوْ سَمِعْتُمَا بِأَكْرَمَ مِنْ مَوْلىً تَمَشَّىٰ إِلَىٰ عَبْدِ ؟!

(١) عُدَوَاءِ الدَّارِ : الدورُ البعيدةُ النائيةُ ، والعُدَوَاءُ : البعدُ .

رفع المسهم

أَتَىٰ زَائِراً مِنْ غَيْرِ وَعْدٍ وَقَالَ لِيْ: أُجِلُّكَ عَنْ تَعْلِيْقِ قَلْبِكَ بِالْوَعْدِ
فَمَا زَالَ نَجْمُ الْوَصْلِ بَيْنِيْ وَبَيْنَهُ يَدُوْرُ بِأَفْلاَكِ السَّعَادَةِ وَالسَّعْدِ
فَطَوْراً عَلَىٰ تَقْبِيْلِ نَرْجِسِ نَاظِرٍ وَطَوْراً عَلَىٰ تَعْضِيْضِ تُفَّاحَةِ الْخَدِّ

ملاحظة المؤلف عليها من حيث المعنى

والَّذي نُلاحظهُ مِنْ حيثُ المعنىٰ : بطلانَ الاستفهامِ الإنكاريِّ في قولهِ : (. . هَلْ أَبْصَرْتُمَا أَو سَمِعْتُمَا) بِمَا كانَ مِنْ هديهِ ﷺ في زيارتهِ لأصحابهِ وأخدامهِ ، حتَّىٰ لقد زارَ غلاماً نَحَّاماً[1] مِنَ اليهودِ .

ملاحظته عليها من حيث اللفظ

ومِنْ حيثُ اللَّفظُ : جَمْعُهُ بينَ السَّعادةِ والسَّعدِ ، وهل هُما إلاَّ كشيءٍ واحدٍ ؟ وجاءَ في الخبرِ : أَنَّ (عِدَةُ الكَرِيْمِ دَيْنٌ)[2] ، و: أَنَّ (لَيُّ الْوَاجِدِ ظُلْمٌ)[3] .

وَمِنْ كلامِهِم : إنَّ المسؤولَ حُرٌّ حتَّىٰ يَعِدَ .

وجوب الوفاء بالوعد

ومِنْ ثَمَّ ذهبَ أَكثرُ الأَئِمَّةِ إلىٰ القولِ بوجوبِ الوفاءِ بالوعدِ ، وهل بَيْعُ العُهْدَةِ[4] المعروفُ بأَرضِنا إلاَّ مبنيٌّ عليهِ ؟ وإنِّي لأَعجبُ مِنَ الإمامِ الشَّافعيِّ ؛ إذْ لا يقولُ بوجوبهِ مع صحَّةِ الأَحاديثِ فيهِ ، وكثرةِ الوعيدِ في الخُلْفِ !

---

(١) النحَّامُ : المصابُ بالسعالِ .

(٢) يقال في الأمثال السائرة : الوعدُ عندَ الحرِّ دَينٌ .

(٣) أخرجه بنحوه عن الشريد أبو داوود (٣٦٢٨)، والنسائي (٤٦٨٩) و(٤٦٩٠)، وابن ماجه (٢٤٢٧)، وابن حبان (٥٠٨٩) بإسناد حسن ، ونحو معناه حديث أبي هريرة عند البخاري (٢٢٨٧) ومسلم (٤٦٨٨) بلفظ « مَطْلُ الغنيِّ ظُلْمٌ » .

(٤) ويسمَّى أيضاً بيع الإقالة : وهو مستجمع لشروط الصحة، إلا أن المشتري يعدُ البائع أنه إذا جاء بمثل الثمن له . . أقاله وردَّ عليه المبيع .

رفع المسهم

وفاء سيدنا أبي بكر عداته ﷺ

وقد وفّىٰ أبو بكرٍ ٱلصِّدِّيقُ سائرَ عِدَاتِهِ ﷺ مِنْ بيتِ ٱلمالِ ، ولو لَمْ تكُنْ دَيناً لازماً . . لَمَا سدَّدَها منهُ . ودعوىٰ ٱلخصوصيَّةِ بهِ ﷺ لابدَّ لها مِنْ دليلٍ .

وفاء عدات سعيد بن العاص

وما كانَ دَينُ سعيدِ بنِ العاصِ ٱلَّذي بِيْعَ فيهِ دارُهُ مِنْ معاويةَ بثلاثِ مئةِ ألفٍ إلاَّ مِنْ هٰذا ٱلقبيلِ . منهُ صكٌّ لبعضِ قريشٍ لا يؤبَهُ لَهُ ، سألوهُ عَنْ سببهِ ، فقالَ : مشيتُ معهُ مرَّةً إلىٰ دارِهِ حتَّىٰ بلغَها ، فقالَ : ما حاجتُكَ؟ قلتُ : لا شيءَ إلاَّ أنَّني رأيتُكَ تمشي وحدَكَ ، فأحببتُ أنْ أصِلَ جناحَكَ ، فكتبَ لِيْ هٰذا الصكَّ ، وٱعتذرَ بعُسْرَةٍ إذْ ذاكَ ، فقالَ لَهُ عمرُو بنُ سعيدٍ : لا جرمَ ، لا تأخُذْها إلاَّ بٱلوافيةِ ، ولا تبرح مكانَكَ حتَّىٰ تقبضَها[1] .

قصيدة شاعرة لبعض شعراء الحماسة

ولله درُّ بعضِ شعراءِ الحماسةِ[2] في قولِهِ [في « شرحِ حماسةِ أبي تمّام » ٢/ ٩٢٣ـ٩٢٥ منَ الطويل] :

مَوَاعِيْدُهُمْ صِدْقٌ إذَا مَا تَكَلَّمُوْا ... بِتِلْكَ ٱلَّتِيْ قَدْ سُمِّيَتْ وَجَبَ ٱلْفِعْلُ

وهو مِنْ كلمةٍ شاعرةٍ تقتضي الجزالةُ ٱستيفاءَها وهيَ :

إِلَىٰ مَضْبَةٍ مِنْ آلِ شَيْبَانَ أُفْرِغَتْ ... لَهَا ٱلذِّرْوَةُ ٱلْعَلْيَاءُ وَٱلْكَاهِلُ ٱلْعَبْلُ[3]

إِلَىٰ ٱلنَّفَرِ ٱلْبِيْضِ ٱلَّذِيْنَ كَأَنَّهُمْ ... صَفَائِحُ يَوْمَ ٱلرَّوْعِ أَخْلَصَهَا ٱلصَّقْلُ

إِلَىٰ مَعْدِنِ ٱلْعِزِّ ٱلْمُؤَيَّدِ وَٱلنَّدَىٰ ... هُنَاكَ هُنَاكَ ٱلْفَضْلُ وَٱلْخُلُقُ ٱلْجَزْلُ

---

(١) راجع القصّةَ كاملة في « الأغاني » (١/ ٣٩) .

(٢) وهوَ : خَلَفُ بنُ خليفةَ مولىٰ قيسِ بنِ ثعلبةَ .

(٣) الكاهلُ : أصلُ العنقِ ، وهوَ الحاركُ . العَبْلُ : الغليظُ ، وهذا مثلٌ لشرفِهم وعلوِّهم .

عِذَابٌ عَلَىٰ ٱلأَكْبَادِ مَا لَمْ يَذُقْهُمُ ... عَدُوٌّ وَفِيْ ٱلأَفْوَاهِ أَسْمَاؤُهُمْ تَحْلُوْ

عَلَيْهِمْ وَقَارُ ٱلْحِلْمِ حَتَّىٰ كَأَنَّمَا ... وَلِيْدُهُمُ مِنْ أَجْلِ هَيْبَتِهِ كَهْلُ

إِذَا ٱسْتُجْهِلُوْا لَمْ يَغْرُبِ ٱلْحِلْمُ عَنْهُمُ ... وَإِنْ آثَرُوْا أَنْ يَجْهَلُوْا كَثُرَ ٱلْجَهْلُ

هُمُ ٱلْجَبَلُ ٱلأَعْلَىٰ إِذَا مَا تَنَاكَرَتْ ... مُلُوْكُ رِجَالٍ أَوْ تَخَاطَرَتِ ٱلْبُزْلُ[1]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْقَتْلَ غَالٍ إِذَا رَضُوْا ... وَإِنْ غَضِبُوْا فِيْ مَوْطِنٍ كَثُرَ ٱلْقَتْلُ

بُحُوْرٌ تُلاَقِيْهَا بُحُوْرٌ غَزِيْرَةٌ ... إِذَا غَضِبَتْ قَيْسٌ وَإِخْوَانُهَا ذُهْلُ[2]

ابن الزبعرى يمدح بني عبد مناف

وقالَ ٱبنُ ٱلزِّبعرىٰ يمدحُ بني عبدِ منافٍ في حديثٍ لا حاجةَ بنا إلىٰ ٱلاستطرادِ بهِ [كما في « شعرِ ٱبنِ ٱلزِّبعرىٰ » ٥٤ منَ ٱلكاملِ] :

يَا أَيُّهَا ٱلرَّجُلُ ٱلْمُحَوِّلُ رَحْلَهُ ... هَلاَّ نَزَلْتَ بِآلِ عَبْدِ مَنَافِ

ٱلْخَالِطِيْنَ فَقِيْرَهُمْ بِغَنِيِّهِمْ ... حَتَّىٰ يَعُوْدَ فَقِيْرُهُمْ كَٱلْكَافِيْ

وَٱلْقَائِلِيْنَ بِكُلِّ وَعْدٍ صَادِقٍ ... وَٱلظَّاعِنِيْنَ لِرِحْلَةِ ٱلإِيْلاَفِ[3]

الحطيئة يمدح آل شماس

وقالَ ٱلحطيئةُ يمدحُ آلَ شمَّاسِ بنِ لوَيٍّ [كما في « ديوانه » منَ الطويل] :

أُوْلَٰئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوْا ٱلْبِنَا ... وَإِنْ عَاهَدُوْا وَفَّوْا وَإِنْ عَقَدُوْا شَدُّوْا

وَإِنْ قَالَ مَوْلاَهُمْ ـ عَلَىٰ جُلِّ حَادِثٍ ... مِنَ ٱلدَّهْرِ ـ رُدُّوْا فَضْلَ أَحْلاَمِكُمْ رَدُّوْا

أَقِلُّوْا عَلَيْهِمْ ـ لاَ أَبَا لأَبِيْكُمُ ـ ... مِنَ ٱللَّوْمِ أَوْ سُدُّوْا ٱلْمَكَانَ ٱلَّذِيْ سَدُّوْا

---

(١) تناكرتْ : تجاحدتْ . تخاطرتْ : حركتْ أذنابَها . البُزْلُ : حسانُ الإبلِ .
والمعنىٰ : أنهمْ بلغوا الذروةَ العُليا مِنَ المكارمِ والشجاعةِ والدهاءِ قولاً وفعلاً على عكسِ غيرِهِمْ .

(٢) قيسٌ وذُهل : ابنا ثعلبةَ ، مِنْ بكرِ بنِ وائلٍ . وشيبانُ مِنْ ذُهلِ بنِ ثعلبةَ .

(٣) كما ذكرها تعالى بسورة مخصوصة .

رفع المسهم

وقالَ أيضاً [في « ديوانه » ٢٥ـ٢٦ منَ البسيط] :

قَـوْمٌ إذَا عَقَـدُوْا [عَقْـداً] لِجَـارِهِـمُ ... شَدُّوْا الْعِنَاجَ وَشَدُّوْا فَوْقَهُ الْكَرَبَا[1]

أُوْلَئِكَ الأَنْـفُ وَالأَذْنَـابُ غَيْرُهُـمُ ... وَمَنْ يُسَاوِيْ بِأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنَبَا[2]

ويُروىٰ للحَسَنِ السبطِ رضوانُ اللهِ عليهِ [منَ البسيط] :

وَلاَ أَقُـوْلُ نَعَـمْ يَـوْمـاً فَـأُتْبِعُهَـا ... خُلْفاً وَلَوْ ذَهَبَتْ بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ

فأَخذَهُ بعضُهُم ، وقالَ [منَ الرَّمَل] :

لاَ تَقُـوْلَـنَّ إذَا مَـا لَـمْ تُـرِدْ ... أَنْ تُتِمَّ الْوَعْدَ فِيْ شَيْءٍ : نَعَمْ

فَـإِذَا قُلْـتَ : نَعَـمْ فَـاصْبِرْ لَهَـا ... بِـوَفَـاءِ الْعَهْـدِ إنَّ الْخُلْـفَ ذَمّْ

وقالَ ابنُ أبي حاتِمٍ [منَ الطويل] :

إذَا قُلْتَ فِيْ شَيْءٍ : نَعَمْ فَأَتِمَّهُ ... فَإِنَّ نَعَمْ دَيْنٌ عَلَىٰ الْحُرِّ وَاجِبُ

وَإِلاَّ فَقُلْ : لاَ ، تَسْتَرِحْ وَتُرِحْ بِهَا ... لِئَلاَّ يَقُوْلَ النَّاسُ : إنَّكَ كَاذِبُ

وقالَ أبو عبادةَ [في « ديوانه » ٢/٦٩٩ منَ الكامل] :

عَجِلٌ إِلَىٰ نُجْحِ الْفَعَالِ كَأَنَّمَا ... يُمْسِيْ عَلَىٰ وِتْرٍ مِنَ الْمَوْعُوْدِ[3]

---

(١) يقول : إذا عَقدوا عقداً لجارهمُ . . وفوا بهِ وأحكموهُ ، وكنىٰ عن ذلكَ بالعِناجِ ، والعِنَاجُ : حبلٌ يشدُّ تحت الدلو ويتصل طرفاه من أعلاها بما يتصل به أذناها . الكَرَبُ : الحبلُ الذي يشدُّ في وسطِ خشبةِ الدلو فوقَ الرشاءِ ليقويه .

(٢) أنفُ الناقةِ : قَصدَ بهِ بغيضاً وأهلَ بيتهِ ، وكانوا يعيَّرونَ بهِ في الجاهليّةِ ، فلمَّا قالَ الحطيئةُ هذا البيت . . صار مدحاً لهم . والأذناب : قصد بها الزبرقانَ وأهلَ بيتهِ .

(٣) الوَتْرُ : الثأرُ .

رفع المسهم

وقالَ [في « ديوانه » ٢/٧٥٩ منَ الطويل] :

كَأَنَّ سَنَاهَا بِالْعَشِيِّ لِصُبْحِهَا تَبَسُّمُ عِيسَىٰ حِينَ يَلْفِظُ بِالْوَعْدِ

وقالَ [في « ديوانه » ٣/٢٠١٢ منَ الطويل] :

إِذَا وَعَدَ ٱرْفَضَّتْ عَطَاءً عِدَاتُهُ وَأَعْرِفُ مِنْهُمْ مَنْ يَحُزُّ وَلاَ يُدْمِي[1]

وقالَ [في « ديوانه » ٢/٨٢٣ منَ الكامل] :

شُكْراً لأَنْعُمِهِ ٱلْجِسَامِ وَلَمْ تَضِعْ نِعَمٌ مَلأْنَ لَهُ ٱلْبِلاَدَ مَحَامِدَا
يُوْلِيْكَ فَضْلاً صَدْرُ قَاصِيهِ ٱلْغِنَىٰ بِعَوَائِدٍ قَدْ كُنَّ أَمْسِ مَوَاعِدَا[2]

وقالَ [في « ديوانه » ٣/١٥٣١ منَ الطويل] :

مَوَاهِبُ أَعْدَادُ ٱلأَمَانِيْ وَبَعْدَهَا عِدَاتٌ يَكَادُ ٱلْعُوْدُ مِنْهُنَّ يُوْرِقُ

وفي عكسِهِ يقولُ بشَّارُ بنُ بردٍ ، وقد وعدَهُ خالدُ بنُ برمكٍ بجائزةٍ ، فتأَخَّرَتْ [في « ديوانه » ٤/٨٩ منَ الطويل] :

أَظَلَّتْ عَلَيْنَا مِنْكَ يَوْماً غَمَامَةٌ أَضَاءَ لَهَا بَرْقٌ وَأَبْطَا رَشَاشُهَا
فَلاَ غَيْمُهَا يُجْلَىٰ فَيَيْأَسَ طَامِعٌ وَلاَ غَيْثُهَا يَأْتِيْ فَتُرْوَىٰ عِطَاشُهَا

وٱمتدحَ أَبو العتاهيةِ عُمرَ بنَ العلاءِ بقولِهِ [في « ديوانه » ٦٠٥-٦٠٦ منَ الكامل] :

أبو العتاهية وعمر بن العلاء

إِنِّيْ أَمِنْتُ مِنَ ٱلزَّمَانِ وَرَيْبِهِ لَمَّا عَلِقْتُ مِنَ ٱلأَمِيْرِ حِبَالاَ
لَوْ يَسْتَطِيْعُ ٱلنَّاسُ فِيْ إِجْلاَلِهِ لَحَذَوْا لَهُ حُرَّ ٱلْوُجُوْهِ نِعَالاَ

---

(١) ارفضَّتْ : تفرَّقَت وذهبَت . العِداتُ ـ جمع العِدَة ـ : وهي الوعد .

(٢) المعنىٰ : أنَّ مَنْ يرجعُ من عندِهِ . . يرجعُ متحققَ الوعودِ بعطايا صيَّرتهُ غنياً .

رفع المسهم

إِنَّ ٱلْمَطَـايَـا تَشْتَكِيـكَ لأَنَّهَـا قَطَعَـتْ إِلَيْـكَ سَبَاسِبـاً وَرِمَـالاَ
فَـإِذَا وَرَدْنَ بِنَـا وَرَدْنَ مُخِفَّـةً وَإِذَا صَـدَرْنَ بِنَـا صَـدَرْنَ ثِقَـالاَ

فرسمَ لَهُ بسبعينَ ألفاً ، فتأخَّرَتْ ، فكتبَ إليهِ [في « ديوانه » ٥٥٧ منَ الطويل] :

أَصَابَتْ عَلَيْنَا جُودَكَ ٱلْعَيْنُ يَا عُمَرْ فَنَحْنُ لَهَا نَبْغِي ٱلتَّمَائِمَ وَٱلنُّشَرْ
أَصَابَتْكَ عَيْنٌ فِي سَخَائِكَ صُلْبَةٌ وَيَا رُبَّ عَيْنٍ صُلْبَةٍ تَقْطَعُ ٱلْحَجَرْ
سَنَرْقِيكَ بِٱلأَشْعَارِ حَتَّىٰ تَمَلَّهَا فَإِنْ لَمْ تُفِقْ مِنْهَا رَقَيْنَاكَ بِٱلسُّوَرْ

وقالَ أيضاً [في « ديوانه » ٥٦٨-٥٦٩ منَ البسيط] :

يَا ٱبْنَ ٱلْعَلاَءِ وَيَا ٱبْنَ ٱلْقَرْمِ مِرْدَاسِ إِنِّيْ ٱمْتَدَحْتُكَ فِيْ صَحْبِيْ وَجُلاَّسِيْ[1]
أُثْنِـيْ عَلَيْـكَ وَلِـيْ حَـالٌ تُكَـذِّبُنِـيْ فِيْمَـا أَقُـوْلُ فَـأَسْتَحْيِـيْ مِـنَ ٱلنَّـاسِ
حَتَّـىٰ إِذَا قِيْـلَ مَـا أَوْلاَكَ مِـنْ مِنَـنٍ طَأْطَأْتُ مِنْ سُوْءِ حَالِيْ عِنْدَهَا رَاسِيْ

فأمرَ حاجبَهُ أنْ يعجِّلَ لَهُ بدفعِ المالِ ، وقالَ : لا تُدخِلْهُ عليَّ حتَّىٰ يقبضَها ؛ فإنِّي مستحٍ منهُ .

وقد جرتْ للعلاَّمةِ ابنِ المقريِّ قضيَّةٌ مِنْ نوعِها مستوفاةٌ في « ديوانِهِ » .

وقالَ محمَّدُ بنُ يزيدَ الأمويُّ لعيسىٰ بنِ فرخانَ شاه يعاتبُهُ [منَ الهَزَجِ] :

لَقَـــدْ كُنْـــتُ أُرَجِّيْـــكَ لِمَـــا أَخْشَـــىٰ مِـــنَ ٱلـــدَّهْـــرِ
فَقَـــدْ أَصْبَحْـــتَ مِـــنْ أَوْكَـــدِ أَسْبَـــابِـــيْ إِلَـــىٰ ٱلْفَقْـــرِ

---

(١) القَرْمُ : سيِّدُ القومِ . قال الشاعر كما في شواهد العربية :
إلـى الملِكِ القـرمِ وابـنِ الهُمـام وليـثِ الكتيبـةِ فـي المـزدَحَـمْ

رفع المسهم

وَقَـــدْ أَفْنَيْـــتُ مَـــا أَفْنَيْـ ـتُ فِـيْ شُكْـرِكَ مِـنْ عُمْـرِيْ
مَـــوَاعِيْـــدٌ كَمَـــا أَخْبَـــتْ سَـــرَابَ ٱلْمَهْمَـــهِ ٱلْقَفْـــرِ
فَمِـــنْ يَـــوْمٍ إِلَـــىٰ يَـــوْمٍ وَمِـــنْ شَهْـــرٍ إِلَـــىٰ شَهْـــرِ
لَعَـــــــلَّ ٱللهَ أَنْ يَصْنَـ ـعَ لِـــيْ مِـــنْ حَيْـــثُ لاَ أَدْرِيْ

دعبل وبعض الأمراء

ووقفَ دِعبِلُ الخزاعيُّ ببعضِ أُمراءِ (الرَّقَّةِ) ، فقالَ : إِنِّي لا أَقولُ كما قالَ صاحبُ معنٍ [في «تاريخ بغداد» ١٣/ ٢٣٩ منَ الوافر] :

بِـأَيِّ ٱلْخُلَّتَيْـنِ عَلَيْـكَ أُثْنِـيْ فَـإِنِّـيْ عِنْـدَ مُنْصَـرَفِـيْ مَسُـوْلُ
أَبِـٱلْحُسْنَىٰ وَلَيْـسَ لَهَـا ضِيَـاءٌ عَلَـيَّ فَمَـنْ يُصَـدِّقُ مَـا أَقُـوْلُ
أَمِ ٱلأُخْرَىٰ وَلَسْتَ لَهَا بِأَهْلٍ وَأَنْـتَ لِكُـلِّ مَكْـرُمَـةٍ فَعُـوْلُ

ولٰكنِّي أَقولُ [كما في « ديوانِ دِعبِل » ٢٢٠ـ٢٢١ منَ الكامل] :

إِنْ قُلْتُ : أَعْطَانِيْ كَذَبْتُ وَإِنْ أَقُلْ: ضَنَّ ٱلأَمِيْرُ بِمَالِهِ .. لَمْ يَجْمُلِ
وَلأَنْتَ أَعْلَمُ بِٱلْمَكَارِمِ وَٱلْعُلاَ مِنْ أَنْ أَقُوْلَ : فَعَلْتَ مَا لَمْ تَفْعَلِ
فَٱخْتَرْ لِنَفْسِكَ مَا أَقُوْلُ فَإِنَّنِيْ لاَ بُدَّ مُخْبِرُهُمْ وَإِنْ لَمْ أُسْأَلِ

قالَ لَهُ : قاتلَكَ اللهُ ، وأَمرَ لَهُ بعشرةِ آلافِ درهمٍ .

الضيف يخبر أهله

وقد سبقَ إِلىٰ المعنىٰ حاتمٌ في قولِهِ [منَ الكامل] :

وَٱعْلَمْ بِأَنَّ ٱلضَّيْفَ مُخْبِرُ أَهْلِهِ بِمَبِيْـتِ لَيْلَتِـهِ وَإِنْ لَـمْ يُسْـأَلِ

ونحنُ ذاكروهُ بما يتعلَّقُ بهِ في غيرِ هٰذا الموضعِ إِنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ .

من روائع البحتري في الاستهزاء والهجاء

وممَّا يستحقُّ أَنْ يُذكَرَ بالإِعجابِ ـ وإِنْ خلا عَنِ ٱلتصريحِ بالاقتضاءِ ، فلنْ يكونَ إِلاَّ مِنْ أَجلِهِ ، وهو موضعُ المناسبةِ ـ قولُ البحتريِّ [في « ديوانِهِ » ٣/ ١٩٧٩ ـ ١٩٨١ منَ الطويل] :

رفع المسهم

وَأَصْيَدَ إِنْ نَازَعْتُهُ ٱللَّحْظَ رَدَّهُ ... كَلِيلاً وَإِنْ رَاجَعْتُهُ ٱلْقَوْلَ جَمْجَمَا[1]

ثَنَاهُ ٱلْعِدَا عَنِّي فَأَصْبَحَ مُعْرِضاً ... وَأَوْهَمَهُ ٱلْوَاشُونَ حَتَّىٰ تَوَهَّمَا

وَقَدْ كَانَ سَهْلاً وَاضِحاً فَتَوَعَّرَتْ ... رُبَاهُ وَطَلْقاً وَاضِحاً فَتَجَهَّمَا

أَلَسْتُ ٱلْمُوَالِيَ فِيكَ غُرَّ قَصَائِدٍ ... هِيَ ٱلأَنْجُمُ ٱقْتَادَتْ مَعَ ٱللَّيْلِ أَنْجُمَا ؟

وَلَوْ أَنَّنِي وَقَّرْتُ شِعْرِي وَقَارَهُ ... وَأَكْرَمْتُ مَدْحِي فِيكَ أَنْ يُتَهَضَّمَا[2]

لأَكْبَرْتُ أَنْ أُومِيَ إِلَيْكَ بِإِصْبَعٍ ... تَضَرُّعُ أَوْ أُدْنِي لِمَعْذِرَةٍ فَمَا

وَكَانَ ٱلَّذِي يَأْتِي بِهِ ٱلدَّهْرُ هَيِّناً ... عَلَيَّ وَلَوْ كَانَ ٱلْحِمَامَ ٱلْمُقَدَّمَا

وَلَكِنَّنِي أُعْلِي مَحَلِّيَ أَنْ أُرَىٰ ... مُدِلاً وَأَسْتَحْيِيكَ أَنْ أَتَعَظَّمَا

وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَؤُوبَ مُمَلَّكاً ... فَأَصْبَحْتُ أَرْجُو أَنْ أَؤُوبَ مُسَلَّمَا[3]

من روائع ابن الرومي في الموضوع

فهٰذا وٱللهِ ٱلشِّعرُ يتفجَّرُ ٱلحَجَرُ لمسِّهِ ، وتهتزُّ ٱلقلوبُ لجرسِهِ ، ولا يقصرُ عنهُ قولُ ٱبنِ ٱلرُّوميِّ يُعاتبُ أَبا ٱلصَّقرِ [كما في « ديوانِهِ » ٢/ ٥١٨-٥٢٠ منَ الطويل] :

عَقِيلَ ٱلنَّدَىٰ أَطْلِقْ مَدَائِحَ جَمَّةً ... خَوَاسِيَ حَرَّىٰ قَدْ أَبَتْ أَنْ تُسَرَّحَا[4]

---

(١) الأَصْيَدُ : الرجلُ يرفع رأسَهُ كبراً ، وقيلَ للملكِ : أَصْيَدُ ؛ لأَنَّهُ لا يلتفِتُ منَ الزهوِ يميناً ولا شمالاً . جمجمَ : لَم يبيِّنْ كلامَهُ .

(٢) يُهضَّمُ : يُظلمُ ويُغتصبُ حقُّهُ .

(٣) أَؤُوبُ : أَعودُ وأَرجعُ .

(٤) الإبلُ المخيَّسةُ : هيَ الإبلُ المحبوسَةُ للنحرِ أو القسمِ ولم تُطلَقْ ، وفي البيتِ كنايةٌ ظاهرةٌ وهيَ جعلُهُ المديحَ الذي هوَ أغلىٰ الكلامِ كالإبلِ التي هي أغلىٰ شيءٍ عندَ العربِ . حَرَّىٰ ـ فَعْلَىٰ من الحرِّ ـ : وهيَ تأنيثُ حرَّانَ ، وهما للمبالغةِ ، يريدُ أنَّها لشدَّةِ حرِّها قد عطشَت ويَبِسَتْ منَ العطشِ ، ومنهُ طرف الحديثِ : « في كُلِّ ذاتِ كبدٍ حرَّىٰ أجرٌ » رواه عن مخوَّل البهزي ابن حبان في «الإحسان» (٥٨٨٢) بسند ضعيف .

رفع المسهم

وَكُنْتَ مَتَىٰ تُنْشَدْ مَدِيحاً ظَلَمْتَهُ ... يَكُنْ لَكَ أَهْجَىٰ كُلَّمَا كَانَ أَمْدَحَا

عَذَرْتُكَ لَوْ كَانَتْ سَمَاءٌ تَقَشَّعَتْ ... سَحَائِبُهَا أَوْ كَانَ رَوْضٌ تَصَوَّحَا[1]

وَلٰكِنَّهَا سُقْيَا حُرِمْتُ رَوِيَّهَا ... وَعَارِضُهَا مُلْقٍ كَلاَكِلَ جُنَّحَا[2]

فَيَا لَكَ بَحْراً لَمْ أَجِدْ فِيهِ مَشْرباً ... عَلَىٰ أَنَّ غَيْرِيْ وَاجِدٌ فِيهِ مَسْبَحَا

غيرَ أَنَّ الأَوَّلَ أَفخمُ وأَملأُ للفمِ ، فما أَبدعَهُ مِنْ قولٍ يَعزُّ علىٰ الفصحاءِ في ميدانِهِ الجولُ .

وقالَ البحتريُّ أَيضاً فيما يشبهُ ما نحنُ فيهِ [كما في « ديوانِهِ » ٤/٢٤٢٢ الشعراء في هذا الميدان مِنَ البسيط] :

يُطِيْلُ تَسْوِيْفَ وَعْدِيْ ثُمَّ يُخْلِفُهُ ... عَمْداً وَيَمْطُلُ دَيْنِيْ ثُمَّ يَلْوِيْهِ[3]

وقالَ [مِنَ الطويل] :

لَئِنْ غَرَّنِيْ مَطْلُ الْبَخِيْلِ لَقَبْلَهُ ... غُرِرْتُ بِإِسْعَافِ الْخَيَالِ الَّذِيْ يَسْرِيْ

وقالَ الناظمُ [في « العُبَرِيّ » ٢/ ٤١ـ٤٢ مِنَ البسيط] :

أَمْسَيْتُ أَرْوَحَ مُثْرٍ خَازِناً وَيَداً ... أَنَا الْغَنِيُّ وَأَمْوَالِيْ الْمَوَاعِيْدُ[4]

إِنِّي نَزَلْتُ بِكَأْبِيْنَ ضَيْفُهُمُ ... عَنِ الْقِرَىٰ وَعَنِ التَّرْحَالِ مَحْدُوْدُ

جُوْدُ الرِّجَالِ مِنَ الأَيْدِيْ وَجُوْدُهُمُ ... مِنَ اللِّسَانِ فَلاَ كَانُوْا وَلاَ الْجُوْدُ

---

(١) أَنقشعَ الغيمُ والسحابُ : إذا كشفتْهُ الريحُ . تصوَّحَ الروضُ : إذا تَمَّ يبسُهُ .

(٢) الكَلاكِلُ : الجماعاتُ .

(٣) مَطَلَ : سوَّفَ الوعدَ مرَّةً بعدَ أُخرىٰ . لَوَىٰ : بمعنىٰ مَطَلَ .

(٤) أَرْوَحَ : مِنَ الراحةِ .

رفع المسهم

وأبطأ رجلٌ بوعدِهِ لأبي العتاهيةِ فقالَ [منَ المنسرح] :

لاَ جَعَلَ اللهُ لِيْ إِلَيْكَ وَلاَ ... عِنْدَكَ مَا عِشْتُ حَاجَةً أَبَدَا
مَا جِئْتُ فِيْ حَاجَةٍ أُقَرِّبُهَا ... إِلاَّ تَبَاعَدْتَ ثُمَّ قُلْتَ غَدَا

وقالَ بشَّارٌ فيما يشبهُ الكلامَ [في « ديوانهِ » ٤/ ٢١١-٢١٢ منَ الطويل] :

وَلاَ تَبْخَلاَ بُخْلَ ابْنِ قَرْعَةَ إِنَّهُ ... مَخَافَةَ أَنْ يُرْجَىٰ نَدَاهُ حَزِيْنُ
إِذَا جِئْتَهُ فِيْ حَاجَةٍ سَدَّ بَابَهُ ... فَلَنْ تَلْقَهُ إِلاَّ وَأَنْتَ كَمِيْنُ

وقالَ كُثَيِّرٌ [في « ديوانهِ » ٥٠٧ منَ الوافر] :

لَوَ انَّ الْبَاخِلِيْنَ وَأَنْتِ مِنْهُمْ ... رَأَوْكِ تَعَلَّمُوْا مِنْكِ الْمِطَالاَ

وقالَ [في « ديوانهِ » ١٤٣ منَ الطويل] :

قَضَىٰ كُلُّ ذِيْ دَيْنٍ فَوَفَّىٰ غَرِيْمَهُ ... وَعَزَّةُ مَمْطُوْلٌ مُعَنًّىٰ غَرِيْمُهَا[1]

فيُحكىٰ [كما في « الأغاني » ٩/ ٣٦] : أَنَّهُ كانَ لكُثَيِّرٍ عبدٌ يبيعُ لهُ الطِّيْبَ مِنَ النِّساءِ ، وَيَنْسَؤُهُنَّ بالثمنِ ، فجاءَ يتقاضاهُنَّ ، فَأَدَّيْنَهُ إلاَّ واحدةً ، لَمْ يعرِفْها لمكانِ البُرقُعِ ، فتمثَّلَ ببيتِ مولاهُ هٰذا ، فقُلْنَ لَهُ : أَتدري مَنْ هٰذهِ ؟! قالَ : لا ، قُلْنَ لهُ : إنَّها عَزَّةُ ، قالَ : أُشهِدُكُمْ أَنَّها في حِلٍّ مِمَّا عندَها ، وأَخبرَ مولاهُ فسُرَّ بصنيعِهِ ، وأَعتقَهُ .

العبد الموفَّق هو الذي يعمل ما يرضي سيده

ويُحكىٰ [كما في « الأغاني » ٩/ ٣٦] : أَنَّ عزَّةَ دخلَتْ علىٰ أُمِّ البنينِ ، فقالتَ لها : ما الدَّيْنُ الذي يتقاضاكِ كُثَيِّرٌ ؟ قالتْ : قُبْلَةٌ وعدتُهُ إيَّاها ، قالتَ : أَنجزيهِ ما وعدْتِ ، وإثمُ ذلكَ عليَّ .

فتوى في الحب

---

(١) المعنَّىٰ ـ مِنَ العناءِ ـ : وهو المشقَّةُ والتعبُ .

رفع المسهم

فكانتْ أُمُّ البنينِ تبكي كلَّما ذكرَتْ فتواها هٰذهِ لِعَزَّةَ ، وأَعتقتْ فيها رِقاباً ، وتصدَّقَتْ .

شر الآفات البخل

وقالَ بعضُهُمْ [منَ الطويل] :

فَإِنْ تُجْمَعِ ٱلآفَاتُ فَٱلْبُخْلُ شَرُّهَا وَشَرٌّ مِنَ ٱلْبُخْلِ ٱلْمَوَاعِيْدُ وَٱلْمَطْلُ

لا شيء أفضل من الصراحة

وَسَأَلَ بعضُهُمْ عَدِيَّ بنَ حاتمٍ حاجةً ، فصرَّحَ بٱلمنعِ ، فقالَ لهُ : كأَنَّكَ لَمْ تكُنْ مِنْ حاتمٍ ؟! فقالَ عديٌّ : إِنْ لَمْ أَكُنْ في الشطرِ الثاني . . فإِنِّي منهُ في الأَوَّلِ ، يعني قولهُ [في « شرح ديوان حاتم » ٥١ منَ الطويل] :

أَمَاوِيَّ إِمَّا مَانِعٌ فَمُبَيَّنٌ وَإِمَّا عَطَاءٌ لاَ يُنَهْنِهُهُ ٱلزَّجْرُ[1]

وصف لبخيل

وقالَ أَعرابيٌّ : فلانٌ لهُ وعدٌ عاقِبَتُهُ المَطلُ ، وثمرتُهُ الخُلْفُ ، ومحصولُهُ اليأسُ .

أول من اخلف المواعيد

وقالَ الثعالبيُّ : أَوَّلُ مَنْ أَخلفَ المواعيدَ ، ولَمْ يَفِ بشيءٍ منها : إِسماعيلُ بنُ صُبَيحٍ ، كاتبُ الرشيدِ ، وما كانتِ الرؤساءُ قبلَهُ تعرفُ ٱلمواعيدَ الكاذبةَ .

دواء ينفع مع اللئيم الحريص

وٱشتهرَ أَحدُ اللِّئامِ بشدَّةِ الحِرصِ ، حتَّىٰ أَيسَ منهُ المكِدُّونَ ، فتذاكروا غِلْظَةَ كَبِدِهِ ، وتحجُّرَ يدِهِ ، فقالَ أَحدهُمْ : أَنا لَهُ ، فقالوا : لَنْ تَقدِرَ منهُ علىٰ شيءٍ ، وخاطَروهُ[2] ، فغدا علىٰ بابِهِ يقرعُهُ قرعاً شديداً ، حتَّىٰ أَضجَرَهُ ، وآلىٰ أَنْ لا ينصرِفَ إِلاَّ بنوالٍ

---

(١) يُنهنِهُهُ : يكفُّهُ .

(٢) التخاطر : التراهن ، وسمي الرهان : مخاطرةً ؛ لما فيه من احتمال فَقْدِ ما يكون فيها أو سلامته .

رفع المسهم

أَو وعدٍ ، فوعدَهُ بدانِقٍ إلىٰ سَنةٍ ، فبكَّرَ إليهِ مِنَ الغدِ ، وأَقلقَ راحتَهُ ، وقال له : أَحْسُبْ فقد مضىٰ مِنَ السنةِ يومٌ ، ولَمْ يزلْ يباكرُهُ بمثلِ ذٰلكَ . . حتَّىٰ ضَيَّقَ عليهِ أَنفاسَهُ ، فرأَىٰ التخلُّصَ بدفعِ الدانِقِ أَهونَ عليهِ ، فنقدَهُ إيَّاهُ ، فأَستحقَّ الخطرَ علىٰ أَصحابِهِ ، ومَا أَظنُّهُ أَهتدىٰ لهٰذِهِ الحيلةِ إلاَّ مِنْ حيثُ فتحَ لهُ بابَها شيخُ (المعرَّةِ) في قولِهِ[في « سقط الزند » ١٦٥ منَ الكامل] :

إِنَّ ٱلْبَخِيلَ إِذَا يُمَدُّ لَهُ ٱلْمَدَىٰ فِيْ ٱلْجُوْدِ هَانَ عَلَيْهِ وَعْدُ ٱلسَّائِلِ

الوعد في الحب

أَمَّا أَقتناعُ المحبِّينَ بألمواعيدِ : فإِنَّهُ حديثٌ آخرُ ، ومنهُ قولُ سلطانِهِمْ [في « ديوان ابن الفارض » ١٣٨ منَ الطويل] :

عِدِينِيْ بِوَصْلٍ وَٱمْطُلِيْ بِنَجَازِهِ فَعِنْدِيْ إِذَا صَحَّ ٱلْهَوَىٰ حَسُنَ ٱلْمَطْلُ

وقولهُ [في « ديوانه » ١١ منَ الرَّمَل] :

أَوْعِدُوْنِيْ أَوْ عِدُوْنِيْ وَٱمْطُلُوْا حُكْمُ دِيْنِ ٱلْحُبِّ دَيْنُ ٱلْحِبِّ لَيْ[1]

الكمُون والمواعيد

ويأْتي ما يتعلَّقُ بهِ في فرصةٍ أَنسبَ لهُ مِنْ هٰذهِ إِنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ ، وما أَدري أَصحيحٌ ما يقالُ : إِنَّ ٱلكَمُّوْنَ يعيشُ بألمواعيدِ أَمْ لا[2] ؟ ففي ذلكَ ينشدونَ [منَ البسيط] :

---

(١) أَوْعِدُوْني : هدِّدوني ، منَ الوعيدِ . عِدُوني : منَ الوعدِ ، يريدُ : أَنَّ حُكمَ دِينِ الحبِّ يُحلِّلُ المماطلةَ في أداءِ دَينِ المحبِّ . قال الشاعر :

وإنـي وإن أوعـدتـه أو وعـدتـه لمخلف إيعـادي ومنجـز مـوعـدي

(٢) يقال : إنَّ الكمُّونَ عندما لا يبقىٰ ماء لسُقياهُ يقولون له : سنسقيك غداً ، فيغنيه هذا الكلام عن السُّقيا ، قال الشاعر :

فَأَصْبَحْتُ كَٱلْكَمُّوْنِ مَاتَتْ عُرُوْقُهُ وَأَغْصَـانُـهُ مِمَّـا يُمَنُّـوْنَـهُ خُضْـرُ

وفي المثل ببلاد الشام : بالوعد يا كمون .

رفع المسهم

يَا لَيْتَنِي كُنْتُ كَمُؤْنَاً بِمَزْرَعَةٍ إِنْ فَاتَهُ السَّقْيُ أَغْنَتْهُ الْمَوَاعِيدُ

التكيد والمن في العطاء في أصدق الكلام

وأَمَّا قولُهُ : (وَلاَ يُنَكِّدُهَا) . . فناظرٌ إلىٰ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ إلى آخر الآيات [البقرة : ٢٦٢ـ٢٦٤] .

ووجهُ مناسبةِ قولِهِ : ﴿والله غني﴾ لِمَا قبلَهُ أَنَّ اللهَ يتلقَّىٰ الصدقةَ بيدِهِ كما فِي « الصَّحِيحَيْن »[1] ، وإِنَّما ينالُهُ مِنْ عبادِهِ التقوىٰ ، واللهُ أعلمُ بمرادِهِ .

التكيد والمن في العطاء عند الشعراء

وقالَ الحطيئةُ [في « ديوانه » ٤١ منَ الطويل] :

وَإِنْ كَانَتِ النَّعْمَاءُ فِيهِمْ جَزَوْا بِهَا وَإِنْ أَنْعَمُوا لاَ كَدَّرُوهَا وَلاَ كَدُّوا

وقالَ الأَعشىٰ يمدحُ المنتشرَ [منَ البسيط] :

مَنْ لَيْسَ فِي خَيْرِهِ مَنٌّ يُكَدِّرُهُ عَلَى الصَّدِيقِ وَلاَ فِي صَفْوِهِ كَدَرُ

وقالَ القطاميُّ [في « ديوانه » ٣٨ منَ الوافر] :

فَلَمْ أَرَ مُنْعِمِينَ أَقَلَّ مِنَّا وَأَكْرَمَ عِنْدَمَا اصْطَنَعُوا اصْطِنَاعَا

مِنَ الْبِيضِ الْوُجُوهِ بَنِي نُفَيْلٍ أَبَتْ أَخْلاَقُهُمْ إِلاَّ اتِّسَاعَا

---

(١) وذلكَ في الحديثِ الذي رواهُ البخاريُّ في (الزكاة) (١٤١٠) ومسلمٌ في (الزكاةِ) (١٠١٤) عَن أَبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ عن رسولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قالَ : « مَن تصدَّقَ بعدلِ تمرة مِن كسبٍ طيِّبٍ ـ ولاَ يقبلُ اللهُ إلاَّ الطيِّبَ ـ فإن اللهَ يتقبلها بيمينهِ ثم يربِّيها لصاحبها كما يُرَبِّي أَحدُكُم فلُوَّهُ أَو قَلوصَهُ، حتَّى تكونَ مثلَ الجبلِ » واللفظ للبخاري .

رفع المسهم

وقولُهُ : (أَقَلَّ مِنَّا) شبيهٌ بما مَرَّ القولُ فيهِ مِنْ نَفْيِ الشيءِ بإيجابِهِ ، والمرادُ : عدمُ المَنِّ ، كما في قولِهِمْ عَنْ وصفِهِ ﷺ : (كانَ يُقِلُّ اللَّغْوَ) ؛ إذِ المرادُ منهُ : أَنَّهُ لا يقولُ لغواً أبداً .

وقالَ جريرٌ يمدحُ بني أُميَّةَ [منَ البسيط] :

أَعْطَوْا هُنَيْدَةَ يَحْدُوْهَا ثَمَانِيَةً ... مَا فِيْ عَطَائِهِمُ مَنٌّ وَلاَ سَرَفُ

وقالَ الأَخطلُ [في « ديوانهِ » ١٧٢ منَ البسيط] :

بَنِـيْ أُمَيَّـةَ نُعْمَـاكُـمْ مُجَلَّلَـةٌ ... تَمَّـتْ فَـلاَ مِنَّـةٌ فِيْهَـا وَلاَ كَـدَرُ

وقالَ أَبو قابوسٍ يمدحُ يحيىٰ بنَ خالدٍ البرمكيَّ [منَ البسيط] :

يَنْسَىٰ ٱلَّذِيْ كَانَ مِنْ مَعْرُوْفِهِ أَبَداً ... إِلَىٰ ٱلرِّجَالِ وَلاَ يَنْسَىٰ ٱلَّذِيْ يَعِدُ

لا تنس حاجتي أيها الأمير

وقالَ رجلٌ لمسلمِ بنِ قريشٍ : لا تنسَ حاجتِي أَيُّها ٱلأَميرُ ، قالَ : لنْ أَنساها إلاَّ إذا قضيْتُها .

وقالَ أَبو عبادةَ [في « ديوانه » ٣/ ١٣٩٧ منَ الطويل] :

كَرُمْتَ فَمَا كَدَّرْتَ نَيْلَكَ عِنْدَنَا ... بِمَنٍّ وَلاَ أَتْبَعْتَ وَعْدَكَ بِٱلْخُلْفِ

تكرار هذا المعنى عند المتنبي

وأَكثرَ الناظمُ في المعنىٰ فمنهُ قولُهُ [في « العُكْبَريِّ » ٤/ ٦٥ منَ المنسرح] :

تَظُنُّ مِـنْ فَقْـدِكَ ٱعْتِـدَادَهُـمُ ... أَنَّهُـمُ أَنْعَمُـوْا وَمَـا عَلِمُـوْا

وقولُهُ [في « العُكْبَريِّ » ١/ ١٧٣ منَ البسيط] :

إِلَىٰ ٱلَّذِيْ تَهَبُ ٱلدَّوْلاَتِ رَاحَتُهُ ... وَلاَ يَمُنُّ عَلَىٰ آثَارِ مَوْهُوْبِ[1]

---

(١) الدَّولاتُ : تعريضٌ بسيفِ الدولةِ ، يريدُ : أَنَّهُ ملكٌ عظيمٌ تصلُ عطاياهُ إلىٰ الدولاتِ .

رفع المسهم

وقولُهُ ـ وقد تقدَّمَ ـ [في « المُكْبَريٌ » ٣/ ٨٧ منَ البسيط] :

أَنْتَ ٱلْجَوَادُ بِلاَ مَنٍّ وَلاَ كَدَرٍ وَلاَ مِطَالٍ وَلاَ وَعْدٍ وَلاَ مَذَلِ[1]

وقولُهُ [في « المُكْبَريٌ » ٣/ ٢٥٨ منَ الكامل] :

سَتَرُوْا ٱلنَّدَىٰ سَتْرَ ٱلْغُرَابِ سِفَادَهُ فَبَدَا وَهَلْ يَخْفَىٰ ٱلرَّبَابُ ٱلْهَاطِلُ[2] ؟

ام جعفر البرمكي تصف أولادها

وقالَ بعضُ الهاشميِّينَ : كانتْ أُمُّ جعفرٍ البرمكيُّ تزورُنا ـ وهيَ امرأةٌ جَزْلةٌ ـ فسألْتُها يوماً عَنْ حالِ ولديها : (الفضلِ وجعفرٍ) ، قالتْ : لا أَزيدُكَ علىٰ واقعةٍ لهما وهما طفلانِ : عادَ يحيىٰ إلىٰ البيتِ بعدَ فراغهِ مِنْ شُغْلِ السلطانِ ، فقالَ لجعفر : بلَغني أَنَّكَ تلعبُ الشطرنجَ ، قالَ : نعم ، قالَ : فهل لكَ أَنْ تلعبَ معَ أَخيكَ؟ قالَ : نعم ، فاعتذرَ الفضلُ ، فقالَ يحيىٰ : أَتلعبُ معهُ عَلىٰ المُقامرَةِ ، وأَنا في جانبِهِ؟ قال : نعم ، فامتنعَ الفضلُ واستحيا ، فانصرفَ ، فترىٰ أَنَّ جعفراً أَخطأَ مِنْ جهاتٍ ، وعزمَ اللهُ للفضلِ بالثباتِ .

ولمّا ظننَّا أَنَّها قضَتْ لهُ علىٰ جعفرٍ . . قالَتْ : فخلوتُ بجعفرٍ ، وقلتُ لهُ : تعرفُ أَنَّ أَباكَ يكرَهُ اللعِبَ ، وقد صارحتَهُ بأَنَّكَ تلعبُ! قالَ : ذاكَ أَهونُ عليَّ مِنْ أَنْ أَكْذِبَهُ . قلتُ لهُ : وحَرَصتَ علىٰ أَنْ تُخَجِّلَ أَخاكَ بغَلَبَتِهِ! قالَ : أَعرفُ تفوُّقَهُ عليَّ ، ولو ضَعُفَ . .

---

(١) المَذَلُ : الفترةُ والضجرُ .

(٢) سَفِدَ يَسفَدُ سفاداً : هو نَزْوُ الذكرِ على الأنثىٰ ، يقالُ ذلك في التيسِ والبعيرِ والثورِ والطيرِ والسباعِ . والربابُ : غيمٌ يتعلَّقُ بأَسافلِ السحابِ إذا كَثُرَ ماؤُهُ . والمعنىٰ : أَنَّهم يكتمونَ معروفَهم كما يكتمُ الغرابُ سفادَهُ ، ثُمَّ ذلكَ لا يُكتَمُ كما لا يخفىٰ السحابُ الهاطلُ .

رفع المسهم

لانغلبْتُ لهُ . قلتُ : وأكبرُ مِنْ ذلكَ كلِّهِ رضاكَ بالمُقامرةِ! قالَ : ما حملني عليها إلاَّ أنَّ الرشيدَ أعطاني دواةً مِنَ الجوهَرِ ، ورأيتُ أخي يستحسنُها ، وكرهْتُ أنْ يرىٰ لي مِنَّةً عليهِ إنْ أنا أهديتُها لهُ ، فأحببْتُ أنْ يأخذَها بالغَلَبَةِ ؛ لتكونَ أهنأَ لهُ . قلتُ لهُ : وقاصِمَةُ الظَّهْرِ ، رضاكَ بمغالبَةِ أبيكَ!! قالَ : قد عرفْتِ جوابَها مِنِ انْغلابي لا محالةَ ، وإنَّما أردْتُ تشجيعَ أخي علىٰ اللعِبِ حتَّىٰ يستأثِرَ بالدَّواةِ ، فصبرْتُ للجُرأةِ علىٰ أبي مِنْ أجلِ ذلكَ . قالَ الهاشميُّ : فقلتُ لَها : أكانَ ذلكَ وقد بلغا الحُلُمَ؟ قالتْ : أينَ يُذهَبُ بكَ؟! أما قلتُ لكَ : إنَّهما طفلانِ ، إنَّ الصبيَّ إذا بَلَغَ عشْراً لَمْ نُمَكِّنْهُ أنْ يتبسَّمَ بمحضرِ الرجالِ .

أصبحت بيوتنا كالأسواق

وأقولُ : إنَّ آخرَها ليسَ بأكبرَ ممّا رُويَ عَنْ بعضِ أجدادِنا العلويِّينَ أنَّهُ قالَ : جئْتُ وأنا في التاسِعَةِ مِنْ عُمُرِي ، وأُمِّي تُسبِّحُ الضُّحىٰ ، فرأيتُ ما ارتفعَ لهُ صوتي قليلاً بالضحكِ ، فما انفتلَتْ أُمِّي مِنْ صلاتِهَا . . إلاَّ وقد بلَّتْ خِمارَها بالدموعِ تسترجعُ ، وتقولُ : لقد أصبحَتْ بيوتُنا شبيهةً بالأسواقِ ، وما كانَ يُسمَعُ فيها إلاَّ ذِكْرُ اللهِ ، وتلاوةُ القرآنِ ، فقالتْ لي أُختي مريمُ : هل لكَ في التوبةِ؟ قلتُ : نَعم ، وتبتُ علىٰ يدها ، وأخذْتُ ميثاقي علىٰ أنْ لا أعودَ إلىٰ مثلِها ، وبقيَ الخدَمُ سنَةً يُؤَنِّبوني ، ويقولونَ : توبةٌ مقبولةٌ .

مديح البرامكة

ولقد صدقَ أشجعُ في قولِهِ عَنِ البرامِكةِ عامَّةً ، وعَنْ جعفرٍ خاصَّةً [في « ديوانه » ٢٢٠ منَ الكامل] :

سَادَ ٱلْبَرَامِكَ جَعْفَرٌ وَهُمُ ٱلأُولَىٰ بَعْدَ ٱلْخَلاَئِفِ سَادَةُ ٱلإِنْسِ

رفع المسهم

وصدقتُ أنَا في قولِي عَنْ لَهاميمِ[1] السابقينَ مِنْ العلويِّينَ [في « ديوان المؤلف » ٢٢٦ منَ الطويل] :

قصائد للمؤلف في مدح العلويين

مَلاَئِكَةٌ فِيْ سَمْتِهِمْ وَلَدَىٰ ٱلْوَغَىٰ ... لُيُوْثٌ لَهُمْ فِيْ ٱلْمَشْرِفِيَّةِ أَخْيَاسُ
عَلَيْهِمْ مِنَ ٱلْبَارِيْ وَقَارٌ لأَنَّهُمْ ... بِأَرْوَاحِهِمْ فِيْ حَضْرَةِ ٱلْقُدْسِ جُلاَّسُ[2]

وقولي [كمافي « ديوان المؤلف » ١٢١ منَ الطويل] :

وَمَنْ دَرَجُوْا عَنْ وَكْرِهِمْ مِنْ أَئِمَّةٍ ... بِبَأْسٍ مُلُوْكٍ فِيْ لِبَاسِ مَلاَئِكِ
نُجُوْمُ ٱلْهُدَىٰ مِنْ بَأْسِهِمْ يَنْمَحِيْ ٱلرَّدَىٰ ... وَتَعْنُوْ ٱلْعِدَا مِنْ فَتْكِهِمْ فِيْ ٱلْمَعَارِكِ[3]

وقولي [كما في « ديوان المؤلف » ٢٥١ منَ الطويل] :

لَيَالِيَ كَانَ ٱلْحَيُّ يَزْهُوْ بِجِيْرَةٍ ... لَهُمْ حِلْيَةُ ٱلتَّقْوَىٰ إِلَىٰ رِقَّةِ ٱلطَّبْعِ
مَرَاجِيْحُ سَبَّاقُوْنَ فِيْ ٱلْمَجْدِ لَمْ يُرِدْ ... بِهِمْ [رَبُّهُمْ] لِلْعَالَمِيْنَ سِوَىٰ ٱلنَّفْعِ[4]

في كثيرٍ مِنْ أَمثالِ ذلكَ .

أبلغ ما روي في تعاظم السائل وسماحة المسؤول

ومِنْ أَبلغِ ما سمِعنا في تعاظُمِ السائلِ ، وسماحةِ نَفْسِ المسؤولِ ، ما ذُكرَ عَنْ بعضِهِم ـ وأَظنُّهُ المهلَّبَ بنَ أَبي صُفرةَ بعدَ ذهابِ دولتِهِ ، وزوالِ نعمتِهِ ـ : أَنَّهُ تحمَّلَ أَلفَ بعيرٍ في الإِصلاحِ ،

---

(١) لهاميم ـ جمعُ لِهميم ـ : وَهوَ السابقُ الجوَادُ .

(٢) في « الديوان » (٢٢٦) :

مَلاَئِكَةٌ فِيْ سَمْتِهِمْ وَلَدَىٰ ٱلْوَغَىٰ ... لُيُوْثُ ٱلشَّرَىٰ وَٱلْمَشْرَفِيَّاتُ أَخْيَاسُ
عَلَيْهِمْ مِنَ ٱلْبَارِيْ ٱلْوَقَارُ وَكَيْفَ لاَ ... وَهُمْ بِٱلنُّهَىٰ فِيْ حَضْرَةِ ٱلْقُدْسِ جُلاَّسُ

الشَّرىٰ : جبيلٌ بـ(تهامةَ) كثيرُ السباعِ . المشرفياتُ : سيوفٌ معروفةٌ . أخياسُ : ملتفة ، وأصله الشجرُ الملتفُّ .

(٣) تعْنُوا : تخضعُ .

(٤) مراجيحُ : حلماءُ .

رفع المسهم

فقصدَ مَلِكَ (العراقِ) ، وهوَ ٱلكوثرُ بنُ ٱلصَّعرِ ـ فيما إخالُ ـ وقالَ لهُ : الأَملُ أَوقفني ببابِكَ ، وحُسْنُ الظنِّ ساقني إليكَ ، وكما لَمْ أَصُنْ وجهي عَنْ سؤَالِكَ . . صُنْ وجهَكَ عَنْ رَدِّي ، وأَنهىٰ لهُ القصَّةَ ، وأَنشدَ [منَ الوافر] :

وَكُنْتُ خَبَأْتُ آمَالِيْ لِيَوْمٍ ... فَهَذَا ٱلْيَوْمُ يَوْمُكَ وَٱلسَّلاَمُ
وَكُنْتُ أُطَالِبُ ٱلدُّنْيَا بِحُرٍّ ... فَأَنْتَ ٱلْحُرُّ وَٱنْقَطَعَ ٱلْكَلاَمُ

فاهتزَّ ، وأَمرَ لهُ بها وبمثلِها معها ، فقالَ : أَمَّا هيَ . . فمقبولةٌ ؛ لأَنَّها المَطلَبُ ، وأَمَّا الباقي . . فلا حاجَةَ لي فيهِ ، وليسَ الذي أَعطيتَني بأَفضلَ مِنَ ٱلذي أَعطيتُكَ ـ يعني ماءَ وجهِهِ ـ فما كانَ مِنَ ٱلأَميرِ إلاَّ أَنْ نزلَ عَنْ تكرمتِهِ ، وأَقعدَ المهلَّبَ عليها ، وتوسَّلَ إليهِ بضراعةٍ وإلحاحٍ أَنْ لا يردَّ عطيَّتَهُ ، وأَنْ لا يقمَأَهُ[1] بعدَمِ قَبولها ، ففعلَ وما كادَ .

مديح المتنبي لطاهر بن الحسين وجلوس الممدوح بين يدي الشاعر

ولا يبعدُ عنها ما كانَ مِنْ طاهرِ بنِ الحُسينِ ، فإنَّ الناظمَ ٱمتدحَهُ بطلبٍ مِنْ أَبي محمَّدِ بنِ طُغْجٍ ، ثُمَّ ركبَ إليهِ هوَ وإيَّاهُ ، فنزلَ طاهرٌ عَنْ سريرِهِ ، وأَجلسَ الناظمَ علىٰ مرتبتِهِ ، ثمَّ أَنشدَهُ القصيدةَ المُستهلَّةَ بقولِهِ [في « العُكْبَريِّ » ١/١٤٧ منَ الطويل] :

أَعِيْدُوْا صَبَاحِيْ فَهْوَ عِنْدَ ٱلكَوَاعِبِ ... [وَرُدُّوْا رُقَادِيْ فَهْوَ لَحْظُ ٱلْحَبَايِبِ][2]

فخلعَ عليهِ خِلَعاً نفيسةً ، قالَ بعضُ مَنْ حضرَ : ما رأَيتُ ولا سمعتُ أَنَّ شاعراً جلسَ الممدوحُ بينَ يديهِ مستمعاً لمدحهِ سوىٰ ما كانَ مِنْ طاهرٍ مَعَ أَبي الطيِّبِ .

---

(١) يقمأه : يُصغره .

(٢) الكواعبُ ـ جمعُ كاعبٍ ـ : وهي الجاريةُ التي قد علا نهدها .

رفع المسهم

العفة في السؤال وحفظ ماء الوجه

وما أَحسنَ قولَ أَبي تمَّامٍ [في « ديوانهِ » ٢/ ٣٥٣ منَ البسيط] :

مَا مَاءُ كَفِّكَ إِنْ جَادَتْ وَإِنْ بَخِلَتْ مِنْ مَاءِ وَجْهِيَ إِنْ أَفْنَيْتُهُ عِوَضُ(١)

وقولَهُ [في « ديوانهِ » ١/ ١٦٢ منَ البسيط] :

أَعْطَىٰ وَنُطْفَةُ وَجْهِيْ فِيْ قَرَارَتِهَا تَصُوْنُهَا ٱلْوَجَنَاتُ ٱلْغَضَّةُ ٱلْقُشُبُ(٢)

لاَ يَكْرُمُ ٱلظَّفَرُ ٱلْمُعْطَىٰ وَإِنْ حَصَلَتْ بِهِ ٱلرَّغَائِبُ حَتَّىٰ يَكْرُمَ ٱلطَّلَبُ

وقالَ أَبو عُبادةَ [في « ديوانهِ » ٤/ ٢٠٩٤ منَ الطويل] :

وَمَا خَطَرِيْ دُوْنَ ٱلْغِنَىٰ إِنْ بَلَغْتُهُ سُؤَالاً وَلاَ عِرْضِيَ نَظِيْرُ ٱلدَّرَاهِمِ

وقالَ مهيارٌ [في « ديوانهِ » ٣/ ٣٤٦ منَ الطويل] :

تَنَفَّسْتُ عَنْ عَتْبٍ فُؤَادِيَ مُفْصِحٌ بِهِ وَلِسَانِيْ لِلْحِفَاظِ يُجَمْجِمُ(٣)

وَفِيْ فِيَّ مَاءٌ مِنْ بَقَايَا وِدَادِكُمْ كَثِيْراً بِهِ مِنْ مَاءِ وَجْهِيْ أَرَقْتُمُ

جابر عثرات الكرام

ويُحْكَىٰ : أَنَّ بعضَ الكرامِ أَملقَ في العهدِ الأُمويِّ ، وٱرتكبتْهُ الديونُ فقبعَ في كِسْرِ بيتِهِ ، ولَمْ يشعُرْ في إِحدىٰ الليالي إِلاَّ بطارقٍ يقرعُ بابَهُ ، وفي يَدِهِ خمسةُ آلافِ دينارٍ دفعَها إِليهِ ، فسألَهُ عَنِ ٱسمِهِ ، فلَمْ يزدهُ علىٰ أَنْ قالَ لَهُ : أَنا جابرُ عثراتِ الكرامِ ، فقضىٰ الرجلُ دينَهُ ، وأَصلحَ شأنَهُ ، وتجهَّزَ للوفادةِ علىٰ الخليفةِ ، فولاَّهُ تلكَ الناحيةِ ، وأَمرَهُ أَنْ يأْخُذَ سَلَفَهُ بما عندهُ ، وأَنْ يناقشَهُ

---

(١) ماءُ الوجه : رَونقُهُ ؛ أَي: إِنَّ كَرامتي أَعظمُ مِن أَخلاقِكَ في حالتي الدفعِ والمنعِ .

(٢) النطفةُ : الماءُ القليلُ ، استعارَها لماءِ الوجهِ . القرارَةُ : المطمئنُّ مِنَ الأَرضِ . الغَضَّةُ : الطريَّةُ . القُشُبُ : البِيضُ .

(٣) الحفاظُ : المنعةُ والإِباءُ . يجمجمُ : لا يبيِّنُ الكلامَ مِن غيرِ عِيٍّ

رفع المسهم

الحسابَ ، فسدَّدَ المعزولُ ما في جرائِدِهِ ، غيرَ أَنَّهُ عجَزَ عَنْ خمسةِ آلافِ دينارٍ ، فأَودعهُ السجنَ مِنْ أَجلِها ، فأَرادتْهُ أمرأَتهُ علىٰ أَنْ يستعرِفَ للأَميرِ ، فلَمْ يرضَ ، فما كانَ منها إلاَّ أَنْ ركبتْ إليهِ بعدَ هدأَةٍ مِنَ الليلِ ، وقالتْ لهُ : تدري مَنْ في سجنِكَ؟ قالَ : فلانٌ ، قالتْ : إِنَّهُ لَفلانٌ ، وإِنَّهُ لَجابرُ عثراتِ الكرامِ ، فأَضطربَ ، وأسترجعَ ، وكادَ أَنْ يُغشىٰ عليهِ ، وذهبَ مِنْ ساعتِهِ ، وأَطلقَ وثاقَهُ بيدِهِ ، ورفعَ قدرَهُ ، وأَكرمَ مثواهُ ، وطالعَ الخليفةَ بألحالِ ، فأستسنىٰ[1] قيمتَهُما ، وبالغَ في الإِنعامِ عليهما ، وأَبقىٰ العملَ شركةً بينهُما في تلكَ الناحيةِ ، فعاشا أَرغدَ عيشٍ وأَهناهُ ، فرحمةُ اللهِ علىٰ أَهلِ الجودِ والوَفاءِ ، وأَنَّىٰ بهمْ الآنَ[2] ؟!

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ ٱلْحَجُوْنِ إِلَىٰ ٱلصَّفَا ... [أَنِيْسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ][3]

غَاضَ ٱلْوَفَاءُ وَفَاضَ ٱلْغَدْرُ وَٱنْفَرَجَتْ ... مَسَافَةُ ٱلْخُلْفِ بَيْنَ ٱلْقَوْلِ وَٱلْعَمَلِ[4]

الخلف أقبح من البخل

وقالوا : إِنَّ ٱلخُلْفَ أَقبحُ مِنَ البخلِ ؛ لاشتمالِهِ علىٰ ثلاثٍ مِنَ ٱلمذامِّ : الكذبُ ، واللؤمُ ، وتخييبُ الأَملِ .

---

(١) استسنىٰ ـ مأخوذٌ مِنَ السناءِ ـ : وهو الرفعةُ . وأَسناهُ : رفعَ قيمته .

(٢) قال بهذا المعنى أحدهم :

مات الرجال ومضوا وانقضوا ... وماتتْ معَهم تلك الكراماتُ

وخلَّفوني في قومٍ ذَوي بُخُلٍ ... لو أبْصَروا طَيْفَ ضيفٍ في الكَرَىٰ ماتوا

وقال آخر :

رأى الصيفَ مكتوباً على باب دارِهِ ... فصحَّفَهُ ضيفاً فماتَ من الذعرِ

(٣) البيت من الطويل .

(٤) هذا البيت من « لامية العجم » وهو من الطويل .

رفع المسهم

وقالَ زيادٌ الأعجمُ [في « شعره » ١٦١ من مجزوء الكامل] :

لله دَرُّكَ مِـــــنْ فَتَـــــىً لَـوْ كُنْـتَ تَفْعَـلُ مَـا تَقُـوْلْ
لاَ خَيْـرَ فِـي كَـذِبِ الْجَـوَا دِ وَحَبَّـذَا كَـذِبُ الْبَخِيْـلْ

كيف كانت البطيخة؟؟

ومِنْ أَقبحِ ما ذَكروا في المَنِّ : أَنَّ رجلاً أَهدىٰ بِطِّيْخَةً إِلىٰ الأَعمشِ ، فلاقاهُ في اليومِ الثاني ، وقالَ لهُ : كيفَ كانتِ البِطِّيْخَةُ يا أَبا محمَّدٍ؟! فقالَ : طيِّبَةٌ ، فأَعادَ عليهِ القولَ ثانياً ، فقالَ لهُ : إِنْ كففْتَ وإِلاَّ قِتُّها .

أبو الهذيل والدجاجة المهداة

وأَنَّ أَبا الهذيلِ أَهدىٰ إِلىٰ أُستاذٍ لهُ دجاجةً ، فجعلها تاريخاً لكلِّ كبيرٍ وصغيرٍ مِنْ شأْنِهِ ، فيقولُ : جاءَ الأَميرُ يومَ أَهديْتُ الدجاجةَ ، وماتَ القاضي بعدَ إِهداءِ الدجاجةِ بعشرةِ أَيَّامٍ ، وهٰكذا .

وما أَحسنَ قولَ البُحتريِّ [في « ديوانه » ١/ ٥١٠ منَ الخفيف] :

وَمِـنَ النَّـاسِ مَـنْ يُنَـاكِـدُ حَتَّـىٰ إِنَّ فَنَـاً مِـنَ النَّسِيْئَـةِ نَقْـدُهْ[1]

وقولَ الناظمِ [في « العُبَريِّ » ٤/ ٢٣٦ منَ البسيط] :

وَتَغْضَبُوْنَ عَلَىٰ مَنْ نَالَ رِفْدَكُمُ حَتَّىٰ يُعَاقِبَهُ التَّنْغِيْصُ وَالْمِنَنُ

وهوَ أَحدُ معاني قولِهِ [في « العُبَريِّ » ١/ ١٨٥ منَ الطويل] :

وَأَظْلَمُ أَهْلِ الظُّلْمِ مَنْ بَاتَ حَاسِداً لِمَـنْ بَـاتَ فِـيْ مَعْـرُوْفِـهِ يَتَقَلَّـبُ

---

(١) النسيئةُ : التأخيرُ، والدَّينُ المؤجل ومنه قول ابن عوف: ما بعت نسيئة ولا احتقرت ربحاً .

رفع المسهم

وقالَ شاعرُ (المعرَّةِ) [في « سقطِ الزندِ » ١٥٧٠ منَ البسيط] :

وَدَعْ أُنَاساً إذَا أَجْدَوْا عَلَىٰ رَجُلٍ رَنَوْا إلَيْهِ بِعَيْنِ الْمُغْضَبِ الْحَنِقِ[1]

* * *

(١) أَجدوا على رجلٍ : أَنعموا عليهِ ، مِنَ الجِدَا ، وهوَ العطاءُ . رَنا : أَدامَ النظرَ . الحَنِقُ : الحاقِدُ .

رفع المسهم

[قالَ أَبو الطيِّب المتنبِّي في « العُكْبَريِّ » ١/ ٣٠٨ منَ المنسرح]:

أَصْبَحَ حُسَّادُهُ وَأَنْفُسُهُمْ يُحْدِرُهَا خَوْفُهُ وَيُصْعِدُهَا

صفات الخائف

لا يُنكَرُ أَنَّ سَحْرَ[1] الخائفِ كلَّما انتفخَ .. تصعَّدَ النَّفَسُ ، وكلَّمَا خلا .. انحدرَ ، ومِنْ لازمِ الانتفاخِ الضغطُ علىٰ القلبِ ، حتَّىٰ ربَّما بلغَ الحَنْجَرَةَ ، كما في الذِّكْرِ الحكيمِ[2] . وأَصلُ المعنىٰ مِنْ قولِهِ ﷺ : « نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ »[3] .

ماذا يعمل الخوف

ولمَّا سُئِلَ أَميرُ المؤمنينَ [عليٌّ رضي الله عنه] عمَّا غرسَ لهُ الهيبةَ في القلوبِ .. قالَ : (إِنِّي أَعمدُ إِلىٰ الجَبانِ فأَصرعُهُ ، ثمَّ لا أَنثني إِلىٰ الشجاعِ إِلاَّ وقد ذهبَ نصفُهُ) ، وهوَ في هٰذا هاضمٌ لنفسِهِ ، وإِلاَّ .. فالأَمرُ مِنْ فوقِ ذلكَ .

صور من شجاعة الإمام علي عليه السلام

ولمَّا أَرتدَّ عمرُو بنُ معدِيكربَ الزبيديُّ معَ مَنِ أَرتدَّ مِنْ (مذحجٍ) .. وجَّهَ النبيُّ ﷺ خالدَ بنَ سعيدِ بنِ العاصِ ، وخالدَ بنَ الوليدِ ، وعليهم عليُّ أَبنُ أَبي طالبٍ ، فيُروىٰ أَنَّهُ لمَّا بلغَ عَمْراً قُرْبُ

---

(١) السَّحْرُ : الرِّئَةُ، تقول عائشة رضي الله عنها: (قبض رسول الله ﷺ بين سَحري ونحري) .

(٢) كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ﴾ [الأحزاب : ١٠] ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ﴾ [غافر : ١٨] .

(٣) رواهُ عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عنهُما البخاريُّ (٣٣٥) ، وفي الباب : عَن أَبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ عند مسلمٌ (٥٢٣) .

رفع المسهم

مكانِهِمْ . . أَقبلَ في جماعةٍ مِنْ قومِهِ ، وقالَ : دعوني آتي هـٰؤلاءِ القومِ ؛ فإنِّي لَمْ أُسَمَّ لأَحدٍ قطُّ إلاَّ هابَني ، فلمَّا دَنا منهُمْ . . قالَ : أَنا أَبو ثورٍ ، أَنا عمرُو بنُ معدِيكربَ ، فأبتدرَهُ عليٌّ وخالدٌ [رضي الله عنهما]، كلاهما يقولُ لصاحبِهِ : دعني وإِيَّاهُ ، ويفديهِ بأَبيهِ وأُمِّهِ ، فقالَ عمرٌو عندَ ذلكَ : العربُ تفزعُ منِّي ، وأَراني جَزْراً لهـٰؤلاءِ ، فأنصرفَ عنهُمْ ، ثمَّ رجعَ إلىٰ الإسلامِ[1] .

ومِنْ هـٰذا أَخذَ مهيارٌ الديلميُّ قولَهُ [في « ديوانِهِ » ٤/ ٣٢ منَ الكامل] :

وَإِذا رَأَوْكَ تَفَرَّقَتْ أَرْوَاحُهُمْ ... فَكَأَنَّمَا عَرَفَتْكَ قَبْلَ ٱلأَعْيُنِ

فَإِذَا أَرَدْتَ بِأَنْ تَفُلَّ كَتِيْبَةً ... لاَقَيْتَهَا فَتَسَمَّ فِيْهَا وَٱكْتَنِ

وفي الجزءِ الثالثِ (ص ١٢٨) مِنْ « شرحِ نهجِ البلاغةِ » : أَنَّهم أَجتمعوا بموضعٍ يقالُ لهُ : (كَسْرٌ) فأقتتلوا هناكَ ، وصمدَ[2] عمرٌو لعليٍّ ، فعاينَ منهُ ما لَمْ يحتسبْهُ ، ففرَّ مِنْ بينِ يدهِ هارباً بحشاشةِ نفسهِ ، وفرَّ معهُ رؤَساءُ (مذحجٍ) وفرسانُهُمْ ، وغَنِمَ المسلمونَ أَموالَهُمْ ، وسُبِيَتْ في ذلكَ اليومِ ريحانةُ أُختُ عمرٍو .

وقولُهُ : بموضعٍ يقالُ لهُ : (كَسْرٌ) لاَ يبعدُ أَنْ يكونَ المرادُ بهِ

---

(١) في « شرح النهج » (١٢/ ١٢٠) قريبٍ مِن هذا اللفظ ، ولكنَّ الذي يناسبُ موضوعَنا هوَ ما جاءَ في « شرحِ النهجِ » (١٠/ ٢٥٩) أَنَّ سيدَنا عمرَ بنَ الخطَّابِ كتبَ إلىٰ عمرِو بنِ معديكربَ ـ وهوَ شجاعُ العربِ الذي تضربُ فيهِ الأمثالُ ـ في أمرٍ أَنكرهُ عليهِ :

أَمَا واللهِ : لئن أَقمتَ علىٰ ما أَنتَ عليهِ . . لأَبعثنَّ إليكَ رجلاً تستصغرُ معهُ نفسكَ ، يضعُ سيفَه علىٰ هامتِكَ ، فيخرجُه مِن بينِ فخذيكَ . فقالَ عمروٌ ـ لمَّا وقفَ علىٰ الكتابِ ـ : هدَّدني بعليٌّ واللهِ .

(٢) صَمَدَ لَهُ : ثَبَتَ لَهُ .

رفع المسهم

(كَسْرَ قُشَاقِشَ) الذي مِنْ قُراهُ الآنَ (هَينن) ؛ فإنَّ أَرضَ (مذحج) ليستْ بألبعيدةِ منهُ ، إذْ مياهُها تصبُّ إلىٰ (حضرموتَ) .

ويقربُ ذلكَ أَنَّ فَرْوةَ بنَ مُسَيْكٍ المراديَّ كانَ أَساءَ السيرةَ ، وطلبَ المددَ مِنْ رسولِ الله ﷺ ، ولن يستجيشَهُ إلاَّ وهُمُ الغازونَ ، واللهُ أَعلمُ بحقيقةِ الحالِ .

خوف المحارَب من الاسم عند الفرزدق

ثمَّ ذكرْتُ أَنَّ الفرزدقَ سبقَ إلىٰ المعنىٰ إذ يقولُ في رثاءِ مخلدِ بنِ يزيدِ بنِ المهلَّبِ [في « ديوانهِ » ١/ ١٩٣ منَ الطويل] :

أَبُوكَ ٱلَّذِيْ تُسْتَهْزَمُ ٱلْخَيْلُ بِٱسْمِهِ ... وَإِنْ كَانَ فِيْهَا قِيْدُ شِبْرٍ مُطَرَّدِ[1]

وَقَدْ عَلِمُوْا إِذْ شَدَّ حَقْوَيْهِ أَنَّهُ ... هُوَ ٱللَّيْثُ لَيْثُ ٱلْغَابِ لاَ بِٱلْمُعَرْبِدِ[2]

تكرار هذا المعنى عند المتنبي

والمعنىٰ الذي نحنُ فيهِ متكرِّرٌ عندَ الناظمِ ، فمنهُ **قولُهُ** [في « العُكْبَريِّ » ٢/ ٣٦٤ منَ الخفيف] :

طَاعِنُ ٱلطَّعْنَةِ ٱلَّتِيْ تُذْعِرُ ٱلْفَيْـ ... ـلَقَ بِٱلذُّعْرِ وَٱلدَّمِ ٱلْمُهْرَاقِ[3]

وقولُهُ [في « العُكْبَريِّ » ٣/ ٢٤٣ منَ الكامل] :

تَلَفُ ٱلَّذِيْ ٱتَّخَذَ ٱلْجَرَاءَةَ خُلَّةً ... وَعَظَ ٱلَّذِيْ ٱتَّخَذَ ٱلْفِرَارَ خَلِيْلاَ

وقولُهُ [في « العُكْبَريِّ » ٣/ ١٣٩ منَ الخفيف] :

مَا مَضَوْا لَمْ يُقَاتِلُوْكَ وَلَكِـ ... ـنَّ ٱلْقِتَالَ ٱلَّذِيْ كَفَاكَ ٱلْقِتَالاَ

---

(١) قِيد : قدر . مُطرَّدٌ : طويل تام . والمعنى : أنها تخاف من ذكر اسمه ولو كان بينها وبينه المسافات الشاسعة .

(٢) العِربيدُ : هي الحيةُ التي تنفخُ ولا تؤذي، ومنهُ اشتقَ اسمُ المُعَربِدِ : للرجلِ السكيرِ الشريرِ . والمعنىٰ : أنَّ ممدوحهُ ممَّنْ إذا قالوا فعلوا .

(٣) الفيلَقُ : هوَ الجيشُ . الذُّعْرُ : الخوفُ والفزَعُ .

رفع المسهم

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٣/ ٢٤٣ منَ الكامل] :

سَمِعَ ٱبْنُ عَمَّتِهِ بِهِ وَبِحَالِهِ فَنَجَا يُهَرْوِلُ مِنْكَ أَمْسِ مَهْوْلاَ

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٢/ ٣٦٦ منَ الخفيف] :

بَعَثُوْا ٱلرُّعْبَ فِيْ قُلُوبِ ٱلأَعَادِيْ فَكَأَنَّ ٱلْقِتَالَ قَبْلَ ٱلْقِتَالِ

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٣/ ٣٦٥ منَ البسيط] :

قَدْ نَابَ عَنْكَ شَدِيْدُ ٱلْخَوْفِ وَٱصْطَنَعَتْ لَكَ ٱلْمَهَابَةُ مَا لاَ تَصْنَعُ ٱلْبُهَمُ[1]

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٣/ ٢٩٣ منَ الطويل] :

فَإِنْ تَكُ مِنْ بَعْدِ ٱلْقِتَالِ أَتَيْتَنَا فَقَدْ هَزَمَ ٱلأَعْدَاءَ ذِكْرُكَ مِنْ قَبْلِ

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٣/ ٥٩ منَ الكامل] :

وَيُمِيْتُ قَبْلَ قِتَالِهِ وَيَبَشُّ قَبْـ ـلَ نَوَالِهِ وَيُنِيْلُ قَبْلَ سُؤَالِهِ

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٣/ ١٤١ منَ الخفيف] :

أَبْصَرُوْا ٱلطَّعْنَ فِيْ ٱلْقُلُوْبِ دِرَاكًا قَبْلَ أَنْ يُبْصِرُوْا ٱلرِّمَاحَ خَيَالاَ

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٣/ ١٩٨ منَ الخفيف] :

فَهُمُ لاتِّقَائِهِ ٱلدَّهْرَ فِيْ يَوْ مِ نِزَالٍ وَلَيْسَ يَوْمَ نِزَالِ[2]

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٣/ ١١٦ منَ الطويل] :

فَخَافُوْكَ حَتَّىٰ مَا لِقَتْلٍ زِيَادَةٌ وَجَاؤُوْكَ حَتَّىٰ مَا تُرَادُ ٱلسَّلاَسِلُ[3]

---

(١) البُهَمُ ـ جمعُ بُهمَةٍ ـ : وهمُ الأبطالُ الذينَ تناهَتْ شجاعتُهمْ .

(٢) النِّزَالُ : المحاربةُ والنزولُ إلىٰ أتقَاءِ الأعداءِ .

(٣) المعنى : أبدوا من مخافتكَ مَا يزيدُ على القتلِ، وجاؤوكَ طائعينَ، حتى إنَّكَ لا=

رفع المسهم

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٤/ ٥٦ منَ الطويل] :

لَقَدْ حَالَ بَيْنَ ٱلْجِنِّ وَٱلإِنسِ سَيْفُهُ فَمَا ٱلظَّنُّ بَعْدَ ٱلْجِنِّ بِٱلْعُرْبِ وَٱلْعُجْمِ
وَأَرْهَبَ حَتَّىٰ لَوْ تَأَمَّلَ دِرْعَهُ جَرَتْ جَزَعاً مِنْ غَيْرِ نَارٍ وَلاَ فَحْمِ

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ١/ ٣٦٢ منَ الوافر] :

وَلَٰكِنْ هَبَّ خَوْفُكَ فِيْ حَشَاهُمْ هُبُوْبَ ٱلرِّيْحِ فِيْ رِجْلِ ٱلْجَرَادِ

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٣/ ١٧٠ منَ البسيط] :

فَقَدْ تَرَكْتَ ٱلأُلَىٰ لاَقَيْتَهُمْ جَزَراً وَقَدْ قَتَلْتَ ٱلأُلَىٰ لَمْ تَلْقَهُمْ وَجَلاَ[1]

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٢/ ٢٥٧ منَ الوافر] :

إِذَا مَا لَمْ تُسِرْ جَيْشاً إِلَيْهِمْ أَسَرْتَ إِلَىٰ قُلُوْبِهِمُ ٱلْهُلُوْعَا

والقصيدةُ التي مُسْتَهَلُّهَا (أَرَاعَ كَذَا كُلَّ الأَنَامِ هُمَامُ) تدورُ حولَ هٰذا المعنىٰ .

جبن الأخطل وقصته مع الجحاف

وذكرْتُ بهِ : أَنَّ الأَخطلَ ٱستفزَّهُ القربُ مِنَ ٱلخليفةِ ، فقالَ للجَحَّافِ وكانَ حاضراً [في « ديوانهِ » ٤٢٦ منَ الطويل] :

أَلاَ سَائِلِ ٱلْجَحَّافَ هَلْ هُوَ ثَائِرٌ بِقَتْلَىٰ أُصِيبَتْ مِنْ سُلَيْمٍ وَعَامِرِ ؟[2]

فقالَ الجحَّافُ [منَ الطويل] :

بَلَىٰ سَوْفَ نُبْكِيْهِمْ بِكُلِّ مُهَنَّدٍ وَنُبْكِيْ عُمَيْراً بِٱلرِّمَاحِ ٱلشَّوَاجِرِ

= تحتاجُ في أسرهمْ إلىٰ السلاسلِ .

(١) الجَزَرُ : ما أُلقيَ للسباعِ ، ويقالُ : (ما كانوا إلاَّ جزراً لسيوفِنا) أي : الذينَ نقتُلُهم فنلقيهِمْ للسباعِ .

(٢) الجَحَّافُ : من السُّلَميِّين أعداءِ بني تغلبَ ، ولهُ يومُ البشرِ الذي أوقعَ بالتغلبيِّينَ شرَّ وقعَةٍ .

رفع المسهم

فأنخزلَ الأَخطلُ ، وكأَنَّما كانَ في نشوةٍ فأَفاقَ ، وأَخذتْهُ الحُمَّىٰ مِنَ الفَرَقِ ، فقالَ له عبدُ الملكِ : ماذا عليكَ وأَنتَ في جِوارِي؟ قالَ : هَبْكَ أَجرتني في اليقظَةِ ، فمن يُجيرُني مِنهُ في المنامِ ؟ وكانَ عارفاً بشدَّةِ بأسهِ ، وأَصابهُ قلَقٌ أَقضَّ مضجعَهُ ، ونغَّصَ عيشَهُ ، حتَّىٰ أَوقعَ الجَحَّافُ وقعتَهُ المشهورةَ بِبني تغلبَ رهطِ الأَخطلِ ، فقالَ الأَخطلُ [في « ديوانهِ » ٢٧٢ منَ الطويل] :

لَقَدْ أَوْقَعَ ٱلْجَحَّافُ بِٱلْبِشْرِ وَقْعَةً ... إِلَىٰ اللهِ مِنْهَا ٱلْمُشْتَكَىٰ وَٱلْمُعَوَّلُ[1]

لَئِنْ لَمْ تُغَيِّرْهَا قُرَيْشٌ بِمِثْلِهَا ... يَكُنْ عَنْ قُرَيْشٍ مُسْتَمَازٌ وَمَرْحَلُ[2]

قالَ عبدُ الملكِ : إِلىٰ أَينَ إِذنْ؟ قالَ الأخطلُ : إِلى ٱلنَّارِ ، قالَ عبدُ الملكِ : أَولىٰ لكَ ، أَمَا وَاللهِ لَو قلتَ غيرهَا.. لم تطرِفْ عيناكَ[3] .

إلى أين أبا ليلى؟

وقولُ ٱلأَخطلِ إِلىٰ ٱلنَّارِ عكسُ قولِ ٱلنَّابغةِ ٱلجعديِّ إِلىٰ ٱلجنَّةِ ، حينَ قالَ [في « ديوانهِ » ٧١ منَ الطويل] :

بَلَغْنَا ٱلسَّمَاءَ مَجْدُنَا وَجُدُودُنَا ... وَإِنَّا لَنَبْغِيْ فَوْقَ ذَٰلِكَ مَظْهَرَا

فقالَ لهُ رسولُ اللهِ ﷺ : « إِلىٰ أَينَ يا أَبا ليلىٰ ؟ » قالَ : إِلىٰ الجنَّةِ ، قالَ لهُ النبيُّ [ﷺ] : « فَنَعَمْ إِذاً »[4] ، وهٰذا مِنْ قصيدةٍ لهُ

---

(١) المُعَوَّلُ : الاعتمادُ والمفزَعُ .

(٢) مُستَمازٌ : مِن (ماز) رَحَلَ وأنتقلَ مِنْ مكانٍ إلى آخرَ .

(٣) تنظر القصة في « الأغاني » (١٢/ ٢٤٠) .

(٤) أورد الخبر بنحوه عن النابغة الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٨/ ١٢٦) وقال: رواه البزار وفيه يعلىٰ بن الأشدق وهو ضعيف.
ولفظه عنده: =

رفع المسهم

منقَّحةِ اللفظِ ، جزلةِ المعاني إلاَّ أنَّها تداخلَتْ معَ قصيدةٍ لزُفرَ بنِ الحارثِ في بحرِهَا وقافيتِهَا ، وأوَّلُها [في « ديوانِ النابغةِ الجعدي » ٨٧ منَ الطويل] :

تَذَكَّرْتُ وَالذِّكْرَىٰ تُهَيِّجُ لِلْفَتَىٰ ... وَمِنْ عَادَةِ الْمَحْزُوْنِ أَنْ يَتَذَكَّرَا
وَإِنِّيْ لأَسْتَشْفِيْ بِرُؤْيَةِ جَارِهَا ... إِذَا مَا تَلَقَّيْهَا عَلَيَّ تَعَذَّرَا

مِنها :

حَسِبْنَا زَمَاناً كُلَّ بَيْضَاءَ شَحْمَةً ... لَيَالِيَ إِذْ نَغْزُوْ جُذَاماً وَحِمْيَرَا
إِلَىٰ أَنْ لَقِيْنَا الْحَيَّ بَكْرَ بْنَ وَائِلٍ ... ثَمَانُوْنَ أَلْفاً دَارِعِيْنَ وَحُسَّرَا
فَلَمَّا قَرَعْنَا النَّبْعَ بِالنَّبْعِ بَعْضَهُ ... بِبَعْضٍ أَبَتْ عِيْدَانُهُ أَنْ تَكَسَّرَا
سَقَيْنَاهُمُ كَأْساً سَقَوْنَا بِمِثْلِهَا ... وَلٰكِنَّنَا كُنَّا عَلَىٰ الْمَوْتِ أَصْبَرَا
بِنَفْسِيْ بِأَهْلِيْ عُصْبَةٌ سَلَمِيَّةٌ ... يُعِدُّوْنَ لِلْهَيْجَا عَنَاجِيْجَ ضُمَّرَا[1]
وَنُنْكِرُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَلْوَانَ خَيْلِنَا ... مِنَ الطَّعْنِ حَتَّىٰ نَحْسَبُ الْجَوْنَ أَشْقَرَا[2]
وَقَالُوْا لَنَا : أَحْيُوْا لَنَا مَنْ قَتَلْتُمُ ... لَقَدْ جِئْتُمُ أَمْراً مِنَ الْقَوْلِ مُنْكَرَا
وَلَسْنَا نَرُدُّ الرُّوْحَ فِي جِسْمِ مَيِّتٍ ... وَلٰكِنْ نَسُلُّ الرُّوْحَ مِمَّنْ تَنَشَّرَا
مَلَكْنَا فَلَمْ نَكْشِفْ قِنَاعاً لِحُرَّةٍ ... وَلَمْ نَسْتَلِبْ إِلاَّ الْحَدِيْدَ الْمُسَمَّرَا
وَلَو أَنَّنَا شِئْنَا سِوَىٰ ذَاكَ أَصْبَحَتْ ... كَرَائِمُهُمْ فِيْنَا تُبَاعُ وَتُشْتَرَىٰ

= علونا العباد عفةً وتكرماً ... وإنا لنرجو فوق ذلك مظهراً

(١) سلميَّةٌ : مِنْ بني سَلَمٍ . العناجيجُ ـ جمعُ عنجوجٍ ـ : وهو الرائعُ مِنَ الخيلِ . الخيل الضمَّر : التي ضُمِّرَ بطنها، وهي من أسرع أنواع الخيل .

(٢) الجونُ : الأسودُ .

رفع المسهم

منهَا :

وَلاَ خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ ... بَوَادِرُ تَحْمِيْ صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا
وَلاَ خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ ... حَلِيْمٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ ٱلأَمْرَ أَصْدَرَا
أَتَيْنَا رَسُوْلَ ٱللهِ إِذْ جَاءَ بِٱلْهُدَىٰ ... وَيَتْلُوْ كِتَاباً كَٱلْمَجَرَّةِ نَيِّرَا

فيُروىٰ [في « مجمع الزوائد » ٨/١٢٦] : أَنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ لهُ : « لاَ يَفْضُضِ ٱللهُ فَاكَ » . فعاشَ مئةً وستينَ سنةً ، لم يُثْغَرْ لهُ سِنٌّ[1] .

الجبن حتى في النوم

وما أَظنُّ أَشجعَ السلميَّ إلا ناظراً إلى ما جرىٰ للأَخطلِ مِنَ ٱلجَحَّافِ ، حيثُ يقولُ للرشيدِ مِنْ كلمةٍ لهُ خالصةٍ [في « ديوانهِ » ٢٥٣ منَ الكامل] :

وَعَلىٰ عَدُوِّكَ يَا ٱبْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ ... رَصْدَانِ ضَوْءُ ٱلصُّبْحِ وَٱلإِظْلاَمُ
فَـإِذَا تَنَبَّـهَ رُعْتَـهُ وَإِذَا غَفَـا ... سَلَّتْ عَلَيْهِ سُيُوْفَكَ ٱلأَحْلاَمُ

المتنبي وهٰذا المعنى

وَلَمْ ينسَ حظَّهُ الناظمُ مِنْ هٰذا المعنىٰ إلاَّ أَنَّهُ يغثُّ تارةً كما في قولهِ [في « العُكْبَريّ » ١/ ٣٦٤ منَ الوافر] :

يَرَىٰ فِي ٱلنَّوْمِ رُمْحَكَ فِيْ كُلاَهُ ... وَيَخْشَـىٰ أَنْ يَـرَاهُ فِـيْ ٱلسُّهَـادِ

ويجيدُ أُخرىٰ كما في قولهِ [في « العُكْبَريّ » ٤/ ٤٤ منَ البسيط] :

مَنْ لَوْ رَآنِيَ مَاءً مَاتَ مِنْ ظَمَإٍ ... وَلَوْ مَثَلْتُ لَهُ فِي ٱلنَّوْمِ لَمْ يَنَمِ

وقولهِ [في « العُكْبَريّ » ٤/ ٤٥ منَ الوافر] :

إِذَا ٱمْتَلأَتْ عُيُوْنُ ٱلْخَيْلِ مِنِّيْ ... فَـوَيْـلٌ فِـي ٱلتَّيَقُّـظِ وَٱلْمَنَـامِ

---

(١) لَمْ يُثْغَرْ : لَمْ يُكسرْ، أو لم يسقط .

رفع المسهم

وقولِهِ [في « العُكْبَريّ » ٢/ ٢٢٩ منَ البسيط] :

يُقَاتِلُ ٱلْخَطْوَ عَنْهُ حِيْنَ يَطْلُبُهُ وَيَطْرُدُ ٱلنَّوْمَ عَنْهُ حِيْنَ يَضْطَجِعُ

وقولِهِ [في « العُكْبَريّ » ٣/ ٨٣ منَ البسيط] :

وَكُلَّمَا حَلَمَتْ عَذْرَاءُ عِنْدَهُمْ فَإِنَّمَا حَلَمَتْ بِٱلسَّبْيِ وَٱلْجَمَلِ[1]

وقالَ السريُّ الرَّفَّاءُ [في « ديوانه » ٢٤٥ منَ البسيط] :

تَرُوْعُ أَحْشَاؤُهُ بِٱلْكُتْبِ وَهْوَ لَهَا خَوْفَ ٱلرَّدَىٰ وَرَجَاءَ ٱلسِّلْمِ يَسْتَلِمُ
لاَ يَشْرَبُ ٱلْمَاءَ إِلاَّ غَصَّ مِنْ حَذَرٍ وَلاَ يُهَوِّمُ إِلاَّ رَاعَهُ ٱلْحُلُمُ

وأَلَمَّ بهِ شاعرُ المعرَّةِ إلاَّ أَنَّهُ غَيَّرَ الموضوعَ، فقالَ [في « سقط الزند » ١١١ منَ البسيط]: المعري في الموضوع

وَأَنْتَ مَنْ لَوْ رَأَىٰ ٱلإِنْسَانُ طَلْعَتَهُ فِيْ ٱلنَّوْمِ لَمْ يُمْسِ مِنْ خَطْبٍ عَلَىٰ خَطَرِ

وقتلَ الرشيدُ أَخاً لأَبي الهيذامِ ، فجاءَ في رثيهِ بما يشبِهُ قولَ الجَحَّافِ إِذْ يقولُ [منَ الطويل] : ابو الهيذام ورثاؤه لأخيه

سَأَبْكِيْكَ بِٱلْبِيْضِ ٱلرِّقَاقِ وَبِٱلْقَنَا فَإِنَّ بِهَا مَا يَطْلُبُ ٱلْمَاجِدُ ٱلْوَتْرَا
وَلَسْتُ كَمَنْ يَبْكِيْ أَخَاهُ بِعَبْرَةٍ يُعَصِّرُهَا فِيْ جَفْنِ مُقْلَتِهِ عَصْرَا
وَإِنَّا أُنَاسٌ مَا تَفِيْضُ عُيُوْنُنَا عَلَىٰ هَالِكٍ مِنَّا وَإِنْ قَصَمَ ٱلظَّهْرَا
وَلَٰكِنَّنَا نَشْفِيْ ٱلْفُؤَادَ بِغَارَةٍ تَلَهَّبُ مِنْ قُطْرَيْ جَوَانِبِهَا جَمْرَا

وقبلَ ذلكَ يقولُ عبدُ اللهِ ٱبنُ أَبي ربيعةَ أَخو عيَّاشٍ عندما بلغَهُ مقتلُ عثمانَ [ابن عفان رضي الله عنه منَ الطويل] : عبد الله بن أبي ربيعة ورثاؤه لعثمان بن عفان رضي الله عنه

سَأَبْكِيْ أَبَا عَمْرٍو بِكُلِّ مُهَنَّدٍ وَبِيْضٍ [لها فِيْ ٱلدَّارِعِيْنَ فُلُوْلُ]

---

(١) ذكرَ الجملَ مع السبي؛ لأنَّ العربَ تحمِلُ السبايا على الجمالِ .

رفع المسهم

ثُمَّ لَمْ يزدْ علىٰ أَنْ خرجَ بمَنْ معهُ فلمَّا قربَ مِنْ (مكَّةَ) . . سقطَ عَنْ راحلتِهِ وماتَ .

عبد الملك بن مروان ينهى ولده عن البكاء

وممّا قالهُ عبدُ الملكِ بنُ مروانَ ـ عندَ موتهِ ـ للوليدِ ، وقد رآهُ يبكي عندَ رأسِهِ ، يشجِّعهُ ، وينهاهُ عَنِ ٱلبكاءِ ، وحنينِ النساءِ لنفسهِ أَو متمثِّلاً [منَ الطويل] :

بَنُوْ ٱلْحَرْبِ لاَ نُعْنَىٰ بِشَيْءٍ نُرِيْدُهُ ... وَلَسْنَا عَلَىٰ مَا أَحْدَثَ ٱلدَّهْرُ نَجْزَعُ
جِلاَدٌ عَلَىٰ رَيْبِ ٱلزَّمَانِ فَلَنْ تَرَىٰ ... عَلَىٰ هَالِكٍ عَيْناً لَنَا ٱلدَّهْرَ تَدْمَعُ

هيبة سيدنا ابن عباس من سيدنا عمر رضي الله عنهم

وكانَ ٱبنُ الخطَّابِ عظيمَ الهيبةِ ، ولهٰذا لم يقدرِ ٱبنُ عباسٍ علىٰ إظهارِ قولِهِ في العَولِ حتَّىٰ ماتَ ، فقيلَ لهُ : هلاَّ قلْتَ هٰذا في حياةِ عمرَ؟! قالَ : (هِبْتُهُ ، وكانَ أَمْراً مَهِيباً)[1] .

من هيبة سيدنا عمر رضي الله عنه تضع المرأة حملها

ويُروىٰ : أَنَّهُ ٱستدعىٰ ٱمرأةً ليسألَهَا عَنْ أَمرٍ ، وكانَتْ حاملاً ، فلشدَّةِ هيبتِهِ ألقتْ ما في بطنِهَا ميْتاً ، فٱستفتىٰ أَكابرَ الصحابةِ ، فقالوا : لا شيءَ عليكَ ، قالَ لهُ عليٌّ : إِنْ كانوا راقبوكَ فقد غشُّوكَ ، وإِنْ كانَ هٰذا جُهْدَ رأيِهم فقد أَخطؤوا ، عليكَ غُرَّةٌ[2] ، فرجعَ عمرُ والصحابةُ إِلىٰ قولِهِ[3] .

نهيه النساء عن رفع الصوت

ومِنْ ذلكَ سكوتُ النساءِ لمّا دخلَ ، وأَصواتُهُنَّ عاليةٌ عندَ

---

(١) أخرجه عن زفر ، البيهقيُّ في « الكبرىٰ » (٦/ ٢٥٣)، وابن حزم في «المحلى» (٩/ ٤٦٣)، وعبد الرزاق في «المصنف» (١٠/ ٢٥٤ و٢٥٨) والعول: زيادة في سهام المسألة ونقص في مقاديرها .

(٢) الغُرَّةُ : ديةُ الجنينِ ؛ وهي عبدٌ أو أمةٌ ، وتقدَّرُ بنصفِ عشرِ الديةِ الكاملةِ ، والديةُ الكاملةُ: مئةٌ مِنَ الإبلِ .

(٣) أخرجه البيهقي في « الكبرىٰ » (٦/ ١٢٣) .

رفع المسهم

رسولِ اللهِ ﷺ ، فقالَ لَهُنَّ : (يا عدوَّاتِ أنفسهنَّ ، أتَهَبْنَنِي ، وَلاَ تَهَبْنَ رسولَ اللهِ؟ قلْنَ : أنتَ أفظُّ وأغلظُ)[1] .

الاستهزاء بالجبان عندما يهدد

وفي عكسِ معنىٰ البيتِ الذي نتكلَّمُ فيهِ ، يقولُ جريرٌ [في « ديوانهِ » ٩١٦ منَ الكامل] :

زَعَمَ ٱلْفَرَزْدَقُ أَنْ سَيَقْتُلُ مَرْبَعاً ... أَبْشِرْ بِطُوْلِ سَلاَمَةٍ يَا مَرْبَعُ[2]

وقالَ غيرهُ [منَ الوافر] :

تَـوَعَّـدَنِـيْ لِتَقْتُلَنِـيْ نُمَيْـرٌ ... مَتَىٰ قَتَلَتْ نُمَيْرٌ مَنْ هَجَاهَا ؟

وقالَ [منَ البسيط] :

قَدْ هَبَّتِ ٱلرِّيْحُ طُوْلَ ٱلدَّهْرِ وٱخْتَلَفَتْ ... عَلَىٰ ٱلْجِبَالِ فَمَا نَالَتْ رَوَاسِيْهَا

وقالَ ٱبنُ أبي عيينةَ [منَ الكامل] :

فَدَعِ ٱلْوَعِيْدَ فَمَا وَعِيْدُكَ ضَائِرِيْ ... أَطَنِيْنُ أَجْنِحَةِ ٱلذُّبَابِ يَضِيْرُ ؟

شجاعة بني عبد المطلب

وكتبَ معاويةُ إلى عليٍّ يتهدَّدُهُ ، فأجابَهُ بما معناهُ ـ إنْ أخطأتُ لفظَهُ ـ [في « نهج البلاغة » ٣٣٣] : وذكرْتَ أنَّهُ ليسَ لِيْ ولأصحابي عندَكَ إلاَّ السيفُ ، فلقد أضحكْتَ بعدَ ٱستعبارٍ[3] ، متىٰ ألفيْتَ بني عبدِ المطلبِ عَنِ ٱلهيجاءِ ناكلينَ ، وبالسيوفِ مخوَّفينَ ، لَبِّثْ قليلاً يلحقِ

---

(١) أخرجه عن سعد ٱبن أبي وقاص رضي الله عنه البخاري (٣٢٩٤) في بدء الخلق .

(٢) مَربعُ : لقبُ راويةِ جريرٍ المسمَّىٰ (وَغْوَغَةَ) ، وهو مِنْ بني أبي بكرِ بنِ كلابٍ ، وكانَ نفَرَ بأبي الفرزدقِ وضربَهُ ، فيقالُ : إنَّهُ ماتَ في تلكَ العِلَّةِ ، فحلفَ الفرزدقُ ليقتلنَّهُ .

(٣) الاستعبارُ: البكاءُ.

رفع المسهم

ٱلهيجا حَمَلٌ[1] ، وأنا مُرْقِلٌ[2] نحوَكَ في جحفلٍ مِنَ ٱلمهاجرينَ والأنصارِ ، قد صَحِبَتْهُم ذريَّةٌ بدريَّةٌ ، وسيوفٌ هاشميَّةٌ ، عَرَفْتَ مواقعَ نصالِهَا في أَخيكَ وخالِكَ وجدِّكَ ، وما هِيَ مِنَ ٱلظالمينَ ببعيدٍ .

قصة امرىء القيس مع قتلة أبيه

ولمَّا أكثرَ ٱمرؤُ القيسِ الوعيدَ في قتلِ أَبيهِ . . قَدِمَ عليهِ قبيصةُ بنُ نعيمٍ في أَشياخٍ بني أَسدٍ ، يراجعونَهُ في خطبِ أَبيهِ ، فقالَ قبيصةُ [في « جمهرة خطب العرب » ١/ ٣٦ و« الأغاني » ٩/ ١٢٤] :

أَمَّا بعدُ : فإنَّكَ مِنَ ٱلمحلِّ والقدرِ والمعرفةِ بتصاريفِ الدهرِ بحيثُ لا تَحتاجُ إلىٰ تذكيرٍ مذكِّرٍ ، ولا تبصيرِ مجرِّبٍ ، ولكَ مِنْ سؤددِ منصبِكَ وشرفِ أَعراقِكَ وَكرمِ أَصلِكَ . . مَحْتِدٌ[3] يَحمِلُ علىٰ إقالةِ العثرةِ ، وٱغتفارِ الزلَّةِ ، وإنَّ الهِمَمَ لا تتجاوزُ إلىٰ غايةٍ إلاَّ رجعَتْ إليكَ ، فوجدَتْ عندكَ مِنْ فضيلةِ الرأيِ ، وبصيرةِ الفهمِ ، وكرمِ الصفحِ ، ما يُطوِّلُ رغباتِهَا ، وقد كانَ ما كانَ مِنَ ٱلخطبِ الجليلِ ، الذي عمَّتْ مصيبَتُهُ العربَ ، ولَمْ تُخَصَّ بهِ (كندةُ) دونَنا ؛ للشرفِ البارعِ كانَ لحجرٍ ، ولو يُفدىٰ هالكٌ بنفسٍ . . لَمَا بَخِلَتْ بها كرائِمُنا علىٰ مثلِهِ ، ولٰكنْ مضىٰ بهِ سبيلٌ لا يرجعُ آخرُهُ علىٰ أَوَّلِهِ ، وَأَحمدُ الحالاتِ أَنْ تطلبَنَا في إحدىٰ ثلاثِ خِلالٍ :

إمَّا : أَنْ تختارَ مِنْ بني أَسدٍ أَشرفَها بيتاً ، وأَبعدَها صِيْتاً ، فَقُدْناهُ

---

(١) لَبِّثْ قليلاً يلحق الهيجا حمل : مثلٌ عربي ؛ يعني : انتظر حتى يتلاحق الشبان ، والهيجاء : الحرب ، وحمل : قال في «التاج» : هو ابن سعدانة الصحابي ، وفي «المحكم» : هو ابن بدر . قلت : وفيه نظر . اهـ كلام الزبيدي رحمه الله .

(٢) مُرْقِلٌ ، يقال : أَرقَلَ القومُ إلىٰ الحربِ أَسرعوا .

(٣) المحتدُ : الأَصلُ وٱلطبعُ .

رفع المسهم

إليكَ بِنِسْعَةٍ[1] ، يذهبُ معَ شَفَراتِ حسامِكَ ، ونقولُ : عظيمٌ أمتُحِنَ بمَهْلِكِ عزيزٍ لَهُ ، فلَمْ تُسْتَلَّ سخيمةُ صدرِهِ إلاَّ بمكنتِهِ مِنَ الانتقامِ .

وإمَّا : فداءٌ بما يَروحُ علىٰ بني أَسَدٍ مِنْ نَعَمِها ، فهي أُلوفٌ تكونُ فداءً ، رُجِعَتْ بهِ القضبُ إلىٰ أجفانِها .

وإمَّا : أَنْ توادِعَنا إلىٰ أَنْ تَضعَ الحواملُ ، وتُسْدَلَ الأُزُرُ ، وتُعقَدَ الخُمُرُ فوقَ الراياتِ .

فما كانَ مِنِ امْرىءِ القيسِ إلاَّ أَنْ أَطرقَ ساعةً ثُمَّ رفعَ رأسَهُ ، وقالَ : لقد علمَتِ العربُ أَنْ لا كفؤَ لحُجرٍ بدمٍ ، وأَنِّيْ لَنْ أعتاضَ بهِ جملاً ، ولا ناقةً ، فأكتسبَ بهِ سبَّ الأَبَدِ ، وفَتَّ العَضُدِ . وَأَمَّا النظرةُ : فقد أَوجبْتُهَا الأَجنَّةُ في بطونِ الأُمَّهاتِ ، ولَنْ أكونَ سبباً لِعَطَبِها ، وستعرفونَ طلائعَ (كندةَ) بعدَ ذلكَ ، تحملُ في القلوبِ حَنَقاً[2] ، وفي الأَسنَّةِ عَلَقاً [منَ المتقارب] :

إِذَا جَالَتِ الْحَرْبُ فِي مَأْزِقٍ تُصَافِحُ فِيهِ الْمَنَايَا النُّفُوْسَا

أَتقيمونَ أَم تنصرفونَ؟ قالوا : بل ننصرفُ بأَسوإِ الاختيارِ ، وأَبلىٰ الاجترارِ بمكروهٍ وأَذيَّةٍ ، وحربٍ وبليَّةٍ ، وقالَ قبيصةُ يتمثَّلُ [منَ الطويل] :

لَعَلَّكَ إِنْ تَسْتَوْخِمِ الْوِرْدَ إِنْ عَدَتْ كَتَائِبُنَا فِي مَأْزِقِ الْحَرْبِ تَمْطُرُ

فقالَ امرؤُ القيسِ : لاَ واللهِ ، ولٰكنْ أَستعذبُهُ ، فرويداً ينفرجُ لَكَ دُجَاهَا عَنْ فرسانِ (كندةَ) وكتائبِ (حِمْيَر) ، ولقد كانَ غيرُ

---

(١) النِّسْعُ : حبلٌ يُضْفَرُ على هيئةِ أَعِنَّةِ النعالِ تُشَدُّ بهِ الرحالُ .

(٢) الحَنَقُ : شدَّةُ الاغتياظِ .

رفع المسهم

هٰذا أَولىٰ بي ؛ إِذْ كنْتُ نازلاً بربعي ، ولٰكنَّكَ قُلتَ فأَوجبتَ) .

تعليق المؤلف على القصة

وفي هٰذا الكلامِ مِنَ ٱلجزالةِ والعذوبةِ ما يأْخذُ بمجامعِ القلوبِ إِلىٰ مَا يُشَفُّ عنهُ مِنَ ٱلسؤْددِ الضخمِ ، والكرمِ الخالصِ ، والشمائلِ الراقيةِ ، والهممِ العاليةِ ، والنفوسِ القويَّةِ ، وٱحترامِ الأَرواحِ البريئةِ ، وغيرِ ذلكَ ، ومِنَ ٱلأعاجيبِ قولُ الشارحِ : إِنَّ البيتَ الذي

تعليق المؤلف على العكبري في شرح المطلع

نحنُ بسبيلِهِ شبيهٌ بقولِهِ [في « العُكْبَريّ » ١/ ٣٣٥ منَ الكامل] :

أَبْدَىٰ ٱلْعِدَاةُ بِكَ ٱلسُّرُوْرَ كَأَنَّهُمْ فَرِحُوْا وَعِنْدَهُمُ ٱلْمُقِيْمُ ٱلْمُقْعِدُ

وما هو في شيءٍ مِنْ ذاكَ ؛ لأَنَّهُ لا يكونُ كذاكَ إِلاَّ لو أَرادَ المقيمَ المقعِدَ مِنَ ٱلخوفِ ، وَإِنَّما أَرادَ المقيمَ المقعِدَ مِنَ ٱلحزنِ ؛ كما تشهدُ بهِ فحوىٰ الطباقِ ، فهو مِنْ جنسِ قولِ سويدِ بنِ أَبي كاهلٍ [منَ الرَّمَل] :

وَيُحَيِّيْنِيْ إِذَا لاَقَيْتُهُ وَإِذَا يَخْلُوْ لَهُ لَحْمِيْ رَتَعْ

وقولِ سَدِيْفٍ [منَ الخفيف] :

ذُلُّهَا أَظْهَرَ ٱلتَّوَدُّدَ مِنْهَا وَبِهَا مِنْكُمُ كَحَزِّ ٱلْمَوَاسِيْ

وقولِ المعرِّيِّ [في « سقط الزند » ٢٣٤ منَ الوافر] :

وَيُظْهِرُ لِيْ مَوَدَّتَهُ مَقَالاً وَيُبْغِضُنِيْ ضَمِيْراً وَٱعْتِقَادَا

وقولِ الناظمِ [في « العُكْبَريّ » ١/ ٣٦٣ـ٣٦٤ منَ الوافر] :

فَلاَ تَغْرُرْكَ ٱلْسِنَةٌ مَوَالٍ تُقَلِّبُهُنَّ أَفْئِدَةٌ أَعَادِيْ

فَإِنَّ ٱلْمَاءَ يَجْرِيْ مِنْ جَمَادٍ وَإِنَّ ٱلنَّارَ تَخْرُجُ مِنْ زِنَادِ

* * *

رفع المسهم

[قال أبو الطيِّب المتنبِّي في « العُكْبَريِّ » ١/ ٣١٠ منَ المنسرح]:

قَدْ أَجْمَعَتْ هَـٰذِهِ ٱلْخَلِيقَةُ لِيْ	أَنَّكَ يَا ٱبْنَ ٱلنَّبِيِّ أَوْحَدُهَا
وَأَنَّكَ بِٱلأَمْسِ كُنْتَ مُحْتَلِماً	شَيْخَ مَعَدٍّ وَأَنْتَ أَمْرَدُهَا

ادعاء التفرد للممدوح عند المتنبي

أَمَّا البيتُ الأَوَّلُ : فقلَّما تجدُ شاعراً إلاَّ يدَّعي لممدوحهِ التفرُّدَ ، ومنهُ قولُهُ لشجاعِ بنِ محمَّد الطائيِّ [في « العُكْبَريِّ » ١/ ٣٣٦ منَ الكامل] :

كُنْ حَيْثُ شِئْتَ تَسِرْ إِلَيْكَ رِكَابُنَا فَٱلأَرْضُ وَاحِدَةٌ وَأَنْتَ ٱلأَوْحَدُ

وقولُهُ لَهُ [في « العُكْبَريِّ » ٣/ ١٨٤ منَ الطويل] :

إِلَىٰ وَاحِدِ ٱلدُّنْيَا إِلَىٰ ٱبْنِ مُحَمَّدٍ شُجَاعِ ٱلَّذِي للهِ ثُمَّ لَهُ ٱلْفَضْلُ

وقولُهُ لبدرِ بنِ عمَّارٍ [في « العُكْبَريِّ » ١/ ٣٧٢ منَ المتقارب] :

فَأَنْتَ وَحِيدُ بَنِيْ آدَمٍ وَلَسْتَ لِفَقْدِ نَظِيرٍ وَحِيدَا

وقولُهُ لعُبيدِ اللهِ بنِ يحيىٰ [في « العُكْبَريِّ » ٢/ ٣٧٩ منَ البسيط] :

فَكُنْ كَمَا أَنْتَ يَا مَنْ لاَ شَبِيْهَ لَهُ فَكَيْفَ شِئْتَ فَمَا خَلْقٌ يُدَانِيْكَا

وقولُهُ لابنِ العميدِ [في « العُكْبَريِّ » ٢/ ٥١ منَ الخفيف] :

جَمَعَ ٱلدَّهْرُ حَدَّهُ وَيَدَيْهِ وَثَنَائِيْ فَٱسْتَجْمَعَتْ آحَادُهْ

وقولُهُ لَهُ [في « العُكْبَريِّ » ٢/ ١٦٧ منَ الكامل] :

أَنْتَ ٱلْوَحِيْدُ إِذَا ٱرْتَكَبْتَ طَرِيْقَةً وَمَنِ ٱلرَّدِيْفُ إِذَا رَكِبْتَ غَضَنْفَرَا ؟

رفع المسهم

وقولُهُ لكافورٍ [في « المُخْبَريّ » ٤/ ٢٤٦ منَ الطويل] :

قَضَىٰ اللهُ يَا كَافُوْرُ أَنَّكَ أَوَّلٌ وَلَيْسَ بِقَاضٍ أَنْ يُرَىٰ لَكَ ثَانِيْ

وقولُهُ لَهُ [في « المُخْبَريّ » ٢/ ٢٧ منَ الطويل] :

وَمَا زَالَ أَهْلُ الدَّهْرِ يَشْتَبِهُوْنَ لِيْ إِلَيْكَ فَلَمَّا لُحْتَ لِيْ لاَحَ فَرْدُهُ

وقولُهُ لَهُ [في « المُخْبَريّ » ١/ ١٩٩ منَ الطويل] :

جَرَىٰ ٱلْخُلْفُ إِلاَّ فِيْكَ أَنَّكَ وَاحِدٌ وَأَنَّكَ لَيْثٌ وَٱلْمَلُوْكَ ذِئَابُ

وقولُهُ لابنِ كيغلغ [في « المُخْبَريّ » ٢/ ١٢١ـ١٢٢ منَ البسيط] :

مَنْ قَالَ لَسْتَ بِخَيْرِ ٱلنَّاسِ كُلِّهِمِ فَجَهْلُهُ بِكَ عِنْدَ ٱلنَّاسِ عَاذِرُهُ[1]
أَوْ شَكَّ أَنَّكَ فَرْدٌ فِيْ زَمَانِهِمُ بِلاَ نَظِيْرٍ فَفِيْ رُوْحِيْ أُخَاطِرُهُ

وقولُهُ في عضدِ الدولةِ [في « المُخْبَريّ » ٤/ ٢٥٦ منَ الوافر] :

فَإِنَّ ٱلنَّاسَ وَٱلدُّنْيَا طَرِيْقٌ إِلَىٰ مَنْ مَا لَهُ فِيْ ٱلنَّاسِ ثَانِيْ

وقولُهُ فِيْ يومِ الأَضحىٰ لسيفِ الدولةِ [في « المُخْبَريّ » ١/ ٢٨٦ منَ الطويل] :

فَذَا ٱلْيَوْمُ فِيْ ٱلأَيَّامِ مِثْلُكَ فِيْ ٱلْوَرَىٰ كَمَا كُنْتَ فِيْهِمْ أَوْحَداً كَانَ أَوْحَدَا

وقولُهُ لَهُ [في « المُخْبَريّ » ٤/ ١١ منَ الكامل] :

وَإِذَا ٱمْتَحَنْتَ تَكَشَّفَتْ عَزَمَاتُهُ عَنْ أَوْحَدِيِّ ٱلنَّقْضِ وَٱلإِبْرَامِ

وقولُهُ لَهُ في رثاءِ ولدِهِ [في « المُخْبَريّ » ٣/ ٥٠ منَ الطَّويلِ] :

وَيَلْقَىٰ كَمَا تَلْقَىٰ مِنَ ٱلسِّلْمِ وَٱلْوَغَىٰ وَيُمْسِيْ كَمَا تُمْسِيْ وَحِيْداً بَلا مِثْلِ

---

(١) في المخطوط : غَادِرُهُ .

رفع المسهم

وقولُهُ في بستانٍ لبعضِهم [في « العُكْبَريّ » ٢/ ١١ مِنْ مَجزوءِ الكاملِ] :

وَإِذَا رَجَعْـــتَ إِلَـــىٰ الحَقَـــا ـــقِ فَهْـــيَ وَاحِـــدَةٌ لأَوْحَـــدْ

وقولُهُ في فرسِ بدرِ بنِ عمَّارٍ [في « العُكْبَريّ » ٣/ ٢٤١ منَ الكاملِ] :

فِيْ سَرْجِ ظَامِئَةِ الفُصُوْصِ طِمِرَّةٍ يَـأْبَىٰ تَفَـرُّدَهَـا لَهَـا التَّمْثِيْـلاَ[1]

في كثيرٍ مِنْ أَمثالِهِ ، فكأَنَّما التفرُّدُ حِلْيَةٌ بيدِهِ ، يقلِّدُها جِيْدَ كُلِّ مَنْ يُنيطُ بهِ أَمَلَهُ ، ويُعلِّقُ فيهِ رجاءَهُ ، وما ذاكَ إلاَّ لأَنَّهُ يَكيلُ المدحَ جُزَافاً ، ويُسرفُ فيهِ إسرافاً ، ولولا ذلكَ . . لَمَا أحتاجَ إلىٰ مثلِ قولِهِ [في « العُكْبَريّ » ٤/ ٢١٣ منَ البسيط] :

شدة انتقاد المؤلف على المتنبي: إسرافه في المدح

مَدَحْتُ قَوْماً وَإِنْ عِشْنَا نَظَمْتُ لَهُمْ قَصَائِداً مِنْ إِنَاثِ الْخَيْلِ وَالْحُصُنِ

ولو أَنَّهُ أستثنىٰ في بعضِ القولِ أَو علَّقَ . . لانْحَفَظَ لَهُ خَطُّ الرجعةِ ، ولٰكنَّهُ قطعَهُ علىٰ نفسِهِ ، فقد هجا كافورَ بعدَ قولِهِ لَهُ [في « العُكْبَريّ » ١/ ٢٠٠ منَ الطويل] :

وَإِنَّ مَدِيْحَ النَّاسِ حَقٌّ وَبَاطِلٌ وَمَدْحُكَ حَقٌّ لَيْسَ فِيْهِ كِذَابُ

ثناء سيدنا عمر رضي الله عنه على ابن أبي سلمى

وقد أَثنىٰ ابنُ الخطَّابِ علىٰ زهيرِ ابنِ أَبي سُلمىٰ ، بِأَنَّهُ لا يُعاظِلُ[2] الكلامَ ، ولا يمدحُ أَحداً إلاَّ بما فيهِ علىٰ حدِّ ما يُروىٰ مِنْ قولِهِ [منَ البسيط] :

---

(١) الطِّمِرَّةُ : الفرسُ الوثَّابةُ ، وقيلَ : المرتفعةُ ، وظامِئَةُ الفصوصِ : عطاشٌ ، ليست برهلةٍ رخوةٍ ، وكذا خيولُ العربِ .

(٢) يُعَاظِلُ ، العِظَالُ في القوافي : التضمينُ . ورُوِيَ عَنْ عمرَ بنِ الخطَّابِ : أَنَّهُ قالَ لقومٍ مِنَ العربِ : (أَشعرُ شعرائِكمْ مَنْ لم يُعَاظِلِ الكلامَ) أَي : لَمْ يحملْ بعضَهُ علىٰ بعضٍ ، ولَمْ يتكلَّمْ بالرجيعِ مِنَ القولِ ، ولَمْ يكرِّرِ اللفظَ والمعنىٰ .

رفع المسهم

وَإِنَّ أَحْسَنَ بَيْتٍ أَنْتَ قَائِلُهُ بَيْتٌ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدْتَهُ صَدَقَا

إن من البيان لسحراً

ومِنْ هنا قضي لَهُ بالتفضيلِ علىٰ الشعراءِ أَجمعَ ، وما أَحسنَ ما تخلَّصَ بهِ عمرُو بنُ الأَهتمِ ، وقد رأَىٰ النبيَّ ﷺ يشمئِزُّ مِنْ تناقضِ قولِهِ في الزبرقانِ بنِ بدرٍ ؛ إِذْ مدحَهُ بادئاً ، ثُمَّ ذمَّهُ ثانياً ، فإِنَّهُ قالَ : لقد صدقْتُ في ٱلأُولىٰ ، ولم أَكذبْ في ٱلثّانيةِ ، ولٰكنَّا قومٌ إِذَا رضينَا . . ذكرنا أَحسنَ مَا نجدُ ، وإِذا غضبْنَا . . جئْنَا بأَقبحِ ما نعلمُ ، فقالَ ﷺ : « إِنَّ مِنَ ٱلْبَيَانِ لَسِحْراً »[1] ، أَو ما هٰذا معناهُ ، أَو ما يقربُ منهُ ، ومَنْ لا حرجَ لهُ مِنَ ٱلدِّينِ ، ولا زِمامَ عندهُ مِنَ ٱلمروءةِ ، ولا رقيبَ عليهِ مِنَ ٱلضميرِ ، وكانَ ٱلحاملُ لَهُ علىٰ ٱلمدحِ مجرَّدَ ٱلطَّمعِ ، أَو ٱلملقِ . . فلَنْ يكونَ ما يأْتي بهِ إِلاَّ كَذِباً صريحاً ، وغلوّاً قبيحاً ؛ ولهٰذا قالَ ٱبنُ عبدِ ٱلسَّلامِ في « قواعدِهِ »[2] ، كما نقلَهُ ٱبنُ

سبب الكذب في المديح

---

(١) أخرجه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما البخاري (٥١٤٦) في النكاح ، والقصة كما في «جمهرة خطب العرب» (١/ ١٦٥):
أن رسول الله ﷺ سأل عمرو بن الأهتم عن الزبرقان بن بدرٍ، فقال عمرو: مطاعٌ في أذينة، شديد العارضة، مانعٌ لما وراء ظهره.
فقال الزبرقان: والله يا رسول الله. . . إنه ليعلم مني أكثر مما قال ولكنه حسدني شرفي.
فقال عمرو: أما والله لئن قال ما قال، فوالله ما علمته إلا ضيق الصدر، زمن المروءة، أحمق الوالد، لئيم الخال، حديث الغنىٰ.
فلما رأى أنه خالف قولُهُ الآخر قولَهُ الأوَّلَ، ورأى الإنكار في عيني رسول الله ﷺ. قال: يا رسول الله. . رضيت فقلت أحسن ما علمت، وغضبت فقلت أقبح ما علمت، وما كذبت في الأولى، ولقد صدقت في الأخرى، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: «إن من البيان لسحراً» .

(٢) وتمام اسمه: «قواعد الأحكام في مصالح الأنام».

رفع المسهم

حجرٍ في « تحفتِهِ » : لا تكادُ تجدُ مدَّاحاً إلاَّ رَذْلاً ، ولا هجَّاءً إلاَّ نَذْلاً .

المؤلف وهذا الزمان

وأكبرُ مِنْ ذلكَ ما ٱبْتُليَ بهِ ذُنَابَىٰ[1] ٱلبلادِ مِنْ إهانةِ ٱلأدبِ ، وبذلِ ٱلمديحِ لِمَن لا يستحقُّهُ ، وكثيراً ما يعتقدُ ٱلمادحُ عكسَ ما يقولُ ، فتراهُ يمدحُ بلسانِهِ مَنْ يذمُّهُ بقلبِهِ ، ويتلوَّنُ ألواناً ، ويتَّخذُ لكلِّ حالةٍ وجهاً ولساناً [منَ الطويل] :

وَأَقْتَلُ شَيْءٍ رُؤْيَةُ ٱلْعَيْنِ ظَالِماً ... يُسِيْءُ وَيُتْلَىٰ فِيْ ٱلْمَحَافِلِ حَمْدُهُ

إعجابه بأشراف النفوس

وإنَّهُ ليعجبني ترفُّعُ ٱبنِ أبي ربيعةَ وجميلٍ والفرزدقِ وأضرابِهِم مِنْ أشرافِ النفوسِ .

شرف الفرزدق

قالَ يزيدُ بنُ المهلَّبِ : ما رأيتُ أشرفَ نفساً مِنَ ٱلفرزدقِ ، مدحني سُوْقةً ، وهجاني مَلِكاً .

تلون المتنبي

وإنَّ المتنبِّي علىٰ ما عندَهُ مِنَ البَأْوِ[2] وَالزُّهوِّ ، ومعَ قولِهِ [في «العُكبريِّ» ٢/١٤٩ منَ الطويل] :

إِذَا ٱلْفَضْلُ لَمْ يَرْفَعْكَ عَنْ شُكْرِ نَاقِصٍ ... عَلَىٰ هِبَةٍ فَٱلْفَضْلُ فِيْمَنْ لَهُ ٱلشُّكْرُ

أبو تمام يمدح ابن الزيات فيرد مديحه عليه

. . لكثيراً ما يَخضعُ في القولِ ، ويُلَيِّنُ الجانبَ ، ويُسِفُّ[3] إلىٰ الأَرضِ ، وما ذلكَ مِنْ تناقضِهِ بغريبٍ ، وما كانَ أَحقَّهُ في بعضِ

---

(١) الذُّنَابَىٰ : الأَتباعُ .

(٢) البَأْو : العظمةُ والكِبْرُ والفخرُ .

(٣) أَسَفَّ الطائرُ والسحابةُ وغيرُهما : دنا مِنَ الأرضِ . والطائرُ يُسِفُّ : إذا طار على وجهِ الأرضِ .

رفع المسهم

أَطواره بما فعلَ ٱبنُ الزيَّاتِ[1] معَ حبيبٍ [أبي تمام] ، (فقد ٱمتدحهُ بقصيدةٍ سائرةٍ بعقبِ ما ٱمتدحَ بعضَ السقَّاطِ ، فوقَّعَ ٱبنُ الزيَّاتِ علىٰ ظهرِ قصيدةِ حبيبٍ لَهُ بهـٰذا [منَ الطويل] :

رَأَيْتُكَ سَمْحَ ٱلْبَيْعِ سَهْلاً وَإِنَّمَا ... يُغَالِيْ إِذَا مَا ضَنَّ بِٱلشَيْءِ صَاحِبُهْ

فَـأَمَّـا إِذَا هَـانَـتْ بَضَـائِـعُ بَيْعِـهِ ... فَيُوْشِكُ أَنْ تَبْقَىٰ عَلَيْهِ بَضَائِعُهْ

هُوَ ٱلْمَاءُ إِنْ أَحْجَمْتَهُ طَابَ وِرْدُهُ ... وَيَفْسُدُ مِنْهُ أَنْ تُبَاحَ مَشَارِعُهْ[2]

ويقالُ [في « الأغاني » ٢٣/ ٤٦٢] : إنَّ أبَا تمَّامٍ أَجابَهُ عَنْ ذلكَ بقصيدةٍ يحتجُّ بها عليهِ ، ويعتذرُ مِنْ مدحِ غيرِهِ إليهِ[3] ، منها [في « ديوانه » ١/ ١٦٤ـ١٦٥ منَ البسيط] :

أَمَّا ٱلْقَوافِيْ فَقَدْ حَصَّنْتُ غُرَّتَهَا ... فَمَا يُصَابُ دَمٌ مِنْهَا وَلاَ سَلَبُ

مَنَعْـتُ إِلاَّ مِـنَ ٱلأَكْفَـاءِ أَيِّمَهَـا ... إِذْ كَانَ مِنْكَ عَلَيْهَا ٱلْعَطْفُ وَٱلْحَدَبُ[4]

---

(١) ابنُ الزيَّات : هوَ محمدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ أَبَانَ ، وزيرُ المعتصمِ والوَاثقِ ، قويٌّ ، حازمٌ داهيةٌ .

(٢) أورد الأصبهاني القصة في « الأغاني » (٢٣/ ٦٢) .

(٣) ولكنَّ الأَبياتَ التي قالَها أَبو تمَّامٍ لابنِ الزيَّاتِ هيَ كما في « الأغاني » (٢٣/ ٦٢) :

أَبَا جَعْفَرٍ إِنْ كُنْتُ أَصْبَحْتُ شَاعِراً ... أُسَـامِـحُ فِـيْ بَيْعِـيْ لَـهُ مَـنْ أُبَـايِعُهْ

فَقَدْ كُنْتَ قَبْلِيْ شَاعِراً تَاجِراً بِهِ ... تُسَاهِلُ مَنْ عَادَتْ عَلَيْكَ مَنَافِعُهْ

فَصِـرْتَ وَزِيْـراً وَٱلْـوَزَارَةُ مَكْـرَعٌ ... يَغَـصُّ بِـهِ بَعْـدَ ٱللَّـذَاذَةِ كَـارِعُـهْ

وَكَـمْ مِـنْ وَزِيْـرٍ قَـدْ رَأَيْنَـا مُسَلَّطـاً ... فَعَـادَ وَقَـدْ سُـدَّتْ عَلَيْـهِ مَطَـالِعُـهْ

وَللهِ قَـوْسٌ لاَ تَطِيْـشُ سِهَـامُهَـا ... وَللهِ سَيْـفٌ لاَ تُفَـلُّ مَقَـاطِعُـهْ

(٤) الأَيِّمُ : التي لا زوجَ لها . الحَدَبُ : الإشفاقُ .

رفع المسهم

وَلَوْ عَضَلْتُ وَلَمْ أُنْكِحْ عَقَائِلَهَا وَلَمْ يَكُنْ لَكَ فِيْ أَطْهَارِهَا أَرَبُ[1]

كَانَتْ بَنَاتِ نُصَيْبٍ حِيْنَ ضَنَّ بِهَا عَلَى الْمَوَالِيْ وَلَمْ تَقْنَعْ بِهَا الْعَرَبُ[2]

ولا شكَّ أنَّهُ عذرٌ بأُمِّ دَوٍّ ، فقد تموتُ الحرَّةُ ولا تأكلُ بثديَيْها[3] ، وذَكَرتُ بهذا ـ والشيءُ يُذْكَرُ بما يشبهُهُ ، ولو مِنْ بعيدٍ ـ

---

(١) عَضْلُ المرأةِ عن الزواج : منعُها وحبسُها عنهُ . أَطْهَارُها ـ مفردُها طهرٌ ـ : جعلَ القوافي كالنساءِ ، فإذا طهرَتِ المرأةُ احتيجَ إليها ، وتُعتَزَلُ في الحيضِ .

(٢) نُصَيْبٌ : شاعرٌ أمويٌّ ، كانَ أسودَ ، ومولىً لآلِ مروانَ . وكانَ لهُ بناتٌ يبخلُ بهنَّ على الموالي ، ولم تحفلْ بهنَّ العربُ لسوادِ أبيهنَّ .

(٣) مثل عربي ذكره الميداني في « مجمع الأمثال » (١/ ١٢٢) . وقصته : أنَّ الحارثَ بنَ سليلٍ الأسَديَّ كانَ حليفاً لعلقمةَ بنِ خصْفةَ الطائيِّ ، فزارَهُ ، فنظرَ إلىٰ ابنتِهِ الزَّباءِ ، وكانتْ مِنْ أجملِ أهلِ دهرِها ، فأُعجبَ بها ، فقالَ لَهُ : أتيتُكَ خاطباً ، وقد يُنكحُ الخاطبُ ، ويُدركُ الطالبُ ، ويُمنحُ الراغبُ ، فقالَ لَهُ علقمةُ : أنتَ كفءٌ كريمٌ ، يقبلُ منكَ الصفوُ ، ويؤخَذُ منكَ العفوُ ، فأقِمْ ننظرْ في أمرِكَ ، ثمَّ انكفأَ إلىٰ أُمِّها ، فقالَ : إنَّ الحارثَ بنَ سليلٍ سيِّدُ قومِهِ حسباً ومنصباً وبيتاً ، وقد خطبَ إلينا الزبَّاءَ ، فلا ينصرفنَّ إلاَّ بحاجتِهِ ، فقالتِ امرأتُهُ لابنتِها : أيُّ الرجالِ أحبُّ إليكِ ، الكهلُ الجحجاحُ ، الواصلُ المنَّاحُ ؟ أم الفتىٰ الوضَّاحُ ؟ فقالت : لا بل الفتىٰ الوضَّاحُ ، قالت : إنَّ الفتىٰ يغيِّرُكِ ، وإنَّ الشيخَ يميِّرُكِ ، وليسَ الكهلُ الفاضلُ ، الكثيرُ النائلِ ، كالحديثِ السنِّ ، الكثيرِ المنِّ ، قالت : يا أُمَّتاهُ :

إنَّ الْفَتَاةَ تُحِبُّ الْفَتَىٰ كَحُبِّ الرِّعَاءِ أَنِيْقَ الْكَلَا

قالت : أيْ بُنيَّةُ . إنَّ الفتىٰ شديدُ الحجابِ ، كثيرُ العتابِ ، قالت : إنَّ الشيخَ يُبلي شبابي ، ويدَنِّسُ ثيابي ، ويشمِّتُ بي أترابي ، فلَمْ تزلْ بها أُمُّها حتَّىٰ غلبتْها علىٰ رأيِها ، فتزوَّجَها الحارثُ علىٰ مئةٍ وخمسينَ مِنَ الإبلِ ، وخادمٍ وألفِ درهمٍ ، فأبتنىٰ بها ، ثمَّ رحلَ بها إلىٰ قومِه ، فبينا هوَ ذاتَ يومٍ جالسٌ بفناءِ قومِهِ ، وهيَ إلىٰ جانبِهِ . . إذ أقبلَ إليهِ شبابٌ مِنْ بني أسدٍ يعتلّجونَ ، فتنفَّستِ الصعداءَ ، ثمَّ أرخَتْ عينيها بالبكاءِ ، فقالَ لها : ما يبكيكِ ؟ قالت : =

رفع المسهم

مديح الشماخ لعبد الله بن جعفر

أَنَّ الشمَّاخَ ٱمتدحَ عبدَ اللهِ بنَ جعفرٍ بقولِهِ [في « ديوانه » ٤٦٤ـ٤٦٧ منَ الرَّجَز] :

إِنَّكَ يَا ٱبْنَ جَعْفَرٍ نِعْمَ ٱلْفَتَىٰ وَنِعْمَ مَأْوَىٰ طَارِقٍ إِذَا أَتَىٰ
وَجَارُ ضَيْفٍ طَرَقَ ٱلْحَيَّ سُرَىٰ صَادَفَ زَاداً وَحَدِيثاً مَا ٱشْتَهَىٰ
إِنَّ ٱلْحَدِيثَ طَرَفٌ مِنَ ٱلْقِرَىٰ

المبالغة في المديح ترفع الممدوح وتضع المادح

وٱمتدحَ عُرَابةَ ٱلأَوْسيَّ إِزاءَ حُمُولَةٍ مِنَ ٱلتمرِ ، بما تحسدُهُ الثريَّا دُرَرَ لفظِهِ ، وجمالَ ديباجتِهِ ، كقولِهِ [في « الأغاني » ٩/ ٣٢٨٧ـ٣٢٨٨ منَ الوافر] :

رَأَيْتُ عُرَابَةَ ٱلأَوْسِيَّ يَسْمُو إِلَىٰ ٱلْخَيْرَاتِ مُنْقَطِعَ ٱلْقَرِينِ
إِذَا مَا رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عُرَابَةُ بِٱلْيَمِينِ

وقولِهِ [منَ البسيط] :

مِنْ بَيْتِ مَأْثَرَةٍ عِزٌّ وَمَكْرُمَةٍ سَبَّاقُ غَايَاتِ مَجْدٍ وَٱبْنُ سَبَّاقِ
ضَخْمُ ٱلدَّسِيعَةِ مِثْلاَفٌ أَخُو ثِقَةٍ جَزْلُ ٱلْمَوَاهِبِ ذُو قِيلٍ ومِصْدَاقِ[1]

فقد ٱرتفعَ عُرابةُ بذلكَ إِلىٰ ٱلذُّرىٰ ، وٱنحطَّ بهِ ٱلشمَّاخُ ـ كما ذكروهُ ـ إِلىٰ ٱلحضيضِ ، وسيعادُ هٰذا في ٱلمجلسِ ٱلحادي عشرَ غفلةً عمَّا هنا .

صغر نفس المتنبي

وما رأَيْتُ الناظمَ أَقلَّ حياءً ، ولا أَصفقَ وجهاً[2] ، ولا أَصغَر

= ما لي وللشُّيوخِ الناهضين كالفروخِ ؟ فقالَ لها : ثكلتكِ أُمُّكِ ، تجوعُ الحرَّةُ ولا تأكلُ بثديَيْها .

(١) الدسيعةُ : ٱلعطاءُ ٱلجزيلُ .

(٢) أَصفقُ وجهاً ، يقالُ : وجهٌ صفيقٌ بيِّنُ الصَّفاقةِ : وَقِحٌ .

رفع المسهم

نفساً في قولِهِ ـ مِمَّا يتعلَّقُ بالموضوعِ ـ [في « العُكْبَريّ » ٤/ ١١ مِنَ الكاملِ] :

إِنْ كَانَ مِثْلُكَ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنٌ فَبَرِئْتُ حِينَئِذٍ مِنَ ٱلإِسْلامِ

لولا ٱعتذارُهُم عنهُ في ذلكَ بصباهُ ، كما سيأتِيْ في موضعِهِ بَسْطُ القولِ فيهِ إِنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ .

التفرد بالكمال مقرون بالحرمان

ثُمَّ إِنَّ التفرُّدَ بالكمالِ علىٰ عِزَّتِهِ مَقرونٌ في الأَغلبِ بالحِرمانِ ، وقَلَّ مَنْ تَقدَّمَ في أَمرٍ إِلاَّ حُرِمَ ثمرتَهُ وفائدتَهُ ، والقولُ يطولُ في ذلكَ ، وما أَحسنَ قولَ الحمدونيِّ [مِنَ البسيط] :

إِنَّ ٱلْمُقَدَّمَ فِيْ حَذْقٍ بِصَنْعَتِهِ أَنَّىٰ تَوَجَّهَ فِيْهَا فَهُوَ مَحْرُوْمُ

وقولَ كُشَاجِمٍ [في « ديوانه » ٣٨٦ مِنَ الكامل] :

مَا كَانَ أَحْوَجَ ذَا ٱلْكَمَالِ إِلَىٰ عَيْبٍ يُوَقِّيهِ مِنَ ٱلْعَيْنِ

ترقب زوال الشيء إذا ما قيل: تم

وحدَّثَ المعافىٰ بنُ زكريَّا : أَنَّهُ لمَّا بويعَ ابنُ المعتزِّ بالخلافةِ . . دخلُوا علىٰ شيخِنَا محمَّدِ بنِ جريرٍ الطبريِّ ، فقالَ : مَا الخبرُ؟ قيلَ : بُويعَ ٱبنُ المعتزِّ ، قالَ : فمَنْ ذُكِرَ للقضاءِ؟ قالوا : الحسنُ بنُ الحسنِ بنِ المثنىٰ ، أَو أَبو المثنىٰ ، قالَ : فمنْ رُشِّحَ للوزارةِ؟ قالوا : محمَّدُ بنُ داودَ ، فقالَ : هٰذا الأَمرُ لا يتمُّ ؛ لأَنَّ كلَّ واحدٍ مِنْ هٰؤلاءِ متقدِّمٌ في فضلِهِ ، والدنيا مُوَلِّيَةٌ ، فما أَراهُ إِلاَّ عائداً إِلىٰ الاضمحلالِ ، فكانَ كذلكَ .

أول من أتي من داء الكمال في الإسلام سيدنا علي وصور من ذلك

وغالبُ ظنِّيْ أَنَّ أَوَّلَ مِنْ أُتِيَ في الإِسلامِ مِنْ داءِ الكمالِ هو أَميرُ المؤمنينَ عليُّ ٱبنُ أَبي طالبٍ ـ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ ـ فقد كانَ أَهلُ (البصرةِ) يُبغِضونَهُ وكثيرٌ مِنْ أَهلِ (الكوفةِ) وأَهلِ (المدينةِ) ، وأَمَّا أَهلُ (مكَّةَ) : فإِنَّهم كانوا يكرهونَهُ قاطبةً ، وكانَتْ قريشٌ بأَسرِها علىٰ خلافِهِ ، وكانَ جمهورُ الخَلْقِ مع بني أُميَّةَ عليهِ .

رفع المسهم

وروىٰ عبدُ الملكِ بنُ عميرٍ ، عَنْ عبدِ الرحمٰنِ ٱبنِ أَبي بكرةَ قالَ [في « شرح نهج البلاغة » ٤/١٠٣] : سمعْتُ عليّاً ـ عليهِ السلامُ ـ يقولُ : ما لقيَ أَحدٌ مِنَ الناسِ ما لقيْتُ .

وروىٰ الشعبيُّ عنهُ ـ عليهِ السلامُ ـ أَنَّهُ يقولُ [في « شرحِ نهجِ البلاغةِ » ٤/١٠٤] : اللَّهُمَّ إِنِّيْ أَستعدِيْكَ علىٰ قريشٍ ؛ فإِنَّهُم قطعوا رحمي ، وأَصغوا إِنائيْ[1] ، وصغَّروا عظيمَ مَنزلتي ، وأَجمعوا علىٰ منازعَتي .

ورَوىٰ أَبو عمرانَ النهديُّ قالَ : سمعتُ عليَّ بنَ الحسينِ يقولُ [كما في « شرح نهجِ البلاغةِ » ٤/١٠٤] : ما بـ(مكَّةَ) و(المدينةِ) عِشرونَ رجلاً يحبُّنا .

ولله درُّ ٱبنِ أَبي الحديدِ في قولهِ [كما في « شرح نهج البلاغة » ٤/١١٢ منَ الخفيف] :

طَأْمَنَتْ مَجْدَهُ قُرَيْشٌ فَأَعْطَتْـــــهُ إِلَىٰ سِدْرَةِ ٱلسَّمَاءِ رُقِيَّا[2]
أَخْمَلَتْ صِيتَهُ فَطَارَ إِلَىٰ أَنْ مَـلأَ ٱلأَرْضَ ضَجَّةً وَدَوِيَّا

وقالَ الآخرُ [منَ الطويل] :

لَقَدْ كَتَمَتْ آثَارَ آلِ مُحَمَّدٍ مُحِبُّوْهُمُ خَوْفاً وَأَعْدَاؤُهُمْ بُغْضَا
وَلٰكِنْ فَشَتْ بَيْنَ ٱلْفَرِيْقَيْنِ نَبْذَةٌ بِهَا مَلأَ ٱللهُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلأَرْضَا

ومِنْ كلامِهِ عليهِ السلامُ [في « نهج البلاغة » ٣٦] ما معناهُ : لا تزالُ الرعيَّةُ تشكُو ظُلْمَ الملوكِ ، ولٰكنَّني أَشتكي ٱلظلمَ مِنْ رَعيَّتي .

---

(١) أصغىٰ الإناء : أمالَهُ ليُفرِغَ ما فيهِ .
(٢) طَأْمَنَت الأرضُ : ٱنخفضَتْ .

رفع المسهم

وقالَ لأَصحابِهِ [في «نهج البلاغة» ٣٦] : لقد ملأْتُم قلبي قَيحاً ، وشَحَنتُم صدري غيظاً ، وجرَّعتُموني نُغَبَ ٱلتَّهمامِ أَنفاساً[1] ، حتَّىٰ قالتْ قريشٌ : إنَّ ٱبنَ أَبي طالبٍ رجلٌ شجاعٌ ، ولٰكنْ لا عِلْمَ لهُ بالحربِ ـ للهِ أَبوهُم ـ وهل أَشدُّ لها مِراساً مِنِّي ؟! لقد دخلْتُ فيها دونَ العشرينَ ، وهاأَنا قد ذَرَفْتُ فيها علىٰ ٱلستِّينَ ، ولٰكنْ لا رأْيَ لِمَنْ لا يُطاعُ .

صور من امتحان النبي ﷺ بالمنافقين

بل إنَّ الأَمرَ أَعظمُ مِنْ ذلكَ ، فسيِّدُ أَهلِ الأَرضِ والسماءِ ، وأَفضلُ مَنْ يشربُ عذبَ الماءِ . . كانَ مُمتحَناً بالمنافقينَ بشهادةِ سورةِ ﴿ براءة ﴾ مِنْ فاتحتِها إلىٰ خاتمتِها ، بل لَمْ يسلَمْ معَ ذلكَ مِنَ ٱلتواءِ فضلاءِ الصحابةِ عليهِ .

أَلا ترىٰ أَنَّهُم كرِهوا لقاءَ العدوِّ يومَ بدرٍ حتَّىٰ أُنزلَ فيهم : ﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾ [الأنفال : ٦] .

وقولهُ تعالىٰ أَيضاً : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ [الأنفال : ٧] .

وخالفوا أَمرَهُ يومَ أُحُدٍ ، وأَسلموهُ حتَّىٰ ألقتْهُ فَرَسُهُ بينَ القتلىٰ ، وٱستصرخَ فلَمْ يُجبْهُ غيرُ مَنِ ٱشتدَّ بهِ ٱختصاصُهُ .

وقالَ اللهُ جلَّ شأْنُهُ فيهم : ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِيٓ أُخْرَىٰكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٥٣] .

وعصَوْا أَمرَهُ في تبوكَ أَيضاً ، حتَّىٰ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ

---

(١) نُغَبَ : جرعات . التَّهمامُ : الهمُّ . أنفاساً : جرعةً بعدَ جرعةٍ .

رفع المسهم

أَرَضِيتُم بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا فِى الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التوبة : ٣٨ـ٣٩] .

فهٰذا عتابٌ للمؤمنينَ ، وشاهدٌ بأَنَّهُ لَمْ ينجُ مِنْ خلافِهم عليهِ ، وقد أَشرْنَا في الفائدةِ الثامنةِ مِنْ « بلابلِ التغريدِ » إِلىٰ تثاقلِهم ليلةَ الخندقِ عَنِ ٱستِكْنَاهِ خبرِ القومِ[1] ، وقد أَلَحَّ عليهم في ذلكَ ، وهوَ لا يُخالِفُ ما نقرِّرُهُ مِن ٱمتلاءِ صدورِهم بالإيمانِ ، وتقدُّمِهم بالنفوسِ المطمئنَّةِ إِلىٰ شفراتِ السيوفِ ؛ لأَنَّهُ الأَكثرُ مِنْ أَحوالِهم ، ولأَنَّ الامتحانَ يعشقُ الكمالَ ، فٱقتضىٰ عَلِيُّ قدرِهِ ﷺ أَنْ تلتويَ عليهِ الأُمورُ ، وتَعْصَوْصِبَ[2] لَهُ الأَهوالُ ، وتتنكَّرَ لَهُ الأَيَّامُ ، ويجمحَ عليهِ الزمانُ ؛ ليجاوزَ مدىٰ أُولي ٱلعزمِ مِنَ ٱلرسلِ ، وتلكَ الغايةُ منوطةٌ بالمحنةِ ؛ ولهٰذا قالَ لَهُ جلَّ شأْنُهُ : ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف : ٣٥] ، وكانَ يوعَكُ كما يوعَكُ الاثنانِ مِنْ عُرْضِ الناسِ[3] ، وكانَ يقولُ : « أَشَدُّ ٱلنَّاسِ بَلاءً ٱلأَنْبِيَاءُ ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ »[4] .

---

(١) استكناهُ خبرِ القومِ : استقصاؤُهُ .

(٢) يعصوصبُ ، يقالُ : أعصوصبَ اليومُ والشرُّ : ٱشتدَّ وتجمَّعَ .

(٣) أخرجه عن ابن مسعود البخاري (٥٦٤٨) في المرضىٰ ، ومسلم (٢٥٧١) في البر والصلة . ولفظه عنده : «أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم» .
عُرْضُ الناسِ : عامتهم .

(٤) أخرجه عن سعد ٱبن أبي وقاص عن أبيه رضي الله عنه الحاكم في «المستدرك» (١/ ١٠٠).

رفع المسهم

ولله درُّ أبي تمَّامٍ في قولِهِ [منَ البسيط] :

مَا زِلْتُ أَرْمِيْ بِآمَالِيْ مَطَالِبَهَا ... لَمْ يُخْلِقِ الْعِرْضَ مِنِّيْ سُوْءُ مُطَّلَبِيْ
إِذَا قَصَدْتُ لِشَأْوٍ خِلْتُ أَنِّيَ قَدْ ... أَدْرَكْتُهُ أَدْرَكَتْنِيْ حِرْفَةُ الأَدَبِ(١)

وأخذَهُ عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ بسَّامٍ ، فقالَ في رثاءِ ابنِ المعتزِّ : [في « ديوانه » ٢٧ منَ البسيط] :

لله دَرُّكَ مِنْ مَلْكٍ بِمَضْيَعَةٍ ... نَاهِيْكَ فِيْ الْعَقْلِ وَالآدَابِ وَالْحَسَبِ(٢)
مَا فِيْهِ لَوٌّ وَلاَ لَيْتٌ فَتُنْقِصَهُ ... وَإِنَّمَا أَدْرَكَتْهُ حِرْفَةُ الأَدَبِ

وتلاعبَ بهِ الشعراءُ بعدَ ذلكَ ، ويتَّصلُ بالموضوعِ قولُ بعضِهم [مِنَ الكاملِ] :

عَابُوْا الْجَهَالَةَ وَازْدَرَوْا بِحُقُوْقِهَا ... وَتَهَاوَنُوْا بِحَدِيْثِهَا فِيْ الْمَجْلِسِ
وَهِيَ الَّتِيْ يَنْقَادُ فِيْ يَدِهَا الْغِنَىٰ ... وَتَجِيْئُهَا الدُّنْيَا بِرَغْمِ الْمَعْطِسِ

وقالَ أبو العتاهيةِ [في « ديوانه » ٦٤٥ منَ الطويل] :

كَفَاكَ عَنِ الدُّنْيَا الذَّمِيْمَةِ مُخْبَراً ... غِنَىٰ بَاخِلِيْهَا وَافْتِقَارُ كِرَامِهَا
وَأَنَّ رِجَالَ النَّفْعِ تَحْتَ مَدَاسِهَا ... وَأَنَّ رِجَالَ الضُّرِّ فَوْقَ سَنَامِهَا

وقالَ آخرُ [مِنَ السَّريعِ] :

مَنْ يَرْجُ بِالْفَضْلِ نَوَالاً يَمُتْ ... جُوْعاً وَلَوْ كَانَ بَدِيْعَ الزَّمَانْ
وَمَنْ يَقُدْ أَوْ يَتَمَسْخَرْ يَعِشْ ... عَيْشاً رَخِيّاً فِيْ ظِلاَلِ الأَمَانْ(٣)

---

(١) حرفةُ الأدبِ : الفقرُ .
(٢) مَلْكٍ كذا في المخطوطِ ، وفي «الديوانِ» : (ميتٍ) .
(٣) يَقُدْ : يعملُ قَواداً .

رفع المسهم

ولابنِ نُباتةَ السعديِّ [من الكامل] :

مَا بَالُ طَعْمِ ٱلْعَيْشِ عِنْدَ مَعَاشِرٍ ... حُلْوٌ وَعِنْدَ مَعَاشِرٍ كَٱلْعَلْقَمِ
مَنْ لِيْ بِعَيْشِ ٱلأَغْبِيَاءِ فَإِنَّهُ ... لاَ عَيْشَ إِلاَّ عَيْشُ مَنْ لَمْ يَعْلَمِ

وقلتُ في « لُزُومِيَّاتي » [منَ الطويل] :

أُعَاتِبُ فِيْ ٱلتَّقْصِيْرِ نَفْسِيْ فَلاَ أَرَىٰ ... مَجَالَ عِتَابٍ مُقْتَضٍ لِلتَّنَدُّمِ
وَلَٰكِنْ شُفُوفِيْ خَانَ حَظِّيْ وَهٰكَذَا ... تَرَىٰ خَيْبَةَ ٱلآمَالِ رَهْنَ ٱلتَّقَدُّمِ[1]
أَتَيْنَا وَدَهْرُ ٱلسُّوْءِ يَمْشِيْ إِلَىٰ ٱلْوَرَىٰ ... وَمَبْنَىٰ ٱلْمَعَالِيْ آخِذٌ فِيْ ٱلتَّهَدُّمِ

الكمال مقرون بعلو الهمة ولكن الأيام لا تساعد

ومِنْ دَواعي تعبِ أَهلِ الكمالِ . . أَنَّهُ مقرونٌ بعلوِّ الهمَّةِ وكِبَرِ النَّفْسِ ، والزمانُ معاندٌ والأَيَّامُ لا تساعدُ .

وَإِذَا كَانَتِ ٱلنُّفُوْسُ كِبَاراً ... تَعِبَتْ فِيْ مُرَادِهَا ٱلأَجْسَامُ[2]

لأَنَّها لا تقفُ عندَ غايةٍ ، ولا تفضي إِلىٰ نهايةٍ ، وقد قالَ اللهُ جلَّ شأْنُهُ لأَفضلِ الخلقِ عليهِ السلامُ : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴾ [الانشراح : ٧ـ٨] .

وقالَ أَبو تمَّامٍ [في « ديوانهِ » ٢/ ١٣١ منَ الكامل] :

خَدَمَ ٱلْعُلَىٰ فَخَدَمْتَهُ وَهْيَ ٱلَّتِيْ ... لاَ تَخْدُمُ ٱلأَقْوَامَ مَا لَمْ تُخْدَمِ
فَإِذَا ٱرْتَقَىٰ فِيْ قُلَّةٍ مِنْ سُؤْدَدٍ ... قَالَتْ لَهُ ٱلأُخْرَىٰ : بَلَغْتَ تَقَدَّمِ[3]

وقالَ الناظمُ [في « العُكْبَريِّ » ٤/ ٧٢ منَ الوافر] :

وَلَوْ لَمْ يَعْلُ إِلاَّ ذُوْ مَحَلٍّ ... تَعَالَىٰ ٱلْجَيْشُ وٱنْحَطَّ ٱلْقَتَامُ

---

(١) الشُّفوفُ : نحولُ الجسمِ مِنَ الهمِّ والوَجْدِ .
(٢) البيت من الخفيف .
(٣) القُلَّةُ : رأسُ كلِّ شيءٍ .

رفع المسهم

وَلَـوْ لَـمْ يَـرْعَ إلاَّ مُسْتَحِـقٌّ لِـرُتْبَتِـهِ أَسَـامَهُـمُ ٱلْمُسَـامُ[1]

وقالَ [في « العُكْبَريّ » ٣/ ٧٣ منَ المتقارب] :

وَلَـوْ بِتُّمَـا عِنْـدَ قَـدْرَيْكُمَـا لَبِـتَّ وَأَعْـلاَكُمَـا ٱلأَسْفَـلُ[2]

وقالَ [في « العُكْبَريّ » ٤/ ١٠٨ منَ الطويل] :

وَمَا ٱلْجَمْعُ بَيْنَ ٱلْمَاءِ وَٱلنَّارِ فِيْ يَدِيْ بِأَصْعَبَ مِنْ أَنْ أَجْمَعَ ٱلْجَدَّ وَٱلْفَهْمَا[3]

ومعيارُ العمومِ الاستثناءُ ، وقد قالَ لأبي العشائرِ [في « العُكْبَريّ » ٢/ ٣٦٤ منَ الخفيف] :

لَيْـسَ إلاَّ أَبَـا ٱلْعَشَـائِـرِ خَلْـقٌ سَـادَ هَـٰذَا ٱلأَنَـامَ بِـٱسْتِحْقَـاقِ

أَمَّا قولُهُ لسيفِ الدولةِ [في « العُكْبَريّ » ١/ ٢٧٢ منَ الطويل] :

وَلَمَّا رَأَيْتُ ٱلنَّاسَ دُوْنَ مَحَلِّهِ تَيَقَّنْتُ أَنَّ ٱلدَّهْرَ لِلنَّاسِ نَاقِدُ

صفات بني حمدان

فَأَصابَ فيهِ مِنْ جهةٍ ، والعادةُ قد تنخرقُ ، وعينُ الدهرِ قد تنامُ ، والطبيعةُ لها فَلَتاتٌ ، وبنو حمدانَ ـ كما قالَ المحقِّقُ التفتازانيُّ[4] ـ ملوكٌ ، وجوهُهم للصباحةِ ، وألسنتُهم للفصاحةِ ، وأيديهِم للسماحةِ .

---

(١) القتام : العجاج . سامتِ السائمةُ : إذا رَعتْ ، والمسامُ : الرعيةُ .

(٢) المعنىٰ : لو بتُّما ـ النجم والممدوح ـ وموضعُ كلٍّ واحدٍ منكما على حسبِ فضلِهِ ، ومكانُهُ حيثُ يستحقُّ بقدرِهِ . . لَبِتَّ في مواضعِ النجومِ وباتَتْ في موضعِكَ ، تعلوها أنتَ وتسفلُ منكَ؛ لشرفِ قدرِكَ علىٰ قدرِها .

(٣) الجَدُّ : الحظُّ والبَختُ . الفهمُ : معرفةُ العلومِ .

(٤) التفتازاني : هو مسعود بن عمر بن عبد الله ، سعد الدين ، من أئمة العربية والبيان والمنطق ، له مؤلفات ، توفي سنة : (٧٩٣ هـ) .

رفع المسهم

أوحد بني حمدان

وأَخطأَ مِنَ ٱلأُخرىٰ ؛ فإِنَّ أَوْحدَ بني حمدانَ بلاغةً وبراعةً وشجاعةً . . إِنَّما هو أَبو فراسٍ ، وقد أَدركَتْهُ حرفةُ الأَدبِ ، وأَصابَتْهُ عينُ الكمالِ ، فأَسرتْهُ الرومُ في بعضِ وقائِعِها ، فأَزدادَتْ شاعريَّتُهُ رِقَّةً ولطافةً ، كما سبقَ بعضُ قولهِ في غيرِ هٰذا المجلسِ ، وهو القائلُ [في « ديوانه » ١٤٤ منَ الطويل] :

أُسِرْتُ وَمَا قَوْمِيْ بِعُزْلٍ لَدَىٰ ٱلْوَغَىٰ ... وَلاَ فَرَسِيْ مُهْرٌ وَلاَ رُبَّهُ غَمْرُ[1]

وَلٰكِنْ إِذَا حُمَّ ٱلْقَضَاءُ عَلَىٰ ٱمْرِىءٍ ... فَلَيْسَ لَهُ بَرٌّ يَقِيْهِ وَلاَ بَحْرُ

بدء الشعر بملك وختم بملك

وقالَ الصاحبُ بنُ عبَّادٍ [في « قرى الضيف » ١/٥٧] : بُدِىءَ الشعرُ بمَلِكٍ ، وخُتِمَ بمَلِكٍ ؛ يعني : أَمرأَ القيسِ ، وأَبا فراسٍ .

ومن أَكبرِ بيِّناتِهِ أَعتراضُهُ علىٰ الناظمِ يومَ أَنشدَ قصيدتَهُ المُستهَلَّةَ بقولهِ [في « العُكبريّ » ٣/ ٣٦٢ منَ البسيط] :

وَا حَرَّ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبِمُ ... [وَمَنْ بِجِسْمِيْ وَحَالِيْ عِنْدَهُ سَقَمُ]

وملاحظتُهُ عليها ، وتنبيهُهُ علىٰ مواضعِ ٱلاختلاسِ فيها ، بِمَا لو روَّىٰ فيه أَمرؤٌ . . لَمَا دُوفعَ في حدَّةِ الفهمِ ، وإِصابةِ السهمِ ، وغزارةِ العلمِ ، ومعجزاتِ ٱلاطلاعِ ، كَما سنفيضُ فيهِ عندَما تنتهي إِليهِ النوبةُ ، إِنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ .

عود على شرح البيت من المطلع

وأَمَّا البيتُ الثاني : فـ (أَنْ) فيهِ مخففةٌ مِنَ ٱلثقيلةِ ، وشرطُ أَسمِها أَنْ يكونَ ضميراً محذوفاً ، وربَّما ثبتَ كقولهِ [منَ البسيط] :

فَلَوْ أَنَكِ فِيْ يَوْمِ ٱلرَّخَاءِ طَلَبْتِنِيْ ... طَلاَقَكِ لَمْ أَبْخَلْ وَأَنْتِ صَدِيْقُ

---

(١) الغمرُ : الذي لَمْ يجرِّبِ الأُمورَ .

رفع المسهم

وقولِ جنوبٍ ترثِي أَخاها عمراً ذا الكلبِ [منَ المتقارب] :

بِـأَنَّـكَ رَبِيْـعٌ وَغَيْـثٌ مَـرِيْـعٌ وَأَنَّـكَ هُنَـاكَ تَكُـوْنُ ٱلثُّمَـالاَ[1]

وهوَ مختصٌّ بحالِ الضرورةِ علىٰ الأَصحِّ .

ومعناهُ[2] مِنْ قولِهِ تعالىٰ : ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم : ١٢] ، وقد تلاعبَ بهِ في « ديوانِهِ » ، فقالَ [في « العُكْبَريّ » ١/ ١٧٠ منَ البسيط] :

اقتباس البيت

سيادة الصغير العمر عند المتنبي

لَيْسَ ٱلْحَدَاثَةُ مِنْ حِلْمٍ بِمَانِعَةٍ قَدْ يُوْجَدُ ٱلْحِلْمُ فِيْ ٱلشُّبَّانِ وَٱلشِّيَبِ
تَرَعْرَعَ ٱلْمَلِكُ ٱلأُسْتَاذُ مُكْتَهِلاً قَبْلَ ٱكْتِهَالٍ أَدِيباً قَبْلَ تَأْدِيبِ

وقالَ [في « العُكْبَريّ » ٤/ ١٠ منَ الكامل] :

صَغَّرْتَ كُلَّ كَبِيْرَةٍ وَكَبُرْتَ عَنْ لَكَـأَنَّـهُ وَعَـدَدْتَ سِـنَّ غُـلاَمِ

وقالَ [في « العُكْبَريّ » ٣/ ٢٣٢ منَ الوافر] :

وَأَعْجَبُ مِنْكَ كَيْفَ قَدَرْتَ تَنْشَا وَقَدْ أُعْطِيْتَ فِيْ ٱلْمَهْدِ ٱلْكَمَالاَ

وقالَ [في « العُكْبَريّ » ٣/ ٤٥ و٤٩ منَ الطويل] :

بِمَوْلُوْدِهِمْ صَمْتُ ٱللِّسَانِ كَغَيْرِهِ وَلَـٰكِنَّ فِيْ أَعْطَافِهِ مَنْطِقَ ٱلْفَضْلِ
وَقَدْ مَدَّتِ ٱلْخَيْلُ ٱلْعِتَاقُ عُيُوْنَهَا إِلَىٰ وَقْتِ تَبْدِيْلِ ٱلرِّكَابِ مِنَ ٱلنَّعْلِ

وقالَ [في « العُكْبَريّ » ٢/ ٨١ منَ البسيط] :

نَفْسٌ تُصَغِّرُ نَفْسَ ٱلدَّهْرِ مِنْ كِبَرٍ لَهَا نُهَىٰ كَهْلِهِ فِيْ سِنِّ أَمْرَدِهِ

---

(١) المريع : الخصيبُ الذي لا ينقطع . الثُّمالا : الماءُ القليلُ يبقىٰ في أَسفلِ الحوضِ ، أَو في أَيِّ إِناءٍ كانَ .

(٢) أي البيت الذي يتكلم عليه .

رفع المسهم

وقالَ [في « المُكْبَريّ » ٢/ ٨ منَ الطويل] :

أَرَىٰ ٱلْقَمَرَ ٱبْنَ ٱلشَّمْسِ قَدْ لَبِسَ ٱلْعُلاَ رُوَيْدَكَ حَتَّىٰ يَلْبَسَ ٱلشَّعَرَ ٱلْخَدُّ
وَبَاشَرَ أَبْكَارَ ٱلْمَكَارِمِ أَمْرَداً وَكَانَ كَذَا آبَاؤُهُ وَهُمُ مُرْدُ

وقالَ [في « المُكْبَريّ » ١/ ٣٤٥ منَ المتقارب] :

سَعَوْا لِلْمَعَالِيْ وَهُمْ صِبْيَةٌ وَسَادُوْا وَجَادُوْا وَهُمْ فِيْ ٱلْمُهُوْدِ

وقالَ [في « المُكْبَريّ » ٤/ ٦٤ منَ المنسرح] :

قَوْمٌ بُلُوْغُ ٱلْغُلاَمِ عِنْدَهُمُ طَعْنُ نُحُوْرِ ٱلْكُمَاةِ لاَ ٱلْحُلُمُ

بلوغ الغلمان عند يحيى بن زيد

والأَخيرُ مُنتزَعٌ مِنْ قولِ يحيىٰ بنِ زيدِ بنِ عليِّ بنِ الحُسينِ رضوانُ اللهِ عليهم [منَ الطويل] :

خَرَجْنَا نُقِيْمُ ٱلدِّيْنَ بَعْدَ ٱعْوِجَاجِهِ سَوِيّاً وَلَمْ نَخْرُجْ لِجَمْعِ ٱلدَّرَاهِمِ
إِذَا أَتْقَنَ ٱلتَّنْزِيْلَ وَٱلْعِلْمَ طِفْلُنَا فَإِنَّ بُلُوْغَ ٱلطِّفْلِ ضَرْبُ ٱلْجَمَاجِمِ

هٰذا واللهِ الشَّرفُ الَّذي يطأُ بأَخمَصهِ النُّجومَ ، ويغلبُ علىٰ النُّفوسِ عندَ ذِكْرِهِ الوجومُ ، ويُحاطُ دينُ اللهِ منهُ بالرّجومِ ، ويَعْذُبُ لِمَنْ سمعَهُ علىٰ الموتِ الهجومُ .

وما زالتِ الهاشميَّةُ نيرانَ الحتوفِ ، وأَربابَ الأَقلامِ والسُّيوفِ ، ومصابيحَ النورِ ، وهُداةَ العُوْرِ ، ولئن قلَّ في الأَواخرِ الباسُ . . فسأَذكرُ ما يناسبُ طهارتَهم مِنَ الأَدناسِ .

تربية الأسياد أولادهم

كثيراً ما سمعتُ والدي يقولُ : كانَ لآلِ جديدٍ وآلِ بصريٍّ وآلِ علويٍّ ثلاثةُ دِيارٍ ، عليها سورٌ بمدينة (تَرِيْمَ) ، يقالُ لها : (الحوطةُ) ، كانوا يحوطونَ أَولادَهم فيها بالنظرِ ، ويلاحظونَهم

رفع المسهم

بالتَّربيةِ حتَّىٰ لا يبرحوها ، ولا يطرُّ شاربُ الغلامِ منهم إلاَّ وقد ورَىٰ زنادُهُ ، وتجوهرَ فؤادُهُ ، وشملتْهُ الأسرارُ ، وأشرقَتْ عليهِ الأنوارُ ، والتحقَ بالصَّالحينَ الأخيارِ ، فلا يخافونَ عليهِ بَعدُ مِنْ مخالطةِ الأغيارِ .

اصحاب مشورة سيدنا عمر رضي الله عنه

وكانَ أصحابُ مشورةِ عمرَ شبَّاناً ، وكانَ يدني عبدَ اللهِ بنَ عبَّاسٍ ، ويدخلُهُ معَ الأشياخِ ، ولَمَّا قالوا لَهُ : إنَّ لنا أبناءً مثلَهُ . . قالَ : إنَّهُ مِنْ حيثُ ترونَ .

ولا جرمَ ؛ فإنَّ الفاروقَ لَمَّا قايسَ الناسَ بالفضيلةِ . . انبعثَتْ لها النفوسُ فارتفعَ الشأنُ ، وسَعِدَ الزمانُ .

تقديم الأسن عند الاستواء في الفضل

أمَّا قولُهُ ﷺ : « كبِّرْ كبِّرْ »[1] في قضيَّةِ حويصةَ وأخيهِ . . فإنَّما هوَ لاستوائِهم في الفضلِ ، وبمثلِهِ قالوا في قولِهِ ﷺ : « ثُمَّ لِيؤُمَّكُمْ أكْبَرُكُمْ »[2] : فإنَّهم استَوَوا في الإقامةِ لتلقِّي العلمِ معَ انتفاءِ التفاوتِ في الأفهامِ ، فكانوا غيرَ متفاوتينَ فيما تلقَّوْهُ مِنَ الفقهِ ، وبقيَتِ الأرجحيَّةُ بالسنِّ ، وقد بحثَ المحبُّ الطبريُّ تقديمَ الأسنِّ فيما إذا أسلموا معاً ، واستووا فقهاً ؛ لعمومِ هٰذا الحديثِ ، والأكثرُ علىٰ أنْ لا اعتبارَ للسنِّ في غيرِ الإسلامِ ، والظاهرُ أنَّ إسلامَهم معاً ، فلعلَّ في الأكبرِ فضيلةً زادَ بها عليهم ، فاستحقَّ التقديمَ ، أو لعلَّ المرادَ بالأكبرِ الأكبرُ منزلةً وقدراً ، فيُرادُ منهُ الأفقهُ حينئذٍ ، فيندفعُ مِنْ أصلِهِ الإشكالُ .

---

(١) أخرجه عن سهل بن أبي حثمة البخاري (٧١٩٢) في الأحكام ، ومسلم (١٦٦٩) في القسامة .

(٢) أخرجه عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه البخاري (٦٠٠٨) في الأدب ، ومسلم (٦٧٤) في المساجد .

رفع المسهم

سرعة بديهة يحيى بن أكثم

ولمَّا وليَ يحيىٰ بنُ أَكثمَ قضاءَ (البصرةِ) . . أَرادوا العبثَ بهِ ، فسأَلوهُ عَنْ سِنِّهِ ، ولمَّا تجاوزِ العشرينَ ، فقالَ : أَنا أَكبرُ مِنْ عتَّابِ بنِ أَسيدٍ[1] حينَ وجَّهَ بهِ رسولُ اللهِ ﷺ قاضياً علىٰ (مكَّةَ) يومَ الفتحِ ، وأَنا أَكبرُ مِنْ معاذِ بنِ جبلٍ[2] حينَ وجَّهَ بهِ النبيُّ ﷺ قاضياً علىٰ (اليمنِ) ، وأَنا أَكبرُ مِنْ كعبِ بنِ سورٍ[3] حينَ وجَّهَ بهِ أَبنُ الخطَّابِ قاضياً عليكُم ، فأَفحَمهم ؛ إِذْ جعلَ كلامَهُ أَحتجاجاً وجواباً .

المرء بأصغريه

وقَدِمَ علىٰ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ وفدٌ ، فيهم حَدَثٌ ، رآهُ يشرئبُّ للكلامِ ، فقالَ لهُ : كَبِّرْ كَبِّرْ ، فقالَ : لو كانَتْ بالسنِّ . . لكانَ في مجلسِكَ هٰذا مَنْ هوَ أَولىٰ منكَ بالخلافةِ ، إِنَّما المرءُ بأَصغريهِ ، فقالَ لهُ : تكلَّمْ ، فأَجادَ وشفىٰ ، وأَفادَ وكفىٰ[4] .

سيادة أبي جهل

وسادَ أَبو جهلِ أَبنُ هشامٍ قبلَ أَنْ يَطُرَّ عِذارُهُ[5] ، وكانَتْ مشيخةُ قريشٍ تُدخِلُهُ معها دارَ الندوةِ ، ولا تقطعُ أَمراً دونَهُ .

---

(١) عَتّاب بن أَسيد أبن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس، أبو عبد الرحمن، والٍ صحابي قرشي أموي مكي ولد سنة : (١٣ ق. هـ) ومات سنة : (١٣ هـ).

(٢) معاذ : صحابي خزرجي، أبو عبد الرحمن، ولد سنة : (٢٠ ق. هـ) ومات سنة : (١٨ هـ) كان من أعلم الأمة بالحلال والحرام.

(٣) كعب بن سور بن بكر الأزدي، تابعيٌّ من الأعيان المقدمين في صدر الإسلام توفي سنة : (٣٦ هـ).

(٤) في « جمهرة خطب العرب » (٤١٩/٢). فقال عند ذلك أمير المؤمنين [من الطويل]:

تَعَلَّمْ فَلَيْسَ ٱلْمَرْءُ يُوْلَدُ عَالِماً ... وَلَيْسَ أَخُوْ عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلُ

وَإِنَّ كَبِيْرَ ٱلْقَوْمِ لاَ عِلْمَ عِنْدَهُ ... صَغِيْرٌ إِذَا ٱلْتَفَّتْ عَلَيْهِ ٱلْمَحَافِلُ

(٥) العِذار : ما طلعَ مِنْ وَبرِ جانبِ لحيتهِ .

رفع المسهم

سيادة عمرو بن كلثوم

وسادَ عمرو بنُ كلثومٍ ـ صاحبُ المعلَّقةِ ـ لخمسَ عشرةَ سنةً ، ثُمَّ لَمْ يمُتْ إلاَّ عن مئةٍ وخمسينَ ربيعاً، وهو القائلُ [في «ديوانِهِ» ١٠٠ منَ الوافر]:

إِذَا بَلَـغَ ٱلْفِطَـامَ لَنَـا صَبِـيٌّ تَخِـرُّ لَـهُ ٱلْجَبَـابِـرُ سَـاجِـدِيْنَـا

سيادة أخ الخنساء

وقالَتِ ٱلخنساءُ [في « ديوانِها » ١٥ منَ المتقارب] :

طَـوِيْـلُ ٱلنِّجَـادِ رَفِيْـعُ ٱلْعِمَـا دِ سَـادَ عَشِيْـرَتَـهُ أَمْـرَدَا[1]

سيادة طرفة بن العبد

وقالَتْ أُختُ طرفةَ بنِ العبدِ في رثائِهِ [كما في « خزانةِ الأدبِ » ٢/ ٤٢٣ منَ الطويل] :

عَدَدْنَا لَهُ سِتّاً وَعِشْرِيْنَ حِجَّةً فَلَمَّا تَوَفَّاهَا ٱسْتَوَىٰ سَيِّداً ضَخْمَا

محمد بن القاسم بيد الأكراد وعمره سبع عشرة سنة

ويروىٰ : أَنَّ الحجَّاجَ ولَّىٰ محمَّدَ بنَ القاسمِ قتالَ الأكرادِ بـ(فارسَ) ، فأَبادَهم ، ثُمَّ ولاَّهُ (السِّنْدَ) و(الهندَ) ، فأُحمِدَ أَثرُهُ ، وسِنُّهُ إِذْ ذاكَ سبعَ عشرةَ سنةً ، فقالَ فيهِ بعضُ الشعراءِ [زياد الأعجم كما في « المستطرف » ١/ ٤٩٧ منَ الكامل] :

قُدْتَ ٱلْجُيُوْشَ لِسَبْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً يَا قُرْبَ ذَلِكَ سُؤْدُداً مِنْ مَوْلِدِ

الشعراء والسيادة في الصغر

وقالَ جريرٌ لعُمرَ بنِ عبدِ العزيزِ [منَ الوافر] :

فَسُدْتَ ٱلنَّاسَ قَبْلَ سِنِيِّ عَشْرٍ كَذَاكَ أَبُوْكَ قَبْلَ ٱلْعَشْرِ سَادَا

وقالَ الفرزدقُ يمدحُ يزيدَ بنَ المُهلَّبِ [في « ديوانِهِ » ١/ ٣٧٨ منَ الكامل] :

مَـا زَالَ مُـذْ عَقَـدَتْ يَـدَاهُ إِزَارَهُ وَسَمَـا وَأَدْرَكَ خَمْسَـةَ ٱلأَشْبَـارِ

يُدْنِيْ كَتَائِبَ مِنْ كَتَائِبَ تَلْتَقِيْ فِـيْ ظِـلِّ مُعْتَبَـطِ ٱلْغُبَـارِ مُثَـارِ

---

(١) النجادِ : حمائلُ السيفِ ، وطويلُ النجاد: كنايةٌ عن طولِ القامةِ . رفيع العماد ، يقال : رجلٌ معمدٌ ؛ أي : طويلٌ .

رفع المسهم

وَمِمَّا أَصابَ المَحزَّ ، وطَبَّقَ المِفْصَلِ ، قولُ الحزينِ الكنانيِّ في الإمامِ زيدِ بنِ عليٍّ[1] رضوانُ اللهِ عليهم [منَ الطويل] :

وَلَمَّا تَرَدَّىٰ بِٱلْحَمَائِلِ وَٱنْثَنَىٰ ... يَصُوْلُ بِأَطْرَافِ ٱلْقَنَا وٱلْقَنَابِلِ
تَبَيَّنَتِ ٱلأَعْدَاءُ أَنَّ سِنَانَهُ ... يُطِيْلُ حَنِيْنَ ٱلأُمَّهَاتِ ٱلثَّوَاكِلِ
تَبَيَّنَ فِيْهِ مُلْيِمُ ٱلْعِزِّ وَٱلتُّقَىٰ ... وَلِيْداً يُفَدَّىٰ بَيْنَ أَيْدِيْ ٱلْقَوَابِلِ

وقالَ العلويُّ صاحبُ الزنجِ [منَ البسيط] :

إِنِّيْ وَقَوْمِيَ فِيْ أَنْسَابِ قَوْمِهِمُ ... كَمَسْجِدِ ٱلْخَيْفِ فِيْ بَحْبُوْحَةِ ٱلْخَيْفِ
مَا عُلِّقَ ٱلسَّيْفُ مِنَّا بِٱبْنِ عَاشِرَةٍ ... إِلاَّ وَهِمَّتُهُ أَمْضَىٰ مِنَ ٱلسَّيْفِ

ومِنْ خالصِ الشعرِ ، ومختارِ الكلامِ ، قولُ مروانَ ٱبنِ أَبي حفصةَ[2] يمدحُ معنَ بنَ زائدةَ[3] [في « ديوانه » ٦٤ـ٦٥ منَ الطويل] :

نَجِيْبُ مَنَاجِيْبٍ وَسَيِّدُ سَادَةٍ ... ذُرَىٰ ٱلْمَجْدِ مِنْ فَرْعَيْ نِزَارٍ تَفَرَّعَا
لَبَانَتْ خِصَالُ ٱلْخَيْرِ فِيْهِ وَأُكْمِلَتْ ... وَمَا كَمَلَتْ خَمْساً سِنُوْهُ وَأَرْبَعَا
لَقَدْ أَصْبَحَتْ فِيْ كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ ... بِسَيْفِكَ أَعْنَاقُ ٱلْمُرِيْبِيْنَ خُضَّعَا
وَطِئْتَ خُدُوْدَ ٱلْحَضْرَمِيِّيْنَ وَطْأَةً ... بِهَا مَا بَنَوْا مِنْ عِزَّةٍ قَدْ تَضَعْضَعَا
فَأَقْعَوْا عَلَىٰ ٱلأَسْتَاهِ إِقْعَاءَ مَعْشَرٍ ... يَرَوْنَ ٱتِّبَاعَ ٱلذُّلِّ أَوْلَىٰ وَأَنْفَعَا
فَلَوْ مُدَّتِ ٱلأَيْدِيْ إِلَىٰ ٱلْحَرْبِ كُلُّهَا ... لَكَفُّوْا وَمَا مَدُّوْا إِلَىٰ ٱلْحَرْبِ إِصْبَعَا

---

(١) زيد بن علي بن الحسين بن علي ٱبن أبي طالب، الإمام، أبو الحسين العلوي الهاشمي القرشي، ويقال له: زيد الشهيد، عدَّه الجاحظ من خطباء بني هاشم. توفي سنة: (١٢٢هـ). عن (٤٣) سنة.

(٢) هو مروان بن سليمان ٱبن أبي حفصة يزيد، شاعر عالي الطبقة توفي سنة: (١٨٢ هـ).

(٣) هو أشهر أجواد العرب وشجعانهم الفصحاء توفي سنة: (١٥١ هـ).

رفع المسهم

وما أحسنَ قولَ بعضِهم [منَ الوافر] :

إِذَا مَـا أَوَّلُ ٱلْخَطِّـيِّ أَخْطَـا ... فَمَـا يُـرْجَـىٰ لآخِـرِهِ ٱنْتِصَـارُ
وَإِنْ جَازَ ٱلْفَتَىٰ عِشْرِينَ عَاماً ... وَمَـا بَلَـغَ ٱلْمُـرَادَ فَـذَاكَ عَـارُ

ولكنَّ الإمامَ أَبا حنيفةَ أَمهلهُ إلىٰ خمسةٍ وعشرينَ عاماً ، فمتىٰ بلغَها . . دُفعَ له مالهُ ، وإِنْ لَمْ يستجمعْ رشدَهُ ؛ لليأسِ مِنْ صلاحِهِ ، ولأَنَّ السنَّ المذكورَ غايةُ ما ينتهي إليهِ الاستواءُ .

وقالَ أَبو عبادةَ وقد أَوفىٰ علىٰ الإجادةِ [في « ديوانهِ » ٣/ ١٤١٤ـ١٤١٥ منَ الكامل] :

مُسْتَظْهِـرٌ بِـذَخِيـرَةٍ مِـنْ رَأْيِـهِ ... تُمْضِي ٱلأُمُوْرَ وَبَحْرُهَا لَمْ يُنْزَفِ
إِلاَّ يَكُـنْ كَهْـلَ ٱلسِّنِيْـنَ فَـإِنَّـهُ ... كَهْلُ ٱلتَّجَارِبِ فِيْ ضَجَاجِ ٱلْمَوْقِفِ
تَبْـدُوْ مَـوَاقِـعُ رَأْيِـهِ وَكَـأَنَّهَـا ... غُرَرُ ٱلسَّوَابِقِ مِنْ يَفَاعِ مُشْرِفِ[1]
وَإِذَا خِطَابُ ٱلْقَوْمِ فِيْ ٱلْخَطْبِ ٱعْتَلَىٰ ... فَصَـلَ ٱلْقَضِيَّـةَ فِـيْ ثَـلاَثَـةِ أَحْـرُفِ

ومِمَّا يعجبني مِنْ هٰذهِ القصيدةِ قولهُ [في «ديوانه» ٣/ ١٤١٧ من الكامل] :

قَـاسَمْتَـهُ أَخْـلاَقَـهُ وَهْـيَ ٱلـرَّدَىٰ ... لِلْمُعْتَدِيْ ، وَهِيَ ٱلنَّدَىٰ لِلْمُعْتَفِيْ
فَإِذَا جَرَىٰ مِنْ غَايَةٍ وَجَرَيْتَ مِنْ ... أُخْرَىٰ ٱلْتَقَىٰ شَأْوَاكُمَا فِيْ ٱلْمَنْصَفِ

وما زالَ الناسُ يُعجبونَ بقولِ ٱبنِ هانىء الأَندلسيِّ [منَ الكامل] :

أَبَنِيْ ٱلْعَوَالِيْ ٱلسَّمْهَرِيَّةِ وَٱلْمَوَا ... ضِيْ ٱلْمَشْرَفِيَّةِ وَٱلْعَدِيْدِ ٱلأَكْثَرِ
مَنْ مِنكُمُ ٱلمَلِكُ ٱلْمُطَاعُ كَأَنَّهُ ... تَحْتَ ٱلسَّوَابِغِ تُبَّعٌ فِيْ حِمْيَرِ[2]

---

(١) اليفاعُ : ما ارتفعَ منَ الأرضِ .
(٢) السمهريةُ : الرماحُ الصلبةُ الشديدةُ . السوابغُ ، يقالُ : سبغَ الشيءُ : طالَ =

رفع المسهم

حتَّىٰ وجدْتُ بعضَ لفظِهِ مِنْ قولِ البُحتريِّ [في « ديوانهِ » ٢/١٠٢٩ منَ الكامل] :

وَتَنَاوَلَ ٱلضَّحَّاكَ مِنْ خَلْفِ ٱلْقَنَا وَٱلْمَشْرَفِيَّةِ وَٱلْعَدِيدِ ٱلأَكْثَرِ

وبَعضُ المعنىٰ مِنْ قولِهِ في القصيدةِ الَّتي نوَّهنا بها [في « ديوانهِ » ٣/١٤١٣ـ١٤١٤ منَ الكامل] :

يَهْدِيهِمُ ٱلأَسَدُ ٱلْمُطَاعُ كَأَنَّهُ عِنْدَ ٱجْتِمَاعِ ٱلْجَحْفَلِ ٱلْمُتَضَايِفِ
عَمْرُو ٱلْقَنَا فِيْ مَذْحِجٍ أَوْ حَاتِمٌ فِيْ طَيِّءٍ أَوْ عَامِرٌ فِيْ خِنْدِفِ

إلاَّ أنَّ ابن هانىءٍ بتناسقِ قولِهِ ، وجزالةِ لفظِهِ ، وأطرادِ سياقِهِ ، وحُسنِ اتِّباعهِ . . كانَ الأحقَّ بِهِ .

إلمام المتنبي بقول البحتري

وقد ألَمَّ الناظمُ بقولِ البُحتريِّ : (فَصَلَ ٱلْقَضِيَّةَ فِيْ ثَلاَثَةِ أَحْرُفٍ) ، وذلكَ حيثُ يقولُ [في « العُكْبَريِّ » ٢/٢٨٥ منَ الطويل] :

يَقُوْمُ مَقَامَ ٱلْجَيْشِ تَقْطِيْبُ وَجْهِهِ وَيَسْتَغْرِقُ ٱلأَلْفَاظَ مِنْ لَفْظِهِ حَرْفُ

وفي قولِهِ [في « العُكْبَريِّ » ٣/٣٩٧ منَ الطويل] :

حُرُوْفُ هِجَاءِ ٱلنَّاسِ فِيْهِ ثَلاَثَةٌ: جَوَادٌ وَرُمْحٌ ذَابِلٌ وَحُسَامُ

تألم المؤلف على ما آل إليه حال العلويين ونصحه لهم

وبمناسبةِ ما سبقَ عَنْ يحيىٰ بنِ زيدٍ ، وما قيلَ في أبيهِ ، وما ذكرتُهُ عَنْ صاحبِ الزنجِ ، وما سقتُهُ في كرامةِ آبائِنا ، وكونِ الممدوحِ في القصيدةِ الَّتي بينَ أيدينا علويَّ النسبِ . . أنعي علىٰ العلويِّينَ أنقسامَهم وتخاذُلَهم وانحطاطَهم ، حتَّىٰ لقد نهبَ

= وأتَّسعَ ، وسبغتِ الدروعُ : فهيَ السوابغُ .

رفع المسهم

الصَّيْعَرُ[1] اثنتين مِنَ الإماءِ مرَّةً ، إحداهما لعلويٍّ ، والأُخرىٰ لدلأَلٍ . فأمَّا الثاني : فلَمْ يَصِلْ إلىٰ (الريدةِ) لاستنقاذِها إلاَّ في أربعِ مئةٍ مِنْ أبناءِ جنسِهِ ، جاؤوا مدداً لهُ مِنْ نواحي (حضرموت) . وأمَّا العلويُّ : فلَمْ يلبِّهِ أحدٌ ، ولَمْ يَصِلْ إلاَّ وحدَهُ ، فما أحقَّهُ بأنْ يتمثَّلَ لهُم بما سيأتي قُبَيلَ المجلسِ السابعِ : وكَمْ لها مِنْ أخواتٍ تُعَدُّ بالمئاتِ ، لَمْ يَجُفَّ بعضُها بعدُ . ولولا ما في ذِكرِها مِنْ جَرحِ العواطفِ بلا كبيرِ فائدةٍ . . لسردْنا منها ، فإنَّا نَعُدُّ منها ولا نعدِّدُها [منَ البسيط] :

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبِحْ إِبِلِي ... بَنُو اللَّقِيطَةِ مِنْ ذُهْلِ ابْنِ شَيْبَانَا
لٰكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ ... لَيْسُوا مِنَ الْخَيْرِ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا

والعَجَبُ أنَّكَ لا ترىٰ أحداً مِنَ الناسِ يتكلَّمُ في الأخلاقِ ومدحِ الاجتماعِ مثلَهم ، ومعَ ذلكَ ـ ولا أُحاشي ـ تجدهُم مِنْ أكثرِ الخَلْقِ نفاقاً ، وأفسدِهم أخلاقاً ، وإنَّكَ لتجدُ الحاكمَ وَمَنْ دونَهُم يَفْضُلونَهُم في الهيئةِ الاجتماعيَّةِ بدرجاتٍ ، فما أقلَّ حياءَهُم ، وما أصفقَ وجوهَهُم ؛ إذْ يتبجَّحونَ بالانتسابِ إلىٰ ساداتِ الكونِ علىٰ بُعْدِ ما بينَهُم مِنَ الفرقِ والبَونِ ، ولله درُّ القائلِ [منَ البسيط] :

لَسْتُمْ بِبَيْهَسٍ وَلَسْتُمْ مِنْ سُلاَلَتِهِمْ ... إِنْ لَمْ يَكُنْ أَمْرُكُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ أَمَمَا

وما أحسنَ قولَ الناظمِ [في « العَبْقَريِّ » ١/١٥٦ منَ الطويل] :

إِذَا عَلَوِيٌّ لَمْ يَكُنْ مِثْلَ طَاهِرٍ ... فَمَا هُوَ إِلاَّ حُجَّةٌ لِلنَّوَاصِبِ[2]

---

(١) الصيعرُ : قبيلة من قبائل (حضرموت) .

(٢) النواصب ـ جمع ناصبٍ ـ : وهم الخوارجُ الذين نصبوا العداوة للإمام عليِّ ابنِ أبي طالبٍ عليه السلام .

رفع المسهم

وهو مِنْ قولِ شاعرٍ قبلَهُ ، يقولُ لبعضِ العلويِّينَ [منَ الطويل] :

إِذَا ٱلْغُصْنُ لَمْ يُثْمِرْ وَإِنْ كَانَ شُعْبَةً ... مِنَ ٱلْمُثْمِرَاتِ ٱعْتَدَّهُ ٱلنَّاسُ فِي ٱلْحَطَبْ

متى يبلغ البنيان التمام؟!

ولمَّا ٱنحرفَتْ سيرةُ المُوسَوِيِّينَ بـ(بغدادَ) . . كتبَ لهُم أَحدُ محبِّيهِم ـ بما قَوْمُنا بِهِ الآنَ أَحقُّ منهم ـ وهو هـٰذا [منَ الطويل] :

يَعِزُّ عَلَىٰ أَسْلاَفِكُمْ يَا بَنِي ٱلْعُلاَ ... إِذَا نَالَ مِنْ أَعْرَاضِكُمْ شَتْمُ شَاتِمِ

بَنَوْا لَكُمُ مَجْدَ ٱلْحَيَاةِ فَمَا لَكُمْ ... أَسَأْتُمْ إِلَىٰ تِلْكَ ٱلْعِظَامِ ٱلرَّمَائِمِ

إِذَا أَلْفُ بَانٍ خَلْفَهُمْ هَادِمٌ كَفَىٰ ... فَكَيْفَ بِبَانٍ خَلْفَهُ أَلْفُ هَادِمِ

والمعنىٰ موجودٌ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب : ٣٠] ، وقولُهُ : ﴿يسيراً﴾ ممَّا يحقُّ بِهِ للأَحزانِ أَنْ تُشملَ رياطُها[1] ، وللقلوبِ أَنْ يتقطَّعَ نياطُها[2] ، فما لنبيٍّ معهُ إِرادةٌ ، ولا بينَهُ وبينَ أَحدٍ مِنْ خلقِهِ هوادةٌ ، فأَنَّىٰ ينجو المقصِّرُ ، أَو يسعدُ الطالحُ ، وقد قالَ الله تعالىٰ لنوحٍ عليه السلام : ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [هود : ٤٦] ، وما أَحسنَ ما قلتُ مِنْ قصيدٍ [منَ الطويل] :

إِذَا لَمْ يَسِرْ نَجْلُ ٱلنَّبِيِّ بِسَيْرِهِ ... فَلاَ بِدْعَ إِنْ قَالَ ٱلْعِدَا إِنَّهُ دَعِيْ

أَيُّ حقٍّ نصروهُ ؟! وأَيُّ باطلٍ أَنكروهُ ؟! وأَيُّ واحدٍ منهم تمعَّرَ وجهُهُ[3] في ذاتِ اللهِ ؟! معَ عَرْضِ دعاويهِم وطولِها ، وكثرةِ

---

(١) الرياط : الملاءةُ إذا كانتْ قطعةً واحدةً ، وهو تشبيهٌ للأحزانِ بما ذكرنا .

(٢) نياطُ القلب : عِرقٌ نيطَ به ٱلقلب إلىٰ ٱلوتين .

(٣) تمعُّرُ الوجهِ : تغيُّرُه وٱعتلاءُ الصُّفرةِ عليه من ٱلغيظ .

رفع المسهم

مواعظِهم وفضولِها ، بلْ أيُّ رذيلةٍ بـ(حضرموتَ) و(جاوه)[1] لَمْ يقرعوا مروءتَها ، ولَمْ يصعَدوا ذِروتَها ؟!

قصيدة للمؤلف في العلويين

أَرُوْنِيْ أَمْرَاً مِنْهُمْ تَمَعَّرَ عِنْدَمَا ... تَمَطَّىٰ ٱلْبَلاَ فِيْ قُطْرِنَا بِظَلاَمِهِ
وَقَامَ ٱحْتِسَاباً يَوْمَ حَلَّتْ بِعُقْرِنَا ... طَلاَئِعُ كُفْرٍ هَمُّهَا فِيْ ٱلْتِهَامِهِ
أَيُغْضِيْ عَلَىٰ هَـٰذَا ٱلْقَذَا جَفْنُ مُسْلِمٍ ... يُؤَمِّلُ بِـٱلإِسْلاَمِ مَحْوَ آثَامِهِ ؟
وَيَرْضَىٰ بِتَحْرِيْفِ ٱلشَّرِيْعَةِ طَامِعٌ ... مِنَ ٱللهِ أَنْ يَحْظَىٰ بِحُسْنِ خِتَامِهِ
وَيُدْهِنُ فِيْ ذَاتِ ٱلإِلَـٰهِ وَلَوْ عَدَوْا ... عَلَىٰ شَاتِهِ لَمْ يَنْحَجِزْ عَنْ قِيَامِهِ
وَيَغْضَبُ فِيْ شَرْوَىٰ نَقِيْرٍ وَيُكْثِرُ ... ٱلضَّجَاجَ إِذَا مَا زَادَ مِلْحُ طَعَامِهِ
وَيَخْطِرُ مِثْلَ ٱلْفَحْلِ إِنْ قَصَّرَ ٱمْرُؤٌ ... يُـلاَقِيْـهِ فِـيْ تَقْبِيْلِـهِ وَٱحْتِـرَامِـهِ
إِذَا لَـمْ يَكُـنْ يَـرْجُـوْ وَإِلاَّ فَـإِنَّـهُ ... يُـلاَيِنُـهُ مِـنْ قَبْـلِ رَدِّ سَـلاَمِـهِ
فَهَيْهَاتَ مِمَّنْ كَانَ ذَا وَصْفَهُ ٱلتُّقَىٰ ... وَإِنْ زَادَ فِـيْ تَسْبِيْحِـهِ وَصِيَـامِـهِ
فَزِيُّ صَـلاَحِ ٱلْقَـوْمِ مَـا رَيْـتُ مِثْلَـهُ ... مِنَ ٱلسُّحْبِ إِلاَّ خَالِيَاتِ جَهَامِهِ[2]

هل صحيح أن الإنسان الذي يبلغ التمام في أمر يُنفذ هذا الأمرَ من ذريته؟

ولا أَزالُ في وَجَلٍ مِنْ مقالةٍ طرقتْ سمعي في « شرحِ النهجِ » [١٢/٤٥] ، حاصلُها : أَنَّ سيِّدَنا عُمرَ بنَ الخطَّابِ ٱستفرغَ عدلَ ذُرِّيَّتِهِ ، فَلَمْ يتولَّ منهمْ عادلٌ إلاَّ نادراً بطريقةِ الشذوذِ ؛ لأَنَّ الأَمرَ في أَسلافِنا علىٰ مقرُبةٍ مِمَّا ذُكِرَ عَنِ ٱبْنِ الخطَّابِ في بلوغِ الغاياتِ مِنَ ٱلفضائلِ ، فنخافُ أَن يكونَ السابقونَ إلىٰ عهدِ المُقدَّمِ[3] ٱستفرغوا

---

(١) جاوه: وتعني (إندونيسية).

(٢) والأبيات من نظم المؤلِّفَ ـ رحمهُ اللهُ ـ في « ديوانه » (٣٠٢ـ٣٠٣) منَ الطويل.
الجَهَامُ : السحابُ الَّذي لا ماءَ فيهِ ، وقيل : الَّذي قد هَراقَ ماءَهُ معَ الريحِ .

(٣) أي: إلى عهدِ الإمامِ شيخ الشيوخِ الفقيه المُقَدَّمِ : محمَّدِ بنِ عليٍّ الشريف =

رفع المسهم

ما لِمَنْ بعدَهم مِنَ ٱلجهادِ والكفاحِ ، وملاعبةِ الأَسنَّةِ والصِّفاحِ ، وأَنْ يكونَ الفقيهُ ومَنْ بعدَهُ ٱستفرغوا ما لأَهلِ عصرِنا مِنْ خيرٍ وصلاحٍ ، وفوزٍ ونجاحٍ ، وتقوىً وعبادةٍ ، وورعٍ وزَهادةٍ ، ورُبَّما شهدَ الزمانُ ، ودلَّلَ العِيانُ .

وَكَمْ سُقْتُ فِيْ آثارِهِمْ مِنْ نَصِيحَةٍ ... وَقَدْ يَسْتَفِيدُ ٱلظِّنَّةَ ٱلْمُتَنَصِّحُ[1]

الكمال بين الناقصين ذنب

ولٰكنَّهم قد وصلوا ـ مِنْ سوءِ الحالةِ ـ إلىٰ حَدٍّ أَنَّهم يعدُّونَ للإِنسانِ ذنباً كمالَهُ .

قصيدة أخرى للمؤلف في نعي أسلافه وحث إخوانه

ولا بأسَ أَن نختمَ ٱلمجلسَ ـ علىٰ طولِهِ ـ بذرورٍ مِنَ ٱلقصيدةِ ٱلَّتي ختمْتُ بها كتابي « صوبَ ٱلرُّكامِ » ؛ لأنَّ فيهِ مناسبةً للمقامِ [في « ديوان المؤلف » ١٩٧ منَ الطويل] :

وَقَدْ أَلْجَمَ ٱلإِذْهَانُ آلَ مُحَمَّدٍ ... فَمَا رَيْتُ مَنْ للهِ يَرْضَىٰ وَيَغْضَبُ
كَأَنْ لَمْ يَكُوْنُوْا مِنْ عَلِيٍّ وَلَمْ يَمُتْ ... لَهُمْ فِيْ قِرَاعِ ٱلْجَوْرِ جَدٌّ وَلاَ أَبُ
وَيَا لَيْتَهُمْ كَانُوْا كَفَافاً وَلاَ جَنَىٰ ... عَلَىٰ ٱلدِّيْنِ مِنْهُمْ كَاشِحُونَ وَأَجْلَبُوْا
وَلَوْلاَ ٱفْتِرَاقٌ بَيْنَهُمْ عَمَّ شَرُّهُ ... لأَوْشَكَ صَدْعُ ٱلْقُطْرِ بِٱلْجَوْرِ يُشْعَبُ
أَلَحُّوْا وَلَجُّوْا فِيْ بِعَادٍ وَبِغْضَةٍ ... فَقَدْ نَشَّبُوْا فِيْ حَبْلِ غَيٍّ وَأَنْشَبُوْا[2]
وَفِيْ شِعْرِ حَدَّادِ ٱلْقُلُوْبِ نَظِيْرُ مَا ... ذَكَرْتُ فَمَاذَا يُنْكِرُ ٱلْمُتَحَزِّبُ ؟[3]
وَإِنْ خَاضَ فِيْ ٱلإِصْلاَحِ بَعْضٌ فَإِنَّهَا ... أَمَانِيُّ آرَاءٍ بِهِمْ تَتَشَعَّبُ

= الحسيني التريمي المتوفىٰ سنة : (٦٥٣ هـ) بـ(تريم) رحمه الله تعالىٰ .

(١) البيت من الطويل ، الظِّنَّةُ : التهمة .

(٢) نَشَّبُوا وأنشبوا : تعلقوا بحبل الضلال .

(٣) حداد القلوب : هو الإمام عبد الله الحداد المتوفى سنة (١١٣٢ هـ) رحمه الله تعالى .

رفع المسهم

يُرِيْدُوْنَهُ مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهِ وَهَلْ ... مَعَ التَّرْكِ لِلأَسْبَابِ يُرْجَىٰ ٱلْمُسَبَّبُ ؟

يَقُوْلُوْنَ مَا لاَ يَفْعَلُوْنَ وَإِنْ تَشِمْ ... وَمِيْضَ وُعُوْدٍ مِنْهُمُ فَهِيَ خُلَّبُ[1]

سِرَاعٌ إِلَىٰ مَا فِيْهِ ضَرٌّ بِقَدْرِ مَا ... يَفِرُّوْنَ عَمَّا فِيْهِ نَفْعٌ مُرَتَّبُ

فَهُمْ فِيْ ٱضْطِرَابٍ مِنْ عُبَابِ مَذَاقَةٍ ... أُجَاجٌ وَلٰكِنْ لِلسَّفَاهِيْنَ يَعْذُبُ[2]

لِسُوْقِ ٱلْمَلاَهِيْ وَٱلسَّفَاسِفِ بَيْنَهُمْ ... رَوَاجٌ وَلٰكِنْ لَيْسَ لِلْحَقِّ مَشْرَبُ

وَلَمَّا رَأَوْنِيْ رَافِعَ ٱلصَّوْتِ بِٱلدُّعَا ... إِلَيْهِ تَحَامَوْنِيْ كَأَنِّيَ أَجْرَبُ

يُقِرُّوْنَ بِالإِجْمَاعِ لِيْ بِتَفَرُّدِيْ ... وَمَا لِيَ فِيْهِمْ قَطُّ سَهْلٌ وَمَرْحَبُ

جَزَاءُ قِيَامِيْ بِٱلنَّصِيْحَةِ أَنَّنِيْ ... إِذَا شِدْتُ بُنْيَاناً مِنَ ٱلْمَجْدِ خَرَّبُوْا

يُرِيْدُوْنَ أَنْ يُطْفُوْا بِضِغْنٍ نُفُوْسِهِمْ ... سِرَاجَ هُدىً يُزْكِيْهِ عِلْمٌ فَخُيِّبُوْا

وَيَهْوَوْنَ مَوْتِيْ وَهْوَ مَوْتٌ لِعِزِّهِمْ ... فَلَيْسَ لَهُمْ إِلاَّيَ فِيْ ٱللَّيْلِ كَوْكَبُ

يَقُوْلُوْنَ لِيْ : وَارِبْ فَتَأْبَى أُبُوَّتِيْ ... وَأَصْلِيْ وَطَبْعِيْ ، وَٱلطَّبِيْعَةُ أَغْلَبُ[3]

وَعِرْضٌ كَعَيْنِ ٱلدِّيْكِ مَا فِيْهِ نُكْتَةٌ ... وَسَلْ هَلْ لِطَعْنٍ صَادِقٍ فِيَّ مَذْهَبُ ؟

عَفَافٌ بِهِ فِيْ ٱلنَّاسِ أَعْطُسُ شَامِخاً ... كَأَنِّيْ عَلَىٰ حُسْنِ ٱعْتِدَالٍ مُشَذَّبُ[4]

عَلَىٰ حِيْنَ لاَ عِرْضٌ بِلاَ مَثْنَوِيَّةٍ ... لأَغْدَائِنَا إِلاَّ بِعَارٍ مُخَضَّبُ[5]

وَغَايَتُهُمْ أَنْ يَفْتَرُوْا وَمَتَىٰ ٱفْتَرَوْا ... أَقُوْمُ وَلاَ أَنْسَىٰ ٱلتَّحَدِّيْ وَأَخْطُبُ[6]

---

(١) تَشِمْ : تنظر ، من شام البرقَ إذا نظر إليه . خُلَّبُ: كاذب ، ومنه قولهم: برق خُلَّب.

(٢) العبابُ : معظمُ السيلِ أو موجُهُ .

(٣) في الأصل: أمومتي، وهو تصحيف. وَارِبْ: خادعْ .

(٤) مُشَذَّبُ : مُهذَّب مُصلَّح .

(٥) بلاَ مَثْنَوِيَّةٍ : بلا استثناء .

(٦) في المخطوط و«الديوان»: أنسىٰ، ولعله قال: أخشىٰ . ولقد تداخل البيت على السيد هنا عمَّا في «الديوان» فأخذ صدراً من بيتٍ وعجزاً من البيت الذي =

رفع المسهم

وَذَلِكَ تَارِيخِيْ نَقِيٌّ وَحُجَّتِيْ ... يَخِرُّ صَرِيعاً دُوْنَهَا ٱلْمُتَعَصِّبُ
وَمَنْ يَكُ فِيْ شَكٍّ فَهَا أَنَا ذَا وَمَا ... أَخَافُ وَلِيْ مِنْ نَاصِعِ ٱلْحَقِّ مَرْكَبُ
إِذَا لَمْ أُجِبْ عَنْ كُلِّ قَوْلٍ بِقَاطِعٍ ... فَلاَ عُدْنَ بِيْ ٱلأَمْثَالُ فِيْ ٱلْفَهْمِ نُضْرَبُ

ومنها :

بَعُدْتُ بِفَضْلِيْ عَنْهُمُ قَدْرَ مَا دَنَا ... رِفَاقُ ٱلْخَنَا وَٱلشَّكْلُ لِلشَّكْلِ يَجْذُبُ
وَمَا زَالَ لِيْ بِٱللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ... عَلَىٰ هَامَةِ ٱلشِّعْرَىٰ خِبَاءٌ مُطَنَّبُ[1]
عِلاَءٌ بِلاَ جُنْدٍ وَلاَ رِيحِ دَوْلَةٍ ... عَلَىٰ قُلَلِ ٱلشُّمِّ ٱلذُّرَىٰ يَتَوَثَّبُ
سَأَمْضِيْ بَرَاحاً لاَ ضَرَاءَ إِلَىٰ ٱلْعُلَىٰ ... وَفِيْ نَصْرِ دِيْنِ ٱللهِ لاَ أَتَهَيَّبُ[2]
وَلِيْ قَلَمٌ كَٱلْمَشْرَفِيِّ وَمِقْوَلٌ ... يُذِيْبُ ٱلصَّفَا آنَاءَ أُمْلِيْ وَأَكْتُبُ

وٱللهُ أَعلمُ

* * *

= يليه، وهي في «الديوان» :

وَغَايَتُهُمْ أَنْ يَكْذِبُوْا وَمَتَىٰ ٱفْتَرَوْا ... أَقُوْلُ تَعَالَوْا قَابِلُوْنِيْ فَيَهْرُبُوْا
يَعِيْبُونَنِيْ غَيْباً وَفِيْ كُلِّ مَشْهَدٍ ... أَقُوْمُ وَلاَ أَنْسَىٰ ٱلتَّحَدِّيْ وَأَخْطُبُ

(١) الشِّعْرَىٰ : كوكبٌ نيرٌ يَطْلُعُ عند شدةِ ٱلحرّ . خباءٌ مطنبٌ : بناءٌ من وبرٍ مشدودٌ بالحبالِ .

(٢) البراح : الجهرُ . الضرّاءُ : الاستخفاءُ .

رفع المسهم

المجلس الرّابع

[قالَ أَبو الطيِّبِ المتنبِّي في « العُكْبَريِّ » ٣/ ١٦٠ منَ الطويل] :

مُحِبِّيْ قِيَامِيْ مَا لِذَالِكُمُ ٱلنَّصْلِ بَرِيّاً مِنَ ٱلْجَرْحَىٰ سَلِيْماً مِنَ ٱلْقَتْلِ

نكوص اصحاب المتنبي عنه وتكليفهم إياه شيئاً ليس من شيمته

إمَّا أَنْ يكونَ معناهُ : تُحبُّونَ قيامي علىٰ أَنْ أَبقىٰ مكتوفاً ، لا يجرحُ نَصلي ، ولا يقتلُ ، وهوَ غيرُ شيمتِهِ الَّتي يتحدَّثُ عنها في مثلِ قولِهِ [في « العُكْبَريِّ » ٤/ ١٤٨ منَ الوافرِ] :

وَمَا فِيْ طِبِّهِ أَنِّيْ جَوَادٌ أَضَرَّ بِجِسْمِهِ طُوْلُ ٱلْجَمَامِ[1]

وألَمَّ بهِ المعرِّيُّ في قولِهِ [في « ديوانِهِ » ٢٣٣ منَ الوافرِ] :

إِذَا مَا ٱلنَّارُ لَمْ تُطْعَمْ ضِرَاماً فَأَوْشِكْ أَنْ تَمُرَّ بِهَا رَمَادَا

وإمَّا أَنْ يكونَ معناهُ : كيفَ تحبُّونَ نُهوضي بالأَمرِ ، وقيامي بالثورةِ ، والحالُ أَنَّ سيوفَكُم الَّتي تعدُّونَها لنُصرتي لَمْ تتعوَّدْ علىٰ الجرحِ والقتلِ .

تألم الإمام من نكوص الأصحاب

وبهِ تذكَّرتُ تألُّمَ أَميرِ المؤمنينَ مِنْ نُكوصِ أَصحابِهِ عَنِ ٱلحربِ ، حتَّىٰ قالَ [في «نهجِ البلاغةِ» ٣٤] : ليتَ معاويةَ صارَفني بِكُم صرفَ الدينارِ بالدراهمِ ، فأَعطيتهُ عِشرينَ ، وأَخذْتُ منهُ واحداً . . وقالَ :

---

(١) الجَمَامُ : أنْ يُتركَ الفرسُ فلا يُركب .

رفع المسهم

يا أَشباهَ الرجالِ ، ولا رجالَ ، حلومُ الأَطفالِ ، وعقولُ ربّاتِ الحِجالِ ، أَكُلَّما قلتُ لكُم : أنفروا لقتالِ عدوِّكُم . . قلْتُم : أَمهِلْنا حتَّىٰ تنسلخَ عنَّا حَمَارَّةُ القيظِ ، وإنِ أستنفرتُكم في الشتاءِ . . قُلتُم : أَمهِلْنا حتَّىٰ تذهبَ عنَّا صَبَارَّةُ القَرِّ[1] ، أَكُلُّ هٰذا فراراً مِنَ الحَرِّ والقَرِّ ؟! لأَنتُم ـ واللهِ ـ مِنَ السيفِ أَفرُّ .

وقالَ مرَّةً أُخرىٰ [في « نهج البلاغة » ٣٣] : ليتَ لي بكُم أَلفَ رأسٍ مِنْ بني فراسِ بنِ غَنَمٍ .

هُنَالِكَ لَوْ دَعَيْتَ أَتَاكَ مِنْهُمْ فَوَارِسُ مِثْلُ أَرْمِيَةِ الْحَمِيمِ[2]

وقالَ أَيضاً [في « نهج البلاغة » ٦٥] : الذَّليلُ مَنْ نصرتُموهُ ، والقليلُ مَنْ كثَّرتُموهُ ، مَنْ رمىٰ بكُم . . فقد رمىٰ بأَفوَقِ ناصلٍ[3] ، إنَّكم ـ واللهِ ـ لكثيرٌ في الباحاتِ ، قليلٌ تحتَ الرّاياتِ .

فكلُّ هٰذا نوردُهُ بالمعنىٰ ؛ لبُعدِ العهدِ ، ولعلوِّ منالِ لهجةِ الإمامِ ، وفصاحةِ أُسلوبهِ . . يندفعُ الملامُ .

ويشبهُ بعضُهُ قولَ عُوَيْفٍ القوافيِّ [مِنَ الطويلِ] :

وَمَا أُمُّكُمْ تَحْتَ الْخَوَافِقِ وَالْقَنَا بِثَكْلَىٰ ، وَلاَ زَهْرَاءَ مِنْ نِسْوَةِ زُهْرِ
أَلَسْتُمْ أَقَلَّ النَّاسِ عِنْدَ لِوَائِهِمْ وَأَكْثَرَهُمْ عِنْدَ الذَّبِيحَةِ وَالْقِدْرِ ؟

البطء عن الضيف والسرعة إلى الطعام تستوجب الهجاء

ومثلهُ في عكسِ قولهِ ـ عليهِ السلامُ ـ للأَنصارِ : « إِنَّكُمْ لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْجَزَعِ ، وَتَقِلُّونَ عِنْدَ الطَّمَعِ »[4] . . قولُ الآخرِ [مِنَ الطويلِ] :

---

(١) صَبَارَّةُ القَرِّ : شدَّةُ البردِ .
(٢) البيت من الوافر ، الأَرميةُ : السحاب الشديد الوقع . الحميم : مطر القيظ .
(٣) أَفوقِ ناصلٍ : الفَوَقُ : ميلٌ أَو انكسارٌ في النصلِ ، وهوَ السهمُ .
(٤) له شهرة ، ولم أره عن النبي ﷺ الآن .

رفع المسهم

صِغَارٌ مَقَارِيهِمْ عِظَامٌ جُعُوْرُهُمْ بِطَاءٌ عَنِ ٱلدَّاعِيْ إِذَا لَمْ يَكُنْ أَكْلاَ[1]

كثرة كفثاء السيل

وقولُ الحماسيِّ [في «شرحِ حماسة أبي تمّام» ٢/١٠٥٧ مِنَ الطويلِ] :

وَكَاثِرْ بِسَعْدٍ إِنَّ سَعْداً كَثِيْرَةٌ وَلاَ تَرْجُ مِنْ سَعْدٍ وَفَاءً وَلاَ نَصْرَا
يَرُوْعُكَ مِنْ سَعْدِ بْنِ عَمْرٍو جُسُوْمُهَا وَتَزْهَدُ فِيْهَا حِيْنَ تَقْتُلُهَا خُبْرَا[2]

البرق الخلبي

وقولُ قُرادِ بنِ حَنَشٍ [في «شرحِ حماسةِ أبي تمّام» ٢/١٠٣٥-١٠٣٦ مِنَ الطويلِ] :

وَأَنْتُمْ سَمَاءٌ يُعْجِبُ ٱلنَّاسَ نَوْؤُهَا وَأَكْذَبُ شَيْءٍ بَرْقُهَا وَرُعُوْدُهَا[3]
فَوَيْلُ أُمِّهَا خَيْلاً بَهَاءً وَشَارَةً إِذَا لاَقَتِ ٱلأَعْدَاءَ لَوْلاَ صُدُوْدُهَا[4]

وذكرتُ هنا ما لا يليقُ بالأدبِ ذكرُهُ معَ كلامِ الإمامِ في كتابٍ فضلاً عَنْ مجلسٍ واحدٍ لولا سعةُ العُذرِ؛ بأنَّ مجالِسَنا كالكشكولِ[5].

أبو العتاهية يهجو عبد الله بن معن بن زائدة

وقد جاءَ عَنِ ٱلسَّلفِ ٱلطَّيِّبِ ٱلتَّرخيصُ في مثلِ ذلكَ ، وهوَ ما وقعَ مِنْ أبي ٱلعتاهيةِ معَ عبدِ اللهِ بنِ معنِ بنِ زائدةَ ، وقولُهُ لهُ [في «ديوانِهِ» مِنَ البسيطِ] :

لَمْ تَنْدَ كَفَّاكَ مِنْ بَذْلِ ٱلنَّوَالِ كَمَا لَمْ يَنْدَ سَيْفُكَ مُذْ قُلِّدْتَهُ بَدَمِ

---

(١) مقاريهم ـ جمعُ مقراةٍ ـ: وهيَ القصعةُ الَّتي يُقرىٰ للضيفِ فيها . جُعُورُهُم ـ جمع جاعرة ـ: وهو حلقة الدبر ، وقصد بذلك كِبَرَهَا عندهم من كثرة أكلِهم.

(٢) الخُبْرُ : العلمُ بالشيءِ .

(٣) نوؤها: ضوؤها. وقيل عن النوء : إنه سقوط نجم في المغرب وطلوع رقيبه من ساعته في المشرق ، وذلك في كل ثلاثة عشر يوماً.

(٤) المعنى: أنَّهم في ٱلهيئة وٱلبهاءِ وٱلمنظرِ فرسانٌ، إلاَّ أنَّهُ لاَ خيرَ فيهم عندَ ملاقاةِ ٱلأعداءِ.

(٥) الكشكول: وعاء المتسول يجمع فيه رزقه، واسم كتاب لبهاء الدين العاملي. وأصل الكلمة آرامية.

رفع المسهم

وقولهُ [في « ديوانهِ » ٦٠٨ مِنَ الهزجِ] :

فَصُغْ مَا كُنْتَ حَلَّيْتَ ... بِهِ سَيْفَكَ خِلْخَالاَ
فَمَا تَصْنَعُ بِالسَّيْفِ ... إِذَا لَمْ تَكُ قَتَّالاَ

عبد الله يأمر غلمانه بارتكاب الفاحشة من أبي العتاهية

وما زالَ يهجوهُ بمثلِ ذلكَ ، وبما هوَ أَمضُّ منهُ . . حتَّىٰ ٱحتالَ عليهِ ، وأَظهرَ لهُ المصافاةَ ، ودعاهُ ، فأَمرَ غِلمانَهُ أَنْ يرتكبوا منهُ الفاحشةَ بمرآهُ ، وتصالحا بعقبِ ذلكَ[1] .

السيوف الممدوحة

وفي عكسِ المعنىٰ يقولُ السَّمَوْأَلُ [في « ديوانهِ » ٤٩ـ٥٠ مِنَ الطويلِ] :

وَأَسْيَافُنَا فِيْ كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ ... بِهَا مِنْ قِتَالِ ٱلدَّارِعِيْنَ فُلُوْلُ
مُعَوَّدَةٌ أَنْ لاَ تُسَلَّ نِصَالُهَا ... فَتُغْمَدَ حَتَّىٰ يُسْتَبَاحَ قَتِيْلُ

هل عيب السيوف الفلول؟

والأَوَّلُ : شبيهٌ بقولِ النابغةِ الذبيانيِّ [في « ديوانهِ » ٦٠ مِنَ الطويلِ] :

وَلاَ عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوْفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُوْلٌ مِنْ قِرَاعِ ٱلْكَتَائِبِ

معرفة عروة بن الزبير سيف أخيه

ويروىٰ [كما في « وفيات الأعيان » ٢٥٧/٣] : أَنَّ عروةَ بنَ الزبيرِ قَدِمَ علىٰ عبدِ المَلِكِ بنِ مروانَ دُبُرَ مقتلِ عبدِ اللهِ بنِ الزبيرِ ، فطلبَ سيفَ أَخيهِ ، فعرضَ عليهِ عبدُ المِلكِ سيوفاً كثيرةً فيها سيفُ عبدِ اللهِ ، فأَخذَ واحداً منها ، فقالَ لهُ عبدُ الملكِ : بِمَ عرفتَهُ؟ قالَ : بقولِ النابغةِ ، وأَنشدَ البيتَ .

لا ينبغي لنبي لبس لأمة أن ينزعها حتى يقاتل

وأَمَّا الثاني : فشبيهٌ بما صنعَهُ رسولُ اللهِ ﷺ يومَ أُحدٍ ، وذلكَ أَنَّهُ كانَ مِنْ رأيهِ أَنْ لا يخرجَ عَنِ (ٱلمدينةِ) في لقاءِ قريشٍ ، ثمَّ لَمْ يزلْ بهِ بعضُ أَصحابهِ حتَّىٰ لَبِسَ لأْمَتَهُ[2] ، ولمَّا ظنُّوا أَنَّهم ٱستكرهوهُ . .

---

(١) ذكر القصة في « الأغاني » (٢٦/٤) .
(٢) لأْمَتُهُ : دِرعُهُ ، وقيلَ : سلاحُهُ .

رفع المسهم

سُقِطَ في أَيديهم ، فقالوا لَهُ ، فقالَ [ﷺ] : « لاَ يَنْبَغِيْ لِنَبِيٍّ لَبِسَ لأُمَتَهُ أَنْ يَنْزِعَهَا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمِهِ »[1] .

الشعراء وتلبية المنادي

وقالَ الفرزدقُ [في « ديوانهِ » ١/ ١٣٩ منَ الطويل] :

بِأَيْدِيْ رِجَالٍ لَمْ يُشِيْمُوْا سُيُوْفَهُمْ وَلَمْ يُكْثِرُوْا اَلْقَتْلَىٰ بِهَا حِيْنَ سُلَّتِ[2]

وقالَ بشَّارٌ [في « ديوانهِ » ٤/ ١٦٣ منَ الطويل] :

إِذَا مَـا غَضِبْنَـا غَضْبَـةً مُضَـرِيَّـةً هَتَكْنَا حِجَابَ اَلشَّمْسِ أَو قَطَرَتْ دِمَا

وقال البُحتريُّ [منَ الوافر] :

فَتىً هَـزَّ اَلْقَنَـا فَحَـوَىٰ سَنَـاءً بِهَـا لاَ بِـالأَحَـاظِـيْ وَاَلْجُـدُوْدِ

وقالَ يزيدُ المهلَّبيُّ [منَ الطويل] :

سَعَيْتُمْ فَأَدْرَكْتُمْ بِصَالِحِ سَعْيِكُمْ وَأَدْرَكَ قَـوْمٌ غَيْرُكُـمْ بِـاَلْمَقَـادِرِ

وقالَ الناظمُ [في « العُكْبَريّ » ٤/ ٢٩١ منَ الطويل] :

وَمَا كُنْتَ مِمَّنْ أَدْرَكَ اَلْمُلْكَ بِاَلْمُنَىٰ وَلَكِـنْ بِـأَيَّـامٍ أَشَبْـنَ اَلنَّـوَاصِيَـا

وقالَ [في « العُكْبَريّ » ١/ ٧١ منَ المنسرح] :

أَحْسَنُ مَا يُخْضَبُ اَلْحَدِيْدُ بِهِ وَخَاضِبِيْهِ اَلنَّجِيْعُ واَلْغَضَبُ[3]

يزيد بن المهلب والإمارة

وسلَّمَتْ إحدىٰ حظايا يزيدِ بنِ المهلَّبِ بالإمارةِ عليهِ ، فقالَ متمثِّلاً بقولِ بشرِ بنِ قَطَنَةَ الأَسديِّ [منَ الطويل] :

---

(١) أخرجه عن جابر ابن الجارود في « المنتقىٰ » (٢٦٦) بلفظ : « حَتَّىٰ يُقَاتِلَ » . وأورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٦/ ١٠٧)، وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٢) لم يشيموا : لم يغمدوا .

(٣) النَّجيعُ : الدَّمُ .

رفع المسهم

رُوَيْدَكِ حَتَّىٰ تَنْظُرِيْ عَمَّ تَنْجَلِيْ غَمَامَةُ هَـٰذَا ٱلْعَارِضِ ٱلْمُتَأَلِّقِ[1]

مكان الأمور الجسيمة

وقالَ العتَّابيُّ [في « الأغاني » ١٣/ ١٣٧ منَ الطويل] :

فَإِنَّ جَسِيْمَاتِ ٱلأُمُوْرِ مَشُوْبَةٌ بِمُسْتَوْدَعَاتٍ فِيْ بُطُوْنِ ٱلأَسَاوِدِ

لا بد دون الشهد من إبر النحل

وقالَ الناظمُ [في « المُخْتَبَرِيّ » ٣/ ٢٩٠ منَ الطويل] :

ذَرِيْنِيْ أَنَلْ مَا لاَ يُنَالُ مِنَ ٱلْعُلاَ فَصَعْبُ ٱلْعُلاَ فِيْ ٱلصَّعْبِ وَٱلسَّهْلُ فِيْ ٱلسَّهْلِ
تُرِيْدِيْنَ لُقْيَانَ ٱلْمَعَالِيْ رَخِيْصَةً وَلاَبُدَّ دُوْنَ ٱلشَّهْدِ مِنْ إِبَرِ ٱلنَّحْلِ

طعم الموت لا يتغير

وقالَ [في « المُخْتَبَرِيّ » ٤/ ١١٩ـ١٢٠ منَ الوافر] :

إِذَا غَامَرْتَ فِيْ شَرَفٍ مَرُوْمٍ فَلاَ تَقْنَعْ بِمَا دُوْنَ ٱلنُّجُوْمِ
فَطَعْمُ ٱلْمَوْتِ فِيْ أَمْرٍ حَقِيْرٍ كَطَعْمِ ٱلْمَوْتِ فِيْ أَمْرٍ عَظِيْمِ
وَكُلُّ شَجَاعَةٍ فِي ٱلْمَرْءِ تُغْنِيْ وَلاَ مِثْلُ ٱلشَّجَاعَةِ فِيْ ٱلْحَكِيْمِ
يَرَىٰ ٱلْجُبَنَاءُ أَنَّ ٱلْجُبْنَ حَزْمٌ وَتِلْكَ خَدِيْعَةُ ٱلطَّبْعِ ٱللَّئِيْمِ

وقالَ [في « المُخْتَبَرِيّ » ٢/ ١١٤ منَ الطويل] :

إِذَا لَمْ تَجِدْ مَا يَبْتُرُ ٱلْفَقْرَ قَاعِداً فَقُمْ وَٱطْلُبِ ٱلشَّيْءَ ٱلَّذِيْ يَبْتُرُ ٱلْعُمْرَا

وقالَ [في « المُخْتَبَرِيّ » ١/ ٢٧٠ منَ الطويل] :

أَهُمُّ بِشَيْءٍ وَٱللَّيَالِيْ كَأَنَّهَا تُطَارِدُنِيْ عَنْ كَوْنِهِ وَأُطَارِدُ
وَحِيْداً مِنَ ٱلْخُلاَّنِ فِيْ كُلِّ بَلْدَةٍ إِذَا عَظُمَ ٱلْمَطْلُوْبُ قَلَّ ٱلْمُسَاعِدُ

ولا يُحصىٰ كثرةً ما لهُ في إثارةِ العزائمِ ، وتنبيهِ الحِفَاظِ ، وإذكاءِ الغَيْرةِ ، وإحماءِ المعاطسِ .

---

(١) الخبر مفصلاً في « وفيات الأعيان » (٦/ ٣٠٣) .

رفع المسهم

شجاعة زيد بن علي

ولمّا خرجَ زيدُ بنُ عليٍّ . . حذَّرهُ بعضُ أبناءِ عمّه ، وقالَ لهُ : إنَّ أهلَ (العراقِ) خذلوا آباءَكَ ، فهُمْ خاذِلوكَ كما خذلوهُم ، فتأهَّبْ للموتِ أو دَع ، فقالَ متمثِّلاً [الأبيات لعترة كما في « الأغاني » ٨/٢٤٨ من الكامل] :

بَكَرَتْ تُخَوِّفُنِي ٱلْحُتُوفَ كَأَنَّنِي ... أَصْبَحْتُ عَنْ عَرْضِ ٱلْحُتُوفِ بِمَعْزِلِ
فَأَجَبْتُهَا : إِنَّ ٱلْمَنِيَّةَ مَنْهَلٌ ... لاَ بُدَّ أَنْ أُسْقَىٰ بِكَأْسِ ٱلْمَنْهَلِ
فَٱقْنِي حَيَاءَكِ لاَ أَبَا لَكِ وَٱعْلَمِي ... أَنِّي ٱمْرُؤٌ سَأَمُوتُ إِنْ لَمْ أُقْتَلِ

شجاعة داوود بن علي وابنه موسى

ولمَّا خرجَ داودُ بنُ عليِّ بنِ عبدِ اللهِ وٱبنهُ موسىٰ . . عذلَهُم بعضُ أصحابهم ، وقالَ لهم : ما تفعلونَ بشيخِ العربِ يزيدَ بنِ عمرَ بنِ هُبيرةَ في فرسانهِ بـ(العراقِ)؟ فقالَ أبو العبَّاسِ السفَّاحُ ـ وكانَ حاضراً ـ : يا عمُّ ، مَنْ أحبَّ الحياةَ ذَلَّ ، ثُمَّ تمثلَ بقولِ الأعشىٰ [في « ديوانهِ » ٣١٧ منَ الطويل] :

فَمَا مِيتَةٌ إِنْ مِتُّهَا غَيْرَ عَاجِزٍ ... بِعَارٍ إِذَا مَا غَالَتِ ٱلنَّفْسَ غُوْلُهَا[1]

فقالَ داودُ لابنهِ موسىٰ : صدقَ ٱبنُ عمِّكَ ، فلننهضْ معهُ ؛ فإمَّا أنْ نفوزَ ، وإمَّا أنْ نموتَ كراماً .

عبد الله بن الزبير وأمه

ويروىٰ [كما في « وفيات الأعيان » ٣/٧٣] : أنَّ عبدَ اللهِ بنَ الزبيرِ دخلَ علىٰ أُمِّهِ ، وقد أضَرَّتْ[2] ، فسلَّمَ ، ودنا ، فقبَّلَ يدَها ، قالتْ : هٰذا وداعٌ فلا يبعدُ ، قال : إنِّي لأرىٰ هٰذا اليومَ آخرَ أيامي في الدنيا ، وإذا قُتِلتُ . . فأعلمي أنِّي لحمٌ ودمٌ ، لا يضرُّني ما عساهُمْ

---

(١) غولُها ـ بالرفعِ : ما يغتالها .
(٢) أضَرَّتْ : أصبحت عمياء .

رفع المسهم

بي صانعونَ ، قالتْ : صدقتَ يا بنيَّ ، فأَقمْ علىٰ بصيرتِكَ ، وامضِ أَمَماً في شأنكَ ، وتنمَّرْ لعدوِّكَ ، ولا تمكِّنِ ابنَ أَبي عقيلٍ منكَ ، ثُمَّ أَستذنَتْهُ لتودِّعَهُ ، فدنا منها ، فقبَّلَتْهُ ، وعانقَتْهُ ، فوجدَتْ مسَّ الدرعِ ، فقالتْ : ما هٰذا صنيعُ مَنْ يريدُ الشهادةَ ، فقالَ : إِنَّما لبستُهُ لأَشُدَّ منكِ ، قالت : لا يشدُّ منِّي إِلاَّ الثباتُ علىٰ الحقِّ ، فودَّعَها ، وخرجَ يحملُ علىٰ صفوفِ الشامِيِّينَ فيفرِّقُها ، وأَرسلتْ إِليهِ إِحدىٰ أَزواجِهِ ـ وقد رأَتْ تفرُّقَ الناسِ عنهُ ـ أَأَخرجُ فأُقاتلُ معك ؟ فقالَ : لا ، وأَنشدَ [منَ الخفيف] :

كُتِبَ ٱلْقَتْلُ وَٱلْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَىٰ ٱلْغَانِيَاتِ جَرُّ ٱلذُّيُولِ

فلمَّا كانَ الليلُ . . قامَ يصلِّي إِلىٰ قريبِ السَّحَرِ ، ثُمَّ أَحتبىٰ[1] بحمائلِ سيفهِ ، وأَغفىٰ قليلاً ، ثُمَّ : قامَ فتوضَّأَ ، وصلّىٰ ، وقرأَ : ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم : ١] ، ثُمَّ قالَ بعدَ أَنقضاءِ صلاتهِ : مَنْ كانَ عنِّي سائلاً . . فإِنِّي في الرعيلِ الأَوَّلِ ، ثُمَّ أَنشدَ [في « شرحِ حماسةِ أَبي تمّامٍ » ١/٣٤١ منَ الطويل] :

وَلَسْتُ بِمُبْتَاعِ ٱلْحَيَاةِ بِسُبَّةٍ وَلاَ مُرْتَقٍ مِنْ خَشْيَةِ ٱلْمَوْتِ سُلَّمَا

ثُمَّ حَملَ حتّىٰ بلغَ (الحُجُونَ) ، فرُميَ في وجههِ ، فلمَّا وجدَ سخونةَ الدمِ . . قال [في « شرح حماسةِ أَبي تمّامٍ » ١/٣١٦ منَ الطويل] :

وَلَسْنَا عَلَىٰ ٱلأَعْقَابِ تَدْمَىٰ كُلُومُنَا وَلَـٰكِنْ عَلَىٰ أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ ٱلدِّمَا

---

(١) أحتبىٰ : جلسَ علىٰ أَليتيهِ وضمَّ فخذيهِ وساقيه إِلىٰ بطنهِ بذراعيهِ ليستندَ ، وأَحتبىٰ بالثوبِ : أَدارهُ علىٰ ساقيهِ وظهرهِ وهو جالسٌ على نحوِ ما سبقَ ليستندَ ، وكذلكَ الاحتباءُ بالسيفِ .

رفع المسهم

ثُمَّ حَملَ علىٰ أَهلِ (الشامِ) ، فغاصَ فيهم ، فأعتوروهُ بسيوفِهم حتَّىٰ سقطَ ، وجاءَ الحجَّاجُ فوقفَ عليهِ ، وهو مَيْتٌ ، ومعهُ طارقُ بنُ عمرٍو ، فقالَ : ما ولدتِ ٱلنساءُ أَذكرَ مِنْ هـٰذا! وكانَ قد ٱنفضَّ مِنْ حولهِ عامَّةُ أَصحابهِ ، حتَّىٰ بعضُ أَولادهِ خرجوا إلىٰ الحجَّاجِ في الأَمانِ ، منهم : حمزةُ وخُبَيْبٌ ، وعزمَ اللهُ لهُ بالثباتِ كما شجعتهُ عليهِ أُمُّه في كلامها السابقِ بعضهُ . وإنَّها لأُمورٌ تقفُ لها الشعورُ ، وتذرفُ لها العيونُ ، وتمتلىءُ بها القلوبُ .

المفضل الضبي وإبراهيم بن عبد الله بن الحسن

ورَوىٰ أَبو الفرجِ الأَصبهانيُّ [في « الأغاني » ١٩/ ٢٠٤] عَنِ ٱلمُفَضَّلِ بنِ أَحمدَ ٱلضَّبِّيِّ قالَ : خرجَ إبراهيمُ بنُ عبدِ ٱللهِ بنِ ٱلحسنِ ، فلمّا كانَ بـ (ٱلمِرْبَدِ) . . ٱستسقىٰ ماءً ، فأُتيَ بهِ ، فشربَ ، ثُمَّ تمثَّلَ بأَبياتٍ منها [في «ديوان ضرار بن الخطاب» ٧٥ـ٧٦ من المنسرح] :

إِنِّـيْ لأَنْمِـي إِذَا ٱنْتَمَيْـتُ إِلَـىٰ ... عِـزٍّ عَـزِيْـزٍ وَمَعْشَـرٍ صُـدُقِ[1]
بِيْـضٍ سِبَـاطٍ كَـأَنَّ أَعْيُنَهُـمْ ... تُكْحَلُ يَوْمَ ٱلْهِيَاجِ بِٱلْعَلَقِ[2]

فقلتُ : لِمَنْ هـٰذهِ؟ فقالَ : يقولها ضرارُ بنُ الخطَّابِ الفِهريُّ يومَ عَبَرَ الخندقَ علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ ، وتمثَّلَ بها عليُّ بنُ أَبي طالبٍ يومَ صفِّينَ ، والحسينُ يومَ الطَّفِّ ، وزيدُ بنُ عليٍّ يومَ السَّبخةِ ، ويحيىٰ بنُ زيدٍ يومَ الجوزجانِ ، فتطيَّرْتُ مِنْ تمثُّلِهِ بأَبياتٍ لَمْ ينشدها أَحدٌ إلاَّ قُتِلَ ، ثُمَّ سرنا إلىٰ باخمرىٰ ، فأَتاهُ نعيُ أَخيهِ محمَّدٍ ، فتغيَّرَ لونُهُ ، وجَرَضَ بِرِيقِهِ[3] ، ثُمَّ أَجهشَ باكياً ، وقالَ : اللَّهمَّ إنْ كنتَ

---

(١) أَنمي : أَنتمي وأَنتسبُ .
(٢) العلقُ : الدمُ الغليظُ ، وصفَهم بحمرةِ الأعينِ ؛ لشدَّةِ الغضبِ في الحربِ .
(٣) جَرَضَ بِرِيقِهِ : ابتَلعَ ريقَهُ على همٍّ وحزنٍ بالجهدِ .

رفع المسهم

تعلَمُ أَنَّ محمَّداً خرجَ يطلُبُ مرضاتِكَ ، ويؤثرُ أَنْ تكونَ كلمتُكَ العليا . . فاغفرْ لهُ ، وارحمهُ ، وارضَ عنهُ ، ثُمَّ تمثَّلَ [منَ البسيط] :

اللهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَوْ خَشِيتُهُمُ ... لأَنَسَ الْقَلْبُ مِنْ خَوْفٍ لَهُمْ فَزَعَا
لَمْ يَقْتُلُوكَ وَلَمْ أُسْلِمْ أُخَيَّ لَهُمْ ... حَتَّىٰ نَعِيشَ جَمِيعاً أَوْ نَمُوتَ مَعَا

قالَ المُفَضَّلُ : فجعلتُ أُعزِّيهِ ، وأُعاتبهِ علىٰ ما أَظهرَ مِنْ جزعهِ. فقالَ : إِنِّي ـ واللهِ في هٰذا ـ لَكَما قالَ دريدٌ [في «ديوانه» ٦٣ـ٦٥ منَ الطويل] :

يَقُولُ أَلاَ تَبْكِي أَخَاكَ وَقَدْ أَرَىٰ ... مَكَانَ الْبُكَا لَكِنْ بُنِيتُ عَلَىٰ الصَّبْرِ
لِمَقْتَلِ عَبْدِ اللهِ وَالْهَالِكِ الَّذِي ... عَلَىٰ الشَّرَفِ الأَعْلَىٰ قَتِيلِ أَبِي بَكْرِ
فَإِمَّا تَرَيْنَا لاَ تَزَالُ دِمَاؤُنَا ... لَدَىٰ وَاتِرٍ يَسْعَىٰ بِهَا آخِرَ الدَّهْرِ
فَإِنَّا لَلَحْمُ السَّيْفِ غَيْرَ نَكِيرَةٍ ... وَنَلْحَمُهُ طَوْراً وَلَيْسَ بِذِي نُكْرِ
يُغَارُ عَلَيْنَا وَاتِرِينَ فَيُشْتَفَىٰ ... بِنَا إِنْ أُصِبْنَا أَو نُغِيرُ عَلَىٰ وِتْرِ[1]
بِذَاكَ قَسَمْنَا الدَّهْرَ شَطْرَيْنِ بَيْنَنَا ... فَمَا يَنْقَضِي إِلاَّ وَنَحْنُ عَلَىٰ شَطْرِ

قالَ المُفَضَّلُ : ثُمَّ ظهرت لنا جيوشُ أَبي جعفرٍ مثلَ الجرادِ ، فأَنشدَ إِبراهيمُ[2] متمثِّلاً [في «الأغاني» ١٩/ ٢٠٤ منَ الطويل] :

إِنْ يَقْتُلُونِي لاَ تُصِبْ أَرْمَاحُهُمْ ... ثَأْرِي وَيَسْعَىٰ الْقَوْمُ سَعْياً جَاهِدَا
نُبِّئْتُ أَنَّ بَنِي جُذَيْمَةَ أَجْمَعَتْ ... أَمْراً تُدَبِّرُهُ لِتَقْتُلَ خَالِدَا
أَرْمِي الطَّرِيقَ وَإِنْ رُصِدْتُ بِضِيقَةٍ ... وَأُنَازِلُ الْبَطَلَ الْكَمِيَّ الْحَارِدَا[3]

---

(١) الوِتْرُ : الثأر .

(٢) هو إبراهيمُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ حسنٍ العلويُّ . « السير » (٦/ ٢١٨) .

(٣) الكميُّ : الشجاعُ المقدامُ الجريءُ كانَ عليهِ سلاحٌ أو لمْ يكنْ . الحارد : الغضبان .

رفع المسهم

فقلتُ لهُ : لِمَنْ هٰذا يا ٱبنَ رسولِ اللهِ ؟ قالَ : يقولهُ خالدُ بنُ جعفرِ بنِ كلابٍ يومَ (شِعْبِ جَبَلَةَ) ، ثُمَّ ٱنغمسَ في الحربِ ، فقلتُ لهُ : أَتباشرُ القتالَ بنفسكَ ، وإِنَّما العسكرُ منوطٌ بكَ؟! فتمثَّلَ بأَبياتٍ لعويفٍ القوافيِّ ، وٱلتحمتِ ٱلحربُ ، فقالَ : أحكني بشيءٍ يا مفضلُ ، فذكرتُ أَبياتاً لعويفٍ لمّا كانَ هو ـ عليهِ السلامُ ـ قد ذكرهُ ، فأَنشدتُهُ [مِنَ الطويلِ] :

أَبَىٰ كُلُّ حُرٍّ أَنْ يَبِيتَ بِوِتْرِهِ ... وَيُمْنَعَ مِنْهُ ٱلنَّوْمُ إِذْ أَنْتَ نَائِمُ

أَقُولُ لِفِتْيَانٍ كِرَامٍ تَرَوَّحُوا ... عَلَى ٱلْجُرْدِ فِي أَفْوَاهِهِنَّ ٱلشَّكَائِمُ[1]

قِفُوا وَقْفَةً مَنْ يَحْيَ لاَ يَخْزَ بَعْدَهَا ... مَنْ يُخْتَرَمْ لاَ تَتْبَعْهُ ٱللَّوَائِمُ

وَهَلْ أَنْتَ إِنْ بَاعَدْتَ نَفْسَكَ عَنْهُمُ ... لِتَسْلَمَ فِيمَا بَعْدَ ذَلِكَ سَالِمُ ؟

فقالَ : أَعِدْها عليَّ ، فأَعدتُها ، فتمطَّىٰ في ركابيهِ ، فقطَعهما وحملَ ، فغابَ في القومِ يفرّقهم ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشمالِ ، حتَّىٰ أَتاهُ سهمٌ عائرٌ[2] فقتلهُ رضوانُ اللهِ عليهِ[3] .

أبو تمام والشجاعة

وما أَحسنَ قولَ أَبي تمَّامٍ [في « ديوانهِ » ٢/ ٣٠٣ـ٣٠٤ مِنَ الطويلِ] :

وَقَدْ كَانَ فَوْتُ ٱلْمَوْتِ سَهْلاً فَرَدَّهُ ... إِلَيْهِ ٱلْحِفَاظُ ٱلْمُرُّ وَٱلْخُلُقُ ٱلْوَعْرُ

وَنَفْسٌ تَعَافُ ٱلضَّيْمَ حَتَّىٰ كَأَنَّهُ ... هُوَ ٱلْكُفْرُ يَوْمَ ٱلرَّوْعِ أَو دُونَهُ ٱلْكُفْرُ

فَأَثْبَتَ فِي مُسْتَنْقَعِ ٱلْمَوْتِ رِجْلَهُ ... وَقَالَ لَهَا مِنْ تَحْتِ أَخْمَصِكِ ٱلْحَشْرُ

---

(١) الجردُ ـ جمع أجرد ـ : الحصان . الشكائمُ : ما يَلجم فمَ الفرسِ منَ الحديدِ .

(٢) سهمٌ عائرٌ : الطائشُ الذي لا يعرفُ راميهِ .

(٣) جاء في «الأغاني» (١٩/ ٢٠٥).

رفع المسهم

فَتىً مَاتَ بَيْنَ ٱلطَّعْنِ وَٱلضَّرْبِ مِيتَةً تَقُوْمُ مَقَامَ ٱلنَّصْرِ إِنْ فَاتَهُ ٱلنَّصْرُ
تَرَدَّىٰ ثِيَابَ ٱلْمَوْتِ حُمْراً فَمَا دَجَىٰ لَهَا ٱللَّيْلُ إِلاَّ وَهْيَ مِنْ سُنْدُسٍ خُضْرُ

وقالَ [في « ديوانهِ » ١/ ٤٠٤ مِنَ الوافرِ] :

فَتَىٰ ٱلنَّكَبَاتِ مَنْ يَأْوِيْ إِذَا مَا يَطُفْنَ بِهِ إِلَىٰ خُلُقٍ وَسَاعِ
يُثِيْرُ عَجَاجَةً فِيْ كُلِّ فَجٍّ يَهِيْمُ بِهَا عَدِيُّ بْنُ ٱلرِّقَاعِ[1]
يَخُوْضُ مَعَ ٱلسِّبَاعِ ٱلْمَاءَ حَتَّىٰ لَتَحْسَبُهُ ٱلسِّبَاعُ مِنَ ٱلسِّبَاعِ
يُلَبِّيْ ٱلْحَزْمَ إِنْ حَاوَلْتَ يَوْماً بِأَنْ يَسْطِيْعَ غَيْرَ ٱلْمُسْتَطَاعِ
فَلَمْ يَرْكَبْ كَنَاجِيَةِ ٱلْمَهَارِيْ وَلَمْ تُرْكِبْ هُمُوْمَكَ كَالزِّمَاعِ[2]

وقالَ [في « ديوانهِ » ١/ ٣٩٣ـ٣٩٤ مِنَ الخفيفِ] :

إِنَّ خَيْراً مِمَّا رَأَيْتُ مِنَ ٱلصَّفْـ ـحِ عَنِ ٱلنَّائِبَاتِ وَٱلإِغْمَاضِ
عَزْمَةٌ تَقْتَدِيْ بِعَزْمَةِ قَيْسِ بْـ ـنِ زُهَيْرٍ وَٱلْحَارِثِ بْنِ مُضَاضِ[3]
غَرَضَيْ نَكْبَتَيْنِ مَا فَتَلاَ رَأْ يَاً فَخَافَا عَلَيْهِ نَكْثَ ٱنْتِقَاضِ
مَنْ أَبَنَّ ٱلْبُيُوْتَ أَصْبَحَ فِيْ ثَوْ بٍ مِنَ ٱلْعَيْشِ لَيْسَ بِٱلْفَضْفَاضِ[4]
وَٱلْفَتَىٰ مَنْ تَعَرَّفَتْهُ ٱللَّيَالِيْ وَٱلْفَيَافِيْ كَالْحَيَّةِ ٱلنَّضْنَاضِ[5]

---

(١) ذكرَ الاسمَ لمناسبتهِ للقافيةِ، ولا علاقةَ لهُ بالموضوعِ .
(٢) ناجيةُ المهاري : الناقةُ الكريمةُ . الزِّماعُ : العزمُ علىٰ الرحيلِ ؛ أي : لم تُضَعِ الرحلُ علىٰ شيءٍ يضاهي الناقة الكريمةَ ، ولَم تركبْ همومُكَ علىٰ دابةٍ مثلُ عزمِكَ علىٰ الرحيلِ .
(٣) العزمُ : الصبر على الشدائدِ . وعزمةٌ : خبرُ (إنَّ) في البيتِ السابقِ . وقيسُ بنُ زهير العبسي مشهورٌ ، حاربَ ذِبيانَ وانتقلَ في البلادِ كثيراً ، والحارثُ بنُ مضَاضٍ ينتسبُ في جُرْهُمَ، كانَ رئيساً في (مكةَ) أيامَ كانَ قومهُ فيها.
(٤) أَبَنَّ : أَقَامَ .
(٥) الحيةُ النضناضُ : التي لا تثبتُ في مكانها لِشرَّتها ونشاطِها .

رفع المسهم

كُلَّ يَوْمٍ لَهُ بِصَرْفِ اللَّيَالِيْ فَتَكَةٌ مِثْلُ فَتْكَةِ الْبَرَّاضِ[1]

تسهيل الصعب بسم يكون؟

وقالَ أبو عبادةَ [البُحتريُّ في «ديوانهِ» ١/ ٦٣٣-٦٣٤ مِنَ الخفيف] :

يَا نَدِيْمَيَّ بِالسَّوَاجِيْرِ مِنْ شَمْـ ـسِ بْنِ عَمْرٍو وَبُخْتَرِ بْنِ عَتُوْدِ[2]
أُطْلُبَا ثَالِثاً سِوَايَ فَإِنِّيْ رَابِعُ الْعِيْسِ وَالدُّجَىٰ وَالْبَيْدِ
لَسْتُ بِالْعَاجِزِ الضَّعِيْفِ وَلاَ أَلْقَا ئِلِ يَوْماً : إِنَّ الْغِنَىٰ بِالْجُدُوْدِ[3]
وَإِذَا اسْتُصْعِبَتْ مَقَادَةُ أَمْرٍ سَهَّلَتْهُ أَيْدِيْ الْمَهَارَىٰ الْقُوْدِ[4]

المتنبي والشجاعة

وما أَحسنَ قولَ الناظمِ [في «العُكْبَريّ» ٢/ ١٤٨-١٤٩ مِنَ الطويل] :

أُطَاعِنُ خَيْلاً مِنْ فَوَارِسِهَا الدَّهْرُ وَحِيْداً، وَمَا قَوْلِيْ كَذَا وَمَعِيْ الصَّبْرُ ؟!
وَأَشْجَعُ مِنِّيْ كُلَّ يَوْمٍ سَلاَمَتِيْ وَمَا ثَبَتَتْ إِلاَّ وَفِيْ نَفْسِهَا أَمْرُ
تَمَرَّسْتُ بِالأَيَّامِ حَتَّىٰ تَرَكْتُهَا تَقُوْلُ: أَمَاتَ الْمَوْتُ أَمْ ذُعِرَ الذُّعْرُ[5] ؟
وَأَقْدَمْتُ إِقْدَامَ الأَتِيِّ كَأَنَّ لِيْ سِوَىٰ مُهْجَتِيْ أَوْ كَانَ لِيْ عِنْدَهَا وِتْرُ[6]
ذَرِ النَّفْسَ تَأْخُذْ حَظَّهَا قَبْلَ بَيْنِهَا فَمُفْتَرِقٌ جَارَانِ دَارُهُمَا الْعُمْرُ

---

(١) البرَّاضُ بن قيس الكناني توفي نحو (٣٥ ق.هـ) ، قتلَ عروةَ الرجال ، فاتك جاهلي ، يضرب بفتكهِ المثل ، كان فجَّر حربَ الفجار التي وقعت بينَ قيسٍ وكنانةَ .

(٢) السواجرُ : نهرٌ مشهورٌ مِنْ عملِ (منبج) بـ(سوريا) .

(٣) الجدودُ : الحظوظُ .

(٤) المهارىٰ ـ جمعُ مهريَّةٍ ـ : وهي الناقةُ التي تسبق الخيل ، نسبةً إلىٰ بني مهرةَ بنِ حيدانَ ؛ وهم حيٌّ مِنَ العربِ اشتهروا بإبلهم . القودُ ـ جمعُ قوداءَ ـ : وهي الطويلةُ الأعناقِ .

(٥) في «العكبري» : (بِالآفَاتِ) بدل (بِالأَيَّامِ).

(٦) الأَتِيُّ : السيل المندفع .

رفع المسهم

وَلاَ تَحْسَبَنَّ ٱلْمَجْدَ زِقّاً وَقَيْنَةً ... فَمَا ٱلْمَجْدُ إِلاَّ ٱلسَّيْفُ وَٱلْفَتَكَةُ ٱلْبِكْرُ
وَتَضْرِيبُ هَامَاتِ ٱلْمُلُوكِ وَأَنْ تُرَىٰ ... لَكَ ٱلْهَبَوَاتُ ٱلسُّودُ وَٱلْعَسْكَرُ ٱلْمَجْرُ[1]
وَتَرْكُكَ فِي ٱلدُّنْيَا دَوِيّاً كَأَنَّمَا ... تَدَاوَلَ سَمْعَ ٱلْمَرْءِ أَنْمُلُهُ ٱلْعَشْرُ

ابن المقرب والشجاعة

وفي « ديوانِ ٱبنِ المقربِ » الغَثُّ والسمينُ ؛ فمِنْ سمينِهِ الَّذي يذكي الحميَّةَ ، ويهيجُ الغَيْرَةَ ، ويكادُ يقذفُ بالمَوْتُورِ مِنْ سرجِهِ إِلىٰ ساحةِ الوغىٰ . . قولُهُ [منَ الوافر] :

تُخَوِّفُنِي ٱبْنَةُ ٱلْعَبْدِيِّ فَتْكِي ... وَإِقْحَامِي ٱلْمَهَالِكَ وَٱفْتِرَاعِي
وَتَعْذِلُنِي عَلَىٰ إِنْفَاقِ مَالِي ... وَتَزْعُمُ أَنَّهُ لِلْفَقْرِ دَاعِي
فَقُلْتُ لَهَا وَقَدْ أَرْبَتْ وَزَادَتْ ... رُوَيْدَكِ لاَ شُفِيتِ فَلَنْ تُطَاعِي
أَأَخْشَىٰ ٱلْفَقْرَ وَٱلدُّنْيَا مَتَاعٌ ... وَرَبِّي بِٱلْكِرَامِ أَبَرُّ رَاعِي
وَلَمْ يَحْفَظْ مُضَاعَ ٱلْمَجْدِ شَيْءٌ ... مِنَ ٱلأَشْيَاءِ كَٱلْمَالِ ٱلْمُضَاعِ
ذَرِينِي وَٱلْمُلُوكَ بِكُلِّ أَرْضٍ ... أُكَايِلُهَا ٱلرَّدَىٰ صَاعاً بِصَاعِ
فَمَا أَيْمَانُهُمْ تَعْلُو شِمَالِي ... وَلاَ أَبْوَاعُهُمْ تَعْلُو ذِرَاعِي[2]
سَأَطْلُبُ حَقَّ آبَائِي وَحَقِّي ... وَلَوْ مِنْ بَيْنِ أَنْيَابِ ٱلأَفَاعِي

سرقة الشعراء من بعضهم

وقولُهُ : (وَلَمْ يَحْفَظْ مُضَاعَ ٱلْمَجْدِ شَيْءٌ . . . إلخ) مأخوذٌ برُمَّتِهِ مِنْ أَبي تمَّامٍ ، وقد أَخذهُ الناظمُ بمعناهُ ، فقالَ [في « العُكْبَريّ » ٣/ ١٨٥ منَ الطويل] :

إِلَىٰ رَبِّ مَالٍ كُلَّمَا شَتَّ شَمْلُهُ ... تَجَمَّعَ فِي تَشْتِيتِهِ لِلْعُلاَ شَمْلُ

---

(١) الهبواتُ : الغبارُ الكثيفُ . المَجْرُ ، يُقالُ : جيشٌ مَجْرٌ ، كثيرٌ جداً .

(٢) أبواعٌ ـ جمع باعٍ وبوعٍ : وهو وحدةُ قياسٍ مقدارُها ما بينَ الكفينِ حالَ بسطِهِمَا، وتعادل: (٢) متراً . والذراعُ : وحدةُ قياسٍ مقدارُهَا ما بينَ طرفِ المرفقِ إلى طرفِ الإصبعِ الوسطىٰ . والبوع أيضاً عظم يلي إبهام الرجل.

رفع المسهم

وقالَ [في « المُكْبَريّ » ٢/ ٢٦٤ منَ الكامل] :

أَبَداً يُصَدِّعُ شَعْبَ وَفْرٍ وَافِرٍ وَيَلُمُّ شَعْبَ مَكَارِمٍ مُتَصَدِّعَا[1]

إلاَّ أَنَّهُ أَرادَ أَنْ يمدحَ فذمَّ ؛ وذلكَ لاقتضاءِ كلامِهِ تصدُّعَ مكارمِ ممدوحهِ .

وقولُ أَبي تمَّامٍ السابقُ : (يَخُوْضُ مَعَ ٱلسِّبَاعِ ٱلْمَاءَ حَتَّىٰ . . . إلخ) مأخوذٌ مِنْ قولِ عبدِ اللهِ بنِ ثعلبةَ الأَزديّ [من مجزوء الكامل] :

تَـرِدُ ٱلسِّبَـاعُ مَعِـيْ فَتَحْـ ـسَبُنِـيْ ٱلسِّبَـاعُ مِـنَ ٱلسِّبَـاعِ

والأَشعارُ في التحريضِ علىٰ الإباءِ والأَنَفِ مِنِ ٱحتمالِ الضيمِ أَكثرُ مِنْ أَنْ تُذكَرَ ، ويأتي في هٰذهِ المجموعةِ الكثيرُ الطيِّبُ منها بحسَبِ المناسباتِ ، ومِنْ أَحسنِها ، أَو أَحسنُها علىٰ الإطلاقِ عندي . . قولُ بعضِ الخوارجِ [في « شعرِ الخوارجِ » ١١٧ـ١١٨ منَ الطويل] :

أجمل ما قيل في التحريض على الإباء

وَمَنْ يَخْشَ أَظْفَارَ ٱلْمَنَايَا فَإِنَّنَا لَبِسْنَا لَهُنَّ ٱلسَّابِغَاتِ مِنَ ٱلصَّبْرِ

وَإِنَّ كَرِيْهَ ٱلْمَوْتِ عَذْبٌ مَذَاقُهُ إِذَا مَا مَزَجْنَاهُ بِطِيْبٍ مِنَ ٱلذِّكْرِ

* * *

(١) الشَّعبُ : مصدر شَعَبْتُ الشيءَ إذا لأَمْتُه . الوفرُ : الغنىٰ . والمعنى : يفرق المال ويجمع المكارم .

رفع المسهم

[قالَ أَبو الطيِّبِ المتنبِّي ـ في « العُكْبَريِّ » ٣/ ١٦٠ منَ الطويل]:

وَخُضْرَةُ ثَوْبِ ٱلْعَيْشِ فِيْ ٱلْخُضْرَةِ ٱلَّتِيْ تُرِيْكَ أَحْمِرَارَ ٱلْمَوْتِ فِيْ مَدْرَجِ ٱلنَّمْلِ

تشبيه المتنبي السيف

شبَّهَ صفيحةَ السيفِ بمدرجِ النمل ؛ لِمَا فيهِ مِنْ آثارِ الفِرِنْدِ[1] ، وقالَ : إنَّ خفضَ العيشِ وطيبَهُ لا يكونُ إلاَّ في ٱستعمالِ السيفِ الَّذي يميلُ صفاؤهُ إلىٰ الخُضرةِ ؛ لأَنَّهُ أَفضلُ السيوفِ ، وفي المعنىٰ قولهُ ﷺ : « وَجُعِلَ رِزْقِيْ تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِيْ »[2] .

أفضل المكاسب المغانم

وصرَّحَ الفقهاءُ : بأَنْ أَفضلَ المكاسبِ المغانمُ ، فما جاءَ بها الناظمُ مِنْ كيسهِ ، ولا ٱستنزلَها مِنْ سمائهِ ، ولا يُحصىٰ مَنِ ٱفتخرَ مِنَ ٱلعربِ بصُفُورةِ اليدِ مِنَ ٱلمالِ مَعَ ٱلاحتفاظِ بالسلاحِ .

تمادح الشعراء بصفورة اليد إلا من عدة القتال

قالَ أَبو الأَبيضِ العَنْسيُّ [في « ديوان الحماسة » ١/ ١٧٩ منَ الطويل] :

وَمَا لِيَ مَالٌ غَيْرَ دِرْعٍ وَمِغْفَرٍ وَأَبْيَضَ مِنْ مَاءِ ٱلْحَدِيْدِ صَقِيْلِ
وَأَسْمَرَ خَطِّيِّ ٱلْقَنَاةِ مُثَقَّفٍ وَأَجْرَدَ عُرْيَانِ ٱلسَّرَاةِ طَوِيْلِ[3]

---

(١) الفِرِندُ : ما يُرىٰ في السيفِ مِنْ تموُّجاتِ الضوءِ . ومدرجُ النملِ : طريقهُ الذي يمشي فيهِ .

(٢) طرف الحديث أورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٥/ ٢٦٧) وقال: رواه الطبراني ، وفيه عبد الرحمن بن ثابت ، وثقه ابن المديني وأبو حاتم وغيرهما ، وضعفه أحمد وغيره ، وبقية رجاله ثقات .

(٣) الأسمرُ المثقَّفُ : الرمحُ المسوَّىٰ . السراةُ مِن كلِّ شيءٍ : أعلاهُ ، وسراةُ الفرسِ أعلىٰ مَتنهِ .

رفع المسهم

وقالَ حاتِمٌ [في « ديوانه » ٤٧ منَ الطويل] :

مَتَىٰ مَا يَجِيءْ يَوْماً إِلَىٰ ٱلْمَالِ وَارِثِي ... يَجِدْ جَمْعَ كَفٍّ غَيْرَ مَلأَىٰ وَلاَ صِفْرِ
يَجِدْ فَرَساً مِثْلَ ٱلْعُنَانِ وَصَارِماً ... حُسَاماً إِذَا مَا هَزَّ لَمْ يَرْضَ بِٱلْهَبْرِ(١)
وَأَسْمَرَ خَطِّيّاً كَأَنَّ كُعُوبَهُ ... نَوَىٰ ٱلْقَسْبِ قَدْ أَرْبَىٰ ذِرَاعاً عَلَىٰ ٱلْعَشْرِ(٢)

هٰذا ما يقولُ أَخو طيٍّ ، أَمَّا صاحبنا : فقد شاءَ مِنْ ولعهِ بالغلوِّ أَنْ يزيدَ عليهِ ، فقالَ [في « العُكْبَريّ » ٤/ ٢٩٢ منَ الطويل] :

وَأَسْمَرَ ذِيْ عِشْرِيْنَ تَرْضَاهُ وَارِداً ... وَيَرْضَاكَ فِيْ إِيْرَادِهِ ٱلْخَيْلَ سَاقِيَا

وقالَ المجنُّ بنُ جُوَينٍ يمدحُ عمرَو بنَ معديكربَ الزُّبيديَّ حينما أَطلقَهُ مِنَ ٱلأَسرِ [منَ الطويل] :

فَتىً جُلُّ مَا يَحْوِيْهِ زَغْفٌ مَفَاضَةٌ ... وَطَرْفُ جَوَادٍ وَٱلرُّدَيْنِيَّةُ ٱلسُّمْرُ(٣)

وقالَ عبدُ اللهِ بنُ عَنَمَةَ الضبيُّ [مِنَ البسيطِ] :

وَقَدْ أَرُوْحُ أَمَامَ ٱلْحَيِّ يَقْذِفُنِيْ ... صَافِيْ ٱلأَدِيْمِ كُمَيْتُ ٱللَّوْنِ مَكْسُوْبُ
مُجَنَّبٌ مِثْلُ شَاطِيْ ٱلرَّمْلِ مُخْتَقَرٌ ... بِٱلْعَفْرَتَيْنِ عَلَىٰ أُوْلاَهُ مَصْبُوْبُ
فَذَاكَ ذُخْرِيْ إِذَا مَا خَيْلُهُمْ رَكَضَتْ ... إِلَىٰ ٱلْمَنُوْنِ هَفَا لِلرَّوْعِ سَرْحُوْبُ(٤)

---

(١) الهبرُ : قِطَعُ اللحمِ .
(٢) القَسبُ : نوعٌ مِنَ التمورِ .
(٣) زَغْفٌ مَفَاضَةٌ : درعٌ واسعةٌ . الرُّدَينيَّةُ : الرماحُ ، وسميتْ بذلكَ ؛ نسبةً إلى امرأةٍ كانتْ تسوي الرماحَ .
(٤) السرحوبُ : الطويلُ الحسنُ الجسمِ ، وفرسٌ سرحوبٌ : طويلةٌ على وجهِ الأَرضِ .

رفع المسهم

وقالَ عمرُو بنُ براقٍ الهمدانيُّ [في «الأغاني» ٢١/ ١٧٥ـ١٧٦ مِنَ الطويلِ] :

وكيفَ يَنَامُ ٱللَّيْلَ مَنْ جُلُّ مَالِهِ ... حُسَامٌ كَلَوْنِ ٱلْمِلْحِ أَبْيَضُ صَارِمُ
كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ ٱللهِ لاَ تَأْخُذُوْنَهَا ... مُرَاغَمَةً مَا دَامَ لِلسَّيْفِ قَائِمُ
وَمَنْ يَطْلُبِ ٱلْمَالَ ٱلْمُمَنَّعَ بِٱلْقَنَا ... يَعِشْ مَاجِداً[1] أَوْ تَخْتَرِمْهُ ٱلْخَوَارِمُ

الحجر الذي لا يعجبك يشجُّك

وذكرَ الزبيرُ بنُ بَكَّارٍ : أَنَّ نُهَيْكَ بنَ أَسافٍ الحارثيَّ ٱفتقرَ ، فقدمَ علىٰ مصعبِ بنِ الزبيرِ ، حينَ بلغهُ أَنَّ أَهلَ (الراذانِ) قد خلعوهُ ، فندبَ الناسَ مراراً ، فلم ينتدبْ لَهُ إلاَّ نهيكٌ ، قامَ محتزماً بحبلٍ ، وعلىٰ رأسهِ سَمَلٌ[2] عمامةٍ مُتَنكِّباً قوساً عربيَّةً ، فقالَ : أَنا لهُم ، قالَ : ومَنْ أَنتَ؟ فٱنتسبَ لهُ ، فقالَ : ٱجلسْ ، وكأَنَّهُ ٱزدراهُ ، ثُمَّ أَعادَ القولَ فلمْ يقُمْ غيرُهُ ، فعلَ ذلكَ مراراً ، فقالَ لهُ مصعبٌ : ما عندكَ؟ قالَ : عزمٌ إذا أَبصرتُ ، ومشاورةٌ إذا شككتُ ، قالَ : أَنتَ لها ، وعقدَ لهُ عليها ، وقالَ لهُ : إنْ أَظفرَكَ اللهُ بها . . أَطعمتُكها سنةً ، فخرجَ وظفِرَ ، وبعثَ إلىٰ أُمِّهِ إبلاً مُحَمَّلَةً ، وكتبَ إليها يقول [مِنَ الطويلِ] :

أَأُمَّ نُهَيْكٍ إِرْفَعِيْ ٱلظَّنَّ صَاعِداً ... وَلاَ تَيْأَسِيْ أَنْ يُثْرِيَ ٱلدَّهْرَ آيِسُ
سَأَكْسِبُ مَالاً أَوْ تَبِيْتِنَّ لَيْلَةً ... بِصَدْرِكِ مِنْ هَمٍّ عَلَيَّ وَسَاوِسُ
وَقَدْ عَلِمَتْ خَيْلٌ بِرَاذَانَ أَنَّنِيْ ... شَدَدْتُ وَلَمْ يَبْقَ مِنَ ٱلْقَوْمِ فَارِسُ
وَمَنْ يَطْلُبِ ٱلْمَالَ ٱلْمُمَنَّعَ بِٱلْقَنَا ... يَعِشْ مُثْرِياً أَوْ يُوْدَ فِيْمَا يُمَارِسُ[3]

---

(١) في «الأغاني»: يعش ذا غنىً.
(٢) السَّمَلُ: الخلَقُ مِنَ الثِّيابِ .
(٣) الأبيات في «الأغاني» (٢٤/ ١٤) لعبد الله أبن أبي معقلٍ في غير هذا الموضوع .

رفع المسهم

الغلام القيسي

وقال غُلامٌ مِنْ قيسٍ [مِنْ مجزوءِ الرملِ] :

اِقْـذِفِ ٱلسَّـرْجَ عَلَـىٰ ٱلْمُهْـ ـــرِ وَقَـرِّطْـهُ ٱللِّجَـامَـا
ثُـمَّ صُـبَّ ٱلـدِّرْعَ فِـيْ رَأْ سِـيْ وَنَـاوِلْنِـيْ ٱلْحُسَـامَـا
فَمَتَـىٰ أَطْلُـبُ إِنْ لَـمْ أَطْلُـبِ ٱلـرِّزْقَ غُـلاَمَـا
سَـأَجُـوْبُ ٱلأَرْضَ أَبْغِيْـ ـــهِ حَـلاَلاً أَوْ حَـرَامَـا
فَلَعَـلَّ ٱلظَّعْـنَ يَنْفِـيْ ٱلْـ ـفَقْـرَ أَوْ يُـدْنِـيْ ٱلْحِمَـامَـا

رثاء هدبة اليشكري

وقالَ أَيُّوبُ بنُ خولةَ يرثي هدبةَ اليَشْكُريَّ ، وهو مِنَ ٱلخوارجِ في أَيَّامِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ [في « شعرِ الخوارجِ » ٧١ مِنَ الطويلِ] :

فَيَا هُدْبَ لِلْهَيْجَا وَيَا هُدْبَ لِلْفِدَا وَيَا هُدْبَ لِلْخَصْمِ ٱلأَلَدِّ تُحَارِبُهْ
تَـزَوَّدْتَ مِـنْ دُنْيَـاكَ دِرْعـاً وَمِغْفَـراً وَعَضْباً حُسَاماً لَمْ تَخُنْكَ مَضَارِبُهْ
وَأَجْـرَدَ مَحْبُـوْكٍ ٱلسَّـرَاةِ كَـأَنَّـهُ إِذَا ٱنْقَضَّ وَافِي ٱلرِّيْشِ حُمْشٌ مَخَالِبُهْ[1]

القطامي والبداوة

وقالَ القُطاميُّ [في « ديوانِهِ » ٧٦ مِنَ الوافرِ] :

فَمَـنْ تَكُـنِ ٱلْحَضَـارَةُ أَعْجَبَتْـهُ فَـأَيَّ رِجَـالِ بَـادِيَـةٍ تَـرَانَـا ؟
وَمَنْ رَبَطَ ٱلْجِحَاشَ فَإِنَّ فِينَا قَنـاً صُلْبـاً وَأَفْـرَاسـاً حِسَـانَـا

رثاء الوليد بن طريف

وقالتْ ليلىٰ بنتُ طريفٍ ترثي أَخاها الوليدَ [في « وفياتِ الأَعيانِ » ٦/ ٣٢ مِنَ الطويلِ] :

فَتىً لاَ يُحِبُّ ٱلزَّادَ إِلاَّ مِنَ ٱلتُّقَىٰ وَلاَ ٱلْمَـالَ إِلاَّ مِـنْ قَنـاً وَسُيُـوْفِ
وَلاَ ٱلذُّخْرَ إِلاَّ كُلَّ جَرْدَاءَ صِلْدِمٍ مُعَـاوِدَةٍ لِلْكَـرِّ بَيْـنَ صُفُـوْفِ[2]

---

(١) وافي الريشِ : الجارح الذي كثر ريشه وتم . حُمْشٌ : شديدةٌ .

(٢) جرداء : قصيرةُ ٱلشَّعرِ، وهوَ من علاماتِ ٱلعِتاقِ والكرامِ في الخيلِ. الصِّلْدِمُ : الشديدُ الحافرِ .

رفع المسهم

المعري والمال المكتسب في الحروب

وقد أَغارَ علىٰ أَوَّلِهمَا المعرِّيُّ في قولهِ [في «سقطِ الزندِ» ١٢٥ مِنَ الوافرِ] :

رَأَيْتُكَ سَاخِطاً مَا جَاءَ عَفْواً ... وَلَوْ جَادَتْكَ بِالذَّهَبِ ٱلْعِهَادُ[1]

فَمَا تَعْتَدُّ مَالاً غَيْرَ مَالٍ ... حَبَاكَ بِهِ طِعَانٌ أَوْ جِلاَدُ[2]

فقراء بني النطّاح

وقالَ بكرُ بنُ النَّطَّاحِ [مِنَ الطويلِ] :

وَمَنْ يَفْتَقِرْ مِنَّا يَعِشْ بِحُسَامِهِ ... وَمَنْ يَفْتَقِرْ مِنْ سَائِرِ ٱلنَّاسِ يَسْأَلِ

صورة رائعة من شجاعة بكر بن النطاح

فيُروىٰ [كما في «الأغاني» ١١٦/١٩] : أَنَّهُ وفدَ علىٰ أَبي دُلَفٍ العِجْليِّ ، فقالَ لهُ : أَراكَ تتظاهَرُ بالشجاعةِ في أَشعارِكَ ، وما رأيتُ لها أَثراً في أَفعالكِ ، فقالَ : وما عسىٰ أَنْ يكونَ مِنْ شيخٍ راجلٍ أَعزلَ ، فقلَّدَهُ سيفاً ، وأَعطاهُ فرساً ، فخرجَ لوجههِ ، وجمعَ مِنَ ٱلذُّوبَانِ[3] والصعالكِ ما أَلَفَّ بهِ جماعةً ، ثُمَّ عرضَ لقافلةٍ مِنْ قوافلِ ٱلأَميرِ فأَستاقَها ، وقتلَ مَنْ فيها ، وأَغَذَّ السيرَ حتَّىٰ سبقَ الطلبَ ، فقالَ أَبو دلفٍ : أَنا الَّذي هيجتُهُ ، ثُمَّ أَستدعاهُ ، وسوَّغهُ ما أَخذَ .

رواية أخرى للقصة

ويُروىٰ : أَنَّ القصَّةَ إِنَّما كانتْ معَ بعضِ بني بكرٍ لا معهُ ، وأَنَّ أَبا دُلفٍ قالَ لهُ : أَتستميحُ وأَبوكَ القائلُ[4] ؟! فقالَ لهُ : لقد أَودعتَها

---

(١) العِهَادُ : المطرُ .

(٢) الطعانُ والجلادُ : القتالُ والثباتُ في مقارعةِ الأَعداءِ .

(٣) الذوبان : اللصوصُ ؛ وسموا بذلكَ لأَنهمْ كالذئبانِ، وأصلهُ بالهمزِ لكنهُ خففَ فانقلبت واواً .

(٤) أي : أحد أولاد بكر بن النطاح، وقد قال أبوه : ومن يفتقر منا . . .

رفع المسهم

أُذُناً واعيةً ، ثُمَّ فعلَ فِعلتهُ الَّتي فعلَ ، وهو مِنَ الظالمينَ ، واللهُ أعلمُ أيُّ ذلكَ كانَ ، فالرواياتُ تختلفُ .

مديح بشار

وقالَ بشَّارٌ يمدحُ [في « ديوانهِ » ٤/ ١٠٥ مِنَ الطويلِ] :

إِذَا خَزَنَ الْمَالَ الْبَخِيلُ فَإِنَّمَا ... خَزَائِنُهُ خَطِّيَّةٌ وَدُرُوعُ[1]

وَبِيضٌ بِهَا مِسْكٌ لِمَسِّ أَكُفِّهِمْ ... عَلَىٰ أَنَّهَا رِيحُ الدِّمَاءِ تَضُوعُ[2]

اقتداء ابن المعتز به

وهو معنىً جليلٌ حسدَهُ عليهِ ابنُ المعتزِّ ، فأحسنَ اتِّباعَهُ حيثُ يقولُ [في « ديوانهِ » ١/ ١٠٥ مِنَ الطويلِ] :

مُلُوكٌ إِذَا خَاضُوا الْوَغَىٰ فَسُيُوفُهُمْ ... مَقَابِضُهَا مِسْكٌ وَسَائِرُهَا دَمُ

إجادة المديح عند المعري

عَلَىٰ أَنَّهُ قد يؤخذُ علىٰ بشَّارٍ أَنَّ الرائحةَ المسكيَّةَ لا تكونُ إلاَّ لدماءِ الشهداءِ، فكيفَ يُثنيْ علىٰ ممدوحهِ بحربهم؟ وإنَّما أصابَ كبدَ المعنىٰ الأعمىٰ الثاني في قولهِ [أبي المعرِّيِّ في « سقطِ الزندِ » ١٦١ مِنَ البسيطِ] :

كَأَنَّمَا الضَّرْبُ يَفْرِيْ مِنْ كُلُومِهِمُ ... أَكْبَادَ سِرْبٍ رَعَيْنَ النَّوْرَ فِي الْكُنُسِ[3]

سَالَتْ تَضَوَّعُ حَتَّىٰ ظَنَّ جَارِحُهُمْ ... قَسِيْمَةَ الْمِسْكِ جُرْحَ الْفَارِسِ النَّدُسِ[4]

الرثاء والمديح عند الشعراء

وقالَ مروانُ ابنُ أبي حفصةَ يرثي مَعْناً فيما نحنُ بسبيلهِ [في «ديوانهِ» ٨٠ منَ الوافرِ] :

وَلَمْ يَكُ كَنْزُهُ ذَهَباً وَلَكِنْ ... حَدِيْدَ الْهِنْدِ وَالْحَلَقَ الْمُذَالاَ[5]

---

(١) خَطِيَّةٌ : رماحٌ منسوبةٌ إلىٰ بلدةِ (خَطٍّ) ، وهو موضعٌ بـ(اليمامةِ) .

(٢) تضوعُ : تنتشرُ وتفوحُ .

(٣) النَّوْرُ : الزهرُ . الكُنُسُ ـ جمعُ كناسٍ ـ : وهو مأوىٰ الظبي .

(٤) النَّدُسُ : الحاذقُ بالطعنِ .

(٥) الحَلَقُ المُذَالُ : الدرعُ المصنوعُ صناعةً جيدةً محكمةً .

رفع المسهم

وقالَ البُحتريُّ [في « ديوانهِ » ٢/ ٨٨٠ مِنَ الطويلِ] :

قَلِيْـلُ فُضُـوْلِ ٱلـزَّادِ إلاَّ صَـوَاهِـلاً ظَهَارِيَّ طَعْنٍ أَوْ حَدِيْداً يُظَاهِرُهْ[1]

وقالَ الناظمُ [في « العُكْبَريّ » ٢/ ٢٧٠ـ٢٧١ مِنَ الكاملِ] :

كُنَّـا نَظُـنُّ دِيَـارَهُ مَمْلُـوءَةً ذَهَباً فَمَـاتَ وَكُـلُّ دَارٍ بَلْقَـعُ

وَإِذَا ٱلْمَكَارِمُ وَٱلصَّوَارِمُ وَٱلْقَنَا وَبَنَاتُ أَعْوَجَ كُلُّ شَيْءٍ يَجْمَعُ[2]

وقالَ أَبو المنيعِ قرواشٌ معتمدُ الدولةِ [في « وفياتِ الأعيانِ » ٥/ ٢٦٤ مِنَ الكاملِ] :

مَنْ كَانَ يَحْمَدُ أَو يَذُمُّ مُوَرِّثاً لِلْمَـالِ مِـنْ آبَـائِـهِ وَجُـدُوْدِهِ

فَـأَنَـا ٱمْـرُؤٌ للهِ أَشْكُـرُ وَحْـدَهُ شُكْـراً كَثِيْـراً جَـالِباً لِمَـزِيْـدِهِ

لِـيْ أَشْقَـرٌ مِـلْءُ ٱلْعِنَـانِ مُغَـاوِرٌ يُعْطِيْكَ مَا يُرْضِيْكَ مِنْ مَجْهُوْدِهِ

وَمُهَنَّـدٌ عَضْـبٌ إِذَا جَـرَّدْتُـهُ خِلْتَ ٱلْبُرُوْقَ تَمُوْجُ فِيْ تَجْرِيْدِهِ

وَمُثَقَّـفٌ لَـدْنُ ٱلسِّنَـانِ كَـأَنَّمَـا أُمُّ ٱلْمَنَايَا رُكِّبَتْ فِيْ عُوْدِهِ[3]

فَبِـذَا حَـوَيْـتُ ٱلْمَـالَ إِلاَّ أَنَّنِـيْ سَلَّطْتُ جُوْدَ يَدِيْ عَلَىٰ تَبْدِيْدِهِ

الاعتـداد بـالسـلاح ووصفه عند الشعراء

وَأَمَّا الاعتدادُ بالسلاحِ والكُراعِ ومجردُ وصفهِ : فأكثرُ وأكثرُ ، قالَ الشدَّاخُ [مِنَ الطويلِ] :

أَبَيْنَا فَلاَ نُعْطِيْ مَلِيْكاً ظُلاَمَةً وَلاَ سُوْقَةً إِلاَّ ٱلوَشِيْجَ ٱلْمُقَوَّمَا

وَإِلاَّ حُسَاماً يُبْهِرُ ٱلعَيْنَ لَمْحُهُ كَصَاعِقَةٍ فِيْ عَارِضٍ قَدْ تَبَسَّمَا

---

(١) الظهاريُّ ـ جمعُ ظِهري ـ : وهو البعيرُ القويُّ الظهرِ ، المُعَدُّ لوقتِ الحاجةِ .

(٢) راجع معنى الخيلِ الأعوجيةِ آخرَ هذا المجلسِ .

(٣) اللَّدْنُ : اللينُ مِنْ كلِّ شيءٍ، من عودٍ أو حبلٍ أو رمحٍ .

رفع المسهم

وقالَ مالكُ بنُ حزيمٍ ٱلْهَمدانيُّ [منَ الطويل] :

وَكُنْتُ إِذَا قَوْمٌ غَزَوْنِيْ غَزَوْتُهُمْ فَهَلْ أَنَا فِيْ ذَا يَا آلَ هَمْدَانَ ظَالِمُ ؟
مَتَىٰ تَجْمَعُ ٱلْقَلْبَ ٱلذَّكِيَّ وَصَارِماً وَأَنْفاً حَمِيّاً تَجْتَنِبْكَ ٱلْمَظَالِمُ

وقالَ يحيىٰ بنُ منصورٍ الحنفيُّ [منَ الطويل] :

وَلَمَّا نَأَتْ عَنَّا ٱلْعَشِيْرَةُ كُلُّهَا أَنَخْنَا مُخَالِفَنَا ٱلسُّيُوْفَ عَلَىٰ ٱلدَّهْرِ
فَمَا أَسْلَمَتْنَا عِنْدَ يَوْمِ كَرِيْهَةٍ وَلاَ نَحْنُ أَغْضَيْنَا ٱلْجُفُوْنَ عَلَىٰ وَتْرِ

وقالَ عمرُو بنُ معديكربَ الزبيديُّ لسعدِ ٱبنِ أَبي وقاصٍ [في « ديوانهِ » ١٣٨ منَ الطويل] :

أَيُوْعِدُنِيْ سَعْدٌ وَفِيْ ٱلْكَفِّ صَارِمٌ سَيَمْنَعُ مِنِّيْ أَنْ أَذِلَّ وَأَخْضَعَا
فَوَٱللهِ لَوْلاَ ٱللهُ لاَ شَيْءَ غَيْرُهُ لَجَلَّلْتُهُ ٱلصَّمْصَامَ أَوْ يَتَقَطَّعَا[1]

وقالَ دريدُ بنُ الصِّمَّةِ الجشميُّ [في « ديوانهِ » ٦٠ منَ الوافر] :

أَعَاذِلُ إِنَّمَا أَفْنَىٰ شَبَابِيْ رُكُوْبِيْ فِيْ ٱلصَّبَاحِ إِلَىٰ ٱلْمُنَادِيْ
مَعَ ٱلْفِتْيَانِ حَتَّىٰ سَلَّ جِسْمِيْ وَأَقْرَحَ عَاتِقِيْ حَمْلُ ٱلنِّجَادِ
أَعَاذِلُ إِنَّهُ مَالٌ طَرِيْفٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مَالٍ تِلاَدِ
أَعَاذِلُ عُدَّتِيْ بِزِّيْ وَسَرْجِيْ وَكُلُّ مُقَلَّصٍ سَلِسِ ٱلْقِيَادِ
وَيَبْقَىٰ بَعْدَ حِلْمِ ٱلْقَوْمِ حِلْمِيْ وَيَفْنَىٰ قَبْلَ زَادِ ٱلْقَوْمِ زَادِيْ

وقال ٱمرؤُ القيسِ يصفُ رُمحاً ، وهوَ مِنْ أَبلغِ الكلامِ ، ويستشهدُ بهِ أَهلُ البيانِ علىٰ تفصيلِ التشبيهِ [في « ديوانهِ » ٢١٧ منَ الطويل] :

حَمَلْتُ رُدَيْنِيّاً كَأَنَّ سِنَانَهُ سَنَا لَهَبٍ لَمْ يَتَّصِلْ بِدُخَانِ

---

(١) جَلَّلْتُهُ الصمصامَ : علوتُهُ بسيفي . الصمصامُ : السيفُ الصارمُ .

رفع المسهم

وقالَ أَبو الهولِ الحميريُّ يصفُ سيفاً [منَ الخفيف] :

مَا يُبَالِي إِذَا ٱلضَّرِيبَةُ حَانَتْ أَشِمَـالٌ سَطَـتْ بـهِ أَمْ يَمِيـنُ
وَكَـأَنَّ ٱلْفِـرِنْـدَ وَٱلـرَّوْنَـقَ ٱلْجَـا رِيَ عَلَـىٰ صَفْحَتَيْـهِ مَـاءٌ مَعِيـنُ
نِعْمَ مِخْرَاقُ ذِي ٱلْحَفِيظَةِ فِي ٱلْهَيْـ ـجَـاءِ يَسْطُـوْ بِـهِ وَنِعْـمَ ٱلْمُعِيـنُ

وقالَ ابنُ المعتزِّ [في « ديوانه » ٢/ ٦٣ منَ الطويل] :

وَلِي صَارِمٌ فِيهِ ٱلْمَنَايَا كَوَامِنٌ فَمَـا يُنْتَضَـىٰ إِلاَّ لِسَفْـكِ دِمَـاءِ
تَرَىٰ فَوْقَ مَتْنَيْهِ ٱلْفِرِنْدَ كَأَنَّهُ بَقِيَّـةُ غَيْـمٍ رَقَّ دُوْنَ سَمَـاءِ

وقالَ أَبو تمَّامٍ يصفُ رِماحاً [في « ديوانه » ١/ ٤٢٠ منَ البسيط] :

مُثَقَّفَـاتٍ سَلَبْـنَ ٱلـرُّوْمَ زُرْقَتَهَـا وَٱلْعُرْبَ أُدْمَتَهَا وَٱلْعَاشِقَ ٱلْقَضَفَا[1]

وقالَ مزردٌ [منَ الطويل] :

وَمُطَّـرِدٍ لَـدْنِ ٱلْكُعُـوبِ كَـأَنَّمَـا تَغَشَّاهُ مِنْبَاعٌ مِنَ ٱلزَّيْتِ سَائِلُ[2]
أَصَـمَّ إِذَا مَـا هَـزَّ مَـارَتْ سَرَاتُـهُ كَمَا مَارَ ثُعْبَانُ ٱلرِّمَالِ ٱلْمُوَائِلُ[3]
لَـهُ رَائِـدٌ مَـاضِ ٱلْفِـرَارِ كَـأَنَّـهُ هِلَالٌ بَدَا فِي ظُلْمَةِ ٱللَّيْلِ نَاحِلُ

وقالَ البُحتريُّ يصفُ سيفاً [في « ديوانه » ٣/ ١٧٤٧ـ١٧٤٨ منَ الكامل] :

مَاضٍ وَإِنْ لَمْ تُمْضِهِ يَدُ فَارِسٍ بَطَلٍ وَمَصْقُوْلٌ وَإِنْ لَمْ يُصْقَلِ

---

(١) المثقفاتُ : الرماح المقوماتُ ، ثمَّ وصفهنَّ بقوله : سلبْنَ زرقَةَ عيونِ الروم لأسنتهنَّ الزرقِ ، وسُمرةَ العربِ لأعوادِهنَّ ، وأَخذْنَ مِنَ العاشقِ قضافتَهُ : أَي لطافتَهُ .

(٢) المُطَّرِدُ : الفرسُ . لَدْنُ الكعوبِ : ليِّن المفاصلِ ، شبَّهُهُ بالرمح ليِّنِ العُقَدِ .

(٣) مارَ : تحرَّكَ وتدافعَ . السَّراةُ من الفرسِ : أَعلىٰ ظهرِهِ . الموائلُ : الذاهبُ إلى ملجئِهِ .

يَغْشَىٰ ٱلْوَغَىٰ فَٱلتُّرْسُ لَيْسَ بِجُنَّةٍ مِنْ حَدِّهِ وَٱلدِّرْعُ لَيْسَ بِمَعْقِلِ
مُصْغٍ إِلَىٰ حُكْمِ ٱلرَّدَىٰ فَإِذَا مَضَىٰ لَمْ يَلْتَفِتْ وَإِذَا قَضَىٰ لَمْ يَعْدِلِ
مُتَوَقِّدٌ يَفْرِي بِأَوَّلِ ضَرْبَةٍ مَا أَدْرَكَتْ وَلَوَ ٱنَّهَا فِي يَذْبُلِ[1]
وَإِذَا أَصَابَ فَكُلُّ شَيْءٍ مَقْتَلٌ وَإِذَا أُصِيبَ فَمَا لَهُ مِنْ مَقْتَلِ

وقولُهُ: (ماضٍ وَإِنْ لَم تُمْضِهِ. . . إلىٰ آخره) غلوٌّ لا يقبلُ، وقد ألَمَّ بهِ المعرِّيُّ فأحسنهُ بالمقاربةِ إذ قالَ [في «سقطِ الزندِ» ١٠٠ منَ الوافر]:

تَكَادُ قِسِيُّهُ مِنْ غَيْرِ رَامٍ تُمَكِّنُ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلنِّبَالاَ
تَكَادُ سُيُوفُهُ مِنْ غَيْرِ سَلٍّ تُجِدُّ إِلَىٰ رِقَابِهِمُ ٱنْسِلاَلاَ

وقالَ ٱبنُ هانىءٍ الأَندلسيُّ، وفيه مناسبةٌ لما سبقَ مِنْ خُضرةِ السيفِ [في «ديوانه» ١٦١ منَ الكامل]:

فُتِقَتْ لَكُمْ رِيحُ ٱلْجِلاَدِ بِعَنْبَرٍ وَأَمَدَّكُمْ فَلَقُ ٱلصَّبَاحِ ٱلْمُسْفِرِ[2]
وَجَنَيْتُمُ ثَمَرَ ٱلْوَقَائِعِ يَانِعاً بِٱلنَّصْرِ مِنْ وَرَقِ ٱلْحَدِيدِ ٱلأَخْضَرِ[3]

وقولُهُ: (فُتِقَتْ لَكُمْ. . . إلىٰ آخرهِ) يقربُ مِنْ قولِ الناظمِ [في «العُكْبَريِّ» ٤/٢٢٨ منَ البسيط]:

كَأَنَّهُمْ يَرِدُونَ ٱلْمَوْتَ مِنْ ظَمَإٍ أَوْ يَنْشَقُونَ مِنَ ٱلْخَطِّيِّ رَيْحَانَا

وقالَ الشريفُ الرضيُّ [في «ديوانه» ١/٣٨٠ منَ الكامل]:

وَٱسْتَنْزَلُوا أَرْزَاقَهُمْ بِسُيُوفِهِمْ فَغَنَوْا بِغَيْرِ مَذَلَّةٍ وَصَغَارِ

---

(١) يذبل: اسم جبل في (نجد).
(٢) فُتِقَ المسكُ: استُخرجَتْ رائحتُهُ. الجلادُ: الحربُ.
(٣) ورقُ الحديدِ: السيوفُ.

رفع المسهم

نَـزَلُـوْا بِقَـارِعَـةٍ تَشَـابَـهَ عِنْـدَهَـا ذُلُّ ٱلْعَبِيْـدِ وَعِـزَّةُ ٱلأَحْـرَارِ

الاعتداد بالسلاح عند المتنبي معنىً متكرر

والبيتُ الَّذي نتكلَّمُ فيهِ مكرَّرُ المعنىٰ في « ديوانهِ » ، منه قولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٢/ ٢٢٢ منَ البسيط] :

أَأَطْرَحُ ٱلْمَجْدَ عَنْ كَتِفَيْ وَأَطْلُبُهُ وَأَتْرُكُ ٱلْغَيْثَ فِيْ غِمْدِيْ وَأَنْتَجِعُ[1]
وَٱلْمَشْرَفِيَّةُ ـ مَا زَالَتْ مُشَرَّفَةً ـ دَوَاءُ كُلِّ كَرِيْمٍ أَوْ هِيَ ٱلْوَجَعُ

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٤/ ١٦٠ منَ البسيط] :

مَنِ ٱقْتَضَىٰ بِسِوَىٰ ٱلْهِنْدِيِّ حَاجَتَهُ أَجَابَ كُلَّ سُؤَالٍ عَنْ هَلٍ بِلَمِ[2]

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ١٠/ ١٧٣ منَ البسيط] :

وَجَـدْتُ أَنْفَـعَ مَـالٍ كُنْـتُ أَذْخَـرُهُ مَا فِي ٱلسَّوَابِقِ مِنْ جَرْيٍ وَتَقْرِيْبِ

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٣/ ٧٨ منَ البسيط] :

لاَ أَكْسِبُ ٱلذِّكْرَ إِلاَّ مِنْ مَضَارِبِهِ أَوْ مِنْ سِنَانٍ أَصَمِّ ٱلْكَعْبِ مُعْتَدِلِ

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٤/ ١٠٨ منَ الطويل] :

وَلَكِنَّنِـيْ مُسْتَنْصِـرٌ بِـذُبَـابِـهِ وَمُرْتَكِبٌ فِيْ كُلِّ حَالٍ بِهِ ٱلْغَشْمَا[3]

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٢/ ٣٧٣ منَ المنسرح] :

كُـنْ لُجَّـةً أَيُّهَـا ٱلسَّمَـاحُ فَقَـدْ آمَنَـهُ سَيْفُـهُ مِـنَ ٱلْغَـرَقِ

---

(١) الانتجاعُ في الأصلِ : طلبُ الكلأ ، ثمَّ صارَ كلُّ طلبٍ انتجاعاً .

(٢) المعنى كما قاله الواحدي : من طلب حاجته بغير السيف . . أجاب سائله عن قوله : هل أدركت حاجتك ؟ بقوله : لم أدرك .

(٣) ذبابُ السيفِ : طرفُهُ . الغشمُ : الظلمُ .

رفع المسهم

وقالَ [في « العُكْبَريّ » ٤/ ٢٢ منَ البسيط] :

هِنْدِيَّةٌ إِنْ تُصَغِّرْ مَعْشَراً.. صَغُرُوْا بِحَدِّهَا أَوْ تُعَظِّمْ مَعْشَراً.. عَظُمُوْا

وقالَ [في « العُكْبَريّ » ٤/ ٢٥ منَ البسيط] :

مُقَلَّداً فَوْقَ شُكْرِ اللهِ ذَا شُطَبٍ لاَ تُسْتَدَامُ بِأَمْضَىٰ مِنْهُمَا النِّعَمُ

تشبيه جوهر السيف بمدرج النمل عند الشعراء

وَأَمَّا تشبيهُ جَوْهرِ السيفِ بمدرج النملِ : فإِنَّهُ شائعٌ في أَشعارِهِمْ ، منهُ قولُ أَوسِ بنِ حجرٍ [في « ديوانه » ٨٥ منَ الطويل] :

كَأَنَّ مَدَبَّ النَّمْلِ يَتْبَعُ أَلرَّبَىٰ وَمَدْرَجَ ذَرٍّ خِلْنَ بَرْداً فَأَسْهَلاَ

عَلَىٰ صَفْحَتَيْهِ بَعْدَ حِيْنِ جِلاَئِهِ كَفَىٰ بِالَّذِيْ أُبْلِيْ وَأَنْعَتُ مُنْصُلاَ[1]

وقولُ ابنِ دريدٍ [منَ الرَّجَز] :

وَصَاحِبَايَ صَارِمٌ فِيْ مَتْنِهِ مِثْلُ مَدَبِّ النَّمْلِ يَعْلُوْ فِيْ أَلرُّبَى

وقالَ أَبو العلاءِ المعرِّيُّ يصفُ سيفاً [في « سقطِ الزندِ » ١٥٣ منَ الطويل] :

كَأَنَّ أَلْمَنَايَا جَيْشُ ذَرٍّ عَرَمْرَمٌ تَخِذْنَ إِلَىٰ أَلأَرْوَاحِ فِيْهِ مَسَارَا

وقالَ أَيضاً [في « سقطِ الزندِ » ١٠٥ منَ الوافر] :

سَلِيْلُ أَلنَّارِ دَقَّ وَرَقَّ حَتَّىٰ كَأَنَّ أَبَاهُ أَوْرَثَهُ أَلسُّلاَلاَ[2]

مُحَلَّىٰ أَلبُرْدِ تَحْسَبُهُ تَرَدَّىٰ نُجُوْمَ أَللَّيْلِ وَانْتَعَلَ أَلْهِلاَلاَ

---

(١) فأسهلَ : أَتىٰ السهلَ ، أَي: أَنَّ النملَ تركَ أَعلىٰ الوادي وأَتىٰ السهلَ لشدَّةِ البردِ . الجلاءُ : الصقلُ . المُنْصُلُ : السيفُ .

(٢) سليلُ النار : السيفُ الذي رقَّ من النارِ . السُّلالُ : داءُ السلِّ .

رفع المسهم

مُقِيمُ ٱلنَّصْلِ فِيْ طَرَفَيْ نَقِيضٍ ... يَكُوْنُ تَبَايُنٌ مِنْهُ ٱشْتِكَالاَ[1]

تَبَيَّنُ فَوْقَهُ ضَحْضَاحَ مَاءٍ ... وَتُبْصِرُ فِيْهِ لِلنَّارِ ٱشْتِعَالاَ

غَرَارَاهُ لِسَانَا مَشْرَفِيٍّ ... يَقُوْلُ غَرَائِبَ ٱلْمَوْتِ ٱرْتِجَالاَ

إِذَا بَصَرَ ٱلأَمِيْرُ وَقَدْ نَضَاهُ ... بِأَعْلَىٰ ٱلْجَوِّ ظُنَّ عَلَيْهِ آلاَ[2]

وَدَبَّتْ فَوْقَهُ حُمْرُ ٱلْمَنَايَا ... وَلَٰكِنْ بَعْدَمَا مُسِخَتْ نِمَالاَ

وهٰذا موضعُ الشاهدِ ، وقد نظرَ فيهِ إلىٰ البيتِ الذي نتكلَّمُ فيهِ ، وقالَ [في « سقطِ الزندِ » ١١٠ منَ البسيط] :

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ جَفْناً قَبْلَ مَسْكَنِهِ ... فِيْ ٱلْجَفْنِ يُطْوَىٰ عَلَىٰ نَارٍ وَلاَ نَهَرِ[3]

وَلاَ ظَنَنْتُ صِغَارَ ٱلنَّمْلِ يُمْكِنُهَا ... مَشْيٌ عَلَىٰ ٱللُّجِّ أَوْ سَعْيٌ عَلَىٰ ٱلشُّعُرِ[4]

تسمية السيف بالهندي أو المشرفي

ومتىٰ سُوِّيَ السيفُ بـ (الهندِ) . . فهو مُهَنَّدٌ وهنديٌّ وهندوانيٌّ ، وإذا عُملَ بـ (المشارفِ) ، وهي قرىً مِنْ أَرضِ العربِ تدنو مِنَ ٱلريفِ . . فهوَ مَشْرَفيٌّ .

* * *

(١) طرفي نقيضٍ : الماءُ والنارُ .

(٢) آلاً : بَرْقاً .

(٣) الجفنُ : غمدُ السيفِ .

(٤) صغارُ النملِ : كنايةٌ عن تموجات الضوء على صفحة السيف . اللُّجُّ : الماءُ . الشُّعُر : النار المشتعلة .

رفع المسهم

[قالَ أَبو الطيِّبِ المتنبِّي في « العُكْبَريِّ » ٣/ ١٦١ منَ الطويل] :

أَمِطْ عَنْكَ تَشْبِيْهِيْ بِمَا وَكَأَنَّهُ ... فَمَا أَحَدٌ فَوْقِيْ وَلاَ أَحَدٌ مِثْلِيْ

الفخر والاعتداد بالنفس

يقولُ : لا تُشبِّهْني بأَحدٍ ، ولا تقلْ كَأَنَّهُ فلانٌ ، أَو ما أَشبهَهُ بفلانٍ ، وهي حماقةٌ فاحشةٌ ، وغرورٌ مستهجَنٌ ، ومثلُهُ قولُهُ [في عند المتنبي « العُكْبَريِّ » ٤/ ١٠٧ منَ الطويل] :

تَغَرَّبَ لاَ مُسْتَعْظِماً غَيْرَ نَفْسِهِ ... وَلاَ قَابِلاً إِلاَّ لِخَالِقِهِ حُكْمَا

وقولُهُ [في « العُكْبَريِّ » ١/ ٣٢٣ منَ الخفيف] :

إِنْ أَكُنْ مُعْجَباً فَغَيْرُ عَجِيْبٍ ... لَمْ يَجِدْ فَوْقَ نَفْسِهِ مِنْ مَزِيْدِ

تعاظم ابي جهل

ويشبهُ بعضُهُ قولَ أَبي جهلِ ابنِ هشامٍ: وهل فوقَ رجلٍ قتلتموهُ[1].

مقالة كتبها المؤلف يوم تأمير شوقي

وذكرتُ بهذا مقالةً كتبْتُها يومَ تَعالمَ الناسُ بتأَميرِ شوقي غِبَّ فَشَلِ مُؤْتمرِ الخلافةِ ، وذكرتُ أَنَّ الميزانَ العادلَ في أَستحقاقِهِ التأَميرَ عدمُه.. هو ما سيقولُهُ في ذلكَ الحفلِ ؛ لأَنَّهُ سيَتَأَنَّقُ لهُ بطبيعةِ الحالِ ، فلَمْ تأْتِ الأَهرامُ[2] إِلاَّ بقصيدةٍ تُستهلُّ بقولهِ [في « ديوانهِ » ١/ ٥٨٥ منَ الخفيف] :

مَرْحَباً بِالرَّبِيْعِ فِيْ رَيْعَانِهْ ... وَبِأَنْوَارِهِ وَطِيْبِ زَمَانِهْ

(١) قالها أبو جهلٍ أثناءَ مصرعهِ في بدرٍ عندما سأَلهُ ابنا عفراءَ: أأنتَ أبو جهلٍ ؟ فقالها ليدلَ على أنهُ لا رجلَ فوقهُ .

(٢) الأهرامُ : صحيفةٌ مصريةٌ مشهورةٌ .

رفع المسهم

أَحصينا عليها ببادىءِ النظرِ جملةَ ملاحظاتٍ لا يتَّسعُ لها الموضوعُ ، منها : عدمُ التناسبِ ، ومِنْها : أَنَّهُ شبَّهَ الربيعَ يمشي في السهلِ بالأَميرِ في البستانِ .

فإِنِّي بعدَ أَنْ طَرَدْتُ نظري في مسارحِ التشبيهِ . . لَمْ يظهرْ لي غيرَ أَنَّهُ أَرادَ تشبيهَ الربيعِ بما لا غايةَ بعدَهُ ، فلَمْ يجدْ أَكبرَ مِنْ نفسهِ يتمشَّىٰ في بستانهِ ، فكأَنَّهُ شبَّهَ الربيعَ بنفسهِ ، وهو حينئذٍ مِنْ قولِ الناظمِ السابقِ لَمْ يجدْ فوقَ نفسهِ مِنْ مَزيدٍ .

وبعثَ بتلكَ المقالةِ أَحدُ رفاقِنا لبعضِ الصُّحفِ ، فضاقتْ عنها .

الفخر متكرر عند المتنبي

وطالما تكرَّرَ معنىٰ البيتِ الَّذي بين أَيدينا في «ديوانِ الناظمِ» منهُ قولُهُ يفتخرُ [في « العُكْبَريّ » ٢/ ١٤٣ منَ الطويل] :

وَنَفْسٍ لاَ تُجِيْبُ إِلَىٰ خَسِيْسٍ وَعَيْنٍ لاَ تُدَارُ عَلَىٰ نَظِيْرِ

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٤/ ١٠ منَ الكامل] :

صَغَّرْتَ كُلَّ كَبِيْرَةٍ وَكَبُرْتَ عَنْ لَكَأَنَّهُ وَعَدَدْتَ سِنَّ غُلاَمِ[1]

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٤/ ٨٤ منَ الطويل] :

يَجِلُّ عَنِ التَّشْبِيْهِ لاَ الْكَفُّ لُجَّةٌ وَلاَ هُوَ ضِرْغَامٌ، وَلاَ الرَّأْيُ مِخْذَمُ[2]

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٤/ ١١٦ منَ الطويل] :

وَلَوْلاَ اْحْتِقَارُ الأُسْدِ شَبَّهْتُهَا بِهِمْ وَلَكِنَّهَا مَعْدُوْدَةٌ فِي الْبَهَائِمِ

---

(١) عَدَدْتَ سِنَّ غلامٍ : قصد أَنَّه لا زال في سنِّ الشبابِ .

(٢) المخذمُ : السيفُ القاطعُ . والمعنى : أنه أعظم من أن يشبه كفَّهُ بالبحر ، ونفسه بالأسد ، ورأيه بالسيف القاطع ؛ لأن ذلك كلَّه دونه .

رفع المسهم

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٣/ ٢٢٦] منَ الوافر :

بِـلاَ مِثْـلٍ وَإِنْ أَبْصَـرْتَ فِيـهِ لِكُـلِّ مُغَيَّـبٍ حَسَـنٍ مِثَـالاَ

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٢/ ١٢٧ منَ الطويل] :

بِمَنْ أَضْرِبُ ٱلأَمْثَالَ أَمْ مَنْ أُقِيسُهُ إِلَيْكَ وَأَهْلُ ٱلدَّهْرِ دُونَكَ وَٱلدَّهْرُ ؟

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٢/ ٣٧٩ منَ البسيط] :

فَكُنْ كَمَا أَنْتَ يَا مَنْ لاَ شَبِيهَ لَهُ أَوْ كَيْفَ شِئْتَ فَمَا خَلْقٌ يُدَانِيكَا

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٣/ ١٣٣ منَ الخفيف] :

فَـإِذَا مَـا ٱشْتَهَـىٰ حَيَـاتَـكَ دَاعٍ قَالَ لاَ زُلْتَ أَوْ تَرَىٰ لَكَ مِثْلاَ

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٣/ ٢٧٩ منَ البسيط] :

كَفَـاتِـكِ وَدُخُـولُ ٱلْكَـافِ مَنْقَصَـةٌ كَالشَّمْسِ قُلْتُ : وَمَا لِلشَّمْسِ أَمْثَالُ

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٣/ ٢٢٠ منَ المنسرح] :

مِثْلُـكَ يَـا بَـدْرُ لاَ يَكُـونُ وَلاَ تَصْلُـحُ إِلاَّ لِمِثْلِـكَ ٱلـدُّوَلُ

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ١/ ٢١٧ منَ السريع] :

وَلَـمْ أَقُـلْ مِثْلُـكَ أَعْنِـي بِـهِ سِـوَاكَ يَـا فَـرْداً بِـلاَ مُشْبِـهِ

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٢/ ١٧٧ منَ الخفيف] :

وَتَمَنَّيْـتُ مِثْلَـهُ فَكَـأَنِّـي طَالِبٌ لابْنِ صَالِحٍ مَنْ يُوَازِي

وقولُهُ [في « العُكْبَريّ » ٣/ ٢٢٩ منَ الوافر] :

جَـوَابُ مُسَـائِلِـي أَلَـهُ نَظِيـرٌ وَلاَ لَكَ فِي سُؤَالِكَ لاَ ، أَلاَ لاَ[1]

---

(١) المعنىٰ : إذا سألني سائلٌ ، فقالَ : هلْ له نظير ؟ فجوابه لا ، ولا لك نظير في=

رفع المسهم

الفخر عند الشعراء

وأَصلُ البيتِ الذي نحنُ بسبيلهِ مِنْ قولِ الأَوَّلِ [منَ الطويل] :

تَعَالَيْنَ عَنْ وَصْفٍ فَلَسْتُ بِذَاكِرٍ (كَأَنَّ) لَدَىٰ تَشْبِيهِهَا وَ(كَأَنَّمَا)

وَمِنْ قولِ أَبي نُوَاسٍ [في « ديوانهِ » منَ الطويل] :

خُلِقْتَ بَدِيعاً لاَ يُقَالُ كَأَنَّهُ تَعَالَىٰ وَلاَ يَسْمَعْ بِمِثْلِكَ سَامِعُ

وقالَ البُحتريُّ [في « ديوانهِ » ٣/١٦٥٩ منَ الكامل] :

لاَ تَطْلُبَنَّ لَهُ ٱلشَّبِيهَ فَإِنَّهُ قَمَرُ ٱلتَّأَمُّلِ مُزْنَةُ ٱلتَّأْمِيلِ(١)

تكذيب المؤلف لهذه الأشعار

وجلُّها دعاوي مَكْذُوبةٌ ، ومبالغاتٌ مردودةٌ ، فإِنَّ ٱلَّذي في ٱلسَّماءِ عرشُهُ ، وفي الأَرضِ بطشُهُ . . يُقَرِّبُ المنالَ ، ويضربُ لنفسهِ الأَمثالَ ، وما أَحسنَ قولَ حبيبٍ [في « ديوانه » ١/٣٦٩ منَ الكامل] :

لاَ تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ مَثَلاً شَرُوداً فِي ٱلنَّدَىٰ وَٱلْبَاسِ

فَٱللهُ قَدْ ضَرَبَ ٱلأَقَلَّ لِنُورِهِ مَثَلاً مِنَ ٱلْمِشْكَاةِ وَٱلنِّبْرَاسِ(٢)

تفسير: ﴿الله نور السموات والأرض﴾ عند الجاحظ

ومِنْ محاسنِ الجاحظِ قولُهُ في هٰذهِ الآيةِ : أَنَّها مَثَلٌ ضربهُ اللهُ جَلَّ شأْنُهُ لنبيِّهِ ﷺ ، فإِنَّ تقاسيمَ وجههِ ، وأَساريرَ جبينهِ . . تَنطِقُ بنبوَّتهِ ، وتشهدُ بصدقِ رسالتهِ ، فما أَصدقَ فيهِ قولَ عبدِ اللهِ بنِ رواحةَ [في « ديوانه » ٩٥ منَ البسيط] :

لَوْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مُبَيِّنَةٌ لَكَانَ مَنْظَرُهُ يُنْبِيكَ بِٱلْخَبَرِ

= سؤالِكَ عَن هذا ؛ لأَنَّ أحداً لا يجهلُ هذا غيرَكَ ، فأنتَ في جهلكَ بلا نظيرٍ ، وكرَّرَ النفيَ بقولهِ : (ألا ، لا) إشارةً إلىٰ أَنَّ جهلَ هذا السائلِ يوجبُ إعادةَ الجوابِ عليهِ .

(١) المُزْنَةُ : السحابةُ البيضاءُ .

(٢) والمَثَلُ قوله تعالىٰ : ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾ [النور : ٣٥] .

رفع المسهم

تفسير: ﴿ليس كمثله شيء﴾

أَمَّا قولُهُ تعالىٰ :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] :

فإمَّا : أَنْ يُجعلَ (المِثْلُ) فيهِ بمعنىٰ النَّفْسِ والذَّاتِ وهو شائعٌ في لسانِ العربِ . قالَ أَوسُ بنُ حجرٍ [من مُخَلَّع البسيط] :

لَيْسَ كَمِثْلِ ٱلْفَتَىٰ زُهَيْرِ خَلْقٌ يَوَازِيهِ فِيْ ٱلْفَضَائِلْ

ومنهُ ما سبقَ مِنْ قولِ الناظمِ : (وَلَمْ أَقُلْ مِثْلَكَ أَعْنِي بِهِ سِوَاكَ . . . إلى آخرِهِ) .

فليس كمثلِهِ شيءٌ . . نظيرُ (ليسَ كذاتِهِ شيءٌ) إلاَّ أَنَّها لا توجدُ في الثاني مبالغةُ النفي الموجودةُ في الأَوَّلِ ؛ لِمَا فيهِ مِنَ الكنايةِ الَّتي لا يُجهَلُ مكانُها في حُسْنِ الكلامِ ، وكثيراً ما تقولُ العربُ : (مِثْلُكَ لا يَبخَلُ) ؛ لتمكينِ انتفاءِ البُخلِ عنهُ مِنْ نفسِ السامعِ ، فإنَّ تلكَ الجملةَ تفيدُ ما لا يفيدُهُ قولُهم : (أَنتَ لا تبخَلُ) .

وإمَّا : أَنْ يُجعلَ (المِثْلُ) بمعنىٰ الصفةِ إشارةً إلىٰ أَنَّهُ وإنْ وُصِفَ جلَّ شأنُهُ ، وتقدَّستْ أَسماؤُهُ بما يوصفُ بهِ البشرُ مِنْ نحوِ : السمعِ والبصرِ والعلمِ والإرادةِ وما أَشبهَ ذلكَ . . فليستْ صفاتُهُ عزَّ وجلَّ كمثلِ صفاتِ المخلوقينَ إلاَّ في مجرَّدِ الأَسماءِ ، وإلاَّ . . فالبَوْنُ بعيدٌ ، والفرقُ عظيمٌ .

وَلِلْبَازِيْ وَلِلزُّنْبُورِ أَيْضاً لَدَىٰ ٱلطَّيَرَانِ أَجْنِحَةٌ وَخَفْقُ

وَلَكِنْ بَيْنَ مَا يَصْطَادُ بَازٍ وَمَا يَصْطَادُهُ ٱلزُّنْبُورُ فَرْقُ[1]

وإمَّا : أَنْ يُجعلَ (المِثْلُ) بمعنى الذاتِ والصفةِ ، فيكونُ أَستعمالُهُ فيهما مِنْ بابِ أَستعمالِ المشتركِ في معنييهِ إنْ قلنا إنَّ المِثْلَ

---

(١) البيتان من الوافر .

رفع المسهم

حقيقةٌ في كلٍّ مِنَ ٱلذاتِ والصفةِ ، أَو مِنِ ٱستعمالهِ في حقيقتهِ ومجازهِ إنْ قلنا إنهُ حقيقةٌ في أَحدِهما مَجازٌ في الآخرِ ، فينتجُ حينئذٍ أَنَّهُ لا يماثلهُ شيءٌ مطلقاً لا في الذاتِ ولا في الصفاتِ ولا في الأَفعالِ .

أَمَّا القولُ بزيادةِ الكافِ لتأكيدِ التشبيهِ في نفي المثليةِ كَما في قولِ الشاعرِ [منَ الرجَز] :

بِٱلأَمْسِ كَانُوْا فِيْ رَخَاءٍ مَأْمُوْلْ فَأَصْبَحَتْ مِثْلَ كَعَصْفٍ مَأْكُوْلْ

فإِنَّه داخلٌ في الاحتمالِ الأَوَّلِ .

تفسير الغزالي لـ: إن الله خلق آدم على صورته

وقالَ الغزاليُّ في معنىٰ « إِنَّ ٱللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُوْرَتِهِ »[1] :

---

(١) أخرجه عن أبي هريرة رضي الله عنه البخاري (٢٥٥٩) مقتصراً على الشطر الأول في الاستئذان ، وأحمد (٢/ ٢٤٤)، ومسلم (٢٦١٢) (١١٥) في البر والصلة، ولفظ مسلم: «إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته».

وأورد شطر الحديث الآخر الغزالي في «الإحياء» (٢/ ١٦٦) فقال: وهجرَ المحاسبي أبا ثور في تأويل هذا الحديث، وهذا أمر يختلف باختلاف النية، وتختلف النية باختلاف الحال. . . إلخ، وفي (٤/ ٢٣) قال: وهو من المثال الذي لا يعقله إلا العالمون. . . تعالى الله علواً كبيراً ، ثم قال عن الحديث : فإنه لا يفهم من الصورة إلا اللون والشكل والهيئة ، فيثبت لله تعالى مثل ذلك ، تعالى الله عن قوله علواً كبيراً، ومن هنا زلّ من زلّ في صفات إلهية. . . .

قال القرطبي في «المفهم» (٦/ ٥٩٧ـ٥٩٨) في تفسير الحديث: أي على صورة وجه المضروب، فكأنَّ اللاطم في وجه أحد ولد آدم لطم وجه أبيه آدم. وعلى هذا فيحرم لطم الوجه من المسلم والكافر. . .

وإنما مقصود الحديث : إكرام وجه المؤمن لحرمته، لأنا نقول مسلم. . . . وهذا الذي ذكرناه هو ظاهر الحديث، ولا يكون في الحديث إشكال يوهم في حقِّ الله تعالى تشبيهاً، وإنما أشكل ذلك على من أعاد الضمير في صورته =

رفع المسهم

المرادُ بالصورةِ المعنويَّةُ ، كَما يُقالُ : صورةُ المسألةِ كذا ، وآدمُ بهـٰذا الاعتبارِ علىٰ صورةِ ربِّهِ في الذاتِ والأَفعالِ والصفاتِ :

أَمَّا في الذاتِ : فلأَنَّ الروحَ ليستْ بجسمٍ ، ولا عَرَضٍ ، ولا جوهرٍ متحيِّزٍ ، ولا تحُلُّ المكانَ والجهةَ ، ولا هي متَّصلةٌ بالبَدَنِ والعالمِ ، ولا منفصلةٌ عنهما ، وكذلكَ ذاتُ الباري عزَّ وجلَّ[1] .

= على الله تعالى، وذلك ينبغي ألا يصار إليه شرعاً ولا عقلاً، أما العقل فيحيل الصورة الجسمية على الله تعالى، وأما الشرع فلم ينصَّ على ذلك نصّاً قاطعاً، ومحال أن يكون ذلك، فإن النصَّ القاطع صادق، والصادق لا يقول المحال فيتعيَّن عود الضمير على المضروب لأنه هو الذي سبق الكلام لبيان حكمه.

وقد أعادت المشبِّهَةُ هذا الضمير على الله تعالى، فالتزموا القول بالتجسيم، وذلك نتيجة العقل السقيم والجهل الصميم، وقد بينا جهلهم وحققنا كفرهم فيما تقدم، ولو سلمنا أن الضمير عائد على الله تعالى.. فللتأويل وجه صحيح، وهو أن الصورة قد تطلق بمعنى الصفة كما يقال: صورة المسألة كذا أي صفتها .... إلخ.

وقال الإمام النواوي في «المنهاج» في شرح الحديث: هذا تصريح بالنهي عن ضرب الوجه؛ لأنه لطيف يجمع المحاسن، وأعضاؤه نفيسة لطيفة وأكثر الإدراك بها... وهو من أحاديث الصفات، وأن من العلماء من يمسك عن تأويلها ويقول: نؤمن بأنها حقٌّ، وأن ظاهرها غير مراد ولها معنى يليق بها، وهو مذهب جمهور السلف، وهو أحوط وأسلم، ..... إلى أن قال: واختلف العلماء في تأويله، فقالت طائفة: الضمير في صورتهِ عائد على الأخ المضروب، وهذا ظاهر رواية مسلم، وقالت طائفة: يعود إلى آدم وفيه ضعف، وقالت طائفة يعود إلى الله تعالى، ويكون المراد إضافة تشريف واختصاص كقوله: ﴿ناقة الله﴾ [الشمس: ١٣] وكما يقال عن الكعبة بيت الله ونظائره، والله أعلم.

(١) تعالى عن مشابهته للحوادث من مخلوقاته علواً كبيراً؛ لأن كلَّ ما خطر ببالك فهو هالك والله بخلاف ذلك وكما يُعلم أنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

رفع المسهم

وأمّا الصفاتُ : فلأنَّهُ حيٌّ عالِمٌ ، قادرٌ مريدٌ ، سميعٌ بصيرٌ متكلِّمٌ ، واللهُ تعالىٰ كذلكَ .

وأمّا في الأفعالِ : فإنَّ الإنسانَ إذا أرادَ الكتابةَ في غرضٍ . . فأوّلُ فعلِهِ إرادةٌ يظهَرُ أثرُها في القلبِ ، ثُمَّ يصعدُ إلىٰ الدماغِ ، ثُمَّ إلىٰ الأعصابِ ، ثُمَّ إلىٰ الأصابعِ ، وبها يتحرَّكُ القلمُ بما ارتسمَ في خِزانةِ الخيالِ . فالقلبُ كالعرشِ ، والدماغُ كالكرسي ، والحواسُّ كالملائكةِ ، والأعصابُ كالسماواتِ ، والقدرةُ في الأصابعِ كالطبيعةِ المركوزةِ في الأجسامِ ، والقرطاسُ والقلمُ والمِدادُ كالعناصرِ ، ومرآةُ التخيُّلِ كاللوحِ المحفوظِ .

ومِنْ هٰذهِ الموازنةِ تَعرِفُ أنَّ اللهَ خلقَ آدمَ علىٰ صورتهِ ، ولولا المضاهاةُ المذكورةُ لَمْ يقدِرِ الإنسانُ علىٰ الترقّي مِنْ معرفةِ نفسهِ إلىٰ معرفةِ ربِّهِ ، كما قالَ عليهِ السلامُ : « مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ . . فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ »[1] كذا رأيتهُ في سياقٍ لهُ ، ومثلُهُ في ذهني عَنْ « مفاتيحِ الغيبِ » للإمامِ الرازي ، وقد قَفَّ شَعَري[2] ، وضاقَ صدري منهُ بادىءَ الأمرِ إلاَّ أنَّهُ يهونُ الخطبُ بما قرَّرناهُ في الاحتمالِ الثاني ، واستشهدنا عليهِ بما بينَ البازي والزنبورِ مِنَ الفرقِ الكبيرِ[3] ،

---

(١) أورده السخاوي في « المقاصد الحسنة » (١١٤٩) فقال : قال أبو المظفر السمعاني في الكلام على التحسين والتقبيح العقلي : من القواطع أنه لم يعرف مرفوعاً، وإنما يحكى عن يحيى بن معاذ الرازي يعني من قوله، وكذا قال النواوي : إنه ليس بثابت، وقيل في تأويله : من عرف نفسه بالحدوث . . عرف ربه بالقدم ، ومن عرف نفسه بالفناء . . عرف ربه بالبقاء .

(٢) قفَّ الشَعرُ : قامَ منَ الفزعِ .

(٣) بل لا يتصور التشابه بين الخالق والمخلوق، ولا بين القديم والحادث.

رفع المسهم

والعهدةُ عليهم ، ولولا جلالةُ مقاديرهم.. لَمَا تجاسرتُ علىٰ حكايتهِ عنهم ، وأَولىٰ ما يكونُ بالقَبولِ في الموضوعِ الَّذي نتحدَّثُ فيهِ قولُ شاعرِ (المعرَّةِ) [منَ الوافر] :

ضَرِيبُكَ فِيْ بَنِيْ ٱلدُّنْيَا كَثِيْرٌ وَعَـزَّ ٱللهُ رَبُّـكَ مِـنْ ضَـرِيـبِ
وَمَـا ٱلْعُلَمَـاءُ وَٱلْجُهَـلاَءُ إلاَّ قَرِيبٌ مِنْ قَرِيبٍ مِنْ قَرِيبِ

* * *

رفع المسهم

[قالَ أَبو الطيِّب المتنبِّي في « العُكْبَريّ » ٣/ ١٦٢ منَ الطويل] :

وَذَرْنِـيْ وَإِيَّـاهُ وَطِـرْفِـيْ وَذَابِلِـيْ نَكُنْ وَاحِداً نَلْقَ ٱلْوَرَىٰ وَٱنْظُرَنْ فِعْلِيْ

ادعاء المتنبي الشجاعة

الطِّرْفُ : الفرسُ الكريمُ ، والذَّابِل : ما لانَ وٱهتزَّ مِنَ ٱلرماحِ ، يقولُ : دعني وهٰذا السيفَ وفرسي ورمحي نجتمعُ ، فنكونَ واحداً في رأيِ العينِ . يلقىٰ الورىٰ : أَي يحاربُهم ثُمَّ ٱنظر إِلىٰ ما أَفعلُهُ فيهم .

من أين أخذ المتنبي بيته

قالَ ٱبنُ جِنِّيٍّ وقد لاذَ في هٰذا البيتِ بقولِ ذِي الرُّمَّة [في « ديوانه » ٢/ ١١٠٨ـ١١٠٩ منَ الطويل] :

وَلَيْـلٍ كَجِلْبَـابِ ٱلْعَـرُوْسِ أَدَرَعْتُـهُ بِأَرْبَعَةٍ وَٱلشَّخْصُ فِيْ ٱلْعَيْنِ وَاحِدُ
أَحَـمُّ غُـدَافِـيٌّ وَأَبْيَـضُ صَـارِمٌ وَأَغْيَسُ مَهْرِيٌّ وَأَزْوَعُ مَاجِدُ[1]

أَقولُ : ومثلهُ قولُ السلاميِّ [في « خزانة الأدب » ٢/ ٢٩٥ منَ الطويل] :

فَكُنْتُ وَعَزْمِيْ فِيْ ٱلظَّلَامِ وَصَارِمِيْ ثَـلَاثَـةَ أَشْبَـاحٍ كَمَـا ٱجْتَمَـعَ ٱلنَّسْـرُ

شجاعة الإمام

وقولهُ : (يلقَىٰ الوَرىٰ) ناظرٌ إِلىٰ قولِ أَميرِ المؤمنينَ [في « نهج البلاغة » ٣٥٩] : (واللهِ لو تظاهرَتِ ٱلعَربُ بأَسرِها علىٰ قتالي . . لما وَلَّيْتُ عنها ، وأَنا مِنْ رسولِ الله كالصِّنْوِ مِنَ ٱلصِّنْوِ ، والذِّرَاعِ مِنَ العَضُدِ) .

---

(١) الأَحمُّ الغدافيُّ : الفرسُ الشديدُ السوادِ . أَروعُ ماجدٌ : فارسٌ شجاعٌ من خيرة الناس .

رفع المسهم

والناظم كثيراً ما يَرْعىٰ غيرَ ماشِيَتِهِ ، ويَحطِبُ في حبلِ غيرِهِ ، وقلتُ في عكسِ قولِ ذي الرُّمَّةِ من قصيدةٍ أَصِفُ بها فرسِي [منَ الطويل] :

تعليق المؤلف على المتنبي

إِذَا ٱعْتَرَضَتْ بِيْ قَالَ قَوْمٌ ثَلاَثَةٌ وَمَا ثَمَّ غَيْرِيْ لَكِنِ ٱلذَّيْلُ وَٱلرَّاسُ

وتَجدُ أَنْ لا مخالفةَ عندَ إمعانِ النَّظَرِ ؛ لأَنِّي أَصِفُ فَرَسِي مُعْتَرِضَةً ، وهو يصفُ بعيرَهُ مقبلاً أَو مدبراً ، وقد قالَ في نظيرِهِ الناظمُ [في « العُكْبَرِيّ » ٣/ ٢١٤ منَ المنسرح] :

الفارس والفرس والسلاح قطعة واحدة عند الشعراء

إِنْ أَدْبَرَتْ قُلْتُ: لاَ تَلِيلَ لَهَا أَوْ أَقْبَلَتْ قُلْتُ: مَا لَهَا كَفَلُ[1]

ومِمَّا جاءَ في وصفِ الخيلِ قولُ ٱمرىءِ القَيْسِ [في « ديوانه » ١٥٣ـ١٥٥ منَ الطويل] :

وَقَدْ أَغْتَدِيْ وَٱلطَّيْرُ فِيْ وُكُنَاتِهَا بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ ٱلأَوَابِدِ هَيْكَلِ[2]

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً كَجُلْمُوْدِ صَخْرٍ حَطَّهُ ٱلسَّيْلُ مِنْ عَلِ[3]

لَهُ أَيْطَلاَ ظَبْيٍ وَسَاقَا نَعَامَةٍ وَإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيْبُ تَتْفُلِ[4]

---

(١) التليلُ : العنقُ . الكَفَلُ : الردفُ ، كما مرَّ سابقاً .

(٢) وكناتُها : أَوكارُها . المنجردُ : الفرسُ القصيرُ الشعرِ . الأوابدُ : الوحوشُ . وقَيْدُها : إمساكُها بقوةٍ ، فكأَنَّها لَمْ تبرحْ مكانَها . الهيكلُ : الفرسُ الطويلُ المتينُ الخلقِ .

(٣) الجلمودُ : الصخر الأَصمُّ . مِنْ عَلِ : مِنْ مكانٍ عالٍ .

(٤) أَيطلا ظَبْيٍ : خاصرتا ظَبْيٍ ؛ لضمورِهما . وساقا نعامةٍ : شبَّهَ ساقيهِ بساقي النعامةِ ؛ لصلابتِهما وقصرِهما . وإرخاءُ سِرْحانَ : سرعةُ ذئبٍ في لينٍ . وتقريبُ تتفلٍ : وجري تتفل ؛ وهو ولدُ الذئبِ .

رفع المسهم

أول من جعل الحصان قيداً للأوابد

وكادَ الإجماعُ ينعقدُ علىٰ أنَّهُ السابقُ إلىٰ جعلهِ الحصانَ قيداً للأَوابدِ ، وعندي أنَّه مخالفٌ لقولِهم : إنَّ (زَادَ الرَّكبِ) فرسٌ معروفٌ منَ الخيلِ التي وصَفَها اللهُ بـ: ﴿ٱلصَّٰٓفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾ [ص : ٣١] ، سُمِّيَ بذلكَ ؛ لأنَّه كانَ يلحقُ الصيدَ ، فكانَ الوفدُ إذا نزلوا . . ركبَهُ أَحدُهم ، فصادَ لهم ما يكفيهم ، وهو مِنْ سليمانَ عليهِ السلامُ ، أَعطاهُ للأَزْدِ[1] لمَّا وفدوا عليهِ ، فكيفَ يكونُ أمرؤُ القيسِ السابقَ إليهِ معَ هٰذا ؟! ولٰكنَّهُ تَنَوَّعَ فيهِ وأفرغهُ في عِدَّةِ قوالبَ ، منها قولهُ [في « ديوانه » ٥٣ منَ الطويل] :

إِذَا مَا رَكِبْنَا قَالَ وُلْدَانُ أَهْلِنَا تَعَالَوْا إِلَيْنَا يَأْتِنَا ٱلصَّيْدُ نَخْطِبِ[2]

الشعراء وجعلهم الحصان قيداً للوحوش

وقالَ عمارةُ بنُ عقيلٍ [في « خزانة الأدب » ١/١٥٨ منَ الخفيف] :

وَأَرَىٰ ٱلْوَحْشَ فِيْ يَمِيْنِيْ إِذَا مَا كَانَ يَوْمَاً عِنَانُهُ بِشِمَالِيْ

وقالَ ٱبنُ مقبلٍ [منَ البسيط] :

لاَ يَنْفَعُ ٱلْوَحْشَ مِنْهُ أَنْ تَحَذَّرَهُ كَأَنَّهُ مُعْلَقٌ مِنْهَا بِخُطَّافِ[3]

وقالَ الناظمُ [في « العكبريّ » ٣/ ٢٩٤ منَ الطويل] :

وَخَيْلٍ إِذَا مَرَّتْ بِمَرْجٍ وَرَوْضَةٍ أَبَتْ رَعْيَهَا إِلاَّ وَمِرْجَلُنَا يَغْلِيْ[4]

---

(١) الأزدُ : قبيلةٌ مِنَ (اليمن) .

(٢) نَحطِبُ : نجمعُ الحطبَ؛ للشواءِ والطبخِ .

(٣) الخُطَّافُ ـ بضمِ الخاءِ ـ: هو الحديدةُ المعوجَّةُ .

(٤) في «العكبري» : (بِوَحْشٍ) بدل (بِمَرْجٍ). المرجلُ : القِدْرُ ؛ أَي : وخيلُنا الكريمةُ تأبىٰ أَنْ ترتعَ في الرياضِ والكلأِ إذا رأَتْ الوحوشَ، حتىٰ تجعلَ قدورَنا تغلي ، ونأكلَ مِنْ لحمِها .

رفع المسهم

وقالَ [في « العُكْبَريّ » ٤/ ١٧٩ منَ الكامل] :

مُتَقَيِّئِيْنَ ظِلَالَ كُلِّ مُطَهَّمٍ أَجَلِ الظَّلِيْمِ وَرِبْقَةِ السِّرْحَانِ[1]

وقالَ البُحتريُّ ـ وكانَ وَصَّافاً للخيلِ ـ [في « ديوانه » ٣/ ٢٠٢٧ـ٢٠٢٨ منَ الكامل الوافر] : وصف البحتري للخيل

أَرَاجِعَتِيْ يَدَاكَ بِأَغْوَجِيٍّ كَفِدْحِ النَّبْعِ فِي الرِّيْشِ اللُّؤَامِ؟[2]
بِأَدْهَمَ كَالظَّلَامِ أَغَرَّ يَجْلُوْ بِغُرَّتِهِ دَيَاجِيرَ الظَّلَامِ
تَرَىٰ أَحْجَالَهُ يَصْعَدْنَ فِيْهِ صُعُوْدَ البَرْقِ فِي جَوْنِ الغَمَامِ[3]

وقالَ [في « ديوانه » ٣/ ١٩٨٥ـ١٩٨٨ منَ الكامل] :

أَمَّا الْجَوَادُ فَقَدْ بَلَوْنَا يَوْمَهُ وَكَفَىٰ بِيَوْمٍ مُخْبِراً عَنْ عَامِهِ
جَارَىٰ الْجِيَادَ فَطَارَ عَنْ أَوْهَامِهَا سَبْقاً وَكَادَ يَطِيْرُ عَنْ أَوْهَامِهِ
جَذْلَانَ تَلْطِمُهُ جَوَانِبُ غُرَّةٍ جَاءَتْ مَجِيْءَ الْبَدْرِ عِنْدَ تَمَامِهِ[4]
وَأَسْوَدَّ ثُمَّ صَفَتْ لِعَيْنَيْ نَاظِرٍ جَنَبَاتُهُ فَأَضَاءَ فِيْ إِظْلَامِهِ
مَالَتْ جَوَانِبُ عُرْفِهِ وَكَأَنَّهَا عَذَبَاتُ أَثْلٍ مَالَ تَحْتَ حَمَامِهِ[5]

---

(١) في «العكبري»: (يَتَقَلَّبُوْنَ) بدل (مُتَقَيِّئِيْنَ). المُطَهَّمُ : الفرسُ التامُّ ، كُلُّ شيءٍ منهُ على حدتِهِ . والظليمُ : ذكرُ النعامِ . والرِّبْقَةُ : ما يكونُ في رقبةِ الشاةِ ، تحبسُها مِنَ التصرفِ . السرحانُ : الذئبُ .

(٢) القدحُ : السهمُ قبلَ أَنْ ينصلَ ويراشَ . النَّبْعُ : شجرٌ تتخذُ منهُ السهامُ والقسيُّ . اللُّؤام ، يقالُ : سهمٌ لأمٌ ؛ أي عليهِ ريشٌ .

(٣) الأحجالُ : بياضٌ في قوائمِ الفرسِ . الجَونُ : الأسودُ .

(٤) جذلان : فرحان .

(٥) العَذَبَةُ : طرفُ الشيءِ . الأَثْلُ : شجرٌ كثيرُ الأغصانِ .

رفع المسهم

وكَـأَنَّ فَـارِسَـهُ وَرَاءَ قَـذَالِـهِ ... رِدْفٌ فَلَسْتَ تَرَاهُ مِنْ قُدَّامِهِ[1]
لاَنَـتْ مَعَـاطِفُـهُ فَتَحْسَـبُ أَنَّـهُ ... لِلْخَيْـزُرَانِ مُنَـاسِـبٌ بِعِظَـامِـهِ
فِيْ شُعْلَةٍ كَالشَّيْبِ لاَحَ بِمَفْرِقَيْ ... غَـزِلٍ لَهَـا عَـنْ شَيْبِـهِ بِغَـرَامِـهِ
وَكَـأَنَّ صَهْلَتَـهُ إِذَا اسْتَعْلَـىٰ بِهَـا ... رَعْدٌ تَقَعْقَعَ فِيْ أَزْدِحَامِ غَمَامِهِ
مِثْلُ الْغُرَابِ مَشَىٰ يُبَارِيْ صَحْبَهُ ... بِسَـوَادِ صِبْغَتِـهِ وَحُسْـنِ قَـوَامِـهِ

وقالَ [في « ديوانه » ٣/ ١٧٤٠ـ١٧٤٤ منَ الكامل] :

وأَغَرَّ فِيْ الزَّمَنِ الْبَهِيْمِ مُحَجَّلٍ ... قَدْ رُحْتُ مِنْهُ عَلَىٰ أَغَرَّ مُحَجَّلِ
كَـالْهَيْكَـلِ الْمَبْنِـيِّ إِلاَّ أَنَّـهُ ... فِيْ الْحُسْنِ جَاءَ كَصُوْرَةٍ فِيْ هَيْكَلِ
ذَنَبٌ كَمَا سُحِبَ الرِّدَاءُ يَذُبُّ عَنْ ... عُـرْفٍ ، وَعُـرْفٌ كَـالْقِنَاعِ الْمُسْبَـلِ
جَذْلاَنَ يَنْفُضُ عُذْرَةً فِيْ غُرَّةٍ ... يَقَقٍ تَسِيْلُ حُجُوْلُهَا فِيْ جَنْدَلِ[2]
تَسْوَهَّـمُ الْجَـوْزَاءَ فِـيْ أَرْسَـاغِـهِ ... وَالْبَـدْرَ غُـرَّةَ وَجْهِـهِ الْمُتَهَلِّـلِ
فَكَـأَنَّمَـا نَفَضَـتْ عَلَيْـهِ صِبْغَهَـا ... صَهْبَـاءُ لِلْبَـرَدَانِ أَوْ قُطْـرُبُّـلِ[3]
وَتَخَالُهُ كُسِيَ الْخُدُوْدَ نَوَاعِماً ... مَهْمَا تُوَاصِلْهَا بِلَحْظٍ تَخْجَلِ
وَتَرَاهُ يَسْطَعُ فِيْ الْغُبَارِ لَهِيْبُهُ ... لَوْناً وَشَدّاً كَالْحَرِيْقِ الْمُشْعَلِ
هَزِجُ الصَّهِيْلِ كَأَنَّ فِيْ نَغَمَاتِهِ ... نَبَرَاتِ مَعْبَدَ فِيْ الثَّقِيْلِ الأَوَّلِ[4]

---

(١) قَذال الفرس : مَعْقِدُ سَيْرَيْ اللجامِ، خلفَ الناصيةِ .

(٢) العُذْرَةُ : الشَّعْرُ علىٰ كاهلِ الفرسِ . اليَقَقُ : شدَّةُ البياضِ . جندلٌ : مكان في مجرى النهر يشتد فيه التيار .

(٣) قُطْرُبُّلٌ : اسم قرية بين (بغداد) و(عكبرىٰ) ينسب إليها الخمر، وما زالت متنزهاً للبطالين وحانة للخمارين ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها . البردان : اسم بلدٍ قريبةٍ من (عكبرىٰ) و(قطربل) و(بغداد) .

(٤) مَعبد : رجلٌ من أئمةِ الغناءِ . الثقيل الأول : ضرب من ضروب الإيقاع يبحث في علم الموسيقىٰ .

رفع المسهم

مَلَـكَ ٱلْعُيُـوْنَ إِذَا بَـدَا أَعْطَيْنَـهُ نَظَرَ ٱلْمُحِبِّ إِلَىٰ ٱلْحَبِيْبِ ٱلْمُقْبِلِ

وصف أبي تمام للخيل

وقالَ حبيبٌ [في « ديوانه » ١/ ٣٨٠ منَ السريع] :

إِنْ زَارَ مَيْـدَانـاً سَبَـىٰ أَهْلَـهُ أَوْ نَـادِيـاً قَـامَ إِلَيْـهِ ٱلْجُلُـوْسْ
تَـرَىٰ رِزَانَ ٱلْقَـوْمِ قَـدْ أَسْمَحَـتْ عُيُوْنُهُمْ فِيْ حُسْنِهِ وَهْيَ شُوْسْ[1]
كَـأَنَّمَـا لاَحَ لَهُـمْ بَـارِقٌ فِيْ ٱلْمَحْلِ أَوْ زُفَّتْ إِلَيْهِمْ عَرُوْسْ
عَـوَّذَهُ ٱلْحَـاسِـدُ ظَنّـاً بِـهِ وَرَفْرَفَتْ خَوْفاً عَلَيْهِ ٱلنُّفُوْسْ

وصف ابن المعتز للخيل

وقالَ ٱبنُ المعتزِّ [في « ديوانه » ١/ ٥١ منَ الكامل] :

وَلَقَـدْ يَشُـقُّ بِـيَ ٱلْكَتِيْبَـةَ قَـارِحٌ حَتَّىٰ أُخَضَّبَ بِٱلدِّمَاءِ سِلاَحِيْ
ذُوْ غُـرَّةٍ فِـيْ دَهْمَـةٍ فَكَـأَنَّـهُ لَيْـلٌ تَبَـرْقَـعَ وَجْهُـهُ بِصَبَـاحِ

وصف المتنبي للخيل

وقالَ الناظمُ [في « العُكْبَريِّ » ١/ ١٧٩ـ١٨٠ منَ الطويل] :

وَعَيْنِـيْ إِلَـىٰ أُذْنَـيْ أَغَـرَّ كَـأَنَّـهُ مِنَ ٱللَّيْلِ بَاقٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَوْكَبُ
لَـهُ فَضْلَـةٌ عَـنْ جِسْمِـهِ فِـيْ إِهَـابِـهِ تَجِيءُ عَلَىٰ صَدْرٍ رَحِيْبٍ وَتَذْهَبُ
شَقَقْتُ بِهِ ٱلظَّلْمَاءَ أُدْنِيْ عِنَانَهُ فَيَطْغَـىٰ وَأُرْخِيْـهِ مِـرَاراً فَيَلْعَـبُ
وَأَصْرَعُ أَيَّ ٱلْوَحْشِ قَفَّيْتُهُ بِهِ وَأَنْـزِلُ عَنْـهُ مِثْلَـهُ حِيْـنَ أَرْكَـبُ
وَمَـا ٱلْخَيْـلُ إِلاَّ كَـٱلصَّـدِيْـقِ قَلِيْلَـةٌ وَإِنْ كَثُرَتْ فِيْ عَيْنِ مَنْ لاَ يُجَرِّبُ

وقولُهُ : (وأَصْرَعُ أَيَّ ٱلْوَحْشِ . . . إلىٰ آخره) مِنْ قولِ ٱمرىءِ القيسِ [في « ديوانِه » ١٥٦ منَ الطويل] :

فَعَادَىٰ عِدَاءً بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ وَعَادَ فَلَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلِ

---

(١) أَسمحتْ : ذلَّت وٱنقادَت . الأَشوسُ : الذي ينظر بطرفِ عينهِ تكبُّراً .

رفع المسهم

قضاء زوجة امرىء القيس لعلقمة

وحديثُ امرىءِ القيسِ ، وما قضتْ عليهِ فيهِ زوجُهُ لِعَلْقَمَةَ الفَحْلِ مشهورٌ(١) .

وصف المعري للخيل

وقالَ المعرِّيُّ [في « سقطِ الزندِ » ٢٣٠ منَ الطويل] :

وَقَدْ أَغْتَدِي وَاللَّيْلُ يَبْكِي تَأَسُّفاً ... عَلَىٰ نَفْسِهِ وَالنَّجْمُ فِي الْغَرْبِ مَائِلُ
بِرِيحٍ أُعِيرَتْ حَافِراً مِنْ زُمُرُّدٍ ... لَهَا التِّبْرُ جِسْمٌ وَاللُّجَيْنُ خَلاَخِلُ(٢)
كَأَنَّ الصَّبَا أَلْقَتْ إِلَيَّ عِنَانَهَا ... تَخُبُّ بِسَرْجِي تَارَةً وَتُنَاقِلُ(٣)
إِذَا اشْتَاقَتِ الْخَيْلُ الْمَنَاهِلَ أَعْرَضَتْ ... عَنِ الْمَاءِ فَاشْتَاقَتْ إِلَيْهَا الْمَنَاهِلُ

الشعراء والخيل

وَيُعْجِبُنِي قولُ بعضِهِم [منَ الكامل] :

فَكَأَنَّمَا لَطَمَ الصَّبَاحُ جَبِينَهُ ... فَأَغْتَاظَ مِنْهُ فَدَاسَ فِي أَحْشَائِهِ

وقالَ مُهَذِّبُ الدِّينِ [منَ البسيط] :

سُودٌ حَوَافِرُهَا بِيضٌ جَحَافِلُهَا ... صِبْغٌ تَوَلَّدَ بَيْنَ الصُّبْحِ وَالْغَسَقِ
مِنْ طُولِ مَا وَطِئَتْ ظَهْرَ الدُّجَىٰ خَبَباً ... وَطُولِ مَا كَرَعَتْ مِنْ مَنْهَلِ الْفَلَقِ(٤)

وهاهنا وقفةٌ ؛ فَإِنَّ امرأَ القيسِ يقولُ عَنْ فرسِهِ [في معلقته منَ الطويل] :

كُمَيْتٍ إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ سَدَّ فَرْجَهُ ... بِضَافٍ فُوَيْقَ الأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْزَلِ

---

(١) وقصَّةُ علقمةَ: أَنَّهُ خلفَ علىٰ امرأةِ امرىءِ القيسِ لمَّا حكمت له علىٰ امرىءِ القيسِ بأَنَّهُ أَشعرُ منهُ في صفةِ فرسِهِ، فطلَّقها امرؤُ القيسِ، فخالفهُ عليها، وما زالتِ العربُ تسميهِ بالفحلِ لذلكَ . « الأغاني » (١٠/٢٠٦) .

(٢) الحافرُ مِنْ زُمُرُّد : أَيْ حافرٌ أَخضرُ صلبٌ ، التبرُ : الذهبُ . اللجينُ : الفضَّةُ .

(٣) تَخُبُّ: مِنَ الخببِ؛ وهو مِنْ ضروبِ السيرِ. النِّقَالُ: مِنَ المناقلةِ؛ وهي المشي الليِّنُ الرقيقُ.

(٤) الفلقُ : الصبحُ .

رفع المسهم

ويقولُ [في «ديوانه» منَ المتقارب] :

لَهَا ذَنَبٌ مِثْلُ ذَيْلِ ٱلْعَرُوْسِ تَسُدُّ بِهِ فَرْجَهَا مِنْ دُبُرْ

والطِّرِمَّاحُ يقولُ في صفةِ فرسٍ لهُ ذَيَّالٍ[1] [كما في «ديوانه» ٥٣٣ منَ الوافر] :

فَسَدَّ بِمَضْرَحِيِّ ٱللَّوْنِ جَثْلٍ خَوَايَةَ فَرْجِ مِقْلاَتٍ دَهِيْنِ[2]

المحمود من الخيل

وكُلُّهُ مشكلٌ ؛ لأَنَّ المحمودَ في الخيلِ إنَّما هو أن تَشُوْلَ بأَذنابِها ، وتُبالغَ في رفعِ رُؤُوسِها ، حتَّىٰ تُظَنَّ ثلاثةً إذا أعترضتْ بالراكبِ ، كما سبقَ في قولي عنْ فرسِي ، وكما قالَ بشَّارٌ [في «ديوانه» ٤/ ٢٤ منَ الكامل] :

وَٱلْخَيْلُ شَائِلَةٌ تَشُقُّ عُبَابَهَا مِثْلَ ٱلْعَقَارِبِ رَفَّعَتْ أَذْنَابَهَا

وكمَا قالَ الناظمُ في غارتهِ عليهِ [في «المُكْبَريّ» ٣/ ٩٩ منَ الطويل] :

شَوَائِلَ تَشْوَالَ ٱلْعَقَارِبِ بِٱلْقَنَا لَهَا مَرَحٌ مِنْ تَحْتِهِمْ وَصَهِيْلُ

وقد سبقتِ العربُ إلىٰ ذلكَ ، فقالَ أَحدُ بَني تَيْمِ اللهِ بنِ ثعلبةَ [في «ديوان الحماسة» ١/ ٣٥ منَ الكامل] :

وَلَقَدْ رَأَيْتُ ٱلْخَيْلَ شُلْنَ عَلَيْكُمُ شَوْلَ ٱلْمَخَاضِ أَبَتْ عَلَىٰ ٱلْمُتَغَبِّرِ[3]

---

(١) ذَيَّالٌ : هو الفرسُ الطويلُ الجسم الطويلُ الذيلِ . فإن كانَ قصيرَ الجسمِ طويلَ الذيلِ قيلَ لهُ : ذائلٌ ، أو ذَيَّالُ الذنبِ، فيذكرونَ الذنبَ .

(٢) مضرحيُّ اللونِ : الأَبيضُ مِنْ كلِّ شيءٍ . الجثلُ : الكثيرُ الشعرِ، الطويلُ الملتفُّ . الخوايةُ : الفرجةُ بين فخذي الناقةِ التي يسدُّها ذنبُها . المِقْلاَتُ : الناقةُ التي تلدُ واحداً ثُمَّ لا تحملُ ؛ وذلكَ أَقوىٰ لها . الدهينُ : الناقةُ القليلةُ اللبنِ ؛ وهو أَقوىٰ لها أيضاً .

(٣) شُلنَ عليكُم : مِن شالَ الفرسُ بذنبهِ يشولُ شولاً ؛ أَي: رفعَهُ عندَ الجريِ . =

رفع المسهم

وقالَ غَنِيُّ بنُ مالكٍ [منَ الوافر] :

دَفَعْنَا ٱلْخَيْلَ شَائِلَةً عَلَيْهِمُ وَقُلْنَا بِٱلضُّحَىٰ فَيْحَىٰ فَيَاحِ[1]

وقالَ الحطيئةُ [في « ديوانه » ١٥٣ منَ الطويل] :

عَوَاسِرَ بَيْنَ ٱلطَّلْحِ يَزْجُمْنَ بِٱلْقَنَا خُرُوْجَ ٱلظِّبَاءِ مِنْ حِرَاجِ قِطَانِ

إذِ العواسيرُ هِيَ ٱلَّتي ترفعُ أذنابَها لقوَّتِها ، شَبَّهَ الخيلَ بالظباءِ الخوارجِ مِنَ ٱلحِراجِ ، جمعُ حَرَجَة ؛ وهي ما التَفَّ منَ الشجرِ ، وقِطَان : موضعٌ معروفٌ ، إلاَّ أنْ يقالَ : إنَّ الأوَّلينَ أرادوا وصفَها قائمةً في مرابِطِها ، فقد يكونُ علىٰ شيءٍ فيهِ مِنَ ٱلبعدِ ، ثُمَّ إنَّ قولَ التَّيْمي : (شَوْلَ المخاضِ) ، وقولَ بشار ، والناظمِ : مثلَ العقاربِ . . لا يخلو مِنَ ٱلملاحظةِ ؛ لأنَّ المحمودَ في الخيلِ إنَّما هوَ أنْ ترفعَ أذنابَها ثم تَرُدَّها إلىٰ الوَراءِ ، كهيئةِ الرسومِ الواقعةِ بالدنانيرِ[2] الإنكليزيةِ ، لا أنْ تبالغَ في رفعِها إلىٰ ما ذكرهُ أولئكَ ، غيرَ أنَّهُ يمكنُ أنْ يَرِدَ إليهِ ما سبقَ عنِ ٱلطِّرِمَّاحِ ، وعنِ ٱمرىءِ القيسِ ، ولا سيَّما ما كانَ في بيتهِ الثاني ؛ إذ لا يبعدُ أنْ يكونَ المرادُ : أنَّها تشولُ بِهَا ، ثُمَّ تردُّها حتَّىٰ تَسُدَّ به فروجَها ، فيجتمعُ حينئذٍ المدحُ بالطولِ والشولانِ .

= المخاضُ : النوقُ الحواملُ . الغبرُ : البقيَّةُ مِنَ اللبنِ في الضَّرعِ . والمعنىٰ : لقد رأيتُكُم منهزمينَ والخيلُ تعدو عليكُم رافعةً أذنابَها رفعَ النوقِ الحواملِ لها إذا طُلِبَ حلبُ غبرِ لبنِها .

(١) فيحىٰ فياحِ : ٱنتشري وٱتَّسعي أيَّتُهَا الغارةُ .

(٢) المراد الليرة الذهبية الإنكليزية المعروفة الآن.

رفع المسهم

توجيه قولِ للبحتري

أَمَّا قولُ البُحتريِّ السابقُ [في « ديوانهِ » ٣/ ١٧٤٢ منَ الكامل] :

ذَنَبٌ كَمَا سُحِبَ ٱلرِّدَاءُ يَذُبُّ عَنْ عُرْفٍ وَعُرْفٌ كَٱلْقِنَاعِ ٱلْمُسْبَلِ

فلاَ شكَّ أَنَّهُ يصفُهُ قائماً ، وإلاَّ . . كانَ فيهِ عَيْبُ الإرْخَاءِ وعَيْبُ التَّخْرِيكِ ؛ فإنَّهُ لا يُحْمَدُ من الخيلِ ، وإنَّما يُحْمَدُ من الإبلِ ، كما قال أَبو نُوَاسٍ [في « ديوانهِ » ٢٩٧ منَ الكامل] :

تَثْنِي عَلَىٰ ٱلحَاذَيْنِ ذَا خُصَلٍ تَعْمَالُهُ الشَّذْرَانُ وَٱلْخَطْرُ(١)

أَمَّا إِذَا رَفَعَتْهُ شَامِذَةً فَتَقُولُ : رَنَّقَ فَوْقَهَا نَسْرُ(٢)

أَمَّا إِذَا وَضَعَتْهُ خَافِضَةً فَتَقُولُ : أُرْخِيَ دُونَهَا سَتْرُ

هل معقول أن سرعة الخيل الأعوجية تعادل سرعة القطا؟

والكلامُ في الخيلِ يطولُ ، وسنسيرُ عليهِ في الفُصُولِ ، كُلَّما سنَحتْ فرصةٌ . . نذكرُ منهُ حِصَّةً ، وهي ممّا أُفردَتْ بالتآليفِ العديدةِ ، ومِنْ أَشهرِها (الأَعوجيَّةُ) منسوبة لفحلٍ كريمٍ كان لكندةَ ، ثُمَّ أخذَتْهُ سُليمٌ ، ثُمَّ صارَ لبني عامرٍ ، ثُمَّ لبني هلالٍ ، رُكِبَ رطباً ، فأعوجتْ أَرساغُهُ ، قيلَ لصاحبِهِ : ما رأيتَ مِنْ شدةِ عَدْوِهِ ؟ قال : عطشتُ في الفلاةِ ، ولا أَعرفُ منهلاً ، فما كانَ بأَسرعَ مِنْ سربِ قَطَا واردٍ ، فأَجريتُهُ في إثرِهِ ، فوافينا الماءَ معاً ، وكنتُ أَغضُّ مِنْ عِنانِهِ .

---

(١) الحاذانِ ـ مثنَّى الحاذي ـ : وهوَ ظاهرُ الفخذِ . ذا خصلٍ : يريدُ بهِ ذنبَ الناقةِ . التَّعمالُ : الاضطرابُ . الشذَرانُ : جمعُ الناقةِ قُطرَيها وَرَفْعُها ذَنَبَها . الخَطْرُ : أَنْ تضربَ الناقةُ بذيلها يميناً ويساراً .

(٢) الشامذةُ : الناقةُ التي تشيلُ ذنبهَا نشاطاً .

رفع المسهم

وفيهِ مبالغاتٌ ؛ لأَنَّ القطا مِنْ أَشدِّ الطيرِ طيراناً ، وإِذا أَرادَ الماءَ . . اشتدَّ ، ومَا كفاهُ ذلكَ حَتَّىٰ قالَ : أَغضُّ مِنْ لجامهِ .

أول من ركب الخيل

وأَوَّلُ مَنْ ركبَ الخيلَ : إِسماعيلُ ـ عليهِ السلامُ ـ وكانتْ قبلَ ذلكَ وحشيَّةً ، كما سيأَتي بيانهُ في غيرِ هـٰذا المجلسِ .

واللهُ أَعلمُ

* * *

رفع المسهم

المجلس الخامس

[قالَ أَبو الطيِّبِ المتنبِّي في « العُكبَريِّ » ٤/ ٢٩ مِنَ الكامل] :

غُصْنٌ عَلَىٰ نَقَوَا فَلاَةٍ نَابِتٌ شَمْسُ ٱلنَّهَارِ تُقِلُّ لَيْلاً مُظْلِمَا

وصف المتنبي لحبيبته

يصفُ حبيبتَهُ فيقولُ : هي (غصنٌ) يعني : قامتَها . (نابتٌ) على كثيبَيْ رملٍ ـ يعني : رِدفَيها . ووجهُهَا شمسٌ تحملُ ليلاً مُظلِماً ـ يعني : فرعَها . و(نَقَوَا) ـ تثنيةُ نَقاً ـ وهوَ : ٱلكثيبُ مِنَ الرَّمْلِ . و(الفَلاَةُ) : ٱلمَفازةُ ، وتشبيهُ ٱلكَفَلِ بالنَّقا شائعٌ ذائعٌ مرميٌّ في مدارجِ الطُّرقِ ، غيرَ أَنَّ التَّثنيةَ قد تُخرِجُهُ عَنِ ٱلابتذَالِ ، وٱلمَرأَةُ لها مأْكمتانِ ، فشبَّهَ كلَّ واحدةٍ بنَقاً مِنَ الرَّملِ نابتٌ عليهما غصنُ ٱلقامةِ ، وذِكرُ ٱلفلاةِ مِنَ ٱلفضولِ ؛ إِذ لاَ معنىٰ لَهُ غيرَ ٱلاسترفادِ ، ما لَمْ تكُنِ ٱلمرأةُ أَعرابيَّةً ، فيكونُ مِنْ بيانِ ٱلواقعِ . وقولهُ : (نابتٌ) منَ ٱلحشوِ أَيضاً ؛ إِذْ لا يزيدُ شيئاً علىٰ قولهِ : (غُصْنٌ عَلَىٰ نَقَوَا) ، وتشبيهُ ٱلمآكمِ بكُثبانِ الرَّملِ علىٰ ما ذكرنا مِنَ ٱلشُّيوعِ .

تشبيه المآكم بكثبان الرمل عند الشعراء

وممّا جاءَ مُحكماً فيهِ قولُ أَبي تمَّامٍ [في « ديوانهِ » ١/ ١٠٣ مِنَ ٱلبسيطِ] :

كَمْ أَحْرَزَتْ قُضُبُ ٱلْهِنْدِيِّ ـ مُصْلَتَةً تَهْتَزُّ ـ مِنْ قُضُبٍ تَهْتَزُّ مِنْ كُثُبِ(١)

(١) القُضُبُ ـ مفردها قضيبٌ ـ : وهوَ السيفُ اللطيفُ القطَّاعُ . مُصْلَتَةٌ : مسلولةٌ ؛ =

رفع المسهم

وقولُ ٱلبُحتريِّ [في « ديوانهِ » ٣/ ١٩٥٤ مِنَ الكاملِ] :

أَيْـنَ ٱلْغَـزَالُ ٱلْمُسْتَعِيـرُ مِـنَ ٱلنَّقَـا كَفَلاً، وَمِنْ نَوْرِ ٱلأَقَاحِيْ مَبْسِمَا[1] ؟

ومرَّ كَثيرٌ ممَّا يتَّصلُ بهِ في ٱلمجلسِ ٱلثَّاني عندَ قولهِ [في « العكبريّ » ١/ ٢٩٧]: (بَانُوْا بِخُرْعُوْبَةٍ لَهَا كَفَلٌ . . .)، ولٰكنَّ ٱلإجادةَ كلَّ ٱلإجادةِ ما فعلَ ذو الرُّمَّةِ مِنْ عكسهِ ٱلتَّشبيهَ في قولهِ [في «ديوانهِ» ٢/ ١١٣١ مِنَ الطَّويلِ]:

وَرَمْـلٍ كَـأَوْرَاكِ ٱلْعَـذَارَىٰ قَطَعْتُـهُ وَقَدْ جَلَّلَتْهُ ٱلْمُظْلِمَاتُ ٱلْحَنَادِسُ[2]

كثرة استعمال التشبيه تبليه إلا إن خرج عن بابه مع تظريف

وكذلكَ تشبيهُ ٱلوجهِ بٱلشَّمسِ وٱلبدرِ ، وٱلفرعِ بٱللَّيلِ[3] ، فإنَّهُ ممَّا أذالهُ ٱلابتذالُ ، فلَمْ يعُدْ يَحسُنُ إلاَّ معَ تظريفٍ يُغرِّبُهُ فيخرِجُهُ عَنِ ٱلامتهانِ ؛ كقولِ طَرَفَةَ [في « ديوانهِ » ١١ مِنَ الطَّويلِ] :

وَوَجْهٍ كَأَنَّ ٱلشَّمْسَ حَلَّتْ رِدَاءَهَا عَلَيْـهِ نَقِـيُّ ٱللَّـوْنِ لَـمْ يَتَخَـدَّدِ[4]

وقولِ قيسٍ [مِنَ الكاملِ] :

لَوْ أَنَّ لَيْلَىٰ حَاكَمَتْ شَمْسَ ٱلضُّحَىٰ فِيْ ٱلْحُسْنِ عِنْدَ مُوَفَّقٍ . . لَقَضَىٰ لَهَا

وقولِ ٱلبُحتريِّ [في « ديوانهِ » ٤/ ٢٤١٠ مِنَ البسيطِ] :

فِيْ طَلْعَةِ ٱلشَّمْسِ شَيْءٌ مِنْ مَلاَحَتِهَا وَلِلْقَضِيْـبِ نَصِيْـبٌ مِـنْ تَثَنِّيْهَـا

= والمعنى : أنَّ تلكَ السيوفَ الهنديّةَ إذا ٱهتزَّتْ . . سَبَتِ ٱلذرارِيْ ، وأحرزتِ النساءَ اللاَّتي تهتزُّ كٱلقُضبانِ في كُثبانِ الرملِ .

(١) النقا : الرمل . والأقاحي ـ جمع أُقحوانٍ ـ : وهوَ نبتٌ طيِّبُ الريحِ ، حواليهِ ورق أبيضُ ، ووسطهُ أصفرُ ، وهوَ البابونج .

(٢) الحنادسُ : ثلاثُ ليالٍ مِنَ الشهرِ لظُلمَتهنَّ .

(٣) الفرعُ : الشَّعرُ .

(٤) الوجهُ المتخدِّدُ : المتجعِّدُ .

رفع المسهم

وقولِ ٱلآخَرِ [مِنَ الطَّويلِ] :

تَـرَاءَىٰ وَمِـرْآةُ ٱلسَّمَـاءِ صَقِيْلَـةٌ فَأَثَّرَ فِيْهَا وَجْهُهُ صُوْرَةَ ٱلْبَدْرِ

وقولِ بعضِ قدماءِ ٱلمولَّدينَ[1] [مِنَ البسيطِ] :

قَدْ قُلْتُ لِلْبَدْرِ وَٱسْتَعْبَرْتُ حِيْنَ بَدَا مَا فِيْكَ يَا بَدْرُ لِيْ مِنْ وَجْهِهَا خَلَفُ
تُبْدِيْ لَنَا كُلَّمَا شِئْنَا مَحَاسِنَهَا وَأَنْتَ تَنْقُصُ أَحْيَاناً وَتَنْخَسِفُ

وقولِ حبيبٍ [في « ديوانهِ » مِنَ الطَّويلِ] :

فَرُدَّتْ عَلَيْنَا ٱلشَّمْسُ وَٱللَّيْلُ مُظْلِمٌ بِشَمْسٍ لَهُمْ مِنْ جَانِبِ ٱلْخِدْرِ تَطْلُعُ
فَـوَٱللهِ مَـا أَدْرِيْ أَٱلْخَـلاَمُ نَـائِـمٍ أَلَمَّتْ بِنَا، أَمْ كَانَ فِيْ ٱلرَّكْبِ يُوْشَعُ[2]

وَإِلىٰ مِثلِهِ يُشيرُ أَبو ٱلعلاءِ في قولِهِ [مِنَ الوافرِ] :

وَيُـوْشَـعُ رَدَّ يَـوْمـاً بَعْـضَ يَـوْمٍ وَأَنْتَ مَتَىٰ سَفَرْتَ رَدَدْتَ يُوْحَا[3]

وما أَحْسَنَ قولَهُ [مِنَ الطَّويلِ] :

وَقَدْ حَلَفَتْ أَنْ تَسْأَلَ ٱلشَّمْسَ حَاجَةً وَإِنْ سَـأَلَتْـكَ ٱلْيُسْـرَ بَـرَّتْ يَمِيْنُهَـا

---

(١) المولَّدينَ : المُحْدَثينَ ، والمولَّدُ لغة : المُحْدَثُ مِنْ كُلِّ شيءٍ ، واصطلاحاً : هوَ العربيُّ غيرُ المحضِ ، وُلِدَ عندَ العربِ ، ونشأَ معَ أولادِهِم ، وتأدَّبَ بآدابِهِم ، فهوَ مولَّدٌ وليسَ بعربيٍّ صريحٍ .

(٢) والمعنى : شبَّهَ سفورَ محبوبتِهِ ليلاً كأنَّها شمسُ النهارِ عادت ليلاً ، ثمَّ يستغربُ ويشكُّكُ فيما رأى فيظنُّهُ تارةً حُلْماً وتارةً يظنُّ أنَّ يوشعَ بنَ نونٍ معَ الركبِ ، حيثُ إنَّ يوشعَ أستوقفَ الشمسَ عندما كانَ يقاتِلَ الجبَّارينَ يومَ الجُمُعةِ ، فلمَّا أدبرتِ الشمسُ . . خافَ أنْ تغيبَ قبلَ أنْ يفرغَ مِنَ القتالِ ويدخُلَ السبتُ ، فلا يحلُّ لهُ القتالُ ، فدعا اللهَ فردَّ لهُ الشمسَ حتَّى فَرَغَ مِنْ قتالِهِم .

(٣) سفرت : برزتَ مِنْ غيرِ حجابٍ . يوحا : أسمٌ مِن أسماءِ الشمسِ .

رفع المسهم

وقولهُ [في « سقط الزَّند » ١٦١ مِنَ البسيطِ] :

أَرَىٰ جَبِينَكَ هَـٰذِيْ الشَّمْسُ خَالِقَهَا ... وَقَـدْ أَنَـارَتْ بِنُـوْرٍ عَنْـهُ مُنْعَكِسِ

وقولَ بَديعِ الزَّمانِ [في « ديوانهِ » ٣٤ مِنَ البسيطِ] :

يَكَادُ يَحْكِيْكَ صَوْبُ الْغَيْثِ مُنْسَكِباً ... لَوْ كَانَ طَلْقَ الْمُحَيَّا يُمْطِرُ الذَّهَبَا

وَالدَّهْرُ لَوْ لَمْ يَخُنْ وَالشَّمْسُ لَوْ نَطَقَتْ ... وَاللَّيْثُ لَوْ لَمْ يُصَدْ وَالْبَحْرُ لَوْ عَذُبَا

وقولَ ابنِ المعتزِّ [في « ديوانهِ » ٢/ ١٥١ مِنَ الطَّويلِ] :

سَقَتْنِيَ فِيْ لَيْلٍ شَبِيْهٍ بِشَعْرِهَا ... شَبِيْهَـةَ خَـدَّيْهَـا بِغَيْـرِ رَقِيْـبِ

فَأَمْسَيْتُ فِيْ لَيْلَيْنِ فِيْ الشَّعْرِ وَالدُّجَىٰ ... وَشَمْسَيْـنِ مِـنْ خَمْـرٍ وَخَـدٌّ حَبِيْـبِ

الـرشيـد وعلـي بـن الخليل

ويروىٰ [كما في « الأغاني » ١٤/ ١٧٤] : أَنَّ شَيْخاً حسَنَ الهيئةِ قامَ في مجلسِ الرَّشيدِ للمظالمِ برُقعةٍ ، فأَمرَ بأَخذِها ، فقالَ الشَّيخُ : إنْ رأىٰ أَميرُ المؤمنينَ أَنْ يأْذنَ لي بقراءتِها ؛ فإِنِّي أَعرَفُ بخطِّي ، قال : اقرأْ ، فأَنشدهُ قصيدةً [مِنَ الكاملِ] منها :

لَمَّـا رَأَتْـكَ الشَّمْـسُ طَـالِعَـةً ... سَجَدَتْ لِوَجْهِكَ طَلْعَةُ الشَّمْسِ

خَيْـرُ الْبَـرِيَّـةِ أَنْـتَ كُلُّهُـمُ ... فِيْ يَوْمِكَ الْغَادِيْ وَفِيْ أَمْسِ

للهِ يَـا هَـارُوْنُ مِـنْ مَلِـكٍ ... عَـفُّ السَّرِيْـرَةِ طَـاهِـرِ النَّفْسِ

حتَّىٰ أَتىٰ علىٰ آخرِها . قالَ الرَّشيدُ : مَنِ الشَّيخُ؟ قالَ : عليُّ بنُ الخليلِ ، الَّذي يُقَالُ إِنَّهُ زِنْدِيقٌ ، قال : أَنتَ آمِنٌ ، وأَمرَ لهُ بخمسِ مئةِ أَلفِ دِرهمٍ[1] .

---

(١) وجاء في « الأغاني » : أَنَّهُ أَعطاهُ خمسةَ آلافِ درهمٍ .

رفع المسهم

المتنبي وإغرابه في التشبيه

وما أكثرَ في « ديوانِ النَّاظمِ » مِنِ ٱستعارةِ الشَّمسِ بتنكيتٍ[1] تارةً ، وبدونهِ أُخرىٰ .

مِنْ ذلكَ قولُهُ [في « العُكبَريّ » ٢/ ١٢٣ مِنَ الطَّويلِ] :

رَأَتْ وَجْهَ مَنْ أَهْوَىٰ بِلَيْلٍ عَوَاذِلِي فَقُلْنَ : نَرَىٰ شَمْساً وَمَا طَلَعَ ٱلْفَجْرُ

وقولُهُ [في « العُكبَريّ » ١/ ٣١ مِنَ الكاملِ] :

لَمْ تَلْقَ هَـٰذَا ٱلْوَجْهَ شَمْسُ نَهَارِنَا إِلاَّ بِوَجْهٍ لَيْسَ فِيهِ حَيَاءُ

وقولُهُ [في « العُكبَريّ » ١/ ١٣٠ مِنَ الكاملِ] :

كَٱلشَّمْسِ فِيْ كَبِدِ ٱلسَّمَاءِ وَضَوْؤُهَا يَغْشَىٰ ٱلْبِلاَدَ مَشَارِقاً وَمَغَارِبَا

وقولُهُ [في « العُكبَريّ » ٤/ ٨٢ مِنَ الطَّويلِ] :

بِفَرْعٍ يُرِيكَ ٱللَّيْلَ وَٱلصُّبْحُ نَيِّرٌ وَوَجْهٍ يُعِيْدُ ٱلصُّبْحَ وَٱللَّيْلُ مُظْلِمُ[2]

وقولُهُ [في « العُكبَريّ » ١/ ١١٣ مِنَ البسيطِ] :

بَيَاضُ وَجْهٍ يُرِيْكَ ٱلشَّمْسَ حَالِكَةً وَدُرُّ لَفْظٍ يُرِيْكَ ٱلدُّرَّ مَخْشَلَبَا[3]

وقولُهُ [في « العُكبَريّ » ٢/ ٨١ مِنَ البسيطِ] :

شَمْسٌ إِذَا ٱلشَّمْسُ لاَقَتْهُ عَلَىٰ فَرَسٍ تَرَدَّدَ ٱلنُّورُ فِيْهَا مِنْ تَرَدُّدِهِ

---

(١) النكتةُ : المسألةُ العلميّةُ الدقيقةُ ، يتوصَّلُ إليها بدقَّةٍ وإنعامِ فكرٍ .

(٢) الباءُ في قولِهِ : (بِفَرْعٍ) متعلِّقةٌ بمحذوفٍ تقديرهُ : تُقْبِلُ .
والمعنى : قد جُمِعَتْ فيها الأَضدادُ ، فهيَ تجمعُ بينَ الليلِ والنهارِ ، تُريكَ النهارَ ليلاً بشَعرها ، والليلِ نهاراً بوجهها .

(٣) المَخْشَلَبُ والمَشْخَلَبُ : لُغتانِ ، وليستا عربيَّتينِ ، وإنَّما هُما لُغتانِ للنَّبَطِ ، وهوَ : خَرَزٌ مِنْ حجارةِ البحرِ ، وليسَ بدُرٍّ .

رفع المسهم

وقولُهُ [في « العُكبَريّ » ٢/ ٩٩ مِنَ البسيطِ] :

تَكَسَّبُ الشَّمْسُ مِنْكَ النُّوْرَ طَالِعَةً ... كَمَا تَكَسَّبَ مِنْهَا نُوْرَهُ القَمَرُ

وقولُهُ [في « العُكبَريّ » ٢/ ١١٠ مِنَ الوافِرِ] :

كَأَنَّ شُعَاعَ عَيْنِ الشَّمْسِ فِيْهِ ... فَفِيْ أَبْصَارِنَا عَنْهُ انْكِسَارُ

وقولُهُ [في « العُكبَريّ » ٤/ ٤ مِنَ الطَّويلِ] :

فَلاَ زَالَتِ الشَّمْسُ الَّتِيْ فِيْ سَمَائِهِ ... مُطَالِعَةَ الشَّمْسِ الَّتِيْ فِيْ لِثَامِهِ

وَلاَ زَالَ تَجْتَازُ البُدُوْرُ بِوَجْهِهِ ... تَعَجَّبُ مِنْ نُقْصَانِهَا وَتَمَامِهِ

وصف السيدة فاطمة الزهراء

وأَفضلُ ما فِي الموضوعِ : ما أَخرجهُ الحاكمُ [في « المستدرك » ٣/ ١٧٦] عَنْ أَنسِ بنِ مالكٍ قالَ : سأَلتُ أُمِّي عَنْ فاطمةَ بنتِ رسولِ اللهِ ﷺ ، فقالَتْ : كانَتْ كالقمرِ ليلةَ البدرِ ، أَوِ الشَّمسِ إِذا خرجَتْ مِنَ السَّحابِ ؛ بيضاءَ مشرَّبةً حُمرةً ، لها شعَرٌ أَسودُ ، مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ شبهاً برسولِ الله ﷺ ، هيَ ـ واللهِ ـ كما قالَ الشَّاعرُ [مِنَ الكامِلِ] :

بَيْضَاءُ تَسْحَبُ مِنْ قِيَامٍ شَعْرَهَا ... وَتَغِيْبُ فِيْهِ وَهْوَ جَثْلٌ أَسْحَمُ[1]

فَكَأَنَّهَا فِيْهِ نَهَارٌ مُشْرِقٌ ... وَكَأَنَّهُ لَيْلٌ عَلَيْهَا مُظْلِمُ

وصف سيد الأنام ﷺ

وقالَ كعبُ بنُ زهيرٍ يمدحُ سيِّدَ المرسلينَ ﷺ [مِنَ البسيطِ] :

تَجْرِيْ بِهِ النَّاقَةُ الأَدْمَاءُ مُعْتَجِراً ... بِالْبُرْدِ كَالْبَدْرِ جَلَّى لَيْلَةَ الظُّلَمِ[2]

وهوَ تشبيهٌ بليغٌ معَ وجودِ الأَداةِ ، وعدمِ الإِغرابِ ، وقلَّةِ النُّكاتِ ، وما وقعَ مِنَ القَبولِ بما هوَ عليهِ إِلاَّ مِنْ حيثُ إِنَّهُ صادقٌ

---

(١) الجثْلُ : الكثيرُ الملتفُّ . أَسحمُ : أَسودُ .

(٢) الأَدماءُ : السوداءُ .

محلَّهُ ، وكانَ قبلَ ٱبتذالِ ٱلمعنىٰ إلىٰ جَزالةِ تركيبٍ ، وفَخامةِ لفظٍ ، وتَناسُقِ سَبْكٍ ، واتِّفاقِ جِناسٍ ، وسلاسةِ تعبيرٍ ، ولا كذلكَ بيتُ النَّاظمِ الَّذي نتكلَّمُ فيهِ ؛ لخلوِّهِ مِنَ ٱلإغرابِ الَّذي لا يزالُ يتصيَّدُهُ ، وبيتُ كعبٍ هٰذا أحدُ بيتينِ أجمعَ أهلُ ٱلعلمِ بالصَّناعةِ علىٰ تقديمِهما ، وقد شطَّرتُهما بما ٱمتزجَ بهما ٱمتزاجَ ٱلماءِ بالرَّاحِ ، وٱختلطَ بهما ٱختلاطَ الأَجسامِ بالأَرواحِ ، فقلتُ [مِنَ ٱلبسيطِ] :

تشطير المؤلف لقصيدة كعب بن زهير

تَجْرِي بِهِ ٱلنَّاقَةُ ٱلأَدْمَاءُ مُعْتَجِراً ... فِي ٱلْغَزْوِ مَخْضُوبَةً أَخْفَافُهَا بِدَمِ

وَٱلْيَوْمُ بِالنَّفْعِ لَيْلٌ وَهْوَ مُتَّشِحٌ ... بِالْبُرْدِ كَالْبَدْرِ جَلَّىٰ لَيْلَةَ ٱلظُّلَمِ

وَفِي عِطَافَيْهِ أَوْ أَثْنَاءِ رِيطَتِهِ ... جَلالَةُ ٱلْوَحْيِ فِي مُسْتَحْسَنِ ٱلشِّيَمِ[1]

وَبَيْنَ جَنْبَيْهِ قَلْبٌ مِلْءُ حَبَّتِهِ ... مَا يَعْلَمُ ٱللهُ مِنْ دِينٍ وَمِنْ كَرَمِ

التوغل والاستغراق في المديح عند المتنبي

وقد ألَمَّ النَّاظمُ بالأَخيرِ في قولِهِ [في « العُكبَريِّ » ١/ ٣٤٠ مِنَ ٱلكاملِ] :

يَفْنَىٰ ٱلْكَلامُ وَلاَ يُحِيطُ بِوَصْفِكُمْ ... أَيُحِيطُ مَا يَفْنَىٰ بِمَا لاَ يَنْفَدُ ؟!

وقولِهِ [في « العُكبَريِّ » ١/ ٣٥٢ مِنَ ٱلبسيطِ] :

لَمْ أُجْرِ غَايَةَ فِكْرِي مِنْكَ فِي صِفَةٍ ... إِلاَّ وَجَدْتُ مَدَاهَا غَايَةَ ٱلأَبَدِ

وقولِهِ [في « العُكبَريِّ » ١/ ٣٣٣ مِنَ ٱلكاملِ] :

وَتَحَيَّرَتْ فِيهِ ٱلصِّفَاتُ لأَنَّهَا ... أَلِفَتْ طَرَائِقَهُ عَلَيْهَا تَبْعُدُ

وقولِهِ [في « العُكبَريِّ » ٢/ ٢٨٧ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

وَمَا حَارَتِ ٱلأَفْهَامُ فِي عُظْمِ شَأْنِهِ ... بِأَكْثَرَ مِمَّا حَارَ فِي حُسْنِهِ ٱلطَّرْفُ

---

(١) الرِّيطةُ : المَلاءةُ إذا كانتْ قطعةً واحدةً ولم تكن لِفْقين .

رفع المسهم

وقولِهِ ـ وقد أساءَ الأدبَ ـ [في « العكبريّ » ٤/ ٢٠١ مِنَ الكاملِ] :

تَتَقَاصَرُ الأَفْهَامُ عَنْ إِدْرَاكِهِ ... مِثْلُ الَّذِي الأَفْلاَكُ فِيهِ وَالدُّنَا[1]

التوغل والاستغراق في المديح عند الشعراء

وقالَ بعضُهم [مِنَ الوافرِ] :

مُرَامٌ شَطَّ مَرْمَىٰ الْوَصْفِ فِيهِ ... فَدُوْنَ مَدَاهُ بِيْدٌ لاَ تَبِيْدُ[2]

وقالَ ابنُ هانىءٍ [في « ديوانِهِ » ٩١ مِنَ البسيطِ] :

أَتْبَعْتُهُ فِكْرَتِي حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَتْ ... غَايَاتِهَا بَيْنَ تَصْوِيبٍ وَتَصْعِيْدِ

أَبْصَرْتُ مَوْضِعَ بُرْهَانٍ يَلُوْحُ وَمَا ... أَبْصَرْتُ مَوْضِعَ تَكْيِيْفٍ وَتَحْدِيْدِ

ومَا أَليقَ هٰذا بالجَنابِ الأقدسِ ، غيرَ أنَّ هٰؤلاءِ لاَ يوزَعونَ[3] عَنِ الغُلُوِّ في المخلوقينَ .

وقالَ العجَّاجُ فيما يُشبِهُ قولَ كعبٍ [في « ديوانِهِ » ٣٩٧ مِنَ الرَّجَزِ] :

يَحْمِلْنَ كُلَّ سُؤْدَدٍ وَفَخْرِ ... يَحْمِلْنَ مَا نَدْرِي وَمَا لاَ نَدْرِي

قالَ الأصمعيُّ ـ وأصلُهُ قولُ الحارثِ بنِ حِلِّزَةَ ـ [مِنَ الخفيفِ] :

وَفَعَلْنَا كَمَا عَلِمَ اللهُ ... وَمَا إِنْ لِلْخَائِنِيْنَ ذِمَاءُ[4]

وقالتِ الخنساءُ [في « ديوانِها » ٢٩ مِنَ الطَّويلِ] :

أَلاَ ثَكِلَتْ أُمُّ الَّذِيْنَ مَضَوْا بِهِ ... إِلَىٰ الْقَبْرِ مَاذَا يَحْمِلُوْنَ إِلَىٰ الْقَبْرِ ؟!

---

(١) مِثْلُ : الروايةُ الصحيحةُ بالرفعِ ، ويكونُ على تقديرِ : هوَ مِثْلُ ؛ يعني : أنَّ الأفهامَ تتقاصرُ عن هٰذا الممدوحِ في معرفةِ حقيقتِهِ ، فهو مثلُ علمِ اللهِ تعالىٰ .

(٢) مُرامٌ : مقصودٌ .

(٣) لا يوزَعونَ : لا يرتدعونَ .

(٤) الذِّمَاءُ : بقيَّةُ الروحِ في المذبوحِ ، أو قوَّةُ قلبِهِ .

وفي ٱلذِّكرِ ٱلحكيمِ منهُ ٱلكثيرُ ٱلطَّيِّبُ ، كقولهِ جلَّ ٱسمهُ : ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه : ٧٨] ، وقولهِ : ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ [النجم : ١٦] ، وقولهِ : ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الشعراء : ١٩] .

المؤلف ومفاضلته بين بيتٍ للبوصيري وبيت لابن الفارض في أحد المجالس

وٱتَّفقَ أنْ حضرنَا مجلساً جَرَىٰ فيهِ ذكرُ قولِ ٱلبوصيريِّ [في « بردتهِ » ١٦ مِنَ ٱلبسيطِ] :

فَمَبْلَغُ ٱلْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ ... وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ ٱللهِ كُلِّهِمِ

فقلتُ : ما زالتِ ٱلأُدباءُ تفاضِلُ بينهُ وبينَ قولِ ٱبنِ ٱلفارضِ [في « ديوانهِ » ١٥٤ منَ ٱلكاملِ] :

وَعَلَىٰ تَفَنُّنِ وَاصِفِيهِ بِوَصْفِهِ ... يَفْنَىٰ ٱلزَّمَانُ وَفِيهِ مَا لَمْ يُوْصَفِ

ومنهمْ منْ يرجِّحُ ٱلأَوَّلَ ؛ لاقتضائهِ أَنَّ ٱلعلمَ لاَ يصلُ كُنْهَ صِفَتهِ عليهِ ٱلسَّلامُ ؛ إِذْ صارَ كَأَنَّهُ ٱستجمعَ فضيلةَ كلِّ فاضلٍ ، وزادَ .

وٱلحالُ : أَنَّ ذِكْرَ فضلِ سائرِ ٱلفضلاءِ بلهَ الزِّيادةِ عليهِ لاَ يُحصىٰ في أَزمنةٍ ، فضلاً عَنِ ٱلزَّمانِ ٱلواحدِ ، فٱلأمرُ أَكثرُ مِنْ قولِ ٱلنَّاظمِ [في « ٱلعكبريَّ » ٢/٢٦٧ مِنَ ٱلكاملِ] :

لَوْ نِيطَتِ ٱلدُّنْيَا بِأُخْرَىٰ مِثْلِهَا ... لَعَمَمْنَهَا وَخَشِينَ أَنْ لاَ تَقْنَعَا[1]

إتمامه ﷺ بيتاً لابن الفارض في المنام

ويحكونَ فيه مناماً ، حاصلُهُ : أَنَّ ٱلبوصيريَّ وقف بعدَ ٱلشَّطر ٱلأَوَّلِ مِنَ ٱلبيتِ ، ولمْ يدرِ ما يقولُ ، فرأىٰ ٱلنَّبي ﷺ يُتِمُّهُ لهُ كمَا هوَ ، ولٰكنَّ بيتَ ٱبنِ ٱلفارضِ أَفخمُ ، وأَملأُ للفمِ ، وأَرقُّ دِيباجةً ،

(١) لَعَمَمْنَها : أَيْ هِمَّتُكَ وعزمُكَ وسمةُ صدرِكَ .

رفع المسهم

وألطفُ حاشيةً ، وأجملُ سَبْكاً ، ولاسِيَّما مِنْ شطرِ بيتِ البوصيريِّ الأخيرِ ، علىٰ أنَّ (أل) في المفردِ مِنْ صيغِ العمومِ ، فيساوي بيتَ البوصيريِّ حينئذٍ في المعنىٰ ، ويبقىٰ لهُ التَّفرُّدُ بفصاحةِ الألفاظِ ، وهيَ التي لاَ تتفاوتُ الدَّرجاتُ وتتمايزُ المقاديرُ إلاَّ بهَا .

المعاني موجودة حتى عند العامة ولكن الفضل في نظمها

أمَّا المعانِي : فقد تجدُ في كلامِ العامَّةِ ما لا تجدُ مثلَهُ منها في أشعارِ الفحولِ ؛ ولهٰذا قالَ أبو تمَّامٍ : لمّا نظمتُ قصيدتِي المستهلَّةَ بقولِي [في « ديوانهِ » ١/١٤٨ ـ ١٤٩ مِنَ الطَّويلِ] : (عَلَىٰ مِثْلِهَا مِنْ أَرْبُعٍ وَمَلاعِبِ) ، ووصلتُ إلىٰ قولي منها :

يَرَىٰ أَقْبَحَ الأَشْيَاءِ أَوْبَةَ آمِلٍ كَسَتْهُ يَدُ الْمَأْمُوْلِ حُلَّةَ خَائِبِ

(وَأَحْسَنُ مِنْ نَوْرٍ يُفَتِّحُهُ الصَّبَا) . . تبلَّدْتُ ولمْ أقدرْ علىٰ شيءٍ ، حتَّىٰ قامَ سائلٌ بالبابِ يقول : مِنْ بياضِ عطاياكُم في سوادِ مطالبِنَا ، فأتممتُ البيت هٰكذا : (بَيَاضُ الْعَطَايَا فِيْ سَوَادِ الْمَطَالِبِ) .

علىٰ أنَّ الشَّيخَ ابنَ الفارضِ لمّا فُتِحَ عليهِ بالبيتِ المذكورِ . . رقصَ طويلاً ، وتواجدَ وجداً عظيماً ، وتحدَّرَ منهُ عرقٌ كثيرٌ ، حتَّىٰ سالَ تحتَ قدميهِ ، وخرَّ إلىٰ الأرضِ ، واضطربَ كما يضطربُ العصفورُ ، قالَ ولدهُ : ثمَّ سكنَ حالُهُ ، وسجدَ للهِ تعالىٰ ، وقالَ : فُتِحَ عليَّ بمعنىً لَمْ يفتحْ عليَّ بمثلهِ ، وأنشدَ البيتَ . . . هٰذا ما قلتهُ بمعناهُ إنْ تعذَّرَ لفظهُ .

اعتراض بعض الحاضرين على المؤلف ورد المؤلف عليه

وفي المجلسِ بعضُ مَنْ يدَّعِي العلمَ فأعادَ بعضَ كلامِي عَنْ بيتِ البوصيريِّ بعبارةٍ عاميَّةٍ مُبْتَذَلَةٍ ، وقضىٰ لهُ ، وقالَ : كيفَ لا يكونُ أبلغَ مِنْ بيتِ ابنِ الفارضِ ، وقد أملاهُ عليهِ سيِّدُ البشرِ؟! قلتُ لهُ : ذلكَ أدنىٰ لتفضيلِ بيتِ ابنِ الفارضِ عليهِ ؛ فاللهُ جلَّ ثناؤهُ يقولُ :

رفع المسهم

﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يس : ٦٩] .

ومِنْ هُنا نجدُ في ٱلقسمِ الثَّاني الَّذي ذكرَ أَنَّهُ أَملاهُ عليه السَّلامُ ضعفاً يزيدُنا إيماناً وطمأنينةً بصدقِ رسالتهِ ، وحقيقةِ وحيهِ ، فأنقطعَ الرَّجلُ عَنِ ٱلحجَّةِ غيرَ أَنَّهُ لجَّ في ٱلمكابرةِ ، وأَبىٰ لهُ أَصحابهُ إلاَّ ٱلغَلَبَ ، وإلىٰ النَّاظرينَ ٱلحُكمَ فيما شجرَ ، ويرحمُ اللهُ مَنْ نظرَ بعينِ ٱلمَعْدَلَةِ ، وتكلَّمَ بلسانِ ٱلإنصافِ .

ثمَّ ذكرتُ : أَنَّ ٱلأَخطلَ كما في « معاهدِ ٱلتنصيصِ » يقولُ [منَ الطَّويلِ] :

رَأَيْنَا بَيَاضاً فِي سَوَادٍ كَأَنَّهُ بَيَاضُ ٱلْعَطَايَا فِي سَوَادِ ٱلْمَطَالِبِ

فغلبَ علىٰ ٱلظَّنِّ أَنَّ ٱلطَّائيَّ[1] إنَّما أنتحلَ حديثَ ٱلسَّائلِ ليواريَ مِنْ سوأَتِهِ ، ويُعَفِّيَ علىٰ سرقتِهِ .

واللهُ أَعلمُ

* * *

(١) هو الشاعرُ ٱلمعروفُ ، أبو تمام ، حبيبُ بنُ أَوسٍ ٱلطَّائيُّ .

رفع المسهم

[قالَ أَبو الطَّيبِ المتنبي في « ٱلعُكبَريِّ » ٤/ ٢٩ مِنَ ٱلكاملِ] :

لَمْ تَجْمَعِ ٱلأَضْدَادَ فِيْ مُتَشَابِهٍ إلاَّ لِتَجْعَلَنِيْ لِغُرْمِيَ مَغْنَمَا

تشبيه المتنبي ما يلزم من العشق بالدَّين

يقولُ : إنَّ مَا لزمهُ مِنْ عشقِ ٱلحبيبةِ بمثابةِ الدَّينِ الثَّابتِ ، وهيَ لم تجمعِ ٱلأَوصافَ الضِّدِّيةَ في شخصِها ٱلمتمثِّلِ حُسْناً إلاَّ لتجعلني غنيمةً للمغرمِ الَّذي لزمني مِنْ هواها .

شرح البيت

قالَ الشَّارحُ : أَي لتستعبدَني وترتهنَ قلبي ، وأَقولُ : إنَّ ٱلأَولىٰ : لتقتُلَني إذا غلقَ رهنُ قلبي بما فيهِ ؛ لأَنَّهُ ٱلأَقربُ ٱلمتبادرُ مِنْ لفظِ ٱلبيتِ .

و(أَلْ) في ٱلأَضدادِ للعهدِ ٱلمذكورِ في ٱلبيتِ قبلهُ مِنَ ٱلهَيَفِ في ٱلقدِّ ، والضَّخامةِ في ٱلكفلِ ، والضِّياءِ في ٱلوجهِ ، والظَّلامِ في ٱلفرعِ .

معنى التشابه

والتَّشابهُ ؛ وهو : التَّساوي ، وقد يرادُ بهِ ٱلمؤدِّي للالتباسِ ، ومنهُ قولهُ تعالىٰ : ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة : ١١٨] ، وقولهُ جلَّ ذكرهُ عن بني إسرائيلَ : ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة : ٧٠] وقولهُ تقدَّستْ أَسماؤهُ : ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ [الأنعام : ٩٩] ، ويدخلُ في التَّشابهِ التَّشبيهُ ٱلمعكوسُ ، وهو : أَنْ يُشبَّهَ كلٌّ مِنَ الشَّيئينِ بالآخرِ ، كقولِ الصَّاحبِ [في « ديوانهِ » ١٧٦ مِنَ ٱلكاملِ] :

رَقَّ ٱلزُّجَاجُ وَرَاقَتِ ٱلْخَمْرُ فَتَشَابَهَا وَتَشَاكَلَ ٱلأَمْرُ
فَكَأَنَّمَا خَمْرٌ وَلاَ قَدَحٌ وَكَأَنَّمَا قَدَحٌ وَلاَ خَمْرُ

رفع المسهم

تناسب الأعضاء إلى بعضها هو معيار الحسن

والمرادُ منَ التَّشابهِ هنا ـ كما أسلفنا الإشارةَ إليهِ ـ : التَّساوي في الحُسنِ والجمالِ والتَّناسبُ فيهِ ؛ إذْ لكلِّ عضوٍ مِنَ الأعضاءِ جمالٌ يخصُّهُ حَسْبما هو مشروحٌ في مواضعهِ ، ولكنها لاَ تغلو قيمةُ ذلكَ الجمالِ في العضوِ إلاَّ إذا ناسبتْهُ الأعضاءُ بأسرِها ، وذلكَ هو الجمالُ المتناصفُ الممدوحُ ، بخلافِ المتفاوتِ ، فإنَّهُ مذمومٌ ؛ ولذا قالَ جلَّ شأنُهُ :

﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾ [الملك : ٣] .

ذكرني فوها حماري أهلي

ولقد ذُكِرَ عن بعضِ العربِ[1] : أنَّهُ خرجَ يمتارُ[2] لأهلهِ علىٰ حمارينِ ، فرأىٰ امرأةً مبرقعةً استهوتهُ بعينيها النَّجلاوينِ ، فتدلَّهَ ، وولَّهَهُ حسنُها ، حتَّىٰ انفلتَ عليهِ الحمارانِ مِنْ حيثُ لاَ يشعرُ ، فلمَّا سفرَتْ عن وجهها . . رآهَا فوهاءَ لاَ يتناسبُ سحرُ عينيها بسَعةِ فمِها ، فأفاقَ مِنْ غشيتهِ وانتبهَ مِنْ حيرتهِ ، وقالَ : ذكَّرني فُوها . . حمارَيْ أهلي ، وقالَ [مِنَ الكاملِ] :

لَيْتَ النِّقَابَ عَلَىٰ النِّسَاءِ مُحَرَّمٌ ... كَيْ لاَ تَغُرَّ قَبِيحَةٌ إِنْسَانَا

ولو كانتْ تلكَ السَّعةُ في غيرِ ذَلكَ الوجهِ المفرطِ الجمالِ . . لاحتُملتْ ، ولمْ تَشِنْهُ إلى تلكَ الغايةِ .

سعة الفم ممدوحة في الرجال لا النساء

وقد أشكلَ علىٰ بعضهم معابةُ سعةِ الفمِ ، معَ ما جاءَ في وصفهِ ﷺ بأنَّهُ كانَ واسعَ الفمِ ، يفتتحُ الكلامَ ويختتمهُ بأشداقهِ ، والجواب : أنَّ سعتَهُ مِنَ الرِّجالِ ممدوحةٌ ؛ لدلالتها علىٰ اللَّسَنِ

---

(١) الخبر في « مجمع الأمثال » (١/ ٢٧٥) .

(٢) يمتار : يشتري الطعام .

رفع المسهم

وجهارةِ الصَّوتِ ، بخلافِها في النِّساءِ ، فإنَّها مذمومةٌ ؛ لأنَّها تدُلُّ علىٰ سعةٍ أُخرىٰ لا تُحمدُ[1] .

الجمال يكون بسواد أربعة

ثـمَّ إنَّ جمـالَ ٱلمـرأةِ بسـوادِ أربعـةٍ ، هـي : شعـرُ الـرَّأسِ ، وٱلحاجبينِ ، وٱلأَشفارِ ، وٱلحَدَقتينِ .

وبياض أربعة

وبياضِ أربعةٍ ، هيَ : اللَّونُ ، وبياضُ ٱلعينينِ ، والثَّغْرِ ، والظُّفُرِ .

وحمرة أربعة

وحُمـرةِ أربعـةٍ ، هـيَ : ٱلـوجنتـانِ ، والشَّفتـانِ ، واللِّثَـةُ ، واللِّسانُ .

وكبر أربعة

وكِبَـرِ أربعـةٍ ، هـيَ : الثَّـديـانِ ، والـركبتـانِ ، والعجيـزةُ ، والرُّكَبُ .

وصغر أربعة

وصِغَرِ أربعةٍ ، هيَ : ٱلأُذُنانِ ، وٱليدانِ ، والرِّجْلانِ ، وٱلفمُ .

وسعة أربعة

وسعةِ أربعةٍ ، هيَ : ٱلجبينُ ، وٱلعينانِ ، والسُّرَّةُ ، وأُصولُ الثَّديينِ .

وضيق أربعة

وضيـقِ أربعـةٍ ، وهـيَ : ٱلمِنخـرانِ ، وٱلأُذُنـانِ ، وٱلخَصـرُ ، وٱلفرجُ .

ولكلِّ واحِدٍ ما يخصُّهُ مِنْ كلامِ ٱلعربِ ، ولا بدَّ مِنَ ٱلإلمامِ بهِ مجموعاً في غيرِ هٰذا ٱلمجلسِ .

المراد من حمرة الشفة

وليسَ ٱلمرادُ بحُمرةِ الشَّفَةِ حقيقةَ ٱلحمرةِ ، إنَّما ٱلمرادُ : السُّمرةُ ؛ لأنَّها ٱلمحمودةُ في الشِّفاهِ ، ويقالُ لها : اللَّعَسُ ، كما في قولِ النَّاظمِ [في « العُكبَريّ » ٢/ ١٨٧ مِنَ ٱلبسيطِ] :

---

(١) كبذاءة الألفاظ واستطالتها .

رفع المسهم

صَـرِيـعَ مُقْلَتِهَـا سَـأَلَ دِمْنَتِهَـا قَتِيلَ تَكْسِيرِ ذَاكَ ٱلْجَفْنِ وَٱللَّعَسِ[1]

وقالَ أُحيحةُ بنُ ٱلجلاَّحِ [مِنَ الوافرِ] :

وَلاَعَبَنِـيْ عَلَـىٰ ٱلأَنْمَـاطِ لُعْـسٌ عَلَـىٰ أَفْـوَاهِـهِـنَّ ٱلـزَّنْجَبِيْـلُ[2]

وقالَ ذو الرُّمَّةِ [في « ديوانهِ » ١/ ٣٢ مِنَ ٱلبسيطِ] :

لَمْيَـاءُ فِـيْ شَفَتَيْهَـا حُـوَّةٌ لَعَـسٌ وَفِيْ ٱللِّثَاتِ وَفِيْ أَنيَابِهَا شَنَبُ[3]

واللَّمىٰ والحُوَّةُ واللَّعَسُ شيءٌ واحدٌ ، وهو : الحمرةُ في الشفةِ .

الملاحة والخلاف فيها

وقالَ بعضُهم : إنَّ تساوي الأَعضاءِ وتشابهَها في ٱلجمالِ هو ٱلمَلاحةُ .

وقالَ آخرونَ : إنَّما ٱلمَلاحةُ أَثرُ ذَلكَ التَّناسبِ لاَ نفسُهُ ، فهيَ فيهِ : إمَّا حقيقةٌ ، وإمَّا مجازٌ .

ويتحصَّلُ منه : أَنَّ كلَّ مليحٍ جميلٌ ، ولا عكسَ .

الفرق بين المليح والجميل والخلاف فيه

وقيلَ : إنَّ الجميلَ الذي يأْخذُ بِبصركَ علىٰ البعدِ ، والمليحَ : الذي يأْخذُ بقلبكَ علىٰ القربِ .

وقيلَ : إنَّ الجميلةَ التي تعجبكَ بعيدةً ، فإذا دنتْ . . لمْ تكن عندَ ذاكَ ، والمليحةَ : التي تأْخذُ بمجامعِ القلوبِ علىٰ الحالينِ ، وفي القربِ أكثرُ .

---

(١) الدِمنَةُ : آثار الديار .

(٢) الأنماط ـ جمع نَمط ـ : وهو ضربٌ مِنَ البُسُطِ ، لهُ خملٌ رقيقٌ .

(٣) الشَّنبُ : هو بردٌ وعذوبةٌ في الأسنانِ ، وقيل : تحديدُ الأنيابِ ودقَّتُها ، والأَوَّلُ أَجودُ .

رفع المسهم

مواضع الحُسن

وقال قومٌ : ٱلحسنُ في ٱلوجهِ صَباحةٌ ، وفي ٱلبشرةِ وَضاءَةٌ ، وفي ٱلأنفِ جمالٌ ، وفي ٱلعينينِ حلاوةٌ ، وفي ٱلفمِ مَلاحةٌ ، وفي ٱللِّسانِ ظَرَفٌ ، وفي ٱلقدِّ رَشاقةٌ ، وفي ٱلشَّمائلِ لباقةٌ .

وقد يتوسَّعونَ في إطلاقِ بعضِها علىٰ بعضٍ .

الجمال عند العرب

وقال آخرون : ٱلجمالُ عندَ ٱلعربِ في ٱعتدالِ ٱلقامةِ ، وطولِ ٱلجيدِ ، وبروزِ ٱلنَّهدِ ، وذبولِ ٱلعيونِ ٱلسُّودِ ، وٱحمرارِ ٱلخدودِ ، وأبيضاضِ ٱلصُّدورِ ، وثِقَلِ ٱلرَّوادفِ ، ونحولِ ٱلخصورِ .

الحُسن عند علي بن عبيد

وقالَ عليُّ بنُ عبيدٍ ٱلرَّيحانيُّ : ٱلحُسنُ تناسبُ ٱلصُّورةِ ، وزينتُهُ ٱعتدالُ ٱلحركةِ ، ثُمَّ ما لا يُحسِنُ ٱللِّسانُ ٱلتَّرجمةَ عنهُ مِنْ خفَّةِ ٱلرُّوحِ وٱلقَبولِ ، وبمقدارِ هٰذا يتمكَّنُ مِنَ ٱلقلوبِ ، ويستحكمُ سلطانُ ٱلهوىٰ علىٰ ٱلعقولِ ، وأحسنُهُ ما لَمْ يُجلَبْ بتزيينٍ وتضييقٍ ، وتحليةٍ وتزويقٍ ؛ ولهٰذا قالَ ٱلناظمُ [في « ٱلعُكبَريّ » ١/١٦٨ مِنَ ٱلبسيطِ] :

الحسن عند المتنبي

حُسْنُ ٱلْحَضَارَةِ مَجْلُوبٌ بِتَطْرِيَةٍ ... وَفِي ٱلْبَدَاوَةِ حُسْنٌ غَيْرُ مَجْلُوبِ

وقالَ [في « ٱلعُكبَريّ » ١/١١١ مِنَ ٱلبسيط] :

هَامَ ٱلْفُؤَادُ بِأَعْرَابِيَّةٍ سَكَنَتْ ... بَيْتاً مِنَ ٱلْقَلْبِ لَمْ تَمْدُدْ لَهُ طُنُبَا[1]

وقالَ [في « ٱلعُكبَريّ » ١/٣٢٩ مِنَ ٱلكامل] :

عَدَوِيَّةٌ بَدَوِيَّةٌ مِنْ دُونِهَا ... سَلْبُ ٱلنُّفُوسِ وَنَارُ حَرْبٍ تُوقَدُ

وقالَ [في « ٱلعُكبَريّ » ٣/٣٠٠-٣٠١ مِنَ ٱلكامل] :

ٱلْحُسْنُ يَرْحَلُ كُلَّمَا رَحَلُوا ... مَعَهُمْ وَيَنْزِلُ حَيْثُمَا نَزَلُوا

---

(١) الطنبُ : الحبلُ الذي تشدُّ بهِ الخيمةُ .

رفع المسهم

فِـي مُقْلَتَـيْ رَشَـأ تُـدِيـرُهُمَـا بَـدَوِيَّـةٌ فُتِنَـتْ بِهَـا ٱلْحُلَـلُ[1]

أروع وصف لامرأة هو ما تصف به عصام امرأة من كندة للحارث بن عمرو

ولمَّا أَرسلَ ٱلحارثُ بنُ عَمرٍو ـ مَلِكُ (كِندةَ) ـ ٱمرأَةً مِنْ قومِهِ ؛ لِتَخبُرَ لَهُ جمالَ ٱبنةِ عوفِ بنِ محلِّمٍ الشَّيبانيِّ ولَباقتَها . . رجعَتْ إليهِ ، فقالَ : ما وراءَكِ يا عصامُ ؟ ـ فذهَبتْ مثلاً ـ فقالَتْ : صرَّحَ المَخْضُ عَنِ الزَّبدِ ، رأَيتُ جبهةً كٱلمِرآةِ ٱلمصقولةِ ، يزيِّنُها شَعْرٌ حالكٌ ، إنْ أَرسلتَهُ . . خِلْتَهُ السلاسلَ ، وإنْ مَشَطَتْهُ . . قلتَ : العناقيدُ جَلاَّها الوابلُ[2] ، وحاجبينِ كأَنَّما خُطَّا بٱلقلمِ الأَسودِ ، تَقَوَّسَا علىٰ مثلِ عيونِ الظبيةِ ، بينَهُما أَنفٌ في حدِّ السيفِ ، حُفَّتْ بهِ وجْناتٌ كٱلأُرجوانِ[3] ، في وجهٍ كٱلبدرِ ، شُقَّ فيهِ فمٌ كٱلخاتَمِ ، لذيذُ المبسمِ ، فيهِ ٱلثَّنايا الغرُّ ، يزيِّنُها الأَشْرُ[4] ، تَقَلَّبَ فيهِ لسانٌ ذو فصاحةٍ وبيانٍ ، بعقلٍ وافرٍ ، وجوابٍ حاضرٍ ، تلتقي فيهِ شفتانِ حمراوانِ ، تتحلَّبانِ ريقاً كٱلشَّهدِ ، في جيدٍ كإبريقِ ٱلفضَّةِ ، رُكِّبَتْ فوقَ صدرٍ كأَنَّهُ تمثالُ دميةٍ ، وعضُدَينِ مدمَّجينِ ، يتَّصلُ بهما ذراعان ، ليسَ فيهما عظمٌ يُمَسُّ ، ولا عِرْقٌ يُجَسُّ ، رُكِّبَتْ فيهما كفَّانِ ، دقيقٌ قَصَبُهُما ، ليِّنٌ عَصَبُهُما ، تكادُ تُعقَدُ منهُما ٱلأَناملُ ، في ذلكَ الصَّدرِ ثديانِ كالرُّمَّانتينِ يخرقانِ عليها ثيابَها ، تحتَ ذلكَ بطنٌ طُوِيَ طيَّ ٱلقباطيِ ٱلمدمَّجةِ[5] ، يتكسَّرُ عُكَناً[6] كالقراطيسِ

---

(١) الرشأ : ولدُ الظبيةِ الصغيرُ . الحُلَلُ ـ جمعُ حُلَّةٍ ـ : وهيَ القومُ المجتمونَ في بيوتٍ مجتمعةٍ للنزولِ .

(٢) جلاَّها ٱلوابلُ : بلَّلها ٱلمطرُ .

(٣) الأُرجوانُ : شجرٌ له زهرٌ شديد الحمرة ، حسنُ المنظرِ ، ليست له رائحةٌ .

(٤) الأَشْرُ : هوَ تحزيزُ الأَسنانِ .

(٥) القباطي المدمجة : ثيابٌ من كتّانٍ منسوبةٍ إلى القبط .

(٦) العُكَنُ : ما ٱنطوىٰ وتثنَّىٰ مِنْ لَحمِ البطنِ سِمناً .

رفع المسهم

المدرجةِ ، تحيطُ بها سرَّةٌ كالمُدْهُنِ[1] المجلوِّ ، خلفَ ذلكَ ظهرٌ فيهِ مثلُ الجدولِ ، ينتهي إلىٰ خصرٍ لولا رحمةُ اللهِ . . لانْبَتَرَ ، لها كَفَلٌ يُقعِدُها إذا نهضَتْ ، ويُنهضُها إذا قعدَتْ ، كأَنَّهُ دِعْصُ الرَّملِ[2] لَبَّدَهُ سَقيطُ ٱلطلِّ[3] ، يَحمِلُهُ فَخِذانِ كأَنَّما قُلِبا علىٰ نَضِيدِ جُمانٍ[4] ، تحتَها ساقانِ خَدْلَتَانِ[5] ، يحمِلْنَ قدمينِ كحذوِ اللِّسانِ ، فتبارَكَ اللهُ معَ صغرِهما كيفَ يطيقانِ حملَ ما فوقَهما[6] .

---

(١) المُدْهُنُ : آلةُ الدُّهنِ .

(٢) دِعصُ الرَّملِ : كثيبه المجتمع .

(٣) لبَّدهُ سقيطُ الطَّلِّ : لزَّق بعضه ببعضٍ هطولُ المطرِ .

(٤) نضيدُ ٱلجمانِ : اللؤلؤُ في سلكِهِ .

(٥) خَدلَتَانِ : ممتلئتان .

(٦) وعلىٰ عادةِ كتبِ الأدبِ التي تُعنى بالاستطرادِ والانتقالِ من زهرةٍ إلىٰ زهرةٍ ، نُتِمُّ القِصَّةَ للفائدةِ التي وردَت فيها ، وتمامُها :

أنَّ الملكَ أرسلَ إلىٰ أبيها فخطبَها ، فزوَّجَه إيَّاها ، وبعثَ بصداقِها فجُهِّزَتْ ، فلمَّا أرادوا أن يحملوها إلىٰ زوجِها . . قالَتْ لَها أُمُّها :

(أَيْ بُنَيَّةُ : إنَّ الوصيَّةَ لو تُرِكَت لفضلِ أدبٍ . . تُرِكَتْ لذلكَ مِنْكِ ، ولكنَّها تذكرةٌ للغافلِ ، ومعونةٌ للعاقلِ ، ولو أنَّ امرأةً استغنتْ عَنِ الزوجِ لِغِنَىٰ أبويها وشدَّةِ حاجتِهما إليها . . كنتِ أغنىٰ الناسِ عنهُ ، ولكنَّ النساءَ للرجالِ خُلِقنَ ، ولهُنَّ خلقَ الرجالُ .

أَيْ بنيَّةُ : إنَّكِ فارقتِ الحُجْرَ الذي منهُ خرجتِ ، وخلَّفتِ العشَّ الذي فيهِ دَرَجْتِ ، إلىٰ وَكرٍ لَم تعرفيهِ ، وقرينٍ لَم تألفيهِ ، فأصبحَ بمِلْكِهِ عليك رقيباً ومليكاً ، فكوني لهُ أَمَةً . . يَكُنْ لكِ عَبداً .

يا بنيَّةُ : أحملي عنِّي عشرةَ خصالٍ تَكُنْ لكِ ذُخراً وَذِكراً :

الصحبةُ بالقناعةِ ، والمعاشرَةُ بحسنِ السمعِ والطاعةِ ، والتعهُّدُ لموقعِ عينِهِ ، والتفقُّدُ لموضعِ أنفِهِ ، فلا تقعُ عينُهُ منكِ علىٰ قبيحٍ ، ولاَ يشمُّ منكِ إلاَّ أطيبَ ريحٍ ـ والكحلُ أحسنُ الحسنِ ، والماءُ أطيبُ الطيبِ المفقودِ ـ والتعهُّدُ =

رفع المسهم

عـزّة الميـلاء تخطـب وتصف

وحكىٰ أَبو الفرجِ الأَصفهانيُّ [كما في « الأغاني » ١١/١٨٢] : أَنَّ مُصْعَبَ بنَ الزُّبيرِ لمَّا عزمَ علىٰ زواجِ عائشةَ بنتِ طلحةَ . . جاءَ هوَ وعبدُ اللهِ بنُ عبدِ الرحمٰنِ ٱبنِ أَبي بكرِ الصدِّيقِ ، وسعيدُ بنُ العاصِ إلىٰ عزَّةَ الميلاءِ ـ وكانتْ مِنْ أَظرفِ الناسِ وأَعلمِهم بأُمورِ النِّساءِ ، وكانَتْ تألفُها ٱلأَشرافُ ـ فقالوا لها : إنَّا خَطبْنا فٱنظري لنا ، فقالَتْ لمصعبٍ : يا ٱبنَ أَبي عبدِ اللهِ ومَنْ خطبْتَ ؟ قالَ : عائشةَ بنتَ طلحةَ ، قالتْ : فأَنتَ يا ٱبنَ أُحيحةَ ؟ قالَ : عائشةَ بنتَ عثمانَ ، قالَتْ : فأَنْتَ يا ٱبنَ الصدِّيقِ ؟ قالَ : أُمَّ الهيثمِ بنتَ زكريَّا بنِ طلحةَ ، فقالَتْ : يا جاريةُ ، هاتي مِنْقَلَيَّ ـ تعني : خُفَّيها ـ فلبستْهُما ، وخرجَتْ ، ومعها خادمٌ لها ، فبدأَتْ بعائشةَ بنتِ

= لوقتِ طعامِهِ ، والهدوءِ عنهُ عندَ منامِهِ ؛ فإنَّ حرارةَ الجوعِ مَلْهَبَةٌ ، وتَنغيصَ النومِ مَبْغَضَةٌ ، والاحتفاظُ ببيتِهِ ومالِهِ ، والإرعاءُ علىٰ نفسِهِ وحشَمِهِ وعيالِهِ ، فإنَّ الاحتفاظَ بالمالِ حسنُ التقديرِ ، والإرعاءَ علىٰ العيالِ والحشَمِ جميلُ حسنِ التدبيرِ ، وَلاَ تُفشِيْ لهُ سرّاً ، ولاَ تعصي لهُ أَمراً ؛ فإنَّكِ إنْ أَفشيتِ سرَّهُ . . لَم تأْمني غدرَهُ ، وإنْ عصيتِ أَمرهُ . . أَوغرتِ صدرَهُ .

ثمَّ ٱتَّقي معَ ذلكَ الفرحَ إنْ كَانَ تَرِحاً ، والاكتئابَ عندَهُ إنْ كانَ فَرِحاً ؛ فإنَّ الخصلةَ الأُولىٰ مِنَ التقصيرِ ، والثانيَةَ مِنَ التكديرِ ، وَكوني أَشَدَّ ما تكونينَ لهُ إعظاماً . .يَكُنْ أَشدَّ ما يكونُ لكِ إكراماً ، وأَشدَّ ما تكونينَ لهُ موافَقَةً . . يَكُنْ أَطوَلَ ما تكونينَ لهُ مرافِقَةً ، وٱعلمي أَنَّكِ لا تصلينَ إلىٰ ما تحبِّينَ حتَّىٰ تُؤثِري رضاهُ علىٰ رضاكِ ، وهواهُ علىٰ هواكِ فيما أَحببتِ وكَرهتِ ، وٱللهُ يخيرُ لكِ) .

فحُمِلتْ إليهِ ، فسُلِّمَتْ إليهِ ، فَعَظُمَ موقعُها منهُ ، وَوَلَدَتْ لهُ الملوكَ السبعةَ الذينَ ملَكوا بعدَهُ (اليمنَ) .

والقصةُ في « جمهرةِ خطبِ العربِ » (١/١٤٢) و« مجمعِ الأَمثالِ » (٢/٢٦٣) .

رفع المسهم

طلحةَ ، فقالَتْ : فديتُكِ ، كنّا في مأدُبةٍ ـ أو مأتمٍ ـ لقريشٍ ، فتذاكروا جَمالَ النساءِ ، فذكرتُكِ فلَمْ أدرِ كيفَ أصفُكِ ، فديتُكِ ، فألقي ثيابَكِ ، ففعلَتْ ، وأقبلَتْ وأدبرَتْ ، فارتجَّ منها كلُّ شيءٍ ، فقالَتْ لها عزَّةُ : خذي ثوبَكِ ، فقالَتْ : قد قضيْتِ حاجتَكِ ، وبقيَتْ حاجتي ، قالَتْ عزَّةُ : وما هي فديتُكِ ؟ قالَتْ : تغنّيني صوتاً ، فاندفعت تغنّي لَحْنَها لجميلِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ معمَرٍ العذريِّ [في « ديوانهِ » ١٧١ـ١٧٢ من الطويل] :

خَلِيلَيَّ عُوجَا بِٱلْمَحَلَّةِ مِنْ جُمْلِ ... وَأَتْرَابِهَا بَيْنَ ٱلْأُصَيْفِرِ وَٱلْحَبْلِ[1]

نَقِفْ بِمَغَانٍ قَدْ مَحَا رَسْمَهَا ٱلْبِلَىٰ ... تَعَاقُبُهَا ٱلْأَيَّامُ بِٱلرِّيحِ وَٱلْوَبْلِ

فَلَوْ دَرَجَ ٱلنَّمْلُ ٱلصِّغَارُ بِجِلْدِهَا ... لأَنْدَبَ أَعْلَىٰ جِلْدِهَا مَدْرَجُ ٱلنَّمْلِ[2]

وَأَحْسَنُ خَلْقِ ٱللهِ جِيداً وَمُقْلَةً ... تُشَبَّهُ فِيْ ٱلنِّسْوَانِ بِٱلشَّادِنِ ٱلطَّفْلِ[3]

فقبَّلتْ عائشةُ ما بينَ عينيها ، ودعَتْ لها بأثوابٍ وطرائفَ مِنَ ٱلفضَّةِ ، فدفعتْهُ إلىٰ مولاتِها ، وأتَتِ ٱلنسوةَ علىٰ مثلِ ذلكَ تقولُ لَهنَّ ، ثُمَّ عادَتْ إلىٰ القومِ ، فقالوا : ما صنعْتِ ؟ فقالَتْ : يا أبنَ أبي عبدِ اللهِ ، أمّا عائشةُ ـ فلا واللهِ ـ ما رأيْتُ مثلَها مُقْبِلةً ، ولا مُدْبِرةً ، محطوطةَ المتنينِ ، عظيمةَ العجيزةِ ، ممتلئةَ الترائبِ ، نقيَّةَ الثغرِ وصفحةِ الوجهِ ، فرعاءَ الشعَرِ ، ممتلئةَ الصدرِ ، خميصةَ البطنِ ، ذاتَ عُكَنٍ ، ضخمةَ السرَّةِ ، مسرولةَ الساقِ ، يرتجُّ ما بينَ أعلاها إلىٰ قدميها ، وفيها عيبانِ ، يواري أحدَهُما الخمارُ ، ويسترُ

---

(١) الأُصيفرُ ـ لعلَّهُ تصغيرُ أصفرٍ ـ : وهوَ موضعٌ . الحبلُ : الرملُ المستطيلُ .

(٢) أندبَ : تركَ ندوباً ، أي آثارَ جراحٍ .

(٣) الشادنُ : ولدُ الظبيةِ . الطَّفلُ : الناعمُ .

ثانيهما الخفُّ ؛ كبرُ الأُذنِ والقدمِ ، وكانَتْ عائشةُ بنتُ طلحةَ كذلكَ .

وأَمَّا أَنتَ يا ابنَ أُحيحةَ : فإِنِّي ـ واللهِ ـ ما رأَيتُ مثلَ خَلْقِ عائشةَ بنتِ عثمانَ لامرأةٍ قطُّ ، ليسَ فيها عيبٌ ، ولكأَنَّما أُفرغَتْ إفراغاً ، إلاَّ أَنَّ في الوجهِ ردَّةً[1] ، وإِنْ استشرتَني . . أَشرْتُ عليكَ ، قالَ : هاتِ ، قالَتْ : عليكَ بوجهٍ تستأَنسُ بهِ .

وأَمَّا أَنتَ يا ابنَ الصدِّيقِ ـ فواللهِ ـ ما رأيتُ مثلَ أُمِّ الهيثمِ ، كأَنَّها خُوطُ بانةٍ[2] تتثنَّىٰ ، أَو كأَنَّها خَشْفٌ[3] ينسابُ علىٰ الرملِ ، لو شئتَ أَنْ تَعقِدَ أَطرافَها . . لفعلتَ ، ولكنَّها شَخْتةٌ[4] الصدرِ ، وأَنتَ عريضُ الصدرِ ، فإذا كانَ كذلكَ . . كانَ قبيحاً ، لا ـ واللهِ ـ حَتَّىٰ يملأَ كلُّ شيءٍ مثلَهُ ، قالَ : فوصلَها الرجالُ والنساءُ ، وتزوجُوهنَّ .

تشكك المؤلف في القصة

وأَقولُ : إنَّ عندي في القصَّةِ نظراً ؛ لأَنَّ أَبا الفرجِ نفسَهُ روىٰ [في «الأغاني» ١١/١٨٦] : أَنَّ عائشةَ بنتَ طلحةَ لمْ تتزوَّجْ مصعباً إلاَّ بعدَ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ الرحمٰنِ ابنِ أَبي بكرٍ ، وأَنَّهُ[5] ماتَ وهيَ عندَهُ ، اللَّهمَّ إلاَّ أَنْ يكونَ مصعبٌ خطبَها قبلَ ذلكَ فتزوَّجت بعبدِ اللهِ وتركتْهُ .

---

(١) وجهٌ رديدٌ : فيه قبحٌ .

(٢) خوطُ بانةٍ : الخوطُ هو الغصن الناعم ، والبان : شجر معروف ، واحدهُ بانةٌ ، وامرأةٌ خُوطُ بانيَّةٌ : مشبهةٌ بالخوط .

(٣) الخَشْفُ : الظبيُ ساعةَ ولادتهِ .

(٤) الشَّختةُ : نحيفةُ الجسمِ ، دقيقتُهُ .

(٥) أَي : عبدُ اللهِ .

رفع المسهم

وكيفما كانَ . . فالقصَّةُ لا تلتئمُ ، والاستطرادُ لا يَحتاجُ إلىٰ إمعانِ النظرِ ، ومعاودةِ البحثِ .

والبيتُ الذي نتكلَّمُ فيهِ لا يبعدُ عَنْ قولِ امرىءِ القيسِ [في « ديوانهِ » ١٤٨ مِنَ الطَّويلِ] :

فَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكِ إلاَّ لِتَضْرِبِيْ بِسَهْمَيْكِ فِيْ أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ[1]

* * *

(١) أعشارُ القلبِ : أجزاؤهُ .

رفع المسهم

[قالَ أَبو الطَّيِّبِ المتنبِّي في « العُكبَريِّ » ٤/ ٢٩ من الكامل] :

كَصِفَاتِ مَوْلاَنَا أَبِيْ ٱلْفَضْلِ ٱلَّتِيْ بَهَرَتْ فَأَنْطَقَ وَاصِفِيْهِ وَأَفْحَمَا[1]

جمع الأضداد في الصفات يستهوي المتنبي

(بَهَرَ) : غلبَ ، ومنه : الشمسُ تبهَرُ النجومَ ، يقولُ : إنَّ حبيبَتَهُ ٱستبَتْهُ بما جمعَتْ مِنْ تناسُبِ الأَضدادِ في جَمَالها ، وكذلكَ مولاهُ أَبو ٱلفضلِ ٱستهواهُ بما جَمَعَ منها في الشَّرفِ ؛ فقد كانَ حُلْواً للأَولياءِ، مُرّاً للأَعداءِ، هَشّاً للضُّيوفِ، عَبُوساً إذا ٱشتجرَتِ السُّيوفُ[2]، وممَّا يُشبِهُ ذلكَ ما ذَكَرَهُ في مثلِ قولِهِ [في « العُكبَريِّ » ٤/ ٧٨ مِنَ ٱلوافرِ] :

نُصَـرِّعُهُـمْ بِـأَعْيُنِنَـا حَيَـاءً وَتَنْبُوْ عَنْ وُجُوْهِهِمُ ٱلسِّهَامُ[3]

وقولِهِ [في « العُكبَريِّ » ٤/ ١١٦ مِنَ الطَّويلِ] :

حَيِيُّوْنَ إِلاَّ أَنَّهُـمْ فِـيْ نِـزَالِهِـمْ أَقَلُّ حَيَاءً مِنْ شِفَارِ ٱلصَّوَارِمِ

وقولِهِ [في « العُكبَريِّ » ٢/ ١٨٩ مِنَ ٱلبسيطِ] :

دَانٍ بَعِيْـدٍ مُحِـبٌّ مُبْغِـضٍ بَهِـجٍ أَغَـرَّ حُلْـوٍ مُمِـرٍّ لَيِّـنٍ شَـرِسِ

وقولِهِ [في « العُكبَريِّ » ٣/ ٢٠١ مِنَ ٱلخفيفِ] :

أَنْتَ طَوْراً أَمَرُّ مِنْ نَاقِعِ ٱلسُّـ ـمِّ وَطَوْراً أَحْلَىٰ مِنَ ٱلسَّلْسَالِ[4]

---

(١) في « العكبري » : (أَوْحَدِنَا) بدل (مَوْلاَنَا) .

(٢) اشتجرتِ السيوفُ : تداخلت وقتَ الطِّعانِ .

(٣) نُصرِّعُهم : يريدُ : صرعناهُم ؛ أي : قَدرنا عليهم . تنبو : ترتفعُ ولا تصيب .

(٤) السَّلسَالُ : الماءُ العذبُ الذي يتسلسلُ في الحلقِ .

رفع المسهم

وقولِهِ [في « المُكبَريّ » ١/ ١١٥ مِنَ البسيطِ] :

تَحْلُـوْ مَـذَاقَتُـهُ حَتَّـىٰ إذَا غَضِبَـا حَالَتْ فَلَوْ قَطَرَتْ فِيْ البَحْرِ مَا شُرِبَا[1]

وقولِهِ [في « المُكبَريّ » ١/ ١٤٢ مِنَ الوافرِ] :

قَسَـا فَـالأُسْـدُ تَفْـزَعُ مِـنْ قُـوَاهُ وَرَقَّ فَنَحْـنُ نَخْشَـىٰ أَنْ يَـذُوْبَـا

وقولِهِ [في « المُكبَريّ » ٤/ ٥٥ مِنَ الطَّويلِ] :

لَـهُ رَحْمَـةٌ تُحْـيِ الْعِظَـامَ وَغَضْبَـةٌ بِهَا فَضْلَةٌ لِلْجُرْمِ عَنْ صَاحِبِ الْجُرْمِ

وقولِهِ [في « المُكبَريّ » ١/ ٢٥ مِنَ الكاملِ] :

مُتَفَرِّقُ الطَّعْمَيْنِ مُجْتَمِعُ الْقُوَىٰ فَكَـأَنَّـهُ السَّـرَّاءُ وَالضَّـرَّاءُ

الشعراء وجمع الأضداد

فالمعنىٰ متكرِّرٌ عندهُ ، وهو عندَ غيرِهِ أكثرُ ، قالَ لبيدٌ [في « ديوانِهِ » ١٩٧ مِنَ الرَّمَلِ] :

مُنْقِـرٌ مُـرٌّ عَلَـىٰ أَعْـدَائِـهِ وَعَلَىٰ الأَدْنَيْنَ حُلْوٌ كَالْعَسَلْ[2]

وقالَ النابغةُ الجعديُّ [في « ديوانِهِ » ١٨٨ مِنَ الطَّويلِ] :

فَتىً تَـمَّ فِيْـهِ مَـا يَسُـرُّ صَـدِيْقَـهُ عَلَىٰ أَنَّ فِيْهِ مَا يَسُوْءُ الأَعَادِيَا

وقالَ المرارُ الفقعسيُّ [مِنَ الطَّويلِ] :

فَإِنِّي إِذَا احْلَوْلَيْتُ حُلْوٌ مَذَاقَتِيْ وَمُرٌّ إِذَا مَا رَامَ ذُوْ إِحْنَةٍ هَضْمِيْ[3]

---

(١) البحرُ : المكانُ الواسع ، ومنه سمي البحر بحراً ، وأراد بالبحر هنا العذبَ منه ؛ لقوله تعالى : ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ [الرحمٰن : ١٩] ؛ يريد الملح والعذب ، وأهل (مصر) يسمون النيل بحراً .

(٢) أمقرَ الشيءُ فهو مُمْقِرٌ إذا كانَ مُرّاً ؛ أي : شديدٌ على أعدائِهِ ، رحيمٌ عطوفٌ على أقاربِهِ .

(٣) أَحِنَ عليه : حقد عليه .

رفع المسهم

وقالَ قيسُ بنُ ٱلخطيمِ [في « ديوانهِ » ١٠٨ مِنَ الطَّويلِ] :

أُمِرُّ عَلَىٰ ٱلْبَاغِيْ وَيَغْلُظُ جَانِبِيْ ... وَذُوْ ٱلْقَصْدِ أَحْلَوْلِيْ لَهُ وَأَلِيْنُ[1]

وفي سيرةِ ٱبنِ الخطَّابِ ـ رضوانُ اللهِ عليهِ ـ أَنَّهُ كانَ يقولُ : لانَ قلبي حتَّىٰ هو أَلينُ مِنَ الزُّبْدِ ، وخَشُنَ حتَّىٰ لَهُوَ أَشدُّ مِنَ ٱلحجارةِ .

وقالَ أَبو تمَّامٍ [في « ديوانهِ » ١/ ٢١٢ مِنَ ٱلخفيفِ] :

قَدْ بَثَثْتُمْ غَرْسَ ٱلْمَوَدَّةِ وَٱلشَّحْـ ... ـنَاءِ فِيْ قَلْبِ كُلِّ قَارٍ وَبَادِيْ[2]

أَبْغَضُوْا عِزَّكُمْ وَوَدُّوْا نَدَاكُمْ ... فَقِرَاكُمْ مِنْ بِغْضَةٍ وَوِدَادِ

لاَ عَدِمْتُمْ غَرِيْبَ مَجْدٍ رَبَقْتُمْ ... فِيْ عُرَاهُ نَوَافِرَ ٱلأَضْدَادِ[3]

وقالَ أَبو نُوَاسٍ [مِنَ ٱلكاملِ] :

حَذَرَ ٱمْرِىءٍ نُصِرَتْ يَدَاهُ عَلَىٰ ٱلْعِدَا ... كَـٱلـدَّهْـرِ فيـهِ شَـرَاسَـةٌ وَلَيَـانُ

أبو تمام يتكلف تأليف بيت من الشعر

فذكرَ بعضُهُم : أَنَّهُ ٱستأذنَ علىٰ أَبي تمَّامٍ ، وكانَ لا يستترُ عنهُ ، فألفاهُ في بيتٍ مُصَهْرَجٍ[4] ، يتقلَّبُ شمالاً ويميناً في الماءِ ، فقالَ لهُ : بلغَ بكَ ٱلحرُّ مبلغاً شديداً ؟ قالَ : لا ، ولٰكنْ غيرُهُ ، ومكثَ ساعةً كذلكَ ، ثُمَّ قامَ كأَنَّما أُطلقَ مِنْ عِقالٍ ، فقالَ : الآنَ بلغتُ ما أَردْتُ ، وكتبَ شيئاً ، ثُمَّ قالَ : تدري ما كنتُ فيهِ مُذِ الآنَ ؟ قلتُ : لا ، قالَ قولَ أَبي نُوَاسٍ : (كالدَّهْرِ فِيْهِ شَرَاسَةٌ وَلَيَانُ) ، فقد أَردتُ

---

(١) أُمِرُّ : أَصير مُرّاً .
(٢) القاري : النازلُ القرىٰ . البادي : النازلُ البادية .
(٣) ربقْتُم : شَددْتُم .
(٤) الصَّهريجُ : حوضٌ يجتمعُ فيهِ الماءُ .

رفع المسهم

معناهُ ، فشَمُسَ عليَّ[1] ، فلَمْ أَزلْ علىٰ تلكَ الحالِ حتَّىٰ أَمكنني اللهُ منهُ ، فقلْتُ [مِنَ البسيطِ] :

شَرَسْتَ بَلْ لِنْتَ بَلْ قَانَيْتَ ذَاكَ بِذَا ... فَأَنْتَ لاَ شَكَّ فِيكَ ٱلسَّهْلُ وَٱلْجَبَلُ

استهزاء المؤلف به

ولعمري إِنَّهُ لبيتٌ ساقطٌ ، ينادي علىٰ نفسهِ بالخذلانِ ، لو تجسَّمَ . لكانَ مِعوَلاً لتكسيرِ الحجارةِ ، وهٰذا هو الشعرُ المتكلَّفُ الباردُ .

عودة إلى جمع الأضداد عند الشعراء

وقالَ سَلْمٌ الخاسرُ ـ كما رأَيتُهُ في « المحاسن والمساوىء » للبيهقي معزوّاً إِليهِ [مِنَ الكاملِ] ـ :

شُدَّتْ مَنَاكِبُ مُلْكِهِمْ بِخَلِيفَةٍ ... كَٱلدَّهْرِ يَخْلِطُ لِينَهُ بِشِمَاسِ

وسيعادُ هٰذا البيتُ أَوائِلَ المجلسِ الرابعَ عشرَ .

وقالَ أَبو الشَّيصِ الخزاعيُّ [في « ديوانهِ » ١٠٤ مِنَ الطَّويلِ] :

وَكَٱلسَّيْفِ إِنْ لاَيَنْتَهُ لاَنَ مَتْنُهُ ... وَحَدَّاهُ إِنْ خَاشَنْتَهُ خَشِنَانِ

وقالَ أَبو عُبادةَ [في « ديوانهِ » ٣/ ١٨٣٧ مِنَ الكامل] :

أَحْكَمْتَ مَا دَبَّرْتَ بِٱلتَّقْرِيبِ وَٱلـ ... ـتَّبْعِيدِ وَٱلتَّصْعِيبِ وَٱلتَّسْهِيلِ

لَوْلاَ ٱلتَّبَايُنُ فِي ٱلطَّبَائِعِ لَمْ يَقُمْ ... بُنْيَانُ هَٰذَا ٱلْعَالَمِ ٱلْمَجْبُولِ

قَوْلٌ يُتَرْجِمُهُ ٱلْفَعَالُ وَإِنَّمَا ... يُتَفَهَّمُ ٱلتَّنْزِيلُ بِٱلتَّأْوِيلِ[2]

مَاذَا نَقُولُ وَقَدْ جَمَعْتَ شَتَاتِتاً ... وَأَتَيْتَنَا بِٱلْعَدْلِ وَٱلتَّعْدِيلِ ؟

---

(١) شَمُسَ عليَّ : أستغلق ، وتأبَّىٰ .

(٢) الفَعالُ : قالَ اللَّيثُ : الفَعالُ اسمٌ للفِعلِ الحَسَنِ . التنزيلُ : يقصدُ بهِ كتابَ اللهِ عزَّ وجلَّ .

رفع المسهم

وقالَ الشريفُ الرضيُّ : ما زلتُ أَستخرجُ العجبَ مِنَ ٱلإخوانِ بكلامِ الإمامِ في ٱلزهدِ ؛ لأَنَّ مَنْ سَمِعَهُ لا يظنُّهُ إلاَّ كلامَ منقطعٍ في سفحِ جبلٍ ، أو قابعٍ في كِسْرِ بيتٍ ، ولا يحسبُ أَنَّهُ كلامُ مَن ينغمسُ في ٱلحروبِ ، وينثني وسيفُهُ يسيلُ دماً ، ويقطرُ مُهَجاً ، أَو ما يُشْبِهُ هٰذا ، وكنتُ معجباً بهِ إلىٰ حدِّ ٱلافتتانِ . . حتَّىٰ تبيَّنتُ سَبْقَ ٱلذِّكرِ ٱلحكيمِ إلىٰ هٰذا ٱلمعنىٰ ٱلشريفِ في كُثُرٍ مِنَ ٱلآياتِ منها قولهُ جلَّ ذكرهُ : ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة : ٥٤] ، وقولهُ : ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [الفتح : ٢٩] ، وكَمْ فيهِ مِنْ آياتِ الزهدِ التي تسيلُ رِقَّةً حَتَّىٰ لتكادُ تذوبُ لها الحجارةُ ، ومن آياتِ الحربِ التي تأخذُ بأَنوفِ الجُبَنَاءِ إلىٰ عنانِ السَّمَاءِ .

وصف الشريف الرضي للإمام

إعجاب المؤلف به

ويعجبني قولُ عكرشةَ بنِ أَربدَ في ولدِهِ [مِنَ الطَّويلِ] :

مديح أب لابنه

رَأَيْتُ رِيَاطاً حِيْنَ تَمَّ شَبَابُهُ ... وَوَلَّىٰ شَبَابِيْ لَيْسَ فِيْ بِرِّهِ عَتْبُ
إِذَا كَانَ أَوْلاَدُ ٱلرِّجَالِ حَرَارَةً ... فَأَنْتَ ٱلزُّلاَلُ ٱلْحُلْوُ وَٱلْبَارِدُ ٱلْعَذْبُ
لَنَا جَانِبٌ مِنْهُ دَمِيْثٌ وَجَانِبٌ ... شَدِيْدٌ عَلَىٰ ٱلأَعْدَاءِ مُمْتَنِعٌ صَعْبُ(١)
وَتَأْخُذُهُ عِنْدَ ٱلْمَكَارِمِ نَشْوَةٌ ... كَمَا ٱهْتَزَّ تَحْتَ ٱلْبَارِحِ ٱلْغُصُنُ ٱلرَّطْبُ(٢)

هجاء أب لابنه

وفي عكسِ هٰذا المعنىٰ يقولُ الحصينُ بنُ المنذرِ ـ أَحدُ بني عمرِو بنِ شيبانَ الذهليِّ وكانَ صاحبَ الرايةِ معَ عليٍّ بـ(صفِّينَ) ـ في ولدِهِ غَيَّاظاً [مِنَ الطَّويلِ] :

---

(١) دميثٌ ، يقالُ : دَمِثَ دَمَثاً ، فهوَ دَمِثٌ ودَمِيْثٌ ، لأَنَ وسَهُلَ .

(٢) البارحُ ـ جمعُهُ بوارحُ ـ : وهيَ الرياحُ الشدائدُ التي تَحملُ الترابَ في شدَّةِ الهبواتِ ، وقيلَ : هيَ الريحُ الحارَّةُ في الصيفِ .

رفع المسهم

نَسِيٌّ لِمَا أَوْلَيْتُ مِنْ صَالِحٍ مَضَىٰ ... وَأَنْتَ لِتَأْدِيبٍ عَلَيَّ حَفِيظُ
تَلِينُ لأَهْلِ ٱلْغِلِّ وَٱلْغَمْزُ مِنْهُمْ ... وَأَنْتَ عَلَىٰ أَهْلِ ٱلصَّفَاءِ غَلِيظُ
وَسُمِّيْتَ غَيَّاظاً وَلَسْتَ بِغَائِظٍ ... عَدُوّاً وَلَٰكِنْ لِلصَّدِيقِ تَغِيظُ
فَلاَ حَفِظَ ٱلرَّحْمَٰنُ رُوْحَكَ حَيَّةً ... وَلاَ وَهْيَ فِيْ ٱلأَزْوَاحِ حِيْنَ تَغِيظُ
عَدُوُّكَ مَسْرُوْرٌ وَذُوْ ٱلْوِدِّ بِٱلَّذِيْ ... يُرَىٰ مِنْكَ مِنْ غَيْظٍ عَلَيْكَ كَظِيظُ[1]

أنت ومالك لأبيك

وأَخرجَ ٱلبيهقيُّ في « الدَّلائلِ » ، والطَّبرانيُّ في « ٱلأَوسطِ » [٦/٣٤٠] و« الصَّغيرِ » [٩٤٨] بسندٍ فيهِ مَنْ لا يُعرفُ عن جابرٍ ، قالَ : جاءَ رجلٌ إلىٰ ٱلنبيِّ ﷺ ، فقالَ : يا رسولَ ٱللهِ ، إنَّ أَبي أَخذَ مالي ، فقالَ لهُ : إذهبْ فَأتني بأَبيكَ ، فنزلَ جبريلُ ، فقالَ إنَّ ٱللهَ عزَّ وجلَّ يقرئُكَ ٱلسلامَ ، ويقولُ : إذَا جاءكَ ٱلشيخُ . . فسلْهُ عمَّا قالهُ في نفسهِ ، ولم تسمعهُ أُذُناهُ ، فلمَّا جاءَ . . قالَ لهُ ٱلنبيُّ ﷺ : « مَا بَالُ ٱبْنِكَ يَشْكُوْكَ ، تَأْخُذُ مَالَهُ » ؟ قالَ : سلْهُ هَلْ أَنفقتُهُ إلاَّ علىٰ عمَّاتهِ وخالاتهِ ، أَو علىٰ نفسي ؟ فقالَ : « أَخْبِرْنِيْ عَنْ شَيْءٍ قُلْتَهُ فِيْ نَفْسِكَ وَمَا سَمِعَتْهُ أُذُنَاكَ ؟ » فقالَ ٱلشَّيخُ : واللهِ ما يزالُ اللهُ يزيدُنَا بكَ يقيناً ، لقد قلْتُ في نفسي شيئاً ما سمعَتْهُ أُذُنَيَّ ، فقالَ : « مَا هُوَ » ؟ فقالَ : قلتُ [مِنَ الطَّويلِ] :

غَذَوْتُكَ مَوْلُوْداً وَمُنْتُكَ يَافِعاً ... تَعَلُّ بِمَا أَجْنِيْ عَلَيْكَ وَتَنْهَلُ[2]
إِذَا لَيْلَةٌ ضَافَتْكَ بِٱلسُّقْمِ لَمْ أَبِتْ ... لِسُقْمِكَ إِلاَّ سَاهِراً أَتَمَلْمَلُ
كَأَنِّيْ أَنَا ٱلْمَطْرُوْقُ دُوْنَكَ بِٱلَّذِيْ ... طُرِقْتَ بِهِ دُوْنِيْ فَعَيْنَايَ تَهْمُلُ

---

(١) الكظيظُ : الممتلىءُ غيظاً .
(٢) مُنتكَ : كفيتُكَ مُؤنتك وحَاجتكَ .

رفع المسهم

تَخَافُ ٱلرَّدَىٰ نَفْسِيْ عَلَيْكَ وَإِنَّهَا ... لَتَعْلَمُ أَنَّ ٱلْمَوْتَ شَيْءٌ مُؤَجَّلُ

فَلَمَّا بَلَغْتَ ٱلسِّنَّ وَٱلْغَايَةَ ٱلَّتِيْ ... إِلَيْهَا مَدَىٰ مَا كُنْتُ فِيْهَا أُؤَمِّلُ

جَعَلْتَ جَزَائِيْ غِلْظَةً وَفَظَاظَةً ... كَأَنَّكَ أَنْتَ ٱلْمُنْعِمُ ٱلْمُتَفَضِّلُ

فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرْعَ حَقَّ أُبُوَّتِيْ ... فَعَلْتَ كَمَا ٱلْجَارُ ٱلْمُجَاوِرُ يَفْعَلُ

تَـرَاهُ مُعِـدّاً لِلْخِـلَافِ كَـأَنَّـهُ ... بِرَدٍّ عَلَىٰ أَهْلِ ٱلصَّوَابِ مُوَكَّلُ

قالَ : فحينئذٍ أخذَ النبيُّ ﷺ بتلابيبِ ابنهِ ، وقالَ : « أَنْتَ وَمَالُكَ لأَبِيْكَ »[1] . وهٰذا الحديثُ موجودٌ في سورةِ الإسراءِ مِنَ « ٱلكشَّافِ » ، وبلفظٍ يقربُ منهُ ، والقصَّةُ باطلةٌ مِنْ حيثُ الروايةُ كما علمتَ ؛ ولِمَا جاءَ أَنَّ الشعرَ لأُميَّةَ ابنِ أبي الصَّلتِ . بطلان قصة الحديث

ومن حيثُ الطبيعةُ ؛ إِذْ يستحيلُ أَنْ يقولَ الشاعرُ شيئاً فيصبرَ عَنْ أَنْ يتغنىٰ بهِ ذاتَ المرَّاتِ .

أَمَّا قولُ الرجلِ لغيرهِ : (يا مولايَ) . . ففيهِ للفقهاءِ كلامٌ : هل يجوز قول الرجل لغيره: يا مولاي؟

قالَ أبو جعفرٍ النحَّاسُ : لا نعلمُ خلافاً بينَ العلماءِ أَنَّهُ لا ينبغي أَنْ يُقالَ لأَحدٍ مِنَ المخلوقينَ (مولاي) .

وقالَ ابنُ حجرٍ : مَرَّ جوازُ إطلاقِ (مولاي) .

ولا مخالفةَ بينَهُ وبينَ هٰذا ، فإِنَّ النَّحَّاسَ تكلَّمَ في المولىٰ بالألفِ واللاَّمِ . ولذا قالَ النَّحَّاسُ : يُقالُ : سيِّدٌ لغيرِ الفاسقِ ، القول في التسيد

---

(١) بل أخرج الحديث فقط عن عائشة ابن حبان في « الإحسان » (٤٢٦٢) بإسناد صحيح ، وكذا عن جابر أخرجه ابن ماجه (٢٢٩١) في التجارات ، والطحاوي في « معاني الآثار » (٤/١٥٨) في القضاء . قال عنه البوصيري : هذا إسناد صحيح .

رفع المسهم

ولا يقالُ : ٱلسَّيِّدُ ، لغيرِ ٱللهِ تعالىٰ . وٱلأَظهرُ : أَنَّهُ لا بأسَ بإطلاقِ ٱلمولىٰ وٱلسَّيِّدِ بالألفِ واللاَّمِ بشرطِهِ ٱلسَّابقِ . ٱنتهىٰ كلامُهُ .

وما أَشارَ إِلىٰ مرورِهِ : هوَ ما ساقَهُ عَنِ ٱلنوَاويِّ [في « الأذكار » ص ٥٧٣] ـ في ٱلجمعِ بينَ ٱلأَحاديثِ ٱلواردةِ في ٱلتَّسييدِ وما صحَّ مِنْ قولِهِ ﷺ : « لا تَقُوْلُوا لِلْمُنَافِقِ سَيِّدٌ ؛ فإِنَّهُ إِنْ يَكُنْ سَيِّداً . . فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ عَزَّ وجَلَّ »[1] ـ مِنْ قولِهِ : لا بأسَ بإطلاقِ (فلانٌ سيِّدٌ ، ويا سيِّدِي ونحو ذلكَ) إذَا كانَ ٱلمُسَوَّدُ فاضلاً خَيِّراً لعلمٍ أَو صلاحٍ أَو غيرِهما ، وإِنْ كانَ نحوُ فاسقٍ أَو متَّهمٍ في دِينهِ . . كُرِهَ أَنْ يُقالَ لَهُ سيِّدٌ[2] . ٱنتهىٰ .

ولا شكَّ أَنَّ سيِّدِي أَو ٱلسيِّدَ أَشدُّ كراهةً ، وممَّا عمَّ ٱلابتلاءُ بهِ أَنَّ ٱلجُهَّالَ وأَهلَ ٱلمَلَقِ لا يتورعونَ أَنْ يُطلقوا ٱلأَوصافَ ٱلإلٰهيَّةَ علىٰ مَنْ يدَّعونَ له ٱلولايةَ أَو يُعظِّمونَ مِنْ أَبناءِ ٱلدُّنيا .

شهامة شاعر ويعجبني قولُ عليِّ بنِ محمَّدٍ ٱلكوفيِّ مِنْ قصيدةٍ [مِنَ الطَّويلِ] :

كَأَنَّ نَذِيْرَ ٱلشَّمْسِ يَحْكِيْ بِبِشْرِهِ ... عَلِـيَّ بْـنَ دَاوُدٍ أَخِـيْ وَنَسِيْبِـيْ
وَلَوْلاَ أَتَّقَائِيْ عَتْبَهُ قُلْتُ سَيِّدِيْ ... وَلَـٰكِنْ يَرَاهَا مِنْ أَجَلِّ ذُنُوْبِيْ

---

(١) أخرجه عن بريدة أبو داوود (٤٩٧٧) ، والنسائي في « الكبرى » (٦/ ٧٠) بنحوه ، والبخاري في « الأدب المفرد » (١/ ٢٦٧) بنحوه .

(٢) وعقّب بقوله : وقد روينا عن الإمام أبي سليمان الخطابي في « معالم السنن » في الجمع بينهما نحو ذلك .

ثم أورد أيضاً خبر أبي هريرة عند البخاري (٢٥٥٢) ، ومسلم (٢٢٤٩) عن النبي ﷺ قال : « لا يقل أحدكم : أطعم ربك ، وضىء ربك ، اسق ربك ، وليقل : سيدي ومولاي ، ولا يقل أحدكم : عبدي أمتي ، وليقل : فتاي وفتاتي وغلامي » .

رفع المسهم

نَسِيْبُ إِخَاءٍ وَهْوَ غَيْرُ مُنَاسِبِ قَرِيْبُ صَفَاءٍ وَهْوَ غَيْرُ قَرِيْبِ

خضوع البعض لممدوحيه

ومما يُلاحظُ علىٰ شيخِنَا ٱبنِ شهابٍ خضوعُهُ في بعضِ القولِ لممدوحِيْهِ ؛ فقد قالَ من قصيدةٍ هي في الاعتبارِ الأَوَّلِ مِنَ ٱلفصاحةِ وٱلبلاغةِ وجمالِ الدِّيباجةِ ورقَّةِ الانسجامِ ، للأَميرِ أَحمدَ فضلِ ٱلعبدليِّ [مِنَ الطَّويلِ] :

فَيَا أَيُّهَا ٱلْمَوْلَىٰ وَمَا غَيْرُكَ ٱمْرُؤٌ نُسَمِّيْهِ مِنْ بَعْدِ ٱلْوَصِيِّ بِمَوْلاَنَا[1]

ثُمَّ لَمْ يقفْ عندَ ذلكَ ، بل حَنِثَ في قولِهِ ، وخاطبَ بعدَ ذلكَ غيرَهُ بمثلِهِ .

ولو أَنِّي أَخذتُ بيتَ شيخِنا لمخاطبةِ الحضرةِ المتوكِّليَّةِ . . لكُنتُ أَحقَّ بهِ ؛ لأَنَّني لَمْ أَسمح بذلكَ لأَحدٍ مِمَّنْ عاصرتُهُ سواهُ وسوىٰ سيِّدي الأُستاذِ الأَبرِّ عيدروسِ بنِ عُمرَ المتوفَّىٰ مِنْ نحوِ سبعٍ وثلاثينَ عاماً ، ويأتي ما لهُ تعلُّقٌ بهٰذا قُبيلَ المجلسِ الحادي عشرَ .

الممادح التي توجد في الممدوح هي التي تنظم نفسها شعراً عند المتنبي

وأَمَّا قولُهُ : (فَأَنْطَقَ وَاصِفِيْهِ) . . فإِنَّهُ متكرِّرٌ عندهُ ، منهُ قولُهُ [في « العُكبَريِّ » ٣/ ٨١ مِنَ البسيطِ] :

وَقَدْ وَجَدْتَ مَكَانَ ٱلْقَوْلِ ذَا سَعَةٍ فَإِنْ وَجَدْتَ لِسَاناً قَائِلاً فَقُلِ

وقولُهُ [في « العُكبَريِّ » ٢/ ١٤٦ مِنَ الخفيفِ] :

إِنَّمَا أَحْفَظُ ٱلْمَدِيْحَ بِعَيْنِيْ لاَ بِقَلْبِيْ لِمَا أَرَىٰ فِي ٱلأَمِيْرِ
مِنْ خِصَالٍ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهَا نَظَمَتْ لِيْ غَرَائِبَ ٱلْمَنْثُوْرِ

---

(١) الوَصيُّ : لعلّ المراد سَيِّدُنا الإمامُ الهمامُ ، عليُّ ٱبنُ أبي طالبٍ عليه السلام .

رفع المسهم

وقولُهُ [في « العُكبَريّ » ٤/ ٦٨ مِنَ المنسرح] :

أَبَا ٱلْحُسَيْنِ ٱسْتَمِعْ فَمَدْحُكُمُ ... فِي ٱلذِّهْنِ قَبْلَ ٱلْكَلَامِ يَنْتَظِمُ[1]

وقولُهُ [في « العُكبَريّ » ١/ ١٨١ مِنَ الطَّويلِ] :

وَأَخْلَاقُ كَافُورٍ إِذَا شِئْتُ مَدْحَهُ ... وَإِنْ لَمْ أَشَأْ تُمْلَىٰ عَلَيَّ وَأَكْتُبُ

وقولُهُ [في « العُكبَريّ » ٢/ ١٥٨ مِنَ الطَّويلِ] :

وَمَا أَنَا وَحْدِيْ قُلْتُ ذَا ٱلشِّعْرَ كُلَّهُ ... وَلَكِنْ لِشِعْرِيْ فِيْكَ مِنْ نَفْسِهِ شِعْرُ

وقولُهُ [في « العُكبَريّ » ٣/ ٣٩١ مِنَ الطَّويلِ] :

لَكَ ٱلْحَمْدُ فِيْ ٱلدُّرِّ ٱلَّذِيْ لِيَ لَفْظُهُ ... فَإِنَّكَ مُعْطِيهِ وَإِنِّيَ نَاظِمُ

وقولُهُ [في « العُكبَريّ » ٢/ ٥٥ مِنَ الخَفيفِ] :

غَمَرَتْنِيْ فَوَائِدٌ شَاءَ فِيْهَا ... أَنْ يَكُوْنَ ٱلْكَلَامُ مِمَّا أَفَادَهْ

وقولُهُ [في « العُكبَريّ » ٤/ ٢٧٥ مِنَ المنسرح] :

تَقُوْدُ مُسْتَحْسَنَ ٱلْكَلَامِ لَنَا ... كَمَا تَقُوْدُ ٱلسَّحَابَ عُظْمَاهَا

وكذلك عند الشعراء وقالَ أَبو تمَّام [في « ديوانِهِ » ٧ مِنَ البسيطِ] :

تَغَايَرَ ٱلشِّعْرُ فِيْهِ إِذْ أَرِقْتُ لَهُ ... حَتَّىٰ تَكَادَ قَوَافِيْهِ سَتَقْتَتِلُ

وقالَ أَبنُ الرُّوميِّ [في « ديوانِهِ » ٦/ ٢٢٩٣ مِنَ الوافرِ] :

وَدُوْنَكَ مِنْ أَقَاوِيْلِيْ مَدِيْحاً ... غَدَا لَكَ دُرُّهُ وَلِيَ ٱلنِّظَامُ

وقالَ [مِنَ الكاملِ] :

خُذْ مِنْ فَوَائِدِكَ ٱلَّتِيْ أَعْطَيْتَنِيْ ... فَٱلدُّرُّ دُرُّكَ وَٱلنِّظَامُ نِظَامِيْ

---

(١) في « العكبري » : (ٱلْفِعْلِ) بدل (ٱلذِّهْنِ) .

رفع المسهم

وقالَ [في « ديوانهِ » ٢/ ٦٠٢ مِنَ الطَّويلِ] :

كَرُمْتُمْ فَجَاشَ ٱلْمُفْحَمُوْنَ بِمَدْحِكُمْ إِذَا رَجَزُوْا فِيْكُمْ أَبَيْتُمْ فَقَصَّدُوْا[1]

كَمَا أَزْهَرَتْ جَنَّاتُ عَدْنٍ وَأَثْمَرَتْ فَأَضْحَتْ وَعُجْمُ ٱلطَّيْرِ فِيْهَا تُغَرِّدُ

وقالَ أَحمدُ ٱبنُ أَبي طاهرٍ [مِنَ الطَّويلِ] :

إِذَا نَحْنُ حُكْنَا ٱلشِّعْرَ فِيْكَ تَسَهَّلَتْ عَلَيْنَا مَعَانِيْهِ وَذَلَّتْ صِعَابُهَا

وقالَ أَحمدُ بنُ إِسماعيلَ [مِنَ الطَّويلِ] :

وَإِنِّي وَإِنْ أَحْسَنْتُ فِيْ ٱلْقَوْلِ مَرَّةً فَمِنْكَ وَمِنْ إِحْسَانِكَ ٱمْتَارَهَا لَفَظِيْ[2]

وقالَ آخرُ [مِنَ الخفيفِ] :

مَا لَقِيْنَا مِنْ جُوْدِ فَضْلِ بْنِ يَحْيَىٰ تَرَكَ ٱلنَّاسَ كُلَّهُمْ شُعَرَاءَ

وأَصلُ المعنىٰ قولُ عمرِو بنِ معديكربَ [في « ديوانهِ » ٧٣ مِنَ الطَّويلِ] :

فَلَوْ أَنَّ قَوْمِيْ أَنْطَقَتْنِيْ رِمَاحُهُمْ نَطَقْتُ وَلٰكِنَّ ٱلرِّمَاحَ أَجَرَّتِ

وقالَ ٱبنُ ٱلفارضِ [في « ديوانهِ » ١٤٢ مِنَ الطَّويلِ] :

مَحَاسِنُ تَهْدِيْ ٱلْمَادِحِيْنَ لِوَصْفِهَا فَيَحْسُنُ فِيْهَا مِنْهُمُ ٱلنَّثْرُ وَٱلنَّظْمُ

وقالَ أَيضاً [في « ديوانهِ » ١٢٦ مِنَ الكاملِ] :

تَفْدِيْهِ مُهْجَتِيَ ٱلَّتِيْ تَلِفَتْ وَلاَ مَنٌّ عَلَيْهِ لأَنَّهَا مِنْ مَالِهِ

وهو مِنْ قولِ النَّاظمِ [مِنَ الكاملِ] :

كَٱلْبَحْرِ يُمْطِرُهُ ٱلسَّحَابُ وَمَا لَهُ مَنٌّ عَلَيْهِ لأَنَّهَا مِنْ مَائِهِ

---

(١) المفحَمُ : العيِيُّ الذي لا يقولُ الشِّعرَ .

(٢) ٱمْتَارَهَا : أجتلبها .

رفع المسهم

وقالَ ٱبنُ طَباطَبا [مِنَ ٱلكامل] :

لاَ تُنكِرَنْ إِهْدَاءَنَا لَكَ مَنْطِقاً مِنْكَ ٱسْتَفَدْنَا حُسْنَهُ وَنِظَامَهُ

وهوَ من بابِ شبيهِ بقولِ ٱلحَسَنِ بنِ محمَّدِ ٱبنِ عليِّ ابنِ أَبي الضَّوءِ ٱلعلويِّ ٱلحُسينيِّ ، نقيبِ مشهدِ بابِ التِّبنِ ، ٱلمتوفَّىٰ بـ(بغدادَ) سنةَ : (٥٣٧ هـ) ، أَو شاعرٍ آخرَ مِنْ معاصري ٱلبُحتريِّ ، يقالُ لهُ : أَبو ٱلعبَّاسِ ٱلخَثْعَميُّ علىٰ ٱختلافٍ في ٱلروايةِ [مِنَ ٱلخفيفِ] :

اِذْهَبَا بِيْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمَا عَقْـ ـرٌ إِلىٰ جَنْبِ قَبْرِهِ فَٱعْقِرَانِيْ[1]
وَٱنْضحَا مِنْ دَمِيْ عَلَيْهِ فَقَدْ كَا نَ دَمِـيْ مِـنْ نَـدَاهُ لَـوْ تَعْلَمَـانِ

وهُما أَصلُ معنىٰ قولِ الزَّمخشريِّ في رثاءِ شيخهِ أَبي مُضَرَ [مِنَ الطَّويلِ]:

وَقَـائِلَـةٍ مَـا هَـٰـذِهِ ٱلـدُّرَرُ ٱلَّتِـيْ تُسَاقِطُهَا عَيْنَاكَ سِمْطَيْنِ سِمْطَيْنِ[2]
فَقُلْتُ لَهَا ٱلدُّرُّ ٱلَّذِيْ كَانَ قَدْ حَشَا أَبُوْ مُضَرٍ أُذُنِيْ تَسَاقَطَ مِنْ عَيْنِيْ

وقالَ ٱلقاضي ٱلأَرَّجانيُّ ـ وأَبدعَ وأَلطفَ ما شاءَ ـ [في « ديوانهِ » ٢/ ٤٠ مِنَ ٱلكاملِ] :

لَمْ يُبْكِنِيْ إِلاَّ حَدِيْثُ فِرَاقِكُمْ لَمَّـا أَسَـرَّ بِـهِ إِلَـيَّ مُـوَدِّعِـيْ
هُـوَ ذَلِـكَ ٱلـدُّرُّ ٱلَّـذِيْ أَوْدَعْتُـمُ فِيْ مَسْمَعِيْ أَلْقَيْتُهُ مِنْ مَدْمَعِيْ

---

(١) الجملِ العَقيرُ : المنحورُ .

(٢) السِّمطُ : هوَ الخيطُ ما دامَ اللؤلؤُ فيهِ منظوماً ، فإذا كانَ فارغاً . . سُمِّيَ سِلكاً ، شبَّهَ الشاعرُ دموعَهُ التي تُذْرَفُ من عينيه متواصلةً . . باللؤلؤ المنظوم المتواصل .

رفع المسهم

وقالَ ٱلمعرّيُّ [في « سقطِ الزندِ » ١٩٨ مِنَ الطَّويلِ] :

وَأَلْقَيْـنَ لِـيْ دُرّاً فَلَمَّـا عَـدَدْتُـهُ غِنىً مَسَخَتْهُ شِقْوَةُ ٱلْحَظِّ أَدْمُعِيْ(١)

وقالَ بعضُهُم [مِنَ الطَّويلِ] :

تَعَلَّمْـتُ مِمَّـا قُلْتَـهُ وَفَعَلْتَـهُ فَأَهْدَيْتُ حُلْواً مِنْ جَنَايَ لِفَارِسِ

وقالَ آخرُ [مِنَ البسيطِ] :

إِنْ رَاقَ مَعْنىً فَمِنْ جَدْوَاهُ مُعْتَصَرُ أَوْ رَقَّ لَفْظاً فَمِنْ عَلْيَاهُ مُهْتَصَرُ(٢)

تعجز لغة الكلام عن التعبير في كثير من الأحيان

وأَمَّا قولُهُ : (وَأَفْحَمَا) . . فمِنْ قولِ أَشجعَ [في « ديوانِهِ » ٢٤٨ مِنَ الوافرِ] :

مَـدَحْنَـاهُـمْ فَلَـمْ نُـدْرِكْ بِمَـدْحٍ مَـآثِـرَهُـمْ وَلَـمْ نَتْـرُكْ مَقَـالاَ

وقولِهِ [في « ديوانِهِ » ١٨٨ مِنَ الطَّويلِ] :

جَهِـدْتُ فَلَـمْ أَبْلُـغْ مَـدَاكَ بِمِـدْحَـةٍ وَلَيْسَ عَلَىٰ مَنْ كَانَ مُجْتَهِداً عَتْبُ

وقدِ ٱختلسَهُ ٱلماكيُّ فقالَ [مِنَ الطَّويلِ] :

جَهِـدْتُ وَلَـمْ أَبْلُـغْ مَـدَاكَ بِمِـدْحَـةٍ وَلَيْسَ مَعَ ٱلتَّقْصِيْرِ عِنْدِيْ سِوَىٰ ٱلْعُذْرِ

وقالَ ٱبنُ ٱلحجَّاجِ [مِنَ الطَّويلِ] :

هُوَ ٱلْبَحْرُ إِنْ حَدَّثْتُ عَنْ مُعْجِزَاتِهِ ضَعُفْتُ عَنِ ٱسْتِغْرَاقِ تِلْكَ ٱلْعَجَائِبِ
وَإِنْ رَامَ شِعْـرِيْ أَنْ يُحِيْـطَ بِـوَصْفِـهِ أَحَاطَ بِشِعْرِيْ ٱلْعَجْزُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

---

(١) يقول : إنَّ تلكَ الخيالاتِ لما طرقتهُ في النومِ . . أعطينَهُ عقوداً أو درّاً ، فانتبهَ مِن نومِهِ فرِحاً ، لكنَّهُ لم يرَ شيئاً ، فنافت دموعُهُ حسرةً علىٰ ما فاتَهُ ، وأَوَّلَ الدُّرَّ بالدمعِ ٱلذي تناثرَ مِن عينيهِ عندَ البكاءِ .

(٢) الهَصْرُ : الجذبُ والإمالةُ ، تقولُ : هَصَرْتُ الغصنَ إذا أملتُهُ إليك .

رفع المسهم

إفحام أبي نواس للشعراء والخطباء

وفي يومِ إملاكِ[1] الرِّضا بابنةِ المأمونِ قامَتِ الشُّعراءُ والخطباءُ ، وأبو نُوَاسٍ ساكتٌ ، فعُوتِبَ ، فألقىٰ الأبياتَ الآتيةَ ـ التي كانَتْ بمثابةِ عصا موسىٰ عليهِ السَّلامُ ، تَلقَّفَتْ ما كانوا يصنعونَ ـ وهيَ [مِنَ الخفيفِ] :

قِيْلَ لِيْ : أَنْتَ أَفْصَحُ النَّاسِ طُرّاً ... فِيْ الْمَعَانِيْ وَفِيْ الْكَلاَمِ النَّبِيْهِ
لَكَ مِنْ جَيِّدِ الْقَرِيْضِ مَدِيْحٌ ... يَنْثُرُ الدُّرَّ مِنْ يَدَيْ مُجْتَنِيْهِ
فَلِمَاذَا لَمْ تَمْتَدِحْ نَجْلَ مُوْسَىٰ ... وَالصِّفَاتِ الَّتِيْ تَحَكَّمْنَ فِيْهِ
قُلْتُ : لاَ أَسْتَطِيْعُ مَدْحَ إِمَامٍ ... كَانَ جِبْرِيْلُ خَادِماً لأَبِيْهِ

شدة القرب حجاب

وقد نظرَ الناظمُ إلىٰ قولِ الأعرابيِّ [مِنَ الوافرِ] :

تَكاثَرَتِ الظِّبَاءُ عَلَىٰ خِدَاشٍ ... فَمَا يَدْرِيْ خِدَاشٌ مَا يَصِيْدُ

ومِنْ شدَّةِ الظُّهورِ الخفاءُ ، ومنهُ أحجمَ فحولُ الشُّعراءِ عَنْ مدحهِ ﷺ ؛ لأنَّهُ لا يُستطاعُ ؛ إذ هوَ فوقَ كلِّ كلامٍ ، ومِنْ وراءِ كلِّ عبارةٍ ، وكلُّ مدحٍ فيهِ تقصيرٌ .

ارتفاع بعض الممدوحين فوق مرتبة المديح

وما أحسنَ ما يُروىٰ للناظمِ في غيرِ « الديوانِ » حينما عُوتِبَ علىٰ تركِ امتداحِ أهلِ البيتِ وهو قولُهُ [مِنَ الكاملِ] :

وَتَرَكْتُ مَدْحِيْ لِلْوَصِيِّ تَعَمُّداً ... إِذْ كَانَ نُوْراً مُسْتَطِيْلاً شَامِلاَ
وَإِذَا اسْتَطَالَ الشَّيْءُ قَامَ بِنَفْسِهِ ... وَصِفَاتُ ضَوْءِ الشَّمْسِ تَذْهَبُ بَاطِلاَ

وقالَ [في « المكبريٰ » ٢/ ٢٣٢ مِنَ البسيطِ] :

مَنْ كَانَ فَوْقَ مَحَلِّ الشَّمْسِ مَوْضِعُهُ ... فَلَيْسَ يَرْفَعُهُ شَيْءٌ وَلاَ يَضَعُ

---

(١) الإملاكُ : التزويج .

وقالَ [في « المُكبَريٌ » ٢٥٩/٣ مِنَ الكاملِ] :

وَلَقَدْ عَلَوْتَ فَمَا تُبَالِيْ بَعْدَ مَا ... عَرَفُوْا أَيَحْمَدُ أَمْ يَذُمُ الْقَائِلُ

أُثْنِيْ عَلَيْكَ وَلَوْ تَشَاءُ.. لَقُلْتَ لِيْ: ... قَصَّرْتَ فَالإِمْسَاكُ عَنِّيَ نَائِلُ

وقالَ [في « المُكبَريٌ » ٣٧٩/٢ مِنَ البسيطِ] :

وَعُظْمُ قَدْرِكَ فِيْ الآفَاقِ أَوْهَمَنِيْ ... أَنِّيْ بِقِلَّةِ مَا أَثْنَيْتُ أَهْجُوْكَا

وقالَ [في « المُكبَريٌ » ١٩٤/١ مِنَ الطَّويلِ] :

تَجَاوَزَ قَدْرَ الْمَدْحِ حَتَّىٰ كَأَنَّهُ ... بِأَبْلَغِ مَا يُثْنَىٰ عَلَيْهِ يُعَابُ

وهو مِنْ قولِ البُحتريٌ [في « ديوانهِ » ١٥ مِنَ الخفيفِ] :

جَلَّ عَنْ مَذْهَبِ الْمَدِيْحِ فَقَدْ كَا ... نَ يَكُوْنُ الْمَدِيْحُ فِيْهِ هِجَاءَ

ولله درُّ البوصيريٌ في قولهِ [مِنَ البسيطِ] :

مَاذَا عَسَىٰ الشُّعَرَاءُ الْيَوْمَ قَائِلَةً ... مِنْ بَعْدِ مَا مَدَحَتْ (حامِيمُ تَنْزِيْلُ)

* * *

رفع المسهم

[قالَ أَبو الطَّيِّبِ المتنبِّي في « العُكبَريِّ » ٤/ ٣٢ مِنَ ٱلكاملِ] :

كَبُـرَ ٱلْعِيَـانُ عَلَـيَّ حَتَّـىٰ إِنَّـهُ صَارَ ٱلْعِيَانُ مِنَ ٱلْيَقِيْنِ تَوَهُّمَا

عندما يرى الإنسان شيئاً يكذب عينيه والمتنبي اول من أوضح هذا المعنى

يقولُ : إِنَّ شأْنَ ٱلممدوحِ عظيمٌ ، لَم يستقلَّ علىٰ عقلهِ ثبوتُهُ ؛ لاستعظامهِ إِيَّاهُ ، فكَبُرَ عليهِ حتَّىٰ تشكَّكَ فيهِ مِنْ كِبَرِهِ معَ ٱلمشاهدةِ ، وهوَ معنىً شريفٌ ، يجدُهُ مِنْ نفسهِ كلُّ مَنْ فوجِىءَ بنعمةٍ عُظمىٰ ، أَو مصيبةٍ كُبرىٰ ، وينحلُّ بهِ إِشكالُ ما يوهِمُ تشكُّكَ ٱلنَّبيِّ ﷺ فيما فاجأَهُ مِنْ أَمرِ ٱلوحي لأَوَّلِ وهلةٍ ، كما قرَّرناهُ ، وأَكثرنا مِنْ مثلهِ في كتابِنا « بلابلِ ٱلتغريدِ » ، وهوَ وإِنْ كانَ مغروزاً في ٱلنفوسِ ، متداولاً بينَ ٱلشُّعراءِ ، جارياً في ٱلخِطابِ ما بينَ ٱلطَّبقاتِ . . فللناظمِ علىٰ ٱلإِطلاقِ فضيلةُ ٱلتَّوضيحِ ؛ إِذ جلاَّهُ في أَجملِ صورةٍ ، وأَفرَغهُ في أَبدعِ قالَبٍ ، وأَكثرَ منهُ ، ولٰكنْ لا في مثلِ تنقيحهِ مِنْ هٰذا ٱلبيتِ ، فقالَ [في « العُكبَريِّ » ١/ ٣٦٦ مِنَ ٱلمتقارب] :

أَحُلْمـاً نَـرَىٰ أَمْ زَمَـانـاً جَـدِيْـدَا أَمِ ٱلْخَلْقُ فِيْ شَخْصِ حَيٍّ أُعِيْدَا

وقالَ [في « العُكبَريِّ » ٣/ ٣٤٩ مِنَ ٱلكاملِ] :

وَمِنَ ٱحْتِقَارِكَ كُلَّ مَا تَحْبُوْ بِهِ فِيْمَـا أُلاَحِظُـهُ بِعَيْنَـيْ نَـائِـمِ[1]

(١) المعنىٰ : أَنتَ عظيمُ القدرِ ، تحتقرُ الأَشياءَ العظيمةَ ، فإِذا رأَيتُ كثرة مواهبك التي تحتقُرها . . ظننتُ أَنِّي في نومٍ ؛ لأن العادة لَم تجرِ بذلك في اليقظةِ .

رفع المسهم

وقالَ أَبو نُوَاسٍ [في « ديوانهِ » ٤٩٢ مِنَ الطَّويلِ] : قول الشعراء في هذا المعنى

أَلاَ لاَ أَرَىٰ مِثْلِيْ ٱمْتَرَىٰ ٱلْيَوْمَ فِيْ رَسْمِ تَغَصُّ بِهِ عَيْنِيْ وَيَلْفِظُهُ وَهْمِيْ[1]

وقالَ أَبو عُبادةَ [في « ديوانهِ » ١٥٣٠ـ١٥٣١ مِنَ الطَّويلِ] :

وَزَوْرٍ أَتَانِيْ طَارِقاً فَحَسِبْتُهُ خَيَالاً أَتَىٰ مِنْ آخِرِ ٱللَّيْلِ يَطْرُقُ
أُقَسِّمُ فِيْهِ ٱلظَّنَّ طَوْراً مُكَذِّباً بِهِ أَنَّهُ حَقٌّ وَطَوْراً أُصَدِّقُ
أَخَافُ وَأَرْجُوْ بُطْلَ ظَنِّيْ وَصِدْقَهُ فَلِلّٰهِ شَكِّيْ حِيْنَ أَرْجُوْ وَأَفْرَقُ[2]
وَقَدْ ضَمَّنَا وَشْكُ ٱلتَّلاَقِيْ وَلَفَّنَا عِنَاقٌ عَلَىٰ أَعْنَاقِنَا ثُمَّ ضَيِّقُ
فَلَمْ تَرَ إِلاَّ مُخْبِراً عَنْ صَبَابَةٍ بِشَكْوَىٰ وَإِلاَّ عَبْرَةً تَتَرَقْرَقُ
فَأَحْسِنْ بِنَا وَٱلدَّمْعُ بِٱلدَّمْعِ وَاشِجٌ تَمَازُجُهُ وَٱلْخَدُّ بِٱلْخَدِّ مُلْصَقُ

وقالَ [مِنَ المنسرحِ] :

فَرِحْتُ حَتَّىٰ ٱسْتَخَفَّنِيْ فَرَحِيْ فَشِبْتُ عَيْنَ ٱلْيَقِيْنِ بِٱلْوَهَمِ
أَمْسَحُ عَيْنِيْ مُسْتَثْبِتاً نَظَرِيْ أَخَالُنِيْ حَالِماً وَلَمْ أَنَمِ

وقالَ [في « ديوانهِ » ١٠٥٢ مِنَ الطَّويلِ] :

حَبِيْبٌ سَرَىٰ فِيْ خُفْيَةٍ وَعَلَىٰ ذُعْرِ يَجُوْبُ ٱلدُّجَىٰ حَتَّىٰ ٱلْتَفَتْنَا عَلَىٰ قَدْرِ
تَشَكَّكْتُ فِيْهِ مِنْ سُرُوْرٍ وَخِلْتُهُ خَيَالاً أَتَىٰ فِيْ ٱلنَّوْمِ مِنْ طَيْفِهِ يَسْرِيْ

وقالَ ٱلعلاَّمةُ ٱبنُ ٱلمقَّري [مِنَ الكاملِ] :

أَعْطَىٰ فَظَنَّ ٱلْوَافِدُوْنَ بِأَنَّهَا رُؤْيَا فَظَلُّوْا يَمْسَحُوْنَ ٱلأَعْيُنَا
وَيَقُوْلُ بَعْضُهُمُ لِبَعْضٍ : أَنْتُمُ يَقْظَىٰ ، وَهَٰذَا كُلُّهُ هِبَةٌ لَنَا

---

(١) امترى : شكَّ .
(٢) أَفْرَقُ : أَجزعُ ويشتدُّ خوفي .

رفع المسهم

ويقربُ منهُ ـ وليسَ بهِ ـ قولُ أبي تمّامٍ [مِنَ الطَّويلِ] :

تُجَاوِزُ غَايَاتِ ٱلْعُقُولِ رَغَائِبٌ تَكَادُ بِهَا لَوْلاَ ٱلْعِيَانُ تُصَدَّقُ

وقولُ ٱلبُحتريِّ [في « ديوانهِ » ٢/١٣١٦ مِنَ ٱلكاملِ] :

وَحَدِيثُ مَجْدٍ عَنْكَ أَطْرَبَ حُسْنُهُ حَتَّىٰ ظَنَنَّا أَنَّهُ مَوْضُوعُ

وقولُ ٱلنَّاظمِ[1] [مِنَ ٱلكاملِ] :

لَمَّا كَرُمْتَ أَتَيْتُ فِيكَ بِمَنْطِقٍ صِدْقٍ فَلَمْ أَكْذِبْ وَلَمْ أَتَحَوَّبِ
وَلَوِ ٱمْتَدَحْتُ سِوَاكَ كُنْتُ مَتَىٰ يَضِقْ عَنِّي لَهُ صِدْقُ ٱلْمَقَالَةِ أَكْذِبِ

وقولُهُ [في « المُكبَريّ » ١/١٢٦ مِنَ ٱلكاملِ] :

كَرَماً فَلَوْ حَدَّثْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ بِعَظِيمِ مَا صَنَعَتْ لَظَنَّكَ كَاذِبَا

وقولُ البديعِ [الهمذاني في « ديوانهِ » ١٢٠ مِنَ الطَّويلِ] :

مَحَاسِنُ يُبْدِيهَا ٱلْعِيَانُ كَمَا تَرَىٰ وَإِنْ نَحْنُ حَدَّثْنَا بِهَا دَفَعَ ٱلْعَقْلُ

وهو مِنْ قصيدةٍ خالصةٍ يهيِّجُ أشجاني منها قولُهُ عن أبيهِ :

إِذَا وَرَدَ ٱلرُّكْبَانُ وَافَىٰ رِكَابَهُمْ بِفَوَّارَتَيْ دَمْعٍ هُمَا ٱلسَّجْلُ وَٱلنَّجْلُ[2]
يُسَائِلُهُمْ أَيْنَ ٱبْنُهُ، أَيْنَ دَارُهُ، إِلاَمَ ٱنْتَهَىٰ، لِمْ لَمْ يَعُدْ، هَلْ لَهُ شُغْلُ؟!

الحديث عن كتاب الشكوك

وهوَ لا يشبهُ شيئاً مِنْ مذاهبِ اللاَّأدريَّةِ[3] ٱلمنادي بإنكارِ حقائقِ ٱلأشياءِ، ٱلذي وضعَ فيهِ صالحُ بنُ عبدِ ٱلقدوسِ كتابَ «ٱلشُّكوكِ»،

---

(١) بل هو من قول أبي تمام في « ديوانه » .
(٢) السَّجْلُ : الدَّلوُ العظيمُ . النَّجْلُ : الماءُ السائِلُ .
(٣) وهم : طائفةٌ مِنَ الفلاسفةِ يتردَّدونَ بينَ إثباتِ حقائقِ الأشياءِ وإنكارِها ، وهم : فريقٌ مِنَ السفسطائيِّينَ ، ولهُم اسمٌ آخَرُ : (الشكَّاكونَ) .

رفع المسهم

ثُمَّ ماتَ عليهِ ولدٌ ، فحزنَ عليهِ حزناً شديداً ، وقالَ لأَبي ٱلهذيلِ ٱلعلاّفِ : إِنَّهُ لَمْ يشتدَّ وجدي عليهِ إلاَّ لأَنَّني أَقرأْتُهُ كتابَ « ٱلشُّكوكِ » فأَتقنهُ ، قالَ لهُ : وما كتابُ « ٱلشُّكوكِ » ؟ قالَ : مَنْ قرأَهُ . . يشكُّ في الموجودِ حتَّىٰ كأَنَّهُ معدومٌ ، وفي ٱلمعدومِ حتَّىٰ كأَنَّهُ موجودٌ ، قالَ لهُ : ٱلخطبُ هيِّنٌ إِذَنْ ، فشُكَّ في ولدِكَ أَنَّهُ لَم يمتْ ، فانقطعَ .

ما يجده المؤمن من الوسوسة في صدره ليس من هذا القبيل

وما يجدهُ أَهلُ ٱلإِيمانِ مِنْ ٱلوسوسةِ معَ ٱلتَّصميمِ وصحَّةِ عقودِ ٱلقلوبِ لونٌ آخرُ ـ أَيضاً ـ منهُ : ما جاءَ في « مصابيحِ ٱلبغويِّ » عَنْ جابرٍ قالَ : جاءَ ناسٌ مِنْ أَصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ إلىٰ النبيِّ ، فسألوهُ : إِنَّا نَجِدُ في أَنفسِنا ما يَتعاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتكلَّمَ بهِ ، قالَ : « أَوَ قَدْ وَجَدْتُمُوْهُ ؟ » ، قالوُا : نعمْ ، قالَ : « ذَاكَ صَرِيْحُ ٱلإِيْمَانِ »[1] .

إِذْ ٱلأَكثرُ علىٰ أَنَّ المدحَ إِنَّما جاءَ مِنْ جهةِ تعاظُمِهم لهُ ، لا مِنْ حيثُ وجودُهُ .

واللهُ أعلمُ

* * *

(١) أخرجه عن جابر مسلم (١٨٨) في الإيمان ، وأبو داوود (٤٤٤٧) .

رفع المسهم

المجلس السادس

[قال أبو الطَّيِّبِ المتنبِّي في « العُكْبَرِيِّ » ٤/ ٣٣ مِنَ الطَّويلِ] :

إِلَىٰ أَيِّ حِيْنٍ أَنْتَ فِيْ زِيِّ مُحْرِمٍ؟ وَحَتَّىٰ مَتَىٰ فِيْ شِقْوَةٍ وَإِلَىٰ كَمِ ؟

يقولُ : إِلىٰ متىٰ وأَنتَ صِفرٌ مِنَ ٱلمالِ ، في زِيِّ ٱلمُحرِمِ ٱلمتجرِّدِ عَنِ اللِّباسِ ؟ وحتَّىٰ متىٰ هٰذا الشَّقاءُ بٱلفقرِ ؟ وإِلىٰ أَيِّ أَمدٍ مِنَ الزَّمانِ ينجلي ٱلبؤسُ ويبتسمُ الدَّهرُ ٱلعبوسُ ؟ متى يبتسم الدهر؟

ويمكنُ أَنْ يكونَ ٱلمرادُ : إِلىٰ متىٰ وأَنتَ مثلُ ٱلمُحرِمِ لا تقتلُ ولا تصيدُ ؟

وهٰذا أَحلىٰ موقعاً .

وكانَ ﷺ يستعيذُ مِنَ ٱلفقرِ ، ويقولُ : « كَادَ ٱلْفَقْرُ أَنْ يَكُوْنَ كُفْراً »[1] . الكفر قرين الفقر

---

(١) أخرجه عن أنس القضاعي في « مسند الشهاب » (١/ ٣٤٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٥٣ و١٠٩) ، والعقيلي في « الضعفاء » (٤/ ٢٠٦) ، وابن الجوزي في « العلل المتناهية » (٢/ ٣٢٠) ، وأورد العجلوني في «كشف الخفاء» (١٩١٩) ، وزاد في نسبته إلى أحمد بن منيع ، وابن السكن في =

رفع المسهم

استعاذته ﷺ من الدَّين والفقر

ومِنْ دعائِهِ بِاللَّيلِ ـ كما عندَ « مسلمٍ » [(٢٧١٣) في الذكر والدعاء] وغيرِهِ ـ : « اَللَّهُمَّ رَبَّ اَلسَّمَاوَاتِ وَ[ربَّ] اَلأَرْضِ ، وَرَبَّ اَلْعَرْشِ اَلْعَظِيْمِ ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ ، مُنَزِّلَ اَلتَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيْلِ وَاَلْقُرْآنِ ، فَالِقَ اَلْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ، أَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِيْ شَرٍّ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ ، أَنْتَ اَلأَوَّلُ فَلَيْسَ أَحَدٌ قَبْلَكَ ، وَأَنْتَ اَلآخِرُ فَلَيْسَ أَحَدٌ بَعْدَكَ ، وَأَنْتَ اَلظَّاهِرُ فَلَيْسَ أَحَدٌ فَوْقَكَ ، وَأَنْتَ اَلْبَاطِنُ فَلَيْسَ أَحَدٌ دُوْنَكَ ، اُقْضِ عَنَّا اَلدَّيْنَ ، وأَغْنِنَا مِنَ اَلفَقْرِ »(١) .

أصول النعم

وقالوا : أُصولُ النِّعمِ أربعةٌ : الإيمانُ ، والأَمانُ ، والغِنىٰ ، والعافيةُ .

في أيدينا لا في قلوبنا

وقالَ سفيانُ : كانَ مِنْ دعائِهم : اَللَّهمَّ زهِّدنا في الدُّنيا ، ووسِّعها علينا ، ولا تَذُدْها عنّا ، وتُرَغِّبَنا فيها .

ارحموا ثلاثة

ويُروىٰ عنهُ ﷺ : أَنَّهُ كانَ يقولُ : « اُرْحَمُوْا ثَلاَثَةً : عَزِيْزَ قَوْمٍ ذَلَّ ، وَغَنِيَّ قَوْمٍ اُفْتَقَرَ ، وَعَالِماً بَيْنَ جُهَّالٍ »(٢) .

= « مصنفه » والبيهقي في « الشعب » وابن عدي في « الكامل » وقال : في سنده يزيد الرقاشي ضعيف .

(١) وأخرجه من حديث أبي هريرة أيضاً أبو داوود (٥٠٥١) ، والترمذي (٣٤٠٠) ، والنسائي في « عمل اليوم والليلة » (٧٩٠) ، وابن ماجه (٢٨٧٣) . وفي بعض رواياته : شيء بدل أحد ، وبدل عنّا : عني ، وبدل أغننا : أغنني .

(٢) أخرجه عن ابن مسعود القضاعي في « مسند الشهاب » (١/٤٢٧) بألفاظ متقاربة .

رفع المسهم

وقيلَ : جَهْدُ ٱلبلاءِ أَنْ تزولَ النِّعمةُ ، وتبقىٰ ٱلعالةُ ، ثُمَّ لا تَعْدَمُ صديقاً مُؤَنِّباً ، وعدوّاً شامتاً . جهد البلاء

وكانَ يُقالُ : ٱلفقرُ مَجْمَعُ ٱلعيوبِ . الفقر مجمع العيوب

قالَ حسَّانٌ [في « ديوانهِ » ٤٠ مِنَ ٱلخفيفِ] :

رُبَّ حِلْـمٍ أَضَـاعَـهُ عَـدَمُ ٱلْمَـا لِ ، وَجَهْلٍ غَطَّىٰ عَلَيْهِ ٱلنَّعِيْمُ

وقالَ عروةُ [في « ديوانهِ » ٩١ مِنَ ٱلوافرِ] :

ذَرِينِـيْ لِلْغِنَـىٰ أَسْعَـىٰ فَـإِنِّـيْ رَأَيْـتُ ٱلنَّـاسَ شَـرُّهُـمُ ٱلْفَقِيْـرُ

وقالَ جريرٌ [في « ديوانهِ » ٢٦ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

تَـرَادَفَهُـمْ فَقْـرٌ قَـدِيْـمٌ وَذِلَّـةٌ وَشَرُّ ٱلرَّدِيْفَاتِ ٱلْمَذَلَّةُ وَٱلْفَقْرُ

وما مِنْ خَصلةٍ تكونُ للغنيِّ مدحاً . . إلاَّ كانَتْ للفقيرِ ذمّاً ، فإنْ كانَ حليماً . . قيلَ : بليدٌ ، أَو شجاعاً . . قيلَ : أَهوجُ ، أَو لَسِنَاً . . قيلَ : مِهْذَارٌ ، وما أَشبهَ ذلِكَ . الصفة الواحدة للغني مدح وللفقير ذم

وقيلَ لبعضِ أَهلِ ٱلحِجا : كَمْ لكَ مِنْ صديقٍ ؟ قالَ : لا أَدري ؛ لأَنَّ الدُّنيا مقبلةٌ ، وٱلأَموالَ عندي موجودةٌ ، وإِنَّما يُعرفُ ذلكَ لو وَلَّتْ . أَلَمْ تسمعْ قولَ طريحٍ ؟! [مِنَ الكاملِ] : كم لك من الأصدقاء؟

وَٱلنَّـاسُ أَعْـدَاءٌ لِكُـلِّ مُـدَقِّـعٍ صِفْـرِ ٱلْيَـدَيْـنِ وَإِخْـوَةٌ لِلْمُكْثِـرِ

ولَمَّا ٱستوزرَ عليُّ بنُ عيسىٰ ، ورأَىٰ ٱجتماعَ النَّاسِ حولَهُ . . تمثَّلَ بقولِ أَبي ٱلعتاهيةِ [في « ديوانه » ٢٢ مِنَ ٱلبسيطِ] : الناس مع صاحب الدنيا

مَا ٱلنَّاسُ إِلاَّ مَعَ ٱلدُّنْيَا وَصَاحِبِهَا فَكَيْفَمَا ٱنْقَلَبَتْ يَوْماً بِهِ ٱنْقَلَبُوْا

رفع المسهم

يُعَظِّمُوْنَ أَخَا ٱلدُّنْيَا فَإِنْ وَثَبَتْ يَوْماً عَلَيْهِ بِمَا لاَ يَشْتَهِيْ وَثَبُوْا

وقديماً قيلَ : إذَا أَيسرْتَ . . فَكلُّ رَحلٍ رَحلُكَ ، وَإذا أَعسرْتَ . . أَنكرَكَ حتَّىٰ أَهلُكَ .

ما أكثر الإخوان حين تعدهم

وكانَ في ٱلجاهليَّةِ رجلٌ حسنُ ٱلحالِ ، يختلفُ إليهِ إخوانُهُ وبنو عمِّهِ ، فيعطيْهِم ، ويواسيْهِم ، ثُمَّ ٱختلَّ أَمرُهُ ، فجفَوهُ ، فعادَ إلىٰ منزلهِ كئيباً ، فقالَتْ لهُ ٱمرأَتُهُ : ما شَأْنُكَ ؟ فقالَ : دعيني عنكِ ، وأَنشأَ يقولُ [الأبيات في « المستطرف » ٢/ ٩٦ مِنَ الطَّويلِ] :

دَعِيْ عَنْكِ عَذْلِيْ مَا مِنَ ٱلْعَذْلِ أَعْجَبُ وَلاَ بُدَّ حَالٌ بَعْدَ حَالٍ تَقَلَّبُ

وَكَانَ بَنُوْ عَمِّيْ يَقُوْلُوْنَ : مَرْحَباً فَلَمَّا رَأَوْنِيْ مُقْتِراً مَاتَ مَرْحَبُ

كَأَنَّ مُقِلاً حِيْنَ يَغْدُوْ لِحَاجَةٍ إِلَىٰ كُلِّ مَنْ يَلْقَىٰ مِنَ ٱلنَّاسِ مُذْنِبُ

هيبة ذي المال

ومرَّ رجلٌ مِنَ ٱلأَغنياءِ برجلٍ مِنْ أَهلِ ٱلعلمِ ، فتحرَّكَ لهُ ، وأَكرمهُ ، فقيلَ لهُ : هَلْ كانَتْ لكَ إليهِ حاجةٌ ؟ قالَ : لا ، ولٰكنَّ ذَا المالِ مَهِيْبٌ ، وقد قيلَ فيهِ [مِنَ الطَّويلِ] :

أَرَىٰ كُلَّ ذِيْ مَالٍ يُجَلُّ لِمَالِهِ وَمَنْ لَيْسَ ذَا مَالٍ يُهَانُ وَيُحْقَرُ

وَيَخْذُلُهُ ٱلإِخْوَانُ ، إِنْ زَارَهُمْ جَفَوْا وَلَمْ يَسْأَلُوْا إِنْ غَابَ بَلْ هُوَ يُهْجَرُ

سَأَقْنَعُ بِٱلْمَالِ ٱلْقَلِيْلِ تَكَرُّماً لأَغْنَىٰ بِهِ عَمَّا لَدَيْهِمْ وَأَصْبِرُ

خسة العالم الذي يتواضع لغني

وهٰذا ٱلعالِمُ لا شكَّ أَنَّهُ مِنْ صغارِ ٱلنُّفوسِ ، وزُمناءِ ٱلمروءَةِ[1] ، وضعفاءِ ٱلدِّينِ ، وإلاَّ . . فقد كانَ ٱلأَغنياءُ يتمنَّوْنَ أَنْ لو كانوا فقراءَ

(١) زمناءُ المروءَةِ : أصابَ مروءَتَهمُ المرضُ .

رفع المسهم

في مجلسِ سفيانَ الثَّوريِّ ؛ لِمَا يرونَ مِنْ إيثارِهِ إيَّاهم ، وذلكَ هديُ رسولِ اللهِ ﷺ ، لا يُنزلُ النَّاسَ إلاَّ عندَ مواضعِهم في الفضلِ والدِّينِ ، وحديثُ عمرَ معَ صفوانَ بنِ أُميَّةَ وسهيلِ بنِ عمرٍو ، وتأخيرُهُ مجالسَهُم لرفعِ المهاجرينَ الأوَّلينَ عليهم . . معروفٌ .

الإمام يحب المساكين

وفي وصفِ الإمامِ عليٍّ ـ كرَّمَ اللهُ وجههُ ـ أنَّهُ يحبُّ المساكينَ ، ويُقدِّمُ أهلَ الدِّينِ .

إكرام العلماء عند أهل (اليمن)

وما زالَ الحالُ في بلادِنا ـ حرسها اللهُ ـ علىٰ ما كانَ عليهِ السَّلفُ الصَّالحُ مِنْ إيثارِ أهلِ الدِّينِ ، حَتَّىٰ لقد أخبرني الثِّقةُ عمَّنْ حضرَ اجتماعَ الأعيانِ بمحضرِ الإمامِ حسنِ بنِ صالحِ البحرِ للمُشاورةِ في غرضٍ مِنَ الأغراضِ : أنَّ السَّيِّدَ الجليلَ أحمدَ الجنيدَ ـ وكانَ بصيراً[1] ـ سبقَ إلىٰ مجلسٍ يقربُ مِنَ الصَّدرِ ، فأقامَهُ الشَّهمُ الهمامُ السَّيِّدُ حسينُ بنُ سهلٍ ، وقالَ لهُ : إنَّما الصَّدرُ للصدورِ مِنْ أهلِ العلمِ ، وأمَّا مجلسي وإيَّاكَ ومَنْ لفَّنا مِنْ أهلِ الثَّروةِ فإنَّما يكونُ في الأُخرياتِ ، نعمْ واللهِ ما زالَ عندنا الأمرُ كذلكَ حَتَّىٰ هدمَ شرفَ الدِّينِ بُناتُهُ ، وأضاعَهُ حُماتُهُ ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ باللهِ .

الكلام في الغنى والفقر

والكلامُ في الغنىٰ والفقرِ معروفٌ ، والمفاضَلةُ بينَ الفقيرِ الصَّابرِ ، والغنيِّ الشَّاكرِ طويلةُ الذَّيلِ ، وعامَّةُ الصُّوفيَّةِ علىٰ تفضيلِ الأوَّلِ ، وآياتُ القرآنِ أكثرُ دلالةً عليهِ ، ولو لم يكنْ مِنها إلاَّ قولُهُ تقدَّستْ أسماؤُهُ : ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ

---

(١) قصد أنه أعمىٰ ، وهو من قبيل تسمية الشيء بضده تفاؤلاً .

رفع المسهم

بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف : ٣٣ـ٣٥] .

وصف الإمام للنبي ﷺ

وممّا ينسبُ لأَميرِ ٱلمؤمنينَ ـ كرَّمَ ٱللهُ وجهَهُ ـ في وصفهِ ﷺ قولهُ [في « نهج البلاغة » ١٨٧] : وقد زُويَتْ[1] عنهُ أَطرافُها[2] ـ ووُطِّئَتْ لغيرِهِ مِنَ ٱلجبابرةِ أَكنافُها[3] ـ فلينظرْ ناظرٌ بعقلِهِ ، هل أَكرمَ ٱللهُ محمَّداً بذلكَ أَو أَهانَهُ ؟ فإِنْ قالَ : أَهانَهُ . . فقد جاءَ بٱلإِفكِ ٱلعظيمِ ، وإِنْ قالَ : أَكرمَهُ . . فليعلمْ أَنَّ ٱللهَ أَهانَ غيرَهُ ممَّنْ بسطَ ٱلدنيا لهُ .

تواضعه ﷺ

وقالَ ﷺ لعُمرَ حينَ لَمْ يملِكْ عينَهُ ، وقد رأَىٰ أَثرَ ٱلحصيرِ في جَنبِهِ ، ولَمْ يرَ ما يردُّ ٱلطَّرفَ في بيتهِ غيرَ القَرَظِ[4] وٱلأُهُبِ ، وذكرَ حالَ كسرىٰ وقيصرَ : «أَمَا تَرْضَىٰ أَنْ تَكُونَ لَهُمُ ٱلدُّنْيَا وَلَنَا ٱلآخِرَةُ؟!»[5] .

تفضيل أهل الحديث الغنى على الفقر

وقالَ أَهلُ ٱلحديثِ : بتفضيلِ الثاني[6] ؛ لأَنَّهُ الآخِرُ مِنْ أَحوالِهِ ﷺ ، ولِمَا سبقَ مِنِ ٱستعاذتِهِ مِنَ ٱلفقرِ ، وقرنِهِ إِيَّاهُ بالكفرِ ، ولا يُشكِلُ هٰذا بموتهِ ودرعُهُ مرهونةٌ ؛ فإِنَّ ٱلبلادَ قد ٱفتُتِحَتْ ،

---

(١) زُوِيتْ : نُحِّيت ، وبُوعِدَت .

(٢) شيءٌ طريفٌ : طيِّبٌ ، والمعنىٰ : أَنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالىٰ أبعدَ نبيَّهُ ﷺ عَن طيِّباتِ الدنيا ؛ ليدَّخِرَها لهُ في الآخرة .

(٣) أكنافُها : نَواحيها وجوانِبُها .

(٤) القَرَظُ : ورق شجر يدبغ به الأُهُب وهي الجلود .

(٥) أخرجه عن ابن عبَّاسٍ رضي اللهُ عنهما البخاري (٤٩١٣) في التفسير ، وأحمد في « مسنده » (٣/ ١٣٩) .

(٦) أي : الغَنِيّ .

رفع المسهم

وأغنىٰ ٱلأرضِ ـ وهي (ٱليمنُ) ـ تجبىٰ إليهِ ، إلاَّ أنَّ دأبَهُ ٱلإيثارُ ، فلا بأسَ أن يحصلَ ذلكَ معَ ٱتِّصافهِ بالغنىٰ بلا تغايرٍ .

من خصائص النبي ﷺ

ومِنْ خصائصِهِ : أنَّهُ لا يبيتُ عندَهُ درهمٌ ، إلاَّ درهمٌ يرصدُهُ لِدَينٍ ، وفي « الصحيحِ » [البخاري ١٢٢١] : أنَّهُ ٱنصرفَ وقد أُقيمتِ ٱلصلاةُ ؛ لتذكُّرِهِ تِبْرَاً في بيتهِ ، ولم يعُد حَتَّىٰ تبرَّأَ منهُ إلىٰ مَنْ يستحقُّهُ ، فهو ٱلأحقُّ بقولِ جوبةَ بنِ ٱلنضرِ [مِنَ ٱلبسيطِ] :

إنَّا إذَا ٱجْتَمَعْتَ يَوْماً دَرَاهِمُنَا ظَلَّتْ إلَىٰ طُرُقِ ٱلْمَعْرُوْفِ تَسْتَبِقُ
لاَ يَأْلَفُ ٱلدِّرْهَمُ ٱلْمَضْرُوْبُ صُرَّتَنَا لَكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهْوَ مُنْطَلِقُ

وإلاَّ . . فأيُّ غنيٍّ يقدرُ أنْ يقولَ مثلَهُ ؟ : « مَنْ مَاتَ وَتَرَكَ مَالاً . . فَلِوَرَثَتِهِ ، وَمَنْ مَاتَ وَتَرَكَ دَيْناً أَوْ ضَيَاعاً . . فَعَلَيْنَا »[1] .

أفضل الأحوال الكفاف

وٱلكلامُ في ذلكَ يستدعي طولاً ، ومعَ ٱختلافِهِم فيما ذُكرَ ، فقد ٱتَّفقوا علىٰ تفضيلِ ٱلكفافِ ، ولهٰذا سألَهُ رسولُ ٱللهِ ﷺ لأهلِ بيتهِ ، فقالَ : « ٱللَّهُمَّ ٱجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوْتاً »[2] .

استشكال حديث: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً»

وفيهِ إشكالٌ ؛ لأنَّ ٱلمُشاهَدَ مِنْ آلِ ٱلبيتِ أنَّهُم كسائرِ ٱلنَّاسِ ، فيهمُ ٱلغنيُّ وٱلفقيرُ وٱلمسكينُ وٱلمتوسِّطُ ٱلحالِ ، حَتَّىٰ لقد ذهبَ بها ٱلقطبُ ٱلحدَّادُ ـ معَ جلالةِ قدرِهِ ، وغزارةِ علمِهِ ، وبُعدِ نظرِهِ ـ عريضةً ، فتشكَّكَ في نسبِ مَنْ يُثري مِنْ أهلِ ٱلبيتِ ، ويلزمُهُ نظيرُهُ

---

(١) أخرجه عن أبي هريرة رضي الله عنه مسلم (١٦١٩) في الفرائض بألفاظ متقاربة . الضياعُ : كلُّ من تلزمه نفقتهم ويضيعون بضياعه وفقده .
(٢) أخرجه عن أبي هريرة رضي الله عنه مسلم (١٧٤٧) في الزكاة .

رفع المسهم

فيمَن يُعْدِمُ ، وأَحسنُ ٱلأَجوبةِ أَنْ يُقالَ : إنَّ ٱلمرادَ مِنْ أَهلِ ٱلبيتِ في ٱلحديثِ : إنَّما همُ ٱلموجودونَ إِذْ ذاكَ ، لا سائرُهُم في كلِّ زمانٍ .

وإِلاَّ جاءَ ما قالَهُ الحدَّادُ ، أَو تبيَّنَ عدمُ قَبولِ ٱلدُّعاءِ ، ويدخلُ في ٱلموضوعِ كلُّ ما جاءَ في ذمِّ الدُّنيا ومدحِها ، وفي ذلِكَ إِشكالٌ عظيمٌ، يأتي حَلُّهُ في ٱلمجلسِ الثَّالثَ عشرَ بِمَا يشفي ويكفي ، إِنْ شاءَ ٱللهُ تعالىٰ.

خير الغنى

وقالَ أَوسُ بنُ حارثةَ : خيرُ ٱلْغنىٰ ٱلقُنُوعُ ، وَشرُّ ٱلفَقرِ ٱلخضُوعُ

الشعراء والغنى والفقر

وقالَ سالمُ بنُ وابصةَ [مِنَ الطَّويلِ] :

غِنَىٰ ٱلنَّفْسِ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سَدِّ حَاجَةٍ ... فَإِنْ زَادَ شَيْئاً عَادَ ذَاكَ ٱلْغِنَىٰ فَقْرَا

وقالَ ٱلأَضبطُ بنُ قُرَيْعٍ [مِنَ المنسرحِ] :

إِرْضَ مِنَ ٱلدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ ... مَنْ قَرَّ عَيْناً بِعَيْشِهِ نَفَعَهْ

وقالَ ٱلجُرهميُّ [مِنَ البسيطِ] :

ٱلْعَيْشُ لاَ عَيْشَ إِلاَّ مَا قَنِعْتَ بِهِ ... قَدْ يَكْثُرُ ٱلْمَالُ وَٱلإِنْسَانُ مُفْتَقِرُ

وأَلَمَّ بهِ النَّاظمُ في قولِهِ [في « العُبَريّ » ٢/ ١٥٠ مِنَ الطَّويلِ] :

وَمَنْ أَنْفَقَ ٱلسَّاعَاتِ فِيْ جَمْعِ مَالِهِ ... مَخَافَةَ فَقْرٍ فَٱلَّذِيْ فَعَلَ ٱلْفَقْرُ

وأَنشدَ ٱلأَصمعيُّ [مِنَ البسيطِ] :

فَٱلْهَمُّ فَضْلٌ وَطُوْلُ ٱلْعَيْشِ مُنْقَطِعُ ... وَٱلرِّزْقُ آتٍ وَفَضْلُ ٱللهِ مُنْتَظَرُ

ومِمَّا يُروىٰ للشافعيِّ [مِنَ البسيطِ] :

لَكِسْرَةٌ مِنْ جَرِيْشِ ٱلْخُبْزِ تُشْبِعُنِيْ ... وَنَهْلَةٌ مِنْ زُلاَلِ ٱلْمَاءِ تُرْوِيْنِيْ

رفع المسهم

وَقِطْعَةٌ مِنْ غَلِيظِ ٱلْقُطْنِ تَسْتُرُنِيْ حَيّاً وَإِنْ مِتُّ تَكْفِينِيْ لِتَكْفِينِي[1]

ويُروىٰ لهُ [مِنَ الخفيفِ] :

أَمْطِرِيْ لُؤْلُؤاً جَبَالَ سَرَنْدِيـ ـبَ وَفِيْضِيْ جِبَالَ تَكْرُوْرَ تِبْرَا
أَنَا إِنْ عِشْتُ لَسْتُ أَعْدَمُ قُوْتاً وَإِذَا مِتُّ لَسْتُ أَعْدَمُ قَبْرَا

وكانَ القاضي يحيىٰ بنُ أَكثمَ كثيراً ما ينشدُ [مِنَ البسيطِ] :

حَتَّىٰ مَتَىٰ أَنَا فِيْ حَطٍّ وتَرْحَالِ وَطُوْلِ سَعْيٍ وَإِدْبَارٍ وَإِقْبَالِ
وَلَوْ قَعَدْتُ أَتَانِيْ ٱلرِّزْقُ فِيْ دَعَةٍ إِنَّ ٱلْقُنُوْعَ ٱلْغِنَىٰ لاَ كَثْرَةُ ٱلْمَالِ

وكانَ بعضُ أَصحابهِ ينالُ مِنْ فضلِ معروفِهِ ، غيرَ أَنَّهُ يلقىٰ عَنَتاً في ٱلوصولِ إليهِ ، وذُلاً في ٱلوقوفِ ببابهِ ، فأَخذَهُ ٱلأَنَفُ مِنْ ذلكَ ، وٱنجمعَ في بيتِهِ ، فعاتَبَتْهُ ٱمرأَتُهُ ، فقالَ [مِنَ الطَّويلِ] :

تُكَلِّفُنِيْ إِذْلاَلَ نَفْسِيْ لِعِزِّهَا وَهَانَ عَلَيْهَا أَنْ أُهَانَ لِتُكْرَمَا
تَقُوْلُ: سَلِ ٱلْمَعْرُوْفَ يَحْيَىٰ بْنَ أَكْثَمٍ فَقُلْتُ : سَلِيْهِ رَبَّ يَحْيَىٰ بْنِ أَكْثَمَا

وقالَ بعضُهُم [مِنَ السَّريعِ] :

مَنْ كَانَ ذَا مَالٍ كَثِيْرٍ وَلَمْ يَقْنَعْ فَذَاكَ ٱلْمُوْسِرُ ٱلْمُعْسِرُ
ٱلْفَقْرُ فِيْ ٱلنَّفْسِ وَفِيْهَا ٱلْغِنَىٰ وَفِيْ غِنَىٰ ٱلنَّفْسِ ٱلْغِنَىٰ ٱلأَكْبَرُ

القناعة هي الحياة الطيبة

ويُروىٰ عَنِ ٱلحسنِ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل : ٩٧] : إِنَّها ٱلقناعةُ .

---

(١) أَي : للوقتِ الذي أَلبَسُ فيهِ الكَفَنَ .

رفع المسهم

كيف تصبح ملكاً؟ وقيلَ لمحمَّدِ بنِ واسعٍ : أَوصني ، فقالَ : كُنْ ملكاً في ٱلدُّنيا وفي ٱلآخرةِ ، فقيلَ لهُ : وكيفَ ؟ قالَ : ٱزهدْ في ٱلدُّنيا ، وٱقنعْ .

أخذَ بعضَهُ ٱلطُّغرائيُّ فقالَ [مِنَ ٱلبسيطِ] :

مُلْكُ ٱلْقَنَاعَةِ لاَ يُخْشَىٰ عَلَيْهِ وَلاَ ... يُحْتَاجُ فِيْهِ إِلَىٰ الأَنْصَارِ وَٱلْخَوَلِ

القليل الكافي خير من الكثير الملهي وصحَّ مِنْ حديثِ أَبي ٱلدَّرداءِ مرفوعاً : « مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ إِلاَّ بُعِثَ بِجَنَبَتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ : يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ، هَلُمُّوْا إِلَىٰ رَبِّكُمْ ، فَإِنَّ مَا قَلَّ وَكَفَىٰ ، خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَىٰ »[1] .

الغنى غنى القلب وصحَّ مِنْ حديثِ أَبي ذَرٍّ يرفعهُ : « إِنَّمَا ٱلْغِنَىٰ غِنَىٰ ٱلْقَلْبِ ، وَٱلْفَقْرُ فَقْرُ ٱلْقَلْبِ »[2] .

عودة إلى الشعراء وقالَ أَبو فراسٍ ٱلحمدانيُّ [في « ديوانهِ » ٢٤٨ مِنَ ٱلهزَجِ] :

غِنَىٰ ٱلنَّفْسِ لِمَنْ يَعْقِـ ... ـلُ خَيْرٌ مِنْ غِنَىٰ ٱلْمَالِ

وَفَضْلُ ٱلنَّاسِ فِيْ ٱلأَنْفُـ ... ـسِ لَيْسَ ٱلْفَضْلُ فِيْ ٱلْمَالِ

---

(١) أخرجه عن أبي الدرداء أحمد في « مسنده » (٥/ ١٩٧) ، والحاكم في « المستدرك » (٣٦٦٢) .

وتمام الحديث : « ولا آبت شمس قط إلا بعث بجنبتيها ملكان يناديان ، يسمعان أهل الأرض إلا الثقلين : اللهم . . أعط منفقاً خلفاً ، وأعط ممسكاً مالاً تلفاً » .

(٢) أخرجه عن أبي ذر الحاكم في « المستدرك » (٤/ ٣٦٣) ، وابن حبان في « الإحسان » مطولاً (٦٨٥) بإسناد صحيح .

رفع المسهم

وقالَ نابغةُ ذبيانَ [في « ديوانهِ » ٢٣٢ مِنَ الوافرِ] :

وَلَسْتُ بِخَابِىءٍ لِغَدٍ طَعَاماً حَذَارَ غَدٍ لِكُلِّ غَدٍ طَعَامُ

وقالَ قيسُ بنُ الخَطيمِ [في « ديوانهِ » ١٠١ مِنَ الوافرِ] :

غَنَاءُ النَّفْسِ مَا عَمِرَتْ غَنَاءُ وَفَقْرُ النَّفْسِ مَا عَمِرَتْ شَقَاءُ

وجهة نظر الخليل الفراهيدي إلى الغنى والفقر

وقالَ النَّضرُ بنُ شميلٍ : أَقامَ الخليلُ في خُصٍّ مِنْ أَخصاصِ (البصرةِ) ، لا يقدرُ علىٰ فَلْسٍ ، وأَصحابُهُ يكسبونَ بعلمِهِ الأَموالَ ، ولقد سمعتُهُ يقولُ : إِنِّي لأُغلقُ عليَّ بابي ، فما يجاوزُهُ همِّيْ ، وكتبَ إليهِ سليمانُ بنُ حبيبِ بنِ المهلَّبِ ، وهو والي (الأَهوازِ) و(فارسَ) ، يستدعيهِ ، فكتبَ الخليلُ في جوابِهِ [مِنَ البسيطِ] :

أَبْلِغْ سُلَيْمَانَ أَنِّيْ عَنْهُ فِيْ سَعَةٍ وَفِيْ غِنىً غَيْرَ أَنِّيْ لَسْتُ ذَا مَالِ
شُحّاً بِنَفْسِيَ أَنِّيْ لاَ أَرَىٰ أَحَداً يَمُوْتُ هُزْلاً وَلاَ يَبْقَىٰ عَلَىٰ حَالِ
وَالرِّزْقُ عَنْ قَدَرٍ لاَ الضَّعْفُ يُنْقِصُهُ وَلاَ يَزِيْدُكَ فِيْهِ حَوْلُ مُحْتَالِ
وَالْفَقْرُ فِيْ النَّفْسِ لاَ فِيْ الْمَالِ تَعْرِفُهُ وَمِثْلُ ذَاكَ الْغِنَىٰ فِيْ النَّفْسِ لاَ الْمَالِ

خير الرزق ما كان مياومة

وَأَغارَ البُحتريُّ علىٰ بيتِ النابغةِ السَّابقِ فقالَ [مِنَ الوافرِ] :

إِذَا مَا كَانَ عِنْدِيْ قُوْتُ يَوْمٍ طَرَحْتُ الْهَمَّ عَنِّيْ يَا سَعِيْدُ
وَلَمْ تَخْطُرْ هُمُوْمُ غَدٍ بِبَالِيْ لأَنَّ غَداً لَهُ رِزْقٌ جَدِيْدُ

وقالَ آخرُ [مِنَ البسيطِ] :

مَنْ كَانَ لَمْ يُعْطَ عِلْماً فِيْ بَقَاءِ غَدٍ مَاذَا تَفَكُّرُهُ فِيْ رِزْقِ بَعْدَ غَدِ

رفع المسهم

وقالَ غيرُهُ [مِنَ البسيطِ] :

لأَصْبِرَنَّ عَلَىٰ عُسْرِيْ وَمَيْسَرَتِيْ ... يَوْماً بِيَوْمٍ كَمَا تَجْبِيْ ٱلْعَصَافِيْرُ[1]

الطمع هو الفقر والقناعة هي الغنى

وصحَّ أَنَّهُ عليهِ ٱلسَّلامُ قالَ : « عَلَيْكَ بِٱلإِيَاسِ مِمَّا فِيْ أَيْدِيْ ٱلنَّاسِ ، وإِيَّاكَ وَٱلطَّمَعَ ؛ فَإِنَّهُ ٱلْفَقْرُ ٱلْحَاضِرُ ، وَصَلِّ صَلاَتَكَ وَأَنْتَ مُوَدِّعٌ ، وَإِيَّاكَ وَمَا تَعْتَذِرُ مِنْهُ »[2] .

وقالَ أَبو العتاهيةِ [في « ديوانهِ » ١٤١ مِنَ ٱلوافرِ] :

أَطَعْتُ مَطَامِعِيْ فَٱسْتَعْبَدَتْنِيْ ... وَلَوْ أَنِّيْ قَنِعْتُ لَكُنْتُ حُرًّا

وقد سبقَ في غيرِ هَـٰذَا ٱلمجلسِ تعريضُ أَبي فراسٍ بالنَّاظمِ في قولِهِ [مِنَ ٱلبسيطِ] :

لَيْسَ ٱلتَّعَلُّلُ بِٱلآمَالِ مِنْ أَرَبِيْ ... وَلاَ ٱلْقَنَاعَةُ بِٱلإِقْلاَلِ مِنْ شِيَمِيْ

وقالَ ٱلمعريُّ [في « ديوانهِ » ١٢٣ مِنَ ٱلوافرِ] :

أَأَخْمُلُ وَٱلنَّبَاهَةُ فِيَّ لَفْظٌ ... وَأَقْتُرُ وَٱلْقَنَاعَةُ لِيْ عَتَادُ

وقالَ [في « ديوانهِ » ٢٢٥ مِنَ الطَّويلِ] :

وَإِنِّيْ لَمُثْرٍ يَا ٱبْنَ آخِرِ لَيْلَةٍ ... وَإِنْ قَلَّ مَالٌ فَٱلْقُنُوْعُ ثَرَاءُ[3]

---

(١) لما أخرجه عن الخليفة الراشدي عمرَ رضي الله عنه ابنُ حبان في « الإحسان » (٧٣٠) بإسناد جيد وغيره ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لو أنكم توكَّلون على اللهِ حقَّ توكُّلِهِ ؛ لرزقَكُم كما يَرزُقُ الطيرَ تغدو خماصاً وتروح بطاناً » . خماصاً : جياعاً . وتروح بطاناً : ترجع شباعاً ممتلئة البطون .

(٢) أخرجه عن سعد ابن أبي وقاص مالكٌ رضي الله عنه الحاكم في « المستدرك » (٤/ ٣٦٢) ، وفي الباب :

عن جابر رضي الله عنه رواه بنحوه الطبراني في « الأوسط » (٧/ ٣٧٠) .

(٣) ابنُ آخرِ ليلةٍ : هوَ الذي حملَت بهِ أمُّه في آخرِ ليلةٍ مِن طُهرِها ، وفي ٱعتقادِ=

رفع المسهم

وقالَ [في « ديوانهِ » ١٩٠ مِنَ الطَّويلِ] :

وَإِنَّ ٱلْغِنَىٰ وَٱلْفَقْرَ فِيْ مَذْهَبِ ٱلنُّهَىٰ ... لَسِيَّانِ بَلْ أَعْفَىٰ مِنَ ٱلثَّرْوَةِ ٱلْعُدْمُ

فَمَا نِلْتُ مَالاً قَطُّ إِلاَّ وَمَالَ بِيْ ... وَلاَ دِرْهَماً إِلاَّ وَدَرَّ بِيَ ٱلْهَمُّ

وقالَ [في « ديوانهِ » ٢١١ مِنَ ٱلبسيطِ] :

وَٱلْمَوْتُ أَحْسَنُ بِٱلنَّفْسِ ٱلَّتِيْ أَلِفَتْ ... عِزَّ ٱلْقَنَاعَةِ مِنْ أَنْ تَسْأَلَ ٱلْقُوْتَا

وقالَ [في « ديوانهِ » ٢٥٢ مِنَ ٱلوافرِ] :

وَمَا يَنْفَكُّ ذُو مَالٍ عَتِيْدٍ ... فَتىً جَعَلَ ٱلْقُنُوعَ لَهُ عَتَادَا

وقالَ [في « ديوانهِ » ٢٦٩ مِنَ الطَّويلِ] :

سَيَطْلُبُنِيْ رِزْقِيْ ٱلَّذِيْ لَوْ طَلَبْتُهُ ... لَمَا زَادَ وَٱلدُّنْيَا حُظُوْظٌ وَإِقْبَالُ

وهو مِنْ قولِ عروةَ بنِ أُذَيْنَةَ [مِنَ البسيطِ] :

لَقَدْ عَلِمْتُ وَمَا الإِسْرَافُ مِنْ خُلُقِيْ

وقالَ ٱلمعريُّ أَيضاً [مِنَ الطَّويلِ] :

وهَلْ يَذْخَرُ ٱلضِّرْغَامُ قُوْتاً لِيَوْمِهِ ... إِذَا ٱدَّخَرَ ٱلنَّمْلُ ٱلطَّعَامَ لِعَامِهِ

وفي هٰذا يطولُ ٱلكلامُ، وقد وفَّيْناهُ حقَّهُ مِنَ التَّفصيلِ في كتابِنا «بلابل التغريدِ».

علم ابن ميادة أن عنده ناقة حلوباً فاستغنى عن الملوك

وأَزمعَ ٱبنُ ميَّادةَ ٱلوفادةَ علىٰ ٱلمنصورِ ؛ ليمدحَهُ بقصيدتِهِ ٱلتي يقولُ فيها [في « شعرهِ » ١٠ مِنَ ٱلكاملِ] :

قَوْمٌ إِذَا جُلِبَ ٱلثَّنَاءُ إِلَيْهِمُ ... بِيْعَ ٱلثَّنَاءُ هُنَاكَ بِٱلأَرْبَاحِ

= العربِ أَنَّ الولدَ الذي حُملَ بهِ علىٰ هٰذا النَّحوِ ولدٌ ذميمٌ .

رفع المسهم

فأَراحَ عليهِ خادمُهُ بلَبَنِ لَقْحَةٍ لهُ[1] ، فشربَ حتَّىٰ رُئِيَ الرِّيُّ يخرجُ مِنْ أَظفارِهِ ، وصارَتْ بطنُهُ مثلَ القدحِ ، فقالَ : أَيوجدُ معنا هٰذا كلَّ يومٍ ؟ قالَ لهُ : نعمْ ، فثَنَىٰ عزمَهُ ، وحلَّ رحلَهُ .

البخيل يبخل بالمال فابخل بماء وجهك

ويعجبني قولُ مهيارٍ [في « ديوانهِ » ٣/ ١٣٨ مِنَ الكاملِ] :

يُلْحِيْ عَلَىٰ الْبُخْلِ الشَّحِيْحُ بِمَالِهِ ... أَفَلاَ تَكُوْنُ بِمَاءِ وَجْهِكَ أَبْخَلاَ ؟!
أَكْرِمْ يَدَيْكَ عَنِ السُّؤَالِ فَإِنَّمَا ... قَدْرُ الْحَيَاةِ أَقَلُّ مِنْ أَنْ تُسْأَلاَ
وَلَقَدْ أَضُمُّ إِلَيَّ فَضْلَ قَنَاعَتِيْ ... وَأَبِيْتُ مُشْتَمِلاً بِهَا مُتَزَمِّلاَ
وَأُرِيْ الْعَدُوَّ عَلَىٰ الْخَصَاصَةِ حَالَةَ ... تَصِفُ الْغِنَىٰ فَيَخَالُنِيْ مُتَمَوِّلاَ
وَإِذَا امْرُؤٌ أَفْنَىٰ اللَّيَالِيَ حَسْرَةً ... وَأَمَانِياً.. أَفْنَيْتُهُنَّ تَوَكُّلاَ

الإخلاص في التوكل

غيرَ أَنَّ القولَ الجامعَ قولُهُ ﷺ : « لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَىٰ اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ.. لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ ، تَغْدُوْ خِمَاصاً[2] وَتَرُوْحُ بِطَاناً »[3] ، فَلَمْ يُثْنِ علىٰ القعودِ ولزومِ البيوتِ ، وإِنَّما أَشارَ بالعملِ ، ونهىٰ عَنِ الالتِفاتِ إليهِ ، وحثَّ علىٰ الأَسبابِ ، وأَمرَ بالاعتمادِ علىٰ مسبِّبِها .

صدق رسول الله ﷺ إن من الشعر لحكمة

ويعجبُني ما ذكرَ ابنُ السُّبكيِّ [في « طبقاته » ٤/ ٢٣١] عَنِ الإِصطَخريِّ : أَنَّ أَبا إِسحاقَ الشِّيرازيَّ أَنشدَهُ ، ولم يُسمِّ قائلاً ، وهو [مِنَ الطَّويلِ] :

صَبَرْتُ عَلَىٰ بَعْضِ الأَذَىٰ خَوْفَ كُلِّهِ ... وَأَلْزَمْتُ نَفْسِيْ صَبْرَهَا فَاسْتَقَرَّتِ

---

(١) اللقحةُ : الناقةُ الحلوبُ الغزيرةُ اللبنِ .
(٢) تغدو خِماصاً : تخرجُ في الصباح ضامرةَ البطونِ .
(٣) أخرجه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحاكم في « المستدرك » (٤/ ٣٥٤) ، وسلف في التعليق .

رفع المسهم

وَجَرَّعَتْهَا ٱلْمَكْرُوهَ حَتَّىٰ تَدَرَّبَتْ ... وَلَوْ حُمِّلَتْهُ جُمْلَةً لاَسْمَأَزَّتِ

فَيَا رُبَّ عِزٍّ جَرَّ لِلنَّفْسِ ذِلَّةً ... وَيَا رُبَّ نَفْسٍ بِٱلتَّذَلُّلِ عَزَّتِ

وَمَا ٱلْعِزُّ إِلاَّ خِيفَةَ ٱللهِ وَحْدَهُ ... فَمَنْ خَافَ مِنْهُ خَافَهُ مَا أَقَلَّتِ

سَأَصْدُقُ نَفْسِيْ إِنَّ فِيْ ٱلصِّدْقِ حِكْمَةً ... وَأَرْضَىٰ بِدُنْيَايَ وَإِنْ هِيَ قَلَّتِ

وَأَهْجُرُ أَبْوَابَ ٱلْمُلُوْكِ فَإِنَّنِيْ ... أَرَىٰ ٱلْحِرْصَ جَلاَّباً لِكُلِّ مَذَلَّةِ

إِذَا مَا مَدَدْتُ ٱلْكَفَّ ٱلْتَمِسُ ٱلْغِنَىٰ ... إِلَىٰ غَيْرِ مَنْ قَالَ ٱسْأَلُوْنِيْ فَشَلَّتِ

إِذَا طَرَقَتْنِيْ ٱلنَّائِبَاتُ بِنَكْبَةٍ ... تَذَكَّرْتُ مَا عُوْفِيْتُ مِنْهُ فَقَلَّتِ

وَمَا نَكْبَةٌ إِلاَّ وَللهِ مِنَّةٌ ... إِذَا قَابَلَتْهَا أَدْبَرَتْ وَٱضْمَحَلَّتِ

تَبَارَكَ رَزَّاقُ ٱلْبَرِيَّةِ كُلِّهَا ... عَلَىٰ مَا أَرَادَ لاَ عَلَىٰ مَا ٱسْتَحَقَّتِ

فَكَمْ عَاقِلٍ لاَ يَسْتَبِيْتُ وَجَاهِلٍ ... تَرَقَّتْ بِهِ أَحْوَالُهُ وَتَعَلَّتِ[1]

وَكَمْ مِنْ جَلِيْلٍ لاَ يُرَامُ حِجَابُهُ ... بِدَارِ غُرُوْرٍ أَدْبَرَتْ وَتَوَلَّتِ

تَشُوْبُ ٱلْقَذَىٰ بِٱلصَّفْوِ وَٱلصَّفْوَ بِٱلْقَذَىٰ ... وَلَوْ أَحْسَنَتْ فِيْ كُلِّ مَالٍ لَمُلَّتِ

* * *

(١) لا يستبيتُ : أي ليس له بِيتُ ليلة ، والبِيتُ : القوتُ .

رفع المسهم

[قالَ أَبو الطَّيِّبِ المتنبي في « العُكْبَريِّ » ٤/ ٣٤ مِنَ الطَّويلِ] :

وَإِلاَّ تَمُتْ تَحْتَ ٱلسُّيُوْفِ مُكَرَّماً نَمُتْ وَتُقَاسِيْ ٱلذُّلَّ غَيْرَ مُكَرَّمِ

حث المتنبي على الإقدام

يحثُّ علىٰ ٱلإقدامِ ؛ لطلبِ ٱلعزِّ ، ويقولُ : إنَّ ٱلموتَ لا بدَّ منهُ ، فإمَّا : تحتَ بارقةِ ٱلسُّيوفِ علىٰ ٱلشَّرفِ ، وإمَّا : حتفَ ٱلأَنفِ علىٰ ٱلذُّلِ وٱلمهانةِ .

الشعراء تشجع الجبان وتحث على الإقدام

وما زالتِ ٱلشُّعراءُ تشجِّعُ ٱلجبانَ بمثلِ هٰذا ، وأَحسنُ ٱلخَلْقِ قولاً فيهِ ٱلخوارجُ .

قالَ قَطَرِيُّ بنُ ٱلفجاءَةِ [كما في « حياتِهِ وشعرِهِ » ٦٨ مِنَ الوافرِ] :

أَقُوْلُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شُعَاعاً مِنَ ٱلأَبْطَالِ وَيْحَكِ لاَ تُرَاعِيْ[1]
فَإِنَّكِ لَوْ سَأَلْتِ بَقَاءَ يَوْمٍ عَلَىٰ ٱلأَجَلِ ٱلَّذِيْ لَكِ لَمْ تُطَاعِيْ
فَصَبْراً فِيْ مَجَالِ ٱلْمَوْتِ صَبْراً فَمَا نَيْلُ ٱلْخُلُوْدِ بِمُسْتَطَاعِ
سَبِيْلُ ٱلْمَوْتِ غَايَةُ كُلِّ حَيٍّ وَدَاعِيْهِ لأَهْلِ ٱلأَرْضِ دَاعِ
وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِيْ حَيَاةٍ إِذَا مَا عُدَّ مِنْ سَقَطِ ٱلْمَتَاعِ

وقالَ [في « ديوانِهِ » ٦٩-٧٠ مِنَ الكاملِ] :

لاَ يَرْكَنَنْ أَحَدٌ إِلَىٰ ٱلإِحْجَامِ يَوْمَ ٱلْوَغَىٰ مُتَخَوِّفاً لِحِمَامِ[2]

---

(١) طارَتْ شُعاعاً : تفرَّقَت وٱنتشرت مِن الخوفِ .
(٢) يَرْكَنْ : يميلُ . الإحجامُ : النكوصُ والرجوعُ .

رفع المسهم

فَلَقَدْ أُرَانِي لِلرِّمَاحِ دَرِيَّةً مِنْ عَنْ يَمِينِيْ مَرَّةً وَأَمَامِيْ[1]
حَتَّىٰ خَضَبْتُ بِمَا تَحَدَّرَ مِنْ دَمِيْ سَرْجِيْ وَسَائِرَ شِكَّتِيْ وَلِجَامِيْ[2]
وَرَجَعْتُ مَوْفُوْرَ الْكَرَامَةِ فَائِزاً جَذَعَ الْبَصِيْرَةِ قَارِحَ الأَقْدَامِ[3]

لي عندك يد يا أمير المؤمنين

وقدمَ أَحدُ العربِ علىٰ معاويةَ في يومِ حفلِهِ ، فقالَ : لي عندكَ يدٌ يا أَميرَ المؤمنينَ ، قالَ : وما هي ، قالَ : أَمَا تذكر بـ(صفِّينَ) يومَ انتفخَ سحرُكَ[4] ، وأحولَّتْ عيناكَ ، ووضعْتَ رجلَكَ في الرِّكابِ ؛ لتفرَّ ، وقد لاحَ الظَّفَرُ لأَهلِ (العراقِ) ، فأَخذْتُ بيدِكَ ، وقلْتُ لكَ : إنَّ العربَ أَعطتْكَ قيادَها ، وقلَّدتْكَ أَزمَّتَها ، وأَعطتْكَ مِنْ أَنفُسِها شهرينِ ، فأَعطِها مِنْ نفسِكَ ساعةً ، ووَاللهِ لو كانَتْ هندُ بنتُ عتبةَ مكانَكَ . . ما فرَّتْ ، ولاختارَتْ أَنْ تموتَ كريمةً ، فقلْتَ لِيْ : اخفضْ صوتَكَ لاَ أُمَّ لكَ ، فتماسكْتَ ، وتراجعَتْ إليكَ نفسُكَ ، وتمثَّلْتَ بشعرٍ أَحفظُ منهُ [مِنَ الوافرِ] :

وَقَوْلِيْ كُلَّمَا جَأَشَتْ وَجَاشَتْ مَكَانَكِ تُحْمَدِيْ أَوْ تَسْتَرِيْحِيْ[5]

فقالَ معاويةُ : صدقْتَ ، ولوَدِدْتُ أَنَّكَ الآنَ خفضْتَ مِنْ صوتِكِ ، يا غلامُ ، أَعطِهِ خمسينَ أَلفَ درهمٍ ، ولو كنْتَ أَحسنْتَ الأَدبَ . . لَكُنَّا أَحسنَّا في الزِّيادةِ . والروايةُ بالمعنىٰ ، واللَّفظُ يزيدُ وينقصُ[6] .

---

(١) الدَّرِيَّةُ : العلامةُ التي توضعُ للرماةِ ؛ ليتدربوا على الرماية ، وتسمّى أيضاً : دريئةً .
(٢) شِكَّتِي : سلاحي . في الديوان : أَكْنَافَ سَرْجِيْ أَوْعَنَانَ لِجَامِيْ .
(٣) الجَذَعُ : القويُّ الفتيُّ . قارحُ الأقدامِ : مجروحها .
(٤) انتفخَ سَحْرُكَ : تعبير استخدمته العرب لمن ملأ الخوف جوفه .
(٥) جَأَشَتْ نفسهُ : ارتفعتْ من حزنٍ أو فزعٍ . جَاشَتْ نفسهُ : هَمَّتْ بالفرارِ .
(٦) في الطريقةِ التي روىٰ بها المؤلِّفُ رحمهُ اللهُ القصةَ غضٌّ مِن مقامِ سيِّدِنا معاويةَ =

رفع المسهم

ثلاثة من الفرسان جزعوا ثم صبروا

وقالَ عبدُ الملكِ بنُ مروانَ : جزِعَ ثلاثةٌ مِنْ فرسانِ العربِ ثُمَّ صبرُوا ، وهم :

عمرُو بنُ معديكَرِبَ في قولِهِ [مِنَ الطَّويلِ] :

فَجَاشَتْ إِلَيَّ النَّفْسُ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَرُدَّتْ عَلَىٰ مَكْرُوْهِهَا فَاسْتَقَرَّتِ

وَابنُ الأَطنابةِ في قولِهِ [مِنَ الوافرِ] :

وَقَوْلِي كُلَّمَا جَاشَتْ . . . . [البيت السابق] .

وعنترُ في قولِهِ [في « ديوانِهِ » ٢٩ مِنَ الكاملِ] :

إِذْ يَتَّقُوْنَ بِيَ الأَسِنَّةَ لَمْ أَخِمْ عَنْهَا وَلَٰكِنِّيْ تَضَايَقَ مُقْدِمِيْ[1]

= رضيَ اللهُ عنهُ وعَن كافَّةِ الصحابةِ أجمعينَ .

بلِ القصَّةُ كما جاءتْ في « المزهر » (٢/٢٦٦) ، و« المستطرف » (١/١٣٩) من كتبِ الأدبِ علىٰ النحو التالي :

قالَ ثعلبٌ في « أماليهِ » : أخبرَنا عبدُ اللهِ بنُ شبيبٍ قالَ : حدثني ثابتُ بنُ عبدِ الرحمنِ قالَ : كتبَ معاويةُ ابنُ أبي سفيانَ إلىٰ زيادٍ : إذَا جاءَكَ كتابي . . فأوفدْ إليَّ ابنكَ عبيدَ اللهِ ، فأوفدهُ عليهِ ، فما سألَهُ عَن شيءٍ إلاَّ أنفذَهُ لهُ ، حتىٰ سألَهُ عنِ الشعرِ فلَم يعرفْ منهُ شيئاً ، قالَ : فما منعكَ مِن روايتهِ ؟ قالَ : كرهتُ أَن أجمعَ كَلامَ اللهِ وكلامَ الشيطانِ في صدري ، فكتبَ إلىٰ أبيهِ : باركَ اللهُ لكَ في ابنكَ ، فأروِهِ الشعرَ فقدْ وجدتُهُ كاملاً ، وإنِّي سمعتُ عمرَ بنَ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : أرووا الشعرَ ؛ فإنَّهُ يدلُّ علىٰ محاسنِ الأخلاقِ ، ويقي مساويها ، وتعلَّموا الأنسابَ ، فربَّ رحمٍ مجهولةٍ قد وصفتْ بعريانِ النسبِ ، وتعلَّموا مِنَ النجومِ ما يدلُّكُم علىٰ سُبُلِكُمْ في البرِّ والبحرِ .

ولقدْ هممتُ بالهربِ يومَ صفِّينَ فما ثبَّتني إلاَّ قولُ ابنِ الأطنابةِ :

وَقَوْلِيْ كُلَّمَا جَأَشَتْ وَجَاشَتْ مَكَانَكِ تُحْمَدِيْ أَوْ تَسْتَرِيْحِيْ

(١) الخَيْمُ : الجبنُ .

رفع المسهم

وأَمَّا ثلاثةٌ . . فلَمْ يجزعُوا أَصلاً ، وهم : وثلاثة لم يجزعوا أصلاً

قيسُ بنُ ٱلخطيمِ في قولِهِ [في « ديوانِهِ » ١٠ مِنَ الطَّويلِ] :

وَإِنِّيَ فِيْ ٱلْحَرْبِ ٱلضَّرُوْسِ مُوَكَّلٌ بِإِقْدَامِ نَفْسٍ مَا أُرِيْدُ بَقَاءَهَا

وعامرُ بنُ ٱلطُّفَيلِ في قولِهِ [في « حياتِهِ وشعرِهِ » ٩٩ مِنَ الطَّويلِ] :

أَقُوْلُ لِنَفْسِي مَا أُرِيْدُ بَقَاءَهَا أَقِلِّيْ ٱخْتِرَاسَاً إِنَّنِيْ غَيْرُ مُدْبِرِ

وٱلعبَّاسُ بنُ مِرداسٍ في قولِهِ [مِنَ الوافرِ] :

أَشُدُّ عَلَىٰ ٱلْكَتِيْبَةِ لاَ أُبَالِيْ أَخَتْفِيْ كَانَ فِيْهَا أَمْ سِوَاهَا

ومِمَّا يُروىٰ للأَعورِ السلميِّ ، قالهُ في (صفِّينَ) [مِنَ الطَّويلِ] : الرجال لا تفر من القتال

إِذَا مَا فَرَرْنَا كَانَ شَرُّ فِرَارِنَا صُدُوْدَ خُدُوْدٍ وَٱلْتِوَاءَ مَنَاكِبِ

نُشِيْحُ قَلِيْلاً وَٱلْقَنَا مُتَشَاجِرٌ وَلاَ تَبْرَحُ ٱلأَقْدَامُ عِنْدَ ٱلتَّضَارُبِ(١)

وقد سبقَ في غيرِ هٰذا ٱلمجلسِ قولُ أَبي تمَّامٍ [في « ديوانِهِ » ٢/٣٠٣ مِنَ الطَّويلِ] :

وَقَدْ كَانَ فَوْتُ ٱلْمَوْتِ سَهْلاً فَرَدَّهُ إِلَيْهِ ٱلْحِفَاظُ ٱلْمُرُّ وَٱلْخُلُقُ ٱلْوَعْرُ(٢)

وهو مِنْ قولِ ٱلأَعرابيَّةِ [مِنَ الطَّويلِ] :

أَبَوْا أَنْ يَفِرُّوْا وَٱلْقَنَا فِيْ نُحُوْرِهِمْ وَلَمْ يَبْتَغُوْا مِنْ خَشْيَةِ ٱلْمَوْتِ سُلَّمَا

وَلَوْ أَنَّهُمْ فَرُّوْا لَكَانُوْا أَعِزَّةً وَلٰكِنْ رَأَوْا صَبْراً عَلَى ٱلْمَوْتِ أَكْرَمَا

---

(١) أشاحَ بوجهِهِ : أَماله .

(٢) الحِفاظُ المرُّ : الذَّبُّ الشديدُ عنِ المحارمِ . الخُلُقُ الوَعْرُ : الشدَّةُ عندَ المنازعَةِ .

رفع المسهم

مكتوب على ذي الفقار

ويُروىٰ بضعفٍ : أَنَّهُ كانَ مكتوبٌ علىٰ ذي ٱلفقارِ[1] هٰذا ٱلبيتُ [مِنَ ٱلبَسيطِ] :

فِيْ ٱلْجُبْنِ عَارٌ وَفِيْ ٱلإِقْدَامِ مَكْرُمَةٌ ... وَٱلْمَرْءُ بِٱلْجُبْنِ لاَ يَنْجُوْ مِنَ ٱلْقَدَرِ

قصة الحصين بن الحمام وبني جوشن

وقالَ ٱلحصينُ بنُ ٱلحُمامِ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِيْ ٱلْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ ... لِنَفْسِيْ حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَا

وسببُهُ : أَنَّ بني جوشنَ ـ مِنْ غطفانَ ـ قتلتْ جاراً لبني سهمٍ ، رهطِ ٱلحصينِ وعقيلِ بنِ علقمةَ ، وكانَ عقيلٌ غائباً ، فبعثَ بأَبياتٍ يحرِّضُ أَماثِلَ[2] بني سهمٍ علىٰ غسلِ ٱلعارِ بٱلدمِ ، فقالَ ٱلحصينُ : إِيايَ عَنَىٰ ، وبي نَوَّهَ ، وٱمتشقَ ٱلحُسامَ ، وأَبلىٰ أَحسنَ ٱلبلاءِ ، وقالَ ٱلبيتَ ٱلسَّابقَ ، مِنْ قصيدةٍ سبقَ بعضُ أَبياتِها في خلالِ ٱلمجالسِ ، ومنها [في « شرحِ ٱلحماسةِ » ١/٣١٦ـ ٣٤٠ـ ٣٤١ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

فَلَسْنَا عَلَىٰ ٱلأَعْقَابِ تَدْمَىٰ كُلُوْمُنَا ... وَلٰكِنْ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا تَقْطُرُ ٱلدِّمَا

نُفَلِّقُ هَامَاً مِنْ كِرَامٍ أَعِزَّةٍ ... عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا

وَلَمَّا رَأَيْنَا ٱلصَّبْرَ قَدْ حِيْلَ دُوْنَهُ ... وَقَدْ كَانَ يَوْماً ذَا كَوَاكِبَ مُظْلِمَا

صَبَرْنَا وَكَانَ ٱلصَّبْرُ مِنَّا سَجِيَّةً ... بِأَسْيَافِنَا يَقْطَعْنَ كَفّاً وَمِعْصَمَا

وَلَمَّا رَأَيْتُ ٱلْوُدَّ لَيْسَ بِنَافِعِيْ ... عَمَدْتُ إِلَىٰ ٱلأَمْرِ ٱلَّذِيْ كَانَ أَحْزَمَا

فَلَسْتُ بِمُبْتَاعِ ٱلْحَيَاةِ بِسُبَّةٍ ... وَلاَ مُرْتَقٍ مِنْ خَشْيَةِ ٱلْمَوْتِ سُلَّمَا

---

(١) ذو الفَقَار : ٱسمُ سيفٍ للنَّبيِّ ﷺ ، وسمِّي بذلك لأنه كان لظهره مثل فقار الظهر .

(٢) الأماثل : الأخيار .

وقيلَ للمهلَّبِ ابنِ أبي صفرةَ : إنَّكَ لتُلقي نفسَكَ في المهالكِ ، فقالَ : إنْ لَمْ آتِ الموتَ مسترسلاً . . أتاني مستعجلاً ، إنِّي لستُ آتي الموتَ مِنْ حُبِّهِ ، ولكنِّي آتيهِ مِنْ بُغْضِهِ ، ثُمَّ تمثَّلَ بقولِ الحصينِ : الموت آت على كل حال

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ . . . البيتُ

وما زالتِ العربُ تَمادَحُ بالقتلِ ، وتتهاجىٰ بالموتِ علىٰ الفراشِ ، فتقولُ : فلانٌ ماتَ عَبْطَةً[1] ، وماتَ حتفَ أنفهِ . المدح بالقتل

وقالَ السمَوْألُ [في « ديوانهِ » ٤٦ ـ ٤٧ مِنَ الطَّويلِ] : لا يموت السيد في فراشه

وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ فِيْ فِرَاشِهِ ... وَلاَ طُلَّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيْلُ[2]

تَسِيْلُ عَلَىٰ حَدِّ الظُّبَاتِ نُفُوْسُنَا ... وَلَيْسَتْ عَلَىٰ غَيْرِ الظُّبَاتِ تَسِيْلُ[3]

وقد أَنِفَ عامرُ بنُ الطُّفيلِ أَنْ يموتَ علىٰ فراشهِ، فركبَ ظهرَ دابتهِ.

وتوجَّعَ خالدُ بنُ الوليدِ مِنْ موتهِ علىٰ الفراشِ ، وما مِنْ موضعِ أربعةِ أصابعَ مِنْ بدنِهِ إلاَّ فيهِ طعنةٌ برمحٍ ، أو ضربةٌ بسيفٍ ، وقالَ : ويلٌ للجبناءِ!

وذكرَ الأصفهانيُّ [كما في « الأغاني » ١٩/ ١٤٠] : أنَّهُ لَمَّا جاءَ نعيُ المُصعبِ بنِ الزُّبيرِ إلىٰ (مكَّةَ) . . أضربَ عبدُ اللهِ أيَّاماً عَنِ الكلامِ ، حَتَّىٰ تُحُدِّثَ بهِ في الطُّرقاتِ ، فصعدَ المنبرَ ، وجلسَ مليّاً نعي المصعب بن الزبير إلى أخيه عبد الله

---

(١) العَبْطَةُ : الصحيحُ الشابُّ .

(٢) المعنى : لم يمت منا سيِّد دون ان يُأخَذَ بثأرِهِ . وطُلَّ دمُ فلانٍ : هدرَ وَلَمْ يُثأَرْ لهُ .

(٣) الظُّباتُ ـ جمعُ ظُبَةٍ ـ : وهيَ السُّيوفُ .

رفع المسهم

لا يتكلَّمُ ، والكآبةُ عليهِ باديةٌ ، والعرقُ يترشَّحُ مِنْ جبينِهِ ، فقالَ واحدٌ لآخرَ : مَا لهُ لا يتكلَّمُ ، وهو واللهِ الخطيبُ المِصْقَعُ[1] .

قالَ الآخرُ : أَراهُ يريدُ أَنْ يذكرَ سيِّدَ العربِ المُصعَبَ ، فهو يتصعَّدُ بهِ[2] ، حَتَّىٰ قالَ :

الحمدُ للهِ ، الَّذي لهُ الخلقُ والأَمرُ ، ملِكِ الدُّنيا والآخرةِ ، يُعِزُّ مَنْ يشاءُ ، ويُذِلُّ مَنْ يشاءُ ، أَلا وإِنَّهُ لا يَذلُّ مَنْ كانَ الحقُّ معهُ وإِنْ كانَ ضعيفاً مفرداً ، ولا يَعزُّ مَنْ كانَ علىٰ الباطلِ وإِنِ استظهرَ عُدَّةً وعدداً ، أَلا وإِنَّهُ أَتانا خبرٌ مِنَ (العراقِ) فساءَنا وسرَّنا . أَتانا أَنَّ مصعباً قُتل ، فأَمَّا الَّذي أَحزننا . . فإِنَّ لفراقِ الحميمِ لذعةً ولوعةً ، يجدُها حميمُهُ عندَ المصيبةِ ، ثمَّ يرعوي أُولو الرَّأْيِ إِلىٰ الصَّبرِ ، وأَمَّا الَّذي سرَّنا منهُ . . فإِنَّ قتلَهُ كانَ لهُ شهادةً ، وإِنَّ اللهَ جاعلٌ لنا ولهُ في ذلكَ الخيرةَ ، أَلا وإِنَّ أَهلَ (العراقِ) أَهلُ الغدرِ والشِّقاقِ ، باعوهُ بأَقلِّ الأَثمانِ وأَخسرِها ، وأَسلموهُ إِسلامَ النَّعَمِ المُخْطَمةِ[3] ، حتَّىٰ قُتلَ ، ولئنْ قُتلَ . . فقد قُتلَ أَبوهُ وعمُّهُ وأَخوهُ ، وكانوا الخيارَ الصَّالحينَ ، وإِنَّا واللهِ مَا نموتُ حتفَ آنافِنا ، ولٰكِنْ قعصاً[4] بالرِّماحِ ، وضرباً بالسُّيُوفِ ، لا كَما تموتُ بنو مروانَ ، واللهِ ما قُتلَ منهم رجلٌ في جاهليَّةٍ ولا إِسلامٍ ، وإِنَّما الدُّنيا عاريةٌ مِنَ المَلِكِ الجبَّارِ الَّذي لا يزولُ سلطانُهُ ، ولا يَبيدُ ملكُهُ ، فإِنْ تُقبلِ الدُّنيا

---

(١) المِصْقعُ : البليغُ .

(٢) يتصعَّدُ بهِ ـ أي ذِكْرَ مصعب ـ : يتعب تعباً شديداً .

(٣) المُخطمةُ : التي وضع في أنفها الزمام أو المُلجمةُ .

(٤) قَعصاً : طعناً ، ووردت في المخطوط : قصعاً ، وهو تصحيف .

رفع المسهم

عليَّ . . لا آخذُهَا أَخذَ ٱللَّئيمِ ٱلبَطِرِ ، وإنْ تدبرْ عنِّي . . لا أَبكيْ عليها بكاءَ ٱلخَرِفِ ٱلمهترِ[1] ، ثُمَّ نزلَ .

آل الزبير أعرق الناس في القتل

وقدْ قالَ ٱبنُ دريدٍ : أَعرقُ النَّاسِ في ٱلقتلِ آلُ ٱلزُّبَيرِ ، فقد قُتلَ عمارةُ بنُ حمزةَ وأَبوهُ بـ(قُديدٍ) ، وقُتلَ عبدُ ٱللهِ بـ(مكَّةَ) ، وقُتلَ مصعبُ وٱبنُهُ بـ(ٱلعراقِ) ، وقُتلَ ٱلزُّبيرُ بـ(وادي ٱلسِّباعِ) ، وقُتلَ ٱلعوَّامُ في يومِ ٱلفِجَارِ ، وقُتلَ خويلِدُ بنُ أَسَدٍ في حربِ خزاعةَ ، عدا مَنْ قُتلِ مِنْ أَبنائِهم وأَحفادِهم ، وكانَ قتلُ عمرِو بنِ الزُّبيرِ علىٰ يدِ أخيهِ عبدِ ٱللهِ ، كانوا يضربونَهُ ، وٱلقيحُ ينضحُ مِنْ ظهرِهِ وأَكتافِهِ ، ثُمَّ أَرسلُوا عليهِ ٱلجُعَلانَ[2] ، فأَكلَ منهُ ، وهو مقيَّدٌ مغلولٌ ، يستغيثُ فلا يغاثُ ، حَتَّىٰ ماتَ علىٰ تلكَ ٱلحالةِ .

فبِحَقٍّ ما يقولُ عبدُ اللهِ ، وما يقولُ فيهم ٱلشَّاعرُ ، ونصُّهُ [مِنَ ٱلمتقاربِ] :

وَآلُ ٱلـــزُّبَيْـــرِ بَنُـــوْ حُـــرَّةٍ ... مَرَوْا بِٱلسُّيُوْفِ صُدُوْراً حِنَاقَا[3]

يَمُـــوْتُـــوْنَ وَٱلقَتْـــلُ دَاءٌ لَهُـــمْ ... يُغِيْثُوْنَ يَـوْمَ ٱلسِّبَـاقِ ٱلسِّبَـاقَـا

إِذَا فَـرَجَ ٱلقَتْـلُ مِـنْ عِيْصِهِـمْ ... أَبَىٰ ذَلِكَ ٱلعِيْصُ إِلاَّ ٱتِّفَاقَا[4]

فما كانَ أَحقَّهم بقولِ ٱلسَّموأَلِ [في « ديوانِهِ » ٤٦ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

يُقَرِّبُ حُبُّ ٱلْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا ... وَتَكْـرَهُـهُ آجَـالُهُـمْ فَتَطُـوْلُ

---

(١) ٱلمهترُ : ٱلمخطىءُ في كلامِهِ .

(٢) الجُعَل : دابَّةٌ سوْداءُ مِن دوابِّ الأَرضِ .

(٣) مَرَوا بالسيوف : زينوا .

(٤) عِيصُ الرجُلِ : منبتُ أَصلِهِ ، والمعنى : كلَّما حاوَلَ القتلُ تشتيتَ شملهم . . ٱلتأموا .

رفع المسهم

ولله درُّ أبي تمّامٍ في قولِهِ [كما في « ديوانِهِ » ٢/ ٣٠٧ مِنَ البسيطِ] :

فِيمَ ٱلشَّمَاتَةُ إِعْلاَناً بِأُسْدِ وَغَىٰ أَفْنَاهُمُ ٱلصَّبْرُ إِذْ أَبْقَاكُمُ ٱلْجَزَعُ

قول ماوية لزيد الخيل عندما أراد خطبتها

ولمّا ٱنْتَدَبَ لِخِطبةِ ماويةَ ، حاتمٌ ، وأَوسُ بنُ حارثَةَ بنِ لامٍ ، وزيدُ ٱلخيلِ . . قالَتْ لزيدٍ : أَمَّا أَنتَ يا زيدُ ، فقد وترتَ ٱلعربَ بأَسرِها ، وبقاؤكَ مع ٱلحُرَّةِ قليلٌ[1] ، فيا بردَ ذلكَ ٱلكلام على قلبِهِ ، وما أَرفعَهُ لرأسِهِ ، وأَشمخَهُ لأَنفِهِ ، وإِنْ كانَ فيهِ ردُّهُ ، وفي ٱلقصَّةِ طولٌ ، ولولا خشيةُ الإِملالِ . . كنتُ أَمْلَلْتُهَا بحذافيرِها ؛ فإِنَّها مِنْ طرائِفِ الأَخبارِ ، وهي موجودةٌ في « أَمالي الزجَّاجي » [ص/ ١٠٦ـ١٠٩] .

قصيدة للطرماح يتمنى فيها أن يموت أفضل ميتة

وقالَ ٱلطِّرِمَّاحُ [في « ديوانِهِ » ٣٣٣ـ٣٣٥ مِنَ الطَّويلِ] :

وَإِنِّـيْ لَقَيَّـادٌ جَـوَادِيْ فَقَـاذِفٌ بِهِ وَبِنَفْسِيَ ٱلْيَوْمَ إِحْدَىٰ ٱلْمَتَالِفِ
لأَكْسَبَ مَالاً أَوْ أَؤُوْبَ إِلَىٰ غِنىً مِنَ ٱللهِ يَكْفِيْنِيْ ٱمْتِنَانَ ٱلْخَلاَئِفِ
فَيَا رَبِّ إِنْ حَانَتْ وَفَاتِيْ فَلاَ تَكُنْ عَلَىٰ شَرْجَعٍ يُكْسَىٰ بِخُضْرِ ٱلْمَطَارِفِ[2]
وَلَـٰكِـنَّ قَبْـرِيْ بَطْـنُ دَوٍّ مَقِيْلُـهُ بِجَوِّ سَمَاءٍ فِيْ نُسُوْرٍ عَوَائِفِ[3]

---

(١) وتمام قولها : وأما أنت يا أوس فرجلٌ ذو ضرائرَ ، والصبر عليهن شديد ، وأمّا أنت يا حاتم فمرضيُّ الخلائق ، محمود الشيَم ، كريم النفس وقد زوجتك نفسي .

(٢) الشَّرْجَعُ : السريرُ يحملُ عليهِ الميتُ ، وهوَ النعشُ . المطارِفُ ـ جمعُ مُطْرَفٍ ـ : وهو ثوبٌ مربَّعٌ مِن خزٍّ .

(٣) الدوُّ : الفلاة الواسعة . النسورُ العوائفُ : التي تدورُ حول الشيءِ تريدُ الوقوعَ عليهِ .

رفع المسهم

وأُمْسِيَ شَهِيداً ثَاوِياً فِيْ عِصَابَةٍ يُصَابُوْنَ فِيْ فَجٍّ مِنَ الأَرضِ خَائِفِ[1]
فَوَارِسُ أَشْتَاتٌ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ هُدَىٰ ٱللهِ نَزَّالُوْنَ عِنْدَ ٱلْمَوَاقِفِ

لم يتحقق حلمه ومات على عكس ما أراد

قالَ ٱبْنُ شُبرمَةَ : بينا أَنا في بعضِ شوارعِ (ٱلكوفةِ) . . إذا جنازةٌ عليها مُطْرَفُ خَزٍّ أَخضرُ ، فسألْتُ عن صاحبِها ، فقيلَ : ٱلطِّرِمَّاحُ ، فعلمتُ أَنَّ ٱللهَ تعالىٰ لَمْ يستجبْ لَهُ .

الشعراء والشجاعة

وقالَتْ أُمُّ معدانَ ٱلأَعرابيَّةُ عَنْ بَنِيْهَا [مِنَ ٱلبسيطِ] :

كَانَتْ لَهُمْ هِمَمٌ فَرَّقْنَ بَيْنَهُمُ إِذَا ٱلْقَعَادِيْدُ عَنْ أَمْثَالِهَا قَعَدُوْا[2]
فِعْلُ ٱلْجَمِيْلِ وَتَفْرِيْجُ ٱلْجَلِيْلِ وَإِسْـ ـدَاءُ ٱلْجَزِيْلِ ٱلَّذِيْ لَمْ يُسْدِهِ أَحَدُ

وقالَ عنترُ [في « ديوانهِ » ١١٤ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

فَيَا رَبِّ لاَ تَجْعَلْ حَيَاتِيْ دَنِيَّةً وَلاَ مِيْتَتِيْ يَا رَبِّ بَيْنَ ٱلنَّوَائِحِ
وَلَٰكِنْ صَرِيْعاً بَيْنَ أَرْمَاحِ فِتْيَةٍ طِوَالِ ٱلْقَنَا مِنْ فَوْقِ أَجْرَدَ سَابِحِ

وقد سبقَ قولُ أَبي تمَّام في غيرِ هٰذا ٱلمجلسِ (فَتىً مَاتَ بَيْنَ ٱلضَّرْبِ وَٱلطَّعْنِ . . .) إِلىٰ آخرِ ٱلأَبياتِ .

وقالَ [في « ديوانهِ » ٢٤٤ مِنَ ٱلبسيطِ] :

قَلُّوْا وَلَٰكِنَّهُمْ طَابُوْا فَأَنْجَدَهُمْ جَيْشٌ مِنَ ٱلصَّبْرِ لاَ يُحْصَىٰ لَهُ عَدَدُ
إِذَا رَأَوْا لِلْمَنَايَا عَارِضاً لَبِسُوْا مِنَ ٱلْيَقِيْنِ دُرُوْعاً مَا لَهَا زَرَدُ[3]
نَأَوْا عَنِ ٱلْمُصْرِخِ ٱلأَدْنَىٰ فَلَيْسَ لَهُمْ إِلاَّ ٱلسُّيُوْفَ عَلَىٰ أَعْدَائِهِمْ مَدَدُ[4]

---

(١) طريقٌ خائِفٌ : أي مخيفٌ يخيفُ الناسَ .
(٢) القَعَاديدُ مِن الرجالِ : الجُبناءُ القاعِدونَ عَن الحربِ والمكارِمِ .
(٣) العارضُ : ما أعترضَ في الأُفُقِ فسدَّهُ . الزَّرَدُ : حَلَقُ المغفرِ والدرعِ .
(٤) المُصْرِخُ : المغيثُ .

رفع المسهم

وقالَ أَبو عبادةَ [في « ديوانهِ » ٣/ ١٩٤١ـ١٩٤٤ مِنَ الطَّويلِ] :

أَبَا غَانِمٍ أَرْدَىٰ يَدَيْكَ اعْتِقَادُهُمْ ... بِأَنَّ الرَّدَىٰ فِي الْحَرْبِ أَكْبَرُ مَغْنَمِ
مَضَوْا يَسْتَلِذُّونَ الْمَنَايَا حَفِيظَةً ... وَحِفْظاً لِذَاكَ السُّؤْدُدِ الْمُتَقَدِّمِ
وَمَا طَعَنُوا إِلاَّ بِرُمْحٍ مُوَصَّلٍ ... وَلاَ ضَرَبُوا إِلاَّ بِسَيْفٍ مُثَلَّمِ
دَعَتْهُمْ أَفَانِينُ الرَّدَىٰ فَتَتَابَعُوا ... تَتَابُعَ مُنْبَتِّ الْفَرِيدِ الْمُنَظَّمِ[1]
سَلاَمٌ عَلَىٰ تِلْكَ الْخَلاَئِقِ إِنَّهَا ... مُنَزَّهَةٌ مِنْ كُلِّ عَارٍ وَمَأْثَمِ
مَسَاعٍ عِظَامٌ لَيْسَ يَبْلَىٰ جَدِيدُهَا ... وَإِنْ بَلِيَتْ مِنْهَا رَمَائِمُ أَعْظُمِ
أَحَبَّ بَنُوكَ الْمَكْرُمَاتِ فَفَرَّقَتْ ... جَمَاعَتَهُمْ فِي كُلِّ دَهْيَاءَ صَيْلَمِ[2]
تَدَانَتْ مَنَايَاهُمْ بِهِمْ وَتَبَاعَدَتْ ... مَضَاجِعُهُمْ عَنْ تُرْبِكَ الْمُتَنَسَّمِ
فَكُلٌّ لَهُ قَبْرٌ غَرِيبٌ بِبَلْدَةٍ ... فَمِنْ مُنْجِدٍ نَائِي الضَّرِيحِ وَمُتْهِمِ[3]
قُبُورٌ بِأَطْرَافِ الْبِلاَدِ كَأَنَّمَا ... مَوَاقِعُهَا مِنْهَا مَوَاقِعُ أَنْجُمِ

وقالَ بعض شعراءِ الحماسةِ [في « شرحِ الحماسةِ » ١٢/ ١١٣ـ١١٥ مِنَ الطَّويلِ] :

سَأَغْسِلُ عَنِّي الْعَارَ بِالسَّيْفِ جَالِباً ... عَلَيَّ قَضَاءُ اللهِ مَا كَانَ جَالِبَا
وَأَذْهَلُ عَنْ دَارِي وَأَجْعَلُ هَدْمَهَا ... عِرْضِيَ مِنْ بَاقِي الْمَذَلَّةِ حَاجِبَا
وَيَصْغُرُ فِي عَيْنَيْ تِلاَدِيْ إِذَا انْتَشَتْ ... يَمِينِيْ بِإِدْرَاكِ الَّذِيْ كُنْتُ طَالِبَا[4]

---

(١) الفريدُ : اللؤلؤُ المنظومُ . المنبتُّ : الذي انقطعَ . والمعنىٰ : أنَّهم يتتابعونَ كما هوَ حالُ العقدِ إذَا انقطعَ ، وهوَ كنايةٌ عَنْ شدَّةِ سرعتِهم إلىٰ ما رَمَوا إليهِ .
(٢) الدهياءُ : ما يصيبُ الإنسانَ مِن نوائبِ الدهرِ . الصَّيلَمُ : الأمرُ الشديدُ .
(٣) المنجِدُ : الذي قبرهُ بـ(نجدٍ) . مُتْهِمٌ : من قبرهُ بـ(تهامَةَ) .
(٤) التِّلادُ : المالُ القديمُ .

رفع المسهم

فَإِنْ تَهْدِمُوْا بِالْغَدْرِ دَارِيْ فَإِنَّهَا تُرَاثُ كَرِيْمٍ لاَ يُبَالِيْ الْعَوَاقِبَا
أَخِيْ عَزَمَاتٍ لاَ يُطِيْعُ عَلَى الَّذِيْ يَهُمُّ بِهِ مِنْ هَايِلِ الأَمْرِ عَاتِبَا
إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ وَنَكَّبَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبَا
إِذَا هَمَّ لَمْ تُرْدَعْ عَزِيْمَةُ هَمِّهِ وَلَمْ يَأْتِ مَا يَأْتِيْ مِنَ الأَمْرِ هَايِبَا
وَلَمْ يَسْتَشِرْ فِيْ شَأْنِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَمْ يَرْضَ إِلاَّ قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبَا

وقالَ ابنُ هانىءِ الأَندلسيُّ [في « ديوانهِ » ١٤٤ مِنَ الطَّويلِ] :

وَلَمْ أَجِدِ الإِنْسَانَ إِلاَّ ابْنَ سَعْيِهِ فَمَنْ كَانَ أَسْعَى كَانَ بِالْمَجْدِ أَجْدَرَا
وَبِالْهِمَّةِ الْعَلْيَاءِ تَرْقَى إِلَى الْعُلاَ فَمَنْ كَانَ أَعْلَى هِمَّةً كَانَ أَظْهَرَا
وَلَمْ يَتَأَخَّرْ مَنْ أَرَادَ تَقَدُّماً وَلَمْ يَتَقَدَّمْ مَنْ أَرَادَ تَأَخُّرَا

وقالَ أَبو نصرٍ ابنُ نُبَاتَةَ [مِنَ الطَّويلِ] :

وَمَنْ لَمْ يَمُتْ بِالسَّيْفِ مَاتَ بِغَيْرِهِ تَعَدَّدَتِ الأَسْبَابُ وَالْمَوْتُ وَاحِدُ

وقالَ أَبو فراسٍ [في « ديوانه » ٢٩٢ مِنَ الوافرِ] :

مَتَى مَا يَدْنُ مِنْ أَجَلِيْ كِتَابِيْ أَمُتْ بَيْنَ الأَسِنَّةِ وَالأَعِنَّهْ

وقالَ الموسويُّ [مِنَ الطَّويلِ] :

وَيَسْتَقْبِحُوْنَ الْمَوْتَ وَالْمَوْتُ رَاحَةٌ وَأَتْعَبُ مَيْتٍ مَنْ يَمُوْتُ بِدَاءِ

وقالَ بكرُ بنُ عبدِ العزيزِ [مِنَ الخفيفِ] :

إِنَّ مَوْتَ الْفِرَاشِ ذُلٌّ وَعَارٌ وَهْوَ تَحْتَ السُّيُوْفِ فَضْلٌ شَرِيْفُ

الشهداء احياء

وهنا ذكرتُ قولَهُ جلَّ ذكرُهُ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

رفع المسهم

أمنية الشهيد

وقولهُ ﷺ : « لَوَدِدْتُ أَنِّيْ أُقْتَلُ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ ، ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ ، ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ »[1] .

شجاعة الإمام

وقولَ ابنِ أبي طالبٍ ـ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ [في « نهج البلاغة » ١٤٢]ـ : (واللهِ لأَلفُ ضربةٍ بالسَّيفِ أهونُ عليَّ مِنْ ميتةٍ علىٰ الفراشِ) .

تقديم النبي ﷺ آل بيته في القتال عند إحجام الشجعان

وقولهُ ـ رضوانُ اللهِ عليهِ ـ [في « نهج البلاغة » ٣١٤] : (وكانَ ﷺ إِذَا اشتدَّ البأسُ ، وأحجمَ النَّاسُ . . قدَّمَ أهلَ بيتهِ ، فوقىٰ بهِمْ أصحابَهُ حرَّ الأسنةِ والسُّيوفِ ، فقُتلَ عُبيدةُ [بنُ الحارثِ] يومَ بدرٍ ، وقُتلَ حمزةُ يومَ أُحُدٍ ، وقُتلَ جعفرٌ يومَ مؤتةَ ، وأرادَ مَنْ لو شئتُ . . ذكرتُ اسمَهُ مثلَ الَّذي أرادوا مِنَ الشَّهادةِ ، غيرَ أنَّ منايَاهُم عُجِّلَتْ ، ومنيَّتَهُ أُجِّلَتْ) .

والمرادُ بالنَّاسِ في قولهِ عليهِ السَّلامُ : (وَأَحْجَمَ النَّاسُ) هم مراجيحُ الأبطالِ ، ولهاميمُ الرِّجالِ ، فأهلُ البيتِ حينئذٍ كما قالَ أبو تمَّامٍ [مِنَ الطَّويلِ] :

فَتىً كُلَّمَا ازْتَادَ الشُّجَاعُ مِنَ الرَّدَىٰ مَفَرّاً غَدَاةَ الْمَأْزِقِ ازْتَادَ مَصْرَعَا

وفيهم أقولُ [كما في « ديوان المؤلف » ٨٨ مِنَ الطَّويلِ] :

مَسَاعِيْرُ لاَ يَقْضُوْنَ حَتْفَ أُنُوفِهِمْ وَلَكِنْ كِرَاماً فِيْ مَجَالِ الْوَغَىٰ جُزْرَا

بكاء زين العابدين

ويُروىٰ : أنَّ زينَ العابدينَ السَّجَّادَ كانَ لا ترقأُ لهُ دمعةٌ[2] ، فقيلَ لهُ في ذلكَ ، فقالَ : كيفَ ؟! وقد رأيتُ ثمانيةَ عشرَ مِنْ آبائي

---

(١) أخرجه عن أبي هريرة رضي اللهُ عنهُ البخاري (٣٦) في الإيمان ، ومسلم (١٨٧٦) في الإمارة .

(٢) لا ترقأ : لا تهدأ .

رفع المسهم

وإخواني يُنحرونَ كَما تُنحرُ ٱلإبلُ في غداةٍ واحدةٍ ، وهو هاضمٌ لنفسهِ في مقالتهِ ، وإلاَّ . . فٱلمعروفُ مِنْ حالِهِ في كثرةِ بكائِهِ ٱلخشيةُ مِنَ ٱلْباري عزَّ وجلَّ ؛ ولهٰذا كانَ يصفرُّ كلَّما دخلَ في الصَّلاةِ ، ويُغشىٰ عليهِ عندما يشرعُ في التَّلبيةِ ، ومعَ ذلكَ فٱلبكاءُ علىٰ نجومِ ٱلأرضِ داخلٌ في ٱلبكاءِ مِنْ خشيتِهِ تعالىٰ ؛ لأنَّ مصائبَهُم ثلومُ الإسلامِ [مِنَ الطَّويلِ] :

عَلَىٰ مِثْلِهِمْ فَلْتَلْطِمِ ٱلْعَيْنُ خَدَّهَا ... بِسَبْعٍ مِنَ ٱلْحُمْرِ ٱلْقَوَانِيْ عَلَىٰ سَبْعِ

وقد رخّصَ النَّبيُّ ﷺ فيما كانَ مِنْ دمعِ ٱلعينِ ، وحزنِ ٱلقلبِ[1] ، والسَّجَّادُ لا محالةَ واقفٌ عندَ ما رسمَ لهُ جَدُّهُ مِنْ ذلكَ ؛ لأنَّهُ مِنَ ٱلقومِ ٱلذينَ يقولُ فيهم ٱبنُ أوسٍ [مِنَ الطَّويلِ] :

فَلَمَّا دُعُوْا لِلْمَوْتِ لَمْ تَبْكِ مِنْهُمْ ... عَلَىٰ حَادِثِ ٱلدَّهْرِ ٱلْعُيُوْنُ ٱلدَّوَامِعُ

وقد قالَ ٱلملكُ ٱلضَّلِّيلُ [مِنَ الطَّويلِ] :

ربما يكون البكاء دواء عند الشعراء

وَإِنَّ شِفَائِيَ عَبْرَةٌ لَوْ سَفَحْتُهَا ... وَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ ؟

وقالَتِ ٱلخنساءُ [مِنْ مَجزوءِ الكاملِ] :

إِنَّ ٱلْبُكَـــاءَ هُـــوَ ٱلشِّفَـــا ... ءُ مِـنَ ٱلْجَـوَىٰ بَيْـنَ ٱلْجَـوانِـحْ

---

(١) وذلكَ في الحديثِ الذي رواهُ عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ البخاريُّ (١٣٠٣) في الجنائزِ ، قالَ : دخلْنا معَ رسولِ اللهِ ﷺ علىٰ أبي سيفٍ القيْنِ ، وكانَ ظئراً لإبراهيمَ عليهِ السلامُ ، فأخذَ رسولُ اللهِ ﷺ إبراهيمَ فقبَّلَهُ وشمَّهُ ، ثمَّ دخلْنا عليهِ بعدَ ذلكَ ، وإبراهيمُ يجودُ بنفسِه ، فجعلَتْ عينا رسولِ اللهِ ﷺ تذرِفانِ ، فقالَ لهُ عبدُ الرحمٰنِ بنُ عوفٍ رضيَ اللهُ عنهُ : وأنتَ يا رسولَ اللهِ ؟ فقالَ : « يا ابنَ عوفٍ ، إنَّها رحمةٌ » . ثمَّ أتبَعَها بأُخرىٰ ، فقالَ ﷺ : « إنَّ العينَ تدمعُ ، والقلبَ يحزنُ ، ولاَ نقولُ إلاَّ ما يَرْضَىٰ ربُّنا ، وإنَّا بفراقِكَ ـ يا إبراهيمُ ـ لمحزونونَ » .

رفع المسهم

وقالَ ذُو الرُّمَّةِ [في « ديوانهِ » ٢/ ٣٣٣ مِنَ الطَّويلِ] :

لَعَلَّ انْحِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً ... مِنَ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجِيَّ الْبَلاَبِلِ

وقالَ أَبو عُبادةَ [مِنَ الطَّويلِ] :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْضَحْ جَوَاكَ بِعَبْرَةٍ ... غَلاَ فِيْ التَّمَادِيْ أَوْ قَضَىٰ فِيْ التَّسَعُّرِ

وقالَ [مِنَ الوافرِ] :

تَعُوْدُ عَوَائِدُ الدَّمْعِ الْمُرَاقِ ... عَلَىٰ مَا فِيْ الْقُلُوْبِ مِنِ احْتِرَاقِ

وقالَ [في « ديوانهِ » ٣/ ١٧٦٣ مِنَ الخفيفِ] :

عَلَّ مَاءَ الدُّمُوْعِ يُخْمِدُ نَاراً ... مِنْ جَوَىٰ الْقَلْبِ أَوْ يَبُلُّ غَلِيْلاَ

وقالَ [في « ديوانهِ » ١/ ١٩٠ مِنَ الطَّويلِ] :

فَإِنْ أَبْكِ لاَ أَشْفِ الْغَلِيْلَ وَإِنْ أَدَعْ ... أَدَعْ حُرْقَةً فِيْ الصَّدْرِ ذَاتَ تَلَهُّبِ

وبعضُ ما يناسبُ هٰذا معَ الإحالةِ علىٰ ما هنا ، أَوائلَ المجلسِ الثَّاني ، ثُمَّ إنَّها تداخلتْ علينا الشَّواهدُ في الموضوعِ ، وكلَّما خرجنا عن مبحثٍ . . رجعنا إليهِ بحكمِ تداعي الأَفكارِ ، ولا معابةَ مَعَ اتحادِ الجنسِ في اضطرابِ الفروعِ ؛ إذْ كلُّها تدندنُ حولَ الأَنفةِ والإباءِ ، والابتعادِ عَنْ مواقعِ الذلِّ ، ومرامي الهوانِ ، وجُلُّ « ديوانِ النَّاظمِ » مِنْ هٰذا القبيلِ منهُ قولُهُ [في « المُكبَريٰ » ١/ ٢٦١ مِن المنسرحِ] :

الأنفة والإباء عند المتنبي

يَأْنَفُ مِنْ مِيْتَةِ الْفِرَاشِ وَقَدْ ... حَلَّ بِهِ أَصْدَقُ الْمَوَاعِيْدِ

وَمِثْلُهُ أَنْكَرَ الْمَمَاتَ عَلَىٰ ... غَيْرِ سُرُوْجِ السَّوَابِحِ الْقُوْدِ[1]

---

(١) السَّوابحُ ـ جمعُ سابحٍ ـ : وهوَ الشديدُ الجري ، كأَنَّهُ يسبحُ في جريهِ . القُوْدُ : الطوالُ مِن الخيلِ ، وفرسٌ أَقودُ ؛ أَي : طويلُ الظهرِ والعنُقِ .

رفع المسهم

وقولُهُ [في « العُكبَريّ » ٤/ ٢٤١ مِنَ الخفيفِ] :

وَلَـوْ أَنَّ الْحَيَـاةَ تَبْقَـىٰ لِحَـيٍّ ... لَعَـدَدْنَـا أَضَلَّنَـا الشُّجْعَـانَـا
وَإِذَا لَـمْ يَكُـنْ مِـنَ الْمَـوْتِ بُـدٌّ ... فَمِـنَ الْعَجْـزِ أَنْ تَكُـوْنَ جَبَانَا

وقولُهُ [في « العُكبَريّ » ٤/ ٢٤٣ مِنَ الطَّويلِ] :

فَنَـالَ حَيَـاةً يَشْتَهِيْهَـا عَـدُوُّهُ ... وَمَوْتاً يُشَهِّيْ الْمَوْتَ كُلَّ جَبَانِ

وقولُهُ [في « العُكبَريّ » ٤/ ٢١٣ مِنَ البسيطِ] :

كَمْ مَخْلَصٍ وَعُلاً فِيْ خَوْضِ مَهْلَكَةٍ ... وَقَتْلَـةٍ قُـرِنَـتْ بِـالـذَّمِّ فِـي الْجُبُـنِ

وقولُهُ [في « العُكبَريّ » ٤/ ١١٩ـ١٢٠ مِنَ الوافرِ] :

فَطَعْمُ الْمَوْتِ فِيْ أَمْرٍ صَغِيْرٍ ... كَطَعْمِ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ عَظِيْمِ
يَـرَىٰ الْجُبَنَـاءُ أَنَّ الْعَجْـزَ عَقْـلٌ ... وَتِلْـكَ خَـدِيْعَـةُ الطَّبْـعِ اللَّئِيْـمِ

وقولُهُ [في « العُكبَريّ » ١/ ٢٧١ مِنَ الطَّويلِ] :

وَأُوْرِدُ نَفْسِيْ وَالْمُهَنَّدُ فِيْ يَدِيْ ... مَوَارِدَ لاَ يُصْدِرْنَ مَنْ لاَ يُجَالِدُ

وقولُهُ [في « العُكبَريّ » ١/ ٣٢١ـ٣٢٢ مِنَ الخفيفِ] :

عِشْ عَزِيْزاً أَوْ مُتْ وَأَنْتَ كَرِيْمٌ ... بَيْنَ طَعْنِ الْقَنَا وَخَفْقِ الْبُنُوْدِ
اُطْلُبِ الْعِزَّ فِي لَظَىً وَدَعِ الذُّلْ ... لَ وَلَوْ كَانَ فِي جِنَانِ الْخُلُوْدِ

والأخيرُ مِنْ قولِ عنترةَ [في « ديوانِهِ » ١٩٨ مِنَ الكاملِ] :

مَـاءُ الْحَيَـاةِ بِـذِلَّـةٍ كَجَهَنَّـمٍ ... وَجَهَنَّـمٌ بِـالْعِـزِّ أَطْيَـبُ مَنْـزِلِ

لا عز في طريق النار ولا ذل في طريق الجنة

وهو مِنْ فاحشِ الغلطِ ، لولا جهلُ الأَوَّلِ ، وجاهليَّةُ الثَّاني ؛ إذْ لا ذُلَّ في طريقِ الجنَّةِ ، ولا عِزَّ في طريقِ النَّارِ ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون : ٨] ، وما هٰذا إلاَّ مِنِ امتحانِ الإسلامِ بمن

رفع المسهم

لا يفهمُ أسرارَهُ ، وإلاَّ فهو دينُ العزِّ والشَّرفِ ، ودينُ المجدِ والأَنَفِ ، لقد حَظرَ على الإنسانِ أنْ يذلَّ نفسَهُ ، وجعلَهُ حرّاً في سائرِ أطوارِهِ ، معَ الاعترافِ بالعبوديَّةِ لخالقهِ بأَداءِ الفرضِ ، ومعَ التَّلزُّمِ بقانونهِ المُفْضِي إلى سعادةِ الدَّارينِ ، وعمارةِ الأَرضِ ، وسيأتي ما يتعلَّقُ بهِ في محلِّهِ مِنَ الكلامِ على البيتِ المذكورِ .

* * *

رفع المسهم

[قالَ أَبو ٱلطَّيِّبِ ٱلمتنبِّي في « ٱلعُكبَريِّ » ٤/ ٣٤ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

فَثِبْ وَاثِقاً بِٱللهِ وِثْبَةَ مَاجِدٍ ... يَرَىٰ ٱلْمَوْتَ فِي ٱلْهَيْجَا جَنَىٰ ٱلنَّحْلِ فِي ٱلْفَمِ

تحريض المتنبي على القتال

يقولُ لصاحبِهِ أَو لنفسهِ علىٰ سبيلِ ٱلتَّجريدِ : قمْ مبادراً للحربِ مبادرةَ كريمٍ شريفٍ ، يجدُ في طعمِ ٱلموتِ حلاوةَ ٱلعسلِ ، وكثيراً ما يدَّعي ٱلنَّاظمُ ذلكَ لنفسهِ ، ولعسكرهِ ٱلخيالي ، كما في قولهِ [في « ٱلعُكبَريِّ » ١/ ٣٧٤ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

إِذَا شِئْتُ حَفَّتْ بِيْ عَلَىٰ كُلِّ سَابِحٍ ... رِجَالٌ كَأَنَّ ٱلْمَوْتَ فِيْ فَمِهَا شَهْدُ

شجاعة الإمام عليه السلام

وهٰذهِ الدَّعوىٰ الضَّخمةِ لا نعرفُ صِدقَها إلاَّ لعليِّ ٱبنِ أَبي طالبٍ ـ كرَّمَ ٱللهُ وجهَهُ ـ إِذْ قامَ بوردِهِ مِنَ الصَّلاةِ (ليلةَ ٱلهريرِ)[1] ، وٱلسِّهامُ كٱلمطرِ حفافيةً[2] ، حَتَّىٰ عذلَهُ في ذلكَ أَحدُ ٱلحَسَنَينِ ، فقالَ لهُ : لا يبالي أَبوكَ وقعَ علىٰ ٱلموتِ ، أَوْ وقعَ ٱلموتُ عليهِ ، فهوَ ٱلَّذي لهُ في قتلِهِ أَرَبٌ ، وهوَ ٱلَّذي يرىٰ قتالَهُ أَفضلَ ٱلقُرَبِ ، وهوَ ٱلأَولىٰ بقولِ ٱلحماسيِّ [حارثةَ بن بدرٍ الغدانيِّ في « شرحِ ٱلحماسةِ » ١/ ٤٢٢ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

وَإِنَّا لَتَسْتَحْلِيْ ٱلْمَنَايَا نُفُوْسُنَا ... وَنَتْرُكُ أُخْرَىٰ مَرَّةً مَا نَذُوْقُهَا

---

(١) ليلةُ الهريرِ : ٱسمُ واقعةٍ حدثت بين سيدنا علي ومعاوية بظاهر (الكوفة) وسميت بالهرير ؛ لأنهم لما عجزوا عن القتال صار بعضهم يهرُّ على بعض .

(٢) حفافيةً : محيطةً مِن كلِّ جانبٍ .

رفع المسهم

وقولِ الآخرِ [مِنَ الوافرِ] :

رَخِيصٌ عِنْدَهُ مُهَجُ ٱلْعَوَالِيْ كَأَنَّ ٱلْمَوْتَ فِيْ فَكَّيْهِ شَهْدُ

وقولِ المزينيِّ [من الوافر] :

دَعَوْتُ بَنِيْ قُحَافَةَ فَٱسْتَجَابُوْا فَقُلْتُ : رِدُوْا فَقَدْ طَابَ ٱلْوُرُوْدُ

وقولِ أَبي تمَّامٍ [في « ديوانِهِ » ٩/٢ مِنَ ٱلبسيطِ] :

يَسْتَعْذِبُوْنَ مَنَايَاهُمْ كَأَنَّهُمُ لاَ يَخْرُجُوْنَ مِنَ ٱلدُّنْيَا إِذَا قُتِلُوْا

تمييزه بين العسل الطائفي وغيره في أحلك الظروف

بلْ هوَ أَكبرُ مِن ذلكَ وأَجلُّ ، ولقدِ ٱستسقىٰ لَيلتَئِذٍ ، فأَتاهُ بعضُ ٱلهاشميِّينَ بماءٍ فيهِ عَسَلٌ ، فقالَ لهُ : عسلُكَ هٰذا طائفيٌّ ، فقالَ : يا عمُّ ، في مثلِ هٰذا ٱلموقفِ الَّذي شخصَتْ فيهِ ٱلأَبصارُ ، وذُهلَتِ ٱلعقولُ ، وطاشَتِ ٱلأحلامُ ، وبلغَتِ ٱلقلوبُ ٱلحناجرَ ، تُفَرِّقُ بينَ ٱلعسلِ ٱلطائفيِّ ممزوجاً ، وبينَ غيرِهِ ؟! فقالَ لهُ : يا ٱبنَ أَخي ، لَمْ يملأْ صدرَ عمِّكَ هَوْلٌ قطُّ ، فمَا كانَ أَحقَّهُ بقولِ ٱلأَعرابيِّ [مِنَ البسيطِ] :

لاَ يَمْلأُ ٱلْهَوْلُ صَدْرِيْ قَبْلَ مَوْقِعِهِ وَلاَ أُضِيْقُ بِهِ ذَرْعاً إِذَا وَقَعَا

وقولِ مهيارٍ [مِنَ الكاملِ] :

جَبَلُ ٱلْعُلاَ سَعْيُ ٱلْهُمُوْمِ فُؤَادُهُ وَتُنَاطُ مِنْهُ بِقَارِحٍ مُتَعَوِّدِ

معرفة أبي العلاء ماء وطنه وقد مزج بماء الفرات وهو بالعراق

ونظيرُهَا ما حُكِيَ : أَنَّ أَبا ٱلعلاءِ لمَّا وَرَدَ (ٱلعراقَ) . . تشوَّقَ إِلىٰ وطنِهِ ، فقالَ مِنْ أَثناءِ قصيدةٍ [كما في « ديوانِهِ » ٢٨٥ مِنَ الطَّويلِ] :

فَيَا بَرْقُ لَيْسَ ٱلْكَرْخُ دَارِيْ وَإِنَّمَا رَمَانِيْ إِلَيْهِ ٱلدَّهْرُ مُنْذُ لَيَالِيْ

فَهَلْ فِيْكَ مِنْ مَاءِ ٱلْمَعَرَّةِ قَطْرَةٌ تَبُلُّ بِهَا ظَمْآنَ لَيْسَ بِسَالِيْ

فيقالُ : إِنَّ ٱلأَميرَ ٱستدعىٰ ماءً علىٰ خيلِ ٱلبريدِ مِنْ مَعَرَّةِ

رفع المسهم

النُّعمانِ ، وقدَّمهُ لهُ ممزوجاً بماءِ ٱلفراتِ ، فقالَ : هـٰذا ماؤُهَا ، فأَينَ هواؤُها ؟ ولـٰكنْ هيهاتَ هيهاتَ! فهـٰذا يقولُهَا فِي رخاءِ ٱلبالِ ، وسَعَةِ ٱلحالِ ، وٱلإمامُ يقولُهَا ، وقدْ تقلَّصَتِ ٱلخُصىٰ[1] ، وتقاصرَتِ ٱلخُطَىٰ ، وشتَّانَ ما بينَ ٱلمقامينِ ، وبصدقٍ يقولُ : واللهِ لابْنُ أَبي طالبٍ آنسُ بٱلموتِ مِنَ الطِّفلِ بثديِ أُمِّهِ .

الإمام آنس بالموت من الطفل بثدي أمه وتفصيل هذا الكلام

وهـٰذا أَبلغُ ممَّا يشبِّهُ ٱلناظمُ وغيرُهُ ٱلموتَ بٱلعسلِ ، وأَصدقُ من وجوهٍ :

أَحدُهَا : مطابقتُهُ للواقعِ وتظاهرُ ٱلبيِّناتِ بهِ .

ثانيها : أَنَّ اللَّبنَ أَفضلُ مِنَ ٱلعسلِ ، كما صرَّحَ بهِ فقهاؤُنا ، ولهـٰذا كانَ ﷺ يحمدُ ٱللهَ كلَّما تناولَ شيئاً ، ويسأَلُهُ خيراً منهُ إلاَّ اللَّبنَ ، فإِنَّهُ يحمدُ ٱللهَ عليهِ ، ويستزيدُهُ منهُ[2] .

ثالثُها : أَنَّ ٱلتذاذَ ٱلطِّفلِ بٱللَّبنِ أَكثرُ مِنْ غيرِهِ ، بل لا لذَّةَ لهُ سواهُ ، ولا صلاحَ لهُ بغيرِهِ .

رابعُها : أَنَّ ثديَ ٱلأُمِّ آنسُ لطفلِها مِنْ سائرِ ٱلثُّدَىٰ وٱلألبانِ .

خامسُها : ٱلإشارةُ إِلىٰ ما جاءَ في « ٱلصحيح » : « مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ ٱللهِ . . أَحَبَّ ٱللهُ لقاءَهُ »[3] ؛ ولذا قالَ آخرَهُ سيِّدُ ٱلمرسلينَ :

---

(١) تقلصّت الخُصىٰ : تشمَّرت إلى أعلىٰ من شدَّةِ الهول والفزعِ .

(٢) كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما عند أبي داوود (٣٧٣٠) ، والترمذي (٣٤٥٥) وحسنه وقال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أكل أحدكم طعاماً . . فليقل : اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه ، ومن سقاه الله تعالى لبناً . . فليقل : اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه ، فإنه ليس شيء يجزىء من الطعام والشراب غير اللبن » .

(٣) أخرجه عن عبادة رضي الله عنه البخاري (٦٥٠٧) في الرقاق ، وفيه قول =

رفع المسهم

« ٱلرَّفِيقَ ٱلأَعْلَىٰ »[1] ، ففي ٱلكلامِ مِنَ ٱلبدائعِ ما لا تتَّسعُ لها ٱلمداركُ ، ولا تستقرُّ لها ٱلعقولُ .

ولا غرابةَ في صدورِها عن بابِ مدينةِ علمٍ[2] مَنْ لا ينطقُ عَنِ ٱلهوىٰ .

هٰذا وٱللهِ ٱلكلامُ ٱلذي تزلُّ ٱلعُصْمُ عَنْ صفاتِهِ ، وتختلجُ ٱلفصحاءُ عَنْ مرَقاتِهِ ، فلو أَنَّ قلباً تقطَّعَ ، أَو حجراً تصدَّعَ لعذوبةِ هٰذا ٱلكلامِ وحلاوتهِ وجزالتهِ وطلاوتهِ . . لكانَ محقوقاً بذلكَ ، فيا سبحانَ ٱلمانحِ ! .

استعذاب الموت في طلب العز عند الشعراء

وممّا يتّصلُ بما ٱلكلامُ فيهِ مِنِ ٱستعذابِ ٱلموتِ في طلبِ ٱلعزِّ . . قولُ عليِّ بنِ محمدٍ الصُّليحيِّ ٱلقائمِ بـ(اليمنِ) [مِنَ ٱلكاملِ] :

وَأَلَـذُّ مِـنْ قَـرْعِ ٱلْمَثَـانِـيْ عِنْـدَهُ ... فِيْ ٱلْحَرْبِ أَلْجِمْ يَا غُلَامُ وَأَسْرِجِ

= عائشة ، ومسلم (٢٦٨٣) في الذكر والدعاء . وفي الباب :

عن عائشة عند مسلم (٢٦٨٤) ، والترمذي (١٠٦٧) ، والنسائي (٤/ ١٠) وابن ماجه (٤٢٦٤) .

وكذا عن أبي موسى وأبي هريرة في صحيحيهما .

(١) أخرجه عن عائشة رضي الله عنها البخاري (٦٥٠٩) في الرقاق و(٣٦٦٩) ، ومسلم (٢٤٤٤) في فضائل الصحابة .

(٢) كما جاء في حديث علي رضي الله عنه عند الترمذي (٣٧٢٥) قال : « أنا دار الحكمة وعلي بابها » لكن قال الترمذي : حديث غريب منكر ، روى بعضهم هذا الحديث عن شريك ولم يذكروا فيه عن الصنابحي ، ولا نعرف هذا الحديث عن أحد من الثقات غير شريك . وفي الباب : عن ابن عباس رضي الله عنهما كما في « نفع القوت » : « أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد العلم فليأته من بابهِ » قال في « الاستيعاب » ت (١٨٥٥) : روي ، وصححه الحاكم وهو عند الطبراني .

رفع المسهم

خَيْلٌ بِأَقْصَىٰ حَضْرَمَوْتَ مَغَارُهَا وَصَهِيلُهَا بَيْنَ ٱلْفُرَاتِ وَمَنْبِجِ

وقولُ ٱلعلويِّ صاحبِ الزّنج [مِنَ الكامل] :

وَإِذَا تُنَازِعُنِيْ أَقُوْلُ لَهَا قِرِيْ مَوْتُ ٱلْمُلُوْكِ عَلَىٰ صُعُوْدِ ٱلْمِنْبَرِ

مَا قَدْ قُضِيْ سَيَكُوْنُ فَٱصْطَبِرِيْ لَهُ وَلَكِ ٱلأَمَانُ مِنَ ٱلَّذِيْ لَمْ يُقْدَرِ

شدة ثبات جاش عبد الله بن الزبير

وسُئِلَ ٱبنُ أَبي مُليكةَ عن عبدِ ٱللهِ بنِ ٱلزبيرِ ، فقالَ : ما رأَيتُ أَثبتَ مِنْ نفسِهِ ؛ مرَّ حجرُ ٱلمنجنيقِ بينَ جنبِهِ وصدرِهِ ، وهو قائمٌ يصلِّي ، فما ٱضطربَ لَهُ ، ولا خشعَ بصرُهُ ، ولا قطعَ قراءتَهُ ، ولا ركعَ دونَ الرُّكوعِ ، فكأَنَّما عناهُ أَبو تمَّامٍ بقولِهِ [في « ديوانِهِ » ٢/ ١٢٢ مِنَ الطَّويلِ] :

يَرَىٰ ٱلْعَلْقَمَ ٱلْمَأْدُوْمَ بِٱلْعِزِّ أَرْيَةً يَمَانِيَّةً وَٱلأَرْيَ بِٱلذُّلِّ عَلْقَمَا[1]

تشبيه الموت بالعسل اليماني

وفي هٰذا ٱلبيتِ مضربُ ٱلمثلِ بٱلعسلِ ٱليمانِيِّ ، ولاَ شكَّ أَنَّ أَفضلَهُ عسلُ (حضرموتَ) ، فلهُ أَكبرُ شرفِ ٱلبيتِ ، وهو شبيهٌ بما سبقَ عن بعضِ ٱلخوارجِ قبيلَ قولِ الناظمِ [في « المُكبَرِيِّ » ٣/ ١٦٠ مِنَ الطَّويلِ] :

وَخُضْرَةُ ثَوْبِ ٱلْعَيْشِ فِيْ ٱلْخُضْرَةِ ٱلَّتِيْ تُرِيْكَ ٱحْمِرَارَ ٱلْمَوْتِ فِيْ مَدْرَجِ ٱلنَّمْلِ

الأحق بهذه الأشعار هو ابن الزبير

ولابنُ الزُّبيرِ أَحقُّ مِنِ ٱبنِ أَبي عُيينةَ بقولِهِ [مِنَ الطَّويلِ] :

وَإِنِّيَ مِنْ قَوْمٍ كَأَنَّ نُفُوْسَهُمْ بِهَا أَنَفٌ أَنْ تَسْكُنَ ٱللَّحْمَ وَٱلدَّمَا

وقولِ أَبي تمَّامٍ أَيضاً [في « ديوانِهِ » ٢/ ٢٣٣ مِنَ البسيطِ] :

وَحَنَّ لِلْمَوْتِ حَتَّىٰ ظَنَّ مُبْصِرُهُ بِأَنَّهُ حَنَّ مُشْتَاقاً إِلَىٰ وَطَنِ

لَوْ لَمْ يَمُتْ تَحْتَ أَسْيَافِ ٱلْعِدَا كَرَماً لَمَاتَ إِذْ لَمْ يَمُتْ مِنْ شِدَّةِ ٱلْحَزَنِ

---

(١) الأَرْيُ : العَسَلُ .

رفع المسهم

وقولِهِ [في « ديوانهِ » ٢/١٦٩ مِنَ الكاملِ] :

لِحِيَاضِهَا مُتَوَرِّدٌ وَلِخَبْطِهَا ... مُتَعَوِّدٌ وَبِدَرِّهَا مَلْبُونُ

الجمال لا ينافي الشجاعة

ولله درُّ القائلِ [مِنَ الكاملِ] :

عُقْبَانُ رَوْعٍ وَالسُّرُوْجُ وُكُوْرُهَا ... وَلُيُوْثُ حَرْبٍ وَالْقَنَا آجَامُ[1]

وَبُدُوْرُ تِمٍّ ، وَالشَّوَائِكُ فِيْ الْوَغَىٰ ... هَالاَتُهَا وَالسَّابِرِيُّ غَمَامُ[2]

جَادُوْا بِمَمْنُوْعِ الثَّلاَدِ وَجَوَّدُوْا ... ضَرْباً تُحَدُّ بِهِ الطُّلاَ وَالْهَامُ[3]

وَتَجَاوَرَتْ أَسْيَافُهُمْ وَجِيَادُهُمْ ... فَالأَرْضُ تُمْطَرُ وَالسَّمَاءُ تُغَامُ

يستمهل السجان كي يتم لعبة الشطرنج

ومازالتِ العربُ تسيرُ إلىٰ الموتِ بالخطىٰ الواسعةِ ، وتتلقَّاهُ بالصُّدورِ الرَّحبةِ ، أَوَ ما رأيتَ هُدبةَ بنَ الخشرمِ لَمْ ينزعجْ لمّا دُعِيَ للقتلِ! ؟ ولكنَّهُ استمهلَ السَّجَّانَ ريثَما يُتمُّ لعبتَهُ بالشَّطرنجِ ، فهوَ واللهِ صادقٌ إنْ أرادَ نفسَهُ في قولِهِ [في « شعرهِ » ١٠٩٠ مِنَ الطَّويلِ] :

أَخُوْ الْحَرْبِ مَنْ لا يَجْتَوِيْهَا إِذَا اجْتَوَتْ ... وَلاَ يُظْهِرُ الشَّكْوَىٰ وَإِنْ كَانَ مُوْجَعَا

وسنستوفي حديثَهُ في مجلسٍ آخرَ .

شجاعة أبي نعامة

وصدقَ أيضاً أخو الشُّراةِ أبو نعامةَ في قولِهِ [مِنَ الطَّويلِ] :

وَلَوْ قَرَّبَ الْمَوْتَ الْقِرَاعُ لَقَدْ أَنَىٰ ... لِمَوْتِيَ أَنْ يَدْنُوْ لِطُوْلِ قِرَاعِيَا

أُغَادِيْ قِتَالَ الْمُعْلَمِيْنَ كَأَنَّنِيْ ... عَلَىٰ الْعَسَلِ الْمَاذِيِّ أُصْبِحُ غَادِيَا[4]

---

(١) الآجامُ : الشجرُ الكثيرُ الملتفُّ ، وهو كنايةٌ عن كثرةِ الرماحِ .

(٢) السابري : الدرع .

(٣) الطُّلا : الأعناق .

(٤) الماذي : الأبيض الرقيق .

رفع المسهم

شجاعة ابن محكان

وأَمرَ مصعبُ بنُ الزُّبيرِ رجلاً مِن بني أَسدٍ بقتلِ مُرَّةَ بنِ مَحْكانَ ، فتقدَّمَ بجأْشٍ رابطٍ ، وأَنشأَ يقولُ [مِنَ الطَّويلِ] :

بَنِـيْ أَسَـدٍ إِنْ تَقْتُلُـوْنِـيْ تُحَـارِبُـوْا ... تَمِيْماً إِذَا ٱلْحَرْبُ ٱلْعَوَانُ ٱسْمَعَلَّتِ[1]

وَلَسْتُ وَإِنْ كَانَتْ إِلَيَّ حَبِيْبَةً ... بِبَاكٍ عَلَىٰ ٱلدُّنْيَا إِذَا مَا تَوَلَّتِ

ولو رَوَّىٰ في هٰذا الشِّعرِ صاحبُ دَعَةٍ . . لَمَا نَقَّحَهُ هٰذا التَّنقيحَ وأَبدعَهُ .

عبد بن يغوث ينوح على نفسه قبل قتله بقصيدة شعرية رائعة

ولمّا أُسِرَ عبدُ بنُ يغوثَ ، وشدُّوا لسانَهُ مخافةَ ٱلهجاءِ . . ٱلتمسَ منهُم أَنْ يُطلِقوهُ ؛ لينوحَ علىٰ نفسِهِ ، وعاهدَهُم أَنْ لا يهجوَهُم ، فأَطلقوا لسانَهُ[2] ، فقالَ [مِنَ الطَّويلِ] :

أَلاَ لاَ تَلُوْمَانِيْ كَفَىٰ ٱللَّوْمَ مَا بِيَا ... فَمَا لَكُمَا فِيْ ٱللَّوْمِ خَيْرٌ وَلاَ لِيَا

أَيَا رَاكِباً إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ ... نَدَامَايَ مِنْ نَجْرَانَ أَنْ لاَ تَلاَقِيَا

جَزَىٰ ٱللهُ قَوْمِيْ بِٱلْكُلاَبِ مَلاَمَةً ... صَرِيْحَهُمُ وَٱلآخَرِيْنَ ٱلْمَوَالِيَا

أَبَا كُـرَبٍ وَٱلأَيْهَمِيْـنِ كِـلاَهُمَـا ... وَقَيْساً بِأَعلَىٰ حَضْرَمَوْتَ ٱلْيَمَانِيَا

أَقُوْلُ وَقَدْ شَدُّوْا لِسَانِيْ بِنِسْعَةٍ ... أَمَعْشَرَ تَيْمٍ أَطْلِقُوْا مِنْ لِسَانِيَا[3]

فَإِنْ تَقْتُلُوْنِيْ تَقْتُلُوْنِيْ بِخَيْرِكُمْ ... وَإِنْ تُطْلِقُوْنِيْ تَحْرُبُوْنِي بِمَالِيَا[4]

وَتَضْحَكُ مِنِّيْ شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ ... كَأَنْ لَمْ تَرَىٰ قَبْلِيْ أَسِيْراً يَمَانِيَا[5]

---

(١) العوانُ اشمعلَّتِ : الحرب اتسعت وتكررت معاركها .

(٢) انظر الأبيات والقصة في « الأغاني » (١٦/ ٣٦١ـ٣٦٢) .

(٣) النِّسعُ : حبلٌ مضفورٌ يُجعلُ زماماً للبعيرِ وغيرِهِ .

(٤) تحرُبوني : تسلِبوني جميعَ ما أَملكُ .

(٥) عبشميَّةٌ : أي من بني عبد شمس .

رفع المسهم

وَقَدْ عَلِمَتْ عِرْسِي مُلَيْكَةُ أَنَّنِي ... أَنَا ٱللَّيْثُ مَعْدُوّاً عَلَيْهِ وَعَادِيَا
وَكُنْتُ إِذَا مَا ٱلْخَيْلُ سَمَّمَهَا ٱلْقَنَا ... لَبِيقاً بِتَعْرِيفِ ٱلْقَنَاةِ بَنَانِيَا
وَعَادِيَةٍ سَوْمَ ٱلْجَرَامِ وَزَعْتُهَا ... بِكَفِّي وَقَدْ أَنْحَوْا إِلَيَّ ٱلْعَوَالِيَا[1]
كَأَنِّيَ لَمْ أَرْكَبْ جَوَاداً وَلَمْ أَقُلْ ... لِخَيْلِيَ : كُرِّيْ مَرَّةً عَنْ رِجَالِيَا
وَلَمْ أَسْبَإِ ٱلزِّقَّ ٱلرَّوِيَّ وَلَمْ أَقُلْ ... لأَيْسَارِ صِدْقِي: أَعْظِمُوا ضَوْءَ نَارِيَا[2]

وعرضَ عليهِم ألفَ ناقةٍ في فدائِهِ ، فلمْ يقبلُوا ، وإنَّها لعِزَّةٌ باهرةٌ وشهامةٌ ظاهرةٌ .

شجاعة طرفة بن العبد

أَمَّا طرفةُ بنُ ٱلعبدِ . . فلم يَتَجَلَّجْ[3] عندَ ٱلقتلِ ، غيرَ أَنَّهُ خضعَ في بعضِ ٱلقولِ ؛ إِذْ أنشدَ حينئذٍ [في « ديوانِهِ » ١٧٢-١٧٣ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

أَبَا مُنْذِرٍ كَانَتْ غُرُوراً صَحِيفَتِي ... وَلَمْ أُعْطِكُمْ فِي ٱلطَّوْعِ مَالِي وَلاَ عِرْضِي
أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَٱسْتَبْقِ بَعْضَنَا ... حَنَانَيْكَ بَعْضُ ٱلشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

عبيد بن الأبرص يخاف الموت

وَأَمَّا عُبيدُ بنُ ٱلأَبرصِ . . فتلعثمَتْ لسانُهُ خوفَ ٱلقتلِ ، ولمَّا قالَ لهُ النُّعمانُ يومَ بُؤسِهِ: أَنشدني . . قالَ: حالَ ٱلجَريضُ دونَ ٱلقريضِ[4] .

---

(١) العاديَةُ : الخيلُ تَعدو . السَّومُ : سرعةُ المَرِّ مع قصدِ الصوبِ ، وسَوْمُ الرياحِ : مُرُّها . الجِرْمُ : ألواحُ الجسدِ وجثمانُهُ . وَزَعتُها : فرَّقتُها .

(٢) سَبَأُ الخمر : إذا حملَها مِن بلدٍ إلىٰ بلدٍ واشتراها ليشربَها . الزِّقُّ : هوَ وعاءٌ من جلد تنقلُ فيهِ الخمرُ .

(٣) الجلجُ : القلقُ والاضطرابُ .

(٤) الجريض : الغصةُ بالريقِ مِنْ هَمٍّ أو نحوِهِ . القريضُ : الشِّعرُ ، وَهُو مثلٌ عربيٌّ ، أصلُهُ : أَنَّ رجلاً كانَ لهُ ابنٌ نبغَ في الشِّعرِ ، فنهاهُ أبوهُ عنْ ذلكَ ، فَجَاشَ بهِ صدرُهُ ومَرِضَ حتى أشرفَ علىٰ الهلاكِ ، فَأَذِنَ لهُ أبوهُ في قولِ الشِّعرِ فقالَ هذَا القولَ .

رفع المسهم

تميم بن جميل يتكلم خطبة حال قتله يعجز عنها من هو في الدَّعَة

ومِنْ خيرِ مَا في ٱلموضوعِ : حديثُ تميمِ بنِ جميلٍ[1] ، فقد جاشَ خاطرُهُ حينَ قدَّمهُ ٱلمعتصمُ للقتلِ بأَبياتٍ ، لو رَوَّىٰ شاعرٌ في مثلِها حولاً . . لَما بلغَ أَصغرَ آنيتِهِ ، وهٰذا ما بٱلذهن منها [مِنَ الطَّويلِ] :

---

(١) كانَ تميمُ بنُ جميلٍ السدوسيُّ قد خرجَ بشاطىءِ الفراتِ وٱجتمعَ إليهِ الكثيرُ مِنَ الأَعرابِ فَعَظُمَ أَمرُهُ ، وبَعُدَ ذِكرُهُ ، فكتبَ ٱلمعتصمُ إلىٰ مالكِ بنِ طوقٍ في النهوضِ إليهِ ، فبدَّدَ جمعَهُ وظَفِرَ بهِ ، فحمله موثقاً إلى المعتصم ، قال أحمدُ ٱبنُ أبي داوود : ما رأينا رجلاً عاين الموت فما هالهُ ، ولا أَذْهَلَهُ عمَّا كان يجبُ عليهِ أَن يفعلَهُ إلاَّ تميمُ بنُ جميلٍ ، فإنَّهُ أَوفىٰ بهِ الرسولُ بابَ أَميرِ المؤمنينَ المعتصمِ في يومِ الموكبِ حينَ يجلسُ للعامَّةِ ، ودخلَ عليهِ ، فلمَّا مَثُلَ بينَ يديهِ . . دَعا بالنطعِ والسيفِ فأُحضِرا ، فجعلَ تميمُ بنُ جميلٍ ينظرُ إليهما ولا يقولُ شيئاً ، وجعلَ المعتصمُ يُصعِّدُ النظرَ فيهِ ، ويصوبُهُ ، وكانَ جسيماً وسيماً ، ورأىٰ أَن يستنطقَهُ لينظرَ أَينَ جنانَهُ ولسانَهُ مِن منظرهِ ، فقالَ : يا تميمُ ، إنْ كانَ لكَ عذرٌ . . فأْتِ بهِ ، أَو حجَّةٌ . . فأَدْلِ بها ، فقالَ : أَمَّا إذ قد أَذِنَ لي أَميرُ المؤمنينَ : فإنِّي أقولُ : الحمدُ للهِ الذي أَحسنَ كلَّ شيءٍ خلَقَهُ ، وبدأَ خلقَ الإنسانِ مِن طينٍ ، ثمَّ جعلَ نسلَهُ مِن سلالةٍ مِن ماءٍ مهينٍ ، جبرَ بكَ صدعَ الأُمَّةِ ، ولَمَّ بكَ شَعَثَ المسلمينَ ، وأَوضحَ بكَ سُبُلَ الحقِّ ، وأَخمدَ بكَ شهابَ الباطلِ ، يا أَميرَ المؤمنينَ ، إنَّ الذنوبَ تُخرِسُ الألسنةَ الفصيحةَ ، وتُعْيِي الأَفئدةَ الصحيحةَ ، ولقد عظمتِ الجريرةُ ، وٱنقطعتِ الحجَّةُ ، وكَبُرَ الذنبُ ، وساءَ الظنُّ ، ولم يبقَ إلاَّ عفوُكَ أَوِ ٱنتقامُكَ ، وأَرجو أَن يكونَ أَقربُهما منِّي وأَسرعُهما إليَّ أَولاَهُمَا بامتنانكَ ، وأَشبَهُهُما بخلافتِكَ ثمَّ أَنشأَ يقولُ :

(أَرَىٰ ٱلْمَوْتَ) . . . . الأبيات .

فتبسَّمَ المعتصمُ ، وقالَ : كادَ واللهِ ـ يا تميمُ ـ أَن يسبقَ السيفُ العذلَ ، ٱذهب فقد غفرتُ لكَ الصبوةَ ، ووهبتُكَ للصَّبيَّةِ ، ثمَّ أمرَ بفكِّ قيودِهِ ، وخلَعَ عليهِ ، وعقدَ لهُ بشاطىءِ (الفراتِ) . « جمهرة خطب العرب » (٣/ ١٤٥) .

رفع المسهم

أَرَىٰ ٱلْمَوْتَ بَيْنَ ٱلسَّيْفِ وَٱلنُّطْعِ كَامِناً ... يُلاَحِظُنِيْ مِنْ حَيْثُ مَا ٱلْتَفَتُّ[1]

وَأَيُّ ٱمْرِىءٍ يُدْلِيْ بِعُذْرٍ وَحُجَّةٍ ... وَسَيْفُ ٱلْمَنَايَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُصْلَتُ

يَعِزُّ عَلَىٰ ٱلأَوْسِ بْنِ تَغْلِبَ مَوْقِفٌ ... يُسَلُّ عَلَيَّ ٱلسَّيْفُ فِيْهِ فَأَسْكُتُ

وَمَا جَزَعِيْ مِنْ أَنْ أَمُوْتَ وَإِنَّنِيْ ... لأَعْلَمُ أَنَّ ٱلْمَوْتَ شَيْءٌ مُوَقَّتُ

وَلٰكِنَّ خَلْفِيْ صِبْيَةً قَدْ تَرَكْتُهُمْ ... وَأَكْبَادُهُمْ مِنْ حَسْرَةٍ تَتَفَتَّتُ

فَإِنْ عِشْتُ عَاشُوْا خَافِضِيْنَ بِغِبْطَةٍ ... أَذُوْدُ ٱلرَّدَىٰ عَنْهُمْ وَإِنْ مِتُّ مُوِّتُوْا[2]

وَكَمْ قَائِلٍ ؛ لاَ يُبْعِدُ ٱللهُ دَارَهُ ... وَآخَرَ جَذْلاَنٌ يُسَرُّ وَيَشْمَتُ

علي بن الجهم يصلب وهو حي عرياناً

وقالَ عليُّ بنُ ٱلجهمِ ، وقد صلبوهُ وهوَ حيٌّ عُرياناً [في « ديوانهِ » ١٧١ـ١٧٢ مِنَ ٱلكاملِ] :

لَمْ يَنْصِبُوْا بِٱلشَّاذِيَاخِ عَشِيَّةَ ٱلْـ ... إِثْنَيْنِ مَغْلُوْلاً وَلاَ مَجْهُوْلاَ[3]

نَصَبُوْا بِحَمْدِ ٱللهِ مِلْءَ عُيُوْنِهِمْ ... حُسْناً وَمِلْءَ صُدُوْرِهِمْ تَبْجِيْلاَ

مَا ضَرَّهُ أَنْ بُزَّ عَنْهُ لِبَاسُهُ ... فَٱلسَّيْفُ أَهْوَلُ مَا يُرَىٰ مَسْلُوْلاَ

نجدة القرآن وشهامته

ومِنْ مفاخرِ ٱلعربِ إجابةُ الصَّوتِ ، وإغاثةُ الصَّريخِ ، وٱلاستهانةُ بٱلموتِ في سبيلِ ذلك ، حتَّىٰ لقد قامَ أحدُ عظماءِ ٱلأدبِ ٱلمصريِّينَ بمنىٰ عامَ حَجَجْنا ، فقالَ :

إنَّني تأمَّلتُ القرآنَ . . فوجدْتُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الحجرات : ٩] ، ما يشبهُ قانونَ جمعيَّةِ ٱلأُمَمِ ،

---

(١) النُّطْعُ : بساط من الجلدِ يقتل عليه المحكوم بالقتل .

(٢) خافضين : من الخفض ، وهو الدَّعَةُ .

(٣) الشَّاذياخُ : ضاحيةٌ مِن ضواحي (نيسابورَ) .

رفع المسهم

فلمَّا انتهى إليَّ القولُ . . تعرَّضْتُ لمقالِهِ ، مِنْ إعجابي بموضوعِهِ ، وقلْتُ : أمَّا نجدةُ ٱلقرآنِ وشهامتهُ ، وتمكينُهُ للسلامِ بٱلعدلِ ، وٱلانتصافِ مِنْ وراءِ كلِّ قياسٍ . . لا يوزنُ بهِ ٱليومَ شيءٌ مِنْ أحوالِ ٱلناسِ ، لكنْ بينَ أيدينا مثالٌ مِنْ أعمالِ أهلِ ٱلجاهليَّةِ ٱلجهلاءِ ، يزيدُ علىٰ ما في قانونِ تلكَ ٱلجمعيَّةِ ، مِنْ وجوهِ ذلكَ ، ٱلمثالُ هو حلفُ الفضولِ ، الذي يقولُ عنه ﷺ : « لَقَدْ شَهِدْتُ حِلْفاً فِي دَارِ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ جَدعَانَ ، مَا أُحِبُّ أَنَّ لِيْ بِهِ حُمْرَ ٱلنَّعَمِ ، وَلَوْ دُعِيْتُ بِهِ فِيْ ٱلإِسْلامِ . . لأَجَبْتُ »[1] .

وجوه فضل حلف الفضول

وأمَّا وجوهُ فضلِهِ :

فمنها : أنَّ قانونَ تلكَ ٱلجمعيَّةِ لا يتعهَّدُ بنصرِ مَنْ لم ينضمَّ إليها ، وإنَّما هو مقصورٌ علىٰ أهلِها فقط ـ فيما إخالُ ـ بخلافِ حلفِ ٱلفضولِ ، فقدِ ٱقتطعَ علىٰ نفسِهِ نصرةَ ٱلمظلومِ ، أيّاً كانَ ، مِنْ غيرِ شرطٍ ولا قيدٍ .

ومنها : أنَّ نصرَ جمعيَّةِ ٱلأُممِ ضمارٌ[2] ووعدٌ ، ونصرَ هٰذا خلاصٌ ونقدٌ ، وما بينَ ٱلمظلومِ وبينَهُ إلاَّ أنْ يناديَ يا آلَ حلفِ ٱلفضولِ ، فتتبادرهُ ٱلسيوفُ ، ثُمَّ لا تنحجزُ عنهُ حتَّىٰ تستخرجَ لهُ حقَّهُ ممَّنْ كانَ ، ولله درُّ بَشامةَ بنِ حَزَنٍ إذْ يقولُ [في « الكامل » ١٤٦/١ مِنَ ٱلبسيط] :

السرعة في إجابة المنادي دون أي سؤال

إنَّا لَمِنْ مَعْشَرٍ أَفْنَىٰ أَوَائِلَهُمْ قِيْلُ ٱلْكُمَاةِ أَلاَ أَيْنَ ٱلْمُحَامُوْنَا

---

(١) أخرجه البيهقي في « السنن الكبرى » (٦/ ٣٦٧) عن طلحة بن عبيد الله ، ومحمد بن إسحاق الفاكهي في « أخبار مكة » (٥/ ١٩١) بنحوه .

(٢) الضِّمارُ : ما لا يُرجى من الدَّينِ والوعدِ ، وكلُّ ما لا تكونُ منهُ علىٰ ثقةٍ .

رفع المسهم

لَوْ كَانَ فِيْ ٱلأَلْفِ مِنَّا وَاحِدٌ وَدَعَوْا: مَنْ فَارِسٌ ؟ خَالَهُمْ إِيَّاهُ يَعْنُوْنَا
وَلاَ تَرَاهُمْ وَإِنْ جَلَّتْ مُصِيْبَتُهُمْ مَعَ ٱلْبُكَاةِ عَلَىٰ مَنْ مَاتَ يَبْكُوْنَا

وقالَ طرفَةُ [في « ديوانهِ » ٢٧ مِنَ الطَّويلِ] :

إِذَا ٱلْقَوْمُ قَالُوْا: مَنْ فَتىً؟ خِلْتُ أَنَّنِيْ عُنِيْتُ فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ

وقالَ بعضُ ٱلعربِ [مِنَ الطَّويلِ] :

إِذَا مَا دُعُوْا لَمْ يَسْأَلُوْا مَنْ دَعَاهُمُ لأَيَّةِ حَرْبٍ أَمْ بِأَيِّ مَكَانِ

وقالَ سلاَّمةُ بنُ جندَلٍ [في « ديوانهِ » ١٢٥ مِنَ ٱلبسيطِ] :

إِنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارِخٌ فَزِعٌ كَانَ ٱلصُّرَاخُ لَهُ قَرْعَ ٱلظَّنَابِيْبِ[1]

وقالَ ٱلحُطيئةُ [مِنَ الطَّويلِ] :

إِذَا مَا دُعُوْا لَمْ يَسْأَلُوْا مَنْ دَعَاهُمُ وَلَمْ يُمْسِكُوْا فَوْقَ ٱلْقُلُوْبِ ٱلْخَوَافِقِ
أَحَلُّوْا حِيَاضَ ٱلْمَوْتِ فَوْقَ جِبَاهِهِمْ مَكَانَ ٱلنَّوَاصِيْ مِنْ وُجُوْهِ ٱلسَّوَابِقِ

وقالَ ٱلكلحبةُ [في « المفضَّليَّاتِ » ١/ ١٤٤ مِنَ الطَّويلِ] :

وَقُلْتُ لِكَأْسٍ : ٱلْجِمِيْهَا فَإِنَّما نَزَلْنَا ٱلْكَثِيْبَ مِنْ زَرُوْدَ لِنَفْزَعَا[2]

وقالَ الرَّاعي [مِنَ الطَّويلِ] :

إِذَا مَا فَزِعْنَا أَو دُعِيْنَا لِنَجْدَةٍ لَبِسْنَا عَلَيْهِنَّ ٱلْحَدِيْدَ ٱلْمُسَرَّدَا[3]

---

(١) الظُّنبوبُ : حرفُ الساقِ اليابسِ ، وعَنىٰ بذلكَ سرعةَ الإجابةِ ، وجعلَ قرعَ السوطِ علىٰ ساقِ الخفِّ ، في زجرِ الفرسِ ، قرعاً للظُّنْبُوبِ .

(٢) كأسٍ : اسمُ ٱبنتِهِ . زَرُوْدَ : أسمُ مكانٍ . الكثيبُ : الرمل المجتمعُ . نَفزَعُ : نغيثُ .

(٣) السَّرْدُ : أسمٌ جامعٌ للدروعِ وغيرِها مِن سائرِ الحِلَقِ .

رفع المسهم

وقال قُرَيْطٌ [في « شرحِ الحماسةِ » ٣٥٨/١٢ مِنَ البسيطِ] :

لاَ يَسْأَلُوْنَ أَخَاهُمْ حِيْنَ يَنْدُبُهُمْ ... فِيْ النَّائِبَاتِ عَلَىٰ مَا قَالَ بُرْهَانَا

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَىٰ نَاجِذَيْهِ لَهُمْ ... طَارُوْا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانَا

وقالَ الحماسيُّ [سعد بن مالك بن ثعلبة في « شرحِ الحماسةِ » ١٩٩/١ مِنَ الطَّويلِ] :

دَعَـوْتُ بَنِـيْ قَيْـسٍ إِلَـيَّ فَشَمَّـرَتْ ... خَنَاذِيْذُ مِنْ سَعْدٍ طِوَالُ السَّوَاعِدِ[1]

إِذَا مَا قُلُوْبُ الْقَوْمِ طَارَتْ مَخَافَةً ... مِنَ الْمَوْتِ أَرْسَوْا بِالنُّفُوْسِ النَّوَاجِدِ[2]

ويعجبني قولُ أَبي حويةَ ، وهوَ ابنُ عمِّ الأَميرِ قرواشِ بنِ المقلَّدِ ـ صاحبِ (الموصلِ) ـ [مِنَ الكاملِ] :

قَوْمٌ إِذَا الْتَحَمَ الْعَجَاجُ رَأَيْتَهُمْ ... أُسُداً وَخِلْتَ وُجُوْهَهُمْ أَقْمَارَا

لاَ يَبْخَلُوْنَ بِرِفْدِهِمْ عَنْ سَائِلٍ ... عَـدَلَ الـزَّمَـانُ عَلَيْهِـمُ أَوْ جَـارَا

وَإِذَا الصَّـرِيْـخُ دَعَـاهُـمُ لِمُلِمَّـةٍ ... بَذَلُوْا النُّفُوْسَ وَأَرْخَصُوْا الأَعْمَارَا

وَإِذَا زِنَادُ الْحَرْبِ أُخْمِدَ نَارُهَا ... قَـدَحُـوْا بِـأَطْـرَافِ الأَسِنَّةِ نَـارَا

سرعة النبي ﷺ إلى إجابة الصوت

تلكَ هي شمائلُ العربِ ، الَّتي كانَ بعضُهَا يأكلُ الميْتاتِ ، ويدفنُ البناتِ علىٰ قيد الحياةِ ، ثُمَّ جاءَ الإسلامُ بإتمامِ مكارمِ الأَخلاقِ[3] ، وكانَ صاحبُ شريعةِ الإسلامِ ﷺ أَسرعَ النَّاسِ إِلىٰ الصَّوتِ ، حَتَّىٰ لقد كانَ فَزَعٌ بـ(المدينةِ) ، فركبَ علىٰ فرسٍ عُرْيٍ

---

(١) الخِنْذِيذُ : هوَ الشجاعُ الذي لا يُهتدىٰ لقتالِهِ .

(٢) النواجد : الشجعان .

(٣) لما ورد عن أبي هريرة عند أحمد والحاكم والبيهقي قوله ﷺ : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

رفع المسهم

لأبي طلحةَ ، وسبقَ النَّاسَ إلىٰ الصَّريخِ ، وقالَ : « إنْ وَجَدْنَاهُ - يعني : الفرسَ - لَبَحْراً »[1] .

السبب في شجاعة الصحابة رضوان الله عليهم أنها جبلّة ودين وملّة

ومَا بالكَ بقومٍ علمْتَ مِنْ أَنفِهم وحميَّتِهم وحفاظِهم ما علمْتَ ، وأكرمَهُم اللهُ بالإسلامِ ، حَتَّىٰ خالطَ قلوبَهم ، وامتزجَ بلحومِهم ودمائهم ، ثُمَّ أنزلَ اللهُ عليهم أمثالَ قولِهِ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ [الصف : ١٠-١٣] ، وقولِهِ : ﴿ ٱنفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة : ٤١] ، وقولِهِ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١١١] .

فإنَّهم بعدَ أَنْ كانَتْ حميَّتُهم جبلَّةً صارَتْ ديناً وملَّةً ، فلا جرمَ علىٰ قلَّةِ العَدَدِ ، وضعفِ العُدَدِ ، انكفؤُوا علىٰ عروشِ الملوكِ ، وأبلَوا ما يشهدُ بهِ التَّاريخُ في القادسيَّةِ واليرموكِ ، ولله درُّ القائلِ فيهم [من الرمل] :

قِفْ عَلَىٰ ٱلْيَرْمُوكِ وَٱخْضَعْ جَاثِيًا ... وَتَيَمَّمْ مِنْ صَعِيدِ ٱلْقَادِسِيَّهْ

(١) أخرجه عن أنس رضي الله عنه البخاري (٢٦٢٧) في الهبة، ومسلم (٢٣٠٧) في الفضائل.

رفع المسهم

تُـرْبَـةٌ طَيِّبَـةٌ طَـاهِـرَةٌ وَقُبُـوْرٌ مِـنْ حَيَـا ٱلنَّفْـعِ نَـدِيَّـهْ
يَـا قَبُـوْراً مُحِيَـتْ وَٱنْـدَرَسَـتْ أَنْـتِ نِبْرَاسُ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْوَطَنِيَّهْ
هَاهُنَا مَثْوَىٰ ٱلصَّنَادِيدِ ٱلأُلَىٰ دَوَّخُوْا ٱلْكُفْرَ بِبِيْضِ ٱلْمَشْرَفِيَّهْ
دَوَّخُـوْا ٱلـرُّوْمَ وَثَلُّـوْا عَـرْشَهَـا وَطَوَوْا حُمْرَ ٱلْبُنُوْدِ ٱلْفَارِسِيَّهْ

فحدِّثْ ولا حرجَ عنهم ، فإنَّ لهم في إرخاصِ النُّفوسِ ، وٱستعذابِ ٱلبؤسِ ، وإغاثةِ الصَّريخِ ، ونصرِ ٱلمظلومِ ، وكسبِ ٱلمعدومِ . . ما صغَّرَ كلَّ عظيمٍ ، وحَثَا في وجهِ كلِّ مُقْرِمٍ[1] ، وغبَّرَ في قبلةِ كلِّ شجاعٍ ، ولقد ٱلقىٰ بعضُهم تمراتٍ في يدِهِ ٱستعجالاً للشهادةِ[2] .

وقالَ آخرُ : إنِّي لأَشمُّ رائحةَ ٱلجنَّةِ مِنْ جهةِ أُحدٍ ، في كثيرٍ مِنْ تلكَ الأَمثالِ .

الصحابة الكرام أحق بجميع الأشعار المادحة والثناء البالغ

فما أَحقَّهم بقولِ أَبي تمَّامٍ [في « ديوانهِ » ٧٨ مِنَ ٱلكاملِ] :

مُتَرَسِّلِيْنَ إِلَىٰ ٱلْحُتُوْفِ كَأَنَّمَا بَيْـنَ ٱلْحُتُـوْفِ وَبَيْنَهُـمْ أَرْحَـامُ

---

(١) المُقْرِمُ : السيِّدُ العظيم ، المقدَّمُ في المعرفةِ وتجاربِ الأمورِ .

(٢) وذلكَ في الحديث الذي أَخرجهُ مسلمٌ (١٩٠١) في الإمارةِ ، عَن أَنسِ بنِ مالكٍ رَضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ يومَ بدرٍ : « قوموا إلى جنَّةٍ عرضُها السماواتُ والأَرضُ ، قالَ : يقولُ عميرُ بنُ الحُمَامِ الأَنصاريُّ : يا رسولَ اللهِ ، جنَّةٌ عرضُها السماواتُ والأَرضُ ؟ قالَ : نَعَمْ ، قالَ : بَخٍ بَخٍ ، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : مَا يحمِلُكَ علىٰ قولِ بَخٍ بَخٍ ؟ قالَ : لا واللهِ يا رسولَ اللهِ إلاَّ رجاءَةَ أَن أَكونَ مِن أَهلِها ، قالَ : فإنَّكَ مِن أَهلِها ، فأَخرجَ تمراتٍ مِن قرنِهِ فجعلَ يأْكلُ منهنَّ ، ثُمَّ قالَ : لئِن حييتُ حتَّىٰ آكلَ تمراتي هذهِ إنَّها لحياةٌ طويلةٌ ، قالَ فرمىٰ بما كانَ معهُ مِنَ ٱلتمرِ ، ثمَّ قاتلَ حتَّىٰ قُتِلَ » .

رفع المسهم

وقولِ ٱلبُحتريِّ [مِنَ الكاملِ] :

مُتَرَسِّلِيْنَ إِلَىٰ ٱلْحُتُوفِ كَأَنَّهَا وَفْرٌ بِأَرْضِ عَدُوِّهِمْ يُتَنَهَّبُ[1]

وقولِهِ أيضاً [في « ديوانِهِ » ١/١٧٨ مِنَ الطَّويلِ] :

تَسَرَّعَ حَتَّىٰ قَالَ مَنْ شَهِدَ ٱلْوَغَىٰ لِقَاءُ أَعَادٍ ، أَمْ لِقَاءُ حَبَائِبِ ؟!

وقولِ بعضِهِم [مِنَ الكاملِ] :

قَوْمٌ شَرَابُ سُيُوْفِهِمْ وَرِمَاحِهِمْ فِيْ كُلِّ مُعْتَرَكٍ دَمُ ٱلأَشْرَافِ
يَتَحَنَّنُوْنَ إِلَىٰ لِقَاءِ عَدُوِّهِمْ كَتَحَنُّنِ ٱلأُلاَّفِ لِلأُلاَّفِ
وَيُبَاشِرُونَ ظُبَا ٱلسُّيُوْفِ بِأَنْفُسٍ أَمْضَىٰ وَأَقْطَعُ مِنْ ظُبَا ٱلأَسْيَافِ

وقولِ النَّاظمِ [في « المُكبَرِيِّ » ٢/١٤٨ مِنَ الطَّويلِ] :

وَأَقْدَمْتُ إِقْدَامَ ٱلأَتِيِّ كَأَنَّ لِيْ سِوَىٰ مُهْجَتِيْ أَوْ كَانَ لِيْ عِنْدَهَا وِتْرُ[2]

وقولِهِ [في « المُكبَرِيِّ » ١/١٢١ مِنَ البسيطِ] :

بِكُلِّ أَشْعَثَ يَلْقَىٰ ٱلْمَوْتَ مُبْتَسِماً حَتَّىٰ كَأَنَّ لَهُ فِيْ قَتْلِهِ أَرَبَا

وقولِ أبي فراسٍ [في « ديوانِهِ » ٣٩ مِنَ الطَّويلِ] :

صَبُوْرٌ وَلَوْ لَمْ تَبْقَ مِنِّيْ بَقِيَّةٌ قَؤُوْلٌ وَلَوْ أَنَّ ٱلسُّيُوْفَ جَوَابُ
وَقُوْرٌ وَأَحْدَاثُ ٱللَّيَالِيْ تَنُوْشُنِيْ وَلِلْمَوْتِ حَوْلِيْ جَيْئَةٌ وَذَهَابُ

أجمع الآيات في النجدة

ومِنْ أَجمعِ ٱلآياتِ في ٱلنجدةِ وٱلوفا . . قولُهُ تعالىٰ : ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ [الأنفال : ٧٢] ، فلقد صحَّ أن ٱليمانَ وٱبنَهُ حذيفةَ لمَّا قاما في الصَّفِّ

---

(١) الوَفْرُ : الكثير الواسع من المال والمتاع .
(٢) الأَتِيُّ : السيلُ الذي لا يُرَدُّ . الوِتْرُ : الثأرُ .

رفع المسهم

يومَ بدرٍ . . قالا لرسولِ ٱللهِ ﷺ : إنَّ بعضَهم أَخذَ علينا ٱلعهدَ بعدما مَنَّ علينا أَنْ لا نشهرَ السَّلاحَ عليهِ ، فعسىٰ أَنْ لا يكونَ في حربِهم علينا حرجٌ ، فأَخذَ بأَيديهما ، وقالَ لهما : « فُوَا لَهُمْ . . »[1] .

فأَيُّ وفاءٍ بربِّكَ يشبهُ هٰذا ٱلوفاءَ معَ ٱلحاجةِ ؟! وأَيُّ صدقٍ كمثلِ هٰذا ٱلصِّدقِ ؟! وقد ٱرتفعتِ ٱلعجاجَةُ .

تمهيد المؤلف العذر لنفسه في هذا الاستطراد

وقد كانَ بعضُ هٰذا ٱلمقالِ أَولىٰ بالتَّأْخيرِ إلىٰ عندِ مثلِ قولِ ٱلنَّاظمِ [في « العُكبَريّ » ٤/ ١٧٣ مِنَ الرَّجز] :

إِنْ تَـدْعُ يَـا سَيْـفُ لِتَسْتَعِينَـهُ يُجِبْـكَ قَبْـلَ أَنْ تُتِـمَّ سِينَـهُ

أَو قولِهِ [في « العُكبَريّ » ١/ ١٠٢ مِنَ المتقارب] :

سَبَقْـتَ إِلَيْهِـمْ مَنَـايَـاهُـمُ وَمَنْفَعَـةُ ٱلْغَـوْثِ قَبْـلَ ٱلْعَطَـبْ

أَو قولِهِ [في « العُكبَريّ » ٢/ ٢٩٩ـ٣٠٠ مِنَ الوافر] :

وَإِنْ نَقَـعَ ٱلصَّـرِيـخُ إِلَـىٰ مَكَـانٍ نَصَبْـنَ لَـهُ مُـؤَلَّلَـةً دِقَـاقَـا[2]

فَكَـانَ ٱلطَّعْـنُ بَيْنَهُمَـا جَـوَابـاً وَكَـانَ ٱللَّبْـثُ بَيْنَهُمَـا فُـوَاقَـا[3]

غيرَ أَنَّ ٱلحديثَ شُجونٌ ، وٱلاستطرادَ جُموحٌ ، وٱلفائدةَ صيدٌ ، وٱلحزمَ في ٱستعجالِ ٱلقيدِ ، وإِذْ ذكرنَا بعضَ ما يهزُّ الرُّؤوسَ ، ويحمي ٱلأُنوفَ مِنْ كلامِ النَّاسِ في ٱلموضوعِ ، وٱعترَفنا بٱلعجزِ عمَّا

---

(١) أخرجه عن حذيفة الطبراني في « الكبير » (٣/ ١٦٥) ، والسيوطي في « الجامع الصغير » وتمامه : « ونستعين الله عليهم » ونسبه لأحمد .

(٢) النَّقعُ : رفعُ الصوتِ وبُعدهُ . الصريخُ : المستغيثُ . المؤلَّلَةُ : المحدَّدَةُ . الدِّقاقُ : الرقاقُ ، وهي صفةٌ للآذانِ ، وآذانُ الخيلِ توصفُ بالدقَّة .

(٣) الفُواقُ : قدرُ ما بينَ الحلبَتَين ، ويضربُ مثلاً للسرعةِ .

رفع المسهم

للصحابةِ رضوانُ ٱللهِ عنهمْ فيهِ ؛ لأَنَّهُ ٱلفضاءُ ٱلواسعُ ، ٱلَّذي لا تأتي علىٰ أَطرافهِ النُّسورُ . . فلنتبرَّكْ بذكرِ شيءٍ ممَّا قالَهُ السَّادةُ الصُّوفيَّةُ في ٱستعذابِ التَّعذيبِ ، وٱختيارِ ٱلموتِ في مرضاتِ ٱلحبيبِ ، وَلَئِنْ ٱختلفتِ ٱلألوانُ . . فٱلجامعُ قولُ مسلمِ بنِ ٱلوليدِ [مِنَ ٱلبسيطِ] :

يَجُوْدُ بِٱلنَّفْسِ إِذْ ضَنَّ ٱلْجَوَادُ بِهَا ... وَٱلْجُوْدُ بِٱلنَّفْسِ أَقْصَىٰ غَايَةِ ٱلْجُوْدِ

كل شيء من الحبيب حبيب

قالَ أَبو حامدٍ ٱلغزاليُّ كما ذكرهُ ٱبنُ السُّبكيِّ في « طبقاتهِ » [٢/ ٢٢٢ مِنَ ٱلمديدِ] :

سَقَمِـيْ فِـيْ ٱلْحُـبِّ عَـافِيَتِـيْ ... وَوُجُـوْدِيْ فِـيْ ٱلْهَـوَىٰ عَـدَمِـيْ
وَعَـــذَابٌ تَـــرْتَضُـــونَ بِـــهِ ... فِـيْ فَمِـيْ أَحْلَـىٰ مِـنَ ٱلنَّعَـمِ
مَـــا لِضُـــرٍّ فِـــيْ مَحَبَّتِكُـــمْ ... عِنْـــدَنَـــا وَٱللهِ مِـــنْ أَلَـــمِ

سلطان العاشقين يستعذب العذاب

وقالَ ٱبنُ ٱلفارضِ [في « ديوانهِ » ٢٦ مِنَ ٱلكاملِ] :

إِنْ كَانَ فِيْ تَلَفِيْ رِضَاكَ صَبَابَةٌ ... وَلَكَ ٱلْبَقَاءُ وَجَدْتُ فِيْهِ لَذَاذَا

وقالَ [في « ديوانهِ » ١٥١ مِنَ ٱلكاملِ] :

مَا لِيْ سِوَىٰ رُوْحِيْ وَبَاذِلُ نَفْسِهِ ... فِيْ حُبِّ مَنْ يَهْوَاهُ لَيْسَ بِمُسْرِفِ
فَلَئِنْ رَضِيْتَ بِهَا فَقَدْ أَسْعَفْتَنِيْ ... يَا خَيْبَةَ ٱلْمَسْعَىٰ إِذَا لَمْ تُسْعِفِ

وقالَ [في « ديوانهِ » ١٥٢ مِنَ ٱلكاملِ] :

لَوْ أَنَّ رُوْحِيْ فِي يَدِيْ وَوَهَبْتُهَا ... لِمُبَشِّرِيْ بِقُدُوْمِكُمْ لَمْ أُنْصِفِ

وقالَ [في « ديوانهِ » ١٥٦ مِنَ ٱلخفيفِ] :

وَتَـلَافِـيْ إِنْ كَـانَ فِيْـهِ ٱئْتِـلَافِـيْ ... بِكَ ، عَجِّلْ بِهِ جُعِلْتُ فِدَاكَا

رفع المسهم

وقالَ [في « ديوانهِ » ١٤٥ مِنَ ٱلبسيطِ] :

مَنْ لِيْ بِإِتْلاَفِ رُوْحِيْ فِيْ هَوَىٰ رَشَإٍ ... حُلْوِ ٱلشَّمَائِلِ بِٱلأَرْوَاحِ مُمْتَزِجِ[1]

وقالَ [في « ديوانهِ » ١٤٤ مِنَ ٱلبسيطِ] :

مَا بَيْنَ مُعْتَرَكِ ٱلأَحْدَاقِ وَٱلْمُهَجِ ... أَنَـا ٱلْقَتِيْـلُ بِـلاَ إِثْـمٍ وَلاَ حَـرَجِ

وَدَّعْتُ قَبْلَ ٱلْهَوَىٰ رُوْحِيْ لِمَا نَظَرَتْ ... عَيْنَايَ مِنْ حُسْنِ ذَاكَ ٱلْمَنْظَرِ ٱلْبَهِجِ

وقالَ [في « ديوانهِ » ١٢٩ مِنَ ٱلبسيطِ] :

وَهَـٰذِهِ سُنَّةُ ٱلْعُشَّاقِ مَا عَلِقُوْا ... بِشَادِنٍ فَخَلاَ عُضْوٌ مِنَ ٱلأَلَمِ

وقالَ [في « ديوانهِ » ١٣٤ـ١٣٧ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

وَلَـٰكِنْ لَدَيَّ ٱلْمَوْتُ فِيْهِ صَبَابَةٌ ... حَيَاةٌ لِمَنْ أَهْوَىٰ عَلَيَّ بِهَا ٱلْفَضْلُ

فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيْداً فَمُتْ بِهِ ... شَهِيْـداً وَإِلاَّ فَـٱلْغَـرَامُ لَـهُ أَهْـلُ

فَمَنْ لَمْ يَمُتْ فِيْ حُبِّهِ لَمْ يَعِشْ بِهِ ... وَدُوْنَ ٱجْتِنَاءِ ٱلنَّحْلِ مَا جَنَتِ ٱلنَّحْلُ[2]

وَقُـلْ لِقَتِيْـلِ ٱلْحُـبِّ : وَفَّيْـتَ حَقَّـهُ ... وَلِلْمُدَّعِيْ هَيْهَاتَ مَا ٱلْكَحَلُ ٱلْكُحْلُ[3]

فَمَنْ لَمْ يَجُدْ فِيْ حُبِّ نُعْمٍ بِنَفْسِهِ ... وَلَوْ جَادَ بِٱلدُّنْيَا إِلَيْهِ ٱنْتَهَىٰ ٱلْبُخْلُ[4]

وقالَ [في « ديوانهِ » ٥٠ـ٥١ مِنَ ٱلطَّويلِ] :

وَمَا حَلَّ بِيْ مِنْ مِحْنَةٍ فَهْوَ مِنْحَةٌ ... وَقَدْ سَلِمَتْ مِنْ حَلَّ عَقْدِ عَزِيْمَتِيْ

فَكُلُّ أَذىً فِي ٱلْحُبِّ مِنْكِ إِذَا بَدَا ... جَعَلْتُ لَهُ شُكْرِيْ مَكَانَ شَكِيَّتِيْ

---

(١) الرَّشَأُ : ولدُ الغزالِ .

(٢) ماجنَت : أي ما ارتكبت من جنايةٍ ، وهي لَسعُها لمن يجني عسلَها .

(٣) الكَحَلُ : سوادٌ طرف أجفان العين خلقةً .

(٤) نُعمٌ : اسمُ المحبوبةِ .

رفع المسهم

نَعَمْ وَتَبَارِيحُ ٱلصَّبَابَةِ إِنْ عَدَتْ ... عَلَيَّ مِنَ ٱلنَّعْمَاءِ فِي ٱلْحُبِّ عُدَّتِي[1]
وَمِنْكِ شَقَائِي بَلْ بَلَائِيَ مِنَّةٌ ... وَفِيكِ لِبَاسُ ٱلْبُؤْسِ أَسْبَغُ نِعْمَةِ
فَحَلَّيْتِ لِيَ ٱلْبَلْوَىٰ وَخَلَّيْتِ بَيْنَهَا ... بَيْنِي فَكَانَتْ مِنْكِ أَجْمَلَ زِينَةِ

وقالَ [في « ديوانه » ٥٤ـ٥٧ مِنَ الطَّويلِ] :

فَقَالَتْ: هَوَىٰ غَيْرِي قَصَدْتَ وَدُونَهُ ... تَصَدْتَ عَمِيّاً عَنْ سَوَاءِ مَحَجَّتِي[2]
وَنَهْجُ سَبِيلِي وَاضِحٌ لِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ... وَلَٰكِنَّهَا ٱلْأَهْوَاءُ عَمَّتْ فَأَعْمَتِ
حَلِيفُ غَرَامٍ أَنْتَ لَٰكِنْ بِنَفْسِهِ ... وَإِبْقَاكَ وَصْفاً مِنْكَ بَعْضُ أَدِلَّتِي
فَلَمْ تَهْوَنِي مَا لَمْ تَكُنْ فِيَّ فَانِياً ... وَلَمْ تَفْنَ مَا لَمْ تُجْتَلَىٰ فِيكَ صُورَتِي
فَدَعْ عَنْكَ دَعْوَى ٱلْحُبِّ وَٱدْعُ لِغَيْرِهِ ... فُؤَادَكَ وَٱدْفَعْ عَنْكَ غَيَّكَ بِٱلَّتِي[3]
وَجَانِبْ جَنَابَ ٱلْوَصْلِ هَيْهَاتَ لَمْ يَكُنْ ... وَهَا أَنْتَ حَيٌّ إِنْ تَكُنْ صَادِقاً مُتِ
فَقُلْتُ لَهَا : رُوحِي لَدَيْكِ وَقَبْضُهَا ... إِلَيْكِ وَمَنْ لِي أَنْ تَكُونَ بِقَبْضَتِي
وَمَا أَنَا بِٱلشَّانِي ٱلْوَفَاةَ عَلَى ٱلْهَوَىٰ ... وَشَأْنِيَ ٱلْوَفَا تَأْبَىٰ سِوَاهُ سَجِيَّتِي[4]
وَمَاذَا عَسَىٰ عَنِّي يُقَالُ سِوَىٰ قَضَىٰ ... فُلَانٌ هَوَىٰ مَنْ لِي بِذَا وَهْوَ بُغْيَتِي
أَجَلْ أَجَلِي أَرْضَىٰ ٱنْقِضَاهُ صَبَابَةً ... وَلَا وَصْلَ إِنْ صَحَّتْ لِحُبِّكِ نِسْبَتِي
وَإِنْ لَمْ أَفُزْ حَفّاً إِلَيْكِ بِنِسْبَةٍ ... لِعِزَّتِهَا حَسْبِي ٱفْتِخَاراً بِتُهْمَتِي
وَدُونَ ٱتِّهَامِي إِنْ قَضَيْتُ أَسىً فَمَا ... أَسَأْتُ بِنَفْسٍ بِٱلشَّهَادَةِ قَرَّتِ[5]

---

(١) التباريحُ : الشدةُ .
(٢) المَحَجَّةُ : الطريق المستقيمة التي لا عِوَجَ فيها .
(٣) في الكلام اكتفاء إذ المقصود ظاهرٌ ؛ أي : بالتي هي أحسن .
(٤) الشاني : المبغض . شأني : عادتي .
(٥) أسىً : حزناً .

وَلِيْ مِنْكِ كَافٍ إِنْ هَدَرْتِ دَمِيْ، وَلَمْ أُعَدَّ شَهِيداً ، عِلْمُ دَاعِيْ مَنِيَّتِيْ
وَلَمْ تَسْوَ رُوْحِيْ فِيْ وِصَالِكِ بَذْلَهَا لَدَيَّ لِبَوْنٍ بَيْنَ صَوْنٍ وَبِذْلَةِ[1]
فَإِنْ صَحَّ هَذَا ٱلْفَأْلُ مِنْكِ رَفَعْتِنِيْ وَأَغْلَيْتِ مِقْدَارِيْ وَأَغْلَيْتِ قِيْمَتِيْ
فَهَا أَنَا مُسْتَدْعٍ قَضَاكِ وَمَا بِهِ رِضَاكِ وَلاَ أَخْتَارُ تَأْخِيْرَ مُدَّتِيْ

ذم وهجاء من يبطىء في إجابة الصوت

وفي عكسِ ما سبقَ مِنْ إجابةِ الصَّوتِ يقولُ قُريطٌ [في «شرحِ ٱلحماسةِ» ١/١٥٧ـ١٥٩ مِنَ ٱلبسيطِ] :

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبِحْ إِبِلِيْ بَنُوْ ٱللَّقِيْطَةِ مِنْ ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَا[2]
لَكِنَّ قَوْمِيْ وَإِنْ كَانُوْا ذَوِيْ عَدَدٍ لَيْسُوْا مِنَ ٱلشَّرِّ فِيْ شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا

وقالَ أَبو عمرِو بنِ ٱلعلاءِ [مِنَ ٱلطَّويلِ] :

دَعَا قَوْمَهُ حَوْلِيْ فَجَاؤُوْا لِنَصْرِهِ وَنَادَيْتُ قَوْمِيْ بِٱلْمُسَنَّاةِ غُيَّبَا[3]
وَرُبَّ بَقِيْعٍ لَوْ هَتَفْتُ بِخَوْرِهِ أَتَانِيْ كَرِيْمٌ يَنْفُضُ ٱلرَّأْسَ مُغْضَبَا[4]

وقالَ أَبو عليٍّ الضَّريرُ [مِنَ ٱلبسيطِ] :

كَأَنَّنِيْ يَوْمَ أَدْعُوْهَا لِنَائِبَةٍ أَدْعُوْ لَهَا مِنْ بُطُوْنِ ٱلأَرْضِ أَمْوَاتَا

---

(١) تسوَ : من قولنا : هذا المتاعُ يسوىٰ ديناراً مثلاً . البَونُ : البعدُ . البِذلَةُ : مِن الابتذالِ وٱلامتهانِ .

(٢) بنو مازن : حيٌّ من تميمٍ ، وهو مازنُ بنُ مالكِ بنِ عمرِو بنِ تميمٍ ، وهم أشرافُ ولدِ عمرِو بنِ تميمٍ ، فلذلك تمنّىٰ الشاعرُ أن يكون منهم . وذُهلُ بنُ شيبانَ : حيٌّ من بكرِ بن وائلٍ ، وكانتِ الحربُ بين تميمٍ وبكرٍ . واللقيطةُ : المنبوذَةُ الملقوطةُ ، وجعلَها كذلكَ مبالغةً في الهجوِ .

(٣) المُسَنَّاةُ : بلدةٌ .

(٤) بخورِهِ : بفضائله .

رفع المسهم

وقد سبقَ أوّلَ المجلسِ الرّابعِ قولُ الحماسيِّ [في «شرحِ الحماسةِ» ٢/ ١٠٥٧ مِنَ الطّويلِ] :

وَكَـائِـرْ بِسَعْـدٍ إنَّ سَعْـداً كَثِيْـرَةٌ ... وَلاَ تَرْجُ مِنْ سَعْدٍ وَفَاءً وَلاَ نَصْرَا[1]

معَ جملةٍ مِن أمثالِهِ .

ولمّا سُئِلَ خالدُ بنُ صفوانَ عن حالِ ابنيهِ . . أنشدَ [مِنَ الطّويلِ] :

أَبُوْ مَالِكٍ جَارٌ لَهُمْ وَابْنُ مَرْثَدٍ ... فَيَـا لَـكَ جَـارَيْ ذِلَّـةٍ وَصَغَـارِ

وقالَ إبراهيمُ بنُ العبّاسِ [مِنَ الطّويلِ] :

وَإِنِّـيْ إِذَا أَدْعُـوْكَ عِنْـدَ مُلِمَّـةٍ ... كَدَاعِيَةٍ بَيْنَ الْقُبُوْرِ نَصِيْرُهَا[2]

وقالَ ريقانُ [مِنَ الطّويلِ] :

فَمَا دَارُ عَمِّيْ لِيْ بِدَارِ خَفَارَةٍ ... وَلاَ عَهْدُ عَمِّيْ لِيْ بِعَهْدِ جِوَارِ[3]

وقالَ الحُطيئةُ [مِنَ البسيط] :

لَمَّا بَدَا لِيَ مِنْكُمْ ذَاتُ أَنْفُسِكُمْ ... وَلَمْ يَكُنْ لِجِرَاحِيْ فِيْكُمُ آسِيْ[4]

أَزْمَعْتُ يَأْساً مُبِيْناً عَنْ جِوَارِكُمُ ... وَلَنْ تَرَىٰ طَارِداً لِلْحُرِّ كَالْيَاسِ

---

(١) المكاثَرَةُ : المباهاةُ بالكثرَةِ ، أي : عددُهم كثيرٌ ، وغِناهُم قليلٌ ، وهم : سعدُ بنُ زيدِ مناةَ بنِ تميمٍ ، وهم أكثرُ تميمٍ وأعزُّها .

(٢) وذلك كقول الشاعر :

لقـد أسمعـت لـو نـاديـت حيّـاً ... ولكـن لا حيـاة لمـن تنـادي

(٣) الخفارَةُ : الأمانُ .

(٤) الآسي : هوَ المداوي والمعالجُ . قال المتنبي يصف الأسد :

يطـأ الثـرى متـرفقـاً مـن تيهـهِ ... فكـأنـه آسٍ يجـسُّ عليـلاً

رفع المسهم

وقالَ النَّاظمُ [في « العكبريّ » ٤/ ٢٣٦ مِنَ البسيطِ] :

رَأَيْتُكُمْ لاَ يَصُوْنُ الْعِرْضَ جَارُكُمُ ... وَلاَ يَـدِرُّ عَلَـىٰ مَـرْعَـاكُـمُ اللَّبَـنُ
جَـزَاءُ كُـلِّ قَـرِيـبٍ مِنكُـمُ مَلَـلٌ ... وَحَظُّ كُلِّ مُحِبٍّ مِنكُمُ ضَغَنُ[1]

السبب في حرب البسوس

ولمَّا طَعنَ كليبُ وائلٍ ناقةَ الجرميِّ الَّذي كانَ في جوارِ البسوسِ خالةِ جسَّاسٍ . . قالَتْ [مِنَ الطَّويلِ] :

لَعَمْرِيَ لَوْ أَصْبَحْتُ فِيْ دَارِ مُنْقِذٍ ... لَمَا ضِيْمَ سَعْدٌ وَهُوَ جَارٌ لأَبْيَاتِيْ
وَلَكِنَّنِـيْ أَصْبَحْـتُ فِـيْ دَارِ غُـرْبَـةٍ ... مَتَىٰ يَعْدُ فِيْهَا الذِّيْبُ يَعْدُ عَلَىٰ شَاتِيْ
فَيَا سَعْدُ لاَ تُغْرَرْ بِنَفْسِكَ وَارْتَحِلْ ... فَإِنَّكَ فِيْ قَوْمٍ عَنِ الْجَارِ أَمْوَاتِ

ذم القرآن الكريم للمنافقين

فحميَ عندَ ذلكَ أنفُ جسَّاسٍ ، ولَمْ يَزلْ يترصَّدُ غُرَّةَ كُليبٍ . . حتَّىٰ قتلَهُ ، ودامتِ الحربُ أربعينَ سنةً ، وكانَ ذلكَ قبلَ مبعثِ النَّبيِّ ﷺ بستِّينَ سنةً ، واللهُ جلَّ شأنُهُ يقولُ : ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴾ [الحشر : ١١-١٢] .

أصعب السهام التي تأتيك من أخيك وأشد الآلام النزيف الداخلي

وفي لونٍ آخرَ مِن هٰذا البزِّ[2] يقولُ ابنُ الرُّوميِّ [في « ديوانِهِ » ٥/ ١٩١١ مِنَ الطَّويلِ] :

تَخِذْتُكُمُ دِرْعاً حَصِيناً لِتَدْفَعُوْا ... نِبَالَ الْعِدَا عَنِّيْ فَكُنْتُمْ نِصَالَهَا
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُوْ مِنكُمُ خَيْرَ نَاصِرٍ ... عَلَىٰ حِيْنِ خِذْلاَنِ الْيَمِيْنِ شِمَالَهَا

---

(١) الضَّغَنُ : الحِقدُ .
(٢) البزُّ : السَّلبُ .

رفع المسهم

فَإِنْ كُنْتُمُ لاَ تَحْفَظُوْنَ مَوَدَّتِيْ ذِمَاماً فَكُوْنُواْ لاَ عَلَيْهَا وَلاَ لَهَا[1]
قِفُوْا وِقْفَةَ ٱلْمَعْذُوْرِ عَنِّيْ بِمَعْزِلٍ وَخَلُّوْا نِبَالِيْ لِلْعِدَا وَنِبَالِهَا

وقالَ آخرُ [مِنَ الكاملِ] :

أَعْدَدْتُكُمْ لِدِفَاعِ كُلِّ مُلِمَّةٍ عَوْناً فَكُنْتُمْ عَوْنَ كُلِّ مُلِمَّةِ
وَتَخِذْتُكُمْ لِيْ جُنَّةً فَكَأَنَّمَا نَظَرَ ٱلْعَدُوُّ مَقَاتِلِيْ مِنْ جُنَّتِيْ[2]
فَلأَنْفُضَنَّ يَدَيَّ يَأْساً مِنْكُمُ نَفْضَ ٱلأَنَامِلَ مِنْ تُرَابِ ٱلْمَيِّتِ

وقالَ ٱبنُ ٱلرُّوميِّ أيضاً [مِنَ الخفيفِ] :

خِلْتُكُمْ عُدَّةً لِصَرْفِ زَمَانِيْ فَإِذَا أَنْتُمُ صُرُوْفُ زَمَانِيْ[3]

وقالَ آخرُ [مِنَ الرَّمَلِ] :

رُبَّ مَنْ تَرْجُوْ بِهِ دَفْعَ ٱلأَذَىٰ سَوْفَ يَأْتِيْكَ ٱلأَذَىٰ مِنْ قِبَلِهْ

وقالَ غيرُهُ [مِنَ الخفيفِ] :

كُنْتُ مِنْ كُرْبَتِيْ أَفِرُّ إِلَيْهِمْ فَهُمُ كُرْبَتِيْ فَأَيْنَ ٱلْفِرَارُ

الجدار القصير تقفز عليه الكلاب

وقدمَتْ (مكَّةَ) ٱمرأةٌ وضيئةٌ ، فٱستهامَ بها ٱبنُ أبي ربيعةَ ، وأخذَ يتعرَّضُ لها ، ويؤذيها في المطافِ ، فقالَتْ لبعضِ رجالِها :

---

(١) الذِّمامُ : كلُّ حرمةٍ تلزمكَ إذا ضيَّعتها المذمَّةُ .
(٢) جُنَّةٌ : أي ساتِراً .
(٣) صَرْفُ الزمانِ : نوائبُهُ . وقال أحدهم نحوه :

وإخـــوانٍ حسبتهـــم دروعـــاً فكـانـوهـا ولكـن لـلأعـادي
وخلتهـــم سهـــاماً صـــائبـات فكـانـوهـا ولكـن فـي فـؤادي
وقـالـوا قـد صفـت منـا قلـوب فقلـت نعـم ولكـن مـن ودادي

رفع المسهم

طُفْ معي ، فلمَّا رآهُ معها . . أنزجرَ . فقالَتْ [مِنَ البسيطِ] :

تَعْدُوْ ٱلذِّئَابُ عَلَىٰ مَنْ لاَ كِلاَبَ لَهُ ... وَتَتَّقِيْ صَوْلَةَ ٱلْمُسْتَأْسِدِ ٱلْحَامِيْ

ولله درُّ ٱلقائلِ [مِنَ الطَّويلِ] : واحسرتا على من ليس له أحد

إِذَا ٱلْمَرْءُ لَمْ يَغْضَبْ لَهُ حِيْنَ يَغْضَبُ ... فَوَارِسُ إِنْ قِيْلَ: ٱرْكَبُوْا ٱلْمَوْتَ يَرْكَبُوْا

وَلَـمْ يَحْبُهُ بِـٱلنَّصْـرِ قَـوْمٌ أَعِـزَّةٌ ... مَقَاحِيْمُ فِيْ ٱلأَمْرِ ٱلَّذِيْ يُتَهَيَّبُ

تَهَضَّمَهُ أَدْنَىٰ ٱلْعَدُوِّ وَلَمْ يَزَلْ ... وَإِنْ كَانَ عَضْباً بِٱلظَّلاَمَةِ يُضْرَبُ[1]

وقيلَ للجاحظِ : لِمَ خذلْتَ ٱبنَ ٱلزيّاتِ ، وهربْتَ منهُ لمّا أَصابتْهُ ٱلمِحنةُ ؟ فقالَ : خشيتُ أَن يُقالَ : ثانيَ ٱثنينِ إِذْ هما في ٱلتَّنُّورِ ، وكانَتْ عقوبةُ ٱبنِ ٱلزيّاتِ أَن عُذِّبَ في ٱلتَّنُّورِ ٱلذي كانَ يُعَذِّبُ بهِ مَنْ شَاءَ أَنْ يَنْتَقِمَ منهُ ، ولحديثِ ٱمرىءِ ٱلقيسِ معَ جارهِ ٱلسَّابقِ في غيرِ هٰذا ٱلمجلسِ ٱتصالٌ بٱلموضوعِ . ثاني اثنين في التنور

وٱللهُ أعلمُ

* * *

(١) الأعضَبُ من الرجالِ : الذي لا ناصرَ لهُ ، والعضْبُ : السيفُ القاطعُ .

رفع المسهم

المحتوى

رفع المسهم

المحتوى

أولاً ـ المقدمات:

أضواء على الكتاب/ بقلم الدكتور الأهدل ٧
مقدمة التحقيق ١٧
ـ تمهيد ١٩
ـ الأدب ـ مفهومه وتاريخه ٢٦
ـ ترجمة أبي الطيب المتنبي ٣٦
ـ ترجمة السيد عبد الرحمن السقاف (مؤلف الكتاب) ٤٣
ـ وصف النسخة الخطية ٥٦
ـ منهج تحقيق الكتاب ٥٧
ـ خاتمة ٥٨
كلمة شكر ٦١
صورة المخطوطة المستعان بها ٦٣

ثانياً ـ الكتاب:

ـ مقدمة المؤلف ٦٩

المجلس الأول

بِأَبِي مَنْ وَدِدْتُهُ فَأَفْتَرَقْنَا ... وَقَضَىٰ ٱللهُ بَعْدَ ذَاكَ ٱجْتِمَاعَا
فَأَفْتَرَقْنَا حَوْلًا وَلَمَّا ٱلْتَقَيْنَا ... كَانَ تَسْلِيمُهُ عَلَيَّ وَدَاعَا

حلاوة اللقاء كمر النسيم ٧٣
دفع العتاب عن المتنبي ٧٣

رفع المسهم

جواز التفدية ٧٣
رد دليل منع التفدية ٧٤
وقوع العتاب على المتنبي ٧٤
كراهة التكرار ٧٤
متى يكون العطف قبيحاً ٧٤
روعة التكرار في مكانه ٧٥
كثرة التفدية عند المتنبي ٧٥
التفدية عند البحتري ٧٨
فداء كثير لعبد العزيز بن مروان ٧٩
فداء قس بن ساعدة لأخويه ٧٩
فداء متمم لأخيه ٧٩
التفدية عند الصوفية ٨٠
فداء آدم لداوود ٨٠
فداء زيد بن الدثنة للنبي ﷺ ٨٠
نماذج من فداء الصحابة له ٨١
الأيام الحلوة تمر مسرعة عند المتنبي ٨١
وكذلك عند الشعراء كل شيء يهون من أجل الحبيب ٨٢
سيدنا إبراهيم الخليل الإمام في ذلك ٨٣
أيهما الأسعد نظام الملك أم البستاني؟! ٨٣
ابن حجاج وسرعة عزله عن عمله ٨٣
تولية الرشيد لجعفر بن يحيى وعزله ٨٣
توليته ﷺ لسعد وعزله يوم الفتح ٨٤
ما القول الفصل في هذه المسألة ٨٤
معاني القصيرة والمقصورة ٨٥
١ـ قصر الخطو ٨٥

رفع المسهم

قصر الخطو مذموم في الرجال ٨٥
٢ـ قصر النظر ٨٥
٣ـ لزام الخدور ٨٦
أنشدونا بيتاً خَفِراً ٨٦
العتبي والنساء الأعرابيات ٨٧
نفي المحكوم عليه بانتفاء صفته ٨٧
مثاله من القرآن ٨٧
مثاله من السنة ٨٨
مثاله من الشعر ٨٨
قول ابن الأثير في هذه المسألة ٨٨
رد المؤلف عليه ٨٨
تشبيه ليلة القرب وليل الصد وكثرته عند الشعراء ٨٩
تمثل السيدة عائشة بشعر متمم بن نويرة ٩٠
كن صياد فرص ٩٢
تنوع المتأخرين في هذا الموضوع ٩٣
تفنن المتنبي في هذا الموضوع وكثرته عنده ٩٦
المعتمد وإحدى حظاياه ٩٧

أَبَلَىٰ ٱلْهَوَىٰ أَسَفاً يَوْمَ ٱلنَّوَىٰ بَدَنِيْ وَفَرَّقَ ٱلْهَجْرُ بَيْنَ ٱلْجَفْنِ وَٱلْوَسَنِ

الهوى المتلف ٩٨
حقيقة العشق ٩٨
العشق أوله لعب وآخره عطب ٩٩
كمون الحب في الحشا ٩٩
الهجر ينفي النوم من العيون ٩٩
تكرار هٰذا المعنى عند المتنبي ١٠٠

رفع المسهم

المحب لا يعرف الراحة ١٠٠
انفذ بريشك ١٠١

رُوْحٌ تَرَدَّدُ فِيْ مِثْلِ ٱلْخِلاَلِ إِذَا أَطَارَتِ ٱلرِّيْحُ عَنْهُ ٱلثَّوْبَ لَمْ يَبِنِ
كَفَىٰ بِجِسْمِيْ نُحُوْلاً أَنَّنِيْ رَجُلٌ لَوْلاَ مُخَاطَبَتِيْ إِيَّاكَ لَمْ تَرَنِيْ

في البيت سؤالان ١٠٢
الأول: ما هو المصدر المؤول؟ ١٠٢
الثاني: الاسم الظاهر بمثابة الغائب فكيف الضمير ١٠٢
الشواهد عليه ١٠٢
قصة الصمة وريا ١٠٣
رد المؤلف على الشارح ١٠٣
أصل بيت المتنبي ١٠٤
ذوبان النفس في العشق ليس حكراً على أحد ١٠٥
ما هذه الخفة؟! ١٠٦
القذى الذي لا يؤذي ١٠٦
تأييد المؤلف للشارح في بعض ورده لبعض ١٠٧
أعذب الشعر أكذبه ١٠٧
السابق في المعنى أبو تمام ١٠٧
سلطان العاشقين وإبداعه في هذه المسألة ١٠٧
المقبول من الغلو هو الذي يصدره الصوفية ١٠٩
سماع الصوفية ١٠٩
ومن العشق ما قتل ١١٠
حكم ابن الأثير على بيت ١١٠
لماذا لم يصعق الصحابة من السماع؟ ١١١

رفع المسهم

بل صعق بعضهم عند سماع سورة الإنسان ١١٢
قو أنفسكم ناراً ١١٢
الأول يتلو والثاني يموت ١١٣
باح للنبي ﷺ ومات ١١٣
وأكثرهم راسخون كالجبال ١١٣
رفقاً بالقوارير ١١٣
الرجل أقوى ١١٣
همّام والإمام عليه السلام ١١٤
السبب في الموت عشقاً ١١٤
الأكوع: والبادي أظلم ١١٥
موت ابن وهب ١١٥
موت النوري ١١٥
عبد الله بن طاهر والجارية الشاعرة ١١٦
الجاحظ وغريقي العشق ١١٦
لا خير في عشق بلا موت ١١٧
لا تستعجل ما هو لك ١١٨
كتاب سليمان بن عبد الملك إلى أخيه ١١٩
إذ لا تشرب تظماً ١٢٠
صعقة أمير المؤمنين عمر لسماع القرآن ١٢٠
المحسن بن علوي ورقة قلبه ١٢١
مواراة عبد الله بن عمر بن نمير ١٢١
عبيد الله بن محسن ١٢١
الحداد وقوله: ولى الزمان ١٢٢
حديث الشوق في الآخرين ١٢٤
يا قرة العين ١٢٤

رفع المسهم

أبرح الشوق ١٢٥
الشيخ حسين زايد وصنّاعة القهوة ١٢٥
ربما قتل الشيخ أبن زامل في هذا الطريق ١٢٧
عاشقة ابن عمها كيف تموت ١٢٧
يخرج روحه من نفسه ليعطيها لصديقه ١٢٨
هل أنت تذبح ابنك لتشفي خراج الملك؟!! ١٢٩
أرى جسداً عليلاً وعينين صحيحتين ١٣٠
المتنبي والرمادي ١٣٠

المجلس الثاني

أَهْـلاً بِـدَارٍ سَبَـاكَ أَغْيَـدُهَـا أَبْعَـدَ مَـا بَـانَ عَنْـكَ خُـرَّدُهَـا

عادة الشعراء البكاء على الأطلال ١٣٣
اقتداء المتنبي بهم ١٣٣
مخالفته لهم ١٣٤
شرح المطلع ١٣٤
صيانة المرأة عند العرب ١٣٥
قريب المرأى بعيد المنال ١٣٥
تكرار هذا المعنى عند الشعراء ١٣٦
لقاءٌ وعتاب ١٣٧
ما أصعب الفطام بعد الرضاع ١٣٩
الباذلات المانعات ١٣٩
الكانزات الباخلات ١٣٩
عمر بن أبي ربيعة وعبد الملك بن مروان ١٤٠
الكاسيات العاريات ١٤٠

رفع المسهم

الكلام الحق ١٤١
إذا كنت ريحاً فقد واجهت إعصاراً ١٤١
أبو نواس يأكل الفتاة بعينيه ووقوعه في شر أعماله ١٤١
قصة ذي الرمة ومي ١٤٣
وائل بن قاسط ووادي السباع ١٤٤
وجوب التحفُّظ والحيطة على النساء ١٤٥
زوج الشهداء عاتكة بنت زيد ١٤٥
كما تدين تدان ١٤٦
العفة حتى في النوم ١٤٧
الشعراء في هذا الموضوع ١٤٧
الضيف الأعمى ١٤٨

ظَلْتَ بِهَا تَنْطَوِي عَلَىٰ كَبِدٍ نَضِيْجَةٍ فَوْقَ خِلْبِهَا يَدُهَا

شرح المطلع ١٤٩
رأي المؤلف ١٤٩
اصطلام النار في الأكباد ١٤٩
تكرار هذا المعنى عند المتنبي ١٥١
بيت للمؤلف في الموضوع ١٥١
اختلاف الإشارات في التعبير ١٥١
الملك المتواضع ١٥١
لا حياء في تعلم أمور الدين ١٥١
النساء واختلاف التعبير عند الفزع ١٥٢

يَا حَادِيَيْ عِيْسِهَا وَأَحْسَيْنِي أُوْجَدُ مَيْتاً قُبَيْلَ أَفْقِدُهَا
قِفَا قَلِيْلاً بِهَا عَلَيَّ فَمَا أَقَلَّ مِنْ نَظْرَةٍ أُزَوِّدُهَا

شرح المطلع ١٥٣

رفع المسهم

لِمَ العجلة؟ ١٥٣
الشعراء والموت من الفراق ١٥٣
استيقاف العيس عند الشعراء ١٥٤
أول من قال لفظة (السلف) ١٥٤
تفسير السلف ١٥٥
طلبٌ وجيه ١٥٥
نرجو من الله تعالى ١٥٦
ما سبب التفات المسافر العربي؟ ١٥٦
من بدائع الاتفاق ١٥٧
أنت مسكين يا صمة ١٥٧
الألم ساعة الوداع عند الشعراء ١٥٨
توديع ابن اللبانة للمعتمد بن عباد ١٦٣
ابن درّاج وزوجته ١٦٤
لله درك يا ابن زريق ١٦٤
قصيدة للمؤلف في الموضوع ١٦٥
الخلاف في شأن التوديع ١٦٦
١ـ عصفور باليد أفضل من عشر على الشجر ١٦٦
٢ـ درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ١٦٦
المحب شقي على كل الأحوال ١٦٦
الاقتناع باليسير من المحبوب عند الشعراء ١٦٧
وأجمله: عند سلطان العاشقين ١٦٩
الروذباري والشاب الطريح ١٦٩
امرأة في الطواف ١٧٠

رفع المسهم

بَـانُـوْا بِخُـرْعُـوْبَـةٍ لَهَـا كَفَـلٌ يَكَـادُ عِنْـدَ ٱلْقِيَـامِ يُقْعِـدُهَـا

المرأة ممدوحة بكبر العجيزة ١٧٢
تكرر المعنى عند المتنبي ١٧٢
جزء من حديث أم زرع ١٧٢
حلم معاوية رضي الله عنه ١٧٣
الأحنف يقطع يد رجل بحلمه وذكائه ١٧٣
السبب في كون كبر العجيزة ممدوحاً ١٧٤
الثريا وانتفاج عجزها ١٧٤
أخت الحجاج تنذر أن تعتمر ماشية ١٧٤
ومنهن نائلة الكلبية ١٧٦
الشعراء في هذا الموضوع ١٧٦
مساجلة المؤلف مع رجل من (اليمن) ١٧٨
سؤال عبد الملك بن مروان للأخطل عن تمنيه قول قصيدة لأحد الشعراء ... ١٧٩
تعليق المؤلف على القصة ١٨١
رواية أخرى للقصة ١٨٢
رواية أخرى في القصيدة المتمناة ١٨٢

يَـا عَـاذِلَ ٱلْعَـاشِقِيْـنَ دَعْ فِتَـةً أَضَلَّهَـا اللهُ كَيْـفَ تُـرْشِـدُهَـا
بِئْسَ ٱللَّيَالِيْ سَهِدْتَ مِنْ طَرَبٍ شَـوْقَـاً إِلَـىٰ مَـنْ يَبِيْـتُ يَـرْقُـدُهَـا

نصيحة لمن يعذل العاشقين ١٨٤
شرح البيت الأول من المطلع ١٨٤
«من عشق فعف» ومدى الاحتجاج به ١٨٥
شرح البيت الثاني من المطلع ١٨٧
حذف المخصوص بالذم ١٨٧

رفع المسهم

حذف عائد الصلة ١٨٧
الرد على الشارح ١٨٨
البلوى المحببة ١٨٨
الكلام عن ديوان ابن الفارض ١٨٨
التناقض عند المتنبي ١٩٠
امرؤ القيس كان مفركا ١٩١
التناقض العجيب ١٩٢
عمر بن أبي ربيعة وعائشة بنت طلحة ١٩٢
حال العاشق والمعشوق عند الشعراء ١٩٢
رد على بشار بن برد ١٩٣
أعينوني على الليل ١٩٤
الأصل اجتماع الهموم على العشاق بالليل ومذاهب الشعراء في ذلك ١٩٤
أبلغ من قال في طول الليل ١٩٦

لاَ نَـاقَتِـيْ تَقْبَـلُ ٱلـرَّدِيْـفَ وَلاَ بِٱلسَّوْطِ يَوْمَ ٱلرِّهَانِ أُجْهِدُهَا

شرح المطلع ١٩٨
خصائص النعال وأصل معنى بيت المتنبي ١٩٨
ابن المطرز والشريف الرضي والجواب المفحم ١٩٩
كاد المتنعل أن يكون راكباً ١٩٩
وفود أبي الشمقمق على يزيد بن المزيد ١٩٩
من أي الظهر ركوبك ٢٠١
وجهة نظر المؤلف في بعض أبيات النبهاني ٢٠١
أمره ﷺ بمخالفة اليهود بالصلاة بالنعال ٢٠٢
استحباب قلع النعل لدخول (مكة) ٢٠٢
تلوُّن المتنبي وتغيره في أشعاره ٢٠٢

رفع المسهم

لا مجد إلا بمال ٢٠٥
تعريض الحمداني بالمتنبي ثم نفي المؤلف الذم عنه ٢٠٥
عودة على تناقض المتنبي ٢٠٦
امرؤ القيس وخالد السدوسي والإبل المسروقة ٢٠٧
نفي العذر عن المتنبي في تناقضه ٢٠٧
اختلاف الأحوال والواردات على العارفين ٢٠٩
دفع الإشكال بما ظاهره التناقض في القرآن الكريم ٢١١
المتنبي جزوع منوع ٢١١
كرم نفس أبي فراس الحمداني ٢١٢
عند الامتحان يكرم المرء أو يهان ٢١٢
إلحاحه ﷺ على ربه يوم العريش ٢١٣
ثباتة جأشه في الغار ٢١٣
والله يا عم لو وضعوا الشمس ٢١٣
تواضعه ﷺ عند فتح (مكة) ٢١٣
سؤال عن عفوه وعن شدته ٢١٤
اعتراض المؤلف على ابن المعتز ٢١٥
الصفح عند الشعراء ٢١٥
عود على بدء ٢١٦
الأصمعي وبراذين الخلفاء ٢١٦
الضرورات تبيح المحظورات ٢١٦
ابن الرومي يطلب حاجة لا يتوقع قضاءها ٢١٦
ابتسام الأيام بعد عبوسها ٢١٦
رجل خفيف الحِمل ٢١٧
اللهم مثلنا أو مثلهم ٢١٧
لم يذهب إلا الفضول ٢١٧

رفع المسهم

فخر الدولة ابن المعتمد يتعلم الصياغة ٢١٧
تغير أحوال أم جعفر البرمكي ٢١٨
قصة عجيبة على تغير الأحوال ٢١٨
النعمان بن بشير يخطب الرقة ابنة النعمان بن المنذر ٢١٩
موسى بن نصير وتغير حاليه ٢٢٠
زوجة ملك تطلب الصدقة ٢٢٠
القصر الخَرِب ٢٢٠
الصاحب ودار ابن العميد ٢٢١
اعجب لصَرْفِ الدهر ٢٢١
قصر ابن سبكتكين ٢٢٢
أمير (كابل) ٢٢٢
محمد علي باشا وأمان الله ٢٢٣
ركب النميري ٢٢٤
الجيش الكبير ٢٢٤
ابن الحجام ٢٢٤
ابن الفوال ٢٢٤
القبران المتشاتمان ٢٢٥
الكلام على النعل ٢٢٥
من الممادح رقة النعال ٢٢٥
ومنها لبس السبتية ٢٢٦
رقة النعل كناية عن سلامتها ٢٢٦

المجلس الثالث

لَـهُ أَيَـادٍ عَلَـيَّ سَـابِقَـةٌ أُعَـدُّ مِنْهَـا وَلاَ أُعَـدِّدُهَـا

شرح المطلع ٢٢٧

رفع المسهم

الروايات في المطلع ٢٢٧
تلاعب المتنبي في معنى الجود ٢٢٧
أن تكون واحدة من حسنات ممدوحك عند الشعراء ٢٢٨
مصعب بن الزبير وجوده على بعض من حاربه ٢٢٨
إجارة معن بن زائدة على الخليفة المهدي ٢٢٩
إبراهيم بن سليمان يستجير عند رجل قد قتل أباه ٢٢٩
وفاء الحارث بن عباد للمهلهل بعد قدرته عليه ٢٣٠
المهلب يعفو عمن يريد قتله ٢٣١
لا أبرح حتى أعرف حديثك مع المأمون ٢٣١
النعمان بن المنذر ويوم بؤسه ٢٣٢
يعود إلى السجن بعد ما خرج منه وفاءً لمن هرَّبه ٢٣٤
عودٌ على شرح المطلع ٢٣٤

يُعْطِـيْ فَـلاَ مَطْلُـهُ يُكَـدِّرُهَـا بِهَـا وَلاَ مَنُّـهُ يُنَكِّـدُهَـا

شرح المطلع ٢٣٦
نفي الشيء بنفي صفته والشواهد عليه ٢٣٦
السبب في تكثير الأمثلة على هذه المسألة ٢٤٠
الخلاف في الوعد ٢٤٠
١ـ صنف أحبه قبل العطية ٢٤٠
من أصحاب هذا المذهب يحيى بن خالد ٢٤٠
ومنهم أبو مسلم الخولاني ٢٤٠
ومنهم المهدي ٢٤٠
شاهده من القرآن الكريم ٢٤١
ومنهم الحارثي ٢٤١
وكذلك ابن رشيق ٢٤١

رفع المسهم

٢ـ الصنف الثاني عكسهم واستدلالهم على ذلك ٢٤١
أصحاب هذا المذهب كثر ٢٤٢
تكرار هذا المعنى بكثرة عند المتنبي ٢٤٢
الشعراء وهذا المعنى ٢٤٤
كلمة رشيقة للخابزأرزي ٢٤٤
ملاحظة المؤلف عليها من حيث المعنى ٢٤٥
ملاحظته عليها من حيث اللفظ ٢٤٥
وجوب الوفاء بالوعد ٢٤٥
وفاء سيدنا أبي بكر عداته ﷺ ٢٤٦
وفاء عدات سعيد بن العاص ٢٤٦
قصيدة شاعرة لبعض شعراء الحماسة ٢٤٦
ابن الزبعرى يمدح بني عبد مناف ٢٤٧
الحطيئة يمدح آل شماس ٢٤٧
الشعراء والجود ٢٤٨
أبو العتاهية وعمر بن العلاء ٢٤٩
دعبل وبعض الأمراء ٢٥١
الضيف يخبر أهله ٢٥١
من روائع البحتري في الاستهزاء والهجاء ٢٥١
من روائع ابن الرومي في الموضوع ٢٥٢
الشعراء في هذا الميدان ٢٥٣
العبد الموفَّق هو الذي يعمل ما يرضي سيده ٢٥٤
فتوى في الحب ٢٥٤
شر الآفات البخل ٢٥٥
لا شيء أفضل من الصراحة ٢٥٥
وصف لبخيل ٢٥٥

رفع المسهم

أول من أخلف المواعيد ٢٥٥
دواء ينفع مع اللئيم الحريص ٢٥٥
الوعد في الحب ٢٥٦
الكمُّون والمواعيد ٢٥٦
التنكيد والمن في العطاء في أصدق الكلام ٢٥٧
التنكيد والمن في العطاء عند الشعراء ٢٥٧
لا تنس حاجتي أيها الأمير ٢٥٨
تكرار هذا المعنى عند المتنبي ٢٥٨
أم جعفر البرمكي تصف أولادها ٢٥٩
أصبحت بيوتنا كالأسواق ٢٦٠
مديح البرامكة ٢٦٠
قصائد للمؤلف في مدح العلويين ٢٦١
أبلغ ما روي في تعاظم السائل وسماحة المسؤول ٢٦١
مديح المتنبي لطاهر بن الحسين وجلوس الممدوح بين يدي الشاعر ٢٦٢
العفة في السؤال وحفظ ماء الوجه ٢٦٣
جابر عثرات الكرام ٢٦٣
الخلف أقبح من البخل ٢٦٤
كيف كانت البطيخة؟؟ ٢٦٥
أبو الهذيل والدجاجة المهداة ٢٦٥

أَصْبَحَ حُسَّادُهُ وَأَنْفُسُهُمْ يُخْدِرُهَا خَوْفُهُ وَيُصْعِدُهَا

صفات الخائف ٢٦٧
ماذا يعمل الخوف ٢٦٧
صور من شجاعة الإمام علي عليه السلام ٢٦٧
خوف المحارَب من الاسم عند الفرزدق ٢٦٩

رفع المسهم

تكرار هذا المعنى عند المتنبي ٢٦٩
جبن الأخطل وقصته مع الجحاف ٢٧١
إلى أين أبا ليلى؟ ٢٧٢
الجبن حتى في النوم ٢٧٤
المتنبي وهـٰذا المعنى ٢٧٤
المعري في الموضوع ٢٧٥
أبو الهيذام ورثاؤه لأخيه ٢٧٥
عبد الله بن أبي ربيعة ورثاؤه لعثمان بن عفان رضي الله عنه ٢٧٥
عبد الملك بن مروان ينهى ولده عن البكاء ٢٧٦
هيبة سيدنا ابن عباس من سيدنا عمر رضي الله عنهم ٢٧٦
من هيبة سيدنا عمر رضي الله عنه تضع المرأة حملها ٢٧٦
نهيه النساء عن رفع الصوت ٢٧٦
الاستهزاء بالجبان عندما يهدد ٢٧٧
شجاعة بني عبد المطلب ٢٧٧
قصة امرىء القيس مع قتلة أبيه ٢٧٨
تعليق المؤلف على القصة ٢٨٠
تعليق المؤلف على العكبري في شرح المطلع ٢٨٠

قَدْ أَجْمَعَتْ هَـٰذِهِ ٱلْخَلِيقَةُ لِيْ ... أَنَّكَ يَا ٱبْنَ ٱلنَّبِيِّ أَوْحَدُهَا
وَأَنَّكَ بِٱلأَمْسِ كُنْتَ مُحْتَلِماً ... شَيْخَ مَعَدٍّ وَأَنْتَ أَمْرَدُهَا

ادعاء التفرد للممدوح عند المتنبي ٢٨١
شدة انتقاد المؤلف على المتنبي: إسرافه في المدح ٢٨٣
ثناء سيدنا عمر رضي الله عنه على ابن أبي سلمى ٢٨٣
إن من البيان لسحراً ٢٨٤
سبب الكذب في المديح ٢٨٤

رفع المسهم

المؤلف وهذا الزمان ٢٨٥
إعجابه بأشراف النفوس ٢٨٥
شرف الفرزدق ٢٨٥
تلون المتنبي ٢٨٥
أبو تمام يمدح ابن الزيات فيرد مديحه عليه ٢٨٥
مديح الشماخ لعبد الله بن جعفر ٢٨٨
المبالغة في المديح ترفع الممدوح وتضع المادح ٢٨٨
صغر نفس المتنبي ٢٨٨
التفرد بالكمال مقرون بالحرمان ٢٨٩
ترقب زوال الشيء إذا ما قيل: تم ٢٨٩
أول من أتي من داء الكمال في الإسلام سيدنا علي وصور من ذلك ٢٨٩
صور من امتحان النبي ﷺ بالمنافقين ٢٩١
الشعراء والتمام ٢٩٣
الكمال مقرون بعلو الهمة ولكن الأيام لا تساعد ٢٩٤
صفات بني حمدان ٢٩٥
أوحد بني حمدان ٢٩٦
بدء الشعر بملك وختم بملك ٢٩٦
عود على شرح البيت من المطلع ٢٩٦
اقتباس البيت ٢٩٧
سيادة الصغير العمر عند المتنبي ٢٩٧
بلوغ الغلمان عند يحيى بن زيد ٢٩٨
تربية الأسياد أولادهم ٢٩٨
أصحاب مشورة سيدنا عمر رضي الله عنه ٢٩٩
تقديم الأسن عند الاستواء في الفضل ٢٩٩
سرعة بديهة يحيى بن أكثم ٣٠٠

رفع المسهم

المرء بأصغريه ٣٠٠
سيادة أبي جهل ٣٠٠
سيادة عمرو بن كلثوم ٣٠١
سيادة أخ الخنساء ٣٠١
سيادة طرفة بن العبد ٣٠١
محمد بن القاسم يبيد الأكراد وعمره سبع عشرة سنة ٣٠١
الشعراء والسيادة في الصغر ٣٠١
إلمام المتنبي بقول البحتري ٣٠٤
تألم المؤلف على ما آل إليه حال العلويين ونصحه لهم ٣٠٤
متى يبلغ البنيان التمام؟! ٣٠٦
قصيدة للمؤلف في العلويين ٣٠٧
هل صحيح أن الإنسان الذي يبلغ التمام في أمر يُنفذ هذا الأمرَ من ذريته؟ ... ٣٠٧
الكمال بين الناقصين ذنب ٣٠٨
قصيدة أخرى للمؤلف في نعي أسلافه وحث إخوانه ٣٠٨

المجلس الرابع

مُحِبِّيْ قِيَامِيْ مَا لِذَالِكُمُ ٱلنَّصْلِ بَرِيّاً مِنَ ٱلْجَرْحَىٰ سَلِيْماً مِنَ ٱلْقَتْلِ

نكوص أصحاب المتنبي عنه وتكليفهم إياه شيئاً ليس من شيمته ٣١١
تألم الإمام من نكوص الأصحاب ٣١١
البطء عن الضيف والسرعة إلى الطعام تستوجب الهجاء ٣١٢
كثرة كغثاء السيل ٣١٣
البرق الخلبي ٣١٣
أبو العتاهية يهجو عبد الله بن معن بن زائدة ٣١٣
عبد الله يأمر غلمانه بارتكاب الفاحشة من أبي العتاهية ٣١٤

رفع المسهم

السيوف الممدوحة ٣١٤
هل عيب السيوف الفلول؟ ٣١٤
معرفة عروة بن الزبير سيف أخيه ٣١٤
لا ينبغي لنبي لبس لأمة أن ينزعها حتى يقاتِل ٣١٤
الشعراء وتلبية المنادي ٣١٥
يزيد بن المهلب والإمارة ٣١٥
مكان الأمور الجسيمة ٣١٦
لا بد دون الشهد من إبر النحل ٣١٦
طعم الموت لا يتغير ٣١٦
شجاعة زيد بن علي ٣١٧
شجاعة داوود بن علي وابنه موسى ٣١٧
عبد الله بن الزبير وأمه ٣١٧
المفضل الضبي وإبراهيم بن عبد الله بن الحسن ٣١٩
أبو تمام والشجاعة ٣٢١
تسهيل الصعب بم يكون؟ ٣٢٣
المتنبي والشجاعة ٣٢٣
ابن المقرب والشجاعة ٣٢٤
سرقة الشعراء من بعضهم ٣٢٤
أجمل ما قيل في التحريض على الإباء ٣٢٥

وَخُضْرَةُ ثَوْبِ الْعَيْشِ فِي الْخُضْرَةِ الَّتِي نُرِيكَ احْمِرَارَ الْمَوْتِ فِي مَدْرَجِ النَّمْلِ

تشبيه المتنبي السيف ٣٢٦
أفضل المكاسب المغانم ٣٢٦
تمادح الشعراء بصفورة اليد إلا من عدة القتال ٣٢٦
الحجر الذي لا يعجبك يشجُّك ٣٢٨

رفع المسهم

الغلام القيسي ٣٢٩
رثاء هدبة اليشكري ٣٢٩
القطامي والبداوة ٣٢٩
رثاء الوليد بن طريف ٣٢٩
المعري والمال المكتسب في الحروب ٣٣٠
فقراء بني النطّاح ٣٣٠
صورة رائعة من شجاعة بكر بن النطاح ٣٣٠
رواية أخرى للقصة ٣٣٠
مديح بشار ٣٣١
اقتداء ابن المعتز به ٣٣١
إجادة المديح عند المعري ٣٣١
الرثاء والمديح عند الشعراء ٣٣١
الاعتداد بالسلاح ووصفه عند الشعراء ٣٣٢
الاعتداد بالسلاح عند المتنبي معنىً متكرر ٣٣٦
تشبيه جوهر السيف بمدرج النمل عند الشعراء ٣٣٧
تسمية السيف بالهندي أو المشرفي ٣٣٨

أَمِطْ عَنْكَ تَشْبِيهِيْ بِمَا وَكَأَنَّهُ فَمَا أَحَدٌ فَوْقِيْ وَلاَ أَحَدٌ مِثْلِيْ

الفخر والاعتداد بالنفس عند المتنبي ٣٣٩
تعاظم أبي جهل ٣٣٩
مقالة كتبها المؤلف يوم تأمير شوقي ٣٣٩
الفخر متكرر عند المتنبي ٣٤٠
الفخر عند الشعراء ٣٤٢
تكذيب المؤلف لهذه الأشعار ٣٤٢
تفسير: ﴿الله نور السموات والأرض﴾ عند الجاحظ ٣٤٢

رفع المسهم

تفسير: ﴿ليس كمثله شيء﴾ ٣٤٣
تفسير الغزالي لـ: إن الله خلق آدم على صورته ٣٤٤

وَذَرْنِيْ وَإِيَّاهُ وَطِرْفِيْ وَذَابِلِيْ نَكُنْ وَاحِداً نَلْقَ الْوَرَىٰ وَانْظُرَنْ فِعْلِيْ

ادعاء المتنبي الشجاعة ٣٤٨
من أين أخذ المتنبي بيته ٣٤٨
شجاعة الإمام ٣٤٨
تعليق المؤلف على المتنبي ٣٤٩
الفارس والفرس والسلاح قطعة واحدة عند الشعراء ٣٤٩
أول من جعل الحصان قيداً للأوابد ٣٥٠
الشعراء وجعلهم الحصان قيداً للوحوش ٣٥٠
وصف البحتري للخيل ٣٥١
وصف أبي تمام للخيل ٣٥٣
وصف ابن المعتز للخيل ٣٥٣
وصف المتنبي للخيل ٣٥٣
قضاء زوجة امرىء القيس لعلقمة ٣٥٤
وصف المعري للخيل ٣٥٤
الشعراء والخيل ٣٥٤
المحمود من الخيل ٣٥٥
توجيه قولٍ للبحتري ٣٥٧
هل معقول أن سرعة الخيل الأعوجية تعادل سرعة القطا؟!! ٣٥٧
أول من ركب الخيل ٣٥٨

المجلس الخامس

غُصْنٌ عَلَىٰ نَقَوَا فَلاَةٍ نَابِتٌ شَمْسُ النَّهَارِ تُقِلُّ لَيْلاً مُظْلِمَا

رفع المسهم

وصف المتنبي لحبيبته ٣٥٩
تشبيه المآكم بكثبان الرمل عند الشعراء ٣٥٩
كثرة استعمال التشبيه تبليه إلا إن خرج عن بابه مع تظريف ٣٦٠
الرشيد وعلي بن الخليل ٣٦٢
المتنبي وإغرابه في التشبيه ٣٦٣
وصف السيدة فاطمة الزهراء ٣٦٤
وصف سيد الأنام ﷺ ٣٦٤
تشطير المؤلف لقصيدة كعب بن زهير ٣٦٥
التوغل والاستغراق في المديح عند المتنبي ٣٦٦
التوغل والاستغراق في المديح عند الشعراء ٣٦٦
المؤلف ومفاضلته بين بيتٍ للبوصيري وبيت لابن الفارض في أحد المجالس ٣٦٧
إتمامه ﷺ بيتاً لابن الفارض في المنام ٣٦٧
المعاني موجودة حتى عند العامة ولكن الفضل في نظمها ٣٦٨
اعتراض بعض الحاضرين على المؤلف ورد المؤلف عليه ٣٦٨

لَمْ تَجْمَعِ ٱلأَضْدَادَ فِيْ مُتَشَابِهٍ إِلاَّ لِتَجْعَلَنِـيْ لِغُـرْمِـيَ مَغْنَمَـا

تشبيه المتنبي ما يلزم من العشق بالدَّين ٣٧٠
شرح البيت ٣٧٠
معنى التشابه ٣٧٠
تناسب الأعضاء إلى بعضها هو معيار الحسن ٣٧١
ذكَّرني فوها حمارَي أهلي ٣٧١
سعة الفم ممدوحة في الرجال لا النساء ٣٧١
الجمال يكون بسواد أربعة ٣٧٢
وبياض أربعة ٣٧٢
وحمرة أربعة ٣٧٢

رفع المسهم

وكبر أربعة ٣٧٢
وصغر أربعة ٣٧٢
وسعة أربعة ٣٧٢
وضيق أربعة ٣٧٢
المراد من حمرة الشفة ٣٧٢
الملاحة والخلاف فيها ٣٧٣
الفرق بين المليح والجميل والخلاف فيه ٣٧٣
مواضع الحُسن ٣٧٤
الجمال عند العرب ٣٧٤
الحُسن عند علي بن عبيد ٣٧٤
الحسن عند المتنبي ٣٧٤
أروع وصف لامرأة هو ما تصف به عصام امرأة من كندة للحارث بن عمرو ... ٣٧٥
عزَّة الميلاء تخطب وتصف ٣٧٧
تشكك المؤلف في القصة ٣٧٩

كَصِفَاتِ مَوْلاَنَا أَبِيْ ٱلْفَضْلِ ٱلَّتِيْ بَهَرَتْ فَأَنْطَقَ وَاصِفِيْهِ وَأَفْحَمَا

جمع الأضداد في الصفات يستهوي المتنبي ٣٨١
الشعراء وجمع الأضداد ٣٨٢
أبو تمام يتكلف تأليف بيت من الشعر ٣٨٣
استهزاء المؤلف به ٣٨٤
عودة إلى جمع الأضداد عند الشعراء ٣٨٤
وصف الشريف الرضي للإمام ٣٨٥
إعجاب المؤلف به ٣٨٥
مديح أب لابنه ٣٨٥
هجاء أب لابنه ٣٨٥

رفع المسهم

أنت ومالك لأبيك ٣٨٦
بطلان قصة الحديث ٣٨٧
هل يجوز قول الرجل لغيره: يا مولاي؟ ٣٨٧
القول في التسييد ٣٨٧
شهامة شاعر ٣٨٨
خضوع البعض لممدوحيه ٣٨٩
الممادح التي توجد في الممدوح هي التي تنظم نفسها شعراً عند المتنبي ... ٣٨٩
وكذلك عند الشعراء ٣٩٠
تعجز لغة الكلام عن التعبير في كثير من الأحيان ٣٩٣
إفحام أبي نواس للشعراء والخطباء ٣٩٤
شدة القرب حجاب ٣٩٤
ارتفاع بعض الممدوحين فوق مرتبة المديح ٣٩٤

كَبُرَ ٱلْعِيَانُ عَلَيَّ حَتَّىٰ إِنَّهُ صَارَ ٱلْعِيَانُ مِنَ ٱلْيَقِينِ تَوَهُّمَا

عندما يرى الإنسان شيئاً يكذب عينيه والمتنبي أول من أوضح هذا المعنى ... ٣٩٦
قول الشعراء في هذا المعنى ٣٩٧
الحديث عن كتاب الشكوك ٣٩٨
ما يجده المؤمن من الوسوسة في صدره ليس من هذا القبيل ٣٩٩

المجلس السادس

إِلَىٰ أَيِّ حِينٍ أَنْتَ فِي زِيِّ مُحْرِمٍ؟ وَحَتَّىٰ مَتَىٰ فِي شِقْوَةٍ وَإِلَىٰ كَمِ ؟

متى يبتسم الدهر؟ ٤٠١
الكفر قرين الفقر ٤٠١
استعاذته ﷺ من الدَّين والفقر ٤٠٢

رفع المسهم

أصول النعم ٤٠٢
في أيدينا لا في قلوبنا ٤٠٢
ارحموا ثلاثة ٤٠٢
جهد البلاء ٤٠٣
الفقر مجمع العيوب ٤٠٣
الصفة الواحدة للغني مدح وللفقير ذم ٤٠٣
كم لك من الأصدقاء؟ ٤٠٣
الناس مع صاحب الدنيا ٤٠٣
ما أكثر الإخوان حين تعدهم ٤٠٤
هيبة ذي المال ٤٠٤
خسة العالم الذي يتواضع لغني ٤٠٤
الإمام يحب المساكين ٤٠٥
إكرام العلماء عند أهل (اليمن) ٤٠٥
الكلام في الغنى والفقر ٤٠٥
وصف الإمام للنبي ﷺ ٤٠٦
تواضعه ﷺ ٤٠٦
تفضيل أهل الحديث الغنى على الفقر ٤٠٦
من خصائص النبي ﷺ ٤٠٧
أفضل الأحوال الكفاف ٤٠٧
استشكال حديث: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً» ٤٠٧
خير الغنى ٤٠٨
الشعراء والغنى والفقر ٤٠٨
القناعة هي الحياة الطيبة ٤٠٩
كيف تصبح ملكاً؟ ٤١٠
القليل الكافي خير من الكثير الملهي ٤١٠

رفع المسهم

الغنى غنى القلب ٤١٠
عودة إلى الشعراء ٤١٠
وجهة نظر الخليل الفراهيدي إلى الغنى والفقر ٤١١
خير الرزق ما كان مياومة ٤١١
الطمع هو الفقر والقناعة هي الغنى ٤١٢
علم ابن ميادة أن عنده ناقة حلوباً فاستغنى عن الملوك ٤١٣
البخيل يبخل بالمال فابخل بماء وجهك ٤١٤
الإخلاص في التوكل ٤١٤
صدق رسول الله ﷺ إن من الشعر لحكمة ٤١٤

وَإِلاَّ تَمُتْ تَحْتَ ٱلسُّيُوْفِ مُكَرَّماً تَمُتْ وَتُقَاسِيْ ٱلذُّلَّ غَيْرَ مُكَرَّمِ

حث المتنبي على الإقدام ٤١٦
الشعراء تشجع الجبان وتحث على الإقدام ٤١٦
لي عندك يد يا أمير المؤمنين ٤١٧
ثلاثة من الفرسان جزعوا ثم صبروا ٤١٨
وثلاثة لم يجزعوا أصلاً ٤١٩
الرجال لا تفر من القتال ٤١٩
مكتوب على ذي الفقار ٤٢٠
قصة الحصين بن الحمام وبني جوشن ٤٢٠
الموت آت على كل حال ٤٢١
المدح بالقتل ٤٢١
لا يموت السيد في فراشه ٤٢١
نعي المصعب بن الزبير إلى أخيه عبد الله ٤٢١
آل الزبير أعرق الناس في القتل ٤٢٣
قول ماوية لزيد الخيل عندما أراد خطبتها ٤٢٤

رفع المسهم

قصيدة للطرماح يتمنى فيها أن يموت أفضل ميتة ٤٢٤
لم يتحقق حلمه ومات على عكس ما أراد ٤٢٥
الشعراء والشجاعة ٤٢٥
الشهداء أحياء ٤٢٧
أمنية الشهيد ٤٢٨
شجاعة الإمام ٤٢٨
تقديم النبي ﷺ آل بيته في القتال عند إحجام الشجعان ٤٢٨
بكاء زين العابدين ٤٢٨
ربما يكون البكاء دواء عند الشعراء ٤٢٩
الأنفة والإباء عند المتنبي ٤٣١
لا عز في طريق النار ولا ذل في طريق الجنة ٤٣١

فَثِبْ وَاثِقاً بِاللهِ وِثْبَةَ مَاجِدٍ يَرَىٰ الْمَوْتَ فِي الْهَيْجَا جَنَىٰ النَّحْلِ فِي الْفَمِ

تحريض المتنبي على القتال ٤٣٣
شجاعة الإمام عليه السلام ٤٣٣
تمييزه بين العسل الطائفي وغيره في أحلك الظروف ٤٣٤
معرفة أبي العلاء ماء وطنه وقد مزج بماء الفرات وهو بالعراق ٤٣٤
الإمام آنس بالموت من الطفل بثدي أمه وتفصيل هذا الكلام ٤٣٥
استعذاب الموت في طلب العز عند الشعراء ٤٣٦
شدة ثبات جأش عبد الله بن الزبير ٤٣٧
تشبيه الموت بالعسل اليماني ٤٣٧
الأحق بهذه الأشعار هو ابن الزبير ٤٣٧
الجمال لا ينافي الشجاعة ٤٣٨
يستمهل السجان كي يتم لعبة الشطرنج ٤٣٨
شجاعة أبي نعامة ٤٣٨

رفع المسهم

شجاعة ابن محكان ٤٣٩
عبد بن يغوث ينوح على نفسه قبل قتله بقصيدة شعرية رائعة ٤٣٩
شجاعة طرفة بن العبد ٤٤٠
عبيد بن الأبرص يخاف الموت ٤٤٠
تميم بن جميل يتكلم خطبة حال قتله يعجز عنها من هو في الدَّعَة ٤٤١
علي بن الجهم يصلب وهو حي عرياناً ٤٤٢
نجدة القرآن وشهامته ٤٤٣
وجوه فضل حلف الفضول ٤٤٣
السرعة في إجابة المنادي دون أي سؤال ٤٤٣
سرعة النبي ﷺ إلى إجابة الصوت ٤٤٥
السبب في شجاعة الصحابة رضوان الله عليهم أنها جبلَّة ودين ومِلَّة ٤٤٦
الصحابة الكرام أحق بجميع الأشعار المادحة والثناء البالغ ٤٤٧
أجمع الآيات في النجدة ٤٤٨
تمهيد المؤلف العذر لنفسه في هذا الاستطراد ٤٤٩
كل شيء من الحبيب حبيب ٤٥٠
سلطان العاشقين يستعذب العذاب ٤٥٠
ذم وهجاء من يبطيء في إجابة الصوت ٤٥٣
السبب في حرب البسوس ٤٥٥
ذم القرآن الكريم للمنافقين ٤٥٥
أصعب السهام التي تأتيك من أخيك وأشد الآلام النزيف الداخلي ٤٥٥
الجدار القصير تقفز عليه الكلاب ٤٥٦
واحسرتا على من ليس له أحد ٤٥٧
ثاني اثنين في التنور ٤٥٧
المحتوى ٤٥٩

* * *

رفع المسهم